

كتاب التوحيد

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الثالثة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

دار أصدقاء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة

دار أصداء المجتمع

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة

هاتف : ٠٠96663236333

فاكس : 0096663236277

جوال : ٠٠966505136333

• محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة .

١٠٠٤ صفحة

٢٤×١٧ سم

ردمك : ٧-٥٦٩٢-٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- الأسماء والصفات أ.العنوان

١٤٣٢ / ٧٣٠٢

ديوي ٢٤١

رقم الإيداع : ١٤٣٢ / ٧٣٠٢

الطبعة الثالثة

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

جوال المؤلف : ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢ - ٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

للفقيه لعفوريه

محمد بن إبراهيم التويجري

الطبعة الثالثة

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء / ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن الفقه في الدين أفضل الأعمال وأحسنها، وأزكاها وأشرفها، وأعظمها وأجلها، وأنفعها وأكبرها، وأعلاها وأنفسها.

فهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة أنبيائه ورسوله، ومعرفة وعده ووعيده، ومعرفة ثوابه وعقابه، والعمل بموجب ذلك ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً، وأخلاقاً وسلوكاً.

ومن اكتملت له هذه المعارف العالية فقد بلغ النصاب، واجتمعت له الحكمة وفصل الخطاب، ونطق بالتوحيد قلبه ولسانه وجوارحه: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ﴾ [٧٣].

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

لقد أكرم الله سبحانه آدم ﷺ وذريته بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة، والإنسان جسد وروح، فإذا خرجت الروح فسد الجسد.

والدنيا كالجسد روحها الدين، فإذا خرج منها الدين فسدت حياة الخلق، وصار

الناس كالبهائم والسباع ، كل يرتع فيما يشتهي ، بلا حد ولا قيد ، ولا أمر ولا نهي . وهذا ما يحصل في العالم الآن ، فشاهد الانحلال الخلقي ، والهزال الروحي ، والضعف الإيماني ، والخواء الفكري ، والفساد الاجتماعي ، والاضطراب الأمني ، ظاهر ساطع في معرض البشرية لا يحتاج إلى دليل .

وقد ظهر في زماننا أقوام استخلفهم الشيطان على نقض عرى الإسلام ، وجنّدهم لهدم بنيانه ، وإبطال شرائعه ، ونقض أحكامه .

فظهرت أقوال وأفعال جمعت إلى الكفر والكذب إفراط الجهل والحسد ، والجرأة على الرب ورسله ودينه وأوليائه بلا خوف ولا حياء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف/٨] .

وهذا أمر عظيم يعرق له الجبين ، وتتفطر له الأكباد ، وينذر بعقوبة عاجلة ؛ لما فيه من الكفر والسفاهة والوقاحة ، وعدم الحياء والخوف من الجبار .

وهذا الوباء العظيم يزداد يوماً بعد يوم ، ويفتح له الأبواب كثير من شياطين الإنس والجن في مشارق الأرض ومغاربها .

فقد زج أعداء الإسلام بأمهات الدواهي في بلاد المسلمين ، وغرسوا في عقولهم ما يفسد حياتهم ، ليزدادوا بعداً عن دينهم ، ويتناحروا فيما بينهم ، ويهلك بعضهم بعضاً بالحديد والنار بعد التراشق بالكلام ، وهذا ما حصل ويحصل كل يوم .

فلا بد من صد هذا الوباء الخطير ، وكشف هذه الأفتنة الخرقاء التي رפרفت على عقول المسلمين بالباطل المموه ، والشر المزخرف .

ولا بد من هتك غاشية البلاء والفساد الذي عم وطم ، وإزالة الغطاء عن مسارب الهلاك الخفي الذي غرسه العدو الماكر بيننا فأنبت كل مُر وشر وفتنة وبلاء .

فقد زاد الأمر سوءاً ، وضرب سهم الباطل قلب الأمة المسلمة ، حتى صار أكثر العالم الإسلامي منبع الضلالة ، ومنجم الجهالة ، ومعرض الرذيلة ، ومسرح الظلم ، وميدان القتل ، وسجن الرعب والخوف ، ومركز الفقر ، ومصدر الفتن والنهب والسلب .

وتم ذلك كله بعد أن سَوَّق لنا العدو أخبث ما في سوقه ، وأنجس ما في بلاده ، فاجتمعت الخبائث والنجاسات في أعز إنسان ، وأعز مكان .

فما أشد صولة الباطل على بلاد المسلمين ، فقد استباح أنفسهم وأموالهم وديارهم بغير حق، ونزفت جراحات الألم في كل مكان ، وانتشرت الفتن بين الخاص والعام، وتراكت الظلمات بعضها فوق بعض، وصار هذا الوباء العظيم قبلة يتوجه إليه الرجال والنساء والأطفال في أنحاء الأرض .

ولا ينكر ما حصل إلا جاهل أعماه حُمقه وشهوته ، أو مكابر أعماه منصبه وشهرته، أو حاسد أعماه كفره وحقده ، أو متتفع أعماه حرصه وطمعه .

إن وزر الضلال والإضلال لا يمحوه إلا صدق الصلاح والإصلاح بكمال التوحيد والإيمان والتقوى ، وإغلاق أبواب الشرك والشُرور والفجور: ﴿وَالْعَصْرُ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر/١-٣] .
نعوذ بالله من كل سوء وظلم ، ومن دعوى السفلة والجهلة ، ومن مسخ القلب والعقل ، ومن طمس السمع والبصر ، ومن فساد الفكر والذوق .

إن السبيل الوحيد للنجاة من تلك الدواهي لا يمكن إلا بتفريغ القلب من الهوى، ليدخل الهدى ، وغسل درن الشرك والمعاصي، ليدخل نور التوحيد والطاعات ، وتنقية السنة من البدعة والشوائب، ليظهر الحق صافياً ، ويعيش الإنسان آمناً مطمئناً.

إن الدنيا لا تصلح إلا بالدين ، والإنسان لا يصلح إلا بالإيمان ، والإيمان لا تظهر ثمراته إلا بكمال التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأأنام/٨٢] .

والناس صنفان : إما صالح ومصالح ، وإما فاسد ومفسد ، ولكل راية وغاية ونهاية . ولا ريب أنه إذا صلح الإنسان صلح العالم ، وإذا فسد الإنسان فسد العالم: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ مَا كَسَبَتِ الأَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم/٤١] .
وتوحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بعبادته، هو سبيل النجاة والفلاح ، وهو الدرس الأول والدرس الحق الذي يجب أن يتعلمه كل إنسان، وكل مسلم قبل كل شيء ، ليعبد الله بمقتضاه ، ويسعد في دنياه وآخرها .

ومن أجل توحيد الله ﷻ خلق الله السموات والأرض ، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل

والنهار ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الجنة والنار ، وخلق جميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فالتوحيد أساس كل عمل ، ومفتاح كل خير ، ومن صدق الله في طلبه أعطاه الله إياه ، واستعمله بمقتضاه ، ورضي عنه وأرضاه ، وأسعده في دنياه وأخراه .

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وعرف أفعاله الجميلة ، وخزائنه العظيمة ، وعرف دينه وشرعه ، وعرف وعده ووعيده ، وعرف أنبياءه ورسله ، وعرف كلماته المنزلة ، وعرف أقداره الحكيمة ، فقد نال متين العلم وصفوته ، وذاق طعم الإيمان وحلاوته .

وإذا عرف ذلك كله وحمد الله بأسمائه كالسميع والبصير، والعليم والقدير، والكريم والرحيم وغيرها من الأسماء الحسنى .

ووحّد الله بصفاته كالسمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والعزة والرحمة ، والرفقة والحكمة وغيرها من الصفات العلى .

ووحّد الله بأفعاله كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير وغيرها .

ووحّد الله بأفعال العباد ، فلا يدعو إلا الله ، ولا يكبر إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يحب إلا الله ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يعبد إلا هو ، ولا يستعين إلا به .

ووحّد رسوله ﷺ بالاتباع ، فيطيعه فيما أمر ، ويصدقه فيما أخبر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع .

وبقدر تلك المعارف الربانية ، والأعمال المرضية ، يمتلئ القلب بالتوحيد الخالص ، والإيمان الكامل ، وينشرح الصدر بالأنوار الإلهية ، وتنقاد الجوارح للعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وإذا غلب نور التوحيد والإيمان شهوات النفس ورغباتها سار الإنسان إلى ربه على الصراط المستقيم ، على مطية الجسد الصالح ، إلى السكن الصالح .

وبهذا تكمل للعبد جميع أنواع التوحيد ، فيذوق طعم الإيمان ، ويجد حلاوة التوحيد ، ولذة العبادة ، وحسن الطاعة لمولاه الحق .

وأبواب المعارف كلها ، وأبواب التوحيد كلها ، وأركان الإيمان كلها ، لا يمكن للعبد تحصيلها إلا من طريقين لا ثالث لهما :

أحدهما : النظر في الآيات الكونية ، والثاني : التدبر في الآيات القرآنية .

فمن وفقه الله لحسن النظر والتدبر في هذا وهذا فقد أدرك من العلم أحسنه وأنفعه وأكمله ، وذاق طعم الإيمان وحلاوته وحقيقته ، وأخذ من أول العلم وآخره ، وظاهره وباطنه ، وغيبه وشهادته .

وإذا اكتمل هذا النصاب ، واجتمع للعبد معرفة كتاب الرب ، ومعرفة سنة سيد الخلق ، صار ربانياً يُعَلِّمُ ويتعلم ، ويسمع ويطيع ، ويركع ويسجد لربه الواحد الأحد لا شريك له .

ومن عرف أن ربه هو الحق عرف أن دينه حق ، وأن رسله حق ، وأن كتبه حق ، وأن وعده حق ، وعمل بالحق ، ونال الثواب الحق من الملك الحق : ﴿ ذَلِكِ بَيِّنَاتٌ لِّأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان / ٣٠] .

والله ﷻ هو الملك الحق المبين الذي جميع ما في الكون ملكه ، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، وشاهدة بوحدانيته .

هو الواحد الأحد الذي جعل جميع النفوس تأكل من فضله ، وجعل جميع القلوب مخاطبات بوحيه ، وجعل جميع المخلوقات دالة على عظمته ، مسبحة بحمده ، شاهدة بتوحيده : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

إن نهاية العلم كمال التوحيد ، ونهاية العمل كمال التقوى ، وهذا هو مراد الرب من خلقه ، وجامع أبواب الخير في شرعه .

والمقصود من العلم والتفكير والعبادات والأوامر أن يأتي عند العبد اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعلى وعده ووعيده ، ثم يأتي كمال الحب لله ، والذل له ، والتعظيم له ، والتعظيم لأمره ، فإذا جاء ذلك في قلب العبد جاء اليقين على كلام الله وأحكامه وأوامره والعمل بشرعه ، وهذا هو التوحيد الذي يريد الله من جميع خلقه : ﴿ فَأَعْلَمُونَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَاللَّمُومِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَكِّرَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

ومن اكتملت له أركان اليقين الثلاثة وحَّد ربه بأسمائه وصفاته ، ووَحَّده بأفعاله ودعائه ، ولم يلتفت لأحد سواه، وأقبلت نفسه على الطاعات، وسارعت إلى الخيرات، ونفرت من المعاصي والمنكرات ، وصار هذا الإنسان عبداً لربه لا لهواه ، فرضي الله عنه وأرضاه ، وأسعده في دنياه وأخراه .

والتوحيد هو مقصود الرب من خلقه ، ولهذا فطر عليه جميع المخلوقات ؛ لأنه أحب شيء إليه ، وهو حق الله على جميع عباده كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦ - ٥٨] .

وهذا التوحيد له صورة ولفظ ، وطعم وحلاوة ، وحقيقة وثمره ، وثواب وكرامة . وبين التوحيد الصوري اللفظي، والتوحيد الحقيقي القلبي، كما بين السماء والأرض، والمطلوب من التوحيد أعلاه لا أدناه، وحقيقته لا صورته .

فالتوحيد الحقيقي هو رؤية الواحد الأحد ﷻ ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه . توحيد ينطق به اللسان .. ويطمئن به القلب .. وتعمل به الجوارح .. وتدمع به العين .. ويقشعر منه الجلد .. ويوجل به القلب .. وتذوق به الروح حلاوة الذكر والعبادة .. ويذوق به الإنسان طعم الإيمان والسمع والطاعة للملك الحق ﷻ .

وهذا التوحيد هو الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وشرع من أجله الدين : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [النحل / ٣٦] . واعلم أن التوحيد الفطري من الرب يزيده إيمان كسبي من العبد، ويحصل ذلك بالنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية .

وبهذا التوحيد الخالص للرب الواحد الأحد يجيب الله دعاء السائلين ، ويفرج كرب المكروبين، ويعز المؤمنين، وينصر الموحدين، ويرد كيد المعتدين ، ويفتح أبواب البركات، وينزل الهدايا ، ويكرم المؤمنين بالجنة ورضاه ، ويقيهم من النار وسخط الجبار .

وفي هذا المجموع القيم الذي بين يديك بينت بفضل الله التوحيد ، وأقسامه ، ودلائله، ومفاتيحه، وثماره ، وآثاره في الدنيا والآخرة .

وبينت أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، وكيفية توحيد الله بها، والاعتبار بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها، وذلك كله في ضوء القرآن والسنة الصحيحة . وقد جمعت فيه من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وغذاء القلوب، ما تَقَرَّ به العيون ، وتسعد به النفوس ، وتطمئن به القلوب، في ضوء القرآن والسنة .

وعرضت فيه المسائل العلمية الغيبية بما شهدت به أنوار الأدلة الشرعية من القرآن والسنة الصحيحة، سالمة من الأهواء الشخصية، بريئة من العصبية المذهبية، سليمة من الاختراعات البدعية .

وهذا جهد مقل، قليل الألفاظ، عزيز المعاني، حلو الطعم ، سهل الفهم ، دون إيجاز مخل، أو إطناب ممل .

وقد عرضته بفضل الله وعونه بتحقيق واف ، يثمر كمال التوحيد والإيمان والتقوى ، ويقلب ليل المسائل المشتبهة نهاراً ، ويكشف النقاب عن جمالها ، ليستبين سبيلها، ويشرب الناس من عذب مائها .

وهذا الكتاب تحرير موجز مؤكد بنقل يقطع العذر ، ويزيل الشك والريب ، ويحقق التوحيد الخالص ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح بإذن الله ﷻ .

جاء بفضل الله وحده حسن الجسم والرسم ، سهل اللفظ والفهم ، زكي الرائحة والطعم ، متين الفقه والعلم .

فهو قريب ملتئم ، سهل منسجم ، مشرق بالنور ، قرة للعيون ، ممتع للأسماع، والأبصار والبصائر، والعقول، والقلوب .

جمعت فيه بين القول والنقل ، والمعقول والمحسوس ، يَسْبَحُ في فلك التوحيد والشريعة ، ويحطم الشرك والبدع والرديلة ، ويقيم بنيان الحق والسنة والفضيلة بإذن الله .

وبعد جمع هذا الكتاب من القرآن والسنة، وبساتين العلم والمعرفة، جاء مكتمل المباني ، غزير المعاني، فوسمته وسميته (كتاب التوحيد في ضوء القرآن والسنة)، وجعلت له ستة أبواب تصلك بالواحد الأحد، الذي يغنيك عن كل أحد .

وهاهي أبوابه مفتوحة بين يديك ، توصلك إلى أحسن ما ابتغيت، وهي :
الباب الأول: كتاب التوحيد .

الباب الثاني : مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان .

الباب الثالث : توحيد الله بأسمائه وصفاته .

الباب الرابع: فقه التعبد بأسماء الله الحسنی .

الباب الخامس: أسماء الله الحسنی بين معرفتها، وتوحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها.

الباب السادس : أهل التوحيد بين الواجب والجزاء .

وهذا الكتاب المقصود منه بيان التوحيد والإيمان بالله ﷻ ، وترغيب الخلق في لزوم الصراط المستقيم ، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه، وبشارة المؤمنين بما أعد الله لهم من الجنات ، وإنذار كل من خالف هدي الله ورسوله بالنار : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَاتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَولو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

أسأل الله ﷻ أن يجعله غذاءً نافعاً للعقول ، وقوتاً للقلوب ، ومحركاً للقلوب والجوارح إلى أجل مطلوب ، ومثيراً لساكن العزمات إلى روضات الجنات، ورب البريات .
كما أسأله ﷻ أن يجعله نوراً للسائرين ، ومناراً للتائهين ، ومصباحاً للمتعبدين ، وقرّة عين للموحدين ، وروضة للمتعلمين .

وقد ذكرت في هذا المصنف بفضل الله من الآيات البينات ، والبراهين الساطعات ، والدلائل الواضحات ، ما يملأ باذن الله القلوب بالتوحيد والإيمان واليقين ، ويشرح الصدور للعبادات والطاعات ، ويحرك الألسنة بالذكر والحمد والشكر ، ويوجه الناس إلى رب الناس ، ويصرف القلوب عن التعلق بالمخلوق إلى الأنس بالخالق .

فدونك مورداً عذباً صافياً ، لم تكدره العصبية ، ولم تشبه الحمية ، مبني على قواعد الشريعة المحكمة ، متوج بنصوص الوحي المنزلة .

إذ لا بد للمسلم الذي يرجو الفلاح والنجاة من علم متين بحقائق الدين ، يميز به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين العالي والسافل، وبين الغالي والرخيص، وبين الحسن والقبيح: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رَضَوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهذا الدين لا ريب لمن آمن به ، وعمل به ، وذب عنه ، وصبر على كل أذى في سبيله ، وبذل وترك كل شيء من أجل تحصيله ونشره .

أسأل الله الكريم أن يجعلني وإياكم والمؤمنين والمؤمنات من هؤلاء ، لا ضد هؤلاء .

ويولد هذا المولود بفضل الله بين ملايين السباع التي تنهش البشر ، وألوف الأفاعي التي تلسع المسلمين ، ومئات السهام التي ترشق أهل التوحيد والإيمان ، لتهدم بنيان الدين ، وتقوض أركانه ، ولن يفلحوا ولن يستطيعوا ذلك أبداً ، فإن الله لا غالب له : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٣٢].

هو سبحانه الملك القادر وحده الذي ينصر أوليائه ويظهر دينه على الدين كله بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة/ ٣٣].

ويدخل هذا المصنف بفضل الله سوق الدنيا عزيزاً معلماً ، ومرشداً وهادياً ، ومبشراً ومنذراً . ممتع للقارئ والسامع ، مشتمل على بدائع الفوائد ، ومحيط بأمهات المسائل ، وجامع لأحسن الجواهر ، فليطلبه من أراد التوحيد النقي الخالص ، ومن رغب في زيادة الإيمان والعمل الصالح ، في ضوء القرآن والسنة .

وهذا فضل الله بين يديك مبسوطاً ، لك غنمه ، وعلى كاتبه غرمه .

أبوابه لك مفتوحة ، وكنوزه مطلوبة ، وثماره لك مجلوبة ، فاقطف من ثماره ما شئت .

هو أعلى ما أملك ، وأحسن ما جمعت ، وأحلى ما رأيت ، وأنفس ما أهديت .

وهو هدية المسلم لأخيه المسلم ، فاقبله قبلك الله في مجموعة الفائزين ، وغفر الله لنا ولك وللمسلمين ، وجمعنا جميعاً في جنات النعيم .

واعلم غفر الله لنا ولك أن الكلام عن الرب العظيم عظيم لانهاية له ، والحديث عن الكبير كبير لا حد له ، والأمر أكبر من أن يحاط به ، وأوسع من أن يوقف على خفاياه ، لكن أول العلم قطرة ، ومن استهدى فسيهدى ويعطى .

وإذا كانت الألفاظ قوالب المعاني ، والإشارة تغني عن العبارة ، فقد حرصنا على جمع الثمار الطيبة من أحسن بساتين العلم والمعرفة ، وقطفنا منها ما يغني اللبيب عن الإسهاب والتطويل ، وما يملأ قلبه بالتوحيد والإيمان واليقين .

وقد يمتد بنا طلق الكلام أحياناً حرصاً منا على إفادة البيان ، والتوضيح بالبرهان ، وسقي العطشان .

فنسأل الله في هذا وهذا إصابة الصواب إلى سواء الحكمة، وفصل الخطاب ، وأن نكون قد وفقنا لجمع ما لذ وطاب من غذاء العقول ، وقوت القلوب، في ضوء القرآن والسنة .

أما وقد حلّ بك هذا الضيف ، بعد أن ساقه الله من محرره إلى قارئه ، ليطمأ أمره ، وتحق كلمته ، ويتحقق مراده من خلقه، فاستعن بالله ، واقراً وتدبر ، واشكر وتزود ، واستغفر واصبر فأنت في عبادة : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه/ ١١٤] .

أسأل الله عز وجل أن يهدينا وإياكم سواء السبيل ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، وشمساً ينور الله بها قلوب العالمين ليسيروا إلى ربهم على صراط مستقيم .

واعلم أن كثيراً من الناس سفيه في صورة حكيم ، وجاهل في صورة عالم ، وفقير في صورة غني ، فاصبر واصطبر على ما تراه وتسمعه ، واعتصم بحبل الله وحده، واقطع ما سواه من الحبال ، وكن بالناس رؤوفاً رحيماً ، ناصحاً شكوراً ، ترضى ويرضى الله عنك ، ويرضى الناس عنك : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم/ ٦٠] .

وإياك ومن تفرقت بهم سبل الجهالات ، وتنوعت بهم طرق الضلالات ، من كل شيطان ضار في صورة إنسان بار ، ومن كل لئيم في صورة كريم ، ومن كل خائن في صورة أمين ، وغيرهم ممن شغله الشيطان بالضلال والإضلال ، والفساد والإفساد .

وحق هؤلاء عليك الدعاء لهم بالهداية ، ودعوتهم إلى من أمرك بالصبر على أذاهم . نعوذ بالله من كل سيء وما أساء به، ومن دعوى السفلة والجهلة، ومن مسخ العقل والقلب ، ومن طمس السمع والبصر، ومن شر كل حاسد إذا حسد .

وإياك وفرطات القول بلا علم ، فما خرج منك لا يمكن رده ، وما نثرت لا يمكن جمعه ، وما كسرت لا يمكن جبره .

وإياك وقرصنة الكلام ، وقرض الأعراض بالمقراض ، فإن الله سميع بصير .
وقدم ما يحبه الله على ما تحبه النفس ، وتزود ليوم المعاد بأحسن زاد من التوحيد والإيمان ،
والعلم والعمل ، ترافق النبيين في جنات النعيم : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٩﴾
[النساء/ ٦٩] .

ولتكن همتك عالية في الفقه في الدين ، والافتداء بجميع سنن سيد المرسلين .
وإن قعدت بك الهمة عن ركوب المعالي ، ولم تطق الجوع والسهر من أجل تحصيل
الغالي ، فقد جمع الله لك ما تحب ، فخذ من كتابنا الجامع ، والمختصر الشامل :
(مختصر الفقه الإسلامي) مجلد واحد .

وإن كنت فارساً يطوف في الديار ، ويركب البحار ، ويتحمل الأسفار ، فزادك الذي يغنيك
عن السؤال ، ويجمع لك خير النوال ، خذ من بستان المعارف من كتابنا المفتوح :
(موسوعة فقه القلوب) أربعة مجلدات .

وإن أردت الإمامة في الدين ، ولبس ثياب المتقين ، وحمل رسالة سيد المرسلين ، فخذ
ذلك من جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وانظر في كتابنا المرسل (موسوعة الفقه
الإسلامي) خمسة مجلدات .

وإن غرتك الدنيا بزيتها ، وألهبتك الصحاري بحرها وسمومها ، وأزعجتك العواصف
بشدتها وغبارها ، وأظلم عليك الليل بسواده ، وأجلب عليك الشيطان بخيله ورجله ، فدونك
بستان التوحيد والإيمان ، فيه من كل زوج بهيج ، وتوحيد وتكبير وتحميد للرب المجيد .

تطمئن به القلوب ، وتركو به العقول ، ويصفو به التوحيد ، ويزيد به الإيمان ، وتحسن به
الأخلاق ، وتقوى به الأعمال بإذن الله عز وجل ، وهو كتابنا هذا : (كتاب التوحيد في ضوء
القرآن والسنة) مجلد واحد .

وإن أردت السيرة الفاضلة ، والأسوة الحسنة ، والقدوة الكاملة ، في التوحيد ، والإيمان ،
والنيات ، والأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والآداب ، فدونك كتابنا الجامع (السيرة النبوية
بين المعرفة والواجب في ضوء القرآن والسنة) مجلد واحد .

أسأل المولى القدير أن يجعل هذا المجموع الثمين من الكتاب والسنة خالصاً لوجهه الكريم ، وسفيراً للرب بين الخلق أجمعين .

تطمئن به قلوبهم ، وتنشرح به صدورهم ، ويزيد به إيمانهم ، وتستقيم به جوارحهم ، وتصلح به أعمالهم ، وتحسن به أخلاقهم .

كما أسأله ﷺ أن يجعله نوراً يهتدي به من ضل الطريق ، وأن يسقي به بستان التوحيد في القلوب ، ويجتث به جرثومة الشرك ، ويدفع به وباء الكفر والمعاصي ، وينبت به شجرة التوحيد الخالص ، وثمار الإيمان الصادق، ويسقي به حدائق الطاعات والأخلاق الحسنة .

كما أسأله سبحانه أن يعفو عن خطئي وجهلي ، وأن يغفر لي ولوالدي وأهل بيتي ، ولكل من قرأه أو سمعه، أو كتبه أو علّمه، أو نشره أو انتفع به، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات .

كما أسأله سبحانه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی ، أن يرزقنا جميعاً التوحيد الخالص ، واليقين الكامل ، والإيمان الصادق ، والعمل الصالح ، والاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً حتى نلقاه ، إنه سميع قريب مجيب .

وصلی الله وسلم علی إمام الموحدين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وقدوة الناس أجمعين، نبينا محمد وعلی آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

المملكة العربية السعودية / بريدة

جوال : ٠٥٠٨٠١٣٢٢٢ - ٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

البريد الإلكتروني : Mb_twj@hotmail.com

موقعنا على الأنترنت (هذا الإسلام) hatha-alislam.com/index

الباب الأول

كتاب التوحيد

ويشتمل على ما يلي :

- | | |
|-----------------------|------------------------|
| ١ - فقه التوحيد | ٩ - لوازم التوحيد |
| ٢ - أقسام التوحيد | ١٠ - مكان التوحيد |
| ٣ - دلائل التوحيد | ١١ - قيمة التوحيد |
| ٤ - حقيقة التوحيد | ١٢ - أصل التوحيد |
| ٥ - فضائل التوحيد | ١٣ - أهل التوحيد |
| ٦ - شروط كلمة التوحيد | ١٤ - إيمان أهل التوحيد |
| ٧ - أركان التوحيد | ١٥ - ثواب أهل التوحيد |
| ٨ - كمال التوحيد | ١٦ - نواقض التوحيد |

كتاب التوحيد

• فقه التوحيد :

التوحيد: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به ، وما يجب له .

فما يختص بالله: أن يعتقد المسلم أن الله واحد لا شريك له ولا مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

وما يجب له: التوحيد والإيمان ، وطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل / ٣٦] .

• أقسام التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب قسمان:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات .

وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة .

فتثبت لله ﷻ ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والأفعال على ما يليق بجلاله ، إثباتاً بلا تكيف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل .

وننفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى / ١١] .

فهو السميع الذي ليس كمثلته شيء في السمع ، القوي الذي ليس كمثلته شيء في القوة .

ويسمى هذا التوحيد توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الرب بأفعاله .

الثاني: توحيد القصد والطلب .

وهو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة التي شرعها كالدعاء ، والصلاة ، والصدقة ، والتوكل ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادات القلبية

والبدنية والمالية ، وذلك أعظم ما أمر الله به وهو مراد الله من خلقه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۝٥﴾ [البينة / ٥] .

فالله وحده هو الحق المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة

لغيره فهو مشرك كافر: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون / ١١٧] .

ويسمى هذا التوحيد توحيد الألوهية والعبادة أو توحيد الرب بأفعال العباد من صلاة ودعاء وغيرهما .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة .
فمن أقر بأن الله وحده هو الرب الخالق الرازق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى
لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة إلا الله الخالق الرازق وحده لا شريك له .

فلا يدعو إلا الله وحده، ولا يستغيث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه ، ولا
يرجو إلا إياه، ولا يعبد إلا هو، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ بَدَأَ
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

وتوحيد الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية .

فكل من عبد الله وحده دون سواه لا بد أن يكون قد اعتقد وعلم أن الله وحده ربه
وخالقه ورازقه ومالكة ورب كل شيء : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ
لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات هو الأصل، إذ لا بد لكل عبد أن يعرف معبوده
بأسمائه وصفاته وأفعاله قبل العبادة ، ثم يعبده إذا عرف كمال جلاله وجماله، وكمال
قدرته وعلمه ، وكمال غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣] .

ولا يغلط أو يقصر في توحيد الألوهية والعبادة إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه من المعرفة .
بل توحيد العبادة إنما هو ثمرة ، بل أعظم ثمار توحيد الربوبية، وما وقع فيه الشرك إلا
بسبب الجهل بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .

ولا ريب أن دوام الذكر والدعاء وحسن العبادة ، والصبر والتوكل ، والخوف والرجاء ،
والمحبة والاستعانة والإنابة والرضا والتسليم ، وغير ذلك من أنواع العبادات من ثمرات

معرفة توحيد الربوبية: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

وتوحيد الربوبية مركز في الفطر ، ولهذا أقرَّ به أكثر الخلق ، لشدة ظهوره في الملك والملكوت ، ولم ينكره إلا شواذ الخلق في الظاهر لا في الباطن كما قال فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [٢٤] فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ [النازعات / ٢٤-٢٦] .

ولهذا أنكرت الرسل على من أنكر وجحد وجود الرب ﷻ ؛ لأن وجوده أبين وأظهر وأوضح من الشمس التي لا تخفى إلا على الأعمى: ﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَيْ فِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم / ١٠] . والنظر والتفكر في الآيات الكونية والآيات الشرعية يزيد هذا التوحيد ويقويه ، ويملأ القلب بالنور .

وتوحيد الألوهية والعبادة كفر به وجحده أكثر الخلق ؛ لأن الشياطين صرفت الناس عن معرفة الله بأسمائه وصفاته الى علوم الدنيا ، واجتالتهم عن دين رب العالمين إلى اتباع الشهوات وعبادة غير الله ، فوقعوا في الكفر والشرك والمعاصي .

ومن أجل هذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب رحمة بعباده ، لرد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتَرْكُ عبادة ما سواه ، ببيان أسماء الله وصفاته وأفعاله ليعبدوه وحده لا شريك له بما شرعه على السنة رسله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمَا تَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل / ٣٦] .

واعلم أن توحيد الربوبية أساس توحيد الألوهية، ولكنه لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يقترن به توحيد العبادة، فهما متلازمان في حياة كل مسلم، هذا مبني على هذا، ولا يقبل هذا إلا بهذا، ولا يصلح عملٌ إلا بهذا وهذا.

توحيد الربوبية توحيد الرب بأفعاله ، وتوحيد الألوهية توحيد الرب بأفعال العبد: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله . فمن استسلم لله وحده فهو مسلم ، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك ، ومن لم يستسلم

الله فهو كافر مستكبر: ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

ومن استسلم لله ظاهراً وباطناً فهو مؤمن، ومن كفر بالله ظاهراً وباطناً فهو كافر، ومن أسلم ظاهراً وكفر باطناً فهو منافق أخطر من الكافر، وأشدّ عذاباً منه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء / ١٤٥].

والكفر أعظم من الشرك؛ لأنه جحد للرب بالكلية، والشرك أخف منه؛ لأنه تنقّص للرب، وكل منهما يطلق على الآخر، وكل منهما نجس وقبيح، وكل منهما ظلم كبير وعظيم، وكل منهما في النار، وكل الكفار والمشركين مخلدون في النار.

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [٦٤] خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [٦٥] [الأحزاب / ٦٤-٦٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة / ٧٢].

• دلائل التوحيد :

دلائل توحيد الرب لا تعد ولا تحصى ولا يحيط بها أحد، فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من كل بين.

فكل القرآن، بل كل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن، بل كل ذرة في الكون، دالة على وحدانية الله ﷻ، شاهدة بعظمته وجلاله وجماله، وجميع آياته ومخلوقاته مبينة كمال أسمائه وصفاته، ناطقة بعظيم كرمه وإحسانه، مقررة كمال رحمته بعباده، شاهدة بعظمة ملكه وسلطانه وحسن أحكامه وأوامره.

العرش والكرسي، والسموات والأرض وما فيهما من المخلوقات الكثيرة، والآيات العظيمة، والخلق والأمر، والتدبير والتصريف، كل ذلك شاهد لله بالوحدانية، والأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.

ودال على عظمة الله وكبريائه، وجلاله وجبروته، وكمال علمه وقدرته، وعظمة ملكه وسلطانه. ودال على كمال رحمة الله، وسعة حلمه، وعظيم كرمه، وكمال غناه، وجزيل إحسانه، وعظيم عفوه، وسعة مغفرته، وكمال رأفته.

وكل شيء في الكون شاهد لربه بالوحدانية، وشاهد على نفسه بالضعف والعجز والفقر والحاجة إلى ربه.

ودلائل التوحيد ظاهرة في كل شيء ، بل هي أبين من كل شيء ، فكل ذرة في الكون ، وكل آية في القرآن ، وكل تدبير وتصريف ، كل ذلك شاهد لله العلي الكبير بالوحدانية ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ودلائل التوحيد تراها الأبصار والبصائر والعقول مبسطة في الآيات الكونية والآيات القرآنية . ولما كانت دلائل وحدانية الله لا نهاية لها ، ويستحيل على الأبصار والعقول الإحاطة بها ، فحسبنا هنا أن نجمع أصولها ، ونشير إلى أمهاتها من الآيات الكونية والآيات الشرعية ، من الوحي المنزل الذي فيه تبيان كل شيء .

وهذه إشارة إلى أصول دلائل التوحيد من كتاب الواحد الأحد ﷻ :

دلائل الخلق .. دلائل التدبير .. دلائل الجلال .. دلائل الجمال .. دلائل الإنعام .. دلائل النظر والتفكير .. دلائل القرآن والشرع .

الأول : دلائل الخلق والإيجاد :

١- قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

٢- وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمُرُنَّ أَنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

٣- وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٤].

٤- وقال الله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

٥- وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

[يونس/ ٣].

الثاني: دلائل التدبير والتصريف في الكون :

١- قال الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

[البقرة/ ١٦٤].

٢- وقال الله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[آل عمران/ ٢٦-٢٧].

٣- وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

[الأنعام/ ٩٥-٩٦].

٤- وقال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُسْتَنِبًا وَغَيْرَ مُنْتَسِبٍ أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

[الأنعام/ ٩٩].

٥- وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَن شَاءَ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

[الروم/ ٤٠].

الثالث: دلائل صفات جلال الرب :

١- قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

[البقرة/ ٢٥٥].

٢- وقال الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

[الزمر/ ٦٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْأَيْلَ النَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد/ ٢-٣].

٥- وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ وَيَسْجِبُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خِفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

الرابع: دلائل صفات جمال الرب :

١- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان/ ٤٨-٥٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل/ ١٠-١٣].

٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

الخامس: دلائل الإنعام والإحسان:

١- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَاكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْنَا وَيَا لَتَجْمَعُنَّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعُدُّوهُ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

[النحل/ ١٤-١٨].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾

[آل عمران/ ١٦٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

٥- وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الْيَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة/ ٣].

السادس: دلائل النظر والتفكير:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَابٍ﴾ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُنَا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ
مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٦-٨].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾
ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ [نوح/١٣-١٨].

السابع: دلائل القرآن والشرع:

١- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ [الإسراء/٨٨-٨٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾
[النساء/٨٢].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر/٢٣].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ قُلِ اللَّهُ يَكْبُدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ فَأَنَّى
تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ
لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ [يونس/٣٤-٣٥].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تُنْقَرُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ [المؤمنون/٨٤-٩٠].

• حقيقة التوحيد:

حقيقة التوحيد ولبابه أن يرى الإنسان ربه ملك الملوك يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع،
ويأمر وينهى، ويفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/٥٤].

ويرى الأمور كلها من الله ، رؤية تقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقات ، ويعبد الله وحده بما شرع مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣] .

والتوحيد ألد شيء وأجمله وأحسنه وأطيبه ، والشرك أنجس شيء وأقبحه وأقذره وأخبثه ، والتوحيد أطيب الطيبات ، والشرك أخبث الخبائث .

والتوحيد حق الله وحده لا شريك له ، فلا يجوز صرفه لغيره: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ١١٠] .

والتوحيد أحق الحق وأعدل العدل ، والشرك أبطل الباطل وأظلم الظلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان / ١٣] .

ولهذا فإن الله يغفر من الذنوب ما شاء إلا الشرك لمن مات عليه ، لشدة خبثه ونجاسته كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٨] .

• فضائل التوحيد :

١ - قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَامَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام / ٨٢] .

٢ - وقال الله تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١] .

٣ - وقال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥] .

٤ - وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٤٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨) .

٥ - وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجُلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموحِّبان؟ فقال: « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » أخرجه مسلم ^(١).

٦ - وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ». أخرجه مسلم ^(٢).

• شروط كلمة التوحيد :

لا بد للعبد أن يعلم أن هذه الكلمة حق، وأن ما دلت عليه هو الحق، ويصدق باطنه بظاهره، وسره بعلانيته، وأقواله بأفعاله، ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله:

﴿ وَاللَّهُ كُفْرًا إِلَهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ١٦٣].

ويشترط لتحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثمانية شروط:

الأول: العلم المنافي للجهل كما قال سبحانه: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

الثاني: اليقين المنافي للشك كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥].

الثالث: القبول المنافي للرد كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء / ٦٥].

الرابع: الانقياد المنافي للترك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر / ٧].

الخامس: الصدق المنافي للكذب كما قال سبحانه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة / ١١٩].

السادس: الإخلاص المنافي للشرك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة / ٥].

السابع: الاستقامة المنافية للانحراف كما قال سبحانه: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود / ١١٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦).

الثامن: المحبة المنافية للبغض كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

• أركان التوحيد :

الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی ، وليس كمثلها أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

فالله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ (٨) ﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في أفعاله: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ (٥٤) ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في الملك: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) ﴾ [الملك/ ١].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في الحكم: ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيِّمُ وَلَنْ يَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ (٤٠) ﴾ [يوسف/ ٤٠].

وهو سبحانه واحد لا شريك له في العبادة: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝ (١١٠) ﴾ [الكهف/ ١١٠].

• كمال التوحيد :

التوحيد لا يتم ولا يكمل إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۝ (٣٦) ﴾ [النحل/ ٣٦].

وشهادة التوحيد للرب ﷻ شهد بها كل مخلوق، وكل أحد، وكل ذرة في الكون: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ (٤٤) ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وشهادة التوحيد لله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أعظم الشهادات وأكبرها وأجلها.

ولهذا شهد بها الله ﷻ ، وملائكته ، وأولو العلم كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (١٨) ﴾ [آل عمران/ ١٨].

• لوازم التوحيد :

التوحيد يقوم على أصلين عظيمين هما :
شهادة أن لا إله إلا الله .. وشهادة أن محمداً رسول الله .

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي من العبد ما يلي :

أن يحب الله ، ويحب ما يحبه الله ويفعله ، ويبغض ما أبغض الله ويتركه ، ولا يحب إلا في الله ، ولا يبغض إلا في الله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، ولا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعبد إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ويفعل الطاعات ، ويجتنب جميع المعاصي ، ويأمر بما أمر الله ورسوله به ، وينهى عما نهى الله ورسوله عنه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا وَعِبْدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي من العبد ما يلي :

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وحبه وتوقيره ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع : ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلِ مِجِّيَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ءِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف / ١٥٨].

• مكان التوحيد :

اعلم أن محل السمع في الأذن ، ومحل البصر في العين ، ومحل الكلام في اللسان ، ومحل العقل في القلب ، وكلها تصب في القلب العلوم ، وتملؤه بالتوحيد والإيمان الذي يحرك القلوب والجوارح بالطاعة والعبادة حسب تلك المعارف لربها الواحد الأحد ، المالك لكل أحد ، القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحد ، المحيط بكل أحد ، الرحيم بكل أحد .

والبصر في العين كالبصيرة في العقل ، هذا يبصر المراتب ، وذاك يبصر المعقولات ، والبصر أعظم وسيلة للبصيرة في تقوية التوحيد : ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

ومحل التوحيد في القلب اعتقاداً ، وفي اللسان قولاً ، وفي الجوارح عملاً .

وجزاء التوحيد في الدنيا سعادة وأمناً ، وفي الجنة ثواباً ورضواناً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ عَفْوَرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

وكمال التوحيد وتمامه أن يعلم العبد أن الخلق والأمر في الكون كله بيد الله لا بيد غيره. فلا يرى نفعاً ولا ضرراً، ولا بسطاً ولا قبضاً، ولا حركة ولا سكوناً، ولا هداية ولا ضلالاً، ولا ظلمة ولا نوراً، ولا حياة ولا موتاً إلا ويعلم أن ذلك كله الله خالقه، وهو على مقتضى العدل والإحسان، والحكمة والرحمة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾ [آل عمران / ٢٦].

• قيمة التوحيد :

التوحيد والإيمان أعظم نعمة أنعم الله بها على من يشاء من عباده. والتوحيد جوهرة ثمينة نفيسة، وهو أعظم شيء في خزائن الله، فيجب على من أكرمه الله به أن يشكر ربه، ويستفيد منه، ويحفظه من الدنس والشرك والسرقة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].
والتوحيد كرامة خاصة من الرب الكريم يؤتیه الله من يعلم أنه يصلح له ويزكو به، ويمنعه من يعلم أنه لا يصلح له ولا يزكو به: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٩﴾ [الأنعام / ٣٩].

والتوحيد به صلاح القلوب والأبدان، وصلاح الأقوال والأعمال، وصلاح الدنيا والآخرة. فالقلب إذا صلح بالمعرفة والتوحيد والإيمان صلح الجسد كله بالطاعة والتسليم لرب العالمين، ثم صلحت حال العبد ظاهراً وباطناً، فرضي عنه ربه، وأسعده في دنياه وأخراه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس / ٦٢-٦٤].

وإذا فسد القلب بالجهل والكفر والشرك فسد الجسد كله بالمعاصي والطغيان والفجور: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤﴾ [القصص / ٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا

صَلَحَتْ صَلَاحَ الْجَسَدِ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ « متفق عليه^(١) .

فالتوحيد أعظم شيء عند الله ، وأعظم شيء يجب على العبد لله ، ومن أجله خلق الله الخلق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار ، وقبول الأقوال والأعمال وعطاء جزيل الثواب كل ذلك مبني عليه .

ولعظمة التوحيد ومحبة الله له ومحبته لأهله ووحد الله ﷻ نفسه في الأسماء والصفات والأفعال ، فلا شريك له في ذلك : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

ووحّد نفسه في الألوهية ، فأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وقبّل ما كان خالصاً له وحده ، وأبطل كل عمل أشرك الإنسان معه فيه غيره : ﴿ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ (٦٥) ﴾ [الزمر / ٦٥] .

ووحّد نفسه في الشريعة بالأمر والنهي والتحليل والتحرّيم ، فلا شرع إلا ما شرعه الله وحده لا شريك له ، وما سواه مردود غير مقبول : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ (١١٥) ﴾ [النساء / ١١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه^(٢) .

ووحّد نفسه في الملك والخلق والأمر ، فهو مالك الملك كله ، وله الخلق والأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ (٥٤) ﴾ [الاعراف / ٥٤] .

ومن أجل ذلك خلق الله الكون كله ليُعرف عباده بوحدانيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليوحدوه ويعبدوه ويعظموه ويحبوه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيِّنَاتٍ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ (١٢) ﴾ [الطلاق / ١٢] .

• أصل التوحيد :

التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بذلك ، وإفراده بالعبادة التي شرعها بواسطة رسله .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) .

فالله خالق كل شيء ، وببده أمر كل شيء ، وله ملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء .
خلق الكائنات وحركاتها.. وخلق العباد وأفعالهم .. وخلق الثواب والعقاب .

فهو الذي وفق العبد للإيمان والعمل ثم أثابه عليه ، ووفقه للتوبة ثم قبلها منه ، ووفقه للدعاء
ثم أجابه : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات / ١٧] .

وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، ولا يكون شيء في ملكه إلا بإذنه ومشيئته وعلمه .
والله وحده تفرّد بالخلق والأمر ، والملك والسلطان ، والهداية والإضلال ، والإنعام والإحسان ،
والأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾ [البقرة / ١٦٣] .

وجميع أفعال الله وأحكامه وقعت منه سبحانه على وجه الحكمة والعدل والرحمة
والإحسان فهو الهادي الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله ، وهو أعلم حيث
يجعل رسالته وهدايته : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [النحل / ٩٣] .

والله ﷻ رؤوف بالعباد ، يهدي إليه من جاهد للوصول إليه ، ولم يطرده عن بابه ولم يُبعد عن جنبه
من يليق به التقريب والهدى والإكرام : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

وإنما طرد من لا يليق به إلا الطرد والإبعاد والإهانة بعد قيام الحججة عليه ببيان الحق له ، وترغيبه
فيه ، وتحذيره من الباطل ، وترك بعد ذلك الاختيار له : ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْتَدْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ [طه / ١٢٣ - ١٢٦] .

• أهل التوحيد :

أهل التوحيد هم كل من وحّد الله بأسمائه وصفاته .. ووحدّ الرب بأفعاله من الخلق والرزق
والتدبير .. ووحدّ الله بعبادته وحده لا شريك له .

وهؤلاء هم صفوة الله من خلقه ، وأهل الصفات التي يحبها الله ، والتي دعاهم إلى التعبد له بها .

وأهل هذه الصفات الجمالية هم جلساء الخالق يوم القيامة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** (١١) **فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ** (١٢) **ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ** (١٣) **وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ** (١٤) **عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ** (١٥) **مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ** (١٦) [الواقعة / ١٠-١٦].

فأهل الصفات الإيمانية الكاملة لهم في الجنة نعيم كامل ، ورضوان من الله كامل : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) [التوبة / ٧٢].

• إيمان أهل التوحيد :

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وأن يحسن عبادة ربه بما شرعه .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » قَالَ صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » متفق عليه^(١).

فيؤمن المسلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويثبت له من الأسماء والصفات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ، وينفي عنه ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم .

ويؤمن بخلقه سبحانه لكل شيء ، المتضمن كمال علمه وقدرته ومشيئته وحكمته ، ويؤمن بنفوذ أمره في كل شيء ، وعموم ملكه لكل شيء .

ويؤمن بشرعه المتضمن عبادته وحده بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال التي بينها في كتابه، وشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته .

ويؤمن بملائكته الذين يسبحون بحمده ، ويعملون بأمره ، ويستغفرون لخلقه .

ويؤمن بكتبه التي أنزلها على رسله لبيان الحق ، والعمل به ، ودعوة الناس إليه .

ويؤمن برسله الذين أرسلهم إلى عبادته بالحق للعمل به والدعوة إليه .

ويؤمن باليوم الآخر الذي يجازي فيه الله عباده المؤمنين بالجنة ، ويعاقب الكفار بالنار .

ويؤمن بقضائه وقدره المتضمن كل خير ورحمة وحكمة وإحسان ، مع دوام السمع والطاعة والاستغفار في كل حال: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٠) ، ومسلم برقم (٨) واللفظ له .

بِاللَّهِ وَمَلَيْكِيهِ، وَكُنْ بِهِ، وَرُسُلِهِ، لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة / ٢٨٥].

• ثواب أهل التوحيد :

الله ﷻ واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا استحق أن يُعبد وحده لا شريك له ؛ لِمَا له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

وذلك يستلزم أن يكون هو المعبود الحق الذي تأله القلوب ، وتخضع له ، وتجبه غاية الحب، وتعظمه وتكبره ، وتسبحه وتقده ، وتحمده وتشكره : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٤].

وإذا عرفت القلوب ذلك أثمر لها في الدنيا ما يلي :

التوكل على الله وحده .. والإجابة إليه .. والسكون إليه .. والطمأنينة بذكره .. وتعظيمه وإجلاله .. وخوفه ورجاؤه .. وخشيته وتقواه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن / ١٣].

ويثمر لها كذلك محبة الله ومحبة ما يحب .. والصبر على ما يحب .. والأنس بالله .. والتلذذ بطاعته .. ورحمة خلقه .. والتسليم لحكم الله .. والتوجه إليه في كل حال .. وعدم الالتفات إلى ما سواه .. ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته وتقواه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢-٣].

أما ثواب أهل التوحيد في الآخرة فهو أن الله يكرمهم يوم القيامة بثمان كرامات وهي : دخول الجنة .. ورؤية الرب ﷻ .. والقرب منه .. وسماع كلامه .. والفوز برضوانه .. والنجاة من النار .. والتلذذ بنعيم الجنة .. والخلود في دار النعيم في ملك كبير .

١- قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

٢- وقال الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

٣- وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّةٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

- ٤- وقال الله تعالى: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ [يس / ٥٨] .
- ٥- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُم مَّ رَأَيْتُمْ نِعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا سَاوِرٌ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُم مَّشْكُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ [الإنسان / ٢٠-٢٢] .

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• نواقض التوحيد :

التوحيد ضد الشرك، كما أن الحق ضد الباطل، والتوحيد له نواقض كما أن الوضوء له نواقض. وإذا انتقض التوحيد بطل العمل ؛ لأن التوحيد هو الأصل ، والعمل فرع له ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر / ٦٥-٦٦] .

فيجب على المسلم تجريد التوحيد لربه العظيم ، واجتناب ما يبطله أو يكدر صفاءه .

ونواقض التوحيد كثيرة ، ويمكن حصر أصولها فيما يلي :

١- الكفر بالله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِلَهِينَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٥﴾ [المائدة / ٥] .

٢- الشرك بالله ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء / ٤٨] .

٣- النفاق ، بأن يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ [النساء / ١٤٥-١٤٦] .

٤- الردة ، بأن يرتد الإنسان عن الإسلام طوعاً .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِن دِينِكُمْ وَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة/ ٢١٧].

٥- البدعة ، بأن يتدع في الدين ما ليس منه من البدع المكفرة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

٦- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم الشفاعة فهو كافر.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ [يونس/ ١٨].

٧- من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤﴾ [الممتحنة/ ٤].

٨- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران/ ٨٥].

٩- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به ، أو استهزأ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَيْدِيهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة/ ٦٥-٦٦].

١٠- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء/ ١١٥].

١١- من أعرض عن دين الله تعالى ، لا يتعلمه ولا يعمل به .

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

[السجدة/ ٢٢].

١٢ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾ [آل عمران/ ٢٨].

١٣ - السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به فهو كافر .

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَةَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [البقرة/ ١٠٢].

الباب الثاني

مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان

وتشتمل على ما يلي :

١ - مفاتيح معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله

٢ - مفاتيح التوحيد والإيمان

٣ - مفاتيح النعم والإحسان

٤ - مفاتيح التفكير والتدبر

مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان

١ - مفاتيح معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله

● الله ﷻ عليم بكل شيء ، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، ويعلم ما في البر والبحر ، ويعلم سبحانه مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار، أحصى كل شيء عددًا ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وما من ذرة في الكون إلا ولها سجل عند الله ، وما من قطرة من الماء إلا ولها سجل عند الله ، وما من كلمة إلا ولها سجل عند الله ، وما من قول أو فعل إلا وله سجل عند الله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/٥٩].

● الله ﷻ وحده هو الملك الحق الذي له ملك كل شيء ، والإيمان بأن الله وحده هو الملك الذي له الملك التام الواسع الشامل لكل ما في الكون له ثلاث فوائد :

الأولى : الإيمان بقضاء الله وقدره ، فلو قدر عليك غنى أو فقراً ، أو صحة أو مرضاً ، أو عافية أو بلاء ، فارض بما قدره لك ، لأن ربك حكيم عليم يضع كل شيء في موضعه ، ويعطي كل إنسان ما يناسبه ويصلحه ، ولا تعترض على قضائه وقدره ، لأنك ملكه ، يتصرف فيك كما يتصرف في الشمس ، والقمر ، والسحاب ، والرياح ، والبحار وغيرها من المخلوقات : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة/١٢٠].

الثانية : الرضا بدينه وشرعه ، وقبوله والقيام به ، لأنك ملكه ، يأمرك بما شاء ، وينهاك عما شاء ، فإذا قال افعل كذا فافعل ، وإذا قال لا تفعل كذا فلا تفعل ، لأن مقتضى العبودية التامة أن تخضع لشرعه ، كما أنك خاضع لقضائه وقدره في لونك ونوعك وأحوالك .

ومقتضى الإيمان بأن الله ملك ، الرضا بقضائه ، والرضا بشرعه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ نُصْرَتُونَ ﴾ [الزمر/٦].

الثالثة : تعظيم الرب وتكبيره ، ومحبته وحمده ، وطاعته وعبادته ، وطمأنينة القلب وسروره به ، لعلمه أن له رباً ملكاً ، غنياً قادراً ، يتوجه إليه في جميع حوائجه ، لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَنَظَّمِينَ قُلُوبَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا يَذْكُرِ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد/٢٨].

فمن عرف الله آمن به، ومن آمن به أحبه وعبده وأطاعه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام/١٠٦].

● واعلم أن سبيل النجاة والفوز والفلاح في خطين فقط :
خط الهدى .. وخط العلم .

فخط الهدى: أن تعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحده وتعبده وحده لا شريك له .

وخط العلم : أن تقرأ كتابًا ، أو تسمع درسًا ، ثم تفهم ما فيه من الأخبار والأحكام .

ومن ازداد علمًا بالأحكام ، ولم يزد هدى ، لم يزد من الله إلا بعدًا .

والعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه ، ووعده ، ووعيده من أعظم أسباب الهدى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَدِّكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/١٩].

● والله سبحانه هو الفتح العليم ، مفاتيح كل شيء بيده فالفتاح واحد ، بيد واحد لا شريك له .

مفتاح العلم بيد الله وحده .. ومفتاح الرحمة بيد الله وحده .. ومفتاح العزة بيد الله وحده ..

ومفتاح القوة بيد الله وحده .. ومفتاح الغنى بيد الله وحده .. ومفتاح الحياة بيد الله وحده ..

ومفتاح الهداية بيد الله وحده .. ومفتاح الأمن بيد الله وحده .. ومفتاح النصر بيد الله وحده ..

ومفتاح السعادة بيد الله وحده: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/٦٢-٦٣].

● واعلم أن الخير والنفع مراد من الله لذاته ، أما الشر والضرر فغير مراد لذاته ، وإنما هو

علاج يحقق للإنسان مصلحة : ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/٣٥].

والكل بيد الله الملك الحق ، لا يأتي به إلا هو ، ولا يكشفه إلا هو : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ

بِضْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام/١٧].

وأفعال الله سبحانه كلها في منتهى الحكمة والرحمة ، وفي منتهى العدل والإحسان .

آياته الكونية تذكرك بعظمته وجلاله ، فتكبره وتعظمه وتطيعه .

وآياته الشرعية تصلك به ، وتعرفك بما يحبه ويرضاه ، وما يبغضه ويسخطه ، فتفعل ما يُحب ، وتجتنب ما يكره .

ونعمه الظاهرة والباطنة توجب لك محبته وحمده وشكره: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

والزلازل والبراكين، والمصائب والأمراض يرسلها الله من أجل أن تخافه فلا تعصه، ولصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وتوجيه الناس من دار الفناء والغرور إلى دار الخلود والسرور، وتذكير الناس برب الناس، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

● واعلم أن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب .
ومن أعطاه الله عطاءً فلم يشكره ، سلبه الله منه ، وأهلكه به ، فقد أعطى فرعون الملك وهو لا يحبه ، فلما جار وظلم وطغى سلبه الله منه ، وأغرقه وجنوده في اليم .
وأعطى الله قارون المال وهو لا يحبه ، ولما لم يشكر ربه، ونسبه إلى نفسه ، سلبه الله منه ، وخسف الله به وبداره وماله الأرض .

ومن أحبه الله أعطاه في الدنيا مثل ما أعطى الأنبياء من الإيمان ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة كما قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف/ ٢٢].

● وإذا عرف الإنسان أن ربه هو السميع البصير لم ينطق لسانه إلا بما يرضي الله ، ولم تتحرك جوارحه إلا في طاعة الله، واستحيا من ربه في كل حال ، وراقبه في كل قول وفعل، وحاسب نفسه على نيته وأقواله وأفعاله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

● واعلم أن الله عظيم ، وملكه عظيم ، وعرشه عظيم ، وكتابه عظيم ، وثوابه عظيم ،

وعقابه عظيم ، وبلاؤه عظيم ، وفضله عظيم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

والنفوس جبلت على حب وتعظيم من له الصفات الحسنة من الخلق ، فيجب أن تحب وتعظم ، وتحمد وتشكر ، وتطيع وتعبد ، من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].
وبقدر ما نعرف الله نحبه ، وبقدر ما نحبه نعظمه ، وبقدر ما نحبه ونعظمه نطيعه ونعبده بما أمر ، وبقدر ما نطيعه ونعبده نسعد ونفوز برضوانه وجنته: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وأعلى أنواع الحب هو حب الله ، ورسوله ، ودينه ، وأوليائه .
وأعلى أنواع التعظيم هو تعظيم الله ، وتعظيم كتابه ، وتعظيم أوامره ، وتعظيم ما عظمه .
● واعلم أن من عرف ربه آمن بقضائه وقدره ، ورضي عنه في كل ما يقدره عليه ، لأنه يعلم أن ما أَرَادَهُ اللَّهُ لَا بَدَّ لَهُ شَيْءٌ ، ومالم يردده الله لا يمكن أن يقع ، لأنه لا يقع في ملك الله شيء إلا بإذنه وإرادته ، لكن كل خير وقع فمن الله ، وكل شر وقع فمن الإنسان ، لأن الله بيده الخير ، والشر ليس إليه ، لكنه أذن فيه فوقع من الإنسان ، وهو الذي سوف يحاسب عليه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء/ ٧٩].

وكل ما أَرَادَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَقَدَرَهُ مَقْرُونٌ بِالْحِكْمَةِ الْمَطْلُوقَةِ ، المقرونة بالخير المطلق ، وكل ما قضاها الله وقدره في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

والإنسان مختار فيما يريد ، ومحاسب على اختياره ، والذي خيره الله ، فيمكنه أن يؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢- ٣].

• والله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى.
شهد لنفسه بالواحدانية قبل أن يخلق أحداً، وقبل أن يطلب الشهادة من أحد فقال:
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

و حمد نفسه قبل أن يخلق أحداً، وقبل أن يطلب حمده من أحد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ - ٤].
وسبح نفسه قبل أن يخلق أحداً، وقبل أن يطلب التسبيح له من أحد فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصفات/ ١٨٠].

• واعلم أن الله عز وجل هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر، العالم المقهور يوحدته،
والعالم المأمور يسبحه، والعالم المختار يذكره: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].
فسبح باسم ربك العظيم الذي بيده الملك والخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].
• واعلم أن الله لا يفعل بعباده إلا ما هو خير لهم من محبوب أو مكروه.

ولا يرفع الله قضاءً مكروهاً عن أحد حتى يرضى به، فإذا رضي به، رفعه الله عنه، ولهذا
يطول وقت رفع البلاء عنك حتى ترضى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢ - ٣].

فمن أراد أن يزول عنه القضاء المكروه فليرض بما قدره الله عليه من عافية وبلاء، فلا
عبادة أعظم من التسليم لحكم الله، حلواً أو مرأً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥].

• واعلم أن نعم الله عليك لا تعد ولا تحصى، فالله أعطاك بربوبيته، وكلفك بما ينفعك
بألوهيته، وهذه نعمة بعد نعمة، وطاعتك لألوهيته، هي شكرك له على ربوبيته: ﴿ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

• واعلم أيها العبد أن ربك كريم خلق لك في الدنيا كل شيء قبل أن يخلقك ، وخلق لك في الآخرة كل شيء يسعدك إن آمنت به وذلك قبل أن يخلقك : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّكَاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

• واعلم أن الشرك بالله أظلم الظلم ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فالشرك صرف العبادة لغير مستحقها من الأصنام وغيرها : ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان/ ١٣].
والظلم نوعان :

ظلم النفس .. وظلم الناس ، والشرك يجمع الأمرين معًا .
فالشرك ظلم للنفس بإذلالها لمن هو دونها من الأحجار ، أو من هو مثلها من الأشخاص ، والكل مثلها في الفقر والحاجة إلى الله .

والشرك ظلم للمعبود مع الله إن كان صالحًا ، وزيادة في طغيانه إن كان طالحًا .
فالناس اثنان : إما عبد لله وهو المؤمن ، وإما عبدٌ لعبد الله وهو المشرك : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف/ ٥].

والإيمان بالله يثمر للعبد الأمن والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام/ ٢٨].
أَلَصَلِّحَتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بِ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

والشرك بالله يورث ظلمة القلب ، وسفه العقول ، وفساد الأخلاق ، والخوف والرعب ، والتعب والشقاء ، والعذاب الشديد يوم القيامة : ﴿فَمَن آتَبَعْهُ هَدَىٰ فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْفَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٣-١٢٤].
﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤].

• واعلم أن الله وحده بيده كل شيء ، وكل ما سواه ليس بيده شيء ، وكل ما سوى الله لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

ولتحقيق اليقين على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يجب نفي الربوبية والألوهية عن كل ما سوى الله ، وإثباتها لله وحده، وما سوى الله أنواع :

الأول : نفي فعل جميع الأصنام سواء كانت أحجاراً أو أشجاراً أو أشخاصاً.

الثاني : نفي فعل جميع المخلوقات ؛ لأنها لا تفعل إلا بأمر ربها .

الثالث : نفي يقين الأمم السابقة على ما سوى الله .

فيقين فرعون على الملك .. و يقين قارون على المال .. و يقين قوم نوح على الكثرة .. و يقين قوم عاد على القوة .. و يقين قوم صالح على الصناعة .. و يقين قوم سبأ على الزراعة .. و يقين قوم شعيب على التجارة .. و يقين قوم موسى على السحر .. و يقين قوم عيسى على الطب .

فهذه تسعة أنواع من اليقين الفاسد في الأمم السابقة ، ولأنهم لم يقبلوا التوحيد ، وأصروا على الكفر والشرك ، وتعلقوا بما سوى الله ، فبحسب ذلك اليقين جاء الذنب ، وبحسب الذنب جاء العذاب ، وما ظلمهم الله ، ولكن ظلموا أنفسهم ، فعاقبهم الله بذنوبهم :

﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

الرابع : نفي اليقين على النفس ، فالنفس أعظم صنم معبود من دون الله، وبذلك نخرج من طاعة هوانا إلى طاعة مولانا، فيحفظنا الله من شر أنفسنا، ويسخر أنفسنا لطاعة ربنا : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

● واعلم أن معرفة الله أعظم المعارف ، والإنسان بطبيعته يفخر إذا كانت له مكانة عند ملك ، أو قوي ، أو غني ، فيتحدث عنه بين الناس ، ويتقرب إليه بطاعته ، ليكسب مودته ، ويستفيد من نعمته ، وينال مكانة عنده ، ويظفر بمحبته ، ويسعد بقربه .

فالله الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبيده كل شيء ، أولى بأن نعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وإذا عرفناه أحبيناه ، وعظمناه ، وكبرناه وأطعناه ، وعبدناه بكل ما يحبه ويرضاه ، وسعدنا بقربه ، واستفدنا من خزائنه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

● واعلم أن عبادة الله واجبة لمحض العبودية ، لا للثواب والعقاب فحسب ؛ لأن الله أهل أن يُعبد ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعظيم نعمه وإحسانه .

والله سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له ، وعبادة الله واجبة بالشرع والعقل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴿الذاريات/ ٥٦-٥٨﴾.

فالشرع أمرك بعبادة الله الذي خلقك ، وسخر لك كل ما في الكون .

والعقل يأمرك بنهاية التعظيم ، ونهاية الحب، لمن أوصل لك نهاية الإنعام: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿الأنعام/ ١٠٢﴾.

• واعلم أن الله خلقك كما شاء لا كما شئت، ورزقك كما شاء لا كما شئت، وخلقك لما شاء لا لما شئت، ويوم القيامة سوف تأتيه بما شاء لا بما شئت ، وسوف يجازيك بما شاء لا بما شئت: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿الروم/ ٣٠﴾.

وما قدمته في الدنيا من العمل ستأخذ ثوابه أو عقابه في الآخرة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴿النجم/ ٣٩-٤١﴾.

• واعلم أن أصل الدين معرفة الله وتوحيده، فمن عرف الله أحبه، وحمده، وعظمه وكبره، وآمن به ووحدته، وتفانى في طاعته، وحسن عبادته .

والله سبحانه هو الكامل العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وكل ما سواه ناقص ، والناقص لا يكمله إلا الكامل ، وكل ما سوى الله محتاج إلى من يوجد، ولا يمكن أن يوجد محتاج بلا محتاج إليه يقضي حاجته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فاطر/ ١٥﴾.

والتفكر في خلق السموات والأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما هو العبادة الأولى التي تدلك على الله فتوحده ، وتكبره ، وتحبه وتحمده ، وتعبدته وتطيع أمره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطِلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿آل عمران/ ١٩٠-١٩١﴾.

والله سبحانه له آيات ثلاث هي طريق معرفته :

آيات كونية هي خلقه .. وآيات تكوينية هي أفعاله .. وآيات شرعية هي كلامه .

وبقدر هذه المعارف تكون قوة الإيمان ، وتحصل محبة الرب ، وتعظيم الرب ، والحياء

من الرب ، وعبادة الرب : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

• الله جل جلاله هو العظيم الخالق لكل عظيم ، المحيط بكل عظيم ، القوي القاهر لك قوي ، القادر المحيط بكل قادر ، الواحد الأحد ، الخالق لكل أحد ، المحيط بكل أحد ، المالك لكل أحد ، العليم بكل أحد ، البصير بكل أحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، الأحد الذي ليس كمثلته أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص / ١-٤].

• هو سبحانه العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الكريم الذي لا أكرم منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه ، العزيز الذي لا أعز منه ، العلي الذي لا أعلى منه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٣٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

• هو سبحانه الملك الذي له ملك كل شيء :

له ملك السموات والأرض ، وله ما في السموات والأرض ، وله جنود السموات والأرض ، وله خزائن السموات والأرض ، وله غيب السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١١٤ ﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

وهو الملك الذي له ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك العالم العلوي والسفلي ، وله ملك عالم الغيب والشهادة : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [الملك/ ١].

• هو سبحانه الملك فلا تطيع إلا إياه وحده ، هو الإله فلا تعبد إلا إياه وحده ، هو القوي فلا تتوكل إلا عليه وحده ، هو القادر فلا تستعين إلا به وحده ، هو الغني فلا تسأل إلا هو وحده ، هو المحيب فلا تدعو إلا هو وحده : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۗ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

● هو سبحانه العظيم الذي وهب كل عظيم ، الرزاق الذي وهب كل رزق ، الكريم الذي وهب كل نعمة ، التواب الذي يقبل كل توبة ، الغفور الذي يغفر كل ذنب ، العفو الذي يعفو عن كل سيئة ، الجميل الذي خلق الجمال في كل أحد ، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، السميع الذي يسمع كل شيء ، البصير الذي يبصر كل شيء ، الخالق الذي خلق كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

● هو سبحانه الرب العظيم الدائم بره ، الملك الباقي ملكه ، الصمد الذي كل شيء خزائنه عنده ، القوي الشديد بطشه ، الرحمن الواسعة رحمته ، الغفور الواسعة مغفرته ، الكريم الجزيل عطاؤه ، الغني الذي لا تنقص خزائنه ، الوهاب الذي لا تنفذ خزائنه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

● هو سبحانه القوي الذي خشعت الأصوات لهيبته ، القادر الذي قهر كل شيء بقدرته ، العزيز الذي ذل الأقوياء لعزته ، الجبار الذي خضعت أعناق الجبابرة لجبروته ، الرحمن الذي أسعد كل مخلوق برحمته ، العليم الذي أحاط بكل شيء علمه ، الحكيم الذي أحكم كل شيء بقدرته ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

● واعلم أيها العبد أن من عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف عظمة ملكه وسلطانه ، وعرف عظمة نعمه وخزائنه ، وعرف عظمة دينه وشرعه ، وعرف عظمة وعده ووعيده ، وعظم ربه وكبره ، وحمده وشكره ، وخافه ورجاه ، وأحبه ، وتفانى في طاعته وعبادته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

ومن عرف ربه العظيم ، آمن بكتابه العظيم ، واتبع رسوله الكريم ، وامثل أمره العظيم ،

ونال ثوابه العظيم: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

● ومن ذاق طعم الإيمان رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً .
 ومن ذاق حلاوة الإيمان استغنى بالواحد الأحد عن كل أحد ، وصارت شهواته في طاعته ،
 وحركاته في عبادته ، وأوقاته معمورة بذكره وشكره وحسن عبادته ، والإحسان إلى خلقه :
 ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٦١]
 قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

● ومن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، لم يطلب منه إلا العظيم ، ومن عرف
 ربه الكبير لم يبال بالصغير ، ومن عرف ربه الغني لم يطرق باب الفقير ، ومن عرف ربه
 العزيز لم يلتفت إلى الذليل ، ومن عرف ربه القادر لم يستعن بالعاجز ، ومن عرف ربه
 الكريم لم يذل نفسه للبخيل : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

● واعلم أن أعظم من يجب أن تخضع له هو الله الواحد الأحد ، الذي له الأسماء
 الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى .
 ومن رحمة الله أن جعل للناس بيئة لتدريبهم على الخضوع لعظمته ، والتصاغر لكبريائه ،
 ليخضع هذا لهذا ، فيخضع العبد لسيدته ، ويتطامن الجاهل للعالم ، ويستكين الفقير
 للغني ، والمريض للطبيب ، ويخضع الضعيف للقوي ، والصغير للكبير ، والعاجز للقادر .
 فكل واحد من هؤلاء يخضع لمن فوقه ، ليحصل حاجته منه ، فيجب على الإنسان أن
 يخضع بقلبه وجوارحه لربه العظيم الذي بيده كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء : ﴿ قُلْ
 اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ
 يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

● واعلم أن الله قوي عزيز ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته .
 يعز بأسباب الذلة كما أعز رسله وأنبياءه وأتباعهم مع قلة الأسباب والأموال .
 ويذل بأسباب العزة كما أهلك قوم نوح مع كثرتهم بالغرق ، وكما أهلك قوم عاد مع

قوتهم بالريح ، وكما أهلك فرعون مع قوة سلطانه بالغرق ، وكما أهلك قارون مع كثرة أمواله بالخسف : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ۗ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت / ٤٠].

وينجي جل جلاله بأسباب الهلاك كما أنجى إبراهيم عليه السلام من النار مع بقاء اشتعالها ، وكما أنجى موسى وقومه في البحر من الغرق ، وكما أنجى محمداً عليه السلام من قريش في مكة . ويهلك بأسباب النجاة كما دمر فرعون وملكه ، وخسف بقارون وماله . ويربي أوليائه في قصور أعدائه كما ربي موسى عليه السلام في قصر فرعون .

ويحفظ بأسباب الموت كما حفظ موسى عليه السلام في البحر حين ألقته أمه في اليم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧].

● والله سبحانه حكيم عليم في خلقه وأمره ، أظهر لنا أشياء ، وأخفى أشياء ، وهو الحكيم الخبير في خلقه وأمره .

أظهر المخلوقات وحجب الخلق عن رؤيته.. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة.. وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح.. وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة.. وأظهر السنن الكونية وأخفى القدرة الإلهية، إظهاراً لكمال قدرته، وعز ربوبيته: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

● واعلم أن الله جل جلاله خالق كل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي . خلق العرش والكرسي.. وخلق السموات والأرض.. وخلق الشمس والقمر.. وخلق الكواكب والنجوم.. وخلق الملائكة والروح.. وخلق السحب والرياح.. وخلق الليل والنهار.. وخلق الجبال والبحار.. وخلق الجماد والتراب.. وخلق النبات والحيوان.. وخلق الإنس والجن.. وخلق الجنة والنار.. وخلق ما نبصره وما لا نبصره: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِعِبَادِهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر / ٦٦-٦٦].

خلق جل جلاله جميع هذه المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي شاهدة بواحدانيته، ومسبحة بحمده، وخاضعه لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وشاهدة بعظمته، وناطقة بكمال قدرته، تثبتاً لحكمته، وتنبهاً لبريته، ليعرفوه، ويوحدوه، ويعبدوه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

● واعلم أن الله عز وجل رب العالمين، وجميع العوالم بيده، وجميعها منقادة لمشيئته، وخاضعة لأمره، ولها رب واحد، وهو رب العالمين الذي عنده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فلن تأتيك ذرة من عالم الرزق إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم المرض إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم الأمن إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم الغنى إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم الفقر إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم العافية إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم البلاء إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم الهداية إلا بإذن ربها، ولن تأتيك ذرة من عالم السرور إلا بإذن ربها: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

فسبحان من بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٤].

● واعلم أن الله قادر ولا بداية ولا نهاية لقدرته، والمخلوق عاجز، ولا نهاية لعجزه، والله عليم ولا بداية ولا نهاية لعلمه، والإنسان جاهل، ولا نهاية لجهله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وجميع المخلوقات كالعصا ليس بيدها شيء، بل كل شيء بيد الله وحده، والمخلوقات لم تكن شيئاً حتى يكون بيدها شيء، فنفزع إلى الله وحده في كل شيء: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

ومن تعلق بغير الله عذب به: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

● واعلم أن كلمات الله نوعان :

الأولى : كلمات قدرية ، وهي الكلمات التي يخلق الله بها ويرزق ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويدبر ويصرف بها ملكه العظيم ، وهي كلمات عظيمة لا يحصيها إلا هو : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف/ ١٠٩].

وأثارها في الملك والملكوت ظاهرة في كل ثانية ، باقية لا تنفذ أبدًا : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان/ ٢٧].

الثانية : كلمات شرعية ، وهي ما أنزل الله على رسله من الكتب التي فيها الأخبار والأحكام الشرعية : ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف/ ٢٧].

فكلمات الله الشرعية كلها صدق في الأخبار ، وعدل في الأحكام ، فهي خير محض : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام/ ١١٥].

أما كلمات الله القدرية فهي خير في ذاتها ، لأن الشر ليس إلى الله عجزًا ؛ لأن أفعاله كلها خير ، وحكمة ، ورحمة ، وعدل ، وإحسان ، وأفعاله كلها خير لا شر فيها مطلقًا ، وإنما الشر في مخلوقاته التي خلقها في غاية الحكمة .

وما خلق الله قسمان :

- (١) مخلوقات كلها خير لا شر فيها مطلقًا ، كالملائكة والأنبياء والرسل والجنة .
- (٢) مخلوقات فيها خير وشر ، ونفع وضر ، وذلك مثل الجن والإنس ، والهوام والسباع ، والرياح والنار والسموم .

فهذه المخلوقات التي فيها خير وشر نستعيد بالله من شرها كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ ٥ مِنْ حَسَدِ ٥ ﴾ [الفلق/ ١-٥].

ولم يخلق الله شرًا مطلقًا ، لأن ذلك ينافي حكمته ورحمته ، وعدله وإحسانه ، فالله منزه

عن ذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَائِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٩٠].

• واعلم أن الله جل جلاله هو الملك العظيم الذي أكرم عباده بنعمة الإيجاد والإمداد، والإسعاد، والملائكة التي تدبر أمرهم، وتستغفر لهم، وأكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، ليعرفوا ربهم ويعبدوه ويشكروه: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل/ ٧٨].

فالله حكيم عليم في خلقه وأمره، ومن مقتضى رحمته بعباده أن عرفهم بنفسه، وعرفهم بخلقه، وعرفهم بملكه وسلطانه، وعرفهم بأنفسهم، وعرفهم بأوامره ونواهيه، وعرفهم بما يحبه وما يكرهه، وعرفهم بماذا يريد منهم، وماذا يريد لهم، وماذا أعد لهم من نعيم مقيم لو أطاعوه، وماذا أعد لهم من عذاب عظيم لو عصوه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل/ ٨٩].

٢- مفاتيح التوحيد والإيمان

- الإيمان بالله أساس تبنى عليه الأعمال الصالحة ، وجميع الطاعات أغذية نافعة ينمو بها الإيمان ويزهر ويثمر، وجميع المعاصي سموم ضارة يضعف بها الإيمان ويذوي وينتهي : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/٢٨].
- تغيير يقين الإنسان من المخلوق إلى الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن المسارعة إلى زيادة الأموال والأشياء إلى المسارعة إلى زيادة الإيمان والأعمال الصالحة، ومن تكميل شهوات النفس إلى تكميل ما يحبه الرب من الإيمان والأعمال الصالحة يحتاج إلى أمرين:

الأول : تخلية القلب من كل ما سوى الله مما يشغله عن الله ﷻ: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/١٩].

الثاني : تحلية القلب بمعرفة الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ، ومعرفة وعده ووعيده .

- خلق الله الناس ليعرفوا ويعترفوا أن الله هو الرب الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، وليعرفوا أحكامه القدرية والشرعية والجزائية ، ويعبدوه بموجب تلك المعرفة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات/٥٦].

ومن عرف ربه عظمه وأحبه وشكره ووحدته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢].

- إذا جاء التوحيد في قلوبنا توجهنا إلى الخالق ، ولم يلتفت لأحد سواه ، وغيرنا الوجهة من الدنيا إلى الآخرة ، وغيرنا الطريق من طريق الاهتمام بالأموال والأشياء ، إلى الاهتمام بالإيمان والأعمال الصالحة ، وقدمنا مراد الله منا ، على مراد نفوسنا منا ، وقدمنا مراد الله من كل أحد ، على مرادنا من كل أحد، وقدمنا ما يحب الرب على ما تحب النفس : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا سَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [٣١] نَزَّلْنَا مِن عَفْوَ رَحِيمٍ ﴾ [٣٢] [فصلت/٣٠-٣٢].

• الإيمان بالله ﷻ ينقسم إلى قسمين :

الأول : إيمان فطري : فقد فطر الله عباده على الإيمان به ، وأنه الخالق الرازق الذي يدبر هذا الكون : ﴿ فَطَرْتَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٠] ﴿ [الروم/ ٣٠].

الثاني : إيمان كسبي : وهو الإيمان بالله العظيم بمعرفة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة ، وذلك بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٠١] ﴿ [يونس/ ١٠١].
وقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] ﴿ [محمد/ ٢٤].

فهذا إيمان كسبي يحصّله العبد بجهد بشري ، والأول إيمان فطري رباني .
والمطلوب من كل إنسان تحصيل الإيمان الكسبي الذي يزيد الإيمان الفطري ، ويحرك الجوارح بعبادة الله ﷻ .

فمن آمن بالله العظيم ، وعرف أسمائه وصفاته ، وأفعاله ، أطاعه وعبده ، واستحى من معصيته ، وهذا الإيمان الذي ينجي صاحبه من النار ، ويدخله الجنة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [١٠٧] ﴿ [الكهف/ ١٠٧].

ومن اكتفى بالإيمان الفطري دون الكسبي ، ولم يعرف ربه العظيم ، ثقلت عليه طاعته ، وهانت عليه معصيته : ﴿ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴾ [٣٠] ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [٣١] ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [٣٢] ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣٣] ﴿ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [٣٤] ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ [٣٥] ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [٣٧] ﴿ [الحاقة/ ٣٠-٣٧].

وكل إيمان لا يحمل صاحبه على عبادة الله وطاعته ، فهو إيمان لا قيمة له كإيمان إبليس الذي لم يحمل على طاعة الله ، فقد كفر ، واستكبر ، وعصى ربه كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٣٤] ﴿ [البقرة/ ٣٤].

• يجب على العاقل أن يستسلم لأوامر الله الشرعية كما استسلم لأوامره الكونية ، لأن الكل في غاية الحكمة والإتقان ، وكمال الرحمة والإحسان : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢١] ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٢] ﴿ [البقرة/ ٢١-٢٢].

والله سبحانه حكيم عليم يبتلي عباده بالأحكام الكونية ، والأحكام الشرعية .
يمتحنهم بالأحكام الكونية من المصائب والأمراض ، ليعلم الله الصابر من الجازع ، ويعلم
الصادق من الكاذب ، ويعلم من يتوجه إليه في رفع البلاء ومن يتوجه لغيره .

ويمتحن عباده بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ،
وليعلم من يمثل أمره ممن يخالفه ، ويعلم من يصبر على طاعته ، ومن يصبر عن معصيته :
﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

● واعلم أن جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، مسخرة لعبادة الله
بالقهر والطبع والاضطرار ، أما الإنس والجن فيعبدون الله بالاختيار لا بالاضطرار ، ومن
جاء إلى ربه اختياراً أحب إليه ممن عبده اضطراراً : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ
حَقَّ عَلَيْهِ الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ
حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج / ١٨].

ومن عبد الله اختياراً أرفع مقاماً ممن عبده تسخيراً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال / ٢-٤].

● وخلق الله الجن والإنس ليعبدوه باختيارهم : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴿٤﴾ ﴾ [الكهف / ٢٩].

● وقد سخر الله جميع المخلوقات للإنسان تسخيراً تعريفياً ، وتسخيراً تكريمياً ، ومقتضى
تسخير التعريف أن يؤمن الإنسان بالله ؛ لما يراه من عظمة مخلوقاته الدالة على كمال
عظمته وقدرته وعلمه ، ومقتضى تسخير التكريم أن يشكر الإنسان ربه لما يراه مما أكرمه
الله به من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ
بِعٰذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ ءَءَامِنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ سَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء / ١٤٧].
ومقتضى التعريف أن تؤمن بالله ، ومقتضى التكريم أن تشكر الله .

● واعلم أن إيمان العبد وصبره إذا غلب باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة في حسن

طاعة الله، وإذا غلب هواه وشهوته إيمانه وصبره التحق بالشياطين في فعل المعاصي، وإن غلب طبعه من الأكل والشرب والجماع إيمانه وصبره التحق بالبهائم في ركوب الشهوات، وإذا غلب طبعه من الغضب والقسوة إيمانه وصبره التحق بالسباع في الافتراس: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

وكل واحد من البشر تجده في واحده من هذه المغالبات الأربع، إما يشبه الملائكة، أو يشبه الشياطين، أو يشبه البهائم، أو يشبه السباع: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٢٨] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩]. وأسعد الناس من آمن بربه، وعمل ما يحبه ويرضاه، وأخسر الناس من ضل عن ربه، وأساء في آخر عمره، وضل في آخر سفره: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف/ ١٠٥].

● واعلم أنه لا سعادة ولا نجاة لأحد إلا بالإسلام فقط، وهو دينه الذي أرسل به رسله .

فمن قدم الوحي على العقل فاز في الدنيا والآخرة، ومن قدم العقل على الوحي خسر في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [١٨] أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

فإبراهيم عليه السلام عنده مجال ألا يقذف في النار، ولكنه قدم الوحي على العقل، فأطاع أمر الله، فأنجاه الله من النار، وسلب منها قوة الإحراق، وسخرها لحراسته: ﴿قُلْنَا إِنَّا نُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

و فرعون قدم العقل على الوحي فلم يقبل الحق، فأخذ الله ملكه، وأغرقه وجنوده في البحر: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٠] [الفصص/ ٤٠].

وأم موسى عليه السلام قدمت الوحي على العقل، فألقت ابنها في اليم امتثالاً لأمر الله، فأنجاه الله،

ورده إليها، ورباه في قصر فرعون، وجعله نبياً، وجعل هلاك فرعون على يديه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذْخُرِيهِ فَاذْخُرِيهِ فِي أَيْمَنِكَ لِيَاذَنَنَّ بِرَأْسِهِ وَرَدِّي لِي وَلَوْلَا إِذْخَارُكَ لَوَسَّوْنَا بِهِ يَدَايَ فَانجَسَتْ بِهِمَا يَدَايَ وَمِيَازِينِي فَاذْخُرِيهِ﴾ [القصص/ ٧].

ومحمد ﷺ قدم الوحي على العقل في صلح الحديبية ، فنصره الله ، وخذل قريشاً ، وفتح مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣﴾ [الفتح/ ١-٣].

وفي كل تضحية من أجل الدين منقعة تعود على الداعي فوراً ، والأنبياء والرسل وأتباعهم وصلوا إلى أعلى مستوى في التضحية بكل شيء من أجل لا إله إلا الله ، فنصرهم الله فوراً. فإبراهيم ﷺ ضحى بالحياة فوهب الله له الحياة في النار التي أوقدت له ، وضحى بالبلد فهاجر من أجل الدين ، فأعطاه الله أحسن بلد مكة ، وترك بيته في العراق ، فشرفه الله ببناء أول بيت وضع للناس في مكة ، وضحى بابنه إسماعيل حين أمر بذبحه ، فأحيا الله الولد ، وأخرج من نسله سيد ولد آدم محمداً ﷺ.

وضحى بأم الولد هاجر ، فتركها بواد غير ذي زرع فأنجاها الله وجعل خطواتها نسكاً يتعبد الناس فيه إلى يوم القيامة بالسعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة/ ١٢٧].

وضحى بأهله وذريته من أجل الدين ، فجعل ذريته هم الباقون ، وجعل منهم الأنبياء والمرسلين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ ۚ بَرَّاهِمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

● واعلم أن شرح الصدور أن يكون القلب متسعاً لحكم الله بنوعيه ، حكم الله الشرعي وهو الدين ، وحكم الله القدري وهو المصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [التغابن/ ١١].

فأوامر الله الشرعية مخالفة لهوى النفس ، فيجد الإنسان ثقلاً في تنفيذ أوامر الله ، واجتتاب

نواهيهِ ؛ لأنها مخالفة لهوى النفس ، لأن النفس تحب الشهوات ، وتكره الأوامر الشرعية : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴾ [مریم/ ۵۹].

وحكم الله القدري في المصائب كذلك ثقیل على النفس ؛ لما فيه من مخالفة الطبيعة البشرية التي تحب الشهوات والنعم ، وتكره المصائب والأمراض : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام/ ۱۲۵].

وهذا هو محل الابتلاء، وقطب السعادة أو الشقاء: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة/ ۱۵۵-۱۵۷]. ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة/ ۱۵۷].

● واعلم أن الله ﷻ امتن على الإنسان بقوتين يذكّرانه بربه الكريم:

قوت الطعام والشراب لبدنه .. وقوت القلوب وهو معرفة علام الغيوب بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا القوت يملأ القلب بالإيمان والتقوى، وحينما يفقد القلب هذا القوت يتضجر ويضطرب، ويكون قلباً بهيمياً أو سعيياً أو إبليسياً، لأن الطمأنينة مفقودة فيه: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [البقرة/ ۱۲۳] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [البقرة/ ۱۲۴] ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [البقرة/ ۱۲۵] ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَيْنَا فَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ [طه/ ۱۲۳-۱۲۶].

وقوت القلوب أحسن الأقوات كلها ، وقوت الأبدان معين له ، وأسعد الناس من جعل قوته الأول في طاعة الله وعبادته : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ۱۷۲].

● واعلم أيها العبد أنه كلما كان حجم الإيمان أكبر من حجم الشهوات ، حصلت الاستقامة ، وإذا كان حجم الشهوات أكبر من حجم الإيمان حصل الانحراف، والاستقامة تحصل في بيئة الذكر ، والانحراف يحصل في بيئة الغفلة ، فاستقم كما أمرت : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف/ ۲۸].

ومن تقلب في الشهوات، ونسي أوامر الله، ولم يتب، حلت به العقوبة: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا

ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٤ - ٤٥].

● واعلم أن التوحيد ثمرة العلم ، وثمره الإيمان ، وثمره كل عبادة ، وثمره كل مجاهدة في سبيل الله : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وقد خلق الله الإنسان فقيرًا محتاجًا إلى غيره ، فإما أن يكون عبدًا لله ، أو عبدًا لعبد الله ، فكن عبدًا لله ، واعلم أن من أطاع الله أطاعه كل شيء ، ومن عصى الله عصاه كل شيء ، ومن آمن بالله أمّنه الله من كل شيء ، ومن كفر بالله أخافه الله من كل شيء : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام/ ٨٢ - ٨٣].

وأعظم الناس خسارة في الدنيا والآخرة من تعلق قلبه بغير الله من الأصنام الحجرية أو الشجرية أو البشرية أو غيرها مما لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ، ولا حياة ولا موتًا ، ولا عطاء ولا منعًا : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٦﴾ [المائدة/ ٧٦].

● واعلم أن من عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، آمن به وأطاعه ، واستوحش من كل مخلوق يشغله عنه : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧ - ١٨].

ومن لم يعرف ربه العظيم عصاه ، ولم يبال بأمره ونهيه ، ولم يلتفت إلى وعده ووعدته : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١١﴾ [البقرة/ ١٦].
ومن لا قيمة له عند الله في الدنيا ، فلا قيمة له عند الله في الآخرة : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣ - ١٠٦].

● واعلم أن الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بالاستقامة على الإيمان

والتقوى فقط: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا بِأَنفُسِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

فمن أقام أمر الله فيما يملك كفاه الله شر ما لا يملك ، وسلبه قوته ، وسخره له ، كما كفى الله إبراهيم عليه السلام شر النار ، وكفى يونس عليه السلام شر الحوت ، وكفى موسى عليه السلام شر البحر ، وأبطل كيد السحرة أمام موسى وفرعون والناس ، ونصر موسى عليه السلام ، وخذل فرعون .

● واعلم أن الإيمان بالله مركز في الفطر، لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

والإيمان يحقق للعبد كل خير، ويدفع عنه كل شر، أما الكفر فهو ساتر للإيمان بسبب الجهل أو المصلحة أو الشهوة .

فالمؤمن يحافظ على إيمانه ، ويصبر على التمسك بدينه ، لأنه يحقق له المنافع والسعادة في الدنيا والآخرة .

والكافر بسبب جهله ، ورغبته في تحقيق شهواته، يُصر على كفره ، لأنه يحقق له التمتع بشهواته بلا قيد كالبهائم ، والإيمان بالله يقيد شهوات الإنسان في الدنيا ، ويطلقها له في الآخرة ، ويعطيه حقه ، ويمنع عنه ما ليس له ، والكافر يريد العاجل لا الآجل ، فلهذا يُصر على كفره لمصلحته ، ولو كانت على حساب غيره : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وإن كان الكفر بسبب الجهل ، زال بالدعوة إلى الله ، وإن كان بسبب الكبر أو المصلحة ، زال بالجهاد الذي شرعه الله ، ليكون الدين كله لله ، والكافر يسعد بإسلام المسلم ، لما يناله من خيره ، والمسلم يشقى بكفر الكافر لما يناله من شره ، ولزوال الشر في العالم لابد من الدعوة أولاً ، ثم الجهاد ثانياً، ليكون الدين لله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَإِنْ آنَسُوا فَلَاعُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة/ ١٩٣].

● واعلم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته ، وعظيم نعمه وإحسانه ، وشدة حاجتنا إليه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وعبادتنا لله حق واجب له ، لا تفضلاً عليه ، لأن الله غني عن كل ما سواه ، وهو المعبود قبل أن نعبده ، المحمود قبل أن نحمده : ﴿ نُسِجَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِلَّا يُسِجُّ بِحَمْدِهِ . وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وعبادتنا وطاعتنا لله حق وواجب له ، لأنه الذي خلقنا ورزقنا وهदानا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٢] [البقرة/ ٢١-٢٢] .

فإذا أكرمنا الله بالجنة على عبادتنا له فهذا فضل منه على من آمن به : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة/ ٤] .

فهنيئاً لمن آمن بالله برضوانه وجنته : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وإنما اتخذ الكفار آلهة يعبدونها من دون الله ، لأنها لا تقيد حركة الإنسان بمنهج ، وليس لها أمر أو نهي ، ولا تدري بمن أطاع أو عصى ، وليس عندها ثواب أو عقاب ، لكن إذا مسهم الضر دعوا ربهم الحق ، لأنهم يعلمون أن تلك الأصنام لا تملك شيئاً ، وإنما عبدوها من دون الله ، لأنها تتركهم على هواهم ، ولا تأمرهم ولا تنهاهم ، فعبدوها فراراً من عبادة الله الذي يأمرهم بما ينفعهم ، وينهاهم عما يضرهم : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٧١] .

● واعلم أن توحيد الله بأسمائه كالعليم والقدير ، والسميع والبصير ، وغيرها من الأسماء الحسنی . وتوحيد الله بصفاته كالحياء والقدرة ، والعلم والقوة وغيرها من الصفات العلی .

وتوحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق، والتدبير والتصريف، وغير ذلك من الأفعال الحميدة. وتوحيد الرب بأفعال العبد كدعاء الله، والتوكل عليه، ومحبته، والخوف منه، والصلاة والصيام وسائر أنواع العبادة، وتوحيد رسول الله ﷺ بالاتباع، وتوحيد كتابه بالاتباع.

كل ذلك يحصل للعبد بكمال معرفته بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وذلك من خلال النظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

وقال سبحانه في الآيات الشرعية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء/ ٨٢].

وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان وينشرح الصدر للطاعات، وتنقاد الجوارح للأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ويعبد المسلم ربه بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْ لَوْ أَنَّ الْأَلْبَابَ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ] [الَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ] [الرعد/ ١٩-٢٢].

● واعلم أن من رحمة الله بعباده أن أكرمهم بغذائين لا غنى لهم عنهما:

الأول: غذاء الأبدان، ويكون بالطعام والشراب الطيب.

الثاني: غذاء القلوب، ويكون بمعرفة سبعة أمور هي:

معرفة الرب الذي نعبد.. ومعرفة القرآن الذي نعمل به.. ومعرفة الرسول الذي نتبع.. ومعرفة الإنسان المطلوب منه العبادة.. ومعرفة عدو الإنسان الذي يصدده عن العبادة وهو إبليس.. ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها.. ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها.

والقرآن كله بيان لهذه الأمور السبعة، وحياة الرسول ﷺ كلها تصديق وتطبيق لهذه الأمور السبعة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل/ ٨٩].

[النحل/ ٨٩].

وأعلى العلوم على الإطلاق هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَأَسْتَعِزُّ بِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/١٩].

وهذه هي مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان ، فمن فتحها الله له انفتحت له جميع أبواب الخير والطاعات والعبادات، ثم انفتحت له أبواب الجنان: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/٤].

● واعلم أن مصادر الإيمان ثلاثة :

الأول : الحسيات : وهي كل شيء ظهرت ذاته ، وظهرت آثاره، كالسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، فهذا طريق العلم بها الحواس الخمس، السمع والبصر والشم والذوق واللمس : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/١٧-٢١].

الثاني : العقلية: وهي كل ما غابت ذاته ، وظهرت آثاره .

فهذا أداة العلم به العقل ، فالخلق يدل على الخالق، والمملك يدل على المملك، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرزاق، والحكمة تدل على الحكيم وهكذا: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

الثالث : الإخبارات : وهو ما غابت ذاته ، وغابت آثاره ، كالملائكة والجن ونحوهما.

فهذه الغيبات طريق العلم بها والإيمان بها ، الخبر من قرآن أو سنة كإخبار الله عن الملائكة ، والجن ، واليوم الآخر ونحوها من الغيبات : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/٨٧].

فكل محسوس يدل على وجود الله ، وكل معقول يدل على وجود الله ، وكل خبر عن الله ورسوله يجب أن نؤمن به : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيَّ رِسُولِهِ وَالَّذِينَ نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/١٣٦].

● واعلم أن الجهل أخطر شيء على الإنسان ، فكل كفر وشرك ونفاق ، وكل كبر وحسد وطغيان، وكل بدعة ومعصية وسيئة، كل ذلك سببه الجهل: ﴿لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

[الأنعام/١١١].

فكل كافر، وكل مشرك، وكل عاص، جاهل بالله، جاهل بأسمائه الحسنى، جاهل بصفاته العلى، جاهل بأفعاله الحميدة، جاهل بخزائنه العظيمة، جاهل بملكه وسلطانه، جاهل بنعم الله وإحسانه، جاهل بدينه وشرعه، جاهل بوعده ووعيده، جاهل بثوابه وعقابه: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطْعَتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ وَكُوشًا ۗ اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام/ ٣٥].

فالجاهل آيات الله الكونية لا تنفعه، وآياته القرآنية لا تخوفه، لا يطيع أمر الله لأنه لا يعرفه، ويفعل ما يسخط الله ويغضبه لأنه جاهل به .

والفوز والفلاح والنجاة في أمرين :

العلم بالله : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وتقوى الله : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۗ وَلَا تَمُؤْنُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

[آل عمران/ ١٠٢ - ١٠٤].

● واعلم أيها العبد أن كل إنسان إذا مات ترافقه ثروته الداخلية لا الخارجية ، فالثروة الداخلية الإيمان والتقوى ، والثروة الخارجية الأموال والأشياء .

والثروة الداخلية أعظم ثروة، وتحصيلها في الدنيا، وثوابها في الآخرة، ومن أشغلته الثروة الخارجية، عن تحصيل الثروة الداخلية، فقد خسر ديناه وأخراه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مَن عَطَا رَبُّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاؤُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّحْذُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء/ ١٨ - ٢٢].

وإذا مات الإنسان ظهرت أمامه نتيجة حياته فوراً، فالقبر أول منازل الآخرة ، فهو للمؤمن روضة من رياض الجنة ، وللكافر حفرة من حفر النار .

والدنيا خافضة أو رافعة ، والآخرة كذلك ، والذي يرفع الإنسان في الدنيا والآخرة إيمانه وأعماله الصالحة ، والذي يخفضه كفره وأعماله السيئة : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۗ ﴾ [طه / ٧٤-٧٦].

● الظلمات مكان الخوف والكوارث ، فمن سار في الظلمات فإما أن يصطدم بأقوى منه فيضره ، وإما أن يصطدم بأضعف منه فيحطمه ، ولا تستقيم الحياة لأحد في الظلمات ، لأنه إما أن يضر نفسه أو يضر غيره : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ شَيْءٍ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَلَا يَهْدِيهِ اللَّهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام / ٣٩].

ومن عاش في النور سار في أموره على هدى ، فينفع نفسه ، وينفع غيره : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥٧].

فهنيئاً لمن قبل نور الهدى ، وخرج من الظلمات إلى النور : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۗ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

● واعلم أيها العبد أن الذي قال في الأمر الكوني كن فكان ، هو الذي قال في الأمر الشرعي : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧].

فكما خضعت لأمره الكوني ، فيجب أن تخضع لأمره الشرعي ، لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۗ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس / ٦٢-٦٤].

● واعلم أن الإيمان بالله وطاعته وعبادته إنما هو حفظ الجميل لمن كان سبباً في إيجادك ، وإكرامك وامدادك ، وهدايتك إلى ما يسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠].

والله خلقك لما شاء لا لما شئت: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات/ ٥٦].
 وأجر عملك عائد عليك ، والله أمرك ليشيك ، وهو غني عنك وعن غيرك : ﴿ وَمَنْ جَاهَدْ
 فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

والله أمرك بما ينفعك من الإيمان والطاعات، ونهاك عما يضرك من الكفر والمعاصي، فإن
 آمنت به أكرمك، وإن كفرت به عاقبك: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
 يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
 ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
 مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

● واعلم أن دين الله حق لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به .

ومن لم يقبل هدى الله جره الشيطان إلى حياة البهائم ، ثم إلى حياة السباع ، ثم إلى حياة
 الشياطين : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [٦٠]
 وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ [يس/ ٦٠-٦٢].

فاعبد الله لذاته وجلاله ، واعبده لنعمه وإحسانه ، واعبده لحاجتك إليه ، واعبده لضيافته
 لك في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

● واعلم أنك إذا آمنت بالله ربًا خلقك ورزقك ، فأمن به إلهًا تطيعه فيما أمرك به ، وتصدقه
 فيما أخبرك به ، وتؤمن بما وعدك به ، لأنه الرحمن الذي عمّ خلقه جميعًا برحمته ،
 وأكرمهم بنعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الإسعاد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وإله بغير علم ، وإله بلا أفعال ، وإله بغير منهج ، وإله بغير ثواب ولا عقاب ، كل ذلك إله
 باطل ، والإله الحق هو الله وحده : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر / ١٣ - ١٤].

والملك الحق، والإله الحق، هو الله الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، الرب الذي أبدع الخلق بقدرته، وأودع فيه أسراره بحكمته، وعم خلقه جميعاً برحمته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣].

● واعلم أن الله ﷻ ميز الإنسان بالعقل ، ومهمة العقل أن يوصلك إلى السلطان ، ولكن لا أمر له مع السلطان ، بل الأمر للسلطان وحده .

وكذلك مهمة العقل أن يوصلك إلى الطيب ، ولكن لا أمر له مع الطيب .

وكذلك مهمة العقل أن يوصلك إلى الإله ، ثم الإيمان به ، ثم تخضع للإله في كل ما أمر به ، وتصدقه في كل ما أخبر به ، ولا تعارضه ، لأنه لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة / ١٦٣].

فالعقل كالمطية يوصلك إلى الله ، ولكن لا أمر له مع الله ، بل يجب عليه طاعته وعبادته : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣].

● واعلم أن الله ﷻ خلق في هذا العالم نورين لمعرفة الأشياء ورؤيتها وتمييز بعضها عن بعض ، وهذان النوران هما :

نور خارجي : وهو نور الشمس أو المصباح أو السراج .

ونور داخلي : وهو نور العين في الإنسان .

ولا يمكن أن تحصل الرؤية إلا بهذين النورين ، فإن فقد أحدهما تعذرت الرؤية .

ولكن بهذين النورين لا نستطيع أن نميز بين الإيمان والكفر ، ولا بين الحق والباطل ، ولا بين الخير والشر ، فجعل الله لمعرفة ذلك نورين آخرين هما :

نور أنزله الله من السماء وهو القرآن فكله هدى ونور : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء / ١٧٤].

ونور آخر أمرنا الله أن نحصله بالجهد ، والنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ليأتي في قلوبنا ، وهو نور الإيمان : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء / ١٣٦].

ولمعرفة الحق من الباطل لابد من النور الخارجي وهو القرآن ، والنور الداخلي وهو الإيمان ومحله القلب : ﴿تُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ءَ مَنْ يَشَاءُ ءَ وَبَضْرِبُ اللَّهِ ءَ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ ءَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور / ٣٥].

وإذا تزين القلب بالإيمان أبصر الحق من الباطل ، وأحب الطاعات وفعلها ، وأبغض المعاصي وتركها ، ومن ليس عنده نور الإيمان لا يستفيد من نور القرآن كالمشركين والمنافقين : ﴿سَاصِرُفٌ عَن ءَ آيَاتِي ءَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ءَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ ءَ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا ءَ كَلَّ ءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ ءَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكْرُوا سَبِيلَ ءَ الْحَقِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِءَ آيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف / ١٤٦].

• واعلم أن وجود الله أظهر وأبين من كل شيء على الإطلاق ، فوجود الله أظهر للبصائر من ظهور الشمس للأبصار ، وأبين للعقول من كل ما تعقله ، وتقر بوجوده : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ ءَ أِنِّي ءَ اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ ءَ السَّمَوَاتِ وَءَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ءَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ ءَ إِلَىٰ ءَ أَجَلٍ مُّسَمًّى ءَ﴾ [إبراهيم / ١٠].

ولهذا دعت جميع الرسل أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، لا إلى الإقرار بوجوده ، لأن وجوده مركز في الفطر والعقول ، ظاهر للأبصار والبصائر : ﴿لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ ءَ أُمَّةٍ رَّسُولًا ءَ أَنْ ءَ عِبُدُوا اللَّهَ وَءَ اجْتَنِبُوا ءَ الطَّاغُوتَ ءَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ءَ الضَّلَالَةُ ءَ فَسِيرُوا فِي ءَ الْأَرْضِ فَءَ انظُرُوا ءَ كَيْفَ ءَ كَانَ ءَ عَقِبَةُ ءَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل / ٣٦].

• واعلم أن الله سبحانه خلق كل شيء لحكمة كالشمس والقمر ، والأرض والنبات ، وغيرها ، ولكنها لا تفعل شيئاً إلا بأمر من خلقها : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ءَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾﴾ لَهُ ءَ مَقَالِيدُ ءَ السَّمَوَاتِ وَءَ الْأَرْضِ ءَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِءَ آيَاتِ اللَّهِ ءَ أُولَئِكَ هُمُ ءَ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

فتتقن على الله وحده في كل شيء ، ونفعل الأسباب المشروعة امتثالاً لأمر الله .

ومن ترك الأسباب المشروعة اعتماداً على الله ، فقد ترك سنة الله التي قد أمر بها ، ومن نفى الأسباب تحقيراً لها ، فقد استهان بالخالق الذي أمر بفعلها ، ومن فعل الأسباب بجوارحه ، وتوكل على الله بقلبه ، فهذا المؤمن حقاً : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

فكل شيء لا يحصل إلا بأمر الله وحده ، والله أمرنا بفعل الأسباب امتحاناً وابتلاءً ليعلم من يتعلق قلبه بالله ، ممن يتعلق بالأسباب ، ويعلم من يختار الحلال ممن يختار الحرام ، ويعلم من يفعل السبب بأمر الله ، هل يترك السبب لأمر الله كمن يغلق دكانه من أجل الصلاة ، ويعلم من يتوجه إلى الله عند حاجته ، ممن يتوجه إلى الأسباب : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف/ ٧].

● واعلم أن أفعال الإنسان كلها خيراً كانت أو شراً واقعة بمشيئة الله ، لأنه لا يقع في ملك الله ما لا يريد ، ولا يقع شيء ما لم يأذن به .

فإن كانت طاعات فقد أذن الله بوقوعها ، ورجب فيها ، وأثاب عليها .

وإن كانت معاصي فقد أذن الله بوقوعها ، وحذر منها ، وفاعلها مستحق للعقوبة عليها : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٧] ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [٢٨] ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

● واعلم أن معرفة الله تثمر حب الله ، وحب الله يحصل بمعرفة عظمته وكبريائه ، ومعرفة نعمه وإحسانه ، والتعظيم والحب لله يثمر إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ويظهر القلب من التعلق بغير الله : ﴿ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة/ ٥].

● ونسبة التوحيد إلى أحكام الله كنسبة الصلاة إلى الأعمال ، فإن قبلت الصلاة قبل ما سواها من الأعمال ، وإذا وجد التوحيد قبل ما بني عليه من الأحكام ، وإذا فقد التوحيد بطلت سائر الأعمال ، ومن أخلص العمل لله خلصه الله من التعلق بما سوى الله : ﴿ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٥] ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦].

فما عبد الله من أشرك معه غيره ، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، وما أطاع الله من عبد الله

ولم يحبه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

● واعلم أن التوحيد أن ترى الله وحده بيده كل شيء ، وترى كل ما سواه ليس بيده شيء ، فالخلاق كلها عبيد لله ، وصور يحركها الله الذي خلقها ، ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها ، وما من ذرة إلا وهو يعلمها ويراها وبصرها : ﴿الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُبِخِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

فمن آمن بالله العظيم علم أن الذي يدبر المخلوقات كلها الله ، إن رضي عنه جعلها في خدمته ، وأبعد عنه شرها ، وإن سخط عليها سلطها عليه: ﴿مَنْ دَابَّ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ﴿٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

فترى الوحوش والسباع ، والطغاة والمصائب ، كلها مأسورة ومقيدة عند رب رحيم حكيم ، إن رضي عنك أبعدها عنك ، وإن سخط عليك سلطها عليك ، وإن أراد أن يؤدبك لتتوب إليه أرخى لأحدها الزمام ليردك إليه : ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [السجدة/ ٦١].

والموحد حقاً ، والمؤمن حقاً ، يرى أن الجبارة والطغاة عصى بيد الله ينتقم بها من الظالمين ، ثم ينتقم منها ، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل لما عصوا ربهم ، وخالفوا أمره: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤﴾ [القصص/ ٤].

ثم انتقم الله من فرعون لما كذب موسى ﷺ ، وأصر على كفره ، فأغرقه وجنوده في البحر : ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الزخرف/ ٥٥-٥٦].

٣- مفاتيح النعم والإحسان

● الله سبحانه هو الكريم الأكرم الذي يعامل المؤمنين بفضله وإحسانه في الدنيا والآخرة:
 ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ [يونس/ ٢٦].

ويعامل الكفار في الدنيا بفضله ، فيعطيهم في الدنيا من عطاء ربوبيته ما به قوام أبدانهم ؛ لأنه لا رازق غيره ، وفي الآخرة يعاملهم بعدله ، فيدخلهم النار ؛ لأنهم في الدنيا سكنوا في ملكه، وأكلوا من رزقه ، وكفروا به ، وعصوا أمره: ﴿وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

فمن آمن بالله العظيم أخذ عطاء ربوبيته في الدنيا من أنواع النعم ، وأخذ عطاء ألوهيته في الآخرة، فدخل الجنة، ومن لم يؤمن بالله أخذ عطاء ربوبيته في الدنيا، لأن الله تكفل بأرزاق الخلائق كلهم ، وحُرِّمَ عطاء ألوهيته في الآخرة ، فدخل النار ، لأنه كافر عصى الله بنعمه:
 ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

● واعلم أن الله جل جلاله يقلِّب الأحوال لوجوه :

فيقلِّب الليل والنهار ، والحر والبرد، والغنى والفقر، والصحة والسقم ، والسلم والحرب، لإظهار قوة سلطانه ، وإظهار كمال قدرته ، وكمال رحمته، لتحصل من العباد خشية الله ، والتضرع إليه ، والانكسار بين يديه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١١٣﴾ [الطلاق/ ١١٢].

ويبتلي عباده بالطاعات والأوامر الشرعية في مختلف الأحوال من أمن وخوف ، وشدة ورخاء ، لتتجلى عبوديتهم لله في حال السراء والضراء.

ويبتليهم بالأمر المكرهه تربية لنفوسهم ، وإظهاراً لعبودية الصبر فيهم ، وتكفيراً لسيئاتهم، ورفعة لدرجاتهم ، وتكثيراً لحسناتهم ، وليبين ما في قلوبهم من الإيمان بالله وقضائه وقدره :

﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بِشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

● واعلم أن حكمة النعم والمصائب أن تتوجه القلوب في حال السراء والضراء إلى ربه الواحد الأحد وحده لا شريك له .

فإذا أنعم الله على عبد بنعمة ، أو احتاج إلى نعمة فسأل ربه فأجابته ، حصلت له من ربه سبع كرامات، هي أعلى درجات العبودية.

فزاد حبه لربه ، وزاد تعظيمه له ، وزاد إيمانه به ، وزاد حمده له ، وزاد رزقه له ، وزاد ذكره له ، وزادت طاعته له : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

وإذا حلت بالمسلم مصيبة، ثم سأل ربه كشفها فكشفها ، حصلت له من ربه سبع كرامات، هي أعلى درجات العبودية.

فحصلت منه توبة إلى ربه من ذنبه ، وزاد حبه لربه ، وزاد تعظيمه له ، وزاد ذكره له ، وزاد حمده له ، وزاد إيمانه به، وزادت طاعته له : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة/ ٥١].

والله سبحانه أرحم بالعبد من نفسه ، فإذا أراد أن يرفع درجات عبده ، أو يزيد حسناته ، أو يكفر سيئاته، أو يذكره به، أرسل إليه مصيبة ليدعوه، فإذا دعاه وكشفها زاد حبه لله، وتعظيمه له، وطاعته له: ﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بِشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

فوراء كل نعمة أو مصيبة معرفة جديدة بالله ، ومحبة جديدة له ، وتوبة جديدة إليه ، وتعظيم جديد له، وحمد جديد له، وذكر جديد له ، وإيمان جديد به ، وطاعات جديدة له: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن/ ١١].

فسبحان الرؤوف الرحيم الذي يتبلي عباده بالنعم والمصائب ، ويقلب أحوالهم من حال

إلى حال، ليدعوه ويسألوه ، ويتقربوا إليه ، ويصلوا إليه : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الْكَبِيرُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البجائية/ ٣٦-٣٧].

● واعلم أن الله ﷻ إذا أنعم عليك بنعمة من علم أو مال أو جاه ، أو رئاسة أو قوة أو غيرها، فقد هياك لنفع خلقه، فلا تبخل بما أعطاك الله على عباده ، فإن الله يترك على النعم ما بذلتها وشكرتها، فإن منعتها وكفرتها سلبها الله منك، واعطاها لمن يشكرها : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

وقد جعلك الله غنياً تعطي ، وهو قادر أن يجعلك فقيراً تأخذ ، فأعط الذليل يعطك العزيز، وأنفق على الفقير يعطك الغني خيراً منه : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبا/ ٣٩].

ومن سنة الله أنه إذا أحب عبداً من المؤمنين أنعم عليه ، وجعل حوائج الناس إليه ، فإن قضى حوائجهم وإلا سلبها منه، وأعطها لغيره، وصرف الناس عنه : ﴿سَلِّبْنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١١﴾﴾ [البقرة/ ٢١١].

● والله سبحانه رحيم كريم ، فحين أمر الإنسان بعبادة الله ، يسر له ما يعينه على حسن عبادته ، وإخلاصها له ، وأدائها له : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣]. فخلق الله الإنسان وأعطاه عقلاً يعرف به من خلقه ، ويميز به بين الخالق والمخلوق ، وبين ما ينفعه وما يضره .

وأعطاه شهوة تحركه إلى استبقاء حياته .

وأعطاه طعاماً وشراباً يستعين به على عبادة من خلقه .

وأعطاه كوناً مفتوحاً يعرف به ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويشهد بوحدانية الله ووجوده وجلاله وجماله ، ويشهد بعظمة نعمه وإحسانه .

وأعطاه مكاناً يسكن فيه وهو بيته ، ومكاناً واسعاً يتجول فيه ، ويتعبد لله فيه وهو الأرض . وأعطاه وقتاً يعمل فيه ، ويعبد الله فيه بأنواع العبادات على مدار العام ، فخلق الله الزمان وعاءاً للأعمال ، وخلق المكان وعاءاً للذوات والأجسام ، وخلق الإنسان وعاءاً للإيمان والأعمال : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ [سجدة/ ٣٢].

الشمس والقمر دابيين^ط وسخر لكم الليل والنهار ﴿٣٣﴾ وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إيت^ط الإنسان لظلوم كفار ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وأعطاه بصراً يرى به عظمة ملكوت خالقه ، وآيات ربه ، ويهتدي به إلى ما يريد .

وأعطاه سمعاً يسمع به كلام ربه وما حوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

وأعطاه لساناً يتكلم به مع ربه ، ويتكلم به مع خلقه ، ويعرب به عن مراده .

وأعطاه بقية الجوارح يتعبد لله بها ، ويقضي بها مراده ، وينفع بها غيره : ﴿ إيت^ط الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ ﴿٦٠﴾ [يونس/ ٦٠].

وأعطاه منهجاً يسير عليه في حياته ، ويسعد به في دنياه وآخرته ، وهو الدين الذي ارتضاه الله له : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

وأرسل إليه رسولاً يقتدي به في أقواله وأعماله وأخلاقه وسائر أحواله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة/ ٢].

وأعطاه فطرة يميل بها إلى حب الحق والخير والفضيلة ، ويحذر بها من الباطل والشر والرديلة : ﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّبْتُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

وأعطاه حرية واختياراً ، ليفعل ما يشاء ، ويختار ما يريد ، ويبيّن له الحق من الباطل ، والخير من الشر ، ورغبة في الحق والخير ، وحذره من الباطل والشر : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿٢٩﴾ [الكهف/ ٢٩].

وأفضل ما ملئت به الأوقات ، واشتغلت به النفوس ، هو الإيمان والعمل الصالح ، وأسوأ ما ملئت به الأوقات هو الكفر والعمل السيئ : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَيْرًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

● واعلم أن نعمة الهداية أعظم نعم الله على عباده التي بها سعادتهم في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَطَّوَّرَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيَهُ تَجْرُؤُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].
وأصول نعم الله على عباده ثلاث :

نعمة الخلق والإيجاد .. ونعمة العطاء والإمداد .. ونعمة الهداية والإسعاد .

فنعمة الهداية أعظم النعم ، وكل ما سوى الهداية منقطعة بعد الموت ، والهداية من أعظم نعم الله الكبرى التي يستمر نفعها في الحياة وبعد الموت ، ولهذا أمرنا الله أن نطلب منه هذه النعمة في كل ركعة من الصلاة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ [٤] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [٦]﴾ [الفاتحة / ٢-٦].

والله سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي نعمة الهداية إلا من يحب : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

● واعلم أن الله ﷻ خلق الإنسان من ماء وطين ، فمن غلب ماؤه طينه صار نهرًا عذبًا يحيي به الله البلاد والعباد وهم: ﴿التَّائِبُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومن غلب طينه على مائه صار حجرًا قاسيًا، يجرح من اقترب منه، ويهلك من وقع عليه، فذلك مثل المؤمن والكافر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١١١] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

فاحمد الله الذي جعلك في قبضة اليمين، ووسمك بوسام المسلمين، قبل أن تُخلق في العالمين: ﴿قُلِّلِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

● واعلم أن من أعظم النعم على كل إنسان: السمع والبصر والفؤاد: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٣٣]﴾ [الملك/ ٢٣].

فالمؤمنون انتفعوا بها ، فقبلوا ما سمعوا من الوحي ، واعتبروا بما أبصروا من الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، وعقلوا بأفئدتهم ما ينفعهم وما يضرهم مما عرفوه من شريعة

الله ، واستعملوا هذه النعم بما يحبه الله ويرضاه ، فلهم الجنة .

والكفار ضيعوا هذه الطاقات ، فلم يقبلوا ما سمعوا من الهدى ، ولم يعتبروا بما أبصروا من الآيات ، ولم يعقلوا ما ينفعهم مما يضرهم ، فضيعوا هذه النعم ، ولم يقبلوا الحق ، واستعملوا هذه النعم فيما يغضب الله ويسخطه ، فلهم النار ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء / ١٣ - ١٤].

● واعلم أن الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وجعله مركبًا من بدن ونفس ، وجعل النفس البشرية أفضل النفوس في العالم السفلي ، وبدن الإنسان أفضل الأبدان في العالم السفلي ، وقد أكرم الله كل إنسان بثمان صفات هي :

الاعتناء ، والنمو ، والتكاثر ، والحس ، والحركة ، ثم أكرمه بالفطرة ، والعقل ، والنطق .

وخلق الله جميع المخلوقات بكلمة كن ، وأكرم الله الإنسان وحده بأعظم الكرامات :

فخلق الله ﷻ آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وجعله خليفته في الأرض ، وفضّله على كثير من خلقه ، وجعل من

ذريته الأنبياء والرسل ، وفطره على التوحيد ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠].

فإن آمن بالله فله الأمن والهداية والحياة الطيبة : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل / ٩٧].

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَامَنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام / ٨٢].

وهذا العالم السفلي بأسره كقرية صغيرة فيها جميع المنافع ، والإنسان فيها هو الرئيس ،

وسائر الجمادات والنباتات والحيوانات وغيرها بالنسبة إليه كالعبيد والخدم له .

فهذه عشرون كرامة خاصة بالإنسان من ربه الكريم في الدنيا : ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاَهُمْ

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

[الإسراء / ٧٠].

أما يوم القيامة فيكرم الله هذا الإنسان إن آمن بالله بعشر كرامات هي :

دخول الجنة .. والخلود فيها .. والتمتع بأنواع النعيم .. والنجاة من النار .. ورؤية الرب سبحانه .. وسماع كلامه .. والقرب منه .. والفوز برضوانه .. ومرافقة الأنبياء .. والسلامة من كل مكروه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

فهذه ثلاثون كرامة لهذا الإنسان من ربه الكريم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

• واعلم أن من الناس من يصل بطاعة الله إلى كرامة الله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/ ٥٥].

ومن الناس من يصل بكرامة الله إلى طاعة الله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

فإن سبحانه يريد من عبده أن يكون دائماً في معيته، إما أن تطيعه بأنواع الطاعات فيكرمك بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وإما أن يكرمك بأنواع الكرامات ، فتطيعه بأنواع الطاعات : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

• واعلم أن الله ﷻ إذا اصطفاك له ، أغلق دونك أبواب الانصراف عنه ، وسد عليك طرق البعد عنه ، ثم فتح لك أبواب العلم به ، ويسر لك طرق الوصول إليه ، ثم شرفك بأنواع عبوديته ، ثم خصك بأنواع تكريمه : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايِنُهُ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٢-٤].

• واعلم أن الصلاة عماد الدين ، وإكرام من الرب لعباده ، وفيها إعلان دوام الولاء لله الواحد الأحد ، ومن تركها فقد تمرد على إعلان العبودية والولاء لله الحق : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وفي كل صلاة عشر ثمرات وبركات وعبادات، تكبير الله وتعظيمه، وحمده وشكره، وسؤاله واستغفاره ، وتقديم التحية لمن خلقك وأطعمك وهداك ، والصلاة والسلام على من كان سبباً في إيمانك وتقواك، والاستعاذة بالله من العذاب والفتن .

ومن رحمة الله بعبادة أن أمرهم بها ، وأوجب الجماعة لها في كل يوم خمس مرات ، وشرعها نفلاً في كل وقت ، وأكدها صلاة الجمعة ، ليرى العبيد لله كل العبيد لله قائمون بالعبودية لله وحده، صفاً واحداً على حد سواء : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة / ٢٣٨].

ولشدة الحاجة إلى الصلاة فرضها الله ليلاً ونهاراً على جميع المسلمين : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء / ٧٨].

• إذا أعطيت مالا فلا تنظر إلى من أعطيت ، ولكن اذكر من أعطاك ، لتشكره على ما أعطاك ، وهداك للعطاء بما أعطاك : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء / ١١٣].

وإذا علمت أحداً علماً فلا تنظر إلى من تعلم ، ولكن اذكر الذي علمك لتشكره على ما علمك مالم تكن تعلم ، وهداك لتعليم خلقه مما علمك : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣].

• واعلم أيها المسلم أن الصلاة معراج المؤمن، شرعها الله ﷻ فرضاً ونفلاً، لتذكير العبد بربه، ولاستدامة طاعة الإله الذي آمن به، والرب الذي أمده بكل خير، وصرف عنه كل شر : ﴿ أَنْتَ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِإِتِّمَامِ الصَّلَاةِ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت / ٤٥].

فربنا العظيم كريم رحيم، أملك أن تتصل به كل يوم خمس مرات ، لتكبره ، وتحمده ، وتسأله ، وتستغفره ، وتقدم التحية له ، وتصلي وتسلم على من كان سبباً في اتصالك به ، لتسعد بمحبته ورحمته ، ويعظم قدرك عنده ، ويزيد ثوابك لديه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وهذا الاتصال بين العبد وربّه لا بد أن يسبقه إعدادات تليق بعزة الربوبية، وعظمة الألوهية: إعداد نوعي بالإيمان .. وإعداد بدني بالطهارة .. وإعداد قلبي بالنية .. وإعداد مكاني بمكان طاهر .. وإعداد زمني في وقت الصلاة .. وإعداد اتجاهي باستقبال القبلة .

وشرع الله برحمته الصلاة ، ليقطع على الإنسان سبيل الغفلة عنه ، وليأخذه من النعم إلى من أنعم عليه بها ، ومن المخلوق إلى الخالق ، ليكبر من خلقه ، ويشكر من أكرمه ، ويسأل الذي عنده حاجته ، ويستغفر من ذنبه ، ويقدم التحية لمن أوجده : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء/ ١٠٣].

● واعلم أن فائدة العبادة تعود على العابد لا على المعبود ، لأن المعبود سبحانه كامل في ذاته ، فلا يحتاج إلى غيره : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

أما العابد فهو مخلوق ناقص عاجز محتاج إلى الكامل الذي بيده كل شيء : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].
وعبادة الله تعطي خير الرب لعبده ، والإنسان لا يستحق على عبادة الله ثواباً ، لأن سبب وجوب العبادة علينا خلق الله لنا ، وإنعامه علينا ، ولا نستحق على الواجب ثواباً ، ولكن الله كريم أكرمنا بجزيل العطاء والثواب : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

والله سبحانه أرحم بالخلق من أنفسهم، من آمن منهم عامله بفضلّه ، الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة ، وهذه غاية الإكرام والإحسان ، ويوم القيامة يدخلهم الجنة برحمته : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن كفر منهم عاملهم في الدنيا بفضله، وعاملهم في الآخرة بعدله ، فجزاء السيئة سيئة واحدة ، ويوم القيامة يدخلهم النار، وهذا غاية العدل والإنصاف : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿ الأنعام / ١٦٠ 〉 .

• واعلم أن الله أنزل برحمته إلى أهل الأرض الماء والوحي .

فأنزل الله الماء من السماء إلى الأرض ليحيي به الأرض بعد موتها، ويسقي به الناس والحيوانات، وينبت به النبات : ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ﴿١١﴾ ﴿ ق / ٩-١١ 〉 .

وأنزل القرآن على قلوب البشر، لتحيا به القلوب، وتثمر أحسن الأخلاق من الإيمان والتقوى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿ الإسراء / ٨٢ 〉 . فإذا أصاب الماء أرضًا طيبة أثر فيها ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، وإذا أصاب أرضًا سبخة خبيثة لم تنبت ، بل تزيد خبيثًا .

وكذا قلب المؤمن يثمر بالقرآن كل خير ، وقلب الكافر لا يزيده القرآن إلا كفرًا : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿ الأعراف / ٥٨ 〉 .

والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة تثمر كل خير وحلو، والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة تثمر كل شر ومر : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿ إبراهيم / ٢٤-٢٦ 〉 .

• واعلم أن الله ﷻ بيده خزائن السموات والأرض .

يعطي بحكمته الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب .

ولحقارة الدنيا وهوانها جعلها الله مشتركة بين المؤمنين والكافرين : ﴿ كَلَّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ﴿١١﴾ ﴿ الإسراء / ٢٠-٢١ 〉 .

ولعظمة شأن الآخرة جعل الله ما فيها من النعيم خاص بالمؤمنين دون الكافرين : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ

الْمَأْوَىٰ نَزْلًا يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿[السجدة / ١٨-٢٠].

والحكمة في اشتراك المؤمن مع الكافر في نعيم الدنيا كراهة أن يكون الناس أمة واحدة متفقة على الكفر ، فلولا ذلك لأعطى الله زخارف الدنيا كلها للكفار ، ولكن لشدة ميل القلوب إلى زهرة الدنيا وحبها لها جعلها الله برحمته مشتركة بين المؤمنين والكفار ، فكان في كل من المؤمنين والكافرين غنياً وفقيراً: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿[الشورى / ١٢].

ولو أعطى الله النعيم للكفار وحدهم ، لحملت الرغبة في الدنيا جميع الناس على أن يكونوا كفاراً: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿[الزخرف / ٣٣-٣٥].

فأعطى الله المؤمن الغنى إكراماً له ، ليتعبد به لله ، وأعطى الله الكافر الغنى تذكيراً له بربه الذي رزقه ، فإن لم يتب كان استدراجاً له عقوبة له على كفره: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ حَيْرٌ لَّا أَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ ﴿[آل عمران / ١٧٨].

● واعلم أن الدنيا وما فيها من المحبوبات محدودة يسعد بها الإنسان فترة ، ثم يملها ويسأم منها ، لكنه إذا عرف الله أغناه عما سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ ﴿[الزمر / ٦].

فالنفس البشرية لا يملؤها النعيم المحدود، لأنها أكبر منه، فإذا عرفت الأكبر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، آمنت به ، واطمأنت بذكره ، لأن النفس لا محدودة ، فإذا طلبت السعادة في المحدود فلن تجدها ، وكل ما سوى الله محدود ، فلا طمأنينة ولا سكينه لها إلا بمعرفة الله الذي خلقها ورزقها وهداها: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿[الرعد / ٢٨-٢٩].

● واعلم أن من رحمة الله بعباده وفضله عليهم أن فتح لهم أنواع طرق الخير ، ونوع لهم الطاعات، لزيادة أجورهم ، ولثلا يملوا ، ولاختلاف قدراتهم ورغباتهم يسر لكل إنسان

ما يناسب حاله من الطاعات في الجنس والمقدار: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

وأصول طرق الخير ثلاثة :

الأول : جهد بدني : وهو أعمال البدن التي يتبغى بها العبد وجه الله كالصلاة والصوم والذكر ونحوها: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج/ ٧٧].

الثاني : جهد مالي : وهو الزكوات والصدقات والهدايا والنفقات ونحوها مما يتبغى به العبد وجه الله ﷻ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣١] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٦١-٢٦٢].

الثالث : المركب منها مثل الجهاد في سبيل ، والحج ، فكل منهما يكون بالنفس والمال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق، أفضل الأعمال المتعدية لنفع الخلق: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣].

وفي نفع وتعليم الخلق: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٩].

٤ - مفاتيح التفكير والتدبر

● الله سبحانه أعطانا أبصاراً نرى بها المخلوقات التي تدل على الخالق، وأعطانا بصائر نرى بها الرب يفعل في ملكه ما يشاء ، فبالأبصار نرى فعل المخلوق من أرض وماء ونبات وغيرهما.

وبالبصائر نرى فعل الخالق في مخلوقاته ، ونخترق بالبصائر المخلوقات إلى الخالق ، ونخترق الصور إلى المصور ، ونخترق الدنيا إلى الآخرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۗ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

وكلما زاد عقل الإنسان نظر ببصيرته مستعيناً ببصره : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۗ ﴾ [الحج/ ٤٦].

● واعلم أيها الإنسان أن الدنيا صفقه تجارية مؤقته، فهي سوق قام ثم انفض، ربح فيه المؤمن رضوان الله والجنة، وخسر فيه الكافر فباء بغضب الله والنار: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١-٣].

وأعقل الناس هم المؤمنون؛ لأنهم عرفوا الخالق وعبدوه، وأجهل الناس هم الكفار ولو كانوا علماء؛ لأنهم عرفوا المخلوق ولم يعرفوا الخالق: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۖ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ لِلَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْوَالُونَ الْأَلْبَابِ ۗ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

● والله سبحانه جمل الكون بآياته الكونية ، وجمل الإنسان بأحكامه الشرعية ، فصلاح حياة البشرية بفعل ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وفساد حياة البشرية كلها بترك ما أمر الله به ، وفعل ما نهى عنه: ﴿ فَمَنْ أَتَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ۗ ﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

وكل فساد في الكون والحياة سببه فساد البشر بالكفر والمعاصي: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴿[الروم/ ٤١].

● واعلم أن المؤمن حقاً يعبد الله لذاته وجلاله وجماله وإحسانه ، فإذا ابتلاه الله بالعافية والسراء حمد ربه ، وإذا ابتلاه بالمصائب والضراء صبر ، فهو قائم بعبودية الشكر والصبر في كل حال .

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم^(١).

وعلم أن كل ما يجريه الله على عباده فهو نعمة ورحمة ترفع درجاتهم ، وتزيد أجورهم ، وتكفر سيئاتهم ، سواء كان بالعطاء أو المنع ، أو البسط أو القبض: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

والله رؤوف بالعباد ما منع إلا يعطي ، وما قبض إلا ليبسط ، وما ابتلى إلا ليعافي ، ولكن الإنسان ظلوم جهول ، يرى الأولى ، ولا يرى الثانية: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنعام/ ٣٥].

وحياة الخلق كلهم تجري على أمر قد قدر ، والحوادث والخطوب لن يصيبك منها إلا ما قدره الله عليك ، ولن يُصرف عنك منها إلا ما صرفه الله عنك ، وما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٧٨﴾ [النساء/ ٧٩].

● واعلم أن سعادة البشرية كلها بالاستقامة على أوامر الله ، فإذا دخلت الأمة كلها في الإسلام تألفت ، وصلحت أحوالها ، وسعدت في الدنيا والآخرة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

وإذا دخل بعضهم دون بعض تنافروا ، وتصادموا ، وشقي بعضهم ببعض: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾ [البقرة/ ٢١٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠١) .

ومن أخذ بجميع أحكام الإسلام صلحت جميع أحواله ، ومن أخذ بعضها دون بعض فإنه سيشفى ويتعب ؛ لأنه لفق حياته من حق وباطل ، ومن خير وشر ، ومن فعل ذلك فلن يفلح في الدنيا ولا في الآخرة : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة / ٨٥] .

● واعلم أن النفوس البشرية خلقها الله شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ، فهي تطحن إما حباً أو حجارة .

وأكثر الناس بسبب جهله أو كفره يطحن الحجارة ، فإذا جاء وقت العجن لم يجد إلا التراب والغبار : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴾ [١٨] أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة / ١٨ - ٢٠] .

فما أعظم خسارة هؤلاء ، وما أشد حسرتهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ مَن كَفَرَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف / ١٠٣ - ١٠٦] .

● واعلم أن كل خطيئة في العالم سببها حب الدنيا ، أوجب الرئاسة فيها .

فخطيئة آدم ﷺ سببها حب الخلود في الدنيا ، وسبب لعن إبليس وطرده حب الرئاسة في الدنيا التي هي شر من حب الدنيا ، فسببها كفر فرعون وأبو جهل وعبد الله بن أبي بن سلول واليهود ، وأصروا على كفرهم : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [النساء / ٥٤ - ٥٥] .

فالتعلق بحب الدنيا ، وحب الرئاسة ، هما أصل الفساد في العالم ، وبهما يجر إبليس الناس إلى جهنم : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص / ٤] .

وحب الدنيا ، وحب الرئاسة ، يشغلان العبد عن مولاه الذي خلقه ورزقه وهداه ، ويوجبان

له العقوبة في الدنيا والآخرة: ﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام/ ٤٤-٤٥].

● واعلم أن الأمانة التي حملها الإنسان هي الأوامر الشرعية ، وقد عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، خوفاً من عواقب حملها ، وخشية أن يتعرضن لعذاب الله وسخطه إذا قصرن في أدائها ، وحملها الإنسان الذي هو آدم ﷺ وذريته ، والإنسان ظلوم لنفسه ، جهول بعواقب الأمور .

ولهذا انقسم الناس إلى قسمين :

الأول : من تحمل الأمانة وأداها ، وهم المؤمنون .

الثاني : من تحمل الأمانة وخانها ، وهم المشركون والمنافقون .

ولكل جزاؤه في الدنيا والآخرة كما بين الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣].

● واعلم أن الله ﷻ ملاً الدنيا بمحبوباته هو من الإيمان وأنواع الطاعات والقربات ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وملاها بالنعمة التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ لِظُلُومٍ كَفَّارٍ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وملاً سبحانه الآخرة بمحبوباتنا نحن من أنواع الجنات التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥].

فإذا أكملنا ما يحبه الله ويرضاه في الدنيا أكمل محبوباتنا في الدنيا والآخرة .

وإذا حقق العبد مراد ربه منه بالإيمان والأعمال الصالحة ، حقق الله للعبد مراده من ربه من الأمن والخلافة في الأرض في الدنيا ، والجنة والرضوان في الآخرة: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وإذا جازى الله المسيء في الدنيا بعقوبة ، فهذا جزاء ردعي له لعله يتوب ، وإنذار لبقية
المسيئين ، لعلهم يتوبون ، وترغيب لهم ليكونوا محسنين .

أما الأجر الكامل ، والعذاب الكامل ، فهو في الآخرة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا
تُؤَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

وكل أحد سوف يحاسب ويجازى بما قدم وأخر: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْثَانًا لِيُرَوَّأَ
أَعْمَلُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

● واعلم أن المسلم حياته في صعود ليس بعده سقوط ، لأنه يعيش في طريق سالك إلى
رضوان الله والجنة ب حياة بلا موت ، وسعادة بلا شقاء ، وأمن بلا خوف: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

أما الكافر فحياته في متعة يعقبها شقاء أبدي ، فقد يتمتع في الدنيا بالجاه والمنصب
والمال والصحة ، لكنه يشقى بعد الموت أبداً في عذاب أليم ، وعذاب شديد ، وعذاب
عظيم ، وعذاب مهين، وعذاب غليظ: ﴿ فإِذَا يَا تَيْنُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

ومن لزم الصراط المستقيم في الدنيا نجا من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ومن سار
على الصراط المعوج قذفه في جهنم: ﴿ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

● واعلم أن قيمة الإنسان عند ربه بإيمانه وأعماله وصفاته ، لا بذاته ولا بنسبه ولا أمواله ،
فأبولهب ذو النسب والحسب ، سيصلى نارا ذات لهب، وبلال لا مال ولا سيادة ، بإيمانه
وتوحيده سيدخل الجنة قبل كل أحد، كما سمع الرسول ﷺ دف نعليه أمامه في الجنة:
﴿التَّسْبِيبُ الْعَبْدُونَ الْحَمْدُونَ السَّجُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة / ١١٢].

فهؤلاء أهل الصفات الذين اشترى الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

● واعلم أن المؤمن إنما فاز لأنه قدم الوحي على العقل، والهدى على الهوى، والآخرة على الدنيا، والكافر إنما خسر لأنه قدم العقل على الوحي، والهوى على الهدى، والدنيا على الآخرة.

فالعقل بحاجة إلى العلم الإلهي، ليعرف كيف يسير، كيف يعيش أحسن حياة، وكيف يصل إلى أعلى مقام: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧].

والقلب بحاجة إلى الذكر، ليوجه السير إلى ربه العظيم، والعلم والذكر جناحان لا يستغنى عنهما المؤمن: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة / ١٥٢].

وكل إنسان يحسن ويسئ، ويطيع ويعصي؛ لأن الله ركب فيه الشهوات التي يسعد بها أو يشقى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ﴿٣﴾ [الإنسان / ٢-٣].

فإن صاحب الشهوات نور الإيمان، سارت بصاحبها إلى ربه على صراط مستقيم موصل إلى الجنة، وإن تجردت الشهوات عن الإيمان، سارت بصاحبها إلى سبل معوجة موصلة إلى الجحيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الأعراف / ١٦].

فالشهوات إما قوة محركة لكل خير إن اقترنت بالإيمان بالله، وإما قوة مدمرة لكل خير إن تجردت من الإيمان بالله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَٰدِئِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهٰوةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ ﴿٥٩﴾ [مريم / ٥٩].

● واعلم أن الحق صراط مستقيم بين الرب والخلق، من سلكه وصل إلى ربه ورضوانه وجنته: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ [آل عمران / ٥١].

والباطل سبل متعددة معوجة تُضل المخلوق عن خالقه، وتقذفه في جهنم: ﴿وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأَنْعَامُ / ١٥٣].

ومن هداه الله وفقه لاتباع سبيل رضاه، فسعد في دنياه وأخراه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأَنْعَامُ / ١٦١-١٦٣].

● واعلم أن الموجودات ثلاثة أقسام :

الأول : موجود لا بداية له ولا نهاية ، وهو الله جل جلاله .

الثاني : موجود له بداية ونهاية ، وهو كل ما سوى الله من جماد ونبات وحيوان .

الثالث : موجود له بداية ، وليس له نهاية ، وهو الإنسان الذي تَحَمَّلَ الأمانة ، ينتقل من دار إلى دار ، حتى يستقر في دار القرار حسب عمله في الجنة أو النار : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة / ٦-٨].

● واعلم أن المسلمين إذا انتصروا على عدوهم فهم جند الله ، وإذا انهزم المسلمون

فاعلم أنهم جنود أنفسهم ، وشهواتهم ، وأهوائهم : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصفات / ١٧١-١٧٣].

ففي غزوة بدر طاعة كاملة ، ونصر كامل ، وفي أحد طاعة ناقصة ، فرفعت النصر لمخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ ، ولو نصرهم الله مع معصيتهم لقالوا خالفنا وانتصرنا .

ففي بدر انتصر الإسلام والمسلمون ، وفي أحد انتصر الإسلام ، وحرم المسلمون من النصر . والحرب لا تقوم بين حقين ، لأن الحق واحد ، وإنما تقوم الحرب بين باطلين ، فالنصر للأقوى منهما ، أو تقوم بين حق وباطل ، فالنصر لأهل الحق ، لأن الله الحق معهم : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء / ٨١].

والله من سنته أن ينصر من آمن به على من كفر به : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم / ٤٧].

• واعلم أيها العبد أن الله جل جلاله من رحمته أخفى الموت زماناً، ومكاناً، وسبباً، وحالاً، وعمراً، لأنه يريد من كل إنسان أن يرقب الموت في كل لحظة، وفي كل زمان، وفي أي مكان، وفي أي عمر: ﴿أَيَنَّمَاتُ كُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء/ ٧٨]. وهذا أعظم إعلان وإعلام بالموت من جميع الوجوه، ليكون العبد خائفاً على الدوام، فيستقيم على طاعة الله، ويتكرر الخوف منه كلما رأى ميتاً، فيستعد للقاء الله بأحسن الأعمال: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك / ١-٢].

والموت انتقال من دار الفناء إلى دار الخلود يوم القيامة، في نعيم دائم، أو عذاب دائم: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَلْدَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَيُنَادُونَ فِي الْجَنَّةِ خَلْدَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٨﴾﴾ [هود / ١٥-١٠٨].

• واعلم أن الله حكيم عليم، خلق كل شيء بحكمة ولحكمة، خلق الإنسان وأفعاله، وقد خلق الله الطاعات والمعاصي، وخلق الحسنات والسيئات، فلا يقع في ملكه شيء إلا بإذنه وأمره وعلمه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣]. وقد خلق الله سبحانه الإنسان مختاراً، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، يطع ربه مرة، ويعصيه مرة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان / ٢-٣].

وأخبرنا سبحانه أنه يحب الإيمان والطاعات، ويأمر بها، ويبغض الكفر والمعاصي وينهى عنها: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات / ٧-٨].

وطلب الله من العباد الشكر على النعم والطاعات ليزيدهم، والتوبة من المعاصي

والذنوب ليغفر لهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿[الأعام/ ١٠٢].

وربما أورثت الطاعات العُجب والمُنة عند بعض الناس ، فخلق الله المعاصي التي تكسر العجب والكبر، وتورث الذلة والانكسار بين يدي الرب: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦٦] ﴿[الصفات/ ٩٦].

فكم من معصية أورثت توبة نصوحًا ، وفتحت للعبد أبوابًا من الطاعات ، فكم من محبوب في باطن المكروه ، فتب إلى ربك، واستغفر الله من ذنبك: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٣١٦] ﴿[البقرة/ ٢١٦].

والمسلم يكره الكفر والمعاصي والفواحش، لأن الله نهى عنها وحرّمها وكرهها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٩٠] ﴿[النحل/ ٩٠].

● واعلم أن الإنسان إذا آمن بالله جل جلاله فقد أخذ مفتاح الإيمان الذي يدخله الجنة ، وبمفتاح الإيمان يحصل العبد على مفتاح القرب من الله فيكون هو البادي ، وكلما أحسن أحسن الله إليه .

فإن ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله في نفسه ، وإن ذكر الله في ملاء ذكره الله في ملاء خير منهم ، وإن تقرب العبد إلى الله شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا ، وإذا أتاه يمشي أتى الله إليه هرولة، وإن سأل ربه أعطاه، وإن نصر دينه نصره الله، وإذا أوفى بعهد الله وفى الله بعهد له: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] ﴿[الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فمن آمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، أعطاه الله إليه مفتاح التقرب إلى ربه بأنواع الأذكار والأدعية، وأنواع العبادات والطاعات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [٥] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [٦] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

﴿١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون/ ١-١١﴾.

● واعلم أن الله إذا اصطفى زماناً ، أو مكاناً ، أو إنساناً ، أو أخلاقاً ، أو أقوالاً ، أو أعمالاً ، فإنما يريد إشاعة الاصفاء والخير والفضائل في كل زمان ومكان وإنسان .

فالزمان كرمضان ، وأوقات الصلوات الخمس ، ويوم الجمعة ، وأشهر الحج .

والمكان كالمسجد الحرام وغيره من المساجد ، ومشاعر الحج ، والإنسان كالمسلم .

وشرع الله ذلك لتشجيع العبودية لله في كل زمان ومكان في حياة كل إنسان: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

● واعلم أن الله برحمته خلق الدنيا ، وضيق أبوابها ، لئلا تشغل العبد عن عبادة ربه ،

وخلق الآخرة ، وسهل طرق الوصول إليها بأنواع الطاعات والعبادات ، وجعل الدنيا قبل

الآخرة ، لتكون مطية لها ، ومعبراً إليها : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ غَيْثٌ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا

وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢٠-٢١].

● واعلم أن الجهاد والحرب ضرورة يدفع الله به الشر عن الأمة .

والله سبحانه يدفع الشر أحياناً بقدرته بطوفان أو صاعقة أو ريح أو غيرها ، وأحياناً بيد

خلقه ، فينصر أهل الحق على أهل الباطل: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْآرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

والحرب لا تقوم أبداً بين حقين ، لأنه لا يوجد في الكون إلا حق واحد ، والحق منصور

على الباطل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

وإنما تقوم الحرب بين حق وباطل ، أو بين باطلين ، والمعركة بين حق وباطل لا تطول ،

لأن الحق يدفع الباطل فوراً ، لأن الباطل زهوق: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ

كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء/ ٨١].

والمعركة بين باطل وباطل هي التي تطول ؛ لأن أحدهما ليس بأولى أن ينصره الله على الآخر ، ومن رحمة الله أن يدك هذا الفساد بذلك الفساد ، ليرفع الفساد عن الأمة ، ويهيئ الفرصة لظهور الحق : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٥١] .

وسيطل الباطل في خيبة بعد خيبة ، وخسارة بعد خسارة ، حتى يأتي الحق الذي يدمغه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصَفُونَ ﴾ [الأنبياء/ ١٨] .

• واعلم أن الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأكرمه بأحسن دين ، ووعد به بأحسن ثواب : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ٤ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ ٥ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ٦ ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴾ ٧ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٨ [التين/ ٤-٨] .

أعطى الله الإنسان العقل ليعرف به أعظم شيء ، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه ووعدته ووعدته ، ليوحد ربه ، ويعبده وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

وأعطاه السمع ليسمع به أحسن شيء ، وهو سماع القرآن والعلم المذكور في القرآن والسنة ، ليعرف ربه ، ويعبده على بصيرة : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ١٧ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ١٨ [الزمر/ ١٧-١٨] .

وأعطاه البصر لينظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، ليعرف ربه ويكبره ، ويحبه ويحمده ويطيعه ويعبده : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

وأعطاه اللسان ليتكلم بأحسن شيء ، فيتكلم مع ربه فيذكره ويكبره ، ويحمده ويشكره ، ويدعوه ويسأله ، ويتوب إليه ويستغفره ، ويتكلم به مع خلقه فيدعوهم إلى الله ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويعلمهم شرع الله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ٧٨].

واعطاه الدين الذي يسعد به في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر / ١-٣].

• واعلم أن الحاجات التي تخدم الجسد نتعلمها في أي مكان حتى من الكفار كأنواع التجارة والصناعة والزراعة والطب وغيرها .

أما مقصد حياة الإنسان ، وماذا يريد الله من الإنسان ؟ كيف يهتدي الإنسان ؟ كيف يستقيم ؟ من يعبد ؟ فهذا نتعلمه من الوحي الإلهي من القرآن والسنة فقط : ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَحْدُ وَيَذْكُرُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

ومن رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة / ٢].

• واعلم أن الله سبحانه له الخلق والأمر كله .

وأوامر الله ﷻ قسمان :

الأول : أوامر ملكية كونية موجهة من الله إلى جميع الخلق ، وهي ثلاثة أقسام :

أوامر الخلق والإيجاد .. أوامر البقاء والإمساك .. أوامر التصريف والتدبير : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وبيده سبحانه تدبير الملك والملكوت : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦].

الثاني : أوامر ملكية شرعية موجهة من الله إلى الثقلين الإنس والجن ، وهي الدين الحق الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهي أعظم نعم الله على عباده : ﴿ وَأَعَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا^٤ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

وهذه الأوامر الشرعية خمسة أنواع هي:

أوامر التوحيد والإيمان .. وأوامر العبادات .. وأوامر المعاملات .. وأوامر المعاشرات ..
وأوامر الأخلاق: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٣].

فسبحان الملك الحق الذي بيده جميع الأوامر الكونية، وجميع الأوامر الشرعية، وجميع الأوامر الجزائية: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

● واعلم أن العبودية لله شرف لكل إنسان ، وحقيقة العبودية أن أحب كل ما يحبه الله وأفعله ابتغاء مرضاته، وأكره كل ما يبغضه الله وأتركه ابتغاء مرضاته: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].
وعبادة الله لا تنفك عن العبد أبداً ما دام حياً .

فهو في نيته وفكره عبد ، وهو في أقواله وأفعاله عبد ، وهو بين يدي الله عبد ، وهو بين يدي خلقه عبد ، وهو داخل المسجد وخارجه عبد: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

والعبودية التي يريدتها الله أن تمثل أمر الله في كل حال ، وكثير من الناس يكون عبداً لله داخل الصلاة ، ويكون عبداً لهواه خارج الصلاة ، يقول ما يشاء ، ويفعل ما يشاء ، ويرى ما يشاء ، ويسمع ما يشاء ، ويأخذ ما يشاء ، ويأكل ويشرب ما يشاء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

والعبودية حقاً أن تكون عبداً لله داخل الصلاة ، وخارج الصلاة ، على حد سواء: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران/ ١٦١].

وَسُكِّي وَحَيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِذْ لَكَ أَمْرٌ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

● واعلم أن الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وخلق فيه مخلوقات عظيمة ، وآيات عجيبة ، وجعله مركباً من ثلاثة أشياء :

جسد غذاؤه الطعام والشراب .. وعقل غذاؤه العلم والمعرفة .. وقلب غذاؤه الموعظة والذكر : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ [الذاريات / ٢١].

فالقلب محل التوحيد والإيمان ، وأنية الحب والبغض ، ومكان التقوى والفجور . وخلق الله في الإنسان ملكات وطاقات وجوارح ، ليعرف ربه بها ، ويعبده بموجبها . فجسد الإنسان علبة أو مركبة أو سيارة فيها مخلوقان عظيمان : هما النفس والروح :

فالنفس شهوانية أرضية ، والروح عاقلة علوية ، والروح لها محبوبات ، والنفس لها محبوبات ، والجسد مطية للغالب منهما ، وهو مركبها إلى الجنة أو النار : ﴿ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ﴿٥٧﴾ [الحج / ٥٦-٥٧].

ومحبوبات النفس : المطعومات ، والملبوسات ، والمراكب والمسكن والمناخ . ومحبوبات الروح : الإيمانيات، والعبادات ، وأحسن المعاملات والمعاشرات والأخلاق . فمحبوبات النفس خمس ، ومحبوبات الروح خمس ، والجسد مركب لهما .

وقد ابتلى الله كل إنسان بهذه وهذه ، لينظر من يقدم أوامر ربه على شهوات نفسه : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ ﴿٣﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

وقد ملأ الله الدنيا بمحباته هو ، من أنواع الطاعات والعبادات القولية والفعالية ، والظاهرة والخفية ، ورتب على فعلها الأجور العظيمة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

وملأ سبحانه الآخرة بمحبات العبد إن آمن وأطاع الله ورسوله ، وهياً له في الجنة من النعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

[البقرة/ ٢٥].

● واعلم أن الخلاق العليم خلق المخلوقات على أربعة أنواع :

الأول : مخلوقات لها عقول بلا شهوات ، وهم الملائكة .

الثاني : مخلوقات لها شهوات بلا عقول ، وهم الحيوانات .

الثالث : مخلوقات لها عقول وشهوات ، وهم الإنس والجن .

الرابع : مخلوقات لا عقول لها ولا شهوات ، وهم عالم الجماد والنبات .

والكل يسبح بحمد ربه ، ويشهد بواحدانيته ، ويسكن في ملكه ، ويعبد ربه : ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ حَقَّ عَلَيْهِ الْأَرْضِ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

فمن سما بعقله من البشر على شهواته صار فوق الملائكة : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٤﴾ [الأنفال/ ٧٤].

ومن غلبت شهواته على عقله صار دون الحيوان : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَادَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

والمطلوب شرعاً أن يأخذ الإنسان من الشهوات بقدر الحاجة ، ويؤمن بالله ، ويعمل الصالحات بقدر الطاقة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [البقرة/ ١٧٣].

● واعلم أن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ، فمن آمن باليوم الآخر استعد له ، وعلم أنه سوف يُسأل فيه ، وسوف يُجازى فيه ، ويُكرم أو يهان فيه .

فالدينا دار تكليف ، والآخرة دار تشریف ، والدينا دار الإيمان والأعمال ، والآخرة دار الشهوات أو العقوبات ، والدينا دار تكميل ما يحب الرب من الإيمان وأنواع الأعمال

الصالحة، والآخرة دارتكميل محبوبات العبد من رؤية الرب، وأنواع النعيم في الجنة :
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسِيحُ فترته مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾
[الحديد/ ٢٠-٢١].

● واعلم أيها العبد أن الابتلاءات والمصائب هدايا لك من ربك الكريم ، تحمل تفاصيل أنواع صبرك إلى ربك ، وتكفر سيئاتك ، وترفع درجاتك ، وتربي ذاتك ، وتجعل الصابر في معية الله ، فائزاً بمحبة الله : ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].
وأنواع النعم التي ساقها الله إليك هدايا لك من ربك الكريم، تحمل تفاصيل أنواع شركك إلى ربك ، وتذكرك بربك الكريم ، وتجعلك تزيد في طاعته ، وتستحي من معصيته ، وتكثر من ذكره ، وحمده ، وشكره ، لتفوز بمحبته : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].
ومن عرف ربه بهذا وهذا ذكره وشكره : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾
[البقرة/ ١٥٢].

ومن علم حكمة النعم والمصائب، وعمل بموجب هذا العلم، فقد دخل جنة المعرفة في الدنيا، ثم دخل جنة الفردوس في الآخرة: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن/ ٤٦].
● واعلم أن الله عز وجل حكيم عليم لا يأمر العبد إلا بما ينفعه ، ولا ينهيه إلا عما يضره ، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه ، فكل الطاعات كالأغذية النافعة ، وكل المعاصي كالسموم المهلكة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠].

ومن جهل الإنسان أنه يعصي ربه بنعمه، وهو يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه : ﴿يَتَأْتِيهَا

الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
[الانفطار / ٦-٨].

وخطر الذنب على العبد عظيم ، والإصرار على الذنب ذنب آخر أعظم من الأول بكثير ، والفرح بالذنب ذنب ثالث أكبر ، وفعل الذنب بين الناس ذنب رابع أكبر ، وإخفاء الذنب عن الناس ومجاهرة الله به في خلواته ذنب خامس أكبر ، فليستغفر العبد من جهله بربه وظلمه لنفسه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة / ٧٤].

ومن وصل إلى هذه الدرجات من المعاصي فقد مات قلبه، ونسي ربه، وجره الشيطان بهذه المعاصي إلى جهنم: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر / ٦].

● واعلم أن الله سبحانه هو الملك القادر على كل شيء ، ومن سنة الله في خلقه السلب والعتاء ، فالله ﷻ لا يسلب الأعداء نعمة إلا وقد هيا لها من أوليائه من يعطيها إياه .

فسلب الله ملك فرعون ، وأعطاه لموسى ﷺ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُؤَيِّدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهُمَّنَّ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص / ٤-٦].

وسلب سلطة قريش ، وأعطاها لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح / ١-٣].

وسلب ملك فارس والروم ، وسلمه للصحابة رضي الله عنهم: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور / ٥٥].

● واعلم أيها الإنسان أن من أعظم المستحيل أن تطيع الله وتخسر ، كما أنه من أعظم المستحيل أن تعصي الله وتربح: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣٧﴾ [العصر / ١-٣].

فالمؤمن صحت رؤيته ، ثم صح عمله ، ثم سعد في الدنيا والآخرة .

والكافر فسدت رؤيته ، ثم فسد عمله ، ثم شقي في الدنيا والآخرة : ﴿فَمَنْ يَبْعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[البقرة / ٣٨-٣٩].

● واعلم أن الله سبحانه خص الإنسان بملكات كثيرة .

ففي دماغ الإنسان ملكات كثيرة :

ملكة العقل .. ملكة التصور .. ملكة التخيل .. ملكة التفكير .. ملكة الحفظ .. ملكة الذكاء ..

ملكة التذكر .. ملكة التخيل .

وفي قلب الإنسان ملكات كثيرة :

ملكة الحب والبغض .. ملكة اللين والشدة .. ملكة العفو والانتقام .. ملكة الرحمة

والقسوة .. ملكة الإيمان والكفر .. ملكة الطاعة والمعصية .

وفي بدن الإنسان طاقات كثيرة :

الطاقة البدنية .. الطاقة السمعية .. الطاقة البصرية .. الطاقة الحسية .. الطاقة الذوقية

.. الطاقة الجنسية .. الطاقة التناسلية : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات / ٢١].

فالمؤمن استعمل هذه الملكات والطاقات في معرفة ربه ، وفعل ما يحبه الله ويرضاه ،

فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٤١﴾

[فصلت / ٣٠-٣١].

والكافر استعمل هذه الملكات والطاقات وفق هواه ، وفعل ما يبغضه الله ويكرهه من أنواع

الشرك والشهوات والمحرمات فشقي في الدنيا والآخرة : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

الْحَيْنِ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ

كَأَلْتَعْمَرُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩].

● واعلم أن الإنسان سيد ، وكل ما سوى الله خادم له ، وعمر الخادم في الدنيا من سماء

وأرض وما فيهما أطول من عمر الإنسان ، لأن عمر الإنسان الحقيقي في الآخرة ، في دار الخلود ، في الجنة أو النار : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

والإنسان وكل حي يموت في الدنيا، ليعلم الناس الحي الذي يموت من الحي الذي لا يموت وهو رب العالمين: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

● واعلم أن الأشجار زينتها بالأوراق والأزهار والثمار ، وكذلك زينة الإنسان بالإيمان ولباس التقوى ، وإذا تعرت الأشجار من الأوراق والثمار ، كانت حطباً للنار في الدنيا ، وكذلك إذا تعرى الإنسان من الدين في الدنيا ، كان حطباً لنار جهنم في الآخرة : ﴿ يَبْنِي عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّفُوسِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

وقال الله سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمْ الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَكْذِبُونَ ﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

وإذا سار الإنسان على الصراط المستقيم في الدنيا ، سار على الصراط المستقيم في الآخرة إلى الجنة ، ومن سار على الصراط المعوج في الدنيا هوى به في نار جهنم في الآخرة : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِءَ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِءَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

● واعلم أن البشرية كانت تعيش قبل بعثة النبي ﷺ في همجية وجاهليات أربع :
حكم الجاهلية .. حمية الجاهلية .. ظن الجاهلية .. تبرج الجاهلية .
وبعد بعثة النبي ﷺ أخرج الله البشرية من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام ، وأكرمهم الله بسبع كرامات :

بالتوحيد بعد الشرك ، وبالإيمان بعد الكفر ، وبالعلم بعد الجهل ، وبالوحدة بعد الفرقة ، وبالمحبة بعد العداوة، وبالعدل والإحسان بعد الظلم والطغيان ، وجعلهم خير القرون

بعد أن كانوا شر القرون ، ومقتضى هذا التكريم العظيم من رب العالمين أن يوحده ،
 ويذكروه ، ويعبدوه : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾
 وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران / ١٠٢ - ١٠٣].

وهذه الجاهلية موجودة في العالم إلى قيام الساعة ، فلا بد من دعوة الخلق ليخرجوا من
 ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ
 الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١١٠].

● واعلم أن الدين كله يقوم على أصلين :

عبادة الحق سبحانه .. والإحسان إلى الخلق .

والناس في ذلك أربع درجات :

فبعض الناس قوي في عبادة الحق، قوي في محاسنة الخلق ، وهؤلاء أكملهم ، وأفضلهم ،
 وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل والصديقون : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
 وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا
 فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء / ٣٦].

وبعض الناس قوي في عبادة الحق ، ضعيف في محاسنة الخلق ، وهذا دونه .

وبعض الناس ضعيف في عبادة الحق ، قوي في محاسنة الخلق ، وهذا دونه .

وبعض الناس ضعيف في عبادة الحق ، ضعيف في محاسنة الخلق ، وهذا أرداد الأقسام :

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ [الأنعام / ١٣٢].

فكن من السابقين إلى الخيرات تنال رضا الله، وترقى إلى أعلى الدرجات : ﴿وَالسَّابِقُونَ
 الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة / ١٠٠].

● واعلم أن أبواب الدنيا مفتوحة لكل من عنده الملك والمال ، وأبواب الجنة مفتوحة

لكل من جاء بالإيمان والأعمال الصالحة ، وأبواب النار مفتوحة لكل من جاء بالكفر والأعمال السيئة: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر / ٧١-٧٤].

فاجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه أبداً ، واجعل شركك لمن لا تنقطع نعمه عنك أبداً ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه أبداً ، واجعل حبك لمن إحسانه لا يفارقك أبداً ، واجعل عبادتك لمن أنت في رحمته أبداً: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

● واعلم أن الله ﷻ خلق كل شيء لحكمة ومصالحة ، فخلق العقل في الإنسان ليعرف به ربه ويكبره ويحمده ويعبده ، ويعقل الإنسان عما يشقيه ويضره ، ويعقل فكره أن يفكر فيما لا يحبه الله ولا يرضاه ، ويعقل الجوارح أن تفعل ما يخالف شرع الله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف / ٢].

وأعقل الناس من عرف ربه بأسمائه وصفاته ، وعرفه بآياته ومخلوقاته ، وعرف أسرار الله في خلقه ، وعرف أسرار الله في أحكامه ، وعرف أخبار ربه وأحكامه ، وعمل بموجب ذلك : ﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩].

فهذا هو العالم الرباني الذي يخشى الله ويتقيه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر / ٢٨].

فهذا العالم الرباني دائماً بين يدي ربه عابداً: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَانَاءُ إِنِّي لَهُ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر / ٩].

وبين يدي خلق الله داعياً ومعلماً ومحسناً: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

● واعلم أن كل من نفع البشرية من الكفار كالأطباء والمخترعين والمكتشفين والمحسنين، فهؤلاء عملوا للإنسانية، ولم يكن الله في بالهم، فأعطتهم البشرية أجرهم، فعلاً مقامهم بينهم، ويُجزون في الدنيا بالعافية وكثرة المال والولد ونحوها من النعم، وليس لهؤلاء حظ في الآخرة إن لم يؤمنوا بالله الذي خلقهم، فهم كمن أحسن إلى الناس، وعق أباه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٩) [النور / ٣٩].

فكل عمل ولو كان حسناً لم يبين على الإيمان بالله فلا ثواب له يوم القيامة: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢٠) [الشورى / ٢٠].

● واعلم أن الله وحده هو الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، العليم بكل شيء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه.

خص بالنبوة من شاء من عباده؛ لأنه أعلم حيث يجعل رسالته.

وقسم الأرزاق بين عباده، ولم يفوض إليهم معاشهم في الدنيا.

فجعل هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا قوياً، وهذا ضعيفاً، وهذا عالماً، وهذا جاهلاً، وهذا وجيهاً، وهذا ضيعاً، وهذا مخدوماً، وهذا خادماً، وهذا حاكماً، وهذا محكوماً، ودعا كل واحد إلى الإيمان والتقوى ومعالي الأمور لبيتلي كل واحد بالآخر، ولتتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣١) أَهْرُ يَقْسَمُونَ رَحْمَتُ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف / ٣١-٣٢].

فهذا فقير مع كونه قادراً على العمل، وهذا ضعيف عني لكنه لا يستطيع العمل، ليؤجر الضعيف الغني الفقير القوي، لينتفع القوي بدراهم الضعيف، وينتفع الضعيف بعمل

القوي ، لتنتظم المعيشة لكل منهما: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام / ١٦٥].
 • واعلم أن الناس فريقان:

جنود الرحمن .. و جنود الشيطان .

فجند الرحمن مجالسهم مجالس الإيمان والأعمال الصالحة ، وتحضر معهم الملائكة ، وصفات جند الرحمن أربع كما قال سبحانه: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر / ١-٣].

وجند الشيطان مجالسهم مجالس الغفلة والشهوات والمعاصي، وتحضر معهم الشياطين، وجميع أهل الغفلة والمعاصي أسرى للشياطين الذين يتحكمون في أفكارهم ، وأوقاتهم، وأموالهم، وأعمالهم؛ لأنهم سلموا أنفسهم لهم، فأوقعوهم في الخسران: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينٌ ۝٣٨ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩ ﴾ [الزخرف / ٣٦-٣٩].

ومن لم يكن من جند الرحمن ، فهو من جند الشيطان: ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝٣٨ ﴾ [النساء / ٣٨].

• واعلم أن أعظم مواطن الوحشة ثلاثة ، فأوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن :
 يوم يولد، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه من الأمن والطمأنينة .
 ويوم يموت، فيرى قومًا لم يكن عاينهم .

ويوم يُبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم مخيف .

ولهذا قال عيسى ﷺ ما ذكره الله عنه: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتِي وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا ۝٣٣ ﴾ [مريم / ٣٣].

وأعظم وحشة الكافر حين يبعث ، فيرى يوم القيامة أعماله السيئة ، ويأخذ كتابه بشماله ، ويرى جهنم التي فيها قراره ، ويندم حين لا ينفع الندم: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٣٧ يُنَوَّلَتْنِي لِيَتَّبِعَنِي لَمْ أَخْذْ فَلَانَا حَلِيلًا ۝٣٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٣٩ ﴾ [الفرقان / ٢٧-٢٩].

● واحذر أيها العبد من المعاصي ، ولا تأمن أن تطرد من رحمة الله بسببها .

فقد لعن الله إبليس بسبب ترك سجدة واحدة أمره الله بها : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وأخرج آدم ﷺ من الجنة بلقمة تناولها وقد نهاه الله عنها : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣٥] فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة/ ٣٥-٣٦].

فالعقوبة الأولى بترك أمر ، والثانية بفعل نهي : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور/ ٦٣].

● واعلم أن الله حكيم عليم في خلقه وأمره وفعله ، وكل ما يجريه على الخلق من النعم والمصائب في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان ، فأفاض عليهم النعم ليذكروه ويشكروه ، وابتلاهم بالمصائب ليذكروه ويستغفروه .

والمصائب التي يتلي الله بها الناس خمسة أنواع :

مصائب الكشف .. ومصائب الدفع .. ومصائب الرفع .. ومصائب الردع .. ومصائب القصم .
فالأنباء إذا ساق الله إليهم المصائب ، فلكشف ما عندهم من كمال الأخلاق ، فيبتليهم بالمصائب ، ليظهر كمال صدقهم ، وابتليهم بالسفهاء ليظهر كمال حلمهم وهكذا ، وذلك ليزيد إيمانهم ، وإيمان غيرهم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤].

والمؤمنون إذا ساق الله إليهم المصائب ، فلدفعهم إلى بابه ، أو لرفعهم إلى جنبه : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة/ ٥١].

وقال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

والكفار والمشركون إذا ساق الله إليهم المصائب ، فهي إما ردع إذا كان فيهم بقية خير لعلمهم يتوبون : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُّؤْسَسُ لَمَاءٌ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ [يونس/ ٩٨].

وإما قسم لحياتهم إذا علم الله أنه ليس فيهم بقية خير: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن
أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

فمصائب الكشف للأنبياء، ومصائب الدفع والرفع للمؤمنين، ومصائب الردع والقسم
للكفار والمشركين .

لكل مصيبة حكمة، وفي كل مصيبة منفعة فردية واجتماعية: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ [التغابن/ ١١].

وحكمة النعم والمصائب أن تتوجه القلوب إلى الله وحده حال السراء والضراء، ولا
تلتفت لأحد سواه: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

الباب الثالث

توحيد الله بأسمائه وصفاته

ويشتمل على ما يلي :

- ١ - حكم العلم بأسماء الله الحسنى
- ٢ - أسماء الله وصفاته كلها حسنى
- ٣ - تفاضل أسماء الله الحسنى
- ٤ - عدد أسماء الله الحسنى
- ٥ - اسم الله الأعظم
- ٦ - إثبات أسماء الله الحسنى
- ٧ - الأصل في إثبات أسماء الله الحسنى
- ٨ - قواعد إثبات أسماء الله الحسنى
- ٩ - أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة: وتشمل:
 - ١ - أسماء الله المطلقة الواردة في القرآن والسنة
 - ٢ - أسماء الله المقيدة الواردة في القرآن والسنة
 - ١٠ - أقسام أسماء الله الحسنى

توحيد الله بأسمائه وصفاته

١ - حكم العلم بأسماء الله الحسنى

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق، وأعظم أبواب التوحيد، وأزكى العلوم وأعلاها وأحسنها وأعظمها وأفضلها وأوجبها ؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/٩٨].

وهذا العلم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس.. وخير ما سعى في تحصيله الأكياس.. وهو عماد السير إلى الله .. والباب الأعظم لمعرفة ونيل محابه ورضاه.. وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتبه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد/١٩].

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنیان الدين وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، ومتى كان الأساس راسخاً حمل البنيان ، والأقوال والأعمال بنيان الدين ، وسقفه الأخلاق الحسنة.

وأساس كل ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وتوحيده بها ، ومتى كان الأساس قوياً حمل البنيان، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه.

وإن كان الأساس غير وثيق لم يحمل البنيان، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله. وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٦٦] [الزمر/٦٥-٦٦].

وأوثق أساس يبني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين:

معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.. وتجريد الانقياد لله ورسوله.

والقرآن كله بيان لهذا الأساس ، وترسيخ له، ودعوة إلى إتقانه ، والعمل به ، فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٥٨] [الذاريات/٥٦-٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ أن نتعلم هذا العلم الشريف ونعتني به ونعمل بمقتضاه ؛ لعظم شأنه ، وعلو

مقامه ، وكثرة بركاته وخيراته فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٣١].

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن كثيراً من أسمائه وصفاته وأفعاله ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ ليعرّف عباده بها ، ليعبدوه بموجبها ، ويدعوه بها .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إلى الله ، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه ؛ لأنها صفات الخالق العظيم ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فيجب علينا تعلم هذا العلم الشريف ؛ لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية ، وصفاته الحسنة الجميلة .

ولن تستقيم حال البشرية أبداً إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة: ﴿الْأَبْرَارَ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٦٢] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [١٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس / ٦٢-٦٤].

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين ، ومن حزبك المفلحين ، وثبتنا على الصراط المستقيم حتى نلتقاك يا أرحم الراحمين .

٢ - أسماء الله وصفاته كلها حسنى

أسماء الله وصفاته كلها حسنى ، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه ، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ طه/٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأقواله أحسن الأقوال ، وأفعاله أحسن الأفعال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع ، وكتبه أحسن الكتب ، ورسله أحسن الرسل ، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب .

وأسماء الله كلها حسنى ؛ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ .

فهي أسماء مدح وحمد وثناء ، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال ، وأسماء رحمة ولطف وإحسان :

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿الإسراء / ١١٠﴾ .

والله ﷻ لجلاله وجماله وعظمته وكبريائه وإحسانه وإنعامه لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء ، ولا

يوصف إلا بأحسن الصفات ، ولا يُحمد إلا بأحسن المحامد ، ولا يُعبد إلا بأحسن العبادات :

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿الأأنعام / ١٠٢-١٠٣﴾ .

• دلالة أسماء الله الحسنى :

أسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات ، متباينة في الدلالة على الصفات ، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه كالعظيم والكبير والعزیز والخالق والرزاق والكریم وغيرها من الأسماء الحسنى .

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله ، وتدل على صفات متعددة للرب كالخلق

والتصوير ، والعلم والقدرة ، والرزق والكرم وهكذا : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿الإسراء / ١١٠﴾ .

فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف .

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات ، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال

والجمال .

فالحى القيوم ، والسميع البصير ، والعزیز العليم وغيرها من الأسماء الحسنى ، كلها أسماء

لمسمى واحد هو الله ﷻ .

لكن للحي معنى خاص ، وللقيوم معنى خاص ، وللسميع معنى خاص .
فالحي يدل على صفة الحياة ، والسميع يدل على صفة السمع ، والعليم يدل على صفة العلم ،
والرزاق يدل على صفة الرزق وهكذا .

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة ، فهي كذلك متفاضلة في المعاني ، وفيها اسم الله
الأعظم الذي أخفاه الله ﷻ في أسمائه الحسنى ليتعبد الخلق بجميع أسمائه الحسنى ،
ويدعونه بها : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ
أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » أخرجه الترمذي وابن ماجه^(١) .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧) .

٣- تفاضل أسماء الله الحسنى

أسماء الله ﷻ كلها حسنى ، وهي بالغة في الحسن والكمال منتهاه ، متفاوتة في الحسن ، والكمال ، والجلال ، والجمال .
فمنها كامل وأكمل ، وحسن وأحسن ، وعظيم وأعظم ، منها ما يدل على اسم الله الأعظم مثل الله ، الرب ، الحي القيوم .
ومنها أسماء تدل على عدة صفات جامعة كالحي والمجيد ، والعظيم والواسع ، والصمد والغني وأمثالها .
ومنها ما يدل على صفة واحدة كالعليم والغفور ونحوهما .
ومنها ما جاء بصيغة التفضيل التي تدل على المفاضلة كالعلي والأعلى ، والكريم والأكرم ، والخالق والخالق ، والرحمن والرحيم ونحو ذلك .
وأشرف اللذات لذة العلم والمعرفة ، وأشرف العلوم العلم الإلهي ، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه ، لشرف معلومه ، وشدة الحاجة إليه : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

٤ - عدد أسماء الله الحسنی

أسماء الله الحسنی وصفاته العلی كثيرة ليس لها حصر، ولا تحد بعدد معين، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تسمى بها واتصف بها ﷻ وتقدس أسماءه.

وأسماء الله كلها حسنی، ولهذا أمرنا الله بمعرفتها والتعبد بها، ودعاء الله بها، وتوحيده بها.

وأسماء الله ﷻ من حيث العلم بها ثلاثة أقسام :

منها ما استأثر الله بعلمه، فلم يُطلع عليه أحداً من خلقه.

ومنها ما علّمه الله بعض خلقه، ولم ينزله في كتابه.

ومنها ما بيّنه الله في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ في سنته .

ولله ﷻ من الأسماء الحسنی تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها وحفظها وعمل بمقتضاها، ودعا الله بها أدخله الجنة.

وقد أحصينا بفضل الله منها في هذا المجموع المبارك مائة اسم من أسماء الله المطلقة، وأكثر من ستين اسماً من الأسماء المقيدة، ذكرناها مقرونة بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم معرفتها، وحفظها، وفهمها، والتصديق بها، ودعاء الله بها، وحسن التعبد لله بها .

١ - قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف / ١٨٠] .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لَهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفق عليه^(١).

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه - في حديث الشفاعة - أن النبي ﷺ قال: « ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي » متفق عليه^(٢).

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفرائس فالتمسته فوقت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول: « اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم^(١) .

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَا ضِيَ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا » .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « أَجَلٌ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » أخرجه أحمد^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨) .

٥ - اسم الله الأعظم

اسم الله الأعظم هو (الله) الدال على جميع الأسماء الحسنى كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [٨ / طه].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » أخرجه الترمذي وابن ماجه^(١).

وهو أكثر الأسماء وروداً في القرآن حيث ورد أكثر من ألف مرة .

وأضاف الله إليه جميع الأسماء الحسنى في كتابه العظيم كما في أواخر سورة الحشر ، وأكثر سور وآيات القرآن الكريم .

ولا يطلق اسم الله إلا على الله وحده؛ لأنه المعبود بحق وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا ، تأله الخلائق محبة وتعظيمًا ، وخوفًا ورجاءً ، وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب .

وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته ، المتضمن كمال ملكه وحمده ، وذلك متضمن

لجميع صفات الكمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [٨ / طه].

وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله) .

وصفات الفعل والخلق والقدرة ، والعطاء والمنع ، والنفع الضر ، ونفوذ المشيئة والإرادة ، أخص باسم (الرب) .

وصفات البر والإحسان ، والحنان والمنة ، واللطف والرأفة ، أخص باسم الرحمن: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

والله سبحانه خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق، واسم الله الخالق أعظم أسماء الله ظهوراً في الكون.

والخالق سبحانه مبين للمخلوق في ذاته، ومرتبته، ووجوده، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظيم نعمه وإحسانه.

أما في ذاته : فالخالق مبين للمخلوق ، فالله ﷻ خالق كل مخلوق .

وأما في المرتبة: فالخالق فاعل ، والمخلوق مفعول ، والفاعل أكمل من المفعول ، فوجب أن يكون المخلوق عبداً للخالق: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وأما في وجوده : فالخالق وجوده واجب ، فلا يجوز عليه العدم أبداً ، والمخلوق وجوده ممكن ؛ لأنه يجوز عليه العدم : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

وإذا كان الخالق مخالفاً للمخلوق في ذاته ومرتبته ووجوده ، لزم من ذلك أن يكون مخالفاً له في صفاته وأفعاله؛ لأن الاختلاف في الذات يستلزم الاختلاف في الصفات : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

٦ - إثبات أسماء الله الحسنى

أسماء الله وصفاته توقيفية، فنثبت لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو أثبتته له رسوله ﷺ في سنته، وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ في سنته.

فلا نتجاوز القرآن والحديث، ولا نقول على الله بلا علم، ولا نعمل إلا بما أنزل الله، ولا نقول على الله غير الحق: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل / ١١٦ - ١١٧) .

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة تؤمن بها كلها، ونعبده بموجبها. وأسماء ربنا أحسن الأسماء، وصفات ربنا أحسن الصفات، وصفات ربنا أوسع من أسمائه، وأفعاله أوسع من أسمائه وصفاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله كلها دالة على ذاته وجلاله وجماله.

فكل اسم من أسماء الله الحسنى نشق منه صفة له، فالله سمي نفسه (الخالق، الرزاق، المصور) ووصف نفسه بأنه يخلق ويرزق ويصور.

وليس كل صفة يؤخذ منها اسم لله ﷻ، فالله وصف نفسه أنه (يرسل وينزل ويكشف ويقلب ويشاء ويريد) ولا يُسمى (بالمرسل والمنزل والكاشف والمقلب والشائي والمريد) لأنه لم يسم به نفسه وإنما وصف به نفسه، فنصفه بذلك، ولا نسميه به.

وليس كل فعل يؤخذ منه صفة لله، فالله أخبر أنه (يمكر ويكيد ويخدع وينسى ويفتن) ونحو ذلك، فلا يوصف الله بذلك إلا مقروناً بسببه، ولا يسمى به كذلك فلا يقال (الماكر والفاتن)، بل يُقال يمكر الله بمن مكر بأوليائه، ويكيد من كاد أوليائه، ويخدع من يخادعه ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء / ١٤٢]، وينسى من نسيه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة / ٦٧]، ويُزيغ من زاغ عن الحق ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف / ٥] .

وهكذا في باقي الأفعال المماثلة لا يوصف الله بها إلا مقروناً بسببه.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد / ١٩) .

٧- الأصل في إثبات أسماء الله الحسنى

الأصل في الغيبات وأسماء الله وصفاته التوقيف ، والتصديق الجازم بكل ما ورد في القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة .

فكل ما أخبر الله ورسوله به من الأسماء الحسنى المطلقة نصدق به ، ونؤمن به ، ونتعبد لله به على أنه من الأسماء الحسنى المطلقة كالرحمن والملك والعزیز ، والخالق والرزاق والحكيم وأمثالها .

وكل ما أخبر الله ورسوله به من الأسماء الحسنى المقيدة نصدق به ، ونؤمن به ، ونتعبد لله به ، على أنه من الأسماء الحسنى المقيدة كعالم الغيب والشهادة ، وفاطر السموات والأرض ، وغافر الذنب، وقابل التوب ، وفالق الحب والنوى وأمثالها .

وما أخبر الله ورسوله به عن الله من الصفات نصدق به ، ونؤمن به ، ونتعبد لله به على أنه من صفات الله ﷻ ، مثل الرحمة والعزة والقوة والعلم وأمثالها .

وما أخبر الله ورسوله به عن الله من الأفعال نصدق به ، ونؤمن به ، ونتعبد لله به على أنه من أفعال الله ﷻ ، مثل الخلق والبعث ، والإبقاء والإنزال ونحو ذلك .

وكل اسم لم يرد في القرآن أو السنة الصحيحة فلا يسمى الله به ، وإن دل على الكمال ، وكان معناه صحيحاً ؛ لأن الأسماء الحسنى التي يُدعى الله بها هي التي وردت في القرآن والسنة الصحيحة فقط ، وكلها تقتضي المدح والثناء بنفسها ، فلا يسمى الله ﷻ بغيرها : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

إذا ثبت الاسم لله في القرآن أو السنة ، فإن كان لازماً كالواحد والأول ، نشق منه صفة فقط ، فالله واحد نصفه بالواحدانية .

وإن كان الاسم متعدياً كخالق والرحمن نشق منه صفة وفعلاً ، فالرحمن اسم لله ، نشق منه صفة الرحمة ، ونثبت الفعل لله بأنه يرحم وهكذا .

٨ - قواعد إثبات أسماء الله الحسنى

يثبت الاسم لله ﷻ إذا توفرت فيه خمسة شروط :

الأول : ثبوت الاسم بالنص ؛ لأن أسماء الله الحسنى توقيفية لا تؤخذ إلا من الوحي ، من القرآن أو السنة الثابتة ، وما لم يرد فيهما من الأسماء فليس بوحى ، حتى ولو كان معنى الاسم صحيحاً ، يدل على الكمال .

فلا يسمى الله مثلاً بالواجد والماجد ، ولا بالفضل والمنعم ، ولا بالمعز والمذل ، ولا بالنافع والضار ، ولا الأعز والحنان وأمثالها؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في القرآن ، ولم تثبت بصحيح السنة .

وواجبنا في أسماء الله الحسنى العد والإحصاء مما هو موجود في القرآن والسنة ، ثم الذكر والدعاء ، وعدم الاختراع والإنشاء كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

والمقصود بها: الأسماء الحسنى المذكورة في القرآن والسنة فقط .

الثاني : أن يكون الاسم علماً على ذات الله ، ليس فعلاً ، أو وصفاً ، فلا بد من الرجوع إلى الوحي لإحصاء الأسماء ، والنبي ﷺ دعا أمته إلى إحصاء الأسماء المنصوص عليها في القرآن والسنة ، فلا تؤخذ من غيرهما ، والإحصاء يكون من شيء معلوم كما قال ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه^(١) .

والاسم علم على ذات الله ، ويدل بالتضمن على الوصف والفعل ، والاسم غير الصفة والفعل ، فلا نشق لله أسماء من الصفات والأفعال؛ لأن الأسماء توقيفية تثبت بالنص عليها بالاسم في القرآن والسنة أو في أحدهما .

فلا يسمى الله بالخافض والرافع ، ولا الباعث والمحصي ، ولا المبدئ والمعيد ، ولا المقسط والعدل ، ولا الجليل والمغني ، ولا المعز والمذل ، ولا الباقي والرشيد ، ولا الصبور والمانع وأمثالها ولو كانت هذه الأسماء تتضمن كمالاً لله؛ لأنها لم ترد في نص من القرآن أو السنة ، وإنما اشتقت من صفات الله وأفعاله ، ولا يجوز لنا أن نشق من كل فعل اسماً لله ﷻ ، ولم يأذن الله لنا بذلك ، ولم يخولنا الله أن نسميه بما نشاء ، وإنما أمرنا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

بإحصاء أسمائه الحسنی من كتابه وسنة رسوله ﷺ ، ثم حفظها ، ودعاء الله بها كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فأمرنا ﷺ بالعد والإحصاء للأسماء ، ولم يأمرنا بالاشتقاق والإنشاء ، فاتبعوا ولا تبتدعوا ، ولا تقولوا على الله غير الحق : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف/ ٣٣].

وقد أخبرنا الله ﷻ عن أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فنسميه سبحانه بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ ، ونقف عند حد النص ، ولا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نلحد في أسماء الله وصفاته : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الثالث: الإطلاق ، فما ورد من أسماء الله مطلقاً كالمملك والحي والرحمن وأمثالها ، نؤمن به ، ونذكره مطلقاً كما ورد .

وما ورد من أسماء الله مقيداً كغافر الذنب ، وعالم الغيب ، وفاطر السموات والأرض وأمثالها ، نؤمن به ، ونذكره مقيداً كما ورد .

فالاسم المطلق لو قيدناه لا يحتمل نقصاً ، أما الاسم المقيد لو أطلقناه فإنه يوهم نقصاً ، ولأن الله أمرنا بذكره كما هدانا لا على هوانا ، فلا نطلق المقيد من أسماء الله الحسنی ، ولا نفصل المضاف منها ، لأن أسماء الله توقيفية ، نتعبد لله بها كما وردت مطلقة أو مقيدة . فلا نسمي الله بالماكر ، والكائد ، والخادع ، والغالب ، والقائم ، والفعال ، والجاعل ، والمقلب ، والمصرف ، والكاشف ، والقاتل ، والفاطر ، والمخرج ، والشديد ، والهازم ، والمجري ، والصاحب ، والخليفة ، بل نذكر هذه الأسماء مقيدة بما وردت به في القرآن والسنة الثابتة .

فنقول : الله غالب على أمره ، الله قائم على كل نفس ، الله فعال لما يريد ، الله فاطر السموات والأرض ، الله مقلب القلوب ، الله فائق الحب والنوى ، كاشف الضر ، مخرج الحي من الميت ، شديد العقاب ، شديد المحال ، جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، بديع السموات والأرض ، قيم السموات والأرض ، خير الحاكمين ، خير المنزلين ، خير الراحمين ، خير الفاصلين ، مجري السحاب ، هازم الأحزاب ، منزل الكتاب ، الصاحب في السفر ، الخليفة في الأهل وهكذا .

وكذا اسم الزارع ، والمنزل ، والمنشيء ، والماهد ، والموسع ، والكاتب ، والمبتلي وغيرها من الأسماء المقيدة لا تُذكر إلا مقيدة بما قيدها الله ورسوله به في القرآن أو السنة الثابتة .

فمن أراد أن يجمع أسماء الله الحسنى المطلقة فليحصها من القرآن والسنة الثابتة ، وهي تزيد عن مائة اسم ، و من أراد أن يجمع أسماء الله الحسنى المقيدة فليحصها من القرآن والسنة الثابتة ، وهي تزيد عن مائة اسم ، ثم يدعو الله بها كما وردت بصيغتها مطلقة أو مقيدة ، وإلا كان ممن قال على الله غير الحق ، وقال على الله ما لا علم له به : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

الرابع : دلالة الاسم على الوصف ، فأسماء الله لا تكون حسنى وهي بلا معنى ، لأن أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف ، فالعليم يدل على ذات الله ، ويدل على إثبات صفة العلم لله ، والحي يدل على ذات الله ، ويدل على إثبات صفة الحياة لله ، والخالق يدل على ذات الله ، ويدل على إثبات الخلق لله وهكذا .

فلا يسمى الله بالأسماء الجامدة التي لا مدح فيها لله ولا ثناء كاسم الدهر ، لأن الدهر مخلوق ، وهو وصف جامد لا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه ، فليس اسماً لله ، وإنما هو اسم لمدة زمان الدنيا .

وكذا لا يسمى الله بالأسماء التي هي من إضافة المخلوق إلى خالقه كبيت الله وناقته الله .
الخامس : دلالة الوصف الذي تضمنه الاسم على الكمال المطلق كاسم الملك ، فإنه يدل على كمال ملك الله ، وأن الله ملك قبل أن يخلق أحداً ، وأن كل ما سواه ملكه وعبيده .

فإذا كان الوصف عند التجرد منقسماً إلى كمال ونقص فلا بد من تقييد الاسم بموضع الكمال دون النقص ، فيكون من باب الأسماء المقيدة ، مثل اسم المرسل في قوله سبحانه : ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان/ ٥] .

واسم المبتلي في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [المؤمنون/ ٣٠] .
واسم المبرم في قوله سبحانه : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْ إِنَّا لَأَنفُسُكُمْ أَكْرَمُونَ ﴾ [الزخرف/ ٧٩] .

فتقييد هذه الأسماء وأمثالها بموضع الكمال ، لأنها تنقسم عند الإطلاق إلى ما يُمدح عليه الفاعل أو يُذم ، فتقييد بموضع الكمال فقط .

٩- أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة

١- أسماء الله المطلقة في القرآن والسنة

من أسماء الله الحسنى المطلقة التي وردت في القرآن الكريم، وثبتت في السنة الصحيحة، والتي تحققت فيها القواعد الخمس السابقة مائة اسم مع اسم الجلالة (الله).

وبيانها بأدلتها من القرآن والسنة على النحو التالي :

[٤-١] (الله ، الإله ، الحيّ ، القيوم) والدليل قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة/٢٥٥].

﴿ وَاللَّهُ كَرِيمٌ ﴾ [البقرة/١٦٣].

[٥-٦] (الرحمن الرحيم) والدليل قول الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/٢٢].

[٧-١٤] (الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر) والدليل قول الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر/٢٣].

[١٥-١٧] (الخالق ، البارئ ، المصور) والدليل قول الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/٢٤].

[١٨-١٩] (الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن) والدليل قول الله سبحانه: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/٣].

[٢٠-٢١] (السميع ، البصير) والدليل قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/١١].

[٢٢-٢٣] (الواحد ، القهار) والدليل قول الله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد/١٦].

[٢٤-٢٥] (الكبير ، المتعال) والدليل قول الله سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [٨] عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ [الرعد/٨-٩].

[٢٦-٢٧] (اللطيف ، والخبير) والدليل قول الله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١٤/الملك].

[٢٨-٢٩] (المولى ، والنصير) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [٧٨/الحج].

[٣٠-٣١] (العفو ، والقدير) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفَّوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ [١٤٩/النساء].

[٣٢-٣٣] (الحق ، والمبين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [٢٥/النور].

[٣٤-٣٥] (العلي ، والعظيم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [٢٥٥/البقرة].

[٣٦-٣٧] (الأحد ، والصمد) والدليل قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [١/الله الصمد].

[٣٨-٣٩] (الواسع ، والعليم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١١٥/البقرة].

[٤٠-٤١] (الغني ، والكريم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [٤٠/النمل].

[٤٢-٤٣] (الشكور ، والحليم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [١٧/التغابن].

[٤٤-٤٥] (الغفور ، والودود) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنْ بَطَشَ رَبِّكَ لِشَيْءٍ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴾ [١٣/وهو الغفور الودود] [١٤-١٢/البروج].

[٤٦-٤٧] (القريب ، والمجيب) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [٦١/هود].

[٤٨-٤٩] (التواب ، والحكيم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [١٠/النور].

[٥٠-٥١] (الولي ، والحميد) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [٢٨/الشورى].

[٥٢-٥٣] (الملِك ، والمقتدر) والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

[٥٤-٥٥] (القادر ، القدير) والدليل قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف/٣٣].

[٥٦-٥٧] (الرزاق، والمتين) والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/٥٨].

[٥٨] (القوي) والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود/٦٦].

[٥٩] (الخلاق) والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/٨٦].

[٦٠] (القاهر) والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/١٨].

[٦١] (المجيد) والدليل قول الله تعالى: ﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ ۖ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود/٧٣].

[٦٢] (الفتح) والدليل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سبأ/٦٦].

[٦٣] (الشاكر) والدليل قول الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء/١٤٧].

[٦٤] (الشهيد) والدليل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سبأ/٤٧].

[٦٥] (الرب) والدليل قول الله تعالى: ﴿ سَلَّمْتُ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس/٥٨].

[٦٦] (الأعلى) والدليل قول الله تعالى: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى/١].

[٦٧] (البرّ) والدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور/٢٨].

[٦٨] (الأكرم) والدليل قول الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق/٣].

[٦٩] (الغفار) والدليل قول الله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص/٦٦].

[٧٠] (الهادي) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الفرقان/ ٣١].
 [٧١] (الوهاب) والدليل قول الله تعالى: ﴿أَمْرِنَاهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ ﴿٩﴾ [ص/ ٩].

[٧٢] (الرؤوف) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [النور/ ٢٠].

[٧٣] (المقيت) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمِنَا﴾ ﴿٨٥﴾ [النساء/ ٨٥].

[٧٤] (الحسيب) والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ﴿٨٦﴾ [النساء/ ٨٦].

[٧٥] (الحاسب) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

[٧٦] (الوكيل) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران/ ١٧٣].

[٧٧] (الوارث) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الحجر/ ٢٣].

[٧٨] (الحفيظ) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ [سبا/ ٢١].

[٧٩] (المحيط) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء/ ١٢٦].

[٨٠] (المستعان) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَرَبِّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعٰنُ عَلَىٰ مَا تَصِفُوْنَ﴾ ﴿١١٢﴾ [الأنبياء/ ١١٢].

[٨١] (الحكم) والدليل قول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [الأنعام/ ١١٤].

فهذه واحد وثمانون اسمًا من أسماء الله الحسنى المطلقة أحصيناها من القرآن مقرونة بأدلتها من القرآن الكريم .

أما الأسماء المطلقة الواردة في السنة الصحيحة فهي :

[٨٢] (الوتر) والدليل: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لله تسعة وتسعون اسمًا، مَنْ حَفَظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ» متفق عليه ^(١) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

[٨٣] (الجميل) والدليل: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أخرجه مسلم^(١).

[٨٤-٨٥] (الحيي، والستير) والدليل: عن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٢).
[٨٦-٨٧] (المقدم، المؤخر) والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدُمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه^(٣).

[٨٨] (المنان) والدليل: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا - يَعْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي - فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنِّي أَسْأَلُكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٤).

[٨٩] (الديان) والدليل: عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُرْلًا بَعْهُمَا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بَعْهُمَا؟ قَالَ «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(٥).

[٩٠] (المالك) والدليل: عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلَاقِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم^(٦).

[٩١] (الشافعي) والدليل: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضاً،

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٤) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠).

(٥) حسن / أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٢)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢١٤٣).

أَوْ أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ قَالَ : «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» متفق عليه^(١).

[٩٢] (الرفيق) والدليل قول النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه^(٢).

[٩٣] (المعطي) والدليل قول النبي ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ» متفق عليه^(٣).

[٩٤] (الطيب) والدليل: عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيْهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» [المؤمنون / ٥١] أخرجه مسلم^(٤).

[٩٥] (السبوح) والدليل: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» أخرجه مسلم^(٥).

[٩٦] (السيد) والدليل: عن عبد الله بن الشخير ؓ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ» أخرجه أحمد وأبو داود^(٦).

[٩٧-٩٩] (القابض، الباسط، الرازق) والدليل: عن أنس ؓ قال: غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا: يا رسول الله لو سَعَرْتَ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٧).

[١٠٠] (النور) والدليل: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؓ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» أخرجه مسلم^(٨).

فهذه مائة اسم من أسماء الله المطلقة التي تفيد المدح والثناء والكمال بنفسها.

واحد وثمانون منها من القرآن الكريم ، وتسعة عشر من السنة الثابتة ، فله الحمد والمنة .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٥)، ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

(٦) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٦٣١٦)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٦) وهذا لفظه.

(٧) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٣٤٥١)، وأخرجه الترمذي برقم (١٣١٤).

(٨) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

٢- أسماء الله المقيدة الواردة في القرآن والسنة

أسماء الله الحسنی المقيدة التي وردت في القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، تزيد على مائة اسم ، فنذكر الله بها ، ونسمى الله بها ، كما وردت مقيدة بما قيدها الله ورسوله به فأسماء الله المقيدة في القرآن منها :

[١] (فاطر السموات والأرض) والدليل قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر/١].

[٢] (عالم الغيب والشهادة) والدليل قول الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد/٩].

[٣] (علام الغيوب) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة/٧٨].

[٤] (الأعلم بما يعمل الخلق) والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام/١١٧].

[٥] (فالق الحب والنوى) والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام/٩٥].

[٦] (بديع السموات والأرض) والدليل قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة/١١٧].

[٧] (أرحم الراحمين) والدليل قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف/٩٢].

[٨] (أحكم الحاكمين) والدليل قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين/٨].

[٩] (أسرع الحاسبين) والدليل قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۗ لَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام/٦٢].

[١٠] (أشد بأسًا وتنكيلًا بأعدائه) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء/٨٤].

[١١] (بالغ أمره) والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق/٣].

[١٢] (أهل التقوى ، وأهل المغفرة) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفِرَةِ ﴾ ﴿٥٦﴾ [المدثر/٥٦].

[١٣] (جامع الناس) والدليل قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران/٩].

[١٤] (خادع المنافقين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء/١٤٢].

[١٥] (خير الغافرين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ أَنْتَ وَلَيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف/١٥٥].

[١٦] (خير الفاتحين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف/٨٩].

[١٧] (خير الفاصلين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾ [الأنعام/٥٧].

[١٨] (خير الماكرين بالمنافقين والكافرين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [آل عمران/٥٤].

[١٩] (خير المنزلين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ [المؤمنون/٢٩].

[٢٠] (خير الناصرين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران/١٥٠].

[٢١] (جاعل الملائكة رسلاً) والدليل قول الله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ [فاطر/١].

[٢٢-٢٥] (غافر الذنب ، قابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول) والدليل قول الله تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾ ﴿٣﴾ [غافر/٣].

[٢٦] (ذو الجلال والإكرام) والدليل قول الله تعالى : ﴿ نَبِّرُكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ﴿٧٨﴾ [الرحمن/٧٨].

[٢٧] (ذو العرش) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿١٢﴾ [إنه، هو يبدئ ويعد] ﴿١٣﴾

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ [المعارج / ١٢-١٥].

[٢٨] (ذو الفضل العظيم) والدليل قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

[٢٩] (ذو المعارج) والدليل قول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ [المعارج / ١-٣].

[٣٠] (رفيع الدرجات) والدليل قول الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ [غافر / ١٤-١٥].

[٣١] (سريع الحساب) والدليل قول الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ [إبراهيم / ٥١].

[٣٢] (القائم على كل نفس) والدليل قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٣﴾ [الرعد / ٣٣].

[٣٣] (شديد المحال) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ [الرعد / ١٣].

[٣٤] (الفعال لما يريد) والدليل قول الله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ [البروج / ١٥-١٦].

[٣٥] (كاشف العذاب) والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ [الدخان / ١٥].

[٣٦] (كاشف الضر) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ [الأنعام / ١٧].

[٣٧] (الغالب على أمره) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف / ٢١].

[٣٨] (مبرم الأمر) والدليل قول الله تعالى: ﴿أَمْ أَمْرُؤُا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ ﴿٧٩﴾ [الزخرف / ٧٩].

[٣٩] (ماهد الأرض) والدليل قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ [الذاريات / ٤٨].

[٤٠] (مبتلي العباد) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾
[المؤمنون/٣٠].

[٤١] (محيي الموتى) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَائِدُنَهُ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٣٩﴾ [فصلت/٣٩].

[٤٢] (مخرج الميت من الحي) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْفَأَنِّ يُؤَفِّكُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾ [الأنعام/٩٥].

[٤٣] (فالق الإصباح) والدليل قول الله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأنعام/٩٦].

[٤٤] (مرسل النبيين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ [القصص/٤٥].

[٤٥] (المستمع لعباده) والدليل قول الله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ [الشعراء/١٥].

[٤٦] (موسع السماء) والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [الذاريات/٤٧].

[٤٧-٤٨] (ذو مغفرة ، وذو عقاب أليم) والدليل قول الله تعالى : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٤٣﴾ [فصلت/٤٣].

[٤٩] (المنتقم من المجرمين) والدليل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾ [السجدة/٢٢].

[٥٠] (كاتب سعي العباد) والدليل قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبٌ ﴾ ﴿٩٤﴾ [الأنبياء/٩٤].

فهذه خمسون اسماً من الأسماء المقيدة والثابتة في السنة فمنها :
وأما أسماء الله الحسنی المقيدة والثابتة في السنة فمنها :

[١] (قيم السموات والأرض) والدليل قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ » متفق عليه^(١).

[٢] (قيام السموات والأرض) والدليل قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ « متفق عليه^(١) .
[٣] (مقلب القلوب) والدليل قول النبي ﷺ : « يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » .
أخرجه أحمد والترمذي^(٢) .

[٤] (مصرف القلوب) والدليل قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا
عَلَى طَاعَتِكَ » أخرجه مسلم^(٣) .

[٥-٧] (منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب) والدليل قول النبي ﷺ :
« اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، وَمَجْرِي السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، أَهْزِمُهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ » متفق عليه^(٤) .
[٨-٩] (الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل) والدليل قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ
الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ » أخرجه مسلم^(٥) .

[١٠] (مذهب البأس) والدليل قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، مُذْهِبَ الْبَاسِ ،
اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ اشْفِهِ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » أخرجه أحمد وأبو داود^(٦) .

[١١] (صانع ما شاء) والدليل قول النبي ﷺ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ
شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمَ فِي الدُّعَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعُ مَا شَاءَ لَا مُكْرَهَ لَهُ »
أخرجه مسلم^(٧) .

[١٢] (أغنى الشركاء عن الشرك) والدليل قول النبي ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى
الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » أخرجه مسلم^(٨) .
وقد أحصينا خمسين اسماً من أسماء الله الحسنى المقيدة في القرآن ، واثنى عشر اسماً من
أسماء الله المقيدة الثابتة في السنة النبوية ، فيكون المجموع اثنى وستين اسماً .
وتركنا بقية الأسماء المقيدة في القرآن والسنة خشية الإطالة .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم برقم (٧٦٩) واللفظ له.

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٦٦)، ومسلم برقم (١٧٤٢)، واللفظ له.

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

(٦) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٢١٢٣)، وأخرجه أبو داود برقم (٣٨٩٠).

(٧) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٨).

١٠ - أقسام أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، لها أقسام كثيرة، وهذه أهمها:

• أسماء الله ﷻ كلها حسنى ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول: الأسماء الدالة على غاية الكمال والجلال والجمال ، والتي لا نقص فيها أبداً بوجه من الوجوه كالحى والقدير والسميع والبصير ، والخالق والرزاق وأمثالها .

فهذه يسمى الله بها ، ويوصف بها ، وأكثرها مذكور في القرآن .

الثاني: الأسماء الدالة على كمال ، لكن مع احتمال نقص بالتقدير مثل المتكلم ، الفعال ، الجاعل ، الكاتب ، المنزل ، الباعث ، المرید وأمثالها من الصفات .

فهذه الأسماء لا يسمى الله بها ، لكن يخبر عنه بها مما ورد في القرآن والسنة ، فيقال : الله فعال ، الله يريد ، الله يبعث ، من باب الإخبار عن الله ، لا من باب التسمية به؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء .

الثالث: الأسماء التي تحتمل كمالاً ونقصاً مثل المكر والكيد والخداع والاستهزاء .

فهذه وأمثالها لا تطلق على الله مطلقاً ، وإنما تذكر مقيدة بما وردت به ، فلا نقول الله ماكر أو كائد أو خادع .

وإنما نقول: الله ماكر بمن يمكر ، كائد بمن يكيد وهكذا؛ لأن المكر والكيد والخداع ينقسم إلى ما هو محمود وما هو مذموم .

أما الأسماء التي هي نقص محض مثل العمى والصمم والعجز وأمثالها .

فهذه لا يسمى الله بها ولا يوصف ، لأنها نقص محض ، فلا تطلق على الله أبداً ، لا إسماء ولا صفة ولا خبراً ، لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة كلها أعلام وأوصاف ، فكلها تدل على الذات ، وكل اسم يدل على صفة لله كالعليم والكريم ، والسميع والبصير وأمثالها .

أما أسماء غير الله ﷻ فهي أعلام فقط ، إلا أسماء الأنبياء والرسل ، والقرآن والملائكة ، فهي أعلام وأوصاف .

أما أسماء البشر فهي أعلام مجردة ، فقد يسمى الإنسان كريماً وهو من أبخل الناس ، أو يسمى حليماً وهو من أسفه الناس وهكذا .

• أسماء الله الحسنی من حيث دلالتها على الصفات أربعة أقسام :

الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب ﷻ .

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة .

ومن هذه الأسماء : الحي القيوم .. السميع البصير .. العليم الخبير .. القوي العزيز .. العلي الكبير .. وأمثالها .

الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة ، إن شاء الله فعَلها وإن لم يشأ لم يفعلها .

ومن هذه الأسماء : الخالق ، الرزاق ، التواب ، العفو ، الغفور ، الرحيم .. وأمثالها .

فالخالق يخلق إذا شاء ، ويكرم إذا شاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويرحم

من يشاء ويغفر لمن يشاء : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ [الفتح / ١٤] .

الثالث : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته .

ومن هذه الأسماء : القدوس ، السلام ، السبوح .. وأمثالها .

فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص

والعيوب ، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله ، المنزه عن الضد والند ،

والكفو والمثل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١] .

الرابع : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب ﷻ .

ومن هذه الأسماء : العظيم ، الحميد ، المجيد ، الملك ، الصمد .. وأمثالها .

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والحميد يدل على كثرة

حمده ، وكثرة الحامدين له ، وكثرة ما يُحمد عليه .

والمجيد يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه ، وتفرد

بالجلال والجمال والكمال .. وهكذا .

• أسماء الله الحسنی من حيث دلالتها قسمان :

الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية لازمة .

وهي كل اسم لا يتعدى أثره فاعله، ولا يجاوزه إلى المفعول به.
ومن هذه الأسماء:

الواحد، الأحد، العلي، العظيم، الكبير، الوتر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن وأمثالها.
فما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن أمرين:

ثبوت ذلك الاسم لله ﷻ .. وثبوت الصفة التي تضمنها.

فالواحد مثلاً يتضمن إثبات الواحد اسماً لله، وإثبات الوجدانية صفة له، والعظيم يتضمن إثبات العظيم اسماً لله، وإثبات العظمة صفة له .. وهكذا في بقية الأسماء.

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية متعددة من الخالق إلى المخلوق، ومن الفاعل إلى المفعول، ومن المملك إلى المملوك.

ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، المصور، العفو، الغفور، الكريم، الرحيم، التواب، الرزاق، السميع، البصير، الرب، الفتاح، اللطيف .. وأمثالها.

وما كان من هذه الأسماء فإنه يتضمن ثلاثة أمور:

ثبوت ذلك الاسم لله .. ثبوت الصفة التي تضمنها .. ثبوت حكمها ومقتضاها.

فالرحيم مثلاً يتضمن إثبات الرحيم اسماً لله ﷻ، وإثبات الرحمة صفة له، وإثبات مقتضاه وهو أن الله يرحم من يشاء .. وهكذا في بقية الأسماء من هذا النوع.

• أسماء الله الحسنی من حيث معانيها ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووجدانيته مثل:

الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنی.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة مثل:

الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم والمؤخر وأمثالها.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد مثل:

الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البرّ، المقيت، وأمثالها.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة مثل:

السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحييط وأمثالها.

الخامس : الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة مثل :

الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرؤوف ، الحليم ، الحميد ، الشكور ، الودود ، الولي ، النصير ،
القريب ، المجيب ، العفو ، الغفور ، التواب وأمثالها .

السادس : الأسماء الدالة على الهداية والبيان مثل :

الهادي ، المبين ، الوكيل ، الكفيل وأمثالها .

وجميع أسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات ، متعددة المعاني والصفات : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

• أسماء الله وصفاته من حيث وصف الله بها أربعة أقسام :

الأول : ما هو كمال على الإطلاق ، فهذا يسمى الله به ويوصف ، وهو جميع أسماء الله
الحسنى الواردة في القرآن والسنة مثل :

الله ، الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير ، الغني ، الغفور ، الكريم ، الحكيم ، الحليم ،
العليم ، القدير ، وأمثالها .

الثاني : ما هو صفة كمال ، لكن قد ينتج عنه نقص .

فهذا يوصف الله به كما ورد في القرآن ولا يسمى به مثل : (المرید، المتكلم، الشائي)
فيوصف الله بأنه يتكلم ، ويريد ، ويشاء على سبيل الإطلاق ، ولا يسمى بذلك ؛ لأن الكلام
والإرادة والمشية قد تكون بخير أو بشر ، بصدق أو كذب ، بعدل أو بظلم ، بحق أو بباطل .

الثالث : ما لا يكون كمالاً عند الإطلاق ، ولكن هو كمال عند التقييد .

فهذا لا يسمى الله به ، لكن يوصف الله به مقيداً كما ورد في القرآن مثل :

الخداع ، والاستهزاء ، والمكر ، والكيد ، والانتقام ، فلا نسمي الله به ، فنقول : الله ماكر
مخادع على سبيل الإطلاق ، لكن نَصِفُه به مقيداً كما ورد فنقول : الله يمكر بمن يمكر به
وبرسوله ، ويخادع من يخادعه ورسوله ، ويستهزئ بمن يستهزئ به ورسوله وأوليائه وهكذا .

الرابع : ما يتضمن النقص على سبيل الإطلاق .

وهذا لا يسمى الله به أبداً ، ولا يوصف به أبداً ، مثل :

الخائن ، العاجز ، الضعيف ، الأعور ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فلا
يجوز أن يوصف الله بصفة عيب أو نقص مطلقاً : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

• أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته :

الإيمان بأسماء الله وصفاته له ثلاثة أركان:

الأول : تنزيه خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال.

الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من الأسماء والصفات.

الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله.

فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

• حكم التسمي بأسماء الله الحسنی :

أسماء الله الحسنی مختصة به وحده لا شريك له ، فله سبحانه الكمال المطلق في ذاته

وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلا شريك له ، ولا سَمِيَّ له ، ولا مثل له ، ولا شبيه له ، هو الملك

الذي ليس كمثل أحد في الملك ، هو القادر الذي ليس كمثل أحد في القدرة : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فهو الواحد الأحد الذي ليس كمثل أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

أما تسمية البشر بأسماء الله فعلى وجهين :

الأول: ما كان من أسماء الله عِلْمًا مختصاً به مثل اسم الله، الخالق، البارئ، المصور،

القيوم، الرحمن .. وأمثالها.

فهذه لا يجوز تسمية غيره بها ؛ لأن مسماها خاص بالله لا يقبل الشركة، فلا يجوز إطلاقه إلا على

الله وحده لا شريك له.

الثاني: ما كان من الأسماء الحسنی له معنى كلي يتفاوت الحكم فيه بين أفراده كالمملك،

والعزیز، والعلي، والكبير، والرحيم، والكریم، والحكيم، والسميع، والبصير .. وأمثالها.

فهذه الأسماء وأمثالها تُطلق على الخالق وعلى المخلوق، ولكل حُكْمه ومعناه، فيجوز التسمي

به ، ولا يلزم من ذلك التماثل ، فالله هو العزيز الأعلى ، والمخلوق عزيز أدنى وهكذا .

فما يضاف إلى الخالق منها يليق بعظمته وجلاله، وما يضاف إلى المخلوق منها يليق

بالمخلوق وضعفه ونقصه كما هو مذكور في القرآن.

• أقسام صفات الرب ﷻ :

تنقسم صفات الله ﷻ إلى قسمين :

الأول: الصفات الثبوتية : وهي كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الجلال والجمال كالعلم والقدرة ، والكرم والرحمة .

الثاني : الصفات المنفية : وهي كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص كالنوم والغفلة ونحوها .

وصفات الله الثبوتية تنقسم إلى قسمين :

الأول : صفات الرب الذاتية : وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ بحال من الأحوال كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والوجه واليدين ونحو ذلك .

الثاني : صفات الرب الفعلية : وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته ، إن شاء الله فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، مثل الخلق والرزق ، والرضا والسخط ، والعطاء والمنع .

وصفات الرب الفعلية نوعان :

١ - صفات فعلية لها سبب معلوم كالرضا والسخط ، والفرح والغضب ، ونحو ذلك مما سببه الطاعات والمعاصي .

٢ - صفات فعلية ليس لها سبب معلوم كالنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر .

وكل صفات الرب الفعلية صادرة عن صفات ثلاث :

القدرة الكاملة .. والمشيئة النافذة .. والحكمة البالغة ، وكلها مقرونة بالخير المطلق.

وجميع صفات الرب الفعلية كالخلق والرزق، والرحمة والحلم، والعفو والمغفرة ونحوها ترجع

إلى صفات الرب الذاتية، فهي راجعة إلى مشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون

أبدأً : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ نَشَاءٍ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ

تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وقد تكون الصفة الواحدة ذاتية من جهة، وفعلية من جهة، كصفة العلم والرحمة والكرم ،

فالله عليم يُعلم خلقه ، رحمن يرحم عبده ، كريم يُكرم من يشاء .. وهكذا .

أما صفات الرب المنفية فهي كذلك قسمان :

الأول : صفات منفية متصلة : وهي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال كالظلم المنافي كمال عدل الله، والجهل المنافي كمال علم الله، والنوم المنافي كمال قيومية الله.. وهكذا .
الثاني : صفات منفية منفصلة : كنفى الشريك لله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ونفي الصاحبة والولد ، ونفي الند والمثل ، فيجب تنزيه الله عن كل ذلك .

والله سبحانه وتعالى ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فكما لا نعلم كيفية ذاته كذلك لا نعلم كيفية صفاته كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

• إثبات الصفات لله ﷻ :

ثبوت الصفة لله في الكتاب والسنة له ثلاثة أوجه :

الأول : التصريح بالصفة كالعزة والرحمة والقوة ، والوجه واليدين والعينين ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية والفعلية .

الثاني : تضمن الاسم للصفة، فالحي اسم متضمن للحياة، والسميع اسم متضمن للسمع ، والرحمن اسم متضمن للرحمة ونحو ذلك .

الثالث : التصريح بالفعل أو الوصف الدال على الصفة ، كالأستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة ونحو ذلك .

وجميع صفات الله ﷻ صفات مدح وكمال ، وجلال وجمال ، لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والقدرة ، والعلم والعظمة ، والسمع والبصر ونحو ذلك .

• ثبوت كمال أسماء الله وصفاته بطريق الإثبات والنفي :

فالإثبات والإيجاب : اعلم أن الله سبحانه له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

والله سبحانه منزه عن جميع صفات الخلق وعن جميع صفات البشر، وعن جميع صفات النقص .

والنفي والسلب عن الله ثلاث أنواع :

إما أن يكون السلب عائداً إلى الذات .. أو إلى الصفات .. أو إلى الأفعال .

فالسلب العائده إلى الذات ، فالله ليس كمثله أحد في ذاته كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ أَضْمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].
وأما السلوب العائدة إلى الصفات ، فالله سبحانه قد نزه نفسه عن جميع صفات النقص والعيب كما ورد في القرآن .

فيجب علينا تنزيه الله ﷻ عن تلك الصفات ، سواء كانت من باب أزداد العلم ، أو أزداد القدرة ، أو أزداد الواحدانية ، أو أزداد الحياة ، أو أزداد الاستغناء أو غيرها .
فنفي أزداد العلم أقسام :

أحدها : نفي النوم كما قال سبحانه : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

الثاني : نفي النسيان كما قال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ [مريم / ٦٤].

الثالث : نفي الجهل كما قال سبحانه : ﴿لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا / ٣].

فالله سبحانه بكل شيء عليم ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فهو يرى ويسمع ويعلم كل ذرة في ملكه العظيم في آن واحد : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١].

وأما السلوب العائدة إلى صفة القدرة فأقسام :

أحدها : أن الله سبحانه منزه في أفعاله عن التعب والنصب كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [ق / ٣٨].

الثاني : أن الله سبحانه في أفعاله لا يحتاج إلى شيء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢].

الثالث : أنه لا تفاوت بين قدرته بين فعل القليل والكثير ، أو الصغير والكبير ؛ لأنه على كل شيء قدير : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل / ٧٧].

وأما السلوب العائدة إلى صفة الواحدانية فمثل نفي الشركاء والأنداد ، فالقرآن مملوء منه .

وأما السلوب العائدة إلى صفة الاستغناء فقسمان :

أحدها : نفي الحاجة إلى أحد كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦ - ٥٨].

الثاني : عدم الاستعانة بأحد كما قال سبحانه : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُومِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ [الكهف/ ٥١].
وأما السلوب العائدة إلى الأفعال ، وهي أن الله لا يفعل كذا وكذا فالقرآن مملوء منه ، وهو أقسام كثيرة :

- أحدها : أن الله لا يحب ولا يأمر بالباطل .
- الثاني : أن الله سبحانه لا يفعل العبث .
- الثالث : أن الله سبحانه لا يفعل اللعب واللهو .
- الرابع : أن الله لا يحب الفساد .
- الخامس : أن الله لا يحب ولا يأمر بالفحشاء .
- السادس : أن الله لا يرضى لعباده الكفر .
- حكم الإلحاد في أسماء الله الحسنى :

الإلحاد : هو الميل عن الطريق المستقيم ، وقد حذرنا الله عز وجل من الإلحاد في أسمائه وصفاته وآياته كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْهَا لِقَاءَ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٤٠﴾ [فصلت/ ٤٠].
والإلحاد في أسماء الله الحسنى خمسة أنواع :

الأول : أن ينكر الإنسان شيئاً من أسماء الله التوقيفية ، أو ينكر ما دلت عليه من الصفات الذاتية أو الفعلية ، لأن الله أوجب علينا الإيمان بأسمائه الحسنى ، وبما دلت عليه من الصفات والأفعال .
الثاني : أن يجعل أسماء الله الحسنى دالة على صفات تماثل أو تشابه صفات المخلوقين ؛ لأن الله ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله كما قال سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى/ ١١].

الثالث : أن يشتق من أسماء الله الحسنى أسماءً للأصنام والأوثان ، كما اشتق المشركون اسم (العزى) من اسمه العزيز ، وصنم (اللات) من الإله ، لأن أسماء الله تعالى مختصة

به، وكما أفرد الله نفسه بالربوبية والعبودية والألوهية، أفرد نفسه بالأسماء الحسنی، فتسمية غيره بها ميل بها عما يجب فيها ، وهذا هو الإلحاد كما قال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الرابع : أن يسمى الله تعالى بأسماء لم يسم الله بها نفسه في كتابه ، ولم يسمه بها رسوله ﷺ في سنته ، كتسمية النصارى لله بالأب أو الابن ، وتسمية الفلاسفة له بالعقل الفعال ، لأن أسماء الله الحسنی توقيفية ، وتسمية الله بما لم يرد فيه نص شرعي من قرآن أو سنة ثابتة إلحاد في أسمائه : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة/ ٧٧].

الخامس : أن يشتق من كل فعل لله اسمًا له لم يرد به النص من قرآن أو سنة ، أو تسميته بما لم يسم به نفسه كتسمية الله بالنافع والضار ، أو المعز والمذل ونحو ذلك : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور/ ٦٣].

الباب الرابع

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

ويشتمل على ما يلي :

١ - حكمة خلق الإنسان

٢ - فقه أعمال القلوب

٣ - التعبد لله بأسمائه الحسنى .. ويشمل :

١ - أركان التعبد بأسماء الله وصفاته

٢ - طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته

٣ - مراتب المؤمنين في التعبد بأسماء الله وصفاته

٤ - آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى

فقه التعبد بأسماء الله الحسنى

١ - حكمة خلق الإنسان

الله ﷻ خلق المخلوقات كلها ليظهر قدرته لعباده، ويعرفهم بأسمائه وصفاته، عن طريق آياته ومخلوقاته، وأرسل رسله بكتبه لبيان الحق الذي يعبدونه به، والشرع الذي يتقربون به إليه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه أحسن تكريم، ثم جعله خليفة في الأرض ليعمرها بشره الحكيم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَكَلَّمْنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

وركب الله خلق هذا الإنسان من ثلاثة أشياء:

جسد مادي .. ونفس حيواني .. وروح ملكي.

فجسد الإنسان يخلقه الله في بطن الأم، وفي نفس الإنسان بحار الشهوات، وفي روح الإنسان بحار الطاعات، والجسد علبة لهما، ومطية للغالب منهما. والشهوات ليس لها حد .. والطاعات ليس لها حد.

وأوامر الدين كلها في مقابل شهوات النفس، وهذا هو محل الابتلاء في الإنسان .

فالإنسان أما أن يترك الشهوات بسبب الطاعات، أو يترك الطاعات بسبب الشهوات، ولا يمكن الجمع بينهما كما لا يمكن الجمع بين الماء والنار: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس / ٧-١٠].

والله سبحانه خلق الدنيا لقضاء حاجات الإنسان، وتكميل محبوبات الرحمن، وخلق الجنة لتكميل شهوات الإنسان، ورؤية الرحمن، وملاً الدنيا بمحوباته من أنواع العبادات، وملاً الآخرة بمحوبات الإنسان من أنواع الشهوات.

والله يريد تكميل محبوباته في الدنيا، والنفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات في الدنيا، وهذا محل الابتلاء في الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان / ٢-٣].

فالطاعات من الرب ، والشهوات من النفس ، والإنسان إما أن يكون عبداً للرب ، أو يكون عبداً للنفس ، ولهذا احتاج إلى مُدَكِّر ، فأرسل الله الرحيم الرسل إلى خلقه ، وأنزل عليهم الكتب ؛ ليعرف الإنسان ربه وما يريد منه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة / ٢].

والله سبحانه يريد من الإنسان في الدنيا تكميل الإيمان والطاعات ، وقضاء حاجاته الضرورية من الأكل والشرب ونحوهما ، ثم الله يكمل للإنسان محبوباته وشهواته في الجنة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢].

وقد خلق الله هذا الكون العظيم ليعرف عباده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ليوحدوه .

وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعرفهم بمحباته من التوحيد والإيمان وأنواع الطاعات ، وجزاء ذلك من النعيم المقيم في الجنة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آتُوا اللَّهَ وَاجْتَبُوا الطَّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ [النحل / ٣٦].

ولكن الشيطان أسر أكثر نفوس الخلق ، وزين لهم الشهوات ، وثقل عليهم الطاعات : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ / ٢٠].

فجعل الشيطان الشهوات ضرورات ، وشغلهم بها عن الطاعات ، وجرهم من مجالس الذكر إلى مجالس الغفلة : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [الأنعام / ٥٩].

﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم / ٥٩ - ٦٠].

فالشيطان يريد من كل إنسان أن يكون معه في النار ، والله يريد الإنسان لنفسه ، ولهذا أمره بعبادته وحده وترك عبادة ما سواه من الهوى والدنيا والشيطان ليسعد برضوانه والجنة : ﴿ أَلَمْ نَعِدْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة / ١٠].

﴿ وَإِنْ آعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [البقرة / ١١].

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام / ٦٢].

﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [البقرة / ٦٣].

﴿ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [البقرة / ٦٤].

واعلم أن الجسد علة الإنسان وظهره ، والروح حقيقة الإنسان ولبه ، والجسد إذا كانت فيه الروح كان حياً له قيمة ، ولذلك يكون ملكاً ووزيراً ، وتاجراً وصانعاً ، وعالماً وعبداً ، وداعياً ومعلماً .

فإذا خرج صاحب الجسد وفرغ الجسد من الروح صار الجسد لا قيمة له ولا عمل له ،
ولذلك يتعفن في الحال ويُدفن في التراب الذي خلقه الله منه ، أما الروح فلا تموت ، بل تبقى
الروح الطيبة منعمة ، وتبقى الروح الخبيثة معذبة.

وقد جعل الله الدنيا إناءً للدين ، فلا قيمة للدنيا إلا بالدين ، ولا قيمة للإنسان إلا
بالإيمان والأعمال الصالحة ، فإذا ترك الإنسان الدين صار لا قيمة له في الدنيا ولا في
الآخرة: ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۗ ﴾ [الإسراء / ٧٢] .

وقد وهب الله كل إنسان عقلاً يميز به بين ما ينفعه وما يضره، ويتعرف به على خالقه، وما
يجب له من العبودية: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ
أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْزُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

وإذا لم يستعمل الإنسان هذا العقل مع الوحي فإنه يضل ويشقى في الدنيا والآخرة ، وتكون
حياته أضل من البهائم التي ترتع في الشهوات غافلة عما ينتظرها من الذبح : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْغَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۗ ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .
وقد جعل الله لكل إنسان حياتين:

حياة في الدنيا تنتهي في أي لحظة.. وحياة في الآخرة تبدأ في أي لحظة.. وأرشدته إلى ما ينفعه
ويسعده فيهما باتباع الدين الحق الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه .

فالحياة الأولى كالقطرة ، والثانية كالبحر، والأولى فانية ، والثانية باقية ، والأولى محل العمل ،
والثانية محل الثواب أو العقاب ، ومن وفقه الله أثر الباقية على الفانية: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [العنكبوت / ٦٤] .

وكل إنسان يسعى إلى تحصيل السعادة بما يملك حسب علمه وفهمه ، ولكنه لا يمكن أن
يحصل على السعادة أبداً إلا عن طريق الذي خلقه ويبيّن له أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ،
وذلك بكمال الإيمان والتقوى ، وإشاعة ذلك في العالم كله : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ
صَبَّغَةً ۗ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۗ ﴾ [البقرة / ١٣٨] .

ولتحصيل تلك السعادة في الدنيا والآخرة لابد للإنسان أن يؤمن بربه .. ويعبده بما شرع ..
ويخترق حاجز الكفر والشرك إلى جنة التوحيد والإيمان .. ويخترق حاجز المخلوقات إلى

رؤية الخالق وحده .. ويخترق حاجز الدنيا إلى الآخرة .. ويخترق حاجز تكميل الشهوات إلى تكميل أوامر الله .. ويخترق حاجز العادات والتقاليد إلى سنن وآداب الإسلام .. ويخترق جهد جَمْع الأموال والأشياء إلى جهد الإيمان والأعمال الصالحة وجمع الناس على الإيمان والحق بإشاعة الحق في العالم كله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وبهذا فقط لا بغيره تحصل للإنسان السعادة والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالْعَصْرُ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣ ﴾ [العصر / ١-٣] .

وإذا فهمت هذا فاعلم أن صلاح القلب يتم بثلاثة أمور :
التخلية .. ثم التزكية .. ثم التحلية .

فنجتهد لتُخَلِّي ونفرغ قلوبنا من حب الدنيا، والتعلق بغير الله ؛ لتكون صافية قابلة للتزكية بالتوحيد والإيمان ومكارم الأخلاق : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥] .
ثم تأتي التزكية بأن نعيش في بيئة الإيمان والصدق والأعمال الصالحة ، حيث لا نرى ولا نسمع ولا نقول ولا نعمل ولا نحب إلا ما يحبه الله ورسوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة / ١١٩] .

ونجافي بيئة الشرك والمعاصي التي تفسد تلك البيئة الصالحة : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام / ٦٨] .

ثم تأتي التحلية بالفضائل بعد التخلي من الرذائل ، وذلك بالعلم والإيمان ، ليدخل التوحيد ويخرج الشرك ، ويحل العلم بدل الجهل، وتأتي فينا الطاعات بدل المعاصي، وتظهر فينا الأخلاق الحسنة بدل الأخلاق السيئة : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة / ٢] .

وإذا دخل نور الإيمان في القلب ظهرت آثاره على الجوارح بالقول الحسن، والعمل الحسن ، والخلق الحسن ، ثم نال المؤمن الثواب الحسن : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ۗ

وَلَا يَزْهُقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [يونس / ٢٦].

وبهذا يكون كمال الإيمان والتقوى الذي أمرنا الله به، ويهتم العبد بأعماله لا بشهواته، وبآخرفته لا بدنياته، فيعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه كما وعده: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وقد خلق الله في العالم نورين لمعرفة الأشياء ورؤيتها، والتميز بين أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والناس وغيرهم. وهذان النوران هما:

نور خارجي: وهو نور الشمس والقمر والنجوم والمصابيح.

ونور داخلي: وهو نور العين في الإنسان والحيوان.

ولا يمكن أن تحصل الرؤية إلا باجتماع هذين النورين معاً، ومتى فقد أحدهما عُدت الرؤية للأشياء.

ولكن بهذين النورين لا نستطيع أن نميز بين الإيمان والكفر، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الخير والشر، فالإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة لا تظهر بهذين النورين. فجعل الله الرحيم بعباده لمعرفة ذلك نورين آخرين هما:

نور أنزله الله من السماء وهو القرآن فيه هدى ونور.. ونور آخر أمرنا الله أن نجتهد بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ليأتي في قلوبنا، وهو نور التوحيد والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيدته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

ولا يمكن أن تحصل الهداية للعبد إلا بهذين النورين معاً: نور الإيمان.. ونور القرآن.

ومن أراد الله هدايته هداه إليه بهذين النورين: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

وعلاوة نور الإيمان في القلب أن يرى العبد ربه ملكاً عظيماً، وإلهاً كريماً، بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء، ثم يعبد وحده بموجب هذه المعرفة: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا

لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وإذا تزين القلب بنور الإيمان والقرآن تزين الجسد بصالح الأعمال والأخلاق ، وأبصر الحق من الباطل ، وعرف الخير من الشر ، وأحب الطاعات ، وأبغض المعاصي ، وأقبل على عبادة ربه ، وأعرض عما سواه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومن ليس عنده نور الإيمان لا يستفيد من نور القرآن ، ومن قرأ القرآن بدون نور الإيمان فقد جعله قراطيس ولم يستفد منه ، وكان عليه حجة: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّسْقِطًا وَمِنْ فِيهِ حَيَاتٌ لِّلَّذِينَ ارْتَابُوا وَرِجَاءٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء / ٨٢].

٢ - فقه أعمال القلوب

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعبد له بموجب تلك المعرفة أعظم أعمال القلوب ؛ لأنها تثمر للعبد تحقيق التوحيد ، وتخلص قلبه من كل شائبة شركية أو بدعية ، وتطهر نفسه من كل دنس ومعصية ، وتحرك قلبه وجوارحه بعبادة ربه بما يحبه الله ويرضاه : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج/ ٣٢].

واعلم أن مقصود جميع العبادات والأذكار والأوامر أن يأتي في قلب المؤمن اليقين على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا جاء اليقين على الله وأسمائه وصفاته جاء اليقين على قوله وقول رسوله ﷺ ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاءت من العبد العبادة التي يريدتها الله ويحبها.

وإذا جاء اليقين بأركانه الثلاثة عظم العبد ربه وأحبه وذل له ، فأقبلت نفسه على الطاعات ، ونفرت من المعاصي ، وسارعت إلى فعل الخيرات : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأعمال القلوب أشد وجوباً من أعمال الجوارح، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم؛ لأنها واجبة في كل وقت ، لا تنفك عن العبد ما دام حياً .

فلا يدخل أحد في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه بالتوحيد والإيمان . ولا يتميز المؤمن من المنافق إلا بما في القلب من الإيمان أو الكفر .

وبين عمل القلب وعمل الجوارح تلازم، فلا ينفع أحدهما بدون الآخر، والأصل هو القلب، والبدن فرع له ، مطيع لأمره ، والتكليف عليهما معاً .

فلو تمزق القلب بحب الله والخوف منه ولم يتعبد الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة لم ينفعه ذلك، ولو قام الجسد بشرائع الإسلام الظاهرة وليس في قلبه حقيقة الإيمان لم ينفعه ذلك: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠].

وزيادة الأعمال الصالحة وحسنها سببه زيادة الإيمان في القلب ، ونقص الأعمال الظاهرة وثقلها سببه النقص في أعمال القلب الباطنة.

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تقرر بين عمل القلب وعمل الجوارح ، وتثمر التعبد للملك

الحق بأحسن ما شرع مع كمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ .

فالتعبد باسم الله العليم يبعث على التقوى ، وحفظ القلب والجوارح من المعاصي ،
والمسارعة إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق .

واعلم أن سير كل أحد على الشواهد، فمن لا شاهد له يقصده فلن يصل إلى مبتغاه أبداً،
والله مقصود ، والجنة موعود : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

وأعظم الشواهد الدالة على الملك الحق سبحانه أسماء الله وصفاته المشهودة في أفعاله
ومخلوقاته ، وهي كوى تنظر منها البصائر إلى عالم الملك والملكوت : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران / ١٩٠-١٩١] .

فتشاهد القلوب ربها وأسماءه وصفاته من خلال آياته ومخلوقاته ، ثم تعامله بما يليق بجلاله
وجماله من التعظيم والحب له ، والخوف والخشية منه ، والذل والانكسار بين يديه .

ثم تأمر الجوارح أن تعامله بما يليق بجلاله من أنواع العبادات والأذكار والطاعات : ﴿ أَمَّنْ هُوَ
قَنِيتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

وهذه المعارف من أجل المعارف ؛ لأنها تثمر التوحيد الخالص الصافي من كل شائبة ، والإيمان
الذي يملأ القلب بحب الله وتعظيمه، والتوكل عليه ، والتسليم لأمره وحده ، فلا إرادة فيه لما
حرم الله ، ولا كراهية عنده لما أمر الله ، وتلك حقيقة لا إله إلا الله : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَاللَّامِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩] .

٣- التعبد بأسماء الله الحسنى

• أركان التعبد بأسماء الله وصفاته:

للتعبد بأسماء الله وصفاته ثلاثة أركان:

الأول: الإيمان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

فمن سار إلى الله باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه بكمال الحب والتعظيم والذل له .

فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع، وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره ، و الثناء عليه ، والدعوة إليه .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأفضل السبل لزيادة الإيمان ، وذوق حلاوته ، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد وصدق العبودية : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَعْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه أهل هذه المعرفة ؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جلاله وجماله ناظرون ، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون .

إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه .. وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه .. وإن نظروا إلى شدة نعمته خافوه .. وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

الثاني: عبادة الله بما تقتضيه أسماءه الحسنى، وصفاته العلى .

فمن أيقن أن الله هو الأول فوَّض الأمور كلها إليه، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت إلى غيره . ومن أيقن أن الله هو الآخر أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه وترجع إليه ، فلم يلتفت لأحد سواه .

وهذان الاسمان يوجبان للعبد الاضطرار إلى الله ، ودوام الافتقار إليه ، فهو الأول المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وهو الآخر الذي ينتهي إليه كل شيء .

ومن أيقن أن الله هو الظاهر قصده وصمد إليه في جميع حوائجه .

ومن أيقن أن الله هو الباطن عَلم قربه منه فاستحيا منه ؛ لكثرة نعم الله عليه ، وكثرة معصيته له ،

وأحبه وخاف منه ورجاه ؛ لما له من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣] .

وهكذا التبعدي في بقية الأسماء الحسنی .. فكراً و يقيناً وتعبداً وذكرأ وسؤالاً وحمداً .

الثالث: الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات .

فالله سبحانه يحب أسمائه وصفاته، ويحب أن يتصف الإنسان بموجبها .

فالله شكور يحب الشاكرين .. عفو يحب العافين .. رحمان يحب الرحماء .. مؤمن يحب أهل
الإيمان .. وهكذا في بقية الأسماء .

وما كان من أسماء الله وصفاته كمالاً في حقه، نقصاً في حق المخلوق ، لأنه لا يليق بالعبد ،
فلا يجوز الاتصاف بموجبه ؛ لأنه مختص بالله كاسم الله الجبار والمتكبر وأمثالهما .

• طرق الوصول إلى التبعدي بأسماء الله وصفاته :

للتبعدي بأسماء الله وصفاته طرق كثيرة أصولها أربعة :

الأول: إحصاء أسماء الله الحسنی بعدّها، وحفظها ، وفهم معانيها ، والتبعدي لله بموجبها ،
ودعاء الله بها .

فالعلم بها وسيلة إلى التبعدي بها ، وفهم معانيها وسيلة إلى معاملة الرب بمقتضاها وثمراتها
من الحب لله ، والخوف منه ، والرجاء له ، والتوكل عليه ، والاستعانة به : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٧] .

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ،
مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفق عليه (١) .

الثاني: النظر والتفكر في آيات الله الكونية .

فجميع المخلوقات في السموات والأرض دالة على عظمة الله ، وناطقة بتوحيده ، ومسبحة
بحمده، وشاهدة بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، عالمة أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

ومستجيبه لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

الثالث: التفكير في نعم الله التي لا تُعد ولا تحصى .

وهذا الباب يدخل منه كل أحد إلى محبة الله ، فإن نعم الله على عباده كثيرة مشهورة ليس لها حد ، وكلما عرف العبد نعمه ازداد حباً لله وشكراً له: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

الرابع: التدبر والتفكير في الآيات الشرعية وما فيها من الأخبار الصادقة، والعلوم العظيمة ، والأحكام العادلة، والشرائع الحسنة: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء/ ٨٢] .

وهذا باب عظيم يُطلع العبد على كمال عظمة الله ، وكمال رحمته بعباده ، وكمال أوامره وعلمه وأحكامه، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ووعيده.

• مراتب المؤمنين في التبعيد بأسماء الله وصفاته :

الناس يتفاوتون في التبعيد لله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی بحسب معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، وبحسب تفاوتهم في الذكر والغفلة ، والإيمان والتقوى: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ إِذْ أَنْتَ عَلَى سَاجِدٍ أَوْ قَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩] .

فالناس متفاوتون في التبعيد لله بحسب ما يفتح لهم من مشاهد الإيمان والمعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وأوامره وأحكامه ، والعمل بموجب ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٢٨] .

فمنهم من يأخذ من ذلك بنور ضعيف .. ومنهم من يأخذ كالشمعة .. ومنهم من يأخذ كالقنديل .. ومنهم من يأخذ كالكوكب .. ومنهم من يأخذ كالقمر .. ومنهم من يأخذ كالشمس نوره يشع بين الخافقين : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٦٣] .

ومن شرح الله صدره بنور الإيمان أراه في ضوء ذلك النور حقائق أسماء الله وصفاته

وأفعاله ، وأراه حقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأُنعام / ١٢٢] .

فيرى المؤمن في ضوء ذلك النور المبين ربه العلي العظيم الرحمن مستوياً على عرشه العظيم ، أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه / ٥] . ويرى السموات السبع والأرضين السبع في كف ربه الكبير كالخردلة في كف العبد .

ويرى السموات والأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما من الخلائق تسبح بحمد ربه الملك الحق ، وتشهد بتوحيده ، وتدلل على كمال أسمائه وصفاته ، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

ويرى عرش ربه الرحمن محيط بجميع ملكه ، ويرى رحمته وسعت كل شيء ، ويرى علمه محيط بكل شيء ، والله محيط بكل شيء : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فلو أن جميع الناس مع كافة المخلوقات في السموات والأرض قاموا صفواً واحداً ما أحاطوا بالجبار العلي الكبير ﷻ ، بل هو المحيط بكل محيط .

ويرى ربه في جماله فوق كل جميل في العالم العلوي والسفلي .

فلو اجتمع جمال الخلائق كلهم في شخص واحد منهم ، ثم أُعطي الخلق كلهم مثل ذلك الجمال ، لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ، فلا نسبة بين الخالق والمخلوق أبداً لا في الذات ولا في الأسماء والصفات : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص / ١-٤] .

ويرى قوة ربه أعظم من كل قوة في الكون .

فلو اجتمعت قوى الخلائق كلها من العرش والكرسي والسموات والأرض والجبال والبحار وغيرها في شخص واحد ، ثم أُعطي كل منهم مثل تلك القوة ، لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى قوة حملة العرش العظيم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

ويرى علم ربه وسع كل شيء ، فلو اجتمع علم الخلائق كلهم في شخص واحد ، ثم أعطي الخلائق كلهم مثل ذلك ، لكانت نسبته إلى علم الله أدنى من نقرة عصفور من البحر .. وهكذا في سائر أسمائه وصفاته : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فهذا أول مشاهد المعرفة المغذية للقلب ، ثم يرتقي منه إلى مشهد فوقه لا يتم إلا به ، وهو مشهد الإلهية : ﴿ وَاللَّهُ كُتُبًا وَإِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فيشهد ربه إلهاً عظيماً يأمر وينهى ويحكم ويقضي ، متجلياً بأمره ونهيه ، صادقاً في وعده ووعديه ، كريماً في ثوابه ، عدلاً في عقابه ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

ثم يعبد بهذه المعارف النورانية بما يحبه ويرضاه حتى يلقاه .

ثم تنكشف له في ضوء هذا النور أحوال اليوم الآخر وما فيه من الحشر والحساب ، والصراف والميزان ، والجنة والنار : ﴿ يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فإذا رأى ذلك علم عظمة ربه وكفايته له ، ورحمته به ، وبره به ، وإحسانه إليه ، وحلمه عليه ، فأوجب له ذلك كمال العبودية لله بالحب والتعظيم والذل له والتقرب إليه بما شرعه وأمر به : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ [الشورى/ ١٠].

ثم لا يزال يتقرب إلى ربه العظيم بكل محبوب إليه بحسب رُقيته في هذه المعارف ، والله يؤتي فضله وعلمه من يشاء وهو الحكيم العليم : ﴿ فَأَعْلَمَنَّ اللَّهُ إِلَّا إِلَهُ اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

• آثار التبعيد لله بأسمائه وصفاته :

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله مثمرة لجميع الخيرات والبركات العاجلة والآجلة .

ومن أعظم آثارها وثمراتها في حياة كل مسلم ما يلي :

١ - عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له :

والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فمن عرف ربه بالملك والجبروت ، والعظمة والكبرياء ، وعرفه بالغنى والإحسان ، والرحمة والطف ، وعرفه بالعلم والإحاطة ، والقوة والقدرة ، وعرف أنه السميع البصير ، تضرع إليه بالذكر والدعاء ، وتوجه إليه بالحمد والثناء : ﴿ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

٢ - محبة الله ﷻ :

ومحبة الله قوت القلوب ، وشفاء الصدور ، وقررة العيون ، ومن أحب الله أحبه الله ورضي عنه وأرضاه ، وتقبل منه وهده : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُ ﴾ [الرعد / ٢٩] .

فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام إلى داعي جلال ربه وجماله فذلك : ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يُكَلِّمُ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور / ٣٥] .

ولا يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .

وكمال العبودية ثمرة المحبة ، والمحبة لله ثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه وإحسانه .

ومحبة الله تجذب العبد لطاعة ربه وفعل ما يرضيه ، واجتناب معاصيه ، وتحرك القلب واللسان والجوارح إلى عبادة الله واتباع رسول الله ﷺ والإعراض عما سوى ذلك : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .

٣ - التعظيم والذل لله ﷻ :

فإذا شهد العبد عظمة ربه أفاض ذلك على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار .

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لربه ، وتعظيماً له ، وحباً له .

وأكثرهم سجوداً لربه أكملهم معرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح واكتملت عبوديته .
 ومن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية لربه الملك العزيز الجبار : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧] ﴿الحج / ٧٧﴾ .
 وجميع أبواب الطاعات عليها زحام إلا باب الذل والافتقار إلى الله ، فهو أقرب الأبواب
 وأوسعها ولا مزاحم فيه لقلة الداخلين منه .
 فادخل منه إلى ربك الملك الحق يأخذ بيدك إليه ، وتكن عبده بين يديه .

٤ - الخوف والخشية :

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وكان له أشد خشية : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
 الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٢٨] ﴿فاطر / ٢٨﴾ .
 ٥ - اليقين والطمأنينة بالله ﷻ :

فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی امتلاً قلبه إيماناً و يقيناً ، ونوراً
 وإشراقاً ، ومحبة لله وتعظيماً له ، وانتفى عنه كل ريب وشك : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ
 بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] ﴿الرعد / ٢٨﴾ .

وإذا تيقن القلب نزلت فيه السكينة وحلت فيه الطمأنينة فزاد إيمانه وحسنت عبادته :
 ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٤] ﴿الفتح / ٤﴾ .
 ٦ - الرضا عن الله ﷻ :

فمن عرف ربه بعدله وإحسانه وحلمه ورحمته وحكمته ، وعرف أسماءه الحسنی وصفاته
 العلی ، أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره ، والتسليم لأمره ونهيه ، لعلمه بأن تدبير الله أحسن
 من تدبيره ، وأحكام الله خير من هوى نفسه ، وثواب الله أعظم من عمله ، ورحمة الله أرجى من
 أعماله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [٧] ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
 يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [٨] ﴿البينة / ٧-٨﴾ .
 ٧ - التوكل على الله وحده :

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله سكن إليه ، وتوكل عليه وحده في جميع
 أموره ؛ لعلمه بكمال كفايته وقيامه بشأن خلقه كلهم إيجاداً وإمداداً وتدبيراً : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ

رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].
 وكلما كان العبد بالله أعرف كان إيمانه بالله أعظم ، وكان توكله على ربه أقوى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

٨- إخلاص العمل لله ﷻ :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل ؛ لعلمه بكماله وغناه عن كل ما سواه ،
 وشدة حاجة الخلق إليه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

ولا يشرك أحد مع الله غيره في عمل إلا لجهله بأسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
 رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى
 الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » أخرجه مسلم (١).

٩- التوبة والإنابة إلى ربه :

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی سارع إلى طاعته ، وتاب إليه من
 معصيته ؛ لعلمه بكمال حبه لعبده ، ورحمته به ، وفرحه بتوبته : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
 وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُوتَ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٢٧﴾ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان
 ضعيفاً ﴿٢٨﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

١٠- حلاوة العبادة :

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته كانت قرة عينه في مناجاة ربه والأنس به ، وليس في الدنيا نعيم
 يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة ، ولا حلاوة تشبه حلاوة الجنة إلا عبادة الله بهذه المعرفة .

وكلما ازداد العبد معرفة بربه ازداد إيماناً وحباً وتعظيماً وحمداً لربه ، ووجد حلاوة ولذة في كل ما
 يحبه ربه ويرضاه ، واستأنس بربه ، واستوحش من كل ما يشغله عنه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا
 ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) .

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(١).

١١ - السعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار :

فمن عرف ربه العظيم صلى الله عليه وسلم عبده بما يحبه ويرضاه ، ثم الله يثبتته على دينه في الدنيا ، ويسعده بالأمن والهداية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

أما في الآخرة فيكرمه بدخول الجنة، ورؤية الله سبحانه، والقرب منه، وسماع كلامه، والفوز برضوانه ، والتلذذ بنعيم الجنة ، والخلود في دار المتقين ، والنجاة من نار الجحيم : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢] .
وغير ذلك من الثمرات والحسنات ، والخيرات والبركات .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له .

٤ - فقه التعبد لله بأسمائه الحسنی

العلم بالله وأسمائه الحسنی وصفاته العلی أشرف العلوم علی الإطلاق .
 فمعرفة ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله أجلّ علوم الدين وأزكاها وأحسنها وأعظمها ،
 وعبادته بها أحسن الأعمال، وحمده وتمجيدته وتكبيره وتعظيمه والثناء عليه بها أشرف
 الأقوال : ﴿ فَأَعْلَمَنَّاهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ
 وَمَتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

وعبادة الله والدعوة إليه أحسن الأقوال والأعمال التي يتقرب بها العبد إليه ، وينال
 أعظم ثوابها بعد القدوم عليه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .

وعلى هذه الأصول العظيمة قامت دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
 فالله ﷻ أرسل رسله إلى خلقه بثلاثة أمور :

تعريف الخلق بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ليعبدوه وحده لا شريك له ، ويتركوا عبادة ما
 سواه .. وتعريفهم بالطريق الموصل إليه وهو عبادة الله وحده بالدين الذي شرعه .. وتعريفهم
 بما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أجله رؤيته ورضاه عنهم : ﴿ وَلَقَدْ
 بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
 حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۗ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [النحل/ ٣٦] .

وكلما كانت معرفة العبد بربه أعظم كانت محبته وخشيته وعبادته له أتم وأكمل ؛ لأن
 معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وتقوي محبة الله وتعظيمه في
 القلب ، وتثمر أنواع العبادات والطاعات ، وعظيم الأجر والثواب : ﴿ آمَنَ هُوَ قَنِيتَ آتَاءَ
 آتِلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
 يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

وكلما كان العبد بالله أجهل كان من الله أبعد وإليه أكره ومن بين خلقه أخسر : ﴿ قُلِ اللَّهُ
 أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [١٤] فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا

ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمَمِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مَن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمَن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴿ [الزمر/ ١٤-١٦].

وحياة الإنسان بحياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ، ومحبته ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿ قُلْ إِنَّا أَلْهَدُوا اللَّهُ أَن يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتَيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّا الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

ومن لم يدخل جنة المعرفة في الدنيا لم يدخل جنة الزخرفة في الآخرة : ﴿ وَمَن كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء / ٧٢].

فألد شيء وأحلاه في الدنيا والآخرة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وذكره وحمده وعبادته بما شرع ، وتلك أعظم تجارة رابحة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف/ ١٠-١٢].

فهل يليق بالعاقل أن يخرج من الدنيا وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس ، وغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها، فخرس دنياه وأخراه ، وقدم على ربه بما يسخطه عليه : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف/ ١٠٣-١٠٦].

إن معرفة الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی وأفعاله الحميدة أجل المعارف على الإطلاق ، وأفضل العطايا من الله لعبده ؛ لأنها روح التوحيد، ولب الإيمان ، وزبدة اليقين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونِكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩].

ومن فتح الله له هذا الباب انفتحت له أبواب الدين كلها:

أبواب التوحيد الخالص .. وأبواب الإيمان الكامل .. وأبواب الإحسان .. وأبواب التقوى .. وأبواب

العمل الصالح .. وأبواب الخلق الحسن .. وأبواب الأجر العظيم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة / ٤] .

وأحسن السبل إلى هذه المعرفة النظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات الشرعية ، فذلك
أعظم مفتاح لمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، واستحضار معانيها ، وتحصيلها في
القلوب، حتى تتأثر القلوب بآثارها ، وتتصف بصفاتهما.

وإذا امتلأ القلب بهذه المعارف جاء فيه حب الله وتعظيمه والذل له وحسن عبادته، ثم
انقادت الجوارح معه في فعل كل طاعة لله ، وترك كل معصية لله : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩] .

فتعرّف إلى ربك العظيم بالنظر في آياته ومخلوقاته تعرف ربك بأسمائه وصفاته ، ويزيد
إيمانك ، وتحسن عبادتك ، وتعظم أجورك.

فمعرفة أسماء العظمة والمجد والكبرياء والجبروت والجلال تملأ القلب تعظيماً لله ،
وإجلالاً له ، وتكبيراً له ، وتعلقاً به.

ومعرفة أسماء الجمال والبر والجود والإحسان واللفظ والرحمة تملأ القلب حباً لله ، وشوقاً له ،
وثناءً عليه ، وحمداً له ، وحياءً منه.

ومعرفة أسماء العزة والقهر والقوة والقدرة والحكمة تملأ القلب خضوعاً لله ، وخشوعاً له ،
وخوفاً منه ، وانكساراً بين يديه .

ومعرفة أسماء الغنى والكرم والإحسان تملأ القلب افتقاراً إلى الله ، واضطراراً إليه ، والتوكل عليه ،
والاستعانة به ، وعدم الالتفات إلى غيره.

ومعرفة أسماء العلم والخبرة والمراقبة والإحاطة تملأ القلب مراقبة الله في كل حال ، وإحسان
العبادة لله ، وحراسة الخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة.

وجميع هذه المعارف تزيد الإيمان في القلب ، وتثمر للعبد كمال التعظيم لله ، والذل له ،
والحب له ، والحياء منه ، وتعلق القلب به ، والشوق إليه ، والرجاء له ، والخوف منه ،
والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والأنس به ، والفرار من الخلق إليه ، وتوحيده وإخلاص العمل
له ، وحسن عبادته ، ودخول جنته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وكلما قويت هذه المعرفة استنار القلب بنور العلم والإيمان، ورأى بهذا النور عظمة ربه وجلاله، وإنعامه وإحسانه، ولطفه ورحمته، فعظم إقباله على ربه، واستسلامه لشرعه، ولزومه لأمره، وبعده عن نهيه، وتجريده لتوحيده، وأنسه بمناجاته.

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنى وصفاته العلى، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو واحد يحب التوحيد وأهله .. عليم يحب العلم وأهله .. جميل يحب الجمال وأهله .. مؤمن يحب المؤمنين .. شكور يحب الشاكرين .. كريم يحب أهل الكرم .. بر يحب أهل البر .. عفو يحب أهل العفو .. رحيم يحب أهل الرحمة .. ثواب يحب التوابين : ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

فالله ﷻ يريد منا تحصيل الصفات التي يحبها، ومن رحمته أرسل الرسل لدعوة الخلق لتحصيل هذه الصفات التي هي مراد الله من خلقه، وتوحيده وعبادته بموجب ذلك.

وهو سبحانه الكريم الذي يهب لعباده هذه الصفات، ويجازيهم بالثواب العظيم بحسب ما فيهم من هذه الصفات التي يحبها، ويرغبهم في التبعدها بقوله سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٢] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤].

والله ﷻ حكيم عليم لا يفعل ولا يشرع من الأحكام إلا ما هو مقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

فأفعاله سبحانه كلها دائرة بين العدل والإحسان، والحكمة والرحمة.

وأخباره كلها حق وصدق .. وأوامره ونواهيها كلها عدل وحكمة ورحمة وإحسان .. هو الحكيم الذي يأمر بكل خير .. وينهى عن كل شر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ٩٠].

وهذه المعارف الإلهية تورث العبد قوة في الإيمان، وزيادة في اليقين، وحمداً للرب، وصدقاً

في التوكل على الله ، ورغبة في عبادته وطاعته: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

والله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ولهذا أظهر آثارها في جميع مخلوقاته في السموات والأرض، وفي الدنيا والآخرة، ويحب كذلك ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه وهو آدم ﷺ وذريته. وقد خلق الله ﷻ آدم ﷻ على صورته أسماء وصفات.

موصوفاً بأسماء العبودية من ذل وخضوع، وضعف وعجز، وفقير ومسكنة.

وموصوفاً بصفات الربوبية من كبر وجبروت، وعزة وقوة، ومشية وإرادة.

فمن علم الله أنه يصلح للهداية والجنة تولاه فكفاه شر نفسه، وهده لاستعمال أسماء الربوبية وصفات الألوهية وفق ما يحبه الله ويرضاه مع ربه ومع أولياء الله وأعدائه.

فينسخ عن عبده المؤمن أسماء وصفات الربوبية مع ربه، ويوجهها منه إلى أعدائه، ثم يوجهه بصفات الألوهية والعبودية إليه، ويستعمله بها بين يديه من الحب والتعظيم والذل لله، والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من سمات العبودية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا » متفق عليه^(١).

فسبحان الملك الحق الرحيم بعباده الذي تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعريفات، ودلّهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم عرفهم بالصرط المستقيم الذي يسرون عليه، وأمرهم بسلوكه إليه: ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَن حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال / ٤٢] .

ولله الحمد كثيراً على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ونعمه العظيمة، ودينه الحق: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

وله الحمد كثيراً أن نهج لنا سبيل معرفته بما كشف لنا عن حقيقة عجزنا عن بلوغ كنهه،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٦)، ومسلم برقم (٢٨٤١)، واللفظ له.

فأكمل خلقه معرفة به أعلمهم بأنه لا نهاية لمعرفته، ولا إحاطة لأحد بأسمائه وصفاته، ولا إدراك لأحد لكنْه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣].

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً أن رَفَعَ لنا أعلام الهداية إلى توحيده ، وعليّ وجوده ، وعظمة جبروته ، وسعة رحمته ، وكثرة نعمه ، وعظيم فضله ، وعموم إحسانه ، وعظيم بره ، وكمال قدرته ، وسعة علمه ، ولطيف حلمه .

وذلك بما نصبه سبحانه من آثار صنعه ، وبما أشهدنا من عظمة مخلوقاته، وبما نراه كل يوم من بدائع مخلوقاته، وعظيم آياته في ملكوته : ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت / ٥٣] .

ولله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء كل شيء أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأنار لنا الدليل على الإلهية والعبودية بما فطر القلوب على الوله له، والحب له، والتعظيم له ، والأنس به ، والتلذذ بعبادته: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم / ٣٠] .

وهو سبحانه الملك الحق الممين الذي خلق كل شيء بالحق، وأنزل كتبه بالحق، وأرسل رسله بالحق ، وأكرم عباده بالدين الحق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢] .

وهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣] .

وهو سبحانه القوي الذي له القوة التي لا ترام .. العزيز الذي له العزة التي لا تضام .. الجبار الذي له الجبروت الذي لا يسامى .. الحاكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب .. المَلِكُ الذي لا نهاية لمُلْكِهِ .. الكريم الذي لا نهاية لكرمه .. الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٣].

وهو سبحانه الخالق القادر الذي أبدع جميع المخلوقات، البارئ الذي برأ جميع البريات، المصور الذي صوّر جميع المصوِّرات، الجميل الذي أحسن كل شيء خلقه، الحكيم الذي أحكم الخلق والأمر.

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وله المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٤].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، القاهر الذي قهر كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، الواحد الأحد، المحيط بكل أحد، القوي الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧].

وهو سبحانه العليم بكل شيء، الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ورق الأشجار، وعدد المخلوقات، وعدد الكلمات، والأقوال، والأفعال، والأنفاس، والأرواح: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦-٧].

وهو سبحانه علام الغيوب، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، السميع البصير العليم بكل ذرة في ملكه العظيم، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ليل ما في ظلمته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١١﴾ [يونس / ٦١].

فسبحان الملك الحق العليم بخفيايات الأمور، الخبير بما تكنه الصدور، البصير بمحجوبات الغيوب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ

إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩] .

وهو سبحانه الحي القيوم الذي كل شيء قائم بأمره، خاضع لسلطانه، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، العلي الذي كل شيء دونه ، الحكيم الذي أحكم الأمور، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه، الفتح الذي بيده مقاليد الأمور كلها، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من خزائن رزقه، القريب الذي يسمع ويرى ديب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان عالم الغيب والشهادة، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه ، ولا يعذب من والاه.

هو سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ، الرحمن الذي خلق الرحمة في كل راحم، وخلق الإحسان في كل محسن: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر / ٢٢] .

وهو سبحانه الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والجلال والعظمة ، له الحمد كله في الدنيا والآخرة على أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ونعمه السابغة ، وإحسانه العظيم ، ودينه القيم : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه القوي القادر الديان فلا يُدَان ، الملك الحق فلا تُضْرَب له الأمثال.

له الملك كله ، وله الخلق والأمر كله، وله الحمد والشكر كله، ويده الخير كله.

له **حُجَّة** الأمر النافذ فلا يُبدل القول لديه .. وله الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه .. وله الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه ، وله خزائن كل شيء فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ [الحجر / ٢١] .

هو الملك الحق الذي خضعت المخلوقات لعظمته، وذل الأقوياء لجبروته، وخشعت الأصوات لهيبته ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ،

وخاضعة لأمره: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

فسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته ، ودلهم بصفاته على أسمائه ، ودلهم بأسمائه
وصفاته وأفعاله على ذاته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

إن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وظهور آثارها في حياة المسلم تجارة رابحة، بل هي
أعظم التجارات التي لا تخطر أرباحها العظيمة بالبال.

ومن أرباحها الكبرى في الدنيا:

امتلاء القلب بالتوحيد .. وانسراح الصدر بالإيمان .. وطمأنينة القلب بذكر الله .. والأنس بالله ..
ودوام ذكره وشكره .. وحسن عبادته .. وطاعة الله ورسوله .. ومحبة الله ورسوله ودينه: ﴿الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

أما أرباحها في الآخرة فهي:

دخول جنة الفردوس .. والنظر إلى وجه ربنا الكريم .. والقرب من الرب .. وسماع كلامه ..
والفوز برضاه .. والنجاة من سخطه وعذابه .. والخلود في نعيم الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].
فما أعظم بركات وأرباح العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فهو الجالب لتعظيم الرب ومحبته.. الفاتح لباب الطاعات والقرب.. الواقي من المعاصي
والذنوب .. الدافع للشك والريب .. المعين على الصبر.. السلوان في المصائب .. الحرز
الحامي من الشيطان .. المحرك للبذل والعطاء والإحسان: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فلا إله إلا الله ، لا يحصي ثمار هذه المعارف إلا هو، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها ،
واتصف بها، وعبد الله بمقتضاها ، ودعا الخلق إلى معرفتها والتعبد لله بموجبها.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي آثاره من الخلق والأمر.

فاسمه المَلِكُ يقتضي مُلكاً وتصرفاً، واسمه الخالق يقتضي خلقاً ومخلوقاً، واسمه

الرزاق يقتضي رزقاً ومرزوقاً.

واسمه التواب يقتضي توبة تُقبل، واسمه الغفار يقتضي جنابة تُغفر.

واسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدىً مهملاً، لا يؤمر ولا يُنهى ولا يحاسب.

واسمه السميع يقتضي مسموعاً من مخلوقاته، واسمه البصير يقتضي مبصرات يبصرها.

وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى له تعبد خاص به، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر في

الآيات الكونية والشرعية، والتفكر في كل اسم وما يقتضيه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَقْنَاهَا وَمَا هَلَّا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦-٨].

وأكمل الناس عبودية الله من تعبد بجميع أسماء الله وصفاته، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، ولا عبودية صفة عن عبودية صفة أخرى.

فلا يحجبه مثلاً التعبد باسم الله القوي القادر عن التعبد باسمه الرحيم الحليم، ولا التعبد باسمه البرّ اللطيف عن التعبد باسمه العظيم الجبار .. وهكذا.

ولا يحجبه التعبد بصفة العطاء عن التعبد بصفة المنع، ولا التعبد بصفة القبض عن التعبد بصفة البسط .. وهكذا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

وهذه طريقة الكَمَل من السائرين إلى الله ﷻ بأحسن ما يحبه ويرضاه.

وقد أمرنا الله ﷻ بالدعاء والتعبد لله بأسمائه وصفاته بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

والدعاء بها يتناول ثلاثة أمور:

دعاء السؤال والطلب .. ودعاء الحمد والثناء .. وحسن التعبد لله بالاتصاف بها.

فدعاء السؤال ياغفار اغفر لنا، يا رزاق ارزقنا، يا لطيف الطف بنا ونحو ذلك .

ودعاء الحمد والثناء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وحسن التعبد لله بالاتصاف بالصفات التي يحبها من الإيمان والصدق والصبر والعفو والرحمة والحكمة والحلم والعدل والإحسان ونحو ذلك.

وقد فتح الله ﷻ لعباده أبواب معرفته والتبصر في أسمائه وصفاته وأفعاله.

فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقتين ، وكل منهما باب واسع في معرفة الرب العظيم والإله الحميد وهما:

الأول: النظر والتفكير في مخلوقاته المشهودة في ملكه العظيم ، فهي أدل شيء على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

الثاني: النظر والتفكير والتدبر في آياته المتلوة في القرآن العظيم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد / ٢٤].

وكل اسم من أسماء الله ﷻ وكل صفة من صفاته له عبودية خاصة، هي من مقتضياتها ، ومن موجبات العلم بها.

فالمسلم إذا علم تفرد الرب ﷻ بالخلق والأمر ، والنفع والضر ، والعطاء والمنع ، والإحياء والإماتة ، أثمر له ذلك عبودية التوكل على الله باطناً، ولوازم التوكل ظاهراً: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَاءَاءَ آيَاتٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

وإذا علم العبد بجلال الله وعظمته وكبريائه وعلوه على خلقه أثمر له ذلك عبودية الخضوع لربه ، والاستكانة إليه ، والمحبة له ، والإقبال على طاعته ، والبعد عن معصيته: ﴿ إِنَّ فِي آخِنَافِ آيَاتِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴾ ﴿٦﴾ [يونس/ ٦].

وإذا علم أن الله سميع بصير عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة، ويعلم السر وأخفى، وعلم رقابته لكل شيء ، وشهوده له ، أثمر له ذلك عبودية الإقبال على ما يحبه الله ويرضاه ، وأثمر له خشية الله ومرابطته في كل حال، وحفظ قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله ﷻ: ﴿ قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْأَلْنَ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِنَا لِلأَذْقَانِ سَجِدًا ﴾ ﴿١٠٧﴾ ويقولون سبحن ربنا إن كان وعد

رَبِّنَا لِمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

وإذا علم العبد أن ربه غني كريم ، برّ رحيم ، واسع المغفرة ، عظيم الإحسان ، أثمر له ذلك عبودية الرجاء والطمع فيما عند الله ، وإظهار افتقاره إليه ، وإنزال جميع حوائجه به ، وحسن التوكل عليه ، وعدم الركون إلى غيره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وإذا علم العبد بعدل الله ، وشدة انتقامه وعقوبته ، وغضبه وسخطه على من عصاه ، أثمر له ذلك عبودية خشية الله ، والخوف منه ، والبعد عن كل ما يغيضه ويسخطه : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا علم بجلال الله وجماله وكماله أوجب له ذلك عبودية خاصة ، هي كمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وشدة الشوق إلى لقائه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نتجافى جُتُوبُهُمْ عَنِ الْمَصَاحِبِ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فالعبودية التي يحبها الله راجعة بجميع أنواعها إلى مقتضيات أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلى ، معرفة وتعبداً ، ودعاءً وسؤالاً ، وحمداً وشكراً .

فيجب علينا لذوق طعم الإيمان وحلاوة اليقين ولذة العبادة أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله لنستفيد من آثارها وثمارها ، وذلك باستفراغ الوسع في معرفتها ، وحسن التعبد لله بها ، وتوفير كل همة في طلب رضاه ، والتقرب إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض ، ونشر الحق بين الخلق ، والصبر على كل أذى في سبيله ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ ﴿٢﴾ [العصر/ ١-٣].

ولمحببة الله ﷻ لأسمائه وصفاته أمر عباده بعبادته بموجبها ، واجتناب ضدها .

فأمرهم بالتوحيد والإيمان ، والعتق والإحسان ، والرحمة والمغفرة ، والكرم والحلم .. وأمثال ذلك من الصفات المحمودة ، ووعدهم على ذلك السعادة في الدنيا ، والجنة والرضوان في الآخرة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

ونهاهم عن ضدها من الشرك والكفر ، والشدة والإساءة ، والقسوة والظلم ، والبخل والسفه

وأمثال ذلك من الصفات المذمومة ، وتوعد من اتصف بذلك بالشقاء في الدنيا ، والنار وسخط الجبار في الآخرة : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة/ ٦٨].

وأحب عباد الله إليه من اتصف بالصفات التي يحبها كالإسلام والإيمان والكرم والتقوى . وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها كالكفر والشرك والنفاق والفجور والفسق . ويستثنى من أسماء وصفات الرب ما لا يليق بالعبد أن يتصف به كصفات الكبر والعظمة والجبروت ؛ لأنها مختصة بالملك الجبار فلا تليق بالعبد ، ولا تحسن منه أمام ربه وأوليائه ؛ لمنافاتها رتبة العبودية والذل للملك الجبار ﷺ ، وإنما يستعملها مع أعدائه من الكفار : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح/ ٢٩].

ولما كان العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أبواب التوحيد ، وأول العلوم ، وأشرف المعارف ، لأنه أساس العبودية ، والعلم به يدعو العبد إلى محبة الله وتعظيمه وتوحيده وخشيته وتقواه ، وإخلاص العمل له ، ولوجوب معرفة الرب العظيم والإله الكريم الرحيم .

ولتحصل للعبد معرفة المعبود قبل العبادة .. ومعرفة المطاع قبل الطاعة .. ومعرفة المسؤول قبل السؤال .. ومعرفة الأمر قبل الأوامر .

فتستقر في القلوب عظمة الرب وجلاله، وتمتلئ بمحبته وإجلاله، وتطمئن بذكره وعبادته، وتنشرح الصدور لامثال أوامره، وتخضع القلوب لهيبته، وتلهج الألسن بذكره وحمده، وتنفذ الجوارح لطاعته وعبادته .

ويجتمع باطن الإنسان وظاهره على طاعة مولاه، ويتفق سر الإنسان وعلايته على حسن الثناء على ربه ، وحمده وشكره ، والافتقار إليه، والانكسار بين يديه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

لهذا أمرنا الله أولاً بمعرفته قبل كل شيء ، فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم نفعاً ، وأحسنها ثمرة ، وأحلاها طعماً ، وأزكاها تربية ، وأفضلها علماً ، وأنفسها قيمة ، وأرفعها

درجة ، وأعلىها مرتبة : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَابِكُمْ وَمَثَبَكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد/ ١٩].

وبهذا العلم يعرف الناس ربهم ، وتقوم الحجة البالغة على الناس ، ويسجد الناس بالتعظيم والمحبة لرب الناس : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [١٦] ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [١٧] ﴿ [الحديد / ١٦- ١٧].

وحظ كل مسلم من هذا العلم العظيم بعد توفيق الله وعونه بقدر همته ، وقوة مجاهدته ، وطول مثابرته ، وصدق توكله ، ودوام صبره ، وشدة افتقاره لربه ، ولزوم تقواه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣٨٢] ﴿ [البقرة/ ٢٨٢].

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ويهب علمه وحكمته وهدايته : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [٧٥] ﴿ [الأنعام / ٧٥].

ولأهمية معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى قمنا بعون الله بإحصاء ما تيسر منها حسب الإمكان، والتعرف على آثارها ومسالكها في العالم العلوي والسفلي ، مع بيان كيفية التعبد لله بها، وذكره ودعائه بألفاظها ، لحمل النفوس على موافقة ربها فيما يحبه ويرضاه من الإيمان والتقوى ، وليعبد المسلم ربه على بصيرة من أمره بعد أن كان على بينة من ربه، دون خروج عن حكم الشريعة بغلو أو تقصير أو ابتداء ، فتعلم ذلك تبصر : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا نَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَهْلُوا الْأَنْبَابِ ﴾ [١٩] ﴿ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يُنْفِضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ [٢٠] ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [١١] ﴿ [الرعد/ ١٩- ٢١].

وتلك درجات المقربين العالية ، يصلها من زكى نفسه بمعرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه ، وفرغ قلبه من الشبه والآثام، وهياً نفسه للعلم بها، والتفكر في معانيها، والتعبد لله بها : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [١٨] ﴿ [فاطر/ ١٨].

وأعظم التزكي يتم بكمال الإيمان والتقوى بمعرفة أسماء الله وصفاته ، وفعل ما يجب له من أنواع العبادة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ [١٤] ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [١٥] ﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [١٦] ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [١٧] ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ [١٨] ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [١٩] ﴿ [الأعلى / ١٤ - ١٩].

واعلم رحمك الله أن كل ما تقدم إنما هو صورة التوحيد وألفاظه وأقسامه وثمراته وصفات أهله ، ومفاتيح أبوابه ، وكل ذلك لا بد من معرفته، وكل ذلك يشير إلى جنة الإيمان، وينير لك طريق الهداية ، ويفتح لك أبواب العلم بالتوحيد.

أما حقيقة التوحيد ، وحقيقة الإيمان ، وحقيقة اليقين ، وحقيقة الإحسان ، وحلاوة العبادة ، ولذة المناجاة ، فلن تذوق شيئاً من طعم ذلك حتى تدخل مع تلك الأبواب إلى بستان التوحيد الأعظم ، وتجنبي بعون الله من ثماره ماشئت ، وذلك بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، وتدبر آيات القرآن العظيم ، ونقل ما في السطور إلى القلوب .
وبهذا وهذا فقط ترى الملك الحق بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ذو العظمة والجبروت والملكوت والكبرياء والجلال والإكرام يفعل ما يشاء .

يخلق ما يشاء .. ويرزق من يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويتنقم ممن يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .. ولا إله غيره .. ولا رب سواه: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك / ١-٢] .

وقد فتح الله لك هذه الأبواب العظيمة فاستعن بالله وادخل جنة المعرفة بأسماء الله الحسنی، وصفاته العلی، والأفعال العظمی، يفتح لك الفتح العليم يوم القيامة أبواب جنات الآخرة مع أهل التوحيد والإيمان: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفُتْحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَرْبَابُ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص / ٤٩-٥٤] .

وفوق ذلك يرضى الله عنك ، ويرضيك ، ويسترضيك : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

وكلما دخلت باباً من أبواب أسماء الله الحسنی، وصفاته العلی، رأيت نوراً جديداً ، وامتلاً قلبك توحيداً وإيماناً و يقيناً ، وزدت لربك حباً وتعظيماً ، وتسبيحاً وتحميداً ، وذكراً وشكراً .

فواصل المسير لتصل إلى ربك العظيم ، وتسلم وجهك إليه ، وتناجيه وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وتعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان/ ٢٢].

وقد أحصينا بفضل الله وحده تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى، الواردة في القرآن والسنة، وشرحناها بالتفصيل في ضوء القرآن والسنة، ليتمكن المسلم من معرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويوحد ربه بها، ويتعبد لله بموجيها، ويدعو الله بها: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وهاهي أبواب توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته، مفتوحة بين يديك ، متوجة باسم الله الأعظم ، فادخل أعظم جنات العلم والمعرفة الموصلة إلى جنات الآخرة، تَعْلَم وتغنم ، وتسعد وتؤجر .

« بسم الله الرحمن الرحيم » .. بسم الله خير الأسماء .. بسم الله رب الأرض والسماء .. بسم الله الأول قبل الأشياء .. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء .

بسم الله افتتحت أسماء ربي الحسنى ، وعليه توكلت ، الله ربي ولا أشرك به أحدا ، وأحمده وأشكره وأستعينه وأستغفره ، وهو المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود/ ٨٨] .

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الأول

أسماء الله الحسنی الدالة على الألوهية،

والربوبية، والوحدانية [١-٦]

وتشتمل على ما يلي :

(الله، الإله) جل جلاله

(الرب) جل جلاله

(الواحد ، الأحد) جل جلاله

(الوتر) جل جلاله

الله .. الإله

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ [الزخرف / ٨٤] .

الله عَلم على ذات الله ، وَعَلم على أسمائه وصفاته .

عَلم على الملك ، وَعَلم على الخالق ، وَعَلم على الرب ، وَعَلم على العزيز ، وَعَلم على الرحمن: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٢ - ٢٣] .

هو الإله العظيم الذي لا أعظم منه ، حارت في عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الألباب والعقول ، المُلْك ملكه ، والخلق له ، والأمر كله بيده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

فسبحان من لا نهاية لعظمته ، ولا نهاية لجلاله ، ولا نهاية لجماله ، ولا نهاية لقوته ، ولا نهاية لعلمه ، ولا نهاية لرحمته ، ولا نهاية لملكه .

لا يُعطي ولا يمنع إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يُعز ولا يُذل إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله وحده لا شريك له: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

وإذا عرفت هذا فاعلم أن أصول أسماء الله الحسنی ثلاثة ، وهي :

الله ، والرب ، والرحمن ، وبقية أسماء الله الحسنی تدور عليها وترجع إليها .

فاسم الله متضمن لصفات الألوهية ، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات البر والإحسان .

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في أعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة فقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ [الفاتحة / ٢ - ٣] .

واسم الله أصل لجميع أسماء الله الحسنی ، وسائر الأسماء الحسنی مضافة إليه كما قال

سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فاسم الله مستلزم لجميع معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى .
ولهذا كان أكثر الأسماء وروداً في القرآن، وأضيفت الأسماء الحسنى إليه ، واقرنت به عامة الأدعية والأذكار كسبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر وغيرها .

فالله هو الاسم الأعظم للرب ، وجميع الأسماء الحسنى تعود إليه ، وجميع القلوب مفطورة على التوجه إليه، والإقرار بعظمته، والحب له ، والفرع إليه ، والذل له ، والافتقار إليه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ هو الإله المحبوب المودود ، المطاع المعبود ، الحي القيوم الذي تأله القلوب وتحبه وتفزع إليه ؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الله العظيم ، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، الإله الذي له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ما يستحق به أن يولده ويعبد لأجلها، الذي يأله أهل السماء وأهل الأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف / ٨٤].

وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه بحسب معرفتهم به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

واعلم وفقك الله أن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي الدين كله .
فمن أجلها خلق الله الخلق، وخلق السموات والأرض ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وخلق الجنة والنار، ونصب الصراط والميزان .

ولا إله إلا الله أحسن ما نطق به اللسان، وأعظم ما وقر في القلب، وأفضل ما تعبد به الخلق .
ولا إله إلا الله أقوى من كل شيء، وأعظم من كل شيء ، وأثقل من كل شيء .

فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما عليهن وما بينهن وضعت كلها في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة ، لرجحت بهن لا إله إلا الله .

ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله .
ولو جاء العبد يوم القيامة بقراب الأرض خطايا ومعه لا إله إلا الله ، وبلغت سيئاته تسعة

وتسعين سجلاً ، كل سجل على مد البصر، ثم وضعت في الميزان لمالت بهن لا إله إلا الله ، وطاشت السجلات .

ومن كان في قلبه مثقال ذرة من لا إله إلا الله أنجاه الله من النار، وأعطاه جنة سعتها وعظمتها مثل الدنيا عشر مرات .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ: رَبِّ ، الْجَنَّةُ مَلَأَى ، فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةُ مَلَأَى ، فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ » متفق عليه^(١) .

واعلم أنه ما قال (لا إله إلا الله) على الحقيقة التامة سوى الله صلى الله عليه وسلم؛ لعلمه بنفسه، وكبر شهادته ، ثم الملائكة لأنهم أقرب خلقه إليه ، ثم الأنبياء والرسل لأنهم أعرّف الخلق بالله ، ثم العلماء لأنهم ورثة الرسل ، ثم عامة المؤمنين: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

فلا إله إلا الله العلي العظيم، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

ما ذكّر اسم الله صلى الله عليه وسلم على قليل إلا كثّره ، ولا عند كرب إلا كشفه ، ولا عند خوف إلا أزاله ، ولا عند همّ إلا فرّجه ، ولا عند ضيق إلا وسّعه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَن تَوَفَّكُونَ ﴾ [غافر / ٦٢] .

وما تعلق بالله ضعيف إلا أفاده القوة ، ولا ذليل إلا أناله العزة ، ولا مغلوب إلا أيده ونصره ، ولا تعلق به مضطر إلا كشف ضره ، ولا جاهل إلا علّمه ، ولا مريض إلا شفاه ، ولا فقير إلا أغناه .

هو الإله الحق الذي خضعت الرقاب لعظمته، وخشعت الأصوات لهيبته، وفطر القلوب على تعظيمه ومحبته والذل له: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْعَبِيبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٢] .

هو الله الذي خلق جميع المخلوقات ، ودبر جميع الكائنات ، وقدر جميع المقادير ، وأنعم بجميع الأرزاق: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

وكل من تولاه الله إيجاداً وولاية فهو المؤمن المرضي، ومن لم يتوله الله فهو منسوب إلى

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٦) .

الله إيجاداً ، ثم هو منسوب إلى الشيطان الذي تولاه .

فالله ﷻ ولي المؤمنين ، يواليهم بالنصر والعز والنعم والثواب ؛ لأنهم يوالونه بالإيمان والطاعة والعبادة ، والشيطان ولي الكافرين ، يواليهم وبغيرهم بالشهوات ، ويزين لهم الكفر والمعاصي ؛ لأنهم يوالونه بالطاعة ومعصية الله : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥٧] .

هو الله وحده المعبود بحق ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

هو وحده الذي يزيل الغمة ، ويكشف الكربة ، ويعطي النعمة ، ويفعل ما يشاء : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

ومن أيقن أنه لا إله إلا الله عبده وحده ، وخافه وحده : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ١٦٣] .

وعبادة الله لا تسمى عبادة إلا مع كمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

• التبعده لله ﷻ بهذا الاسم الكريم :

اعلم وفقك الله لطاعته أن المنعم بجميع النعم هو الله وحده لا شريك له ، ودافع جميع النقم هو الله وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمُّةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣] .

وتذكر أيها العبد أنك كنت معدوماً فأوجدك الله ﷻ ، وكنت جائعاً فأطعمك الله ، وكنت فقيراً فأغناك الله ، وكنت صغيراً فكبرك الله ، وكنت عرياناً فكساك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت جاهلاً فعلمك الله ، فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَنْفَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ

ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَحِجَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَحِجَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .
يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ « أخرجه مسلم ^(١) .

وتذكر رحمك الله أن الله حين أوجدك كرمك ، وفصلك على كثير من مخلوقاته كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء / ٧٠] .

فأعطاك الله السمع الذي تسمع به الأصوات، وتميز به بين الحسن والقيح من الكلام، لتسمع به ما يحبه الله ورسوله من القرآن والذكر والعلم وغير ذلك. وأعطاك البصر الذي تبصر به المخلوقات والآيات الدالة على عظمة أسماء الله وصفاته. وأعطاك العقل الذي تميز به بين الخير والشر، وتعرف به الحق من الباطل ؛ لتعبد من يستحق العبادة بما شرعه من الحق .

وأعطاك اللسان الذي يترجم عما في القلب لتستعمله في ذكره وشكره والدعوة إليه. وأعطاك الجوارح لتطيع بها ربك ، وتشكر الذي خلقك وعلمك وهداك ، وتخدم نفسك : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل / ٧٨] .

وتذكر رحمك الله أن الإله الحق ناداك من قبضة اليمين ، وأقطعك في الغيب وسام المسلمين والمؤمنين ، والصالحين والمحسنين، وشرح صدرك لعبادته دون غيره : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات / ١٧] .
فقل الحمد لله الذي عصمك عن عبادة العبيد ، وأعتق قلبك عن الذل لرق العبيد ، ووجهه وجهك إلى الله العلي الكبير : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الكبرياء / ٣١] .
واضرع إلى الأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

واضرع إلى الإله الحق الذي عصمك من السجود للصنم، وقضى لك بقدم الصدق في

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

القدم، وأحاطك بأجزال المنة في دنياك، وسله أن يتم عليك النعمة في أخراك وقل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف/ ١٥] .

ثم اسمُ بِسْرِكِ إلى الأفق الميين حبا لمن سمَّاك من المسلمين ، وجعلك من المؤمنين، وجد بالرضى من قلبك لما قضاه ربك لك في السراء والضراء ، وفي الشدة والرخاء .
فهو الرب الرحمن الرحيم ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الخبير بمصالح عباده ، الكريم في عطائه ، اللطيف في تدبيره .

وتوكل على الله وحده تغنم وتسلم وتؤجر ، ولا تتعلق بغيره فتوكل إليه وتخسر وتشقى :
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَايَتُوكُلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣] .

واعلم رحمك الله أن من علامات الرضى سرور العبد بالمقدور في جميع الأمور .

فلا تدم شيئا قدره الله، ولا تضجر من مرارة المقادير، وتوالي المكاره، ولا تمنى البلاء ، بل سل الله العفو والعافية ، ولا تسأم من التكاليف، ولا تكره المكاره والمصائب إذا نزلت :
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦] .

فاستسلم لقضاء ربك العليم الحكيم فإنه أرحم بك من نفسك .

واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فالله قادر قاهر لا اراد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وما شاء الله كان ، ومالم يشأ لا يكون أبداً .

وبهذا يرضى القلب ويسلم ، ويسكن العقل ويستسلم ، وتغتبط النفس بحلاوة التدبير ، وحسن التصريف ، والرضى بما يحبه الله ويرضاه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٣٨] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

وأكثر من الاستغفار على فقدان الأدب عند فعل الطاعات ، وسوء الأدب عند فعل السيئات، الذي سببه الجهل بأسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩] .

واعلم رحمك الله أن الله خلقك على معاني الأسماء والصفات، وهياك لمعرفة لمحبتة لك، وفرحه بقربك، ورحمته بك؛ لأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم الذي لا أرحم منه:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

فإذا استعملك الله ﷻ في طاعته ، وبغض إليك معصيته ، فقد اجتباك لنفسه ، وخصك بمزيد عنايته ، واستنقذك من شر نفسك: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

يُئْتِبُ﴾ [الشورى / ١٣] .

فإن رقى بك الكريم إلى أن كتب الإيمان في قلبك باليقين التام والعلم النافع فقد أفلحت ، فارغب إليه في تحقيق العبودية له وحده ، يصطفيك ويريبك تربية خاصة .

فيجعلك من بين خلقه عالماً خاشعاً ، رحيماً لطيفاً ، شاهداً للحق ، مشاهداً للرب ، مراقباً للحق ، مبيناً للحق ، عاملاً بالحق ، قائماً على العهد ، حافظاً للغيب ، عاملاً بما يرضيه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ

عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣] .

ويجعلك عفواً غفوراً ، براً شكوراً ، صادقاً صبوراً ، حليماً حكيماً ، محسناً كريماً ، طيباً طاهراً ، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي يحبها ، يستعملك الإله الحق فيها على شاكلة العبودية ، فيحبك الله ، ويحبك الناس ، وتربح وتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ [٧٣] ﴿يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران / ٧٣ - ٧٤] .

وبهذا يكون الله معك ، يحفظك ويرعاك ، يذكرك إذا ذكرته ، ويجيبك إذا دعوته ، ويعطيك إذا سألته ، ويحبك إذا أطعته ، ويزيدك إذا شكرته : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

واعلم أن أحب الخلق إلى الله أحسنهم تعبداً له بمعاني أسمائه وصفاته ، على سنن التعبد له بالإيمان والإحسان ، والعلم والعدل ، والعفو والصفح ، والرفق واللطف ، والكرم والبر ، والصدق والصبر ، والحلم والستر ، والرحمة والمغفرة : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

ثم أتركهم منازعة لله في معاني صفات الربوبية كالكبرياء ، والعظمة ، والجبروت ، والعلو ، والقهر ونحو ذلك من نعوت التعالي والجلال والكبرياء ، فإن انتحال ذلك يخرج العبد عن شاكلة العبودية ، وبمفارقة العبد شاكلة العبودية يفسد ويهلك ، ويضل ويخسر : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا

ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ثم أشدهم حباً لرسول الله ﷺ ، وتحققاً في الاقتداء به ، والعمل بما جاء به ، فكن من هؤلاء تنال أعظم الكرامات : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعْنَا عَنْهُمْ أَزْوَاجَهُمْ حِزْبًا لِّئَلَّا يَافِكُوا حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة/ ٢٢].

ومن كمال حب الله دوام ذكره في القلب بالفرح به ، والشوق إليه ، والأنس بمناجاته ، والسكون إليه : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعلاوة الأُس بالله إثارة الخلوة به، وبث الشكوى إليه، وحسن الثناء عليه، والانكسار بين يديه ، وشدة الحياء منه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك/ ١٢]. فاجعل أيها الحبيب رأس مالك اليقين ، وزادك الفقر ، وقوتك التفكر ، ولباسك التقوى ، ومطيتك الصدق ، ومصباحك الإحسان ، ودولتك حسن الخلق : ﴿فِيمَا رَحِمْتَنِي مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واترك التكلف والدعوى في جميع أحوالك، فذلك أبلغ لك فيما تريد، وأقرب لعون الله لك، واقصد الإله الحق ، واتخذة وحده إلهاً يغنيك عن كل ما سواه : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ [الأحزاب/ ٤٨].

واعلم أنه ليس الشأن أن تحب الله فقط ؛ بل الشأن كل الشأن أن تحب الله ، ويحبك الله ، ثم ينشر الله محبتك بين أهل السماء والأرض .

ولا يحبك الله إلا إذا آمنت به ، واتبعت رسوله ﷺ فيما جاء به : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران/ ٣١].

واعلم أن (لا إله إلا الله) أول علم يحتاجه الإنسان : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وبكلمة (لا إله إلا الله) أمسك الله السموات والأرض أن تزولا ، وأمسك السماء أن تقع على

الأرض ، وحصل للعباد الإسلام والإيمان، وبها عُمرت الدنيا والآخرة، ومن أجلها خلق الله الخلق، وخلق الجنة والنار، ومن أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وشُرعت الأحكام. وهي الموجبة للجنة ، وضدها موجب للنار ، فأكثر من قولها فلا شيء يوازئها ، كلما مرت بسيئة محتها ، وكلما مرت بشبهة أحرقتها ، وكلما مرت بنار أطفأتها : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢].

وإذا ابتليت بالخروج عنها أو عن معنى من معانيها فقد ظلمت نفسك ، فبادر بالتوبة والرجوع إليها: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات / ١١].
واعلم أنه بـ (لا إله إلا الله) تُفتح للعباد أبواب الطاعة المفضية به إلى جنة الآخرة ، وتُطلق له جوارحه التي يستعملها لطلب مرضاة ربه، وتُغلق عنه أبواب النار التي جوارحه هي الشوارع إليها.

فلا قول أنفع من قائلها ، ولا عمل أزكى من عمل أهلها، ولا ثواب أكثر من ثوابها ، وبها تستفتح أبواب الجنة : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق / ١١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » أخرجه مسلم ^(١).

ولا إله إلا الله رأس الدين وملاكه ، وقوامه وسلطانه ، وسراجه وموضع مداره.

وهي أفضل العلم وأزكاه ، وأعظمه وأكبره ، وأحسنه وأكمله ، وأطيبه وأصفاه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

وهي الكلمة الطيبة ، والشجرة الطيبة ، وجميع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة كلها فروع لها ، وثمرتها من ثمارها.

فمتى زَكَتْ زَكَتْ القلوب والأعمال ، ومتى وَهَتْ وَهَتْ القلوب والأعمال : ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَثَلُ كَيْفِيَّةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثِيَّةٍ اجْتُمَتْ
 مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٣٦﴾ [إبراهيم / ٢٤-٢٦].

ومدار صلاح القلوب والأبدان وفسادها على وجودها أو عدمها.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه^(١).

ولا إله إلا الله أفضل الشهادات، وأعلاها، وأعدلها، وأحسنها، شهد الله بها على نفسه، وملائكته، وأولو العلم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / ١٨].

وهي لمن قالها عالماً وموقناً بها مصفية للروح من الكدر، مروحة للقلب من وهج الشكوك، منبئة لأطيب الأعمال، وأحسن الأخلاق، مورثة لأعظم الأجور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شِئْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

فأكثر من قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أخرجه مسلم^(٢).

وب (لا إله إلا الله) تنال أعظم الحسنات، وتفوز بأعلى الدرجات: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت / ٥٨-٥٩].

فاعبد ربك الإله الحق وحده لا شريك له، وأخلص له الدين والقول والعمل تفوز برضاه. واعلم أن كل ما سوى الله من العرش والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، والشمس والقمر، والجبال والبحار، وكل نبات وحيوان، وكل صغير وكبير، وكل مخلوق، كل أولئك عبيد ممالك للإله الحق، شاهدون لربهم بالوحدانية، قائمون له بالعبودية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤).

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨] .

فسبح بحمد ربك العظيم مع كافة المخلوقات ، فهو أهل أن يُكَبَّرَ وَيُمَجَّدَ ، وأهل أن يُعْبَدَ وَيُحْمَدَ : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤] .

« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم^(١) .

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء أستدفع كل مكروه أوله سخطك ، وأستجلب كل محبوب أوله رضاك يا مولاي .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء / ٨٧] .

« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا » أخرجه مسلم^(٢) .

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » أخرجه مسلم^(٣) .

اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً ، وأشهد جميع خلقك ، وأشهد جميع سكان سماواتك وأرضك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك .

اللهم اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

سبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٨٦) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الرب

قال الله تعالى : ﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ٥٨ ﴾ [يس / ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ ﴾ [الفاتحة / ٢] .

الله ﷻ هو رب العالمين ، ورب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، ومقدر كل شيء ، ومدبر كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو سبحانه الرب العظيم الذي له السؤدد والعزة والعظمة والعلو وله الكبرياء والجبروت والملكوت : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ ﴾ وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ ٣٧ ﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه الرب الذي أصلح خلقه ورباهم بنعمه ، الكافل لهم ، القائم بمصالحهم ، الموال لهم بنعمه ، الكثير الخير والإحسان : ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام / ١٦٤] .

هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، الرب العظيم الذي يربي عباده بنعمه المادية والروحية فله الحمد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٢ ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ٤ ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ ٥ ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ٦ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ ٧ ﴾ [الفاتحة / ٢-٧] .

هو سبحانه الرب الكريم الذي يمد أجسامنا وعقولنا وجوارحنا وقلوبنا بما تحتاج إليه من الأقوات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّهُ تَوَفَّاكَ نُوْفِكُونَ ﴿ ٣ ﴾ [فاطر / ٣] .

هو الرب الخالق الرازق الذي منه نعمة الإيجاد ، ومنه نعمة الإمداد ، ومنه نعمة الهداية . خلق الإنسان ولم يكن شيئاً من قبل ، وأمدّه بالنعمة التي لا تُعد ولا تُحصى ، ثم هداه إليه . من أطاعه كافأه ، ومن عصاه أذبه ، ومن دعاه استجاب له ، ومن استغفره غفر له :

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿ ٧٨ ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿ ٧٩ ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿ ٨٠ ﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿ ٨١ ﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٨٢ ﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٢] .

وهو سبحانه الرب الحافظ لكل شيء ، القريب من كل شيء ، الرقيب على كل شيء ، البصير

بكل شيء، السميع لكل شيء، العليم بكل شيء، الذي له جميع الأسماء الحسنى، وله جميع الصفات العلى، وله المثل الأعلى، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، هو الرب الذي له الخلق والأمر، والرحمن الذي استوى على عرشه العظيم، وتفرد بتدبير ملكه الكبير، وتولى تربية خلقه في كل حال: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْمُرُهُ لُهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/٦٥].

هو الرب الحي القيوم، رب السموات والأرض ومن فيهن، ورب كل شيء.

فخلق كله له، والرزق كله منه، والتدبير كله بيده، ومصير الأمور كلها إليه.

ومراسيم التدبير كلها نازلة من عنده، تنفذها وتقسمها ملائكته بأمره.

بالعطاء والمنع، والبسط والقبض، والرفع والخفض، والتحرك والتسكين، والإحياء والإماتة:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/٢٦-٢٧].

وهو سبحانه الرب القوي العزيز الكريم الذي يكشف الكروب، ويرفع البلاء، ويجيب

المضطر، ويغيث الملهوف، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/٢٩].

وهو الرب القادر الذي بحكمته يخلق ويرزق، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل، ويكرم

ويهين، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء.

وهو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، القادر الذي لا يعجزه شيء، لا معقب

لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/٣].

وهو سبحانه الرب الملك الحق رب العرش العظيم، لا إله غيره، ولا رب سواه، خالق كل

شيء، عليم لا يعزب عن علمه شيء، ولا يخرج عن تقديره شيء، ولا يفلت من ملكه مثقال

ذرة في السموات والأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون / ١١٦] .

وهو سبحانه الرب الذي لا إله إلا هو ، مالك الملك والملكوت ، وملك الملوك والعبيد ، قيوم الدنيا والآخرة ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .
كل شيء خلقه ، وكل شيء سواه عبده ، وهو رب كل شيء: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى / ١٠] .

وهو سبحانه الرب الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء ، وعلمه وسع كل شيء ، واسع الفضل ، واسع المغفرة ، واسع الرحمة : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر / ٧] .
يرحم من يشاء من خلقه بما يشاء من فضله وإنعامه وإحسانه وإكرامه .

ثم خص أوليائه بإتمام نعمته وإحسانه وخاصة رحمته ، فأنشأ الإيمان والمعرفة في قلوبهم ، وغذاهم بتذكيرهم بعظمته وجلاله وجماله وأسمائه وصفاته ، وتعريفهم بدينه وشرعه ، وثوابه وعقابه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا الَّذِينَ يُنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٦] .

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي علاقته بالعوالم التي خلقها علاقة رحمة وعطاء ، وعلاقة تربية وإمداد وعناية وإكرام : ﴿ نَبِّزُكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .
هو الرب الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم ، وهداك إليه ، وساقك إلى طاعته ، وأعانك على عبادته ، وألقى في قلبك محبته ، وحبب إليك الإيمان ، وزينه في قلبك ، وكره إليك كل ما يضرك ، وصد عنك من يضلك : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء / ١١٣] .

واعلم أن تربية الرب جل جلاله لعباده نوعان :

الأولى : تربية عامة ، وهي تربية الرب ﷻ لكل مخلوق مؤمناً كان أو كافراً ، برّاً كان أو فاجراً ، إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، تربية حكيمة بالخلق والتدبير ، والعطاء والمنع ، والإحياء والإماتة ، والبسط والقبض كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثانية: تربية خاصة لأوليائه المؤمنين ، حيث رباهم فوفقهم للإيمان به ، وغذاهم بمعرفته ، وأعانهم على عبادته ، وحبب إليهم طاعته ، وكره إليهم معصيته: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَئِي يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ [الحجرات / ٧].

والله ﷻ هو الرب الحق والإله الحق الذي أحسن كل شيء خلقه، وأحسن كل شيء حُكماً، وأحسن كل شيء تقديرًا وتديراً: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين] ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

هو الرب المحسن إلى جميع خلقه بما أسبغ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

كل المخلوقات له .. وكل النعم منه .. وكل خير من لدنه .. وكل الخزائن عنده.
هو الرب حقاً ، الإله حقاً ، المحسن حقاً ، الكريم حقاً ، الملك حقاً .

قوله الحق، وفعله الحكمة، وتدييره العدل، وعطاؤه الفضل، وجزاؤه القسط والإحسان.
فسبحان الرب المحسن إلى جميع خلقه، الذي لا تبلغ الأوهام تعداد نعمه، ولا تطمع العقول في إحصاء خلقه وفضله وإحسانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل / ١٧-١٨].

فهل يليق بمن لديه مسكة من عقل أن يتخذ رباً سواه، أو يعبد إلهاً غيره: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُكُمْ قُلُوبُ الْإِنسَانِ أَكْفَرُ لِمَا هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسُلِهِم لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام / ٧١].

والله سبحانه هو الرب الكريم الذي غَمَّر الخلق جميعاً بإحسانه وإنعامه ، برَّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل / ٥٣].

هو سبحانه الملك العزيز الجبار ، ذو الجلال والإكرام ، الذي كل جلال وجمال في العالم فمن أنوار ذاته وآثار صفاته .

هو ذو الجلال الذي جل قدره ، وعظم في قلوب العارفين به ، الذي عظم قدره ، وتنزه عما لا يليق به : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الرب العظيم الذي جل في علو صفاته ، وتعذر على الخلق أن يحيطوا بأسمائه وصفاته ، ونعوت جلاله وجماله ، وعظمته وكبريائه ، وملكه وملكوته : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يربي عباده لمصلحتهم بصفات الجلال والجمال ، وله سبحانه صفات جلال ، وصفات جمال ، وصفات ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وصفات ظاهرها جمال وباطنها جلال .

فإذا أعطى الله العبد عطاءً حسناً فهذا شيء جميل ، لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء شكر واستقامة فسيكون بعده عقوبة وتأديب بالجلال .

وإذا أوقع الله الضر والبلاء بإنسان فهذا جلال ، فإذا أفضى به هذا البلاء إلى التوبة والاقبال على الله فهذا جمال : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

فسبحان ربنا ما أعظمه وما أرحمه بخلقه ، يسوق إليهم النعم ليُقبلوا بها عليه ويطيعوه ، فإذا انصرفوا عنه أرسل إليهم مصيبة تردهم إليه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه الحكيم الذي منع ليعطي ، وقبض ليبسط ، وخفض ليرفع ، وجعل هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، وجعل بلاء الدنيا سبباً لعطاء الآخرة ، وجعل عطاء الآخرة عوضاً من بلوى الدنيا : ﴿ إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر/ ١٠].

فسبحان الرب الكريم الحكيم الذي يأخذ ليعطي ، ويتلى ليجزي : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

هو سبحانه الرب العظيم وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، مرة

يكاشف القلوب بأسماء جلاله ، ومرة يكشفها بأسماء جماله .

فإذا تجلى على عبده باسم الجلال امتلأ القلب خوفاً وخشية ، وإذا تجلى الله على عبده باسم الجميل امتلأ القلب محبة وفرحة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

فسبحان من يقبل هذا القلب البشري بين السرور والطمأنينة ، وبين الخوف والخشية ، وذلك كله لمصلحة العبد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/٦٥].
واعلم أن كل إنسان قريب من الله يدرك أنه بعد كل افتقار عطاء من ربه ، وبعد كل كبر منه تأديب من ربه ، فالمفتقر إلى الله ينعم باسم الجميل ، والمعتد بنفسه يعاقب بصفة الجلال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/١٨٦].

وربنا حكيم عليم قد يحوج الإنسان لعبد لئيم فيرده هذا اللئيم ليعرف مقدار إحسان ربه إليه .
واعلم أن هؤلاء الناس الذين يهانون ويذلون ويسوق الله إليهم من الشدائد ما لا يطيقون هم غالباً عصاة هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، فسلط عليهم بذنوبهم من يهينهم ليعودوا إلى ربهم ويحسنوا الظن به : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّبُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام/١١٩].
ومن أصر على معصيته واستكباره أخذ الله عزيز مقتدر : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف/٥٥].

وربنا عزيز كريم يغار على عبده المؤمن فيجله ويكرمه ، ولا يذله ولا يهينه ولا يحوجه إلى لئيم ، بل للمؤمن الكرامة والأمن دائماً : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام/٨٢].

أما هؤلاء الطغاة والأشرار الذين يذلون الناس فهم عصى بيد الله ينتقم بهم ممن عصاه ، ثم ينتقم منهم ، ويسلطهم على من أساء من عباده ، فإذا تابوا كفهم الله عنهم : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَبْ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء/١٢٣].

فسبحان الرب العظيم الذي بيده مقاليد الأمور ، الرحيم الذي يربي عباده بما يصلحهم

ليسعدوا في دنياهم وأخراهم.

فمن أطاعه ظاهراً وباطناً أكرمه ، ومن لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ المائدة / ٢٧ ﴾ .

ربنا ﷻ هو القوي العزيز الذي ينتقم من كل ظالم استشرى شره ، ويعاقب كل مجرم مهما علا وتجبر : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢) ﴿ هود / ١٠٢ ﴾ .

هو العزيز الجبار الذي يقصم ظهور الطغاة ، وينزل العقوبة بالعصاة لعلهم يتوبون إليه : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ الأنعام / ٤٣ ﴾ .

واعلم أن الإنسان إذا عرف عظمة ربه خشي نقمته، وخاف عقوبته، فأطاعه ولم يعصه، ومن خاف ربه دلّه الخوف على كل خير: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ويممّا رزقتهم فيفوقون ﴾ (١٦) ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (١٧) ﴿ السجدة / ١٥-١٧ ﴾ .

فسبحان من عرّف العباد بعظمته ليهابوه ، وعرفهم بنعمه ليشكروه : ﴿ نَحْنُ عِبَادِي آتَىٰ أَنَا الْغَفُورَ الرَّحِيمَ ﴾ (٤٩) ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (٥٠) ﴿ الحجر / ٤٩-٥٠ ﴾ .

هو الملك الحق الحكيم الذي يربي عباده بما يصلحهم فينتقم بعقوبة تردع صاحبها عن أن يعصي الله ﷻ ، ويعاقب ليقف الباغي والمجرم والظالم عند حده ، ويحفظ من سواه من أذاه : ﴿ يَوْمَ تَبُطُّشُ الْبَطُشَةُ الْكُبْرَىٰ إِنَّمَا تُنْقَمُونَ ﴾ (١٦) ﴿ الدخان / ١٦ ﴾ .

هو الرب الرؤوف الرحيم بخلقه ، لا يقصم ظهور الطغاة ، ولا ينكل بالجناة ، ولا ينتقم من العصاة إلا بعد الإعذار والإنذار والإمهال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ عَدَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّتْهَا عَذَابًا تَكْرَارًا ﴾ (٨) ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسرًا ﴾ (٩) ﴿ الطلاق / ٨-٩ ﴾ .

هو الرب الرحمن الرحيم ، لا يبطش بالمجرم من أول مرة ، بل يمهل ليتوب إلى ربه ، فإن لم يستجب انتقم الله منه ، وأراح الناس من شره : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (٩٥) ﴿ المائدة / ٩٥ ﴾ .

فسبحان ربنا الكريم الرحمن الذي ينتقم ممن عصاه ليصلحه ويوصله إلى أبوابه ، ويدخله إلى أبواب رضاه وطاعته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) ﴿ البقرة / ١٤٣ ﴾ .

واعلم أنه إذا غضب ربنا ﷻ فإنه لا يغضب لنفسه، ولا يغضب على خلقه، بل يغضب على أعمالهم السيئة التي سوف تشقيهم، فيعاقبهم ليعيدهم إلى الأعمال الحسنة التي ترضيه وتسعدهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو الرب العظيم والإله الكريم الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات، فمن لم ينتفع بالإنذارات سلط عليه العقوبات: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف/ ٥٥].
وسنة الله جارية في كل زمان ومكان أن من أعرض وطغى وتجبر أمهله الله ليتوب، فإن تاب وأناب وإلا أخذته الله بذنبه: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

واعلم أن ربنا ملك قادر على كل شيء، إذا رحم رحم حيث لا شقاء، وإذا بطش بطش حيث لا نجاة: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [١٢]، إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ [١٣] وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ [١٤] ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ [١٥] فَعَالَ لَمَّا رِيَدُ [١٦]﴾ [البروج/ ١٢-١٦].

واعلم رحمك الله أن الواجب على المؤمن أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ليعظمه ويطيعه، ويعرف نعمه وإحسانه ليحبه ويشكره، ويعرف شدة بطشه وانتقامه ليخاف منه ويحذر معصيته: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

والمؤمن حقاً من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فاجتمع في قلبه تعظيم ربه عن طريق الآيات، ومحبة ربه عن طريق النعم، وخوف ربه عن طريق النقم والعقوبات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

فسبحان ربنا العظيم الكبير المتعال الذي إذا تجلى على مخلوقاته بصفة الجلال أربع الأبواب بصواعق وزلازل وخسوف وبراكين وعواصف، ففي ثوان معدودة أبنية تهدمت، وحرائق اشتعلت، وأنفس قتلت، وخلائق شردت، وعواصف دمرت، وبحار فاضت.

وبحسب الذنب تكون العقوبة، وبحجم المعصية تكون شدة الانتقام: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود/ ١٠٢].

وإذا تجلى بصفة الجمال أخذ الأبواب بنعم وأرزاق وأمن وعافية وطمأنينة وبركات وخيرات وأزواج وأولاد وأموال: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا سَبَّحَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً

وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه لا يتناول على عباد الله إلا الجاهل بربه العظيم ، ولا بد أن يُرى الله فيه الناس يوماً يسوؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة/ ٢٢].

فإن أمهله الله ولم تر عقوبة الله له فاعلم أن الله سيعاقبه بعقاب أليم يوم القيامة : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفِيفًا غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].
وكفناك نصراً عليه إذا ظلمك أنه في معصية الله وأنت في طاعة الله : ﴿ فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴾ [٤١] أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ [الزخرف/ ٤١-٤٣].

فسبحان الرب الحي القيوم العزيز الرحيم ، هو الأول بلا بداية ، وهو الآخر بلا نهاية ، من توجه إليه أشهده الباقيات والفانيات ، وهداه للعمل بالباقيات الصالحات وترك الفانيات : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وسبحان الغني الكريم المالك لكل شيء ، الذي عنده خزائن كل شيء ، الغني الذي لا يحتاج إلى شيء ، وما سواه يحتاج إلى كل شيء ؛ لأنه فاقد لكل شيء ، فالإنسان فقير يحتاج إلى السمع والبصر والعقل والعلم والعافية والرزق والهدى ، والله وحده هو الذي أوجدها فيه وأنعم عليه بها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الرب الملك الحق الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية لما ينفعه ، وللإنس والجن بنعمة الدين ، وللمؤمن مع ذلك بنعمة الهداية للإيمان ودخول الجنة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

وهو سبحانه الرب المحسن إلى الخلق كلهم بصنوف النعم ولو غفل عن ذلك الغافلون، ووجد فضله الجاحدون، وأعرض عن شكره الكافرون : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيَالٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [١١] ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإَن تَوَفَّاكَ لَوْ كُنَّا ﴿١٢﴾ [غافر/ ٦١-٦٢].

ومن إحسان الرب الكريم وفضله على الإنسان أن أخرجه من عدم، وصوّره في أحسن صورة ،

وهي صورة آدم أحسن صور العالم: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ [غافر / ٦٤] .

ومن إحسانه إلى الإنسان أن خلقه ربه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء ،
وأسجد له ملائكته، وطرد ولعن من استكبر عن السجود له: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ
قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ [الأعراف / ١١] .
ثم أخرج الله الشيطان من الجنة إلى الأرض ، وأمهله بعد لعنته إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ [الحجر / ٣٤-٣٥] .

ومن إحسان الرب ﷻ إلى الإنسان أن خلقه في أحسن صورة، وأنعم عليه بفصاحة اللسان،
وحسن السمع والبصر وتمام العقل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل / ٧٨] .

ومن أعظم إحسان الرب إلى الإنسان أن أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وهداه للإسلام ،
وعلمه كتابه ، ويسر له الدين ، وأعان على عبادته والعمل بما علم ، ووفقه لنشر ما علم بين عباده ،
وزين له كل عمل صالح ، وبغض إليه كل عمل سيء: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

ونعم الله على الإنسان لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها في النفس والمال والرزق والولد والعافية والدين
والأمن والعناية والتكريم: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحان الله كيف يعصي الإنسان ربه بنعمه، ويعرض عنه بقلبه وبدنه، مع عظيم إحسان
ربه إليه، وجزيل إنعامه عليه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ
فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار / ٦-٨] .

وكيف يتعلق الإنسان بالفقير العاجز، ويعرض عن الرب الغني القادر: ﴿فَاتَّبَعَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج / ٤٦] .

واعلم وفقنا الله وإياك لحسن معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله أن شأن ربنا عظيم، وملكه

عظيم ، وجماله وحسنه وإحسانه عظيم لا تحيط بذلك جميع عقول العالمين .

فلو صور ربنا العالم العلوي والسفلي على أحسن صورة رجل واحد، ثم جمع له جميع عقول العالمين من الملائكة والإنس والجن وجميع ما خلقه الله ﷻ ، ثم ضاعف ذلك العقل والتميز أضعاف ما خلقه من أعداد الخلائق، ثم ضاعف ذلك أضعافاً مضاعفة، ثم كشف له ربه عن حقائق الأمور، وأظهر له خفي المستور، وأعلمه عواقب المآل، وأطلعته على حكمته وخفي بره في مسالك تديره في العالم، لم يزد ذلك إلا إيماناً و يقيناً ، ولم يعلم من حسن ربه وإحسانه وعظمة أسمائه وصفاته إلا ما أطلعته عليه عالم الغيب والشهادة: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩] .

فسبحان الله ، لا يعصيه إلا من جهل أسمائه وصفاته ، ولم يقدر الله حق قدره: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وسبحان ربنا الحق الذي خلق الحُسن في العالم كله ، وعمَّ بإحسانه جميع مخلوقاته ، وأوصل بره وإحسانه إلى جميع عباده ، البديع الذي أبدع الحسن والزينة في العالم كله تبصرة وذكرى لعباده: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿ ٧ ﴾ تبصرة وذكرى لكل عبدٍ مُنِيبٍ ﴿ ٨ ﴾ [ق / ٦-٨] .

بل النفوس عاجزة عن معرفة ما أعد الله لأوليائه من النعيم في الجنة، فكيف تحيط بأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ ١٠٣ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان ربنا العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمه.

يرفع ويخفض .. ويعطي ويمنع .. ويسط ويقبض .. ويعز ويذل .. ويحيي ويميت .

يرفع من يشاء بجوده وفضله، ويخفض من يشاء بحكمته وعدله، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا

أَنْفُسِكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ [النجم / ٣٢] .

واعلم أنه لا بد للعبد من البلوى التي تميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والطيب من الخبيث: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت / ٢-٣] .

والمرفوع المكرم في الدنيا والآخرة مَنْ رَفَعَهُ رَبُّهُ بِتَوْفِيقِهِ، وَأَكْرَمَهُ بِتَصَدِيقِهِ، وَهَدَاهُ إِلَى سَوَاءِ طَرِيقِهِ، مَنْ كَانَ وَحَيْثُ كَانَ: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة / ١١] .

والمخفوض حقاً والخاسر حقاً من انقطع عن ربه، وأسره عدوه، فتحكّم في قلبه وجوارحه وحياته، فَحُرِّمَ التَّوْفِيقَ، وَأَدْرَكَ الْخِذْلَانَ، وَصَارَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٦] .

وقد أقسم الله بربوبيته على أنه الحق، وأن دينه الحق فقال سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات / ٢٣] .

وسبحان الله كيف ينصرف المشركون عن عبادته وحده وهم يشهدون أنه لا رب غيره، ولا خالق سواه، فكما أنه لا رب غيره فلا إله سواه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف / ٨٧] .

فسبحان ربي العظيم الذي ربي جميع العالمين بنعمه ، وخلقهم بقدرته ، وأوجدهم بمشيئته ، وصوّرهم بإرادته ، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به ، ثم هدى كل مخلوق لما خلق له، وأعدق على عباده نعمه: ﴿ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وتبارك الله رب العالمين ، ذو الجلال والإكرام، المتفرد بالعظمة والجلال، والإنعام والإحسان، والتصريف والتدبير، على مدى الدهور والأزمان: ﴿ نَبِّرْكَ اَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْاِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .

هو سبحانه الرب العظيم الذي يدبر الأمر كله في ملكوته كله .

يدبر الأمر في عالم الجماد والنبات والحيوان ، وعالم الإنس والجن والملائكة ، ويدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي ، ويدبر الأمر في الدنيا والآخرة : ﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [الملك / ١].

يدبر سبحانه الرياح .. ويدبر المياه .. ويدبر الذرات .. ويدبر النطفة في الأرحام .. ويدبر النجوم في السماء .. ويدبر الكائنات في الكون .. ويدبر الكلام في اللسان .. ويدبر الإبصار في العين .. ويدبر السمع في الأذن : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ ﴾ فذلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ ۝٣٢ ﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

فسبحان الرب الحكيم الذي بيده التصريف والتدبير الحكيم ، يدبر الأمر كله ، ويوفق بين أوائل الأمور وعواقبها ، ويصل المقدمات بالنتائج في ملكه العظيم .

فهذا نهار جاء بعده ليل ، وهذا حر جاء بعده برد ، وهذه حبة صارت شجرة ، وهذه شجرة أخرجت ثمرة ، وهذه نطفة صارت إنساناً ، وهذا الإنسان صار سمياً بصيراً عاقلاً عالماً .

وهذا زواج والنتائج سكينه وبنين وبنات ، وهذا عمل بشري والنتائج تجارة رابحة أو خسارة فادحة : ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ ذَلِكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ﴾ [السجدة / ٥-٧].

فسبحان الملك الحق الذي يدبر الأمر في جميع ملكه وملكوته .

هو الرب العظيم الذي بيده التدبير المادي ، فهو الذي يمد خلقه في العالم كله بما يحتاجون من الهواء والماء والنور والطعام والشراب وغيرها من النعم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء / ٧٠].

وهو الرب العظيم الذي بيده التدبير الروحي ، فهو الذي يهدي عباده إلى الحق ، ويوصلهم إليه بما شاء : ﴿ إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٣ ﴾ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ ﴾ [الليل / ١٢-١٣].

فأحياناً يبعث إلى الكافر من يدعو ، وأحياناً يبعث إلى العاصي من ينصحه ، وأحياناً يبعث إليه من يضغط عليه ، وأحياناً يسوق إليه شدة ، وأحياناً يجمعه بمن يعطف عليه ، وأحياناً يرزقه من فضله كي يستحي منه ، وأحياناً يقتر عليه ليفر إلى الله ، وأحياناً يتتبعه بمرض ثم يشفيه ليبين له

فضله عليه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ بِدَبْرِ الْأَمْرِ ۗ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣].

هو سبحانه الرب الكريم الذي يدبر الأمر وحده لا شريك له.

يعطي هذا مالاً ، ويعطي هذا علماً ، ويعطي هذا ذكاءً ، ويعطي هذا جاهاً ، ويعطي هذا خلقاً ، ويعطي هذا جمالاً ، يعطي كل واحد ما ينفعه ويناسبه : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [٥٣] ﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل / ٥٣-٥٤].

فسبحان الرب الحكيم في خلقه وأمره ، الذي يدبر الأمر كله بالحكمة ، فيعطي الإنسان المناسب الشيء المناسب ، بالقدر المناسب ، من النوع المناسب ، في الوقت المناسب : ﴿ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠].

هو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، وكل ما يقع في الكون من خلق أو أمر ، أو حركة أو سكون ، أو حياة أو موت ، فهو واقع بإرادة الله ومشيئته ؛ لأنه وحده الرب الذي يدبر الأمر كله في العالم كله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلَأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران / ١٥٤].

فسبحان من يدبر الأمر كله في الكون كله ، كيف شاء ، ومتى شاء .

أرسي الأرض بالجبال .. ورفع السماء بلا عمد .. وملاً الشمس بالنور بلا حطب .. وأنبت الحب في الثرى .. وأمسك الطير في الفضاء .. وأطعم الأسماك في ظلمات البحار .. وسخر كل شيء من المخلوقات للإنسان : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [٢] ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجَالَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد / ٢-٣].

وسبحان الملك الحق الذي ينطق كل شيء في ملكه بتوحيده وحمده ، ويشهد بحسن تدبيره وتصريفه ، وجمال خلقه وإبداعه وتصويره : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الرب العظيم القادر الكريم الذي خلق الإنسان وأمدّه بالرزق ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل إليه الكتب ، ليسير في الدنيا على هداة ، ثم بيعته يوم القيامة للحساب والجزاء : ﴿ يَوْمَئِذٍ

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ﴿٨﴾ ﴿الزلزلة/ ٦-٨﴾.

هو الرب الحي الذي جعل في الحياة والموت آيات وعبر ، الحي الذي يبعث كل ميت للحشر والحساب والجزاء : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ، عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٥-٧].

هو سبحانه الرب الكريم الذي بعث الأنبياء والرسل لهداية الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل/ ٣٦].

هو الرب القادر الذي يلهم الإنسان حركاته وسكناته مكافأة له، أو تأديباً له ، ويقلب قلوب العباد كيف شاء لمصلحة العبد .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصْرِفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ » أخرجه مسلم^(١).

واعلم أن الله ﷻ خلق كل إنسان مختاراً فيما يريد .

فمن اختار طريق الحق وطاعة ربه شرح الله صدره للإسلام إكراماً له، وإعانة له على طاعة ربه . ومن اختار طريق الباطل أو المعاصي أو الشهوات فإن الله برحمته يعينه على البعد عنه بأن يجعل صدره ضيقاً حرجاً ليركه، فإن لم يتركه طبع على قلبه لكفره : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فما أعظم رحمة الله بعباده وما أبره بهم ، وما أشد رأفته وعنايته بهم ، فهو الرب الرؤوف الرحيم الذي جعل قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقبلها كيف يشاء ، ليعينهم على الخير، ويبعدهم عن الشر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٠٥) .

هو الرب الحكيم الرحيم الذي أمر ونهى ، وأعطى الإنسان حرية الاختيار ، فإذا اختار الطاعة أعانه وضاعف له الأجر ، وإذا اختار المعصية لم يتركه الرحيم حتى يموت عليها ، بل يؤدبه ببعثه إلى عمل يستحق عليه عقوبة شديده ، ليعود إليه بعدها : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُ بِأَسْئَرِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٤٧].

فسبحان ربي العظيم الذي بيده الأمر كله ، ولا يفعل إلا ما يصلح عباده ، فلو أن إنساناً أدى زكاة ماله فإكراماً له وشكراً له يبعثه لشراء صفقة رابحة تعوض له ضعف ما دفع أو أكثر : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ [سبأ/ ٣٩].

ولو أن إنساناً بخل بزكاة ماله فتأديباً له وتذكيراً له لعله يتوب يبعثه الله إلى صفقة خاسرة تأكل ما بخل به من الزكاة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

فمن أعطى مما أعطاه الله أعطاه الله خيراً منه ، ومن بخل بما وجب عليه أو أخذ ما يحرم عليه أخذته الله منه : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة/ ٢٧٦].

فسبحان الرب الحكيم الرحيم الذي يكافئ على حسن الاختيار ، ويؤدب على سوء الاختيار . هو الرب القادر الذي بعث الأولاد من الأرحام كما بعث النبات من الأرض ، ويوم القيامة يبعث الأموات إلى الحياة الأبدية ، وهناك تظهر الأرباح والخسائر : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

والموحد حقاً من توكل على ربه وحده ، فلا يرى مع الله أحداً لا نفسه ولا غيره ، فيتوجه إلى ربه في كل شيء : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

هو سبحانه الرب العظيم الذي يبعث من يشاء إلى عليات الأمور ، ويرفع عن القلوب وساوس الصدور ، ويسمو بالأفعال عن الشرور : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة/ ٧٤].

• التَعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الرَّبِّ :

اعلم وفقك الله أن أول التَعْبُدِ بِاسْمِ الرَّبِّ ﷻ طلب علمه ، ومعرفة مسالكة في العالم العلوي والسفلي ، واستعلام سبل مجاريه في المخلوقات كلها خلقاً وتديراً ، وتصويراً وتقديراً ، وإعداداً وإمداداً : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس/ ٣] .

فانظر ترى بالأبصار والبصائر ربك العظيم وحده يفعل ما يشاء ، والخالق يخلق ما يشاء ، والمصور يصور ما يشاء ، والرازق يرزق من يشاء ، والهادي يهدي من يشاء ، والرحمن يرحم من يشاء ، والقهار يقهر من يشاء ، والقادر ينفذ ما يشاء ، والحكيم يحكم ما يشاء ، والناصر ينصر من يشاء ، والغفار يغفر لمن يشاء : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

واعلم أن ربك هو الرحمن الرحيم الذي خلق الإنسان مختاراً ، ليكافئ المحسن ، ويعاقب المسيء .

من تقرب إليه بالطاعة شرح صدره ، وألقى الطمأنينة في قلبه ، ويسر أمره ، ومن عصى ربه ألقى في قلبه الضيق والكآبة والحيرة ليعود إليه ، ومن أصرَّ على كفره أعرض الله عنه : ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِينَكَم مِمَّنْ هَدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١١٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١١٦﴾ [طه / ١٢٣-١٢٦] .

ومن شعر أن ربه يراقبه ويحاسبه على أفعاله ، ويعاقبه سريعاً على كل قول أو فعل لا يرضيه ، فليعلم أنه في عز العناية الإلهية ، وأن فيه خيراً كثيراً ، وأن الله يؤهله لرحمته ، ويربيه ليرقيه ، ويكفر عنه سيئاته : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٤٠-١٤١] .

ومن ارتكب المعاصي والكبائر ولم يحاسبه ربه ولم يعاقبه ، فليعلم أنه خارج العناية

الإلهية ؛ لأن الله علم فيه انحرافاً شديداً، وإصراراً على معصية الله، واستكباراً عن طاعة ربه فوكله إلى نفسه، ونسيه كما نسيه : ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِعُضْمٍ قَلِيلٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ [التوبة/ ٦٧].

فسبحان الرب الرؤوف الرحيم الذي يسوق الشدائد والمصائب لمن عصاه ليحمله على التوبة من أجل أن يتوب إليه : ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ [السجدة/ ٢١].

فمن علم الله فيه خيراً جعله ضمن العناية الإلهية، فرباه وأكرمه وأدبه بما يكون سبباً لرحمته بالنعم الظاهرة والباطنة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

ومن علم الله أنه لا يصلح لدار كرامته، متعه في الدنيا بشهواته ، فإن لم يشكر عاقبه ، فإن أصر أهلكه : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام/ ٤٣-٤٥].

والرب عز وجل إذا أحب عبده عجل له العقوبة إذا عصاه ، وابتلاه بالنعم والمصائب ، فإن صبر اجتباها ، وإن شكر زاده ، وإن عصاه أدبه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن أحبه ربه جعل له واعظاً من نفسه ، وحبب إليه طاعته ، وكره إليه معصيته ، وجعل حوائج الناس إليه : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

والإنسان كالمريض إن كان فيه أمل في الشفاء حماه الطبيب مما يضره ، وأعطاه ما ينفعه ، وإن كان لا أمل في شفائه قال له : كل واشرب ما شئت ؛ لأنه لا أمل في شفائه : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١١٥﴾ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٥].

فتعلم ذلك كله ، وتعبّد بذلك لربك التعبّد كله ، وأفرده بما هو أهله ، والزم قدرك ، واعرف نفسك ،

فهو الرب وأنت العبد، وهو الخالق وأنت المخلوق ، وهو الغني وأنت الفقير ، وهو القوي وأنت الضعيف: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٤].

أفرد ربك العظيم بما تفرد به من الكمال، وما اختص به من نعوت التعالي والكبرياء، وما توحد به من العظمة والملكوت والجلال والجبروت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر / ٢٣] .

وألزم نفسك شاكلة العبودية لربك العظيم ، وذل الافتقار إليه في جميع الأوقات، ووال ربك بالتوحيد والإيمان وحسن العبادة ، وأكثر من ذكره وحمده وشكره ، واستغفره من كل تقصير ، فذلك شرفك وسبيل فلاحك في الدنيا والآخرة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَإِنَّا إِلَيْلٍ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْبُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

واعلم أن معرفة العبد بربه ، وشهوده انفراده بالربوبية من الخلق والأمر والملك والرزق والتدبير، وأن ما شاء كان، ومالم يشأ لا يكون، وأن مقاليد الأمور كلها بيده، كل ذلك يوجب تعلق القلب بالرب وحده، والتوجه إليه، والاستعانة به، وتفويض الأمور كلها إليه، وعدم الالتفات إلى ما سواه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَبَدِّلِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فقف رحمتك الله بين يدي ربك العظيم عابداً حامداً خاشعاً ذاكراً وكن مع خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً ومربياً ، تكن بذلك من المفلحين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧].

ربّ نفسك على حب ما يحبه الله وافعله ، وبغض ما يكرهه الله واجتنبه ، وخذ بها إلى سبيل الرشاد ، وربّ سواك بالنصح والتوجيه، وحسن التربية والتعليم، تصلح وتصلح وتربح وتوثر: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه الحسنی، وصفاته العلی، ويحب ظهورها في خلقه، ولهذا أخبرنا الله بها، ودعانا للاتصاف بها، وعبادته بموجبها، والثناء عليه بها.

فهو الرب الكريم الذي يحب الكرم وأهل الكرم، الشكور الذي يحب الشكر وأهل الشكر،

العفو الذي يحب العفو وأهل العفو ، فكن أنت كذلك .

ومقصود خلق الإنسان في هذه الحياة تحصيل الصفات التي يحبها الله ، والاتصاف بها ، وعبادة الله بموجبه ، ودعاء الله بها ، ودعوة الناس إليها كما قال سبحانه : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

فكن ربانياً متصفاً بالصفات الحسنى التي يحبها الله ويحبك الله ويحبك الخلق من الإسلام والإيمان ، والإحسان والكرم ، والعفو واللطف ، والرفق والحلم ، والرحمة والحمد والشكر وغير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَبِيحُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠] .

واعلم أن ربك العظيم هو الذي جعلك خليفة في الأرض ، فيجب عليك أن تدبر أمورك وتقوم بشئون الخلافة حسب توجيه ربك في كل حال : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب / ٧٢] .

فالله يدبر الكون ومن فيه ، ويدبر كل من دونه ، وقد جعلك خليفة في الأرض ، ووكلك أن تدبر من دونك من الخلق بالصفات التي يحبها : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود / ١١٢] .

فإذا وكلك الله بأسرة فكن لها مدبراً رحيماً حكيماً ، وإذا وكلك الله بطلاب علم فكن لهم مدبراً لطيفاً ومريباً رحيماً ، وإذا كنت حاكماً فيجب عليك أن تدبر أمر رعيتك بما أمرك الله ورسوله به ، وإن كنت عالماً فيجب عليك أن تدبر أمر عباده بالشرع : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [٤٩] أفحكم الجاهلية بيغون^٤ ومن أحسن من الله حكماً لقوره يوقنون^٥ [المائدة / ٤٩-٥٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه^(١) .

فالله وحده هو رب العالمين الذي يدبر الأمور كلها ، وأنت خليفة في الأرض وكلك الله بتدبير

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٢٩) .

أمور الناس حسب الشرع والله شهيد عليك : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم رحمك الله أن أبواب معرفة الله وتعظيمه ومحبته كثيرة ، وأعظم هذه الأبواب باب الافتقار إلى الله ، فكلما افتقرت إلى الله رفعتك الله إلى أعلى المراتب ، وخصك بكل مكرمة ، وحفظك من كل سوء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وكلما ازداد توحيد العبد ازداد إخلاصه لربه ، وكلما زاد إيمان العبد زادت طاعته لربه ، وحسنت عبادته ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تعلق به وحده ، ولم يلتفت إلى غيره : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فالأمن كله متعلق بالتوحيد ، والخوف كله متعلق بالشرك : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وبقدر ما يبتعد الإنسان عن التوحيد يكون الرعب والخوف : ﴿ سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال/ ١٢-١٣].

فسبحان الرب الكريم القادر الذي رقى الناس من الصغر إلى الكبر ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، وهذه نشأة أخرى ومنة كبرى من ربنا العظيم : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فابعث قلبك ليحيا بمعرفة الله ، وابعث نفسك بالأعمال المطابقة للقرآن والسنة ، واشغل قلبك كله بطاعة الله بما يرضي الله تفوز برضاه : ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

واعلم رحمك الله أن الله مع المحسنين ، ويحب الإحسان والمحسنين ، ويحسن إلى خلقه بما لا يحيط به غيره ، فأحسن بما أعطاك ربك من الخير إلى عباده ، وأنفق عليهم مما وهبك من العلم والمال وحسن الخلق ، ولا تخالف أمر ربك تكن ربانياً : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي

الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [الفصص / ٧٧] .

وأحسن عملك كله لربك يحبك الله ويثيبك بأحسن منه: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة / ١٩٥] .

أحسن في علمك ونظرك وتفكرك ، واصرفه في معرفة ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد / ١٩] .

وأحسن صلواتك لربك إذا صليت .. وأحسن صيامك إذا صمت .. وأحسن شهادتك إذا شهدت .. وأحسن خُلقك مع الله وعباده .. وأحسن في أمورك كلها، فإن ربك يحب الإحسان والمحسنين، ويجزل لهم الأجر والثواب: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء / ١٢٥] .
واعلم أن أعظم الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .
ولتكن من المحسنين مع الرب، ومع الخلق .

أحسن عبادتك لربك ، وأحسن إلى الجاهل بالتعليم له ، وأحسن إلى الفقير بالصدقة عليه ، وأحسن إلى غيرك بالهدية له ، وأحسن إلى السفية بالحلم عليه ، وأحسن إلى أئمة المسلمين وعامتهم بالصيحة والموعظة الحسنة ، وأحسن إلى الكفار بالدعوة إلى الله : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل / ١٢٥] .

ومن أحسن بالخير والعمل الصالح أحسن الله إليه بأحسن منه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٢٦] .
واعلم أن عطاء الرب ﷻ دائر بين العدل والإحسان .

فالعدل هو ما يفعله الرب بحكم الملك والربوبية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام / ١٦٠] .

والفضل والإحسان ما يفعله ﷻ بحكم الإحسان والرحمة والامتنان: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن / ١٧] .

واعلم أن الإحسان أحب إلى الله من العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والثواب أحب

إليه من العقاب .. والعفو أحب إليه من الانتقام .. والرحمة أحب إليه من القسوة .
فكن محسناً كما أحسن الله إليك ، وخذ من الأسماء أحسنها ، ومن الصفات أجملها ، وخذ من
الأقوال والأعمال أفضلها و أحسنها، وخذ من العلوم أزكاها وأشرفها، تكن من المحسنين
المقربين الفائزين : ﴿ وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
الْأُولَئِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة / ١٠ - ١٤] .

واعلم أن كل إحسان من العبد قبله ومعه وبعده إحسان من الرب الكريم : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ
إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن / ٦٠] .

فأحسب التوحيد والإيمان والإخلاص والعمل، وتوكل على ربك الذي بيده مقاليد الأمور،
وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ وَلِلَّهِ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود / ١٢٣] .

واعلم أن من رفع نفسه إلى كل خير بالتوحيد والإيمان، وصعد بها في مراقي الطاعات،
ورفعها عن كل دنس وسفل، رفعه الله في الدنيا والآخرة : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسَّخَرَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَجِدَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور / ٥٥] .

واعلم أن العزة والذلة كلاهما بيد الله ، فهو مالكهما في الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء
بطاعته ، ويذل من يشاء بمعصيته : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يونس / ٦٥] .

وعز الدنيا وذليها معرضان إلى التحول في الآخرة إلى ضدهما : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ ءَعْمَى
فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ءَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء / ٧٢] .

وأعز العز وأرفعه يناله العبد من ربه بالإيمان واليقين والتقوى والزهد، والانقطاع إلى ذي العزة
والجبروت، والغناء به عن كل ما سواه : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون / ٨] .

وأذل الذل يصيب العبد بسبب الكفر والشرك والمعاصي والفجور : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا
تُفْقَهُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِعُضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ [آل عمران/ ١١٢].

فسبحان الملك الحق الذي يفعل ما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه وهو على كل شيء قدير .
يعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة .. وينفع بأسباب المضرة .. ويدمر بأسباب المنفعة ..
وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويحيي بأسباب الموت .. ويميت
بأسباب الحياة : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَتَّى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَنَعْرُ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وسبحان الرب الحكيم العليم الذي يقدم من شاء إلى الأعمال الصالحة، والدرجات العالية ،
ويؤخر من شاء إلى ضد ذلك : ﴿ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُصِّرْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ [الأنعام/ ٣٩].

واعلم رحمك الله أن إيمانك بالله رباً يستلزم إخلاص العبادة له، وكمال الذل بين يديه، مع
كمال الحب والتعظيم له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم بأن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً ، فقد ذاق طعم الإيمان، ورضي
بما يأمره به ربه وبما ينهاه عنه، وبما يقسمه له وبما يقدره عليه، وبما يعطيه إياه وبما يمنعه عنه ،
وبما يختاره له : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء/ ٦٥].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ
رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » أخرجه مسلم ^(١).

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة / ٢٠١].
«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ .

أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ
حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ،
فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»
متفق عليه (١).

اللهم رب السموات السبع ، ورب الأرضين السبع ، ورب العرش العظيم ، أنت ربنا ورب
كل شيء ، ارحم ذل مقامنا بين يديك ، واغفر ذنوبنا ، ويسر أمورنا ، وخذ بأيدينا إلى ما
يرضيك عنا ، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما
ذرت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لنا جاراً من شر خلقك أجمعين .

عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، ولا رب سواك .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

الواحد .. الأحد

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٦٣].
 وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].
 الله ﷻ هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

هو الواحد الأحد الذي لا قسيم له، هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومملكه وسلطانه، وعبادته، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿سُبْحٰنَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].

هو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له، ولا مثيل له، ولا شبيه له، ولا نظير له، جل جلاله، وتقدست أسماؤه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].
 والمؤمن حقاً من يرى أن الله وحده بيده الخير، وبيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء، وهذا هو التوحيد المطلوب من البشر، توحيد الرب بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيد الله بأفعال العبد من صلاة ودعاء وذكر وغيرها من العبادات: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۚ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ومن خرج عن هذا التوحيد وقع في آلام وهموم لا تُحتمل، وفتح أبواب شقاء لا نهاية لها. والتوحيد الذي فيه الفوز والنجاة الأتري مع الله أحداً، فتعبده وحده، ولا تلتفت إلى أحد سواه، وأن ترى كل شيء في أقداره وأحكامه ينتهي إلى خير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

والله ﷻ هو الواحد الأحد الذي ليس له شريك. واحد في ذاته لا شريك له .. واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له .. واحد في ألوهيته لا شريك له: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٦٣].
 والتوحيد أن تؤمن بالله رباً وإلهاً واحداً لا شريك له، وتتيقن أن الله وحده بيده كل شيء وغيره ليس بيده شيء، فتعبده وحده لا شريك له.

واعلم أن نهاية العلم التوحيد، والتوحيد أفضل ما تعلمه العبيد، وأوجب شي على المخاليق.
والتوحيد مأخوذ من اسم الله الواحد، وهو قسمان :

الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

بأن تؤمن أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل له في أسمائه وصفاته وأفعاله، وواحد لا شريك له في ملكه وخلقته وتدييره وأمره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد .

بأن تؤمن أن الله وحده هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وتعبده بما شرع ، ولا تعبد معه أحداً غيره : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

ولابد لأهل التوحيد من هذا وهذا؛ لأن الدين علم وعمل ، ورؤية وعبادة ، وعقيدة وسلوك.
واعلم أن الباب الوحيد للطمأنينة هو التوحيد ، وأكبر مصادر الشقاء هو الشرك : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد / ٢٨].

فمن رأى أمره بيد ربه الملك الرحيم اطمأن ، ومن رأى أمره بيد غيره من المخاليق تعذب وشقي : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء / ٢١٣].

فسبحان الواحد الأحد الذي تناهى في عظمته وسؤدده فلا شريك له ولا مثيل ، الواحد الذي يكفيك من الكل ، والكل لا يكفي من الواحد ، الأحد الذي يحتاجه كل أحد ، الواحد الذي لا يحتاج إلى أحد : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة / ١٦٣].

فلا تجعل مع الله إلهاً آخر، تطيع الله مرة، وتطيع المخلوق مرة ، فالله واحد أحد لا ثاني له ، لا شريك له ، لا مثيل له ، هو الغني وحده لا شريك له : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴿٥١﴾﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥١-٥٣].

فاعبد الواحد الأحد الذي بيده جميع الأمور وحده لا شريك له : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود / ١٢٣].

ودلائل وحدانية الرب ﷻ شائعة في مخلوقاته في السموات والأرض، وشواهدا ظاهرة، ورسومها بينة ناطقة: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٦-٨].

هو سبحانه الواحد الأحد الذي يفعل ما يشاء وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره. الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره.

أظهر المخلوقات وأخفى نفسه .. وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة .. وأظهر قيمة الأموال والأشياء وأخفى قيمة الايمان والأعمال الصالحة .. وأظهر الأجساد وأخفى الأرواح .. وأظهر سنته وأخفى قدرته.

وله في كل ذلك الحكمة البالغة، والحجة الظاهرة، والعلم المحيط، والتدبير الحكيم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٤-٧].

ومن رحمة الواحد الأحد أن بسط لعباده دلائل التوحيد، وكشفها لهم، وبينها لهم في كل مخلوق صغير وكبير، وبثها في جميع عوالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان؛ لعظم حاجة العباد إلى توحيد ربهم، وتوقف فلاحهم ونجاتهم عليه، فإذا عرفوه عبدوه وحده، ولم يشركوا به غيره من الأرباب: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ [يوسف/٣٩].

فسبحان من كشف دلائل وحدانيته للمعتبرين، وأبانها للناظرين، وأظهرها للمتأملين، ليصلوا بذلك إلى تحقيق التوحيد، ويشهدوا أن الله هو الحق المبين وحده لا شريك له، ثم يحبوه ويطيعوه: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/١٠١-١٠٢].

فالتوحيد يصحب الخلق في أنفسهم، وفيما هو محيط بهم من المخلوقات العجيبة، والآيات

العظيمة في السموات والأرض : ﴿ قُلْ مَنْ يَرِزُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

وشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) أعظم شهادة شهد الله بها لنفسه، وشهدت بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم من خلقه كما قال سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) ﴿ آل عمران / ١٨] .

والتوحيد والوحدانية من الحق العظيم الذي خلق الله به السموات والأرض وما فيهن وما بينهن: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴾ (٣٨) ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ [الدخان / ٣٨-٣٩].

واعلم أن الذي بيده الملك والخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له. والإنسان ببصره يرى ظلمة أقوياء يفعلون ما يقولون فيقتلون ويظلمون ، فيقول أين الله ؟ وأحياناً يرى أفعال الله في مخلوقاته من زلازل وخسوفات وعواصف جلية صارخة فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وهؤلاء وهؤلاء كلهم من جند الله، أرسلهم بحكمته ليربي ويؤدب بهم من عصاه لعلهم يتوبون إليه ، والحياة لا تستقيم إلا بالعدل ، فإذا شاع الظلم بين الناس عاقب الله الظالم الصغير بالظالم الكبير رحمةً به ليتوب ، ثم انتقم من الظالم الكبير .

وهذا وهذا كله امتحان لضعاف الإيمان الذين يتأثرون بفعل المخلوقات ، ولا يرون فعل الله في مخلوقاته ؛ لأن الله في كل الأحوال هو الفعال وحده لا شريك له ، وأفعاله كلها حكمة ورحمة، وجميع المخلوقات عصي بيد الله يؤدب بها من يشاء ، وبيتلي بها من يشاء، ويرسلها على من يشاء ، ويهلك بها من يشاء : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٦) ﴿ [هود / ٥٦].

فإذا أصابتنا شرور من جهة المخلوقات بسبب ذنوبنا تضرعنا إلى من أرسلها ليرفعها كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ [الأنعام / ٤٢-٤٣].

فسبحان من يسلط أوليائه على أعدائه، ويسلط أعداءه على أوليائه، ثم يجعل العاقبة للمتقين

لأن مقاليد الأمور بيده: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام / ١٧-١٨] .
 وسبحان من يعلم أنه واحد، ويعلمنا أنه واحد، ويأمرنا أن نعلم أنه واحد: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ۖ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَابَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩] .
 فبنو اسرائيل لما نقضوا العهد وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم فرعون ليتوبوا ، فلما اشتد طغيان فرعون أرسل الله إليه موسى ﷺ ، فلما أصر فرعون على كفره وظلمه أغرقه الله وجنوده وجعلهم عبرة لكل ظالم: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف / ٥٤-٥٦] .

واعلم علم اليقين أن جميع مجاري حكمة الله في الدنيا والآخرة جارية على سنن الواحد القهار في دوائر محكمة ، وعلى ذلك أحكم الله خلقه وأمره في السماء والأرض ، وما عليهما ، وما فيهما ، وما بينهما : ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤] .
 فسيرَ بذلك الشمس والقمر والنجوم، وأرسل الرياح، وأنزل الغيث ، وأجرى الأنهار، وسخر البحار، وأرسى الجبال، وفجر العيون وأنبت النبات، وسخر الليل والنهار، وأعقب الحر بالبرد ، والنور بالظلام ، كل ذلك فِعْلُ الواحد القهار: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِّنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۗ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص / ٦٥-٦٦] .
 فكل مخلوق، وكل أمر، وكل تدبير، إنما صدر عن أمر الواحد الأحد وحده لا شريك له، من كبير وصغير ، وعال وسافل ، وظاهر وباطن ، ومتحرك وساكن .

فسبحان من إليه وحده يرجع الأمر كله، وإليه تصير الأمور كلها: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود / ١٢٣] .
 واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن كل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن ، داعية إلى توحيد الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله ، شاهدة بذلك ، داعية إلى عبادته وحده لا شريك له : ﴿هٰذَا بَلٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوْا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوْا أَنَّهَا هُوَ إِلٰهُهُمُ الْوَاحِدُ وَلِيَذَّكَّرَ ۗ أُولَٓئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم / ٥٢] .

فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما خبر عن إكرام الله لأهل توحيده وعبادته في الدنيا والآخرة، فهذا جزء أهل توحيده. وإما خبر عن عذاب أهل الشرك في الدنيا والآخرة، فهذا خبر عمن خرج عن حكم التوحيد: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود/١-٢].

فسبحان من نزل القرآن تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى بكل خير: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل / ٨٩]. فليُنظر الإنسان إلى ملكوت السموات والأرض، فسيرى ببصره ويعرف ببصيرته أن خالقها واحد لا شريك له، فليعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام / ١٠٥].

ولينظر الإنسان إلى نفسه مم خلق؟ ثم كيف صار؟ ليعرف عجائب صنع ربه الواحد الأحد في قطرة ماء مهين: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق/٥-١٠].

فسبحان من بسط دلائل توحيده وعظمته في ملكوت السموات والأرض، ودعانا للاعتبار بها، وأعطانا الأبصار والبصائر التي نعرف الله بها: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الآيَاتُ وَالتَّنذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١].

فتفكر رحمك الله في مخلوقات ربك الواحد الأحد، وانظر إلى عالم النبات والشجر تجده أمماً وقبائل مختلفة الأشكال والألوان والأحجام والطعوم والثمار والأعمار والمنافع. وكلها تشهد بأن خالقها ومبدعها واحد لا شريك له: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالتَّرِيُونَ وَالتَّخِيلَ وَالأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَفْكِرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/١٠-١١].

ثم انظر رحمك الله كيف يعود كل نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد. فالبشرية كلها تعود إلى أصل واحد هو آدم ﷺ، وكل نوع من الحيوان يعود إلى أصل واحد، وكل نوع من النبات يعود إلى أصل واحد: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّتِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء/ ١].

فسبحان من خلق هذه الأصول ، ثم أتبعها بالفروع واحداً تلو الآخر : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكل هذه المخلوقات تشهد بأن خالقها ربك الواحد الأحد لا شريك له ، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُوفِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان من خلق هذه العوالم والأمم والقبائل التي لا يحصيتها ولا يعلمها إلا هو، وجعل نسلها وتكاثرها مستمراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

ثم تدبر كيف يعود كل حي من نبات وحيوان وإنسان إلى أصل واحد إذا قُطع مات ، فالإنسان والحيوان يعود إلى أصل واحد هو الرأس إذا قطع مات ؛ لأن جميع أجزاء البدن مربوطة بالرأس .

وجميع أجزاء النبات ترجع إلى أصل واحد هو الجذر، فإذا قُطع مات النبات.

هذا مربوط بأسفله ، والإنسان والحيوان مربوط بأعلاه : ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَارُوفِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١].

والإنسان من جهة قوامه وبقائه يرجع إلى واحد وهو الرأس .

ومن جهة التدبير يرجع إلى واحد وهو القلب ، ولهذا لم يقصد الله بخطابه في القرآن من ابن آدم إلا قلبه الذي عليه مدار صلاحه وفساده وحركة جوارحه: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ١٩٢-١٩٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١).

فالقلب إذا فقد التوحيد فسد ، كما أن الجسد إذا فقد الرأس فسد، والنبات إذا فقد الجذر

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

فسد ، ولا يسعد البشر في الدنيا والآخرة أبداً إلا أن يكونوا موحدين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَاؤُا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

واعلم أن سنة الله في الوجدانية سارية في المخلوقات كلها.

فكل نبات وحيوان وإنسان يرجع إلى أصله، وأهل البيت الواحد لا بد لهم من واحد يرجع أمرهم إليه هو بمنزلة الرابط لهم.

والبيوت الكثيرة تجمعها بلدة واحدة ، والقرى والمدن تجمعها دولة واحدة ، والدول المختلفة والعوالم المختلفة تجمعها أرض واحدة : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُرِيهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام / ٣٨].

وهكذا السموات السبع وما فيها من العوالم التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا من خلقها من أعظم دلائل الوجدانية : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد / ٢].

ثم يرجع الجميع إلى الخلاق العليم ، الرب الواحد الأحد الخالق لها ، الجامع لها، الحاكم عليها ، الممسك لها، الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له ، وإليه المصير والمنتهى : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ [الجاثية / ٣-٦].

فسبحان الواحد الأحد الصمد الذي خلق كل واحد ، وخلق كل أحد ، ولم يكن له كفواً أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا فَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

سبحانه هو الواحد الأحد الذي أحاط بكل واحد وأحد ، القوي الذي ليس كمثلته أحد في القوة ، الرحيم الذي ليس كمثلته أحد في الرحمة ، العزيز الذي ليس كمثلته أحد في العزة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].

هو العظيم وحده لا شريك له ، والعرش العظيم وما دونه كحبة خردلة في قبضته ، هو الأول قبل كل أحد ، الآخر بعد كل أحد ، الظاهر فوق كل أحد ، الباطن دون كل أحد ، العلي الأعلى القريب الرقيب على كل أحد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الواحد الأحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

رفيع الدرجات ، ذو العرش المجيد ، الفعال لما يريد ، رب كل أحد ، وقاهر كل أحد ، لا نهاية لعلوه ، ولا فوق لسموه ، ولا نفاذ لكلماته وأوامره ، ولا نهاية لكرمه وإحسانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِائِيلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١٠٩-١١٠].

فسبحان الواحد الأحد الذي بكلماته التامات يفعل ما يشاء .

يخلق ويرزق، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويرحم وينتقم ، ويكرم ويهين ، ويحيي ويميت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوْتِي الْمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

هو الواحد الأحد المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

له الحمد كله ، ومنه الفضل كله ، خلق عباده حنفاء على التوحيد ديناً واحداً قيماً لا عوج فيه، ثم تفرقوا واختلفوا فرحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل الذين يدعونهم إلى الرجوع إلى أصلهم الذي فطروهم الله عليه وهو التوحيد: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة / ٢١٣].

فالله الواحد الأحد يريد منا أن نكون أمة واحدة ندين بدين واحد هو الإسلام ، ونعبد رباً واحداً لا شريك له ، ونتبع رسولاً واحداً هو محمد ﷺ ونعمل بكتاب واحد وهو القرآن : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون / ٥٢] .

فسبحان من أحكم هذا الكون العظيم بالتوحيد، وأنزل أوامره الكونية والشرعية شاهدة بالتوحيد، داعية إلى التوحيد الذي لا فلاح ولا نجاة لأحد إلا به : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وتذكيراً بالتوحيد ومحافظة عليه أمرنا الواحد الأحد أن نجتمع في الصلاة على إمام واحد ، ويجتمع أهل البلد في صلاة الجمعة على إمام واحد، ونجتمع في السفر على إمام واحد ، ونجتمع في الحج على إمام واحد وأمرنا أن نجتمع في أمور ديننا ودينانا على إمام واحد يكون أفضلنا وأشرفنا وأتقانا، وأمرنا بطاعته في غير معصية الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء / ٥٩] .

وذلك كله تنبيه على فضل الواحد وشرفه، وليدل الله عباده على وحدانيته ، ولينبههم على أن ذلك وسيلة للمراد الأكبر منهم وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة / ٥] .

فالتوحيد هو مقصود الرب الأعظم من خلقه : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة / ٣١] .

واعلم رحمك الله أن جزء أهل التوحيد في الدنيا الأمن والسيادة والهداية، والجنة ورضوان الله في الآخرة .

فالتوحيد مفتاح الجنة ، والموحدون سكانها ، أعدت لهم قصورها ، وفتحت لهم أبوابها ، وتساووا في الخلود فيها ، ألا تراهم على طول رجل واحد ، وشكل واحد ، وعمر واحد ، وعلى قلب رجل واحد ، وعلى خلق رجل واحد ، وهم إخوة في الدنيا والآخرة .

أصفياء لا غل في صدورهم ، ولا غش في قلوبهم ، ولا عيب في أبدانهم، ولا تباعض ولا تحاسد بينهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحج / ٤٧] .

قد تباعدت عنهم كل معاني الفرقة ، وانفردوا جميعاً بمعاني الوجدانية ، وجوار الواحد الأحد: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].
ثم قصورهم وجمالهم وحسنهم بعد على قدر ارتقائهم في درجات التوحيد ، والإيمان ، والعمل الصالح : ﴿ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَئِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

فأسلم واستسلم لربك الواحد الأحد، وقف بين يديه مخبتاً منكسراً تنال بشراه بالجنة والرضوان : ﴿ فَالْهَيْكُلُ لِلَّهِ وَحَدُّ فَلَهُ: أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج / ٣٤].
● التبعيد لله ﷻ باسمه الواحد :

اعلم أن توحيد الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده بربوبيته ، وتوحيده بألوهيته ، وتوحيده بعبادته ، أول العلوم وأعظمها وأشرفها ، وأعظم واجب يجب على العباد معرفته والشهادة لله به ، والعمل بمقتضاه : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَدُنْكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

وأعظم من شهد بالتوحيد لنفسه الرب ﷻ ثم ملائكته ثم العلماء كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

سبحانه هو الواحد الأحد لا شريك له، المملك كله في قبضته، والخزائن كلها بيده ، والكون كله باق بمشيئته، وجميع المخلوقات خاضعة لأمره: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ: إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ: مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو الجبار في ملكه العظيم، عالم الغيب والشهادة الذي يدرك المخلوقات والذرات كلها على اختلافها بصفة من صفاته: ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٩].
حجب سبحانه ذاته بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال ، وكشف العلم بالإرادة ، وأظهر الإرادة بالحركة والتدبير والاختلاف : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوفَّقُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد/ ٢-٣].

وأخفى سبحانه قدرته في سنته ، وأظهر قدرته في أفعاله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل / ١٠-١٢].

هو الواحد الأحد العليم بكل شيء ، الذي لا يشغله شأن عن شأن ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الله الواحد الأحد الذي ليس كمثلته أحد ، الذي خلق كل أحد ، الذي لا تراه العيون في الدنيا ، ولا تدركه العقول ، ولا تكيّفه الأوهام : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم / ٦٥].
فات العقول إدراكه ، وفات الألسن وصفه ، وفات الأبصار الإحاطة به .

هو الواحد الأحد ليس لذاته كيف ، ولا لأسمائه كيف ، ولا لصفاته كيف ، ولا لأفعاله كيف ، له وحده الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١].

هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر / ٤].

هو الواحد الذي خلق وحده جميع المخلوقات ، وقارب بين المتباعدات ، وباعد بين المتقاربات ، وحبب بين المتباغضات ، وألف بين المتفاوتات ، وطاوع بين المتعاصيات ، وحرّك الساكنات ، وسكّن المتحركات ، وجمّد السائلات ، وأسأل الجامدات ، وقهر جميع المخلوقات : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر / ٤].

جعل لكل شيء بداية ونهاية ، وجعل لكل مخلوق حداً وعملاً لا يخرج عنه أبداً ، فكلُّ يعمل بخاصته من موضع حده المحدود له : ﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْيَلِّ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلِّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس / ٣٧-٤٠].

والكل يشهد لله بالوحدانية ، ويسبح بحمد ربه العظيم : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].
واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن معرفة حقيقة التوحيد تُطلب بالمداومة على الاستدلال
بالآيات الكونية والآيات القرآنية على الوحدانية.

فما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وما أرسل رسوله وأنزل كتبه إلا
بالحق ، وأحق الحق أن يُعرف ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويُدان له بالتوحيد والعبادة
وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢].
وقال سبحانه في توحيد العمل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج/ ٧٧].

وإذا علمت أن ربك العظيم واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله فحقق التبعيد لله
بالتوحيد عملياً في أقوالك وأفعالك ، وحقق توحيد رسوله ﷺ بالاتباع : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور/ ٥٢].

فإن كنت توقن بأن الله خلقك وحده، ورزقك وحده، وقام بأمرك وحده، لم يشرك في ذلك
أحدًا فاعبده وحده ، ولا تشرك في عبادته أحدًا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ١١٠].

وكما وحّدك ربك بصفاته ، وتكفل برزقك ، ورباك بنعمه ، وخصك بالإكرام والإحسان ،
وأخلص لك ذلك كله وحده ، فأخلص له العبادة والشكر وحده لا شريك له تكن من
الفائزين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَامَةِ ﴾ [البينة / ٥].

واحذر أن تتعبد لسواه بأعضاء وحواس وقوى ونعم أنعم الله بها عليك وحده، لتستعملها
في طاعته وعبادته وحده ، فتُحرم من الجنة ، وتدخل النار : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة/ ٧٢].

واعلم أن مرجعك إلى الله وحده، وسيجازيك يوم القيامة بما عملت في الدنيا من خير أو شر،
فاختر لنفسك ما يسرك في القيامة أن تراه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨].
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [٨].

فاعبد الله مخلصاً له الدين ، واعلم أن الله عنك غني ، لا يقبل إلا عملاً خالصاً له وحده لا شريك له ، وعلى ما يرضاه هو لا على ما تحبه أنت دونه : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود/ ١١٢] .

فلا قيمة للأعمال مهما عظمت إذا ذهب توحيدها : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

واستعن بالله في جميع أمورك ؛ لأن جميع الحاجات بيد الرب الواحد الأحد ، وهي وغيرها مستجابة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته فوراً : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩] وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠] .

واعلم أن من أسقط الدعوى مع ربه ﷻ ، وجعل مكانها التفويض والتسليم والتوكل ، عصمه ربه مما يكره ، واختار له ما يسره ، ودفع عنه ما يضره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَايْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

ومن تبرأ من حوله وقوته أيده ربه بالمعونة ، ويسر له أموره : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

وهذا هو الموحد الذي استبدل الشرك بالتوحيد ، والظلم بالعدل ، والجهل بالعلم ، فأفلح وفاز كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣] .

وإذا منَّ الله عليك بالتوحيد وكنتم من الموحدين فاعلم أن أحسن ما تقوم به دعوة الخلق إلى توحيد الله ، فإن الله ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وكلف أمته بما جاء به من الدعوة إلى التوحيد والإيمان والتقوى ، وأنت بفضل الله منهم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [٤] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [الممتحنة/ ٤-٥] .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣] .
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (١) .

اللهم يا واحدا يا أحد ، يا من يكفي من كل أحد ، ولا يكفي منه أحد ، أنت الواحد القهار لا شريك لك ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
سبحانك أنت الأحد الذي ليس كمثلته أحد ، وأنت الواحد الذي لم يكن له كفواً أحد .
يا أحد من لا أحد له ، ويا سند من لا سند له ، انقطع الرجاء إلا منك ، فاغفر لنا وارحمنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، يا أرحم الراحمين .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥) ، وهذا لفظه ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧) .

الوتر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر» متفق عليه^(١).

الله جل جلاله هو الوتر الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا أحد مثله.

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد/٣)

[الحديد/٣].

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد، الصمد الغني عن كل أحد، الذي ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص/١-٤].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك، والخلق، والأمر، والتصريف، والتدبير، وحده لا شريك له، وتفرد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٢٤)﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له، تفرد وحده بخلق المجتمعات والمتفرقات، والعلويات والسفليات، الذي يسيل الجامدات، ويجمد السائلات، ويحرك الساكنات، ويسكن المتحركات، ويجمع بين المتضادات، ويؤلف بين المختلفات سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ (٤)﴾ [الزمر/٤].

وهو سبحانه الوتر الملك الحق الذي وسم جميع المخلوقات بسمة الحدث والصنع، والعجز والفقر، وانفرد عنها جل جلاله بصفات السلام والكمال والجمال والجلال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝ (٨)﴾ [طه/٨].

انفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك.. وبالربوبية دون المربوب.. وبالألوهية دون الواله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ (٦٥)﴾ [مريم/٦٥].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧).

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه.. وأفرد الكافرين بإهانته .. وأفرد كل ذي شكل بشكله.. وكل ذي صورة بصورته.. وكل ذي لون بلونه.. وكل ذي طعم بطعمه.. وكل ذي سمع بسمعه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر، وخلق كل شفع، ومخلوقاته كلها شفع ووتر. السماء والأرض.. والليل والنهار.. والشمس والقمر.. والذكر والأنثى.. واليابس والرطب.. والخير والشر.. والنور والظلام: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس/٣٦]. هو الوتر الذي خلق كل زوجين من الذوات والمعاني: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/٤٩].

وهو سبحانه الوتر، الذي يحب الوتر ويأمر به في كثير من الأقوال والأعمال والطاعات التي شرعها، في الأذكار، والصلوات الخمس، ووتر الليل، والطهارة وغير ذلك. عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ » أخرجه أبو داود والترمذي^(١).

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثيل له ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات، وتدبير جميع الكائنات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/١١].

• التبعيد لله تعالى باسمه الوتر:

اعلم رحمك الله أن الله وحده هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، الملك الذي تفرد بالخلق والأمر، والعطاء والمنع، والبسط والقبض: ﴿إِنِّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

فكما خلقك الله ورزقك وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد، وأفردك بذلك كله، ولم يشرك معك أحداً، فأفردته بالتوحيد والعبادة، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة،

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦) وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٥٣).

وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة/ ٥].

وكما تفرد ﷻ بالعظمة والخلق، والعزة والكبرياء، والجلال والجبروت، فأفرده وحده بالذلة والخضوع له، والحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة، وسائر أنواع العبادة: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٢١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة/ ٢٢-٢١].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً، سليماً من أي عيب أو نقص، خالصاً من كل كدرٍ ونكد، فصل لك بعضه، وأجمل لك جُله؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه، ولا تبلغ آمالهم إلى بعضه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان والطاعات بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهٖ مُتَشَبِهَاتٌ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥].

وأفرد الله ﷻ لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً، عارياً من أقل راحة، مسلوباً من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد، ولا يقوم لأدناه صبر أحد: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ٥٦].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء أفرد لك زوجين، نعيم وعذاب، لزوجين، طاعة ومعصية، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها، فأفرد له الطاعة يفرد لك النعيم: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح/ ١٧].

وأفرد لك سبحانه الحق من الباطل، والخير من الشر، فأفرده بفعل الحق والخير، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَكُمْ شَتْنَانُ قَوْمٍ أَنْ

صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة/ ٢].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم ، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، على ما جاء به
رسوله ﷺ : ﴿ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطَنَ عَمَلِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦].

فلا تُوجه عملك لسواه ، فتخسر نفسك وعملك ، ودنياك وأخراك : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة/ ٧٢].

واختم أعمالك بالوتر حسب الشرع ؛ لما علمته من بركة الوتر ، وحب الله له : ﴿ فَاسْتَقِمْ
كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

واعلم أن الله إذا أحب عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه ، وأحب العامل به ، فاطلبه
واعمل به : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ
ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

وياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له ، أو لم يشره الله ورسوله ، فيرده عليك :
﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].
﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة/ ١٢٩].
﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه ^(١) .
اللهم أنت الملك لا إله غيرك ، ولا رب سواك ، أنت الواحد لا شريك له ، الأحد لا شبيه لك ،
الوتر لا مثل لك ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تُعصى إلا بعلمك ، تطاع فتشكر ، وتُعصى فتغفر ،
فلا إله إلا أنت .

اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الثاني

أسماء الله الحسنی الدالة على الحياة والملك ،
والعلو والعظمة والقدرة ، والجلال والكبرياء

[٣٥ - ٧]

وتشتمل على ما يلي :

(الحي) ، (القيوم) ، (الملك ، المليك ، المالك) ، (العظيم) ،
(الكبير ، المتكبر) ، (العزيز) ، (الجبار) ، (المهيمن) ،
(القوي) ، (القادر ، القدير ، المقتدر) ، (القهار) ، (المجيد) ،
(الصمد) ، (المتين) ، (العلي ، الأعلى ، المتعال) ، (النصير ،
الناصر) ، (الوارث) ، (الوكيل) ، (النور) ، (المقدم ، المؤخر) .

الحي

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الحي الذي حياته كاملة ليست مسبوقة بعدم ، ولا يلحقها زوال ، ولا يعترها نقص أو عيب .

فهو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والكرم والرحمة ، والإرادة والمشية ، وغير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨] .

هو الحي القيوم بذاته ، وكل حي سواه فهو حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع عنه الحياة صار جثة هامدة : ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾ [غافر / ٦٨] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي لا يموت أبداً ، هو الحي الذي ليس لحياته موت ولا فناء ولا زوال ، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة والأحياء ، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي : ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف / ١٥٨] .

واعلم أن الله وحده لا شريك له دائم الحياة ، دائم البقاء ، دائم الملك : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

أما الانسان وغيره من الأحياء فلا بد أن يموت إظهاراً للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت ، واعلاماً بالحي الذي يملك الحياة والموت : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ﴿٤٤﴾ [النجم / ٤٢-٤٤] .

وحياة الإنسان دائمة ، والموت معبر لانتقال هذا الحي من دار إلى دار : ﴿هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ

ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ [الحج/٦٦].

هو الحي الذي لا إله إلا هو له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

هو الحي القيوم الذي يهب الحياة لكل حي، خالق الحياة في كل شيء من مخلوقاته، الحي الذي أعطى كل مخلوق حياة تخصه: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِرُّ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي

خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك/١-٢].

فسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته، وتفرد بالحياة التي لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ [آل عمران/٢].

هو الحي الذي يحيي الخلق من العدم، ويحيي الخلق بعد الموت، ويحيي القلوب بمعرفته والاتصال به: ﴿لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ [الحديد/٢].

واعلم أن كل إنسان حي الذات ميت الصفات، فإذا آمن بالله أحيا الله قلبه بالإيمان، وأحيا روحه بالأخلاق الحسنة، وأحيا جوارحه بالأعمال الصالحة.

فالمؤمن حي القلب، إذا ذكر ربه وقرأ القرآن دمعت عينه، واقشعر جلده، يحب ربه، ويعظم مولاه، ويسبح بحمده، ويدعوه ويذكره، ويطيعه ويعبده: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/١٢٢].

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء وكل حي وكل ميت وكل ما في عالم الغيب والشهادة عبد له، يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/٤٤].

هو الملك الحي القادر الذي أحيا كل شيء بسره الذي لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، أحيا عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الطيور، وعالم الأسماك، وعالم الذرات: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ [التوبة/١١٦].

فسبحان من أحيا العوالم العظيمة بسره، وغمر جميع المخلوقات بوافر بره، فكل مخلوق يسكن في فلكه، ويستطعم من رزقه، ويسبح بحمده: ﴿ذَلِكَ مِمَّا اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/١٠٢].

وَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ ، وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُ ، وَهَذِهِ صِفَاتُهُ ، هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُطَاعَ وَيُعْبَدَ ، وَيُرْكَعَ لَهُ وَيُسْجَدَ ، وَيُذَكَّرَ وَيُحْمَدُ: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَ عُوهُ مُحْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

أما الحي الذي يموت أو الميت أو الجماد ، فكل هؤلاء وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئاً من العبادة ؛ لأنهم من العبيد الفقراء الذين لم يكونوا شيئاً ، ثم خلقهم الله ، وكلهم عبيده وتحت قهره وسلطانه : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [١٧] وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتُ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل/ ١٧-٢١] . بل المستحق للعبادة وحده هو الحي الذي لا يموت ، العليم بكل شيء ، فأخلص له العبادة : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴾ [الفرقان/ ٥٨] . فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حياً ، الحي الذي يملك خزائن الحياة والأحياء ، الحي الذي يحيي ما شاء بما شاء .

أحيا الأرض بالنبات ، وأحيا الأجساد بالأرواح ، وأحيا القلوب بالإيمان : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس/ ١٢] . واعلم وفقك الله لمعرفة وعبادته أن الحي القيوم من أعظم أسماء الله الحسنى ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحسنى ، وجميع صفات الله راجعة إليهما ، ويرجى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب .

فالحي جامع لصفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها . والقيوم جامع لصفات الأفعال كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير ، والعفو والرحمة وغيرها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم بنفسه ، المقيم لخلقه خلقاً ، ورزقاً ، وتدبيراً . وسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة والأحياء ، الذي يحيي ويميت ، الذي خلق كل شيء ، وأحكم صنع كل شيء ، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء : ﴿ اللَّهُ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي يحيي كل ميت، ويميت كل حي، فليس يميت الحي قاتله، ولا يحيي الحي تاركة، بل الله وحده الذي يحيي ويميت؛ لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق / ٤٣].

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي، وخلق الموت في كل ميت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة / ١١٦].

فسبحان الحي القيوم الذي يحيي الأرض بالنبات، ويحيي الأجساد بالأرواح، ويحيي القلوب بالإيمان، ويحيي الجوارح بالأعمال الصالحة: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم / ٥٠].

وسبحان الحي القيوم الذي قهر عباده أبراراً أو فجاراً بالموت: ﴿أَيَنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء / ٧٨].

وأعلم أن الذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت وحده لا شريك له: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر / ٦٨].

فالله يحيي ويميت ليعلم الناس أن الله وحده هو القادر على التصرف بالإحياء والإماتة متى شاء. والله وحده هو الذي يحيي ويميت، وهو الذي خلق الموت والحياة، وقد وكل قبض الأرواح إلى ملك الموت كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة / ١١].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الحي :

اعلم أن مقاليد الأمور كلها بيد الحي القيوم وحده لا شريك له.

فاسأله أن يرزقك الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن يحيي قلبك بالإيمان، ويحيي جسدك بالأعمال الصالحة، ويلبسك لباس التقوى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة / ٤].

وإذا خصك الحي القيوم بهذه النعمة فأحياك ونور قلبك بالإيمان فهو يريد منك أن تكون عبداً حياً قائماً بين يديه بالعبادة، وقائماً بين خلقه بالدعوة إلى الله، والإحسان إليهم، وإصلاح ذات بينهم، وهذا مقام الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].

واشكر الحي القيوم على إحسانه، واحمده على هدايته، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

والزم باب العبودية للحي القيوم فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ، فتحرم مما تحب ، فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَ خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَيْسَ أَلَدِيثُ الْفَيْثِ وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّكَايسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم / ٣٠].

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ، فحياة القلوب بالتوحيد والإيمان بالله والعمل الصالح من أعظم الهبات التي يخص الله بها من يعلم أنه يزكو بها: ﴿يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٤].

وهذه الحياة أعظم نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة ؛ لأنها تكشف عن البصر غطاءه، وتزيل عن السمع وقفه، وترفع عن القلب أكنته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ النَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

وبالنظر والتفكر يبصر العقل حقائق المخلوقات، وينظر إلى آيات ربه، ويبصر شواهد وحدانيته، ويسمع شهادة الشاهدين بالوحدانية ، فيستجيب لربه الحي القيوم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال / ٢٤].

وبهذه الحياة الطيبة ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، والخلق الطيب ، تطيب النفوس ، وتشرح الصدور ، وتطمئن القلوب ، وتنجلي عنها ظلمات الشرك والشبهات ، وتفتح لها طرق الخير ، وأبواب البر ، فتشرق بنور ربها ، فترى الحق حقاً ، والباطل باطلاً: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد / ٢٨].

واشكر نعمة الله عليك بالتوحيد والإيمان بالجهد في إحياء القلوب الميتة الغافلة عن ربها ، لعل الله أن يجعلك سبباً لحياتها وهدايتها وكسب أجرها: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَعَلِمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم / ٥٢].

واعلم أن بيان الحق والعمل به ونشره والدفاع عنه أمر لازم: ﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيْتَةِ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيْتِهِ وَإِنَّا لَنَسْمِعُ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [الأنفال / ٤٢].

واعلم أنه إذا خالط الإيمان بشاشة القلوب، ومازج نوره لحم الإنسان ودمه، صار حياً حياة أخرى.
فأبصر بعد العمى .. وسمع بعد الصمم .. ونطق بعد البكم .. ودكر بعد الغفلة .. وأطاع ربه بعد
المعصية : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

واعلم أيها الحبيب أنك إن حييت هذه الحياة الطيبة في الدنيا لم تمت أبداً إلا مودة
النقلة من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم تصير إلى حياة النعيم أبد الآباد في ملك لا
تستطيع أن تتوهمه ، فكيف تستطيع أن تصفه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا
خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فإذا غارت النجوم ، ونامت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، فقم لمناجاة ربك الحي القيوم
راكعاً وساجداً ، فإذا طلع الفجر فقل يا حي يا قيوم هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فإن
قبلت مني ليلتي فأنت الكريم ، وإن رددتها فأنت الغفور الرحيم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا آيَاتِ
سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

فالزم رحمك الله باب الحي القيوم ، وقم بين يديه راکعاً وساجداً ، وباكياً وخاشعاً ، ولا تمل
ولا تضجر حتى يفتح لك الفتح العليم كل خير تصلح به حياتك في الدنيا والآخرة : ﴿ مَا
يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].
واعلم أن من اتصل بالحي أحيأ قلبه وروحه ولسانه وجوارحه بما يحبه ويرضاه ، وصرف عنه
ما يضره وما لا ينفعه .

واعلم أن من أراد الحياة حقاً ، والسعادة حقاً ، والفوز حقاً ، فليتصل بربه ، ويلزم طاعة الله
ورسوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].
وكل من لم يتصل بربه الحي القيوم فهو ميت ، وحياته حيوانية لا آدمية : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ
مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢].

ومن عاش لهواه وشهوته غافلاً عن ربه فإن الله لا يعبا به ولا بعمله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف/ ١٠٥].

فاجعل حياتك لربك الذي جئت منه ، وتسكن في ملكه ، وتأكل من رزقه ، ثم تعود إليه : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[١٦٣]﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وأكثر من ذكر هاذم اللذات ، وبادر إلى التوبة ، فإنك بعد الموت سوف ترجع إلى ربك ، وسوف يجازيك بما عملت : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢٨١].

ومن طاب قلبه طاب عمله ، وطاب مقامه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] ﴿[النحل/ ٩٧].

وإن حُرمت هذه الحياة في هذه الدار بقيت فيها قليلاً بحياة تضاهي حياة البهائم والأنعام ، ثم تموت بعد موتة الكفر التي كنت فيها، ثم يبعثك ربك لا لإكرامك، بل ليجازيك بسوء أفعالك : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [٧٤] ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [٧٥] ﴿[طه/ ٧٤-٧٥].

واعلم أن خشية الله إنما تحصل للعبد بالعلم النافع، وقوة اليقين، وكمال الإيمان، وحقيقة التوحيد، وذلك يثمر كل عمل صالح، وثواب من الرب جزيل، ونعيم من الكريم دائم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣١] ﴿تُرَاوَعُونَ غُفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٣٢] ﴿[فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن صلاح قلبك هو المراد منك، وعليه مدار أمرك ففرغه لما أمرت به ، واطلب صلاحه بكمال الإيمان والتقوى ، فجميع طرقك إلى ربك مفتقرة إليه ، ولا يتم شيء بينك وبين ربك إلا به ، فاملأه بالإيمان تجني منه أحسن الثمار والأعمال والأخلاق : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٣٨] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّثَابٍ﴾ [٣٩] ﴿[الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله حي قيوم فاعبده وحده لا شريك له ، ولا تعلق قلبك بغيره ، فالله يغار إن رأى قلبك مع غيره ، فلا تشغلك محبة غيره عنه .

ومن ضايقتك وإنما ألهمه الله لتفك ارتباطك معه ، وتفر منه إلى ربك الحي القيوم : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرُمٌ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٥١ ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي يراك حين تقوم، وأخلص جميع أعمالك له، ولا تشرك معه فيها أحداً ، فإنك قادم عليه، وراجع إليه ، فاختر ما يحبه ويرضاه تسعد ولا تشقى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١٣ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ١١٤ ﴾ [طه / ١١١-١١٢].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ٢٨ ﴾ [نوح / ٢٨].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه ^(٢).
 « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(٣).

« يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » أخرجه النسائي في الكبرى ^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).
 (٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.
 (٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).
 (٤) صحيح / أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١٠٤٠٥)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٧).

القيوم

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢].

الله ﷻ هو الحي القيوم، القائم الدائم الذي لا يزول، القائم بنفسه، الذي لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد.

وهو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، الذي افتقرت إليه جميع المخلوقات، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها.

فهو الحي القيوم الذي خلقها، وأحيها، وأقامها، ورزقها، وحفظها، وأبقاها: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه الحي القيوم القائم بنفسه، القيم لغيره، القائم على كل شيء في بقائه وفنائه، وحرسته وسكونه، ونفعه وضره.

هو القيوم الذي به قيام كل شيء، الباقي الذي لا يزول، القائم بنفسه، قيام السموات والأرض، القائم على كل نفس، القائم بالقسط: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / ١٨].

هو القيوم الذي خلق المخلوقات كلها، القائم بتدبير المخلوقات كلها من الجمادات والنباتات والحيوانات والبشر والجن والملائكة والأفلاك وغيرها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

هو الحي القيوم القائم بتصريف الأحوال، القائم برزق العباد وخلق أرزاقهم في كل حين، فهم نائمون غافلون والأمطار تهطل، والأنهار تجري، والجذر ينمو، والأشجار تثمر، والأرض تنبت: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا بَحًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا ﴿٢٨﴾ وَزَبْتُونَا وَتَخَلًّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس / ٢٤-٣٢].

هو الحي القيوم الذي لا يقع في الكون شيء إلا بأمره وإذنه ومشئته من زلزال أو إعصار أو مطر أو فيضان، أو غرق أو حرق أو هدم، أو وباء أو مرض، أو سلم أو حرب، أو حياة أو موت، أو نصر أو هزيمة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

فسبحان الحي القيوم الذي كل مخلوق وكل شيء وكل ذرة ملكه.

الكل شاهد أمام ربه ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته ، وشاهد بوحدانيته ، ومسبح بحمده : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود/ ٥٦].

وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت رقابةً وخلقاً ورزقاً وعلماً وتدبيراً.

وهو سبحانه القائم على الصراط المستقيم الذي هو الحكمة والعدل والإحسان ، الباقي بعد فناء كل شيء : ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِهَا فَإِنَّ (٦٦) وَبَعَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء قائم به، مستسلم له، خاضع لعزته، متصاغر لكبريائه، متذل لعظمته، مسبح بحمده ، مطيع لأمره : ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه قيوم السموات والأرض، القائم للخلائق بجميع معاني وجودها، الحافظ لها، المصرف أحوالها، الحاكم لها ، الرحيم بها ، المالك لها وحده لا شريك له : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

سبحانه حي قيوم لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، وكيف ينام وهو سبحانه القائم بجملة الخليقة ، وتدبير أمورها جملة وتفصيلاً : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢].

وقيام كل شيء بأمره ، وبقاء كل شيء بإذنه ، من صغير وكبير ، وعال وسافل ، فلورفع عنه أمر البقاء لزال وانعدم فوراً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر / ٤١].

خلق سبحانه جميع المخلوقات ، وأبدعها على غير مثال سابق، وجعلها مظهرًا لأسمائه وصفاته، شاهدة بتوحيده ، مسبحة بحمده، ثم سوف يفترق الجمع ، وتزول الآثار، ويبقى الله وحده لا شريك له : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الفصص/ ٨٨].

فسبحان القائم بنفسه ، القائم بخلق الخلق ، القائم بقسمة أرزاقهم ، وتصريف أحوالهم ، وحشرهم وحسابهم : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥].

وهو سبحانه الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران/ ٢].

مالك الملك ، الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

العالم بكل شيء ، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

سبحانه ما أعظم قدرته ، وما أعظم تدبيره لملكوته : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ [الروم / ٢٥] .

هو القادر على كل شيء ، الذي لكمال قدرته خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض وما بينهما ، وخلق الدنيا والآخرة ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وإرادته .

وهو السميع لكل صوت ، الذي لكمال سمعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

وهو البصير بكل شيء ، الذي لكمال بصره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في

الأرض : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ [البقرة / ٢٩] .

فسبحان الحي القيوم القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت ، القائم على

كل نفس بما كسبت : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥] .

ومن هذه صفاته ، وهذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو وحده المستحق للعبادة

وحده دون سواه ، وأهل أن يعبد ويطاع وحده لا شريك له : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ

بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدًّا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٢﴾ [الرعد / ٣٣] .

واعلم وفقك الله لمعرفة حكمته أن الله لم يوجد المخلوقات لمحض النفع والفناء ، بل لتُعرف

عظمته وقدرته وعلمه ، وأسماءه وصفاته وأفعاله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

يُنزِلُ الْأَمْزُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

ولما أرى ﷻ الألباب والعقول عظيم قدرته على الإيجاد ، ولطيف حكمته في إتقان

الصنع ، وجميل فضله وإحسانه في العطاء ، استأثر الحي القيوم بالملك والبقاء؛ إظهاراً

لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والملكوت والجبروت .

ثم أفنى الحي القيوم الذي لا يموت تلك المخلوقات تفرقة بين عزته وذلتهم ، وبقائه

وهلاكهم ؛ لأنه الملك الحي الذي لا يموت ، وهم المماليك والعبيد له ، يفعل بهم العليم

القدير ما يشاء : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ

اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨] .

ثم هو ﷻ خلق المخلوقات العظيمة إظهاراً لكمال قدرته وقوته وعظمته ، ثم يفنيهم ويعيدهم تكميلاً لحكمته في خلقه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم/ ٢٧].

فسبحان الحي القيوم الذي ما شاء أبقاه إلى أمد، فإذا قطع عنه أمر البقاء أفناه. وأمره ماض في كل مكان وزمان ، وكل موجود سواه فان: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣] [يس/ ٨٢-٨٣]. وكل ما أريد به وجهه باق، وفاعله مكرم غير مهان، ومالم يُرد به وجهه فضائع، وفاعله باق في الهوان: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٤٣] ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [٤٤] [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

• التبعذ لله ﷻ باسمه القيوم :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن مفتاح التبعذ بكل اسم من أسماء الله الحسنى طلب علمه ، وفهم معناه، ومعرفة مجاريه في العالم العلوي والسفلي، وتتبع آثاره في المخلوقات، حتى تبلغ درجة اليقين في التوحيد والإيمان: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ﴾ [١٩] [محمد/ ١٩].

واعلم أن من حق ربك عليك أن تعرف أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى ، وتبصر القائم على كل نفس ، الذي قام كل شيء به ، وترى الحي القيوم الذي لا ينام أبداً.

فإذا عرفت ذلك قمت بين يدي ربك خاشعاً ذليلاً بالمحبة والتعظيم، وقضيت أوقانتك في طاعته، واستعملت جوارحك في عبادته: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِنَا آلُ يَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٩] [الزمر / ٩].

فسبحان من كل شيء له عابد، ولعزته خاضع ، ولرحمته راج ، ولإحسانه محتاج: ﴿ وَلَهُ ۥ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣] [آل عمران / ٨٣]. فارغب إلى مولاك الكريم بالقيام بحسن الطاعة، ودوام العبادة ، تنال الأجر الكبير: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [٧١] [الأحزاب / ٧١].

واعلم رحمك الله أنك للبقاء خلقت، ولم تخلق للفناء ، وإنما تنقل من دار إلى دار لتجزى بعملك، ثم تستقر في دار القرار حسب ما عملت في الجنة أو النار: ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِنُ الَّذِينَ يَنْفَرُوا فِيهَا وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [١٥] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

فاعقل رحمتك الله من أنت؟ وعبد من أنت؟ ولم خلقت؟ وما الذي يريد ربك منك؟

وإذا عرفت أن ربك هو الحي القيوم، وإليه تنتهي الأمور، وعنده خزائن الأجور، فاعمل له بكل جهد، ولا تستبق منك باقية في العمل له بطاعته، فقد أعد الله لك بقاء كريماً لا فناء بعده:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

وقد أهلك مولاك الكريم لأمر عظيم، ومقام كريم، ومملك لا يفنى إن أطعته وعملت بما يحب: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فأرضه بدوام ذكره وشكره وحسن عبادته، فسيرضيك ويسترضيك: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ [الروم/ ٦].

وإن رغبت عنه، وجعلته وراء ظهرك، فاعلم أنك لا بد باق في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيا: ﴿ فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

وتيقن أيها المسلم أن الخلود في الجنة الواسعة العالية خير من الخلود في النار الضيقة الحامية. والبقاء غداً في النعيم المقيم خير من البقاء في العذاب الأليم: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ

الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ [الحشر/ ٢٠].

والبقاء في جوار الرحمن ورضوانه خير من البقاء في النار وسخط الرب سبحانه: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ

الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

واعلم أن الله ﷻ ركب الإنسان على أربع صفات هي:

العقل .. والهوى .. والعفة .. والشهوة.

فالعقل يغالب الهوى، والهوى يغالب العقل، والعفة تغالب الشهوة، والشهوة تغالب العفة: ﴿ إِنَّا

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا

وإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

وقد جعل الله لك بواسطة العقل والعفة وصدق اللجوء إلى الله سلطاناً على نفسك .
 فإن كنت من حزب الله ، وقمت بطاعته ، واشتغلت بعبادته ، زادك معونة ، وأجزل لك
 المثوبة ، ونصرك على عدوك : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴾ ﴿١٧﴾ [محمد/١٧].
 وإن جنحت إلى شهواتك، وأثرت هواك، وأبيت إلا مُضياً في مخالفة ربك ، وكلك إلى نفسك،
 وتخلي عن نصرته لك، ونسيك كما نسيته ، فتولاك الشيطان ، واستعملك فيما يسخط الرحمن .
 فتنبه لنفسك ، وكن مع الصادقين ، واذكر ربك مع الذاكرين : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
 فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ءَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر/١٨-١٩] .

واعلم حفظك الله أن الحكمة في الأمور هي سلم المؤمن إلى نجاته ، ومعراجة إلى ربه ،
 ومنال رضوانه ، فمن عديمها أو عديم العمل بها عديم القرب من ربه .
 ومن لم يكن حكيماً محباً للحكمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق بها خلقه ، لم يزل
 ينزل سفلا في أمره كلها : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
 مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ
 كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ءَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ [طه/١٢٣-١٢٧] .

فسل ربك الكريم أن يرزقك الحكمة فإنه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
 فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا ءَأُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٣٦﴾ [البقرة/٢٦٩] .
 وتوجه إلى ربك الكريم في جميع أمورك ، واضرع إليه أن يستعمل جوارحك في طاعته على ما
 يحبه ويرضاه، لا على ما تحبه وتهواه، واستقم له كما أمرك يكرمك بما وعدك .

واسأل ربك أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبك ، ويستر
 عيوبك، ويقطع عنك ما يقطعك عن طاعته ، ويصدق عما يصدقك عن سبيله ، وقل : اللهم
 ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
 إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ [الأحقاف/١٥] .

واعلم أن الله يحب أسماءه وصفاته، ويحب أن يتحلى بها عباده على ما يحبه ويرضاه .
 ويحب الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق ، فعليك بدوام طاعته ، ولزوم سبل محابه ،
 ولا يصدنك عنه من أعرض عنه : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ءَأَوْ كُفُورًا ﴾ ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ أُمَّمَ رَبِّكَ

بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ [الإنسان / ٢٤-٢٦].

واعلم أن الله كما داوم عليك بإحسانه، وتابع عليك إنعامه، فداوم أنت على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، ليديم عليك ذلك، ويزيدك من نعمائه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

فكن قائماً على نفسك بحملها على طاعة الله، واجتناب معصيته، واستعمل جوارحك فيما يحبه ربك ويرضاه من العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى الخلق بالعلم والمال والبدن، ومن أحسن في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن / ٦٠].

وتوكل على الحي القيوم، فلا ترى لنفسك ناصراً غيره، ولا لعمك معلماً غيره، ولا لعمك شاهداً غيره، ولا لرزقك خازناً غيره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَايَتُوكُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن / ١٣].

واعلم أن من وقف لك ظالماً لك، ثم انصرف عنك وأحسن إليك، فالله نصرك به وسمح له أن يحسن إليك، وألهمه قضاء حاجتك، إما أنه خاف منك، أو استحيا منك، أو عطف عليك، فاشكر من سلبه عداوته لك، وسخره لقضاء حاجتك: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران / ٢].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل / ١٩].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ.»

أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُزْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ «متفق عليه»^(١).

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى.

اللهم يا حي يا قيوم حبب إليَّ القيام بين يديك عابداً، وبين الناس داعياً، وبين الخلق محسناً، يا أرحم الراحمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

الملك .. المليك .. المالك

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [الجمعة / ١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَلَكِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ۝٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ [القمر / ٥٤ - ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦١﴾ [آل عمران / ٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمَلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الملك الحق الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون / ١١٦].

وهو سبحانه الملك الغني عن كل ما سواه ، المالك لكل شيء في العالم العلوي والعالم السفلي ، مالك يوم الدين ، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن ، وما فوقهن من العرش العظيم ، والكرسي الكبير ، والملائكة والروح وما لا يعلمه إلا هو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يملك السموات السبع ، والأرضين السبع ، وما فيهن وما بينهن من شمس وقمر .. وكواكب ونجوم .. وليل ونهار .. وسحب ورياح .. وملائكة وأرواح .. وإنس وجن .. وحيوان وطير .. وجماد ونبات .. وتراب وماء .. وبحار وأنهار .. وسهول وجبال ، وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه أو الوقوف على أحاده: ﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾ [المائدة / ١٢٠].

وهو سبحانه الملك العزيز الجبار ، ملك الملوك ، ومالك الملك ، الذي يملك جميع الملوك والمالكيين وما يملكون كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦١﴾ [آل عمران / ٢٦].

وهو سبحانه الملك القادر الذي ينفذ أوامره الملكية في ملكه العظيم متى شاء ، كيف شاء ، على من شاء ، من غير مشارك ولا ممانع ، خلقاً وإيجاداً ، وعطاءً ومنعاً ، وحياة وموتاً ، وتصريفاً وتدبيراً: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك / ١-٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٠٦)، ومسلم برقم (٢١٤٣)، واللفظ له.

والكون كله مملكة واحدة لملك واحد هو الله وحده لا شريك له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكْفَرُونَ بِشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (١٤) ﴿فاطر/ ١٣-١٤﴾ .
فسبحان مالك الملك والملكوت ، كل شيء وقع أراده الملك ﷻ ، وكل شيء أراده الملك فلا بد أن يقع : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٧٧) ﴿البقرة/ ١٧٧﴾ .

واعلم أن الله إذا أعطى الملك لأحد أعطاه الهيبة فصار كل الناس يخافونه ، وإذا أراد نزعه من أحد ألغى هيئته فصار كل الناس يجترئ عليه ، ويكشر في وجهه ، حتى يسقطه ويخلعه : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦١) ﴿آل عمران/ ٢٦﴾ .

فمن أراد العزة والغنى والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة فليصل بالملك الحق الذي كل ما سواه مُلك له وعبد له : ﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٣٠) ﴿المائدة/ ١٢٠﴾ .
فسبحان الملك الكريم الحق الذي يدعو عباده ليكونوا ملوكاً في الدنيا والآخرة ، الحي الذي يدعوهم ليكونوا أحياء سعداء لا يموتون أبداً ، العزيز الذي يدعو عباده إلى الدين الحق الذي إذا آمنوا به ثم أرادوا شيئاً أعطاهم إياه : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّهُ مُخَاصِّينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) ﴿غافر/ ٦٥﴾ .

واعلم أنك إن أطعت الملك ﷻ كنت في معية الملك في الدنيا والآخرة ، وإذا أطعت الغني كنت في معية الغني ﷻ ، وإذا أطعت القوي كنت في معية القوي ﷻ .

وإذا أطعت الصغير كنت في معية الصغير ، وإذا أطعت الفقير كنت في معية الفقير ، وإذا أطعت الضعيف كنت في معية الضعيف : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) ﴿الذاريات/ ٥٠-٥١﴾ .

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الذي خلق كل شيء بأمره ، وخلق الإنسان بيده ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض من المياه والرياح والجماد والنبات والحيوان وغيرها ليستعين بذلك على طاعة من خلقه ويشكره : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةَ وَمِنْ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢٠) ﴿لقمان/ ٢٠﴾ .

فالإنسان لما قبل حمل الأمانة وهي الدين الحق كرمه ربه وسخر له ما في السموات وما في الأرض، فكل شيء مسخر للإنسان، والمسخر له أكرم من المسخر، فالجبال والبحار والتراب والحديد وغيرها مما لا يحصيه إلا الله كلها مسخرة للإنسان.

فسبحان من خلق الإنسان وسخر له جميع الثمار فجعل طعمها طيباً، وشكلها جميلاً، ورائحتها عطرة، ومذاقها حلواً، وملاها بالمنافع: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٤١].

وتسخير الله للكون له وجهان :

تسخير تعريف يجلب الإيمان ويزيده .. وتسخير تكريم يوجب الشكر لمن سخره .

فسبحان من سخر لنا كل شيء في كل حال ، فصفة التسخير تدور معنا في كل ثانية من حياتنا : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وهو جل الملك الغني الذي يملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء ، ويده كل شيء ، ينفق كيف يشاء ، ويعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا ينقص ما عنده مثقال ذرة : ﴿ وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا لَأَبْقَدِرَ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الملك العظيم القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، القاهر لكل شيء ، النافذ أمره في ملكه ، الذي لا يغلبه شيء ، الذي يتصرف وحده في جميع المخلوقات بلا ممانعة ولا مدافعة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

هو الملك القادر الذي يدبر الأمر .. ويصرف الأقدار .. ويقبّل الليل والنهار .. ويفعل ما يشاء .. لا راد لقضائه .. ولا معقب لحكمه .

يعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويأمر وينهى .. ويعفو ويتنقم .. ويثيب ويعاقب .. ويحيي ويميت : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ [المؤمنون/ ٧٨-٨٠].

هو الملك الذي يرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ويحكم عباده بأمره وشرعه، ويعمهم بفضله ورحمته: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد/ ٢٥].

وهو سبحانه الملك القدوس السلام، الرحمن الرحيم، اللطيف بعباده، المتودد إليهم بنعمه وإحسانه، المشفق عليهم مما يضرهم: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ سَحَابًا لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه الملك الحق المبين الذي يحكم وحده بين الخلق يوم القيامة، ومن رحمته بالخلق أنه مالك يوم الدين وحده؛ لأنه الملك الذي يحكم بالعدل والإحسان، ويعفو ويصفح، ويغفر ويستر: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان / ٢٥-٢٦].

وإذا حكم الله بين العباد فلا ظلم ولا جور ولا خوف، بل عدل وإحسان: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر / ١٧].

ومن أطاع ربه الملك القدوس في الدنيا، وعاش في الدنيا عبداً له، فاز بقرب الملك الحق يوم القيامة، وملكه ربه من النعيم ما لا يخطر بباله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْنَدٍ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

الله أكبر.. ما أعظم ملكه، وما أعز سلطانه، وما أعظم كرمه، وما أوسع حلمه على من عصاه. فله الحمد على ملكه العظيم، وله الحمد على فضله الكبير، وله الحمد على رحمته الواسعة، وله الحمد على نعمه السابغة، حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه، ويكافي مزيده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ / ١].

فسبحان الملك القدوس، ذي العزة والجبروت والملكوت، كثير الخلائق والممالك والممالك، واسع الرزق والمغفرة، جميل الإكرام والإحسان، عظيم الملك والقدرة

والسلطان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

والله سبحانه وحده هو الملك الذي له الملك والملكوت من جميع الوجوه: فله ملك العالم العلوي والعالم السفلي.. وله ملك عالم الغيب والشهادة.. وله ملك الدنيا والآخرة.. وله ملك السموات والأرض.. وله ما في السموات والأرض.. وله غيب السموات والأرض.. وله خزائن السموات والأرض.. وله جنود السموات والأرض.. وله ميراث السموات والأرض: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٤].

ف « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » متفق عليه^(١).
واعلم وفقك الله لمعرفة أن الله هو الملك الحق المبين وحده لا شريك له.
وملك الله ﷻ لمخلوقاته من ثلاث جهات .

الأولى : مُلك الخلق والإيجاد ، والإمساك والإبقاء .

فالله وحده خالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، وممسك كل شيء ، والمبقي لكل شيء : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٦] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].
الثانية : مُلك التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين .

فالله وحده هو الملك القوي القادر الذي يتصرف في ملكه كيف شاء بإرادته ومشيبته ، لا راد لأمره ، ولا مالك غيره ، ولا مالك فوقه ، وكل ملك دونه مملوك له ، خاضع لأمره : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٦] تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّةِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيَّةَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].
الثالثة : مُلك النفع والضرر .

فالله وحده هو خالق المخلوقات ، المالك لها ، المتصرف فيها كيف شاء ، فيجعل بقدرته النافع ضاراً ، والضار نافعاً ، وينجي بأسباب الهلاك ، ويهلك بأسباب النجاة ، ويعز بأسباب

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ، ومسلم برقم (٥٩٣) .

الذلة، ويذل بأسباب العزة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١] .
 فسبحان الملك الحق الذي يدبر ملكه العظيم في العالم العلوي والسفلي، ويتصرف في
 الملك والملكوت بما شاء على مقتضى حكمته ورحمته، وكل يوم هو في شأن:

يُمَلِّكُ مُلْكًا .. ويعز ذليلاً .. ويذل عزيزاً .. ويذهب بدولة .. ويأتي بأخرى .. ويداول الأيام بين
 الناس .. ويفعل ما يشاء .. ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

يرفع أقواماً .. ويضع آخرين .. وينصر مظلوماً .. ويأخذ ظالماً .. ويجيب داعياً .. ويعطي
 سائلاً .. ويفرج كرباً .. ويكشف غماً .. ويغفر ذنباً .. ويجبر كسيراً .. ويشفي مريضاً .. ويغني
 فقيراً .. ويفقر غنياً .. ويؤمّن خائفاً .. ويخيف آمناً .. ويقيل العثرات .. ويستر العورات ..
 ويقضي الحاجات: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢١﴾﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وملكوت الله ﷻ حسن ملكته لما يملك بحسن التدبير، وجميل الإحسان، وحسن الخلق،
 وبديع الإتقان، وعجيب الحفظ، وإتقان الصنع: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ
 لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ
 كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ قَدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان / ١-٢] .

وبمعرفة حقيقة الملكوت يحصل للعبد علم اليقين.

وبمعرفة حقيقة الملك تحصل له المشاهدة، وهي عين اليقين التي تثمر للمرسلين والمؤمنين
 حق اليقين، وكمال التعظيم، وكمال الحب، وكمال الذل للرب ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَّى
 عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم / ٥٨] .

والخلق في معرفة الملك والملكوت متفاضلون ؛ لأنهم في النظر متفاوتون، وفيما قسم الله
 لهم من أنوار الهداية مختلفون: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ الْأُولَىٰ
 الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يُنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
 وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد / ١٩-٢٢] .

والعقل كالبصر يدرك ما أقدره الله عليه، ويقف عاجزاً عما طواه الله عنه، ولولا إمداد الله له ما
 قام لشيء، فالعالم أوسع منه، والمُلك أكبر منه، والملكوت أعظم منه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحُ قُلُوبَ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء/ ٨٥].

وإنما عَظُمَ قدر العقل بالإيمان الذي به صار الإنسان حياً ، فانضافت إليه صفات لم توجد فيه من قبل ، فعقل الغيب ، وقويت فيه القوة الباصرة والسامعة والعاقلة ، واهتدى بإيمانه إلى ربه ، وحق له النصر ممن آمن به وصدقته ، واستنار له طريق العلم والعمل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة/ ٢].

فهو ينظر في الملك والملكوت بالنور ، ويسمع بالنور ، ويتكلم بالنور ، ويمشي بالنور : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعلى قدر كمال العقل ، وقوة نور الإيمان ، وحسن العمل ، تكون رفعة العبد وعلو منزلته عند ربه ، والله يختص برحمته من يشاء : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة/ ٢٢].

واعلم رحمك الله أن كل داخل في الملك والملكوت بنظره وفكره وإيمانه لا يرى منه إلا ما أذن الله له في رؤيته ، ولا يصف منه إلا ما أذن الله له في وصفه ، ولا يعلم منه إلا ما أذن الله له في علمه : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

والناس درجات في العلم والعمل والصفات ، والكل مُدبر ، ولا يستطيع أحد تقدماً ولا تأخراً إلا بإذن الملك المقدم والمؤخر ، العليم بكل شيء : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتِقَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِنَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ [الأنعام/ ١١١].

فسبحان الملك العظيم القادر الحكيم الذي يسوق المقادير التي قَدَّرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، ويحبسها في مواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ [الأعلى/ ١-٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

أحصى الملك الحق كل ذرة في ملكه، وكل كلمة، وكل حركة، وكل فعل، وكل نفس.
 أحصى كل شيء في كتابه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمَرْنَا
 إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي
 الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر / ٤٩ - ٥٣] .

الله ﷻ هو الملك الحق، وكل ماسواه عبد لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله.
 والملك الحق هو الله وحده لا شريك له لأمر:

الأول: أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وصفات الجلال والجمال من
 كمال القوة والقدرة، وكمال العزة والعظمة، وكمال الكبرياء، وكمال العلم المحيط، وكمال
 الحكمة في الأمور، ونفوذ المشيئة والإرادة، وكمال الرحمة والإحسان، والحكم العام في
 الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣].

الثاني: أن جميع الخلق في العالم العلوي والسفلي مماليكه وعبيده، وكلهم فقراء إليه،
 وكلهم مضطرون إليه في جميع أمورهم وأحوالهم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾
 [مريم / ٩٣ - ٩٥].

الثالث: أن الله وحده هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر، يقضي في ملكه بما يشاء،
 ويحكم فيه بما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.
 وله الحكم في ملكه العظيم تقديراً، وشرعاً، وجزاءً.

فجميع الأحكام القدريّة تجري على مقتضى قضائه وقدره من خلق وأمر، وإعداد وإمداد، وإحياء
 وإماتة، وتصريف وتديير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
 تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

وله ﷻ جميع الأحكام الشرعية على خلقه، حيث أنزل كتبه، وأرسل رسله، وشرع شرائعه، وأمر
 خلقه بلزوم دينه وشرعه، وحذرهم من تركه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل / ٣٦].

وله ﷻ جميع الأحكام الجزائية على أعمال العباد خيرا وشرها في الدنيا والآخرة ، فيثب بفضل المطيعين له ، ويعاقب بعدله العاصين له : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦- ٨] .

وبعد الحساب يكون الجزاء على الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤] .

وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته ورحمته، وكلها من معاني ملكه وأثار رحمته فله الحمد : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

واعلم أن هذا الملك العظيم، والرب الكريم، والإله الرحيم، هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له فلا تعبد إلا إياه ، ولا تتعلق بأحد سواه : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥] .

وكل المخلوقات كبرها وصغيرها، عاليها وسافلها، ممالك لله ، لا تملك مثقال ذرة من الخلق والأمر، وهي لم تكن شيئاً حتى تفعل شيئاً ، فلا يجوز لأحد أن يصرف لها من العبادة مثقال ذرة : ﴿ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوتَ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل/ ١٧-٢١] .

فما أجهل من يتعلق بالعبيد المخلوقين العاجزين ، ويدعوهم من دون الله ، وهم لا يملكون شيئاً ، ولا يسمعون شيئاً ، ولو سمعوا ما استجابوا : ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر/ ١٣-١٤] .

واعلم هداك الله لما يرضيه أن ربك هو الملك المالك لكل شيء ، وعظمته وكبريائه لا يقوم لها شيء ، وملكه وملكوته أعظم من كل شيء .

خلق ﷻ الأرضين السبع وجعلها محيطة بمن فيها، فلا يستطيع أحد الخروج منها .

وخلق سبحانه السموات السبع وجعلها محيطة بالأرضين السبع ، وخلق فيهما وبينهما فوقهما من الخلائق التي تسبح بحمده ، وتدل على عظمته ، وتشهد بتوحيده ، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا هو: ﴿الْمُرْتَدُّ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْلُونَ﴾ [النور/ ٤١].

وخلق سبحانه الكرسي وجعله محيطاً بالسموات والأرض ، والسموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، سبحانه ما أعظمه : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وخلق الله ﷻ العرش العظيم وجعله محيطاً بالكرسي ، والكرسي وما أحاط به بالنسبة للعرش الكريم كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، فسبحان الله ما أعظم ملكه وسلطانه .

خلق الله العرش العظيم بقدرته ، وأمسكه بقوته ، واستوى عليه برحمته ، وجعله محيطاً بجميع مخلوقاته ، والله العلي العظيم كبير مستو عليه ، محيط به ، وهو الغني عنه ، لا يحتاج إليه سبحانه ليحملة ، بل العرش وما دونه محتاج إلى ربه الذي خلقه وأمسكه :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

فسبحان الملك العزيز الجبار الذي خلق السموات السبع ، والأرضين السبع ، وأمسكها بقدرته وقوته ، فليس لها علائق من فوقها ، ولا دعائم من تحتها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

وسبحان الرب العلي الكبير الذي خلق العرش العظيم ، ورفع فوق مخلوقاته ، فهو سقف العالم كله ، وأمسكه بقدرته ، واستوى عليه برحمته: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۗ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ۗ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/ ٥-٨].

والله ﷻ مستو على عرشه العظيم ، يرى كل ذرة في ملكه العظيم ، ويسمع كل شيء في كونه الكبير ، ويعلم كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١].

ربنا ملك عظيم ، قوي عزيز ، خلاق عليم ، غني كريم ، غفور رحيم ، قادر قاهر .

يدبر الأمر.. ويخلق ويرزق .. ويعز ويذل .. ويحكم ما يريد .. ويفعل ما يشاء .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويرحم من يشاء .. ويعذب من يشاء .. ويحكم بالعدل .. ويحسن إلى خلقه.. ويتودد إليهم بنعمه.. ويحب من دعاه .. ويعطي من سأله .. ويغفر لمن استغفره :

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (١٩) ﴿[الرحمن / ٢٩] .

فسبحان الملك الحكيم القدوس السلام الذي خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن، وأظهر لنا من السموات واحدة وأخفى ستاً ، وأظهر من الأرضين واحدة وأخفى ستاً، حتى يترك القرآن موضع بيان للرسول ﷺ، ويترك القرآن والسنة موضعاً للنظر والتفكير من البشر، الذي يصلون منه إلى العلم بالرب وآياته ومخلوقاته ، فإذا عرفوه أحبوه ثم عبده وحده لا شريك له : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) ﴿[الطلاق / ١٢] .

وأزل سبحانه من الوحي المحكم والمتشابه، وأخبر بالغيب والشهادة ؛ ليدل به على كمال علمه ، ويظهر به مقدار جهل الخلق، وقصور علم البشر، ويتليهم بما تجهله نفوسهم، ولا تدركه عقولهم، ولا تراه أبصارهم، وليدل به على أنه سبحانه وحده له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ (٧) ﴿[السجدة/ ٦- ٧] .

واعلم أن ما لا يدركه الإنسان بنور البصر ، ولا يحصّله بنظر العقل ، يدركه بنور الوحي والإيمان ، ومن استهدى فسيهدى ويعطى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) ﴿[العنكبوت/ ٦٩] .

ولهذا أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع ، ليضيف للعباد علوماً تسعدهم في دنياهم وأخراهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤) ﴿[آل عمران / ١٦٤] .

ثم اعلم رحمك الله أن الآخرة لما كانت أكبر من الدنيا ، والدنيا قطعة من الآخرة غير أنها صغيرة من كبير ، وقليل من كثير ، وفانية من باقية ، نقل منها إلى هذه ما يُذكر بتلك ، ثم وسمها بما يُزهد الإنسان فيها فقال : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسِيحُ فَرَنَّهُ مِصْفَرًا ثُمَّ يُحُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

شَدِيدٌ وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد/ ٢٠].

ولعظمة جنة النعيم وسعتها وحسنها وأبديتها مدحها الله، ورغب فيها عباده، وجعل أسباب الوصول إليها أسهل، وطرق تحصيلها أيسر، رحمة من ربك الملك الكريم الرحمن فقال سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧١-٧٢].

ولشدة عذاب جهنم وضيقها وظلمتها وأبديتها ذمها الله، وحذر منها، وحرم علينا الأعمال التي تكون سبباً في دخولها رحمة بنا، وتوعد من عصاه بدخولها فقال: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

فسبحان الملك الحق الذي يملك كل مخلوق، الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، العزيز الذي قهر بعزته الجبابرة، القادر الذي لا يعجزه شيء، القوي الذي له القوة كلها، الخالق الذي خلق كل شيء، الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد.

وسبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة، والمجد والجلال.

سبحان الله ما أكبر ملكه.. وما أكثر ممالكه.. وما أعظم سلطانه.. وما أوسع رحمته.. وما أحسن أسمائه وصفاته.. وما أجمل كرمه وإحسانه.. وما أشد بطشه وانتقامه.. وما أجدره من عبيده بأحسن التحيات، وما أولاه بأزكى الصلوات والطيبات من الأقوال والأعمال: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس/ ٣-٤].

واعلم نور الله بصرك وبصيرتك أن الخالق سبحانه قد جمع في ظاهر المخلوقات وباطنها معاني عالم الغيب والشهادة، ليستدل العاقل بالمخلوق على الخالق، وبالصغير على الكبير، وبالعاجز على القادر، وبالفقير على الغني، وبالفاني على الباقي، وبالمملوك على الملك: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ

لَلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٣].

ومتى تعذر عليك هذا العلم، وأفضل دونك باب النظر، وحُجب عنك باب الفكر، فاعلم أنك تعيش مع الصور دون المصور، وترى النعم دون المنعم، وتتعلق بالمخلوق دون الخالق، وهذا أعظم الحرمان، وأكبر الخسران؛ لأنك عرفت العبيد، ولم تصل إلى الملك الذي يملك كل العبيد: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩]. فاعد النظر والتدبر، وأكثر من التوبة والاستغفار، لعلك تهدي فترقى ثم تُعطى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَبْصَرَةٍ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

واعلم رحمتنا الله وإياك أن ربنا هو الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. هو سبحانه الرب الذي لا أول له ولا آخر، هو أول الأولين، وآخر الآخرين.

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء وكل ما سواه له أول وآخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

فسبحان الملك الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، الملك العظيم الذي يدبر ملكه، ويُحسن إلى جميع عباده على مدى الدهور والأزمان.

هو الملك الرحمن الرحيم الذي أرسل الأنبياء والرسل إلى كل أمة، وبعثهم إلى عباده برسالاته، وأنزل كتبه بشرائعه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/ ٣٦].

واعلم أن الله ﷻ عرّف جميع مخلوفاته في العالم العلوي والعالم السفلي وكل ذرة في ملكه في الأزل بعظمته وكبريائه، فأقرت بتوحيده، وأذعنت لعظمته، وسبّحت بحمده، ورهبت من خشيته: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان من استجابت جميع المخلوقات لإرادته، وأذعنت لطاعته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥].

يا حسرة على العباد، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه من جهلهم بربهم، وعصيانهم له،

وتعلقهم بغيره : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَلَتَحَدَّثْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد/١٦].

ولما كان من كمال حكمة الملك العلام خَلَقَ الأضداد ، خَلَقَ المَجبور والمختار وهو الإنسان، ليعلم من يأتي إليه ويؤمن به وهو قادر ألا يؤمن ممن يكفر به، ويفر منه . ولهذا رمى سبحانه الروح بالنفس .. ورمى العقل بالهوى .

وقابل العلم بالجهل .. والإيمان بالكفر .. والصدق بالكذب .. والحق بالباطل .. والذكر بالنسيان .. والأوامر بالشهوات .. والهداية بالضلالة .. والدنيا بالآخرة .

فقابل ابتلاءً وامتحاناً كل صفة محمودة بضدها مذمومة فَضَلَّ عن الحق من شاء الله أن يضل ، واهتدى إليه من شاء الله أن يهتدي ، وأعرض عن ذكره من شاء الله أن يعرض : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة/٢٦].

فكل أحد يختار ويعمل على شاكلته حسب فطرته الأولى حين أقرَّ لربه العظيم بالربوبية والوحدانية: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف/١٧٢].

ولكن الرب البر الرؤوف الرحيم عطف على الإنسان بعظيم فضله ، وعَدَّره بكريم رحمته ، فأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب بالحق من عنده، وسَنَّ له السنن، وشرع له الشرائع ، وبيَّن له الحق من الباطل، وبصَّره بآياته الكونية، وآياته الشرعية : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران/١٣٨].

فوجد المؤمن مرتقى سهلاً فارتقى ، وتاب إلى ربه وأتاب ، وعاد إلى فطرته الأولى ، وهده ربه الكريم إلى صراطه المستقيم : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام/١٦١-١٦٣].

فإن عثر بزلة تبعده عن ربه أقفال الكريم عشرته بالتوبة، وقيل معذرتة وغفر له زلته : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/٣٩].

أما الكافر فَضَلَّ وأعرض عن هدى ربه وكذَّب رسله ، ولم ينتفع ببصره ولا بصيرته، واتبع هواه وشهوات نفسه ، فحسر وضل وأضل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَخِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴿[الكهف/ ١٠٣-١٠٥].

فما أعظم رحمة الله بعباده ، حيث قرن شهادة التوحيد التي أخذها عليهم في بدء الخلق، بشهادة الرسالة المتجددة على مدى القرون، حتى ختمها ببعثة سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف / ١٧٢].

وختم الرسالات برسالة سيد الخلق ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة / ٣٣].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق كما يرسل الرياح مبشرات بالماء والغيث، ومنذرات بالصواعق والعذاب ، كذلك يرسل الرسل إلى عباده مبشرين بالثواب لمن أطاعه ، ومنذرين بالعقاب لمن عصاه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة / ٢١٣].

والرسول الذي يحمل الرسالة بما فيها من العلم والهدى بمنزلة السحب التي تحمل الماء والغيث للخلق: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى / ٢٨].

والماء الذي ينزله الله من السماء يغسل الأرض ويطهرها وينبت فيها من كل زوج بهيج ، وكذلك الوحي الذي ينزله الله إلى عباده يغسل الذنوب ويطهر النفوس من السيئات ، وينبت في النفوس التوحيد والإيمان ، والأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة.

والملك الحق يمتن على عباده بهذا وهذا ؛ لكمال رحمته ، وإحسانه إلى عباده .

فقال سبحانه في الماء: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج / ٥].

وقال في الوحي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة / ٢].

ومثل بقاع الأرض مثل المكلفين من الإنس والجن، ومثل أوديتها مثل القلوب تحمل على قدرها ، وتسيل بما فيها على قدر سعتها ، وتحمل مع الماء الغشاء والزبد كما تحمل القلوب مع العلم الشبهات والوساوس: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ [الرعد / ١٧].

ومثل نبات الأرض من الماء من ثمر وشوك، وحلو ومر، مثل أعمال القلوب من العلم الوارد عليها، فالطيب يخرج الأعمال الطيبة، والخبيث يخرج الأعمال الخبيثة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم / ٢٤-٢٦].

فسبحان من جعل آية إنزال الماء إلى الأرض آية على إرسال الرسل إلى أهل الأرض، وجعل اختلاف البقاع بالنبات بعد نزول الماء دليلاً على اختلاف أعمال المكلفين بعد نزول الوحي، حيث ظهر منهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي.

فإذا عاش من عاش في الدنيا، واهتدى من اهتدى، وضل من ضل، ثم مات الجميع، أعاد الله الكون بكامله مرة أخرى؛ إظهاراً لكمال قدرته: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء / ١٠٤].

ثم يميز الملك الحق الخبيث من الطيب فيجعل الطيب كله في الجنة، ويجعل الخبيث كله في النار: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَالَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة / ١٨-٢٠].

واعلم أن الله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

هو الملك الكريم الرحيم القادر على كل شيء، الذي يقبض لبيسط، ويمنع ليعطي، ويتلى ليعطي، ويذل ليعز: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم / ٢٧].

هو سبحانه الملك الذي ابتدع خلق هذا الكون العظيم على غير مثال سابق.

فسبحان الملك القادر الذي ابتدأ العباد بالفيض والإمداد والإبداء، وأظهر جميع الخلائق من العدم إلى الوجود: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾﴾

[البقرة / ١١٧].

هو سبحانه الملك القوي القادر الذي يعيد الخلق بعد الحياة الى الموت ، ثم يعيدهم بعد الموت الى الحياة الأبدية : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت/ ٢٠].

هو الملك القادر الذي لا يعجزه شيء ، بدأ الخلق كله ، ثم يفنيه كله ، ثم يعيده كله : ﴿ اللَّهُ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم/ ١١].

فله الحمد لربنا الملك الكريم الذي خلق الخلق ، وقسم الأرزاق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، رحمة وهداية لعباده على مدى القرون ، ثم ختم الأنبياء والرسل بسيدهم وأفضلهم محمد ﷺ ، وختم الأمم بأمته ﷺ : ﴿ وَآتَاكُمْ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

ولله الحمد على عظيم إحسانه لآدم ﷺ وذريته ، فقد هيا السكن قبل أن ينزل فيه الساكن ؛ إكراماً له ، وعناية بمن خلقه بيده : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وقد خلق الله جميع المخلوقات بأمره النافذ ، وخلق آدم ﷺ بيده ، وكفله في أول أمره ، وأسكنه الجنة ، وكفاه السعي على نفسه فيها بقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [١١٨] وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [١١٩] [طه/ ١١٨-١١٩].

وعلم سبحانه آدم ﷺ الأسماء كلها ؛ لأنه بمنزلة الطفل المكفول الذي ينبغي أن يُعَلَّمَ الأسماء أول شيء ، ثم يُدرَج بعد في التربية والمعرفة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٣١] قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة/ ٣١-٣٢].

ولكي يتدرب آدم ﷺ على طاعة مَنْ خَلَقَهُ ، ويحذر معصيته ، أباح الله له الأكل من جميع أشجار الجنة إلا شجرة واحدة ؛ ليدوق مرارة المعصية ، وحذره من عدوه إبليس ، وعلمه كيف يتوب إذا عصى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣٥] [البقرة/ ٣٥].

ثم أكل من الشجرة ، ثم تاب من معصيته ، ثم تاب الله عليه : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [١٣١] ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [١٣٢] [طه/ ١٣١-١٣٢].

وقد ربي الله آدم ﷺ في الجنة ؛ لأنه سيجعله خليفة في الأرض هو وذريته : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة / ٣٠].

ثم أخرج الملك الحق آدم ﷺ وزوجه من الجنة كما يخرج الولد من كفالة أبيه، ويؤكل إلى سعيه بعد بلوغ رشده، ومعرفة ما ينفعه وما يضره: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف / ٢٤-٢٥].
وسهل له ربه أسباب التعلم، ويسر له مسالك المعيشة في الأرض، ولطف به كما يُلطف بالمكفول الذي درج ليقوم على نفسه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف / ١٠].

ثم لم يزل التكليف يشتد على سنن التدرج على أمة بعد أمة حتى انتهى إلى بني إسرائيل.
ثم جاء الله بخاتم الأنبياء محمد ﷺ فصرفه عن تلك الشدة إلى الحنيفة السمحة التي في زمان إبراهيم ﷺ، فكان ذلك بمنزلة المكلف حال الشيخوخة رَفَّه الله عنه وخفف عليه بعد الشدة والتثقل لضعفه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَحْبَبْنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [النحل / ١٢٠-١٢٣].
وبنو إسرائيل تفرقوا واختلفوا ولم يؤدوا الأمانة فاستبدلهم الله بهذه الأمة.

فاستقرت الرسالات كلها، واجتمعت المحاسن كلها، وصارت ديناً كاملاً جاء به خاتم الأنبياء ﷺ من ربه لجميع البشرية إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف / ١٥٨].
فهذا ورب السماء والأرض هو الدين الحق الذي لا يقبل الله بعد نزوله سواه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران / ٨٥].

• التبع لله ﷻ باسمه الملك :

اعلم أسعدك الله في الدارين أنك عبد الملك العزيز الجبار، ومملوك ملك الملوك، مالك العالم العلوي كله، ومالك العالم السفلي كله، ومالك الدنيا والآخرة، لا إله لك غيره، ولا رب لك سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وربك هو الملك الحق القوي الذي لا يعجزه شيء ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي يعطي كل شيء ، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، الحفيظ الرقيب الذي لا يفوته شيء ، السميع البصير العليم الذي لا يخفى عليه شيء .

وأنت أكرم الخلق عليه، خلقتك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء ، وأعطاك من صفاته، وفضلك على كثير من خلقه، ودعاك إلى عبادته وحده، لتفوز برضوانه وجنته : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وأنت عبده، وليس لك عمل إلا امتثال أوامره، وتكميل محبوباته، إن أطعمك فاشكره، وإذا أمرك فأطعه ، وإن ابتلاك فاصبر لحكمه، وإن أذنبت فاستغفره .

فالزم طاعته ، وتقرب إليه بما شرع ، واعبده بما يحبه ويرضاه تفوز برضاه : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وإذا علمت أن ربك هو الملك وحده لا شريك له لزمك أمران :

الأول : الإيمان بقضاء الله وقدره ، فلو قضى عليك مرضاً أو فقراً أو بلاء فلا تعترض ، لأنك ملكه يتصرف فيك كما يشاء كما يتصرف في الشمس والقمر والسحب والرياح وغيرها .

الثاني : الرضا بشرعه وقبوله والقيام به ، لأنك ملكه وعبده ، فإذا أمرك فأطعه ، وإذا نهاك فأطعه . ومقتضى العبودية التامة أن تخضع لشرعه كما أنك خاضع لقضائه وقدره : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحديد/ ١].

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْنَوتُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٩].

واعلم أن ربك هو الملك الغني عن كل ما سواه ، وأنت الفقير إليه ، الذي يربح عليه : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

هو الملك الحق الذي بيده الملك ، القادر على كل شيء ، الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فجدِّ رحمك الله في طلب مرضاة ربك الملك العزيز الوهاب ، وتعرّف على أسمائه وصفاته ، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِذْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة/ ٦٢].

وتفرغ لعبادة ربك الكريم والخلوة به والوقوف بين يديه خاشعاً ذليلاً مسبحاً بحمده ، خاصة في الثلث الأخير من الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ليقرّب من عباده المؤمنين ؛ إكراماً لهم ، ومحبةً لهم ، ورحمةً بهم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الملك صلى الله عليه وسلم ملكك جوارحك وأوقاتك فاتق الله فيهما بالمواظبة على عبادة ربك العظيم ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والزم بيئته الإيمان ، وأحسِن إلى الناس ، وازهد فيما في أيديهم يحبك الله والناس : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف/٢٨].

واقنت لربك العظيم ، ولا يصرفك عن وجهتك أقوال الغافلين ، وإشارات المستهزئين ، وكلام السفهاء ، فإن الأعمى لا يدرك فضل الضوء ، والأصم لا يعرف قدر الصوت : ﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَآئِقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّسِيئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ ﴿٢٢﴾ [الرعد/١٩-٢٢].

واعلم أن النفس تستثقل هذه المعالي ، وتستصعب الأعمال الصالحة ؛ لأنها مؤلعة بحب الشهوات ، تريدك عبداً لها لا عبداً لربك ، وهي مجبولة على ذلك ؛ لأنها حيوانية تشتهي . فإذا لَزَّها العقل .. وأحاط بها الإيمان .. وساقها الخوف .. وقادها الرجاء .. وأسرها الحزم .. سارعت إلى ربها .. وانقادت لطاعته .. واطمأنت بأوامره .. وصدقت بوعده ووعيده : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن رَّكَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/٧-١٠].

وكلما وجدت الباب مغلقاً دونك في أي عمل صالح ، ورأيت السبيل إليه حزناً ، فاعلم أن ذلك من آثار ذنوب لم تحسن التوبة منها ، وذكّر لم يُصحب بفكر ، وأسر من عدوك لم تحس به ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨).

وغفلة حبستك عن الذاكرين : ﴿ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

فاسأل ربك الكريم وتضرع إليه ، وتب إليه من جميع الذنوب التي حبستك عنه ، ودع كل فعل لا يرضاه عنك : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ [المائدة / ٣٩].

وتبرأ إلى ربك من حولك وقوتك وعلمك، وقل بلسانك وقلبك : لا حول ولا قوة إلا بالله : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ [البقرة / ٣٢].

واعلم تَوَرَّ الله قلبك بالإيمان والتقوى أن الذي أغلق الباب دونك عنده مفاتحه فألق دلوك في الدلاء، ومد يديك إليه بالدعاء، تنال حظك من العطاء : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦].

وإياك والعجز والكسل والركون إلى الدعة والراحة ، واحذر العُجب والكبر والرياء ، فذلك سبب كل خيبة وحرمان، ومركب كل شقاء وخسران : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر / ٦٠].

وأقبل رحمك الله على طاعة مولاك بقلبك ولسانك وجوارحك، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، تكن من الربانيين المفلحين : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ فِيهَا أَخْرَارًا لِّلْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٦].

واحمد الله الذي هداك للإسلام، وحبب إليك عبادته، وخصك بمزيد إحسانه وفضله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس / ٥٨].

واحذر أيها العبد معصية ربك فهو الملك العزيز الجبار، وأنت عبده الذليل الضعيف، وإياك أن تستعمل ما أنعم به عليك في معصيته، واعلم بأنه يراك ويسمعك في خلوتك وجلوتك

فاعبده كأنك تراه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ نَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴿الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠﴾.

والزم باب الملك الكريم، وتعرض لتخفه وعطاياه، وتيقن أنه أقرب إليك من نفسك، وما دعاك لسؤاله إلا ليعطيك من نواله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَابًا مِّنَ السَّمَاءِ يَسْفُوفُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿الذاريات/ ١٥-١٩﴾.

وتيقن أيها العبد أنه من المحال أن تتوكل على ربك، وتعمل بطاعته، ثم يُسلمك ويخذلك، بل سيفضي بك من ذلك إلى معرفته والقرب منه وحسن عبادته.

ثم يفضي بك من ذلك إلى حياض واسعة، ثم إلى أنهار جارية، ثم إلى بحار عذبة صافية من معرفته، ومعرفة أسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿محمد/ ١٩﴾.

واعلم أن الملك من الناس هو الذي يحكم ولا يملك، والملك هو الذي يملك ولا يحكم، والله سبحانه ملك ومالك، فهو مالك يملك كل شيء، ومملك يملك التصرف في كل شيء، وإليه مصير كل شيء: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ ﴿الملك/ ١﴾.

واعلم أن كل شيء فيك أو لك أو عندك هو ملك لله في يدك، سمح الله لك أن تتصرف فيه في حياتك ثم يعود إليه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ﴿مریم/ ٤٠﴾.

فسبحان الملك الحق الذي استغنى بذاته عن كل موجود، واحتاج إليه كل موجود. واعلم أن كل مخلوق مفتقر إلى ربه في خلقه وبقائه، وفي تديره وإمداده، وفي حركته وسكونه: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ ﴿آل عمران/ ٢٦﴾.

واعلم أن الملك الحقيقي من البشر هو الذي يملك هواه ولا يملكه هواه، ويملك نفسه ولا تملكه نفسه، ويستعمل ما آتاه الله في طاعة مولاه لا في معصيته: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ ﴿يوسف/ ١٠١﴾.

واعلم أنك إذا ملكت نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك واستعملت ذلك في طاعة الله

فأنت ملك ، وإذا قادتك نفسك وهواك وشهواتك وجوارحك إلى معصية الله فأنت مملوك لمملوك ، وشتان بين الملك والمملوك ، ولن ينفع الإنسان مُلك العالم كله إذا لم يملك نفسه ، وكل إنسان إما أن يكون عبداً لله أو عبداً لعبد الله : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنْ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء / ٢١٣] .

واعلم أن الملك الذي يهبه الله لعباده نوعان :

مُلك يوتيهِ الله من يشاء من عباده ، وهذا مُلك زائل .

ومُلك حقيقي ، وهو أن يملك الإنسان نفسه عن الهوى والمعاصي بعون الله ، ويحملها على الإيمان والطاعات بفضل الله .

والمؤمن من أعظم ملوك الدنيا والآخرة ، فمن كان مؤمناً مستقيماً مالكا لهواه وشهواته فقد وعده الله في الدنيا بالخلافة في الأرض : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور / ٥٥] .

وأما في الآخرة فهو ملك من ملوك الدار الآخرة في مُلك كبير في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ^ط وَطَلُوعًا ^ط أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِبَاهِمَ شَرَابًا طَهُورًا ^ط [١١] إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ^ط [٢٢] [الإنسان / ٢٠ - ٢٢] .

فسبحان الملك الذي يدور بحكمه الفلك ، وسبحان الملك الحق الذي يُملك من يشاء من عباده مُلك الدنيا ، أو مُلك الآخرة ، أو مُلك الدنيا والآخرة : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .

واعلم رحمك الله أنك كلما شربت من هذه الأنهار العذبة الصافية ازدادت إيماناً و يقيناً ، وكلما ازدادت شرباً طهر عقلك وقلبك ولسانك وجوارحك من كل دنس ، وامتلأ قلبك بالإيمان والتقوى ، وتجملت جوارحك بالطاعات ، وتزينت روحك بأحسن الأخلاق :

﴿ أَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ^ط [١١] الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ^ط [٢٠] وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ^ط [١١]

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ [الرعد / ١٩-٢٢].

وإذا علمت ذلك أعانك الله على العمل به ، والدعوة إليه ، وسررت به وحققت أمر الله فيك بطاعته في جميع الأوقات والأحوال : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

وبهذا تنال محبة الله ورضوانه، فيأخذك منك إليه، ويشغلك بأحسن الأعمال لديه: ﴿ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

واعلم رحمك الله أنك إن كنت تعلم أنك عبد مملوك لملك عظيم قادر سميع بصير رحيم
كريم ، ثم تبارزه بالمعاصي ، فاعلم أنك عبد سوء يأكل من نعم سيده ، ويسكن في ملكه ،
ويعصي أمره ، ويطيع عدوه ، ومن عميت بصائرهم لم تنفعهم أبصارهم : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج / ٤٦].

فسلم الأمر كله لله، ولا تعترض على شيء من أقداره وأحكامه، فهو الحكيم العليم بكل
شيء ، واعلم بأن الإيمان الكامل، والتسليم الكامل، يولد اليقين الكامل، وتلك حقيقة
التوحيد الكامل، فسلم تسلم وتسعد: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء / ٦٥].
فالزم رحمك الله ذلك إن استطعت، واطلبه بدوام الاتصال بمن يملكه ويهبه: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١١﴾ [الحديد / ٢١].

واعلم أن كمال الإيمان واليقين يحصل للعبد بدوام الذكر والتذكر، وموالاته الفكر والتفكير،
ولزوم النظر والاعتبار في الملك والملكوت ، وذلك طريق الإيمان ، وقوام التوحيد: ﴿ قُلْ
أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].
واعلم رحمك الله أن من تفكر ولم يتطهر فهو مبعث ممقوت ، ومن تطهر ثم فكر أدرك ما
يحب بعون الله بقدر ما بذل من جهده: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى / ١٤-١٧].

واعلم أيها الإنسان أن الله خلقك في هذه الدنيا مختاراً، فإما أن تعيش عبداً لمولائك، وإما

أن تعيش عبداً لهواك، وأنت مملوك لربك من جميع الجهات.

فإن عشت في الدنيا عبداً لمولائك الملك القدوس جعلك يوم القيامة في ملك عظيم عند ربك العظيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾

[القمر/ ٥٤-٥٥].

وإن عشت عبداً لهواك خسرت دنياك وأخراك: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات/ ٣٤-٤١].

فزَمَّ نفسك أيها العبد على سهر الليل مع مولائك الكريم في حنادس الظلمات تجد الأنوار الغائبات، ولذة الأُنس بمناجاة مولائك، واصدق ترى العجب: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامَنُوا بِهِ ءَ أَوْلَا تُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذِقَانِ يَسْجُودُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٥-١٠٩].

واعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وذلك دأب الأنبياء والصالحين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ آلِيلٍ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات/ ١٧-١٨].

واعلم أنك لن تجد طعم مناجاة مولائك إلا بعد معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة إنعامه، ولن يصرفك عن خدمة جسدك إلا علمك بسرعة فوائده، ولن يمنعك عن التشمير للدنيا إلا بعد العلم بسرعة زوالها، ولن تستحلي الصبر في ذات الله إلا بعد معرفتك بربك العظيم وما يجب له، وما سيكرمك به: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ءَ زُجُجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه/ ١٣٠-١٣٢].

واعلم وفقك الله لحسن العمل أن الملك ﷻ ملكك جوارحك، لتستعملها في طاعته فأد الأمانة، ولا تستعملها في معصيته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة/ ٣٥].

ورَزَقَكَ الرزاق من رزقه لتستعين به على طاعته وعبادته فكل واشكر وأحسن الى الخلق:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢]

[البقرة/ ١٧٢].

واعمل رحمك الله لملكك دائم لا يفنى، في جوار ملك كريم رحيم.
واعلم رحمك الله أن الملك الحق ﷻ يتصرف في ملكه بالعدل والإحسان في كل عطاء وحرمان، ونصر وخذلان، وفي كل رفع وخفض.

فإذا ولّاك الملك الحق ولاية فارفع من يستحق الرفع، واخفض من يستحق الخفض، وأكرم من يستحق الإكرام، وأهن من يستحق الإهانة، واقهر من يستحق القهر، واجبر من يحتاج إلى الجبر، وقم بإغاثة المكروب، ونصر المظلوم، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، وإعانة المحتاج: ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء/ ٥٨].

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وكان من أهل البر والإحسان، ونال من ربه المغفرة والجنة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أيها الإنسان أن الخلاق العليم خلقك من تراب، ثم من ماء مهين، وأنت عورة، خرجت من عورة، ودخلت في عورة، ثم خرجت من عورة، وبعد الحياة سوف تموت، وبعد الموت سوف تبعث وتحاسب، فاذا كانت البداية والنهاية، لتعرف من أنت، ومن تعبد، وما ينتظرك بعد الموت: ﴿ إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [٢٦] [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

واشكر الملك الكريم الذي بدأك بالإحسان إليك حياً، وأمدك بنعمه الظاهرة والباطنة، وهداك للإسلام، ثم يعيدك إليه ليكرمك يوم القيامة بما لا تحسن أن تصفه جزاء إيمانك به وعبادتك له: ﴿ إِنْ السَّاعَةَ ءَأْتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ﴾ [١٥] فَلَا يُصَدِّدَنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [١٦] [طه/ ١٥-١٦].

واعلم أن كل آت قريب، وكل حي سيموت، وأن من جمع الجواهر الثمينة ملك بها السلع النفيسة، وأن من دخل باب العبودية في الدنيا فتحت له أبواب القصور الملكية في الآخرة: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضِرُ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [٢١] إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [٢٢] [الإنسان/ ٢٠-٢٢].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم^(١).

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ.

أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ
حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ،
وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »
متفق عليه^(٢).

اللهم يا مالك الملك أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنينا التي فيها
معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل
الموت راحة لنا من كل شر ، يا أرحم الراحمين .
اللهم يا من له الملك كله ، ويده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، نسألك رضاك والجنة ،
ونعوذ بك من سخطك والنار ، لا إله إلا أنت .

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، ومسلم برقم (٧٦٩)، واللفظ له.

العظيم

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى / ٣ - ٤] .

الله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له، العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

هو الرب العظيم الذي خلق الخلائق كلها، وأنعم بالنعم كلها، ودبر الأوامر كلها: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤] .

هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، العظيم في ملكه وسلطانه، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

وهو سبحانه العظيم الذي تفرد بالعظمة والجلال والكبرياء، وتوحد بالعزة والجبروت، والملك والملكوت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وهو سبحانه الإله العظيم الحق الذي يعظمه خلقه ويحبونه، ويرجونه ويخافونه، الرب الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة له، لكمال أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾ [يونس / ٣] .

وهو سبحانه العلي العظيم المستحق لنعوت الجلال والجمال والتعالي، الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، القاهر لكل شيء، القريب من كل شيء، الحافظ لكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ بِنَزْلِ الْأَمْرِ يَبِينَنَ لِنَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢] .

له وحده الكمال المطلق من كل وجه، وله الملك المطلق من كل وجه، وله الغنى

المطلق من كل وجه ، وله الإحسان المطلق من كل وجه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥-٨] .

وهو سبحانه العظيم الذي له الشرف والسؤدد ، والمجد والكبرياء ، العظيم الذي له العزة والغنى ، والعلو والقهر ، والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٣ - ٢٤] .

فالعظيم اسمه ، والتعظيم حال المعظم له ، يعظمه عبده حين يشاهد معاني علاه وكبرياءه وعظمته ، فيجل قلبه ربه إكباراً له ، وتعظيماً له ، وهيبة له ، ويتعلق به وحده دون سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى / ١٠-١٢] .

هو العظيم الذي خلق عظام المخلوقات ، وصورها كيف شاء ، ودبرها بأمره ، وأمسكها بقدرته ، وحركها بمشيئته ، وحكمها بقهره: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ [الملك / ١] .

خلق العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، والشمس والقمر ، والسموات السبع ، والأرضين السبع ، وما فيهن وما بينهن وما عليهن من الملائكة الكرام ، والإنس والجان ، والجماد والنبات ، والطير والحيوان ، والنجوم والرياح ، والجبال والبحار: ﴿إِنِّي رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي ﴿٥٤﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

خلق العظيم سبحانه الكائنات بقدرته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وأمسك السماء بقوته ، دون علائق من فوقها ، ولا دعائم من تحتها ، وإنما أمسكها بكمال قوته ، وعظيم قدرته ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١] .

فسبحان الرب العظيم الملك العزيز الجبار ، الكامل في الشرف والسؤدد مع سعة الملك ، وسعة

العلم ، المتوحد بالجلال والجمال ، الذي يستحق التعظيم كله ، والتكبير كله ، والتحميد كله وحده لا شريك له: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

واعلم أن العظيم ﷻ أودع ما شاء من مخلوقاته ضروب التغير، ودلائل الحدث، وسمات النقص، بما جعل فيها من انقيادها لخالقها ، وإذعانها لفاطرها ، وخضوعها لعظمتها، شاهدة على نفسها أمام ربها بالفقر والضعف، والعجز والحدوث: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وشاهدة لربها بالتوحيد والغنى ، والعظمة والكبرياء ، والملك والملكوت: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ [الحج/ ٦٢].

ثم تأمل وفقك الله كيف وسم ربك العظيم تلك المخلوقات العظيمة بالنقص، وافتقار بعضها لبعض من جماد ونبات وحيوان وإنسان .

فأحوج الأسفل منها إلى الأعلى كما أحوج الأعلى إلى الأسفل، وسخر بعضها لبعض ، والروح من أمره يتخللها، وبأمره تجري مصالحها، ثم أفقر الكل إليه سبحانه: ﴿ وَهُوَ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ، قَانُونَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْحَقَّ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

كلُّ يعبد ربه العظيم باسمه ووصفه، منقاد لأمره، مسرع لإرادته، مسبح بحمده ، شاهد بتوحيده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدَعِلْمَ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

فسبحان الرب العظيم الذي أظهر عظمته لعباده في عظيم ملكه ، وعظيم قدرته، وعظيم إرادته ، وعظيم كلامه ، وعظيم علمه ، وعظيم سلطانه ، وعظيم جبروته ، وعظيم خلقه ، وكل ذلك موجود من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٤﴾ [الطلاق/ ١٢].

فما أعظم ما ترى من عظمة ربك وسلطانه وعظيم مخلوقاته ، وما أصغره في جنب ما لم تره

ولا تعلمه : ﴿ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿١١٤﴾ [طه/ ١١٤] .

واعلم أن الله هو العظيم وحده لا شريك له ، العليم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧] .

سبحانه عظيم في قدرته لا يعجزه شيء ، عظيم في قهره لا يقف له شيء ، عظيم في علمه لا يعزب عنه شيء ، عظيم في سلطانه ، جبار في أفعاله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠] .

هو العظيم الذي خلق كل شيء ، العظيم الذي بيده كل شيء ، العظيم الذي بيده الملك والملكوت ، وبيده الأجساد والنفوس ، العظيم الذي بسط سلطانه على جميع مخلوقاته ، وله الكبرياء في السموات والأرض : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧] .

هو العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، العظيم الذي أمره نافذ في ملكه وملكوته على جميع مخلوقاته وعبيده ، في أي مكان وفي أي زمان : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣﴾ [يونس/ ٣] .

أما سلطان الله على الإنسان فكله بيد الله ، وجميع أجهزته وأعضائه بيد الله ، وجميع حواسه بيد الله ، عقله بيد الله ، وقلبه بيد الله ، وسمعه وبصره بيد الله ، وأعصابه وعروقه بيد الله ، وأعضائه وجوارحه بيد الله ، ومعدته وكبدته بيد الله ، فظاهر الإنسان وباطنه كله تحت لطف الله ورحمته ، فليطع ربه الذي خلقه وصوره ، وأكرمه وأطعمه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨] .

فسبحان العظيم الذي خلق كل شيء ، وتكفل برزقه وحفظه ، العظيم الذي تعجز العقول عن إدراك كنه عظمته ، وتعجز الأبصار عن رؤيته : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣] .

هو العظيم الذي لا أعظم منه ، العظيم الذي لا نهاية لعظمته ، فمهما عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله فهو أعظم وأكبر : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد/ ٣] .

هو العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية ، وليس لعظمته أول ولا آخر : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج / ٧٤].

هو العظيم الذي لا تهتدي العقول لوصف جلاله وجماله وعظمته وكبريائه على ما يليق بجلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨].

فالله العظيم أعظم وأكبر من أن تدركه الأبصار ، أو تحيط به العقول ، أو تصفه الألسن : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧].

واعلم أن العبد إذا رأى عظمة ربه وكبريائه تلاشت عظمة نفسه ، وتصاغر أمام ربه العظيم ، فخشع قلبه لربه العظيم ، وتواضع لربه الكبير : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد / ١٦].

واعلم أن من تواضع للعظيم سبحانه عظمه ربه في نفوس خلقه ، ومن ذل للعزيز أعزه بين خلقه ، ورفع ذكره في العالمين : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح / ١-٤].

فأبصر شرح الله صدرك ونور قلبي وقلبك عظمة ربك بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، فسترى العظيم الذي لا أعظم منه ، وستعرف الكبير من الصغير ، وتعلم الملك من العبيد ، وترى الغني من الفقير : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٥].

واعلم أن أعظم من افتقر إلى ربه العظيم وتذلل له وخشع له ، هو سيد الخلق محمد ﷺ ، ولهذا أعزه الله ، وأعلى مقامه ، ورفع ذكره حياً وميتاً ، وأمرنا بالافتداء به فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب / ٢١].

واعلم أن كل من كفر أو أشرك أو استكبر أو عصى فهو لم يؤمن بالله العظيم ، وإنما معه إيمان الفطرة ، ولو آمن بالله العظيم لذلت نفسه لله العظيم ، وخشع قلبه لربه العظيم ، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر / ٢٨].

واعلم أن من عرف ربه العظيم آمن بالله العظيم ، وأحب ربه العظيم ، واتبع كتابه العظيم ،

ونال ثوابه العظيم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة / ٧٢].

• التبعّد لله ﷻ باسمه العظيم :

اعلم وفقك الله لحسن معرفته أن أولى العبادات وأرفعها قدراً وأنفعها ثمرة هو الإيمان الذي يحصل بالنظر والتفكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي عظمة ملكوت السموات والأرض، وتدبر الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَى الْأَيْتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

فإذا صح النظر أصاب القصد، فأدرك القلب عظمة الرب العزيز الجبار برؤية مخلوقاته العجيبة، وآياته العظيمة، وكلماته الحكيمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد / ٢-٣].

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وما أعظم قدرته، جعل قلب الإنسان وبصره يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق / ١-٥].

وهذا من أحص الشواهد على عظيم قدرته، وعظيم كرمه وإحسانه، حيث هيا لعباده سبل معرفته، ويسر لهم طرق الوصول إليه، ليروا عظمة ربهم في خلق العالم العلوي والسفلي، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الصغير والكبير، وخلق الذرة والجبل، وخلق القطرة والبحر: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٣) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وإذا عرف العبد ذلك عظم قدر ربه عنده فعظمه وكبره وحمده وسبّحه ووحدّه، وآمن به، وآمن بكتبه ورسله، وعمل بشرعه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (١٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (١٦)﴾ [الواقعة / ٩٥-٩٦].

فعظم ربك العظيم ﷻ، وعظم قدره، وعظم أسمائه وصفاته، وعظم أمره، وعظم اطلاعه عليك، فإنه ينظر إليك أبداً حتى كأنه ما خلق أحداً سواك، فاحذر غضبه وسخطه، وأرضه ولا تسخطه

بقول أو فعل فإن أخذه أليم شديد : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِيَا لِمَرْصَادٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر/ ٦-١٤].

فسبحان العظيم القادر على كل قادر ، القاهر لكل قاهر ، القاصم لكل ظالم .
وإذا عرفت العظيم فعظمه ، عظم ملائكته ، وعظم كتبه ، وعظم رسله ، وعظم دينه ،
وعظم مناسكه ، وعظم شعائره ، وعظم أوليائه ، وعظم حدوده ، وعظم حرماته تكن من
المتقين : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/ ٣٢].

وهذا التعظيم كله يأتي في القلب إذا عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه .
فعلينا لتحصيل ذلك أن نكثر من مجالس الذكر التي تنزل فيها السكينة على القلوب ، فيزيد الإيمان ،
ثم تزيد الطاعات وتنقص المعاصي ، ثم يحصل الفوز والنصر : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانَهُمْ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح/ ٤].

وإذا زاد الإيمان بالله العظيم زاد الإيمان بكتابة العظيم ، وزاد العمل بدينه العظيم ، وزاد
حب الله ورسوله الكريم ، ثم اطمأنت القلوب بذكر الله العظيم : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وإذا اطمأنت القلوب بالله العظيم عملت بشرعه الحكيم ، ونالت ثوابه العظيم في
الدنيا والآخرة : ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي
جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر/ ٢٧-٣٠].

فالزم باب العبودية لربك العظيم ، والزم الوقار والسكينة والحياء بين يديه ، واضرع إليه بخضوع
وخشوع ، واسأله أن يرحمك ويعافيك ، ويعصمك مما يكرهه ويعدك عنه : ﴿ أَقِرَّ الصَّلَاةَ
لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٨-٧٩].

وانكسر بين يدي ربك العظيم ، واسجد بين يديه متذلاً معتذراً مستغفراً عساه أن ينظر
لضعفك ، ويرحم فاقتك ، ويجبر كسرك ، ويغفر ذنبك ، ويصلح جميع أمورك ، ويهديك لما
يرضيه ويرضيك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ
مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء/ ٦٦-٦٨].

واعلم أن المخلوقات كلها ، والعبادات كلها ، والأوامر كلها ، سرها وروحها تعظيم الرب

الملك العزيز الجبار بأسمائه وصفاته، وعبادته بموجب أسمائه وصفاته، وتوحيده بأسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢/الطلاق].

فاعرف ربك العظيم بأسمائه وصفاته ، والزم طاعته ، واحذر معصيته ، وأجل ما أحل الله ، واجتنب ما حرم الله تفوز برضاه : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [٦٩/النساء-٧٠].

واعلم أن العظيم ﷻ شرع لك آداباً تتأدب بها عند مناجاته، فأمرك بالوضوء للصلاة ، والغسل من الجنابة ؛ إجلالاً لمناجاته ، والوقوف بين يديه ، وإجلالاً لكلامه وكتابه أن تتلوه على غير طهارة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٦/المائدة].

وذلك عزمٌ منه عليك أن تطهر ظاهره بالماء، وتطهر باطنك من الشرك والمعاصي بالتوبة النصوح: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢/البقرة]. ولا تقف بين يدي العظيم وأنت مشغول بسواه ، بل تجرد لعبادته وحده ، وفرغ قلبك لذكره ، واقطع العلائق عما سواه ، وأقبل عليه ولا تلتفت إلى الشواغل التي تلهيك عنه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥/الزمر-٦٦].

وراقب ربك العظيم في السر والعلانية، واشتغل بما يحبه ويرضاه قبل أن تلقاه. واعلم أن نظر الرقيب سبحانه إليك سابق إلى نظرك للمحرمات، بل سابق إلى همك بالطاعة أو المعصية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [٢٣٥/البقرة].

واحرص أن يكون عمك كله خالصاً لوجه ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى ، لِمَا يستحقه من عبادة وحب وتعظيم لذاته وجلاله وجماله ، راجياً

لثوابه ، خائفاً من عقابه ، لا لثواب ترجيه فقط ، ولا لعقاب تتقيه فقط ، فتكون حينئذ كالمتمطوع بعبادتك : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ [الأنبياء / ٩٠] .

فربك كريم وخزائن كل شيء بيده ، وهو المستحق للعبادة لذاته ، وثوابه من جميل إحسانه ، وهذه درجة الأنبياء والصديقين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة / ٥] .

وإلى هذه الدرجة انتهت عبادة العابدين : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم / ٤٢] .

ولمَّا لم يكن لكل المؤمنين تناول هذه الدرجة فصلها لهم على درجات رافة ورحمة بهم . فعبد قوم ربهم العظيم لأجل مخافته .. وعبده آخرون لأجل رجائه .. وعبده آخرون لأجل جلاله .. وعبده آخرون لأجل جماله وإحسانه .. وعبده آخرون لذاته .. لأنه الإله الحق الذي يستحق من خلقه جميع أنواع العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

وأكمل هؤلاء من عبد ربه بجميع هذه العبوديات التي تملأ القلب نوراً وسروراً : ﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن كَثُرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠] .

وكلُّ من هؤلاء يذوق من طعم الإيمان والعبادة مذاقاً لا تحسن أن تتوهمه ، فكيف لك أن تصفه ، فسل ربك أن يذيقك حلاوته ، ويوصلك إلى حقيقته : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال / ٢-٤] .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً » أخرجه مسلم ^(١) . وإياك أن تعظم نفسك أو تجلِّها ، أو تطلب لها ذلك عند الله وعند الناس .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

فأنت العبد الفقير للملك الغني، فلا تطلب العلو بقولك وفعلك وهيتك فتسقط من عين الله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان/ ١٨] .
واعلم أن من تعظيم الله ﷻ معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومحبته، والذل له، وعبادته،
والتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ومن تعظيمه ﷻ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ويحبب ويكبر .
ومن تعظيمه ﷻ أن يخضع العبد لأوامره وشرعه وحكمه، ولا يعترض على شيء من خلقه وأمره،
وشرعه وقدره: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيهِ
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء/ ٦٥] .

ومن تعظيمه ﷻ تعظيم ما عظمه العظيم من الأماكن، والأزمان، والأقوال والأعمال، والأخلاق
والأشخاص: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج/ ٣٢] .
فسبحان الرب العظيم الذي كتبه أعظم الكتب، وكلامه أعظم الكلام، العظيم الذي لا
تفنى كلماته ولا تنفذ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ
أَجْحَرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان/ ٢٧] .

وسبحان العظيم القادر على كل شيء من صغير وكبير، القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا
في السماء: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان/ ٢٨] .
وإذا علمت أن الله هو العظيم وحده لا شريك له فاعبده وحده لا شريك له، وعظم كتابه
ورسوله ودينه وأمره وشعائره والمؤمنين به تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿ ٣١ ﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿ ٣٢ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وادع إلى ربك العظيم، وانشر سنن رسوله الكريم، ولتكن حياتك في مرضاة ربك
عبادة ودعوة لعلك ترضى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿ ٣٤ ﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿ ٣٥ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥] .
وكن عظيمًا في إيمانك، عظيمًا في أقوالك، عظيمًا في أعمالك الصالحة، عظيمًا في خلقك،

وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم ، واجتنب ما يكرهه من اللغو والفواحش من الأقوال والأعمال
تنال ثوابه العظيم : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

واحذر الكفر والشرك والمعاصي، فإن العظيم يعاقب بالعظيم على الذنب العظيم: ﴿مَن
كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل/ ١٠٦].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [١٨١] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ [١٨٢] [الصفات / ١٨٠ - ١٨٢].

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَوَاتِ ، وَرَبُّ الْأَرْضِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » متفق عليه (١).

« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم (٢).

« سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي (٣).

اللهم يا عظيم الأسماء والصفات ، يا رفيع الدرجات ، يا عالم الخفيات ، يا عظيم
الإحسان ، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا واسع الرحمة، لا إله إلا أنت، نسألك الفوز
بالجنة، والنجاة من النار .

يا واسع المغفرة ، يا سريع الرضى ، يا عظيم الصفح ، اعف عنا واغفر لنا وارحمنا برحمتك
يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

(٣) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

الكبير .. المتكبر

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٩-٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣].

الله ﷻ هو الكبير المتعال الذي كل شيء دونه، الكبير الذي لا أكبر منه، الأكبر الذي كل ما سواه أصغر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

وهو سبحانه العلي الكبير ، ذو العظمة والجلال والكبرياء ، الكبير وحده لا شريك له ، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ، الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الكبير الذي ليس كمثلها شيء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فسبحان الرب الكبير الأكبر المتكبر ذو العظمة والكبرياء ، والجلال والجبروت ، الذي لا تُعرف معاني أسمائه وصفاته إلا ببصائر القلوب ، وأما أبصار الرؤوس فإنما تقع على الأماكن والمخلوقات التي تدل على جلاله وجماله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الكبير وحده لا شريك له ، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة ، وله صفات الجلال والجمال ، ويده ملكوت كل شيء ، الذي له الخلق والأمر ، الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته ، وخاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هو الكبير وحده لا شريك له ، هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ، هو الكبير في ملكه وسلطانه ، هو الكبير وحده وكل ما سواه صغير: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ [لقمان/ ٣٠].

هو سبحانه الكبير الذي كبر عن مشابهة المخلوقات ، فهو أكبر من أن يشبه خلقه ، وأكبر من أن يشبهه أحد من خلقه : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الأكبر وحده لا شريك له ، أكبر من جميع مخلوقاته ، أكبر من كل شيء ، أكبر مما عرفت ، أكبر مما تخيلت ، أكبر مما تظن ، أكبر مما تصور .

فمهما تصورت أو تخيلت ذاته أو صفاته فهو أكبر مما تظن أو تتصور ، وكل ما خطر ببالك من جلال الله وجماله وكبريائه فالله أكبر من ذلك : ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

هو سبحانه الكبير ذو الكبرياء ، والكبرياء كمال الذات والأسماء والصفات ، وكمال الذات هو كمال وجود الرب الحي القيوم الذي لم يسبقه عدم ، ولا يلحقه زوال : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله من أعظم الواجبات : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

هو الكبير الذي ليس لكبريائه نهاية ، العظيم الذي ليس لعظمته نهاية ، الكريم الذي ليس لكرمه نهاية ، الحي الذي ليس لحياته نهاية ، العليم الذي ليس لعلمه نهاية .

هو الملك الكبير العظيم الذي لا يزول سلطانه ، العزيز الجبار الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد ، المتكبر الذي ليس لملكه زوال ، الملك الذي بيده الملك والإحسان والرحمة والغفران ، الكبير الذي له الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

هو الكبير المتكبر الذي تكبر عن ظلم الخلق ، المتكبر الذي انفرد بالكبرياء والملك والملكوت والعظمة والجبروت : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فسبحان الكبير المتكبر المتعالي عن صفات الخلق ، الذي تكبر عن كل نقص ، وترفع عن كل عيب ، وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

واعلم أن الكبرياء لله أكمل من العظمة ؛ لأنه يتضمنها ، ويزيد عليها في المعنى ، فالكبرياء رداؤه ﷻ ، والعظمة والعزة إزاره ، والرداء أكبر من الإزار .

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : « العِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتَهُ » أخرجه مسلم (١) .

والله ﷻ هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض ، وله الحمد والمجد والثناء من جميع الوجوه ، له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الملك كله .

فله الحمد والشكر ، وله العز والمجد فاذكره وكبره كبيرا : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء / ١١١] .

فسبحان الرب الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، ذلكم الله ربكم : ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد / ٩] .

ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض ومن كبريائه أن نواصي جميع الخلق بيده : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦٢] ، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

ومن كبريائه وعظمته أن العبادات الصادرة من أهل السموات والأرض المقصود منها تكبيره وتعظيمه ، وإجلاله وتقديسه ، وتحميده وتسيححه ، ولهذا كان شعار العبادات الكبار (الله أكبر) كالأذان والإقامة والصلاة والحج وغيرها : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١١٠] ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ [الإسراء / ١١٠ - ١١١] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الكبير :

اعلم وفقك الله لمعرفة وحسن عبادته أن كبرياء الله وعظمته وجلاله لا تحيط بها العقول ، ولا تتصورها الأفهام ، ولا تدرکها الأبصار والأفكار ، فالله أكبر وأعظم من ذلك كله : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج / ٧٤] .

واعلم أن معرفة الله ﷻ بحر لا نهاية له ، ومعرفة الإنسان عن ربه بل البشرية كلها لا تساوي بلل مخيط غمس في البحر : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا إله إلا هو ، لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه ، ولا نهاية لجلاله وجماله ، ولا نهاية لمملكه وسلطانه ، فإذ تكبر فلائنه يعلم أن له وحده الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له ، وأنه العظيم وحده ، وأنه الخالق وحده : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن المتكبر صفة كمال الله ﷻ ، والمتكبر صفة نقص للإنسان ، فسبحان العزيز الجبار المتكبر ، ورحم الله امرأً عرف نفسه فوقف عند حده : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

والله ﷻ هو الكبير وحده لا شريك له ، والنفس البشرية مجبولة على حب الكريم ، ومفطورة على تعظيم الكبير ، ومفطورة على التعلق بالعظيم الذي كمل في جلاله وجماله ، وليس ذلك لأحد إلا لله العلي الكبير : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يجالس العلماء ، ويصاحب الحكماء ، ويخالط الكبراء في دينهم وعلمهم وأخلاقهم وتقواهم ليستفيد منهم : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

والعاقل يكثر من صحبة من هو أكبر منه ، ليستفيد من علمه تارة ، ومن أدبه تارة ، ومن حكمته تارة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

واعلم أن الكبير من الناس من عرف ربه الكبير حق المعرفة ، وعرف أحكامه الشرعيه ، وعبد ربه واتقاه بموجب تلك المعرفة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَسْجَانِي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فالكبير من الناس من كان كاملاً في نفسه بالإيمان والتقوى مكتملاً لغيره بالإيمان والتقوى ،

عالم في نفسه معلم لغيره ، فمن سرى علمه وخلقته وإحسانه إلى الناس فهو الكبير من الخلق ، الرابع من البشر : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ ۝٢ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٣ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٤ ﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن حمد الله نفسه، وإجلاله نفسه، وإكباره نفسه، وإعزازه نفسه، وإعلاءه نفسه، وتقديسه نفسه ، كل ذلك منه ﷻ حق وصدق وعدل لا ريب فيه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ ۝٣ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٤ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٥ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٦ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٥].

وصف نفسه ﷻ بما هو عليه من الجلال والجمال، وبما هو أهله من التوحيد والعبادة : ﴿ أَغْفِرَ اللهُ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝١١٤ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١١٥ ﴾ [الأنعام/ ١١٤-١١٥].

هو العلي الكبير الذي ملك فرحم، وحكم فعدل ، وقدر فقهر، وسئل فأعطى، وخلق فسوى ورزق الخلائق ، وفرج الكرب ، وأغاث من استغاث : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٣ هُوَ اللهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

قال ﷻ الحق وفعله ، وتفضل به على عباده وحده ، وصدق وعده . وما استعبد به خلقه من ذلك فهو من إحسانه إليهم ، ومثته عليهم ، ونعمة أنعم بها عليهم ، فيجب عليهم شكرها ، والقيام بحقها : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فحقت عليهم بذلك حسن عبادته بالقلوب والجوارح وحده ، تعظيمًا لشأنه ، وشكرًا له على إحسانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وحق عليهم إشغال قلوبهم بحبه وتعظيمه وتكبيره، وتفريغها من كل ما سواه، وملئها بما

يحبه ويرضاه، وإشغال ألسنتهم وجوارحهم بذكره وتكبيره، وحمده وشكره وعبادته: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ تَجْتَا فِي جَنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة/ ١٥-١٧].

وذلك أوجب لهم القرب منه لقربهم من صفاته، وطلبهم في ذلك سبل مرضاته في الاتصاف بصفاته: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (٥٤) ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴾ (٥٥) [القمر/ ٥٤-٥٥].

وأما خدمة الجوارح واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحة فقد أوجب لهم بذلك الجنة، والنجاة من النار، لإجهااد أنفسهم فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) [التوبة/ ٧٢].

فالتعبد حقاً باسم الله الكبير يكون بالتصاغر لكبريائه، والانكسار بين يديه، والمسارعة إلى طاعته، وعدم الاستكبار عن أوامره، والحياء من معصيته، هذا في الباطن: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٢) [الملك/ ١٢].

وأما التعبد به في الظاهر فيكون بتكبيره وتعظيمه، وتوحيده وحمده وتسييحه، وسجود الأعضاء له، وتمريغ الوجوه في التراب ذلاً بين يديه، وذرف الدموع حياءً وصغاراً وخشوعاً بين يديه، ومجانبة كل مكروه إليه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقَعُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧٧) [الحج/ ٧٧].

واعلم أن صفة الكبرياء لله من أعظم الصفات، ولهذا كان الكبرياء رداءه ﷻ، فكان استشعار صغر قدر النفس، وضعفها في التعبد أمام ربها، وافتقارها وذلتها بين يدي ربها الكبير أثر شيء في العبادة، وأكثره غناءً، وأعظم قربة إلى الكبير سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ لَهُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ لِجِئُونَ ﴾ (٦٠) ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴾ (٦١) [المؤمنون/ ٥٧-٦١].

ولهذا كان ثوابه يوم القيامة إكبار قدر العبد، وإكبار منزله، وإكبار نعيمه، وقربه من ربه الكبير الذي كبره وعظمه في الدنيا، في مُلْكٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ ﷻ: ﴿ وَإِذْ رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (٢٠) ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمُومٌ رَّبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١) ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ (٢٢) [الإنسان/ ٢٠-٢٢].

وكان عقابه ﷺ لمن كفر به المقت ، والإعراض عنه ، وإهانته ، وتصغير قدره : ﴿ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰكِرُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون/١٠٨-١١١].

فصغر ﷺ أجسام المستكبرين عن عبادته ، يطوهم الناس بأقدامهم في المحشر إهانة لهم ، وكبر أجسامهم في النار ، لينالوا من العذاب أكبره وأشدّه : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١١٤) [الأنعام / ١٢٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، يا أرحم الراحمين .

وإذا عرفت أن ربك هو الكبير المتكبر لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فعليك أن تطيعه وتعبده ، وتعرض عن كل ما سواه ، وتلزم نفسك التصاغر والتذلل للعزيز الجبار المتكبر : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (١٥) [مریم/ ٦٥] .

واعلم أن من أطاع المخلوق ، وعصى الخالق ، فما قال الله أكبر بقلبه مرة ، ولو قالها ألف مرة ، ومن ترك الصلاة واتبع الشهوات فما قال الله أكبر حقيقة ، ومن أرضى المخلوق ، وأسخط الخالق ، فما عرف قدر الكبير الأكبر : ﴿ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٦٢) [الحج/ ٦٢] .

وإياك أن تخالف أمره ، وتستكبر عن عبادته ، فتشقى في الدنيا والآخرة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) [غافر/ ٦٠] .

وما قدر الله حق قدره من كفر به ، أو أشرك معه غيره ، أو صرف العبادة لغيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا ، وترك الخضوع والذل للرب العلي الكبير الخلاق العليم : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٧) وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ [النحل/ ١٧-٢٢] .

فاخضع لربك الكبير المتعال بتذلل وصغار وانكسار، تكن من المصطفين المكرمين الأخيار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢] [الملك/ ١٢].
 وكن كبيراً في توحيدك وإيمانك وأعمالك الصالحة، وكن كبيراً في الصدق والصبر والإحسان ومكارم الأخلاق .

وإياك والكبر فإنه أصل أخلاق الشر كلها ، فلا يظهر منك في قول ولا فعل ولا في هيئة ولا في خلق : ﴿يَبْتِغِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيكِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان/ ١٧-١٩].
 واعلم رحمك الله أن الكبر منك منه ماهو محمود، ومنه ما هو مذموم:

فالمحمود منه : التكبر على أعداء الله المعاندين ، والتكبر عن المعاصي والردائل .
 والمذموم منه: الاستكبار عن طاعة الله ورسوله، والاستكبار عن عبادة الله، والاستكبار عن طاعة من تجب طاعته، و التكبر على الناس : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [٤٠] لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

واعلم أن تصاغرك بين يدي ربك الكبير شرفك عنده، وتصاغرك لمن تجب طاعته في الله طاعة لربك، وزين لك عند الله وعند الناس وعنده : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] [السجدة / ١٥].

وتصاغرك لذي دنيا لدنياه هدم لدينك، وتصغير لقدرك عند الكبير المتعال: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢] وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [١١٣] [هود/ ١١٢-١١٣].

واعلم أن مَنْ غَمَطَ الناس ازدهام ، ومن ازدهام رد الحق على قائله، وهذا أصل العصيان كله ، وعذابه أشد العذاب كله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [٨٨] [النحل/ ٨٨].

فإياك أن ترد الحق على قائله الذي أوصله إليك، فتكون فيك الصفات التي لعن الله إبليس من أجلها كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣٤] [البقرة/ ٣٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: « إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس » أخرجه مسلم ^(١).

وإياك أن تنظر إلى أحد من خلق الله بعين الاستكبار والاستصغار، والاستهزاء والاحتقار، فذلك فسق وظلم يجب التوبة منه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/١١].

وعليك بالتواضع والإحسان، واحذر الفخر والعجب والبطر، وجانب الكبر كله وما تولد منه تسلم وتغنم وتوثر: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ؕ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ؕ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان/٢٢-٢٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/٢٣].

« اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك » أخرجه مسلم ^(٢).

« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أخرجه مسلم ^(٣).

اللهم يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجبروت والكبرياء، يا ذا العزة التي لا ترام، ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واختم بالصالحات أعمالنا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

العزیز

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١] ﴿١﴾ [الصف / ١].

الله ﷻ هو العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٧٤]. ﴿٧٤﴾

وهو سبحانه العزيز الذي لا يُغلب، العزيز الذي لا يُقهر، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة / ٢١]. ﴿٢١﴾ [المجادلة / ٢١].

وهو سبحانه العزيز المالك لكل شيء، العزيز الذي أحاط بكل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر / ٤٤]. ﴿٤٤﴾ [فاطر / ٤٤].

وهو ﷻ العزيز القهار الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، وعن العقول أن تحيط به، وعن الأبصار أن تدركه، خالق الخلق، ومدبر الأمر، ومالك الملك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣]. ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يرام ولا ينال جنبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، العزيز الذي لا مثل له ولا نظير، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى وحده لا شريك له: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤] ﴿٤﴾ [الزمر / ٤]. ﴿٤﴾ [الزمر / ٤].

وهو ﷻ العزيز الذي له العزة كلها، الفعال لما يريد، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦٥] ﴿٦٥﴾ [يونس / ٦٥]. ﴿٦٥﴾ [يونس / ٦٥].

فسبحان الملك العزيز الجبار الذي ذلت لقدرته الصعاب، ولانت لقوته الصم الصلاب، وخضعت لعظمته الرقاب: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤]. ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٣-٢٤].

هو العزيز الذي له العزة كلها وحده لا شريك له .

يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز القادر على كل شيء، كل غيب عنده شهيد، وكل بعيد عنده قريب، وكل كبير عنده صغير، وكل قوي عنده ضعيف، وكل غني عنده فقير.

وكل هارب في قبضته، وكل شارد إليه ذاهب، وكل مخلوق إليه راجع، فلا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة/ ٦].

هو العزيز وحده لا شريك له، عزّ الأبصار أن تدركه، وعز العقول أن تتصوره، وعز الأوهام أن تكيّفه، وعز المخلوقات كلها أن تحيط به، وعز الألسن أن تحصي ثناء عليه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْوَالِدِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو القوي العزيز الذي أرى الجبابرة عزته فذلت، وصب على الوجوه مخافته فخضعت، وقهر الخلائق على ما أراد فأطاعت، وساق بعزته الخلائق للقدوم عليه للحساب فعنت: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه/ ١١١].

هو العزيز الأحد الصمد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس لذاته كيف، ولا لأسمائه وصفاته كيف: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

هو العزيز العليم الذي لا تخفى عليه خافية، العزيز الذي لا يضل ولا ينسى، ولا يتعب ولا ينصب، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ليس لذاته شبيه، ولا لفعله تكليف، لا راد لفضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

فسبحان الملك العزيز الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء خلقاً وإيجاداً، وأمراً وتديراً، وإمداداً وقوتاً: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

واعلم أن الله عزيز لا يمكن الوصول إليه، لكن من آمن به وعبده وأطاعه وصل إليه، واتصل به اتصال عبودية، ومن اتصل بالعزيز صار عزيزاً، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز.

فالأنبياء كلهم أعزة؛ لأن جميع الناس بحاجة إليهم وإلى علمهم، فإن العزيز ﷻ جعلهم

أبواب رحمته ، وأبواب فضله ، وأبواب إحسانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون/ ٨].

وكلما اشتدت الحاجة إلى أحد فهو عزيز.

فالمملك عزيز لأن الناس بحاجة إليه في أمور الدين والدنيا.

والعالم عزيز لأن الناس بحاجة إلى علمه.

والمؤمن عزيز بين الكفار ، لكنه متواضع لربه ولخلقه : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٥٤].

واعلم أنك كلما قطعت طمعك من الناس أعزك الله ، وكلما مرغت وجهك في السجود

للعزيز أعزك الله ، وكلما طمعت فيما عند الله أحبك وأعزك ، وكلما طمعت فيما عند الناس

أذلوك وكرهوك : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٧].

ومن يتول الله ورسوله، والذين ءامنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿٥٦﴾ [المائدة/ ٥٥-٥٦].

هو العزيز الذي كلما أطمعته رفعك ، وكلما خالفت أمره وضعك.

هو العزيز الذي خزائن العزة كلها عنده ، ومن أراد العزة بغيره فهو ذليل : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ

فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَكْرُؤٌ كَلِيمٌ ﴾ [فاطر/ ١٠].

فسبحان الملك العزيز الذي أنزل كتابه العزيز ، وأعز به رسوله وعباده المؤمنين : ﴿ وَإِنَّهُ

لَكَنُذُرٌ عَزِيزٌ ﴾ [الأنعام/ ٤١] لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

هو سبحانه العزيز الذي له جميع معاني العزة من جميع الوجوه.

عزة القوة .. وعزة القهر .. وعزة الامتناع .. وعزة العلو .

فله عزة القوة التي لا تنسب على الكمال لأحد سواه : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج/ ٧٤].

وله عزة القهر والغلبة، فجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي مقهورة للعزيز الجبار ،

خاضعة لعظمته، متقادة لأمره ، مستجيبة لمشيئته ، مسرعة إلى إرادته : ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ

الْوَّاحِدُ الْفَهَّارُ ﴾ [الزمر/ ٤].

وله عزة الامتناع، فهو العلي على خلقه، وكل ما سواه دونه، وهو الغني بذاته، فلا يحتاج

إلى أحد، وهو القادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس/٦٨].

سبحانه هو العزيز الذي له العزة جميعاً، وله الخلق والأمر كله ، وييده مقاليد السموات والأرض : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِ الْأَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

فمن أراد العزة في الدنيا والآخرة فليؤمن بالعزيز الرحيم، ويطلب العزة من رب العزة ، متوسلاً إليه بالعمل بما يحبه ويرضاه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُهُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر/١٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه العزيز :

اعلم وفقك الله لطاعته أن ربك هو العزيز القهار، ومظاهر عزته في الكون بادية لا تغيب، ظاهرة لا تخفى على أحد.

وجميع المخلوقات شاهدة بعظمة الله ، شاهدة بقدرته ، شاهدة برحمته ، شاهدة بعزته ، شاهدة بتوحيده ، شاهدة بإحسانه : ﴿ذٰلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾﴾ [السجدة/٦].

فما امتنع من جميع المخلوقات ممتنع، ولا انتصر منتصر، ولا غلب غالب، ولا شاد مشاد، إلا بمقتضى اسمه العزيز ﷻ : ﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/٦٦].

واعلم أن العزيز الحق سبحانه وعد عباده المؤمنين الجنة ، وحرّم على عباده العلو والكبر والتكبر في الأرض ، ومن عز بنفسه عن عبادة ربه حرمة الجنة ، وأدخله النار : ﴿تِلْكَ الْأَدْرُ

الْآخِرَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التقصص/٨٣]. وهو سبحانه وحده ذو العزة والعظمة ، والجبروت والكبرياء: «العزُّ إزارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ

رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ» أخرجه مسلم^(١).

ومن رحمة العزيز سبحانه أن أحسن إلى عباده ، بأن أعلمهم مم خلقهم، وفيما أنشأهم ؛ ليعرّفهم بقدرهم، ويوقفهم عند حظهم: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِنَا وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

بَيْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [الأَنْفَالُ/ ٤٢].

فبَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ: ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٣].

فثَلَا يَتَكَبَّرُ الْإِنْسَانُ أَعْلَمَهُ رَبُّهُ أَنْ أَصْلَهُ مِنْ تَرَابٍ ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مَدَاسًا لِلْأَقْدَامِ ، وَمَوْطَأًا لِلنِّعَالِ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ لَا حَرَكَ بِهِ ، تَقَدَّرَهُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، وَتُغْسَلُ مِنْهُ الْأَبْدَانُ وَالشِّبَابُ ، وَيَسْتَحْيِي الْإِنْسَانُ مِنْ ذِكْرِهِ وَالتَّحَدُّثِ بِهِ : ﴿٣٩﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [المعارج/ ٣٩].

فهِذَا ابْنُ آدَمَ كَانَ مَعْدُومًا ثُمَّ خَلَقَهُ رَبُّهُ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ يَخْرُجُ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ وَيَتَجَبَّرُ وَهَذِهِ قِصَّةُ خَلْقِهِ: ﴿٧٧﴾ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس/ ٧٧-٧٩].

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا أَلْزَمَهُ الْعَزِيزُ ذُلَّ الْفَقْرِ إِلَيْهِ ، فَلَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ ، وَلَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَسْكُنُ ، مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، بَلْ بِمَعُونَةِ رَبِّهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ : ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

فكَيْفَ يُعْرَضُ عَنْ رَبِّهِ الْكَرِيمِ ، وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ مَزْمُومٌ بِزِمَامِ الْقَدْرِ ، مَمْلُوكٌ لِلرَّبِّ الَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارِهِ: ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

وَكَيْفَ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَقَدْ أَلْزَمَهُ ذُلَّ الْفَقْرِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَذُلَّ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ ، وَذُلَّ إِخْرَاجِهِ مِنْهُ ، فَهُوَ يَتَقَدَّرُ إِذَا نَظَرَ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، وَيَشِيخُ بِوَجْهِهِ عَنْهُ نِزَاهَةٌ مِنْهُ ، وَكَفَى بِذَلِكَ ذُلًّا .

وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْمَخَاطَ عَلَى فَمِ الْإِنْسَانِ فِي وَسْطِ وَجْهِهِ ، الَّذِي هُوَ أَعَزُّ الْأَعْضَاءِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ الْقَذَى فِي عَيْنَيْهِ ، وَالْوَسْخَ فِي أُذُنَيْهِ ، وَالْقَلْحَ فِي أَسْنَانِهِ ، وَالشَّعْثَ فِي رَأْسِهِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ أَعْضَائِهِ . وَجَعَلَ الْوَسْخَ فِي أَظْفَارِهِ ، وَالْعِرْقَ عَلَى جِلْدِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَقْدَارِهِ .

ثُمَّ أَذَلَّهُ الْعَزِيزُ ﷻ بِالْخَوْفِ اللَّازِمِ الَّذِي لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ إِنْسَانٌ .

وَأَذَلَّهُ الْعَزِيزُ سُبْحَانَهُ بِالْمَرَضِ وَالْمَوْتِ وَالْفَقْرِ ، فَهُوَ خَائِفٌ أَبَدًا مِنْ مَرَضٍ يَقْعُدُهُ .. أَوْ مَنِيَّةٍ تَعَاجِلُهُ .. أَوْ بَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِهِ .. أَوْ فَتْنَةٍ تَضِلُّهُ .. أَوْ مَحْبُوبًا يَفْقَدُهُ .. أَوْ مَكْرُوهًا يَعِضُّهُ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعِيُوبِ وَالنَّقَائِصِ وَمِظَاهِرِ الذُّلَّةِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ لِعِرْفِهِ قَدْرَهُ ، وَيَقْرُ بِعَجْزِهِ ، وَيَذُلُّ لِرَبِّهِ ، وَيُؤْوِبُ إِلَى

رشده : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ [الإنسان / ١-٣].

وفي كل ركن ومرصد من الدنيا له عدو من الشياطين ، والآفات ، والأهواء ، وزهرة الحياة الدنيا التي لا ينجيه منها إلا الفرار منها إلى ربه العزيز الرحيم : ﴿ فَقرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

ومن حكمة العزيز الرحيم أن جعل حياة بني آدم مبنية على التعذيب والنكد ، والكبد والتعب ؛ لئلا يركن إليها الإنسان ، وينسى الآخرة دار السلام : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾ [البلد / ٤].
والراحة في الدنيا خاطر طارئ : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝١٤ ﴾ [العنكبوت / ٦٤].

فسبحان من ألبس هذا الإنسان ثياب الذلة ؛ لئلا يستكبر عن طاعة العزيز الذي أذله ، وليصرف كل ذله للملك العزيز الذي خلقه وصوره ورزقه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٢ ﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].
إذا فهمت هذا فاعلم أن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، والخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار .

والسجين له أربع صفات : عنده اليقين على رزقه ، والقناعة بما يعطى ، والسمع والطاعة ، وانتظار الفرج ، والمؤمن كذلك : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ ﴾ [الأعلى / ١٤-١٧].

وأجسام الخلق في الدنيا معدة للعمل والمجاهدة ، لا للراحة وتكميل الشهوات .
فالمؤمن لا يتقلب في كل شهواته ، ولا ينطلق في جميع محبوباته ، بل ذلك كله وأعظم منه له في الآخرة ، والكافر بضد ذلك ، يرتع في الدنيا كالحيوان في شهواته بلا حد ولا قيد ولا أمر ولا نهى ، ثم يدخل النار يوم القيامة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۝١٢ ﴾ [محمد / ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» أخرجه مسلم ^(١) .
فإن أردت أيها المؤمن العز الأكبر ، والخير الأكمل ، والمقام الأسنى ، ففر من نفسك إلى

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

ربك ، ومن هواك إلى مولاك ، ومن عدوك الشيطان إلى ربك العزيز الرحمن : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٢٢) ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢٣) ﴿ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٢٤) ﴿ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

واطلب العزة من ربك العزيز الوهاب، وتقرّب إليه بالإيمان والعمل الصالح، يعزك ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُسْوَدُّ ﴾ (١٠) ﴿ [فاطر/ ١٠].

وإياك أن تطلب العزة من سوى ربك العزيز فيذلك بها ، فإن العزة كلها لله وحده ، يعز بها من يشاء ، ويذل بها من يشاء : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨) ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩) ﴿ [النساء/ ١٣٨-١٣٩].

وتذلل لربك العزيز الذل كله ، واخضع لربك العظيم الخضوع كله ، تنال بذلك العزة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١١٢) ﴿ [الملك/ ١٢].

وتضرع إلى العزيز الرحيم في خلواتك صادقاً ، وهبْ خدك للتراب ذلاً بين يديه ساجداً ، وسله أن يرحمك ويرفع عنك ذل المقام يوم العرض عليه : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (١٨) ﴿ [الحاقة/ ١٨].

واطلب العفو منه، واستغفره من ذنوبك ؛ ليدخلك في أوليائه الصالحين، ويجعلك من حزبه المفلحين : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ [المجادلة/ ٢٢].

فهذا الحال والمقال والذل بين يدي مولاك العزيز يفضي بك إلى عز لا ذل بعده ، وشرف لا ضعة بعده ، وريح لا خسارة بعده : ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرُقِ تِلْكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١٠) ﴿ تَوْفُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَبِجَهْدِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٢) ﴿ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَسِرٌّ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) ﴿ [الصف/ ١٠-١٣].

وتذلل رحمك الله لأوليائه الله وأهل طاعته ، وأكرم كبيرهم ، وراحم صغيرهم ، وأحسن إلى فقيرهم ، واعف عن مسيئتهم ، واستر زلاتهم : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِ وَالْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وتعزز على الكفار المعاندين والمنافقين بقدر بعدهم عن الحق ، وخروجهم عن سواء القصد ، وصددهم عن الحق : ﴿بِتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحریم/ ٩].

وتذلل رحمك الله لأولياء الله ، واتصف بصفاتهم ، وتعزز على أعدائه ، وتجنب سيئاتهم ، تكن ممن يحبهم الله ويحبونه : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح/ ٢٩].

وعليك بالتواضع والعفو ، فمن تواضع لله رفعه ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً : ﴿حُذِرَ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

واعلم أن التعلق بالقوي قوة ، والتعلق بالعزیز عزة ، فتعلق بالعزیز يعزك في الدنيا والآخرة : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٧٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِنْ هَاجِرٍ وَنَجَّاتِكَ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿١٧٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِ ﴿١٧٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكُفَّارًا لَنَا ذُنُوبًا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٦].
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١).

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يعز من عاديت ، ولا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الجبار

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك العزيز الجبار الذي قهر جميع الخلائق على ما أراد، وحكمها بقوته، وبسط سلطانه على جميع ملكه: ﴿الْمَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة/ ١٧].

وهو سبحانه الجبار القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، القوي النافذ أمره في ملكه، الذي أذل جميع الأقوياء بجبروته، وقهر جميع الجبابرة بقوته: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

وهو سبحانه الجبار العالي فوق جميع المخلوقات، الجبار الذي خضع كل مخلوق لعظمته وجلاله، وكبريائه وجبروته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهو ﷻ الجبار الذي أجبر الخلائق على ما أراد، وحكم بجبروته وسلطانه كل من في ملكه، فلا يكون في ملكه إلا ما يشاؤه ويريده، فما شاء الجبار كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿مَنْ دَابَّ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

وهو سبحانه الجبار الكريم الرحيم الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويلطف بالمدنيين، ويفرح بتوبة التائبين، الجابر للضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه من خلقه: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بغيره قد أضلَّهُ بأرضِ فلاة» متفق عليه^(١).

وهو الجبار الذي جبر مفاقر الخلق، وقسم أرزاقهم، وكفاهم أسباب الرزق والمعاش في الدنيا والآخرة: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنْ قَسِمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف/ ٣٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة والمجد والكبرياء، الجبار القوي الذي لا يجري عليه حكم حاكم ، ولا يتوجه إليه أمر أمر ؛ لأنه الملك الجبار الذي له الخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو الجبار القهار الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ، ولا يكلفه شيء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢].

هو الجبار الحق الذي أظهر جبروته على التمام والكمال بثلاث صفات :

الأولى : جبروت العزة والقهر ، فهو الجبار القاهر لكل شيء ، الذي خضع له كل شيء ، ودان له كل شيء : ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤].

الثانية : جبروت العلو ، فهو الجبار العلي على كل شيء ، الذي له جميع معاني العلو ، علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر : ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد / ٩].

الثالثة : جبروت الرأفة والرحمة ، فهو الجبار الرؤوف الرحيم ، اللطيف بعباده ، الذي يجبر الكسير ، ويسر العسير ، ويغني الفقير ، ويطعم الجائع ، ويشفي المريض ، ويجبر المصاب بجذيل الثواب : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥].

فإنه ﷻ هو الجبار وحده لا شريك له ، والجبروت لله العلي الكبير وحده لا شريك له : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٣].

ومن تجبر وتكبر من الخلق بآء بالخيبة ، وسخط الجبار ، ودخول النار : ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صٰدِدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم / ١٥-١٧].

نعوذ بالله من سخط الجبار ، ومن عذاب النار ، ومن خزي الذل والهوان .

واعلم هداك الله إلى صراطه المستقيم أن الخلق والأمر كله لله الواحد القهار ، والتدبير والتصريف كله للقوي الجبار ، وتقدير المقادير كلها جبراً وإجباراً وقهراً بمشيئة العزيز الجبار :

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَاصِرٍ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، خاضعة للملك العزيز الجبار الذي قهرها بجبروته وقوته على ما أراد، في وجودها وعدمها، وفي حجمها وشكلها، وفي طولها وعرضها، وفي قوتها وضعفها، وفي حركتها وسكونها ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) له، **مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ** ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].
واعلم نور الله قلبك بالعلم النافع أن الله خص الإنس والجن من بين المخلوقات بوحيه المنزل، ودينه القيم، وشرعه المحكم، ومنحهما القدرة على الاختيار.

فمن خضع للجبار بقلبه وبدنه، وصبر على حكم الشرع، وقام بما أمره به ربه، أكرمه ربه برضوانه وجنته، لخضوعه وحسن اختياره: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) [النساء/ ١٣].
ومن عصى الجبار، واستكبر عن الحق، واتبع هواه وشهوته، أهانه الجبار، وسخط عليه، وأصلاه ناره؛ لاستكباره وسوء اختياره: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيبٌ﴾ (١٤) [النساء/ ١٤].

فهؤلاء عبيده المسيئون، وأولئك عبيده المحسنون، وكلُّ تولى ما تولى، واختار ما اختار، بلا إجبار ولا إكراه: ﴿إِنَّ هَذِهِ بَدْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْتَذِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩) **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴿٣٠﴾ **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴿٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].
وهذا محل الابتلاء، وهو طريق النجاة والفلاح: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٦١) **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴿٦٧﴾ **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ** ﴿٦٨﴾ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿٦٩﴾ [التكوير/ ٢٦-٢٩].

فسبحان الملك العزيز الجبار العالي الذي لا يُنال، الكبير الذي لا تحيط به الأبصار، العظيم الذي لا تناله الأفكار، العزيز الذي لا تصل إلى كنهه العقول: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) **لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الجبار الذي يفعل ما يشاء بمن شاء، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء، ومشيتته نافذة في كل شيء، الجبار الذي جبر وقهر المخلوقات على مشيتته وإرادته، فلا يجري في ملكه إلا ما يريد، ولا يقع في كونه إلا ما يشاء: ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [الملك/ ١].
هو الجبار الذي يُصلح الأمور في جميع الدهور، فيجبر الكسير، ويغني الفقير، ويشفي

المريض ، ويهدي الضال ، ويعز الدليل ، ويطعم الجائع : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل / ٦٢].

هو الجبار الذي يقصم الظالم ، الجبار الذي يرحم المظلوم ، الجبار الذي ينفذ أمره في كل شيء ، الجبار الذي لا يقف له شيء ، الجبار الذي بيده كل شيء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣] [يس / ٨٢-٨٣].

فسبحان العزيز الجبار على الظالمين والظغاة ، والأقوياء والبغاة ، الرحيم الجبار للمظلومين والضعفاء ، والمنكسرين والأتقياء : ﴿ نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [٥٠] [الحجر / ٤٩-٥٠].

هو الجبار الذي أمر عباده بالطاعة بلا احتياج ، وأصلح الأشياء بلا اعوجاج : ﴿ سُبْحَانَكَ هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْقَلُوتَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٦٨] [يونس / ٦٨].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الجبار :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم وأشرفها وأنفعها ، ومن رزقه الله العلم واليقين رأى ببصره عظمة الخلق ، وحسن الإبداع ، وحكمة التدبير ، وآثار الرحمة ، وكمال القدرة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [١٥] ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [١٦] ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [١٧] ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [١٨] ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [١٩] ﴿ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [٢٠] [نوح / ١٥-٢٠].

ورأى بقلبه عظمة الملك الجبار يتصرف في الملك والملكوت بالقوة والجبروت ، فخشع قلبه لعظمة ربه العزيز الجبار ، وتحركت جوارحه بطاعته ، ونطق لسانه بالتسبيح والتكبير والحمد له في جميع أوقاته ؛ لما يرى من عظمة ربه وجلاله ، وجميل إحسانه وإنعامه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [٢] [الرعد / ٢].

فهذا الذي رأى ربه يخلق ويتصرف في ملكه فذكره كأنه يراه ، والله يحب من ذكره فاذكره يذكره فيمن عنده : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [١٥٢] [البقرة / ١٥٢].

وعن سمرة بن جندب ؓ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا يُضْرِكُ بِأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ « أخرجه مسلم^(١) .

وَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ صَارَ غِذَاءَ قَلْبِهِ بِوَسْطَةِ لِسَانِهِ ذِكْرًا وَحَمْدًا وَتَسْبِيحًا وَاسْتِغْفَارًا ، ثُمَّ صَارَ غِذَاءَ الْجَمِيعِ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢] .

« سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ » أخرجه أبو داود والنسائي^(٢) .

فتذلل لربك الملك الجبار ، وسبح بحمد ربك العظيم : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

واسأل ربك الجبار أن يستعمل بقية حياتك في ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يلين قلبك لعباده ، ويرغبك في النصيحة لهم ، فتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتدعو إلى الله ، وتحبب عباده إليه بذكر أسمائه وصفاته ، وإنعامه وإحسانه ، وجزيل ثوابه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/ ٧١] .

ومن أراد الله به خيراً هداه للدعوة إليه : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

واعلم أن الجبار الأعلى هو الملك الحق ﷻ ، والجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس بخلقه وأمانته ، وصدقه وكرمه ، وعفته واستقامته ، على أن يقتدوا به : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

واعلم أن الإنسان مفتاحه الحق ، والحق لا يوصل إليه إلا بالحق ، فعليك بطاعة الحق ﷻ ، واتباع ما أنزل من الحق ، ولا تكن أسيراً للباطل وحب المال والجاه والدنيا والشهوات فنندم وتخسر : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤-١٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧) .

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣) ، وأخرجه النسائي برقم (١٠٤٩) .

واعلم أن الإنسان إذا كان مُحَصَّنًا بالإيمان من حب المال والنساء وحب الجاه والدنيا فهو جبار لا يستطيع أعداؤه من شياطين الإنس والجن القرب منه ولا النيل منه ؛ لأن الجبار معه : **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾** [الحج / ٣٨].

فاسأل ربك الجبار الرحيم ، الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه وعفوه ومغفرته ورحمته أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط ، وكسور الكبر والعجب والفخر ، وكسور الرياء والكذب والمعاصي ، وأن يبذلك منها دوام ذكره وشكره وطاعته ، والصدق ، وإخلاص العمل له ، والذل له ، والتواضع لعظمته وكبريائه : **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [٢٢] **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الحشر / ٢٢ - ٢٣].

والله كريم قريب مجيب ما أمرنا بالدعاء إلا يستجيب لنا : **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر / ٦٠].

واعلم بأن أهل النظر في عالم الملك والملكوت هم أهل التوحيد والإيمان، واليقين والتوكل : **﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾** [١٨٥] **﴿مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَكَأَيْدِي لَهُمْ وَيَدْرَهُمْ فِي طَيْفِينِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [١٨٦]. [الأعراف / ١٨٥-١٨٦].

شاهد أولو الأبواب والعقول أن المَلِكُ كله بيد المَلِكِ العزيز الجبار وحده لا شريك له .. هو الخالق والامر فيه .. وهو القابض والباسط له .. وهو المانع والمعطي منه .. وهو المالك والمتصرف فيه : **﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ كَمَا هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْدَرُكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾** [١٩] **﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقِضُونَ الْعَيْثُقَ﴾** [٢٠] **﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾** [٢١] **﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [٢٢] [الرعد / ١٩-٢٢].

ولما علموا ذلك لم يطلبوا شيئاً من سواه ؛ لعلمهم الذي وقر في نفوسهم ، وأضاء نوره في قلوبهم : **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُؤْمِنِ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [آل عمران / ٢٦].

ولما طلبوا سألوا الله أعظم ما في خزائنه وهو الهداية فقالوا : **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿ [الفاحة/ ٢-٧] .

فلله در أقوام سكنوا داراً ملئت بالمخلوقات والفتن ، ومع ذلك لم يروا مع الله سواه ، ولم يشاهدوا في الكون سوى مولاهم ، فتوكلوا عليه ، وسألوه الهداية إليه ، وجاهدوا وصبروا على ما أصابهم من أجله ، فأعطاهم مبتغاهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ [العنكبوت/ ٦٩] .

جعلنا الله وإياكم والمسلمين منهم : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرِيَنَّكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿ [إبراهيم/ ١٢] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿ [آل عمران / ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ [آل عمران / ٨] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه ^(١) .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرجته ، ولا مبتلى إلا عافيته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا ضالاً إلا هديته ، ولا فقيراً إلا أغنيته ، ولا حيران إلا دلتته ، ولا كسيراً إلا جبرته ، ولا عدواً إلا أهلكته ، ولا زلة إلا سترتها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) ، واللفظ له .

المهيمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الرب المؤمن المهيمن على كل شيء، المطلع على خفايا الأمور، العليم بما تكنه الصدور، الرقيب على جميع خلقه، الشهيد الذي يبصر كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

وهو سبحانه الملك المهيمن الرقيب الشهيد الذي يعلم السر والنجوى، ويعلم الظاهر والباطن، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد/ ٢-٣].

هو سبحانه المهيمن على الملك والملكوت كله، وهيمنة الله ﷻ هيمنة مقرونة بالحب والرحمة والشفقة على خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

هو المؤمن المهيمن الحافظ لكل ما في ملكه العظيم، مهيمن عليم لا يترك حاجة تخرج من ملكه بلا علم ولا مراقبة، ولا محاسبة ولا تسجيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣].

واعلم أن من عرف الله مهيماً خضع له، وتوكل عليه، وذلل له، وأحبه، وانقطعت آماله عن سواه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن رأى المخلوق مهيماً وقف أمامه كالطفل الصغير، يبالغ في التذلل له، وهو يبالغ في إهانته، ويبالغ في الخضوع له، وهو يبالغ في إهدار كرامته: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٧٥].

وهو سبحانه الملك العلي الأعلى المهيمن العالي على جميع المخلوقات: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وهو سبحانه المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ

ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ [سبأ / ٣].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن بذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، على جميع مخلوقاته:
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج / ٦٤].
فهو الملك المهيمن على كل ملك .. الخالق المهيمن على كل مخلوق .. المؤمن المهيمن
على كل مؤمن .. الكريم المهيمن على كل كريم .. الجبار المهيمن على كل جبار .. القوي
المهيمن على كل قوي .. الكبير المهيمن على كل كبير .. العليم المهيمن على كل عالم ..
وهكذا في بقية الأسماء والصفات.

وهو القوي القادر المهيمن على كل ما في السماء والأرض من ملائكة ونجوم وكواكب،
وشمس وقمر، وسحب ورياح ، وجبال وبحار ، وماء ونار ، وإنس وجان ، وطيور وحيوان :
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة / ١٢٠].

فسبحان الملك العظيم الجبار الذي له جميع المحاسن والفضائل ، والذي تفرد بالأسماء
الحسنى ، والصفات العلى : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٤].

وسبحان المؤمن المهيمن الذي خص هذه الأمة بأفضل الرسل ، وأحسن الشرائع ،
وأعظم الكتب الذي جعله مهيمناً على ما قبله من الكتب : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا
جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة / ٤٨].

وإذا علمت هذا فاعلم أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الروح كان مواتاً ، فلما نفخ فيه ربه
الروح صار حياً حياة جسمانية ، ثم أكرمه ربه ونفخ فيه روح الإيمان فشهد لربه بالوحدانية ،
وأقر له بالربوبية ، فأبصر قلبه بعد العمى ، وسمع بعد الصمم ، وتكلم بعد البكم ،
واهتدى بعد الضلال : ﴿قُلْ أَنْعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٦-١٧].

ثم لا يزال المؤمن يترقى في درجات العلم والإيمان، فيمتلئ قلبه بنور الإيمان الذي يفرق به بين
الملك والعبيد، والخالق والمخالق، والمصور والصور، والحق والباطل، والمحكم والمتشابه،
ويمشي بنور إيمانه في الظلمات كما يمشي البصير في ضياء الشمس لا يتعثر : ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

ثم يكمل تصديقه بما لم تره عيناه ، ويتحقق له إيمانه بما لم تسمعه أذناه ، ويصل علم
الظاهر بالباطن ، وعلم الشهادة بالغيب ، فيجتمع له نوران : نور البصر ، ونور البصيرة ،
ونور العقل ، ونور الوحي ، ويصل إلى ربه من باب علمه ، وفكره ، وخلقته : ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

وتلك درجة الصديقين ، وثمره المقربين التي قطفوها من بستان المجاهدين : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم بأن من أراد الله كماله لصالحته للجمال ناطقه روح القدس بالحق ، وتنزلت عليه الملائكة
بالروح من أمره بالصدق ، ثم أیده ربه المهيم بروح القدرة ، فخرقت له العادات ، وظهرت على
يديه أنواع المعجزات والكرامات : ﴿ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي
الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ
وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

وهذا كمال ابن آدم في الدنيا، وهو خاص بالأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله واجتباهم ،
وخصهم من بين الخلق بالوحي والرسالة ، وكمال الإيمان واليقين ، فصدقوا وبلغوا ، واتقوا
وأحسنوا : ﴿ الَّذِينَ يُبْتَغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا
كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب/ ٣٩-٤٠].

فسبحان المؤمن الذي خلق عالم الإنسان وهيمن على ظاهره وباطن كل فرد فيه ،
من كان وحيث كان : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب والجزاء ، ويحشر المؤمنين إليه في أحسن صورة .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ
القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، قُلُوبُهُمْ عَلَى
قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ » متفق عليه (١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

ثم ينال المؤمن جزاء عمله ، فيكون ثواب أول درجات الإيمان أن يرى المؤمن ربه عياناً ، ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ويجمع له ربه الكريم بأول نظرة إلى وجهه الكريم كل نعيم أوجده للمؤمنين في تلك الدار ، ثم يزيدهم من النعيم بما لا يخطر على قلب بشر ، ثم يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٣].

ومن رأى ربه في الدنيا بقلبه، فأمن وعمل صالحاً، رآه يوم القيامة ببصره : ﴿ وَجُوهٌ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ وَأُخْرَى كَانَتْ تَكْفُرًا بِرَبِّهَا نَظَرَتْهُ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ثم يكمل النعيم والسرور في الجنة برضوان الرب على كل من أرضاه في الدنيا وآمن به : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ٧٢].

ثم يصعد كل مؤمن بعمله في درجات الجنة ، وهي منازل الأنبياء والمرسلين والصدقيين والشهداء والصالحين والعلماء والمجاهدين ، لكل درجته حسب صعوده في درجات العلم والإيمان والأعمال الصالحة في الدنيا : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الأنبياء/ ٢١]. لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴾ [الإسراء/ ٢١-٢٢]. فسبحان الملك الحق المهيمن الذي ملك فرحم ، وعز فقهر ، وحكم فعدل ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المهيمن على كل شيء : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥].

وسبحان مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الأمر، ما أعظم شأنه، وما أعز سلطانه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١]. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ [الملك/ ٢].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المهيمن :

اعلم هداك الله لنوره، وأعانك على طاعته، وحسن عبادته، أن ربك هو الملك المهيمن على جميع مخلوقاته ، العالي عليها ، المتصرف فيها : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وإحصاؤها معناها: فهمها، وعبادة الله بموجبها، ونيل نصيبه منها، ومن لم يكن له نصيب من كل اسم فما أحصاه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

والله ﷻ هو المهيمن الأول ، المهيمن الأكبر ، المهيمن الأعلى ، وأنت المهيمن الأدنى ، وحظك من هذا الاسم أن تهيمن على نفسك بحملها على الإيمان ، وتطهر قلبك مما سوى الله ، وتطهر جوارحك من المعاصي ، وتطهر عقلك من كل عقيدة زائفة ، وتستقيم على أوامر الله ، وتدعو إلى الله ، وتعلم شرعه ، وتحسن إلى الناس ، وتصلح ذات بينهم : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

وراقب الله في جميع أحوالك، فإنه يراك ويسمعك ، فلا تؤذ أحداً ، واستح من الله أن تعصيه بنعمه في ملكه أمام خلقه : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وإذا عرفت أن ربك هو القوي فتوكل عليه وحده ، وإذا عرفت أنه الغني فاسأله وحده ، وإذا عرفت أنه القادر فاستعن به وحده : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

ولكي تعلم لا بد أن تقرأ وتتدبر، وتحضر مجالس العلم ، ولكي تصلح كل اعوجاج لا بد أن تكون لك إرادة قوية ، ولكي تستمر لا بد من التحلي بالصدق والصبر والاستعانة بالله ، والانتقطاع عن مجالس الغفلة ، وبهذا تنتفع من اسم المهيمن .

فتهيمن على قلبك بكمال الإيمان واليقين، وتهيمن على جوارحك بكمال التقوى، وتهيمن على نفسك بحملها على طاعة الله ، وكفها عن معصية الله : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

هو ﷻ العزيز فذل له .. وهو الجبار فاخضع لجبروته .. وهو الكريم فاحمده .. وهو المحسن فاشكره .. وهو الرحمن فتعرض لرحمته .. وهو الغفار فاستغفره : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ
 الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].
 وعليك بطاعة الذي خلقك ورزقك وهداك ، ولا يصرفك ما أعطاك من النعم عنه فتخسر :
 ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾
 [الانفطار/ ٦-٨].

قف بباب ربك الغني القادر ، فخرائن جميع ما تريد عنده ، واسأله سؤال الأنبياء من طلب الهداية ،
 ورضوانه ، والجنة ، وطلب العفو ، والمغفرة ، والنجاة من النار : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
 وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

والزم باب العبودية ، وأحسين الانقياد لمولايك ، ودوام الخضوع له ، والانكسار بين يديه ، وحسن
 التواضع له ؛ تعظيماً له ، وحياء منه ، ومحبة له : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا
 وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
 وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾
 [السجدة/ ١٥-١٧].

واحذر الكبر والتجبر والعلو فإن ذلك لا تستحقه ، بل لا يليق بك فضلاً عن أن تطلبه ، بل
 ذلك كله لربك الملك الجبار المحمود على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى وأفعاله
 الكبرى : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿رَبَّنَاهَبْنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذَرَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/ ٧٤].
 «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ،
 وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(١).

اللهم بيدك الملك كله ، ولك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، وأنت الله
 الرؤوف الرحيم ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من
 قول أو عمل .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) ، واللفظ له .

القوي

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

الله ﷻ هو القوي العزيز، القوي الغالب لجميع من سواه، القوي الذي لا أقوى منه. هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه ضعيف.

هو سبحانه القوي الذي يملك القوة كلها، القوي الذي خلق القوة في كل قوي: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

هو سبحانه القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، الكامل القدرة فلا يعجزه شيء، التام القوة فلا يستولي عليه العجز أبداً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق/ ٣٨].

هو القوي العزيز الخلاق الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الملائكة العظام، وخلق الجبال الراسيات، وخلق البحار الزاخرات، وخلق النجوم الزاهرات، وخلق الحيوان والنبات، وخلق الإنس والجان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو القوي وحده لا شريك له، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، الذي لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَن نَّشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن نَّشَاءُ وَتُعِزُّ مَن نَّشَاءُ وَتُذِلُّ مَن نَّشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأجسام العظيمة، والذرات الخفية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان القوي العظيم الذي قهر المخلوقات كلها بقوته، القوي الذي خضعت لعظمته

الرقاب، وذلت لقوته الشدائد الصلاب: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوٰحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الذي يفعل ما يشاء.

يخلق ما يشاء ويختار ، ويبدل من حال إلى حال ، فليل بعد نهار، وصيف بعد شتاء ، وحر بعد برد ، وأمن بعد خوف ، وغنى بعد فقر، وحياة بعد موت : ﴿يَقْلِبُ اللّٰهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٤٤] وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللّٰهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ [النور/ ٤٤-٤٦].

هو القوي الذي بقوته ﷻ ينصر أوليائه المؤمنين: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَن يَنْصُرُهُۥ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللّٰهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

هو القوي الذي بقوته يهلك الظالمين، وينتقم من المجرمين: ﴿كَذٰبٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ فَآخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأأنفال/ ٥٢].
هو القوي الذي بقوته غلب كل أعدائه، وقهر كل ما سواه: ﴿كَتَبَ اللّٰهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو القوي الذي بقوته ﷻ أمسك السماء أن تقع على الأرض: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّحْيِي بِهِ الْبَلَدَ الْمَيِّتَ وَنَجِّنَا مِنَ الدَّجْرِ إِنَّ اللّٰهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحج/ ٦٥].
لرؤوف رحيم ﴿٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

هو القوي الذي بقوته ﷻ أوصل أرزاقه إلى جميع مخلوقاته في كل مكان وزمان: ﴿اللّٰهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى/ ١٩].
ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٧].

فسبحان القوي الذي كل قوة في المخلوقات من قوته ﷻ .
كل قوة في العرش العظيم، وكل قوة في الكرسي الكريم، كل قوة في السموات والأرض، وكل قوة في الجبال والبحار، وكل قوة في الكواكب والنجوم، وكل قوة في السحب والرياح، وكل قوة في الملائكة والروح، وكل قوة في الإنس والجن، وكل قوة في

الحيوان والنبات والجماد، خلقها القوي العزيز، وأودعها في هذه المخلوقات : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿٣١﴾ [الحجر/ ٢١].

وجميع قوة هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي ذرة بالنسبة لقوة الله ﷻ.

بل قوة جميع تلك المخلوقات لو اجتمعت لواحد منهم ، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد، فإن قوة أولئك كلهم لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة الملك القوي العزيز الجبار، بل شأن الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

فسبحان ذي الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة ، الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، وله القوة والعزة ، وله الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير: ﴿ فِاللَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم أن الله ﷻ قد فطر الإنسان على تعظيم القوي ، والتعلق بالقوي ، والاعتماد على القوي ، فإذا ضل عن معرفة القوي الحق لجأ إلى ما يتوهم أنه قوي وهو ضعيف .

ومن هنا جاء الشرك والتعلق بالضعيف من دون الله القوي العزيز : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ [العنكبوت/ ٤١-٤٢].

واعلم أن الله هو القوي وحده لا شريك له ، القوي الذي له القدرة التامة ، القوي المتين شديد القوة ، القوي الذي لا حد لقوته ، القوي الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته ، ويتضاءل كل عظيم عند ذكر عظيمته : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي ، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم ، هو القوي الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

[الزمر/ ٦٧].

فسبحان القوي القاهر الذي بيده الملك، والملكوت، والتدبير والتصريف، ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أجزل عطاءه : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرِجِ الْعَبْرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ أَرْجِعِ الْعَبْرَ كَرَّةً يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْعَبْرُ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك / ١-٤].

واعلم أن الله أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله ، فأحياناً الرياح بأمر الله تدمر كل شيء ، وأحياناً النار تحرق كل شيء ، وأحياناً المياه تدمر كل شيء .

فسبحان من قهر هذه القوى وسخرها للإنسان ليستفيد منها ، وإذ شاء أطلق قدرتها فدمرت كل شيء : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

واعلم أن من عرف أن ربه هو القوي المتين العزيز الكريم تعلق به وحده ، وقطع الرجاء من غيره : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ۝١٩ ﴾ [محمد / ١٩].

• التبعيد لله ﷻ باسمه القوي :

اعلم وفقك الله لطاعته أن القوي الحق هو الله وحده لا شريك له ، وأنه لا حول ولا قوة لأحد إلا بالله العلي العظيم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٣ ﴾ [التغابن / ١٣]. فكل مخلوق في قبضة الله ، والأمر كله لله وحده ، والعبد لا يملك من أمره شيئاً ، فلا حول ولا قوة للعبد إلا بالله القوي الذي يقلب الأحوال كما يقلب الليل والنهار : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝٤٤ ﴾ [النور / ٤٤].

فليس للعبد حيلة في جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله وتوفيقه وعونه : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِبَصَرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [الروم / ٤-٥].

ولا تحوّل للعبد من الطاعة إلى المعصية ، ولا من المرض إلى الصحة ، ولا من الفقر إلى الغنى ، ولا من الخوف إلى الأمن إلا بإذن الله القوي المتين : ﴿ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَىٰ آلِهَتِهِمُ الْمَلْتَبِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١١١ ﴾ [الأنعام / ١١١].

ولا قوة للخلائق والعباد على القيام بأي أمر إلا بالله وحده لا شريك له ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير / ٢٧-٢٩].

وهذا اليقين لب التوحيد ، ولهذا كان ثوابه كنزاً من كنوز الجنة .

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ! أَلَا أدلِكَ على كنزٍ من كنوز الجنة ؟ » فقُلْتُ : بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن القوي صلى الله عليه وسلم قد أعطاك القوى الباطنة من العلم والحفظ ، والذكاء والفكر ، والبصيرة والعقل .

وأعطاك القوى الظاهرة من اليدين والرجلين ، والسمع والبصر واللسان ، وكلهن قوى لما جُعِلن له ، يَسِرْنَ لِإِتْمَامِهِ ، وَإِنْفَاذِ مَقْدَرَاتِهِ صلى الله عليه وسلم .

وكما وهبك الكريم هذه القوى ، والنعم الظاهرة والباطنة ، وعافاك من كثير مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، فداوم أنت على استعمالها في ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وواظب على طاعته ، ولا تصرف ما أنعم الله به عليك إلا فيما يحبه ويرضاه : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ قُلْ إِن صَلَائِي وَنُكْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

وأحسن الظن بربك الكريم ، وتوجه إليه مخلصاً له الدين ، واستقم كما أمرت فإذا بك ياذن الله غالب ، وبما قصدت ظافر : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وبقدر ما تبذله من الجهد ، وصدق العزيمة ، والعمل الصالح ، والمصارعة إلى كل عمل يحبه ربك ويرضاه ، يُنزل عليك ربك القوي التوفيق والعون والهداية والطمأنينة والسكينة ، وتظفر بمحبته : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، أَحْرَضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ » أخرجه مسلم ^(٢) .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) .

واعلم رحمك الله أن من وهبه الله هذه القوى فلم يستعملها في طاعته حرّمه الله نفعها، وجرّه الشيطان لاستعمالها في معصية الرحمن ، وعداوة الله ورسوله والمؤمنين كما قال الله عن قوم عاد : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعَادَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٢٦] .

وإذا كانت القدرة على الفعل مختزنة في خزائن الغيب لوقت الفعل، فإن القوة ميسرة، والفعل ممكن، فلا تقل لا أفعل حتى ينزل العون، أو لا أشاء حتى يشاء الله ، دون أن يكون منك مباشرة الفعل المطلوب شرعا ، فإن الله وإن كان قد قيد الفعل بقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير/ ٢٩] .

فقد أطلق القدرة على الفعل بقوله : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل/ ١٩] .

وما هو إلا أن تريد العمل ، فإن كان الله قد شاءه جعل لك المشيئة فيه، وإلا كنت مأجورا على إرادتك، مثاباً على نيتك، ومالم يُرده الله لا يكون أبداً ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو القوي الذي لا يغلبه غالب : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف/ ٢١] .

فالإرادة منك مطلقة ، ومشية الله موثقة لها ، وما كان الله ليكلف عبده فعل ما أوثقه عنه ، ثم يعاقبه على تركه، هذا من أعظم المحال : ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

واعلم رحمك الله أن الله قوي متين ، يمسك بقوته العرش والكرسي، والسموات والأرض، ومخلوقاته العظام، وينصر بقوته أوليائه، ويدفع بها أعداءه.

فكن قويا على نفسك بحملها على طاعة فاطرها ومولاها ، وزجرها عن معصية من أنعم عليها وهداها : ﴿ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧١] .

واستعمل ما أعطاك الله من قوة في طاعته، وانشر بها دينه، وعلم بها شرعه، وانصر بها أوليائه ، واقض بها حوائج الضعفاء ، وجاهد بها في سبيله : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ مَا أَنزَلَ عَلَىٰ آبَائِكُمْ إِذْ آتَىٰكُمُ الْبُرْهَانَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ [الحج / ٧٨].

وإذا علمت أن ربك هو القوي الذي يملك خزائن القوة كلها فاخضع له، وانكسر بين يديه ،
واستجب لأوامره ، وفوض أمورك كلها إليه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ
كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود / ١٢٣].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤﴾ [الممتحنة / ٤].
﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾ [الإسراء / ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي
آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ
شَرٍّ» أخرجه مسلم^(١).

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، وألف بين قلوبهم ، وأصلح
ذات بينهم ، واهدهم سبل السلام ، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا عزيز .
اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ، ويقاتلون أولياءك ،
اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

القادر .. القدير .. المقتدر

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَافًا وَيُدْبِقَ بِعَضُكُمُ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام/ ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَهَبْ ۗ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

الله ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له ، هو القادر الذي له القدرة المطلقة ، القادر الذي لا أحد أقدر منه .

وهو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة ، القادر الذي أقدر كل قادر ، القادر الذي كل خلق ورزق، وأمر وتديبر، فمن آثار قدرته ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْبُئُهُ حَيْثِيًّا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه القدير على كل شيء ، المقتدر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يفوته شيء ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر/ ٤٤].

وهو سبحانه القادر الحق الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادراً ، ولو سلبها عنه عاد عاجزاً: ﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣-٥٤].

وهو سبحانه القادر على إيجاد المعدوم ، وإهلاك الموجود ، وقهر كل قاهر ، وتحريك كل ساكن ، وتسكين كل متحرك .

هو القادر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ، ولا يستعين بشيء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سبأ/ ٨٢] ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سجدة/ ٨٣].

[يس/ ٨٢-٨٣].

والله ﷻ قادر على كل شيء ، والإنسان عاجز عن كل شيء إلا بوسيلة تكمل ضعفه من طعام يأكله ، ومركب يركبه ، وآلة تخدمه : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ

يَخْلِقَنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ [الأحقاف/ ٣٣].

واعلم أن الإنسان ضعيف ، والمؤمن قوي ؛ لأنه احتمى بقوي ، فاستفاد القوة من القوي الذي قواه من ضعف ، وكبره من صغر: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح/ ٢٩].

والإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه ، ويقوى على شهواته ، ويقوى على أعدائه : ﴿ فَكَيْدُو فِي جَمِيعَاتِهِمْ لَا تُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَزَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود/ ٥٥-٥٦].

وإذا شعر الإنسان بالضعف صار منافقاً ، والمنافق أجبين وأضعف الخلق ، ليس له قوة على نفسه بحملها على الإيمان ، وليس له قوة على مواجهة الحق ، فمع كل ضعف نفاق وكذب وذل وخوف ، وفرقة وعذاب : ﴿ لَا يُقْلِبُونَكُم بِجَمِيعَةٍ إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بِيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر/ ١٤].

فسبحان القادر على كل شيء ، القادر الذي لا أقدر منه ، القادر المحيط بكل قادر ، الذي خلق كل شيء بقدر يحقق مراده منه ، قدر في حجمه ، وقدر في وظيفته : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه العليم القدير الذي قدر فهدى ، خلق للإنسان عيين يرى بهما الأشياء بقدر ، فلو تضاعفت الرؤية لرأى الجراثيم في الطعام والشراب فعاف الأكل والشراب.

وخلق الله للإنسان السمع في الأذن بقدر ، فلو زاد سمعه لسمع حركة أمعائه فلم ينم الليل كله ف : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ [الأعلى/ ١-٣].

والإنسان إذا رأى قدرة الله وعظمته تدلل له وأطاعه ، وإذا جهل قدرة الله ظلم الناس واعتدى عليهم فجاءته عقوبة الله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

والمؤمن إذا عرف قدرة الله وقف عند حده ، وإذا عرف نفسه تواضع لربه ، واستغفر من ذنبه : ﴿ فَأَعْلَمَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وهو سبحانه القادر الغالب القاهر الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، خالق كل شيء، وغالب كل شيء، وقاهر كل شيء: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

فسبحان الملك القادر على كل شيء الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء.

الصغير والكبير.. الظاهر والباطن.. المتحرك والساكن.. القادر على كل شيء من الخير والشر.. والأمن والخوف.. والمحبوب والمكروه.. والعافية والمرض: ﴿ذٰلِكُمْ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَآ إِلٰهَ ٓإِلَّا هُوَ ۗ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو القادر الحق القدير الحق المقتدر الحق وحده لا شريك له.

هو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له.

خزائن القدرة بيده.. وخزائن العلم بيده.. وخزائن الأرزاق بيده.. وخزائن الأسماء بيده.. وخزائن الصفات بيده.. وخزائن الكلام بيده.. وخزائن السمع بيده.. وخزائن الأبصار بيده. وخزائن الجماد والنبات والحيوان بيده.. وخزائن المخلوقات بيده.. وخزائن المياه والبحار والرياح بيده.. وخزائن الذهب والفضة والمعادن والذرات بيده.

وخزائن الطعام والشراب بيده.. وخزائن القوة والنصر بيده.. وخزائن العزة والذلة بيده..

وخزائن الرحمة والعذاب بيده.. وخزائن السماوات والأرض كلها بيده.. وخزائن الدنيا

والآخرة كلها بيده: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ ۖ إِلَّا ۖعِنْدَنَا خَزَائِنُهُۥ وَمَا نُنزِلُهُۥ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾

[الحجر/ ٢١].

هو الملك العظيم القادر الذي لم يشركه في خلق تلك المخلوقات وغيرها شريك، ولم

يستظهر عليه بظهير: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١١﴾ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ

لَآ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِّنْهُم مِّنْ

ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبا/ ٢١-٢٢].

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، بل هو المعين

لكل أحد: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ ٱيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن

لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق/ ٣٨].

فسبحان الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ ٱنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ تُمْخِذُ ٱلْمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف/ ٥١].

هو القادر الحق الذي يقدر على المخلوقات كلها بقدرة واحدة.. ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد.. ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۗ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ۗ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۗ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ۗ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله ، القادر على الإبداع كله ، القادر على الإيجاد كله .. القادر على الرزق كله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١].

وكل ما سوى الله من القادرين القادر ﷻ خلقهم ، وخلق قدرتهم ، وأقدر بعضهم على بعض ، وسلط بعضهم على بعض ، وهو سبحانه القادر القاهر لكل قادر وقاهر: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۗ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدروهم القادر عليه، من الحمل والتحرك، والبناء والتصنيع، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى بعون القادر وإذنه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۗ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الصفات/ ٩٦].

فالله ﷻ كامل القوة والقدرة ، أما قدرة القادرين سواه فهي ناقصة بصفتها ، محدثة بعد عدمها ، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تُوْنِي الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته، ويده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله. خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وقسم البلاء بقدر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۗ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۗ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي. خلق سبحانه العرش والكرسي .. وخلق السماوات والأرض .. وخلق الشمس والقمر.. وخلق الكواكب والنجوم .. وخلق الملائكة والروح .. وخلق الدنيا والآخرة: ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۗ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو القادر العظيم الذي خلق أنواع الجماد والنبات والحيوان .. وخلق الملائكة والإنس والجان .. وخلق الذرات والجبال .. وخلق المياه والبحار، وخلق الأشجار والثمار: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وهذه المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الذي خلقها لا يمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها أو يدبرها ، وكلها تدل على كمال قدرة الله ، وتشهد بوحدانيته ، وتسبح بحمده ، وتخضع لأمره : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُمِنِ بِاللَّهِ فَمَلَآهُ مِن مُّكْرٍ مَّرِيَّانَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فسبحان الملك العظيم الملك، القوي كامل القوة ، القدير كامل القدرة ، خالق كل شيء ، ومدبر كل شيء : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فهذا الرب العظيم الخالق لكل شيء ، القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المنعم بكل شيء ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده يستحق به وحده الحمد عليه ، فالمخلوقات كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته : ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فجميع مخلوقاته سبحانه توجب الشكر لما فيها من النعم ، وتوجب التذكر لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب، وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠].

فواعجباً كيف يعصى من هذا خلقه؟ وهذا إحسانه؟ وهذه قدرته؟ وهذا ملكه وسلطانه؟ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِن

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ
بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿ [لقمان / ١٠-١١].

وكيف لا يُعبد ويطاع وهو الكبير الذي بيده الملك، ذو العزة والجبروت ، والعظمة والكبرياء! :
﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف / ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج / ٤٦].

والمؤمن إذا اعتقد أن الله على كل شيء قدير في كل أمر ، أعطاه إن سأل ، وشفاه إن مرض ،
وأمنه إذا خاف ، ونصره إذا استنصره ، وغفر له إذا استغفره ، وتاب عليه إذا تاب إليه :
﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ
شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر / ٤٤].

واعلم أن كمال اليقين أن ترى الله، ولا ترى غيره، وتتعلق بالله وحده، ولا تلتفت لأحد سواه،
وتفعل الأسباب المشروعة، وتقطع آمالك من الخلق : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر / ٣٦].

ومن رحمة الله بالإنسان أن جعل له قدرة محدودة ناقصة، ليكون دائماً مفتقراً الى ربه القادر
على كل شيء : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا
عَظِيمًا ﴿٣٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء / ٢٧-٢٨].

والإنسان مع ضعفه وعجزه يطغى ويتكبر ويقتل بلا رحمة فكيف لو كان قويا : ﴿ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِنْسَانٌ لَاطِفٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْفَرَ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق / ٦-٧].

فسبحان القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، القاهر لكل شيء ، الذي وسعت رحمته
كل شيء : ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُتُّوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٩].

وسبحان الملك القادر الذي له كل شيء ، ويسبح بحمده كل شيء : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن / ١].

• التبعيد لله ﷻ باسمه القادر:

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

وإذا علمت هذا فعليك أن تحبه وتعظمه ، لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته ، وجميل إنعامه وإحسانه. وعليك أن تخافه، وتخاف عذابه، فإنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه، وعلى كل حال، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٠]. واحذر الذنوب التي تُغضب ربك القادر المقتدر، والمعاصي التي تُسخطه، فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك ، وهو وإن أهلك لتتوب فإنه لا يهلكك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ولا تيأس من رحمة ربك أبداً، وارجه رجاء من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم أن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء يقوي في قلبه الاستعانة بالله ، وصدق الالتجاء إليه ، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/ ٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوب ومكروه بقدر من القادر العليم الحكيم، سلم قلبه من أمراض القلوب ، وامتلاً بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة ، والصبر على البلية: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [وهو القاهر فوق عباده] وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ومعرفة القدير الرحيم سبحانه تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضى عن الله ، وصدق التوكل عليه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

ومن ملاً قلبه من الرضى بالقدر، ملاً الله صدره غنى وأمناً وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبتة، وذكره، وشكره، وعبادته: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَدِنتُ ءَانَاءَ آئِلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩].

فكن الله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يحبه ويرضاه يسرك يوم تلقاه حيث لا تقدر ولا ترجع: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الأمور كلها بيد القادر المقتدر وحده، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له، وداوم على سؤاله وحده، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مقاليد الأمور، يغنيك ويرضيك ويسترضيك: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » أخرجه أحمد والترمذي (١).

وإذا قدرت على من دونك من الخلق، فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه، لينظر بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصُّوا بِالْحَبِيبِ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢].

وإذا أقدرك الله على العلم، فاعمل به وعلمه، وإذا أقدرك على العمل الصالح، فأكثر منه، وإذا أقدرك على المال، فأنفقه فيما يحبه الله ويرضاه، وإذا أقدرك على حسن الأخلاق، فخالق الناس بخلق حسن تفوز بالجنة والرضوان: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وإن أردت عظيم الأجر فصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ،
وأحسن إلى من أساء إليك ، واستعمل قدرتك فيما يرضى به ربك تنال منه أجراً عظيماً :
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءً مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، يا قوي يا عزيز .

اللهم يا من له العزة والجبروت ، وله الملك والملكوت ، يا عالماً بكل شيء ، يا محيطاً
بكل شيء ، يا قديراً على كل شيء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ،
ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

القهار

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ [ص / ٦٥].

الله ﷻ هو القاهر فوق عباده، العالي فوق مخلوقاته، القاهر القوي، الغالب لكل ما سواه، القاهر لكل قاهر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام / ١٨].

والله سبحانه هو الواحد القهار الذي قهر جميع الكائنات، وذلت لقهره وسلطانه وحكمه جميع المخلوقات، فكل مخلوق مقهور مزوم بزمام الملك، خارج عن مراده إلى مراد الخالق له، القاهر له ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ ۗ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٦﴾ [الرعد / ١٦].

وهو سبحانه الواحد القهار الذي خلق كل شيء على ما أراد، وصور كل شيء على ما أراد، وقهر كل شيء على ما أراد.

قهر السموات والأرض أن تزولا، وقهر السماء أن تقع على الأرض، وقهر الجماد بأنواعه على ما أراد، وقهر النبات بأنوعه على ما أراد، وقهر الحيوان بأنواعه على ما أراد، وقهر الكواكب والنجوم على ما أراد: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الأنعام / ٤].

﴿وَالْأَرْضُ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُهَا أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُهَا نَهَارًا عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿٥﴾ [الزمر / ٤-٥].

هو سبحانه القهار الذي قهر هذا التراب فجعله إنساناً يفكر ويعقل، ويسمع ويبصر، ويضحك ويبكي، ويتحرك ويسكن، ويتكلم ويسكت، ويأكل ويشرب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [المؤمنون / ١٢-١٦].

هو القهار الذي جعل المعدوم موجوداً، وجعل الموجود باقياً، وجعل الحي ميتاً، وجعل الميت حياً، وجعل الفقير غنياً، وجعل الغني فقيراً، وجعل العزيز ذليلاً، وجعل الذليل عزيزاً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ

الْحَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات ، وقهرها على ما أراد ، وقهر بعضها ببعض .
قهر الرياح بالجبال التي تصدها ، وقهر الجبال بالحديد الذي يكسرها ، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يطفئها ، وقهر الماء بالهواء الذي يصرفه ، وقهر الهواء بأقطار السماء والأرض التي تحيط به ، ثم قهر الكل لأنه وحده القهار القاهر لكل قاهر : ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

هو القهار الذي أَلَّفَ بين المواد الأساسية المتنافرة وهي الماء والنار والهواء والتراب ، وسلط بعضها على بعض ، وقهر بعضها ببعض .

هو القهار الذي أسكن الروح اللطيف في الجسم الكثيف ، القاهر الذي قهر جميع الأحياء بالموت : ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَمُرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْتَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْوِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة/ ٨].

هو القهار الذي أذل الجبابرة والأكاسرة بالخوف والرعب والأمراض والمصائب : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَيِّبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد/ ٣١].
هو القهار الذي يدمر من أصر على كفره بعد إنذاره : ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

هو القهار الذي قهر جميع الأحياء بالموت الذي يكون بعده البعث والحساب ، والشواب والعقاب : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر/ ٣٠-٣١].

فسبحان القاهر القهار الذي قهر العقول عن الوصول إلى كنه ذاته ، وقهر الأبصار أن تدركه ، وقهر النفوس أن تحيط بكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقائق مخلوقاته : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم أن التوحيد والقهر متلازمان ، وهما متعينان لله وحده لا شريك له ، فالواحد لا يكون إلا قهاراً ، والقهار لا يكون إلا واحداً.

وقد خلق الله فوق كل مخلوق مخلوقاً آخر أعلى منه ليقهره ويتحكم به، حتى ينتهي القهر الكامل لله الواحد القهار الذي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].

فالذي يقهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار لا شريك له، وهو الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له كما كان قاهراً وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٦٥] رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ [٦٦] ﴿ [ص/ ٦٥-٦٦].

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن كل فعل عن قدرة، وكل قدرة عن قوة، وكل قوة عن قهر، وبقدر قوة القهر تكون سرعة استجابة المقهور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يَمُنْ بِاللَّهِ فَمالَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [١٨] ﴿ [الحج/ ١٨].

والله ﷻ وحده هو القوي القادر القاهر القهار ذو الملكوت والجبروت، وذو العلو والعظمة، وذو العزة والكبرياء، الذي قهر جميع المخلوقات، وقهر كل شيء في ملكه العظيم، لا راد لفضائه، ولا معقب لحكمه، ولا إله غيره: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] ﴿ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

خلق الجبال العظام وقهرها بالحديد الذي يكسرها، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه، وقهر النار بالماء الذي يطفئها، وقهر الماء بالرياح التي تحمله وتصرفه، وقهر الرياح بالسماء التي تحبسها، وقهر السماء والأرض بالعرش العظيم الذي أحاط بها، فسبحان القاهر لكل قاهر ومقهور، الذي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٤] ﴿ [الزمر/ ٤].

فسبحان القاهر الذي كل خلقه تحت قهره، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤٤] ﴿ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه قاهر كل قاهر، وقاصم كل جبار، الذي بيده مقاليد الأمور، وتدبير الأنفس والدهور: ﴿مَّا مَن دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦] ﴿ [هود/ ٥٦].

والله ﷻ هو الملك الواحد القهار الذي قهر جميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي على

ما أراد ، القهار الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت له الجبابرة ، وقهر كل مخلوق، وعنت له الوجوه، وتواضعت جميع الخلائق لعظمة جلاله وكبريائه، وخضعت لقهره وحكمه وسلطانه:

﴿ وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَّ الْمَلٰٓئِكَةِ وَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الإله الحق القاهر لكل ما سواه، وكل ما سواه عبد مخلوق مملوك له، مقهور بحكمه وإرادته: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّٰهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحٰلِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

هو الواحد القهار الذي له الملك كله ، وله الدين كله ، ومنه الإحسان كله : ﴿ وَقَالَ اللّٰهُ لَا تَنۡخَبِثُوا۟ اِلَٰهِيۡنِ اٰثِنِيۡنَ اِنۡمَآ هُوَ اِلَٰهُ وَّحِدٌ فَاِتٰنِيۡ فَاَرۡهَبُوۡنَ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَاَلۡاَرْضِ وَلَهُۥ الدِّيۡنُ وَاَصۡبَآءُ اَفۡغَيۡرَ اللّٰهِ نَنۡفُوۡنَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمۡ مِّنۡ نِّعۡمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ تَنۡرَاۡ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرۡۢءُ فَاِلَيْهِ تَجۡرُوۡنَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥١-٥٣].

هو القهار الذي قهر بقوته كل ما سواه على ما أراد.

خلق المخلوقات ، وقدر الآجال ، وقسم الأرزاق ، وقدر الأحجام ، والأشكال ، والألوان ، وقدر الأوقات ، والأنفاس ، والأقوال ، والأعمال ، وقدر الزمان ، والمكان ، وقدر الثواب ، والعقاب ، وقدر كل شيء : ﴿ اِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَاۤ اَمۡرُنَا۟ اِلَّا وَّحِدَةٌ كَلَمِجٍ بَالۡبَصِرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ اَهۡلَكۡنَا۟ اَشۡيَاعَكُمْ فَهَلۡ مِّنۡ مُّذَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُۥ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيۡرٍ وَّكَبِيۡرٍ مُّسۡتَطۡرَءٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان من قهر الليل بالنهار ، وقهر النهار بالليل ، وقهر الأعلى بالأسفل ، وقهر الأسفل بالأعلى ، وقهر المرض بالعافية ، وقهر الصحة بالمرض ، وقهر الحر بالبرد ، وقهر البرد بالحر ، وقهر الحي بالموت ، وقهر أعداءه بأوليائه ، وقهر كل مخلوق عن إرادته إلى إتمام مراده هو ﴿ ۞ ﴾ : ﴿ وَاِنۡ يَمۡسَسۡكَ اللّٰهُ بِۡبَصۡرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥۗ اِلَّا هُوَ وَاِنۡ يَمۡسَسۡكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰٓى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيۡرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۗ وَهُوَ الْحَكِيۡمُ الْخَبِيۡرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ولا إله إلا الله الواحد القهار ، القاهر فوق عباده، الذي قهر جميع من في ملكه وملكوته ، الظاهر والباطن ، والشاهد والغائب ، والكبير والصغير ، والأول والآخر: ﴿ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا اِلَٰهَ اِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيۡمِنُ الْعَزِيۡزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبۡحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يُشۡرِكُوۡنَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر / ٢٣].

وسبحان الواحد القهار الذي جميع مخلوقاته مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته ، وخاضعة لأمره : ﴿ وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُوْنَ رَٰهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وسبحان القاهر الذي قهر نفوس أوليائه فحبسها على طاعته ، القهار الذي قهر أوليائه بجلاله ، وقهرهم بجماله وإحسانه ، فعظموه وكبروه وأحبوه وعبدوه : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُۥٓ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ لِحَقِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].
هو سبحانه الملك القادر القاهر الذي يرفع كل مؤمن ويعززه ويكرمه ، ويخفض كل جبار ويهينه ويضعه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الفارعة/ ٦-١١].

هو العليم بمن يستحق الرفع فيرفعه ، العليم بمن يستحق الخفض فيخفضه ، يرفع المؤمن بطاعة الله ، ويخفض الكافر بمعصية الله : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة/ ١١].

هو القاهر الذي يخفض بالإذلال والصغار كل من تعاضم وتكبر وطغى وتجبر وشمخ بأنفه واستكبر : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦٓ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ، رفع من أطاعه، وخفض من عصاه ، ورفع أهل الحق وخفض أهل الباطل : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

هو القاهر الذي أذل من عصاه ، القهار الذي يخفض الكفار بالإشقاء ، ويخفض أعداءه بالإبعاد والهم والغم ، ويخفض الطغاة بالسقوط ، ويخفض كل خارج عن شريعته مهما كان غنياً بالمال أو عزيزاً بين الرجال : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد/ ٣١].

هو القوي القادر الذي رفع السماء بلا عمد ، ورفع الغمام فوق متن الهواء ، ورفع الطيور في الفضاء ، ورفع الجبال فوق الأرض ، ورفع مقام أوليائه في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شِئْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه القهار :

إذا علمت رحمك الله أن ربك ﷻ هو الواحد القهار، وعرفت عظمة سلطانه، وعظمة قهره، وقوة جبروته، وعلمت عظمة غناه، وحسن إكرامه، وسعة رحمته، فعليك بلزوم طاعته، وحسن عبادته، ودوام ذكره وشكره، والذل له، وطلب مرضاته، وابتغاء محابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ [النساء/ ١٢٥].

واحرص على ما ينفَعك من الطاعات، وإياك والتسويف فإنه حَجَر الشيطان الذي يقتل به الإنسان: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم أن الله عز وجل رحيم بعباده، لم يكلفهم إلا وسعهم، وما هو دون طاقتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ﴿٧﴾ [الطلاق/ ٧].

وإن أردت العزة والقوة فاستعمل قوتك في طاعة الله، وفيما يحبه ويرضاه.

وتبرأ من الحول والقوة إلى مالكها، واطلب منه المعونة في كل عمل، وسله الهداية إلى الحق، وفوض أمورك إليه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود :

الأول: العزم الجزم عند إرادة تنفيذ المأمور به، متبركاً بأسماء ربك قائلاً: ماشاء الله، لا قوة إلا بالله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

الثاني: طلب المعونة والتوفيق من ربك عند النهوض للعمل قائلاً بقلبك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

الثالث: التبرؤ من الحول والقوة، وترك الدعوى، ونسبة الفضل للرب سبحانه قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وإذا أنعم الله عليك بالعلم ، والحكمة ، والقوة ، والقدرة ، والجاه ، والمال ، فاستعمل كل ذلك في طاعته وعبادته والدعوة إليه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

وإياك أن تعصي الله بنعمه، أو تذل غيرك بما وهبك الله من نعمه وفضله وقوته، فقد كنت قبل ضالاً بلا قوة ، ولا مال ، ولا علم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى / ٦-١١].

وجاهد نفسك على القيام بعبادة الله والدعوة إليه ، والإحسان إلى خلقه ، واقهر نفسك عن الانهماك في الشهوات ، واقهر عدوك من شياطين الإنس والجن بلزوم ذكر الله وعبادته ، ومدافعتة والاستعاذة بالله من شره : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت / ٣٣-٣٦].

واعلم أن حظ المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يقهر نفسه عن الشهوات المحرمة ، ويقهر هواه عن كل ما يضره ، ويقهر لسانه عن الغيبة والنميمة والقييل والقال ، ويقهر نفسه عن أكل الحرام ، ويقهر جوارحه عن كل ما يغضب الله من المعاصي والكبائر : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمن ومن لم ينب فأولئك هم الظالمون ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات / ١١-١٢].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله يرفعك الله ، ولا تفعل شيئاً تستحي منه ولا شيئاً تضطر أن تعتذر منه : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مَوْمِنًا فَدَعِمَلِ الصَّلَاحِ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه / ٧٤-٧٦].

وتواضع لربك العلي العظيم يرفع الله مقامك في الدنيا والآخرة : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١].

واعلم أنك بكل طاعة لله تعلقو ، وبكل معصية تُخفَضُ : ﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَتَقَضَّ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ [الشرح/ ١-٤].

ولكل مؤمن نصيب من هذه الرفعة التي خص الله بها نبيه ﷺ بقدر إيمانه وإخلاصه وطاعته .
واعلم أن الله إذا أحب عبداً أحب أهل السماء ، وأودع في قلوب أهل الأرض محبته ، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

فما من أحد من المؤمنين يطيع الله كما أراد ، ويخلص له كما يحب إلا رفع ذكره بين خلقه :
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨].

ومن رفعه الله فيجب عليه أن يشكر ربه على هذه الرفعة ، ويستعملها في طاعته بعبادة الحق ،
والإحسان إلى الخلق : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْوَسْطَةَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»
أخرجه مسلم ^(١).

اللهم لك الحمد أنت الواحد القهار ، ولك الحمد أنت العزيز الجبار ، ولك الحمد أنت الغني الحميد ، ولك الحمد أنت الحليم الكريم ، لا إله إلا أنت .

اللهم إني أسألك عافية أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل ثوبتك ، ورزقاً حلالاً تغنيني به عن سواك ، يا أكرم الأكرمين .

اللهم أغنني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا قوي يا عزيز .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

المجيد

قال الله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [هود/٧٣].

الله ﷻ هو المجيد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، المجید الذي تمجد بالعظمة والكبرياء، والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

وهو سبحانه المجيد الذي له الملك والملكوت، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك/١-٢].

وهو سبحانه المجيد القادر على كل شيء، واسع الرحمة والمغفرة، جزيل العطاء والإحسان، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ [البروج/١٢-١٦].

وهو سبحانه المجيد الذي له المجد كله، المجيد في جميع أقواله وأفعاله، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الجزيل في عطائه ونواله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر/٦٥].

وهو سبحانه المجيد العلي العظيم، رفيع الدرجات الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات، وأحسن المنازل: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ [غافر/١٥].

وهو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، المجيد الذي تمجد بجلاله وجماله وإحسانه، ومجدّه خلقه لكمال عظمته وجلاله، وجزيل إنعامه، ف: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(١).

وسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويحمده أهل السماء والأرض، ذو المجد والشرف والسؤدد، والعز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/٣٦-٣٧].

هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، المجيد العظيم الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسن وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناء عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه، ولا

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٨٧٣)، والنسائي برقم (١٠٤٩).

تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الزمر/٦٧].

هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى .
هو المجيد الواسع الكرم ، ذو الشرف والعز والكرم ، سابع النعم ، دافع النقم ، عظيم المنن .
هو المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله الكريمة ، وأقداره الحكيمة .
هو المجيد الحق الذي خلق كل شيء ، المالك لكل شيء ، القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، واسع المغفرة والرحمة ، جزيل العطاء والإحسان .

هو المجيد الذي مجده لا نهاية له ، وعطاؤه لا نهاية له ، وكرمه لا حدود له ، ونعمه لا نهاية لها ، ورحمته لا نهاية لها ، وعلمه لا نهاية له ، وملكه لا نهاية له : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/٢٥٥].

فسبحان المجيد بذاته ، الجميل بأسمائه وصفاته ، الجزيل في عطائه ، المحمود على إحسانه ، القريب من عباده .

هو المجيد وحده الذي يعطي ويرزق ، ويشفي ويكفي ، ويرفع البلاء ، ويزيل الهم ، ويدفع النقم : ﴿ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس/١٠٧].

فإذا نزلت بك داهية أو مصيبة أو قارعة أو محنة فتوجه إلى ربك المجيد يهديك إلى سبل السلام : ﴿ وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/١٧-١٨].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم ، المجيد الذي لا نهاية لمجده وجلاله وكبريائه ، ولا حد لملكه وسلطانه ، الذي مجده على قدر شأنه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/٢٤].
فلو كانت جميع الأشجار أقلاماً ، وجميع البحار مداداً ، وجميع الخلائق كتاباً ، أبدأ الأبدان ، لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته ، ولا إحصاء خلقه ، ولا إحصاء نعمه ، ولم يبلغوا ما هو عليه من

الجلال والجمال ، ولم يؤدوا حقه من المدح والتمجيد، والحمد والشكر : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ بَحْرٍ مَانِدَاتٍ كَلِمَاتٍ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا كُنْفُسٍ
وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٦-٢٨].

هو القوي العزيز المجيد القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء ، الذي يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله :
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾
[الأعراف/ ٥٤].

هو المجيد الذي كل الخلق لأمره طائع .. وكلهم له عابد .. وكلهم لسلطانه خاشع .. وكلهم إليه
راغب .. وكلهم منه راهب، وكلهم إليه راجع : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/ ٨٣].

وهو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء ، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً ، ومسرع إلى
مشيئته طوعاً : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وكله عليه يسير :
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسٍ وَاحِدَةً ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا
يقطع رجاء من رجاءه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

وسبحان الحميد المجيد الذي عرّف أوليائه بتوحيده، وألهم خلقه تسبيحه وتحميده، وأولاه
القلوب بعبادته ، وأطلق الألسن بذكره، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده : ﴿أَفَأَمْ يَنْظُرُوا إِلَى
السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَبَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ
كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

هو سبحانه المجيد العليم المحيط بكل شيء .
يعلم مثاقيل الجبال .. ومكايل البحار .. وعدد قطر الأمطار .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد

ذرات الرمال.. وعدد الأرواح والأنفاس .. وعدد الحروف والكلمات .

ويعلم ما في البر والبحر.. وما أظلم عليه الليل .. وما أشرق عليه النهار .. لا توارى منه سماء سماء .. ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره .. ولا بحر ما في قعره : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

ملك عظيم مجيد لا تقاربه الظنون ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تقابله العيون ، ولا تحيط به العقول ، ولا تكيفه الأوهام : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

رب مجيد عظيم ، نور وجهه ملاء الكون كله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور/ ٣٥].
ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٣].

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار فلا تراه في الدنيا أبداً : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أتى أراه» أخرجه مسلم^(١).
فسبحان المجيد الذي يفعل ما يشاء وحده لا شريك له.

يحيي ويميت.. ويعز ويذل.. ويكرم ويهين.. ويعطي ويمنع.. ويرفع ويخفض.. ويعفو وينتقم.. ويهدي ويضل.. وينصر ويخذل.. ويبسط ويقبض.
والله ﷻ هو الرب المجيد الحق ، عظيم الأسماء والصفات ، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان ، عظيم الخلق والأمر ، عظيم الثواب والعقاب.

أسماءه كلها مجد .. وصفاته كلها مجد ، وأفعاله كلها مجد ، والقرآن كله تحميد وتمجيد وتعظيم وتكبير وتسيح للرب المجيد : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

والصلاة كلها تعظيم وتكبير وتحميد وتمجيد وتسييح للحميد المجيد، أهل الثناء والمجد كله ، شرعها لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات ، والأقوال ، والأفعال .

فأول الصلاة تمجيد للرب ﷻ .. وأوسطها تمجيد .. وآخرها تمجيد .. وقيامها تمجيد .. وركوعها تمجيد .. وسجودها تمجيد .. وجلوستها تمجيد .. وأقوالها تمجيد : ﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت / ٤٥] .

ففي أول الصلاة التكبير والاستفتاح كله تمجيد ، وفي الركوع وما بعده تسييح وتحميد وتمجيد ، وفي السجود تسييح وتحميد وتمجيد ، وفي الجلوس دعاء وثناء وتحميد وتمجيد . ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات ، ورغب في الإكثار من نوافلها ، وشرعها في أحوال مختلفة ، وأمر بالمحافظة عليها فقال : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة / ٢٣٨] .

والله ﷻ هو المجيد ذو العرش العظيم : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج / ١٤-١٥] . والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها ، وأوسعها وأعلاها ، وأرفعها وأكرمها . خلقه القوي العزيز بقدرته ، واستوى عليه الحميد المجيد برحمته كما قال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴾ [طه / ٥] .

واعلم هداك الله لمعرفته أن الفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب التي يقوى بها توحيد العبد ، ويزيد إيمانه ، ويخشع قلبه ، وتحسن عبادته : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة / ٤٨] . وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة / ٤٩] . يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل / ٤٨-٥٠] .

فالنظر والتفكير في هذا الملكوت العظيم ، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا ، كله منصوب للاعتبار ، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب المكنون الذي يدرك في الدنيا بالقلوب ، ويرى في الآخرة بالعيان : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ فِي آيَاتٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

وقد أمرنا المجيد سبحانه بالنظر في جميع الملك والملكوت ؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته ، وجلاله وجماله ، ونحبه ثم نعبده فقال : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك مستعيناً بربك في أقل المخلوقات جرماً ، وأصغرها حجماً كالخردلة والذرة والبعوضة، رأيت ما يدفع الشك ، ويزيل الشرك ، ويحقق التوحيد للواحد الأحد، من الآيات الباهرات، والبراهين الساطعات القاطعات : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ [الجنابة / ٣-٦].

أقام الله هذه المخلوقات والآيات في السماء والأرض للاعتبار في ملكوته مقام فحوى الخطاب في كتابه ؛ تنبيهاً للمبتدئ من أوليائه، وتذكراً للمنتهي : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٧) ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٨) [ق / ٦-٨].

وإذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه الذي خلقه، فالكبير والأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة، وأكبر شهادة: ﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧) [غافر / ٥٧].

فسبحان الملك العظيم الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل ، وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبداً من عبده، يأتمر بأمره ، ويسبح بحمده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤٢) [النور / ٤١-٤٢].

ومن نور الله قلبه بنور الإيمان ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فرأى الصور ببصره ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء.

ورأى بعقله أنه كلما عظم المخلوق عظم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته ، ونال بركته ، وخصه بمزيد كرمه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١٠) ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١١١) [آل عمران / ١٩٠-١٩١].

وبهذه المعارف يذوق القلب والعقل والسمع والبصر حلاوة المعرفة ، وطعم الإيمان، ويرى

ربه العظيم يخلق ويدبر وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة الكبرياء ، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد، لها زَجَلٌ بالتسبيح والتقديس، والتحميد والتمجيد: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المجيد:

الله ﷻ هو المجيد الذي له المجد كله ، والكبرياء كله ، والملك كله ، والخلق كله ، والأمر كله ، والحمد كله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك/ ١]. وهو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء والأرض: ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤]. فمجد ربك العظيم الذي خلق الخلق، وبسط الرزق ، وفرّج الكرب ، المغيث وقت البلاء ، المعين في البأساء، أهل الثقة والرجاء ، والحمد والثناء: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

وسبح بحمد ربك العظيم، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ ﴿٣﴾ [غافر/ ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفّقك لعبادته، وأنار قلبك بمعرفته، فأكثر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وإذا عرّفك المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ودينه وشرعه ﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وكن مجيداً بإيمانك وتقواك ، وأقوالك وأعمالك ، وأخلاقك وإحسانك.

واذكر المجيد لخلقته، وبيّن لهم أسمائه وصفاته، وعلمهم شرعه، وعرفّهم بنعمه ليحمدوه، وعرفّهم بكبريائه ليكبروه ، تكن من العلماء الربانيين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

وأنفق مما آتاك ربك المجيد من مالٍ تواسي به الفقير ، أو علم تعلم به الجاهل ، أو خلق حسن تحلم به على السفية، أو جاه تنفع به المحتاج، أو قول تقيم به الحق، وتعدل به المعوج : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

وبهذا يحمذك المجيد، ويحمذك أهل السماء، ويحمذك أهل الأرض : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

واعلم رحمك الله وأسعدك في الدارين أن المؤمن حقاً من أعمل نفسه ظاهراً وباطناً بما يرضى الله، ونهاها عما يسخطه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة/ ٧-٨].

واعلم أن كل ما أدركته ببصيرتك، أو شاهدته ببصرك، من المخلوقات الصغيرة والكبيرة، من لدن العرش العظيم إلى أصغر شيء خلقه الله، كلهم عبيد أمثالك ليس بأيديهم شيء : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان/ ١-٣].

وإنما الملك حقاً هو الرب المجيد ذو العرش المجيد، لا إله إلا هو، رب كل شيء ومليكه ، القائم على كل نفس ، وكل ما سواه عبيد له : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَابِئُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد/ ٣٣].

فإلى ربك الحميد المجيد فالجأ ، وعليه فتوكل ، وإياه فاسأل ، ولا يشغلك عنه سواه : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٣].

تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ۗ ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خبير ﴿١٤﴾﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

وتأدب رحمك الله بآداب النظر والتفكير، وأحسن العمل لمن يراك ولا تراه ، واعبده كأنك

تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
 وَتَقْبَلُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب سيد المعترين إبراهيم عليه السلام حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب ، ثم إلى القمر ،
 ثم إلى الشمس ، فلما رأى عليها آثار الحدث ، وسمات الصنع ، وقهر السخري : ﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ
 الْأَفْلَاقَ ﴾ (٧٦) [الأنعام/ ٧٦].

فلما رآها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية تعبد الله في محراب العبودية ، تخطاها
 وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٦) [الأنعام/ ٧٩].

فافهم رحمك الله طريق التوحيد ، واسلك سبيل المتقين ، تكن من الفائزين ، فقد ظهر لك
 الأمر ، وبان لك الرشد : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ
 اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
 وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وانظر رحمك الله بالبصر والبصيرة تكن على بصيرة : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ
 فَلِنَفْسِهِ ، وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (١٠٤) [الأنعام/ ١٠٤].

فطوبى وما أدراك ما طوبى لقلوب عبرت ساحات الملك والملكوت فأميّطت عنها حُجُب
 الغفلة ، وانكشفت لها مجاري القدرة ، فرأت الخلق والخالق ، والصور والمصور ، وشاهدت
 الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، وهي تمجده وتسبح بحمده :
 ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١١٢) لَا
 تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فأفادها ذلك المعرفة التامة بالرب الحميد المجيد ، والتعبد الصادق ، والنور الممين الذي ميزت
 به الملك من العبيد ، فأثقته حق ثقافته ، وعبدته كأنها تراه ، فنالت ثوابه ورضاه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
 الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) نَتَجَافَىٰ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
 يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ولم ترض لنفسها شغلاً إلا بطاعة الملك الأعلى فعبدته ، فرفعها إلى المقام الأسنى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِ الْمَجَلِيسِ فَاَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١].

يسر الله لنا ولكم حسن معرفته، وحسن عبادته وتقواه حتى نلقاه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

«التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » متفق عليه^(١).

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » متفق عليه^(٢).

اللهم يا مالك الملك ، يا خالق الخلق ، يا ذا الطول والإنعام ، يا فعلاً لما تريد يا مجيد ، يا رب العرش الكريم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك ، يا رب العالمين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣١)، ومسلم برقم (٤٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

الصمد

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص / ١-٤].

الله ﷻ هو الصمد الذي صمدت إليه جميع المخلوقات ، وقصدته كل الكائنات، المقصود عند الحوائج ، المقصود إليه عند الرغائب ، السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر .

هو الواحد الأحد الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الكامل في السؤدد والشرف والغنى والكرم، مالك الحاجات، ومفرج الكربات ، ومجيب الدعوات : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِنَ الْأَرْضِ أَذْنًا لَمْ تُحِطْ بِهَا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [النمل/٦٢].

هو الصمد الذي تقصده جميع الخلائق عند النوائب والكريهات، وتستغيث به إذا مسها الضر والمشقات، وتضرع إليه عند الشدائد والكربات: ﴿وَمَا يَكُفُّ عَنَّا إِلَّا رَبُّنَا الْعَلِيمُ﴾ [النحل/٥٣].

هو سبحانه الأحد الصمد الحي الذي لا يموت ، الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، الغني عن كل أحد ، القادر على كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد .

لم يتقدمه والد كان عنه، ولم يتأخر عنه ولد يكون عنه ، وليس كمثل شيء ، هو الواحد الأحد الصمد الذي له وحده الأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الملك الأحد الصمد، السيد الذي كمل في سؤدده ، العظيم الذي كمل في عظمته ، الغني الذي كمل في غناه ، القوي الذي كمل في قوته ، الرحمن الذي كمل في رحمته ، الجبار الذي كمل في جبروته ، العليم الذي كمل في علمه ، الحكيم الذي كمل في حكمته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/١٠١-١٠٢].

فسبحان الأحد الصمد الذي تصمد جميع المخلوقات إليه ، وتتوجه إليه ، وتخضع لعظمته وهيبته ، وتسرع إلى إرادته ، وتقف ذليلة صاغرة بين يديه : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيئِنَا إِن رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴿هود/٥٦﴾ .

نسأل الله الهداية لما يرضيه، والتسديد إلى محابه ، فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاحة / ٧-٢] .

فاصمد إلى ربك العظيم ، واقصد بنفسك إليه ، وتوجه إليه ، وفرغ قلبك من ذكر كل شيء إلى ما قصدت إليه وهو ربك الكريم : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِإِن أُشْرِكْتَ لِحَبْطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر/ ٦٥-٦٦] .

ثم اطلب حوائجك من ربك الأحد الصمد، وأعظمها قدراً طلب معرفته بأسمائه وصفاته، والعلم بآياته ومخلوقاته، ومعرفة حكمتها، والحق الذي خلقها به، ينشرح صدرك بالإيمان، ويمتلئ قلبك بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله : ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام / ٧٨-٧٩] .

ثم أطلق بصرك في ملكوت السماوات والأرض، وانظر إلى الشمس والقمر والنجوم، وانظر إلى الجماد والنبات والحيوان، وانظر إلى السحب والجبال والبحار والذرات ، لتعلم عظمة ربك، وعظمة ملكه وسلطانه ، وتعلم أن ما تعلمه من مخلوقات الله بالنسبة لما لا تعلمه كالذرة بالنسبة للجبل : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧] .

ثم اجمع العالم كله في عقلك تراه كسفينة صغيرة مشحونة في بحر عظيم واسع ، والواسع العظيم الكبير قاهر له ، محيط به : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

ثم أعد النظر متفكراً في ملكوت العالم العلوي والسفلي تراه قائماً بأمر ربه ، يمسكه الله بقدرته، ويحركه بقوته، يطيع من خلقه، ويصمد لمن هداه ، ويشهد بتوحيده ، ويسبح بحمده : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآتَوْا الْحَقَّ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور / ٤١-٤٢] .

ثم أعد النظر تبصر الملك والملكوت ببصيرتك قائماً لمن توجه إليه، صامداً لمن أقبل عليه،

خاشعاً لربه ، مستسلماً لأمره ، لا يتحرك من ذاته ، ولا يعمل من تلقاء نفسه ، بل بإذن ربه القوي العزيز : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد / ٢] .

ثم أعد النظر مرة أخرى ترى الكون بأجمعه متحداً بين يدي الواحد الأحد الصمد ، وكل ما فيه سامع مطيع لربه ، خاشع لعظمته ، مستجيب لأمره ، مسرع إلى إرادته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج / ١٨] . كل يسبح ربه بلغته في جهته ، ويحمده في مقامه ، ويوحده في عبادته ، كل قد علم صلاته وتسييحه وعمله من العرش العظيم إلى أصغر ذرة تحت الأرض .

كل يسبح ربه ويحمده ويوحده ويكبره باللسنة شتى ، على عدد الخلائق كلهم من صغير وكبير ، وعال وسافل ، ورطب ويابس ، وناطق وصامت : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة / ١] .

كل عابد لله في إسلامه إليه ، مصلياً في جميع أحواله له ، ومسجده موضع قيامه بين يديه ، قبلته العرش الكريم ، والبيت المعمور ، والبيت العتيق ، ومعبوده العلي العظيم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور / ٤١] .

فابك يا عبد الله على جهلك وتقصيرك وقلة حيائك ، وأكثر من الحمد والتوبة والاستغفار : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه / ١١٤] .

وسل الله المزيد من فضله ، وسارع إلى الخيرات ، وابك على الغفلة التي قطعتك عن ربك ، والجهل الذي حجبك عن تسييح مولاك ، وتقدم بنفسك إلى صفوف العابدين المسبحين بحمد ربهم في كل حين : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الصمد :

اعلم أن ربك هو الواحد الأحد الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق ، الذي تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرغبة؛ لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦٥] ﴿ غافر / ٦٥ .
هو الغني القادر الذي كل شيء له، وكل شيء خزائنه بيده: ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

فداوم على طاعة مولاك الصمد، واصمد إليه في جميع أمورك، ولا تلجأ إلا إليه، ولا تصرف عبادتك إلا له، ولا تطلب حاجتك إلا منه، ولا تستعين إلا به، ولا يكون توكلك إلا عليه ، ولا تلتفت إلى أحد سواه : ﴿ وَلِلَّهِ عَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود / ١٢٣] .

واصمد إليه بوجهك وقلبك وبدنك، واسأله ما شئت من خيري الدنيا والآخرة ، فهو وحده الغني الكريم الذي بيده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١] .

والزم عبادة ربك الصمد ، وإن اعترض دون ذلك معترض من هوى أو غيره فكابده ، واصطبر على ما به أمرت ، تنال به ما وعدك ربك : ﴿ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم / ٦٥] .

وإياك أن تتوجه بشيء من أمرك إلى سواه ، وخذ بالأسباب المشروعة وقلبك معلق بالله وحده لا شريك له: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴾ [التغابن / ١٣] .
وتوكل على الله وحده، وإلا حرمك بركة هذا الاسم الكريم، وخيب آمالك ، وأبطل رجاءك : ﴿ وَأَنْ أَقْمَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٠٥] ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس / ١٠٥-١٠٦] .

واعلم رحمتك الله أنه لا يصحبك في أحرارك إلا عملك في دنياك .

فأحسن العمل، وأحسن إلى نفسك، وأحسن إلى الناس، وحاسب نفسك، وانتظر الارتحال إلى دار مقرك، والقدوم على مولاك العليم الخبير: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر / ١٨] .

وإذا أقامك الله مقاماً تكون فيه ملجأً للملهوف، وغياًثاً للمكروب، في جاه أو رئاسة أو ذات يد، فصدقت وبررت وأحسنت فقد أخذت من مقتضى هذا الاسم العظيم بحظ وافر، وكنت من المفليحين المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة/٣-٥].

وتوجه في جميع أمورك إلى ربك الصمد وحده، ولا تسأل الفقير المحتاج، وقف بباب الملك الصمد، قاضي الحاجات كلها للخلائق كلها، يعطيك مرغوبك، ويغفر ذنوبك. وتقرّب إلى ربك العظيم بما يحب يكرمك يوم تلقاه بما تحب: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَعدِبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح/١٧].

وتوسل إلى ربك عند سؤاله بما تعرفه من أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، واقصده في بيوته، واعتكف في مواطن محابه، يكرمك بالخلود في قصور جناته: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصاص/٧٧].

واجعل نفسك مقصوداً من قبل الناس للمنافع والخيرات، معيناً لهم على قضاء حوائجهم ابتغاء مرضاة الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/١١٤].

أنفق من علمك على جاهلهم، وأنفق من مالك على فقيرهم، وأكرم أشرفهم، وأحسن إلى ضعفائهم، وأصلح فيما بينهم، فأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ابتغاء وجهه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/٢].

واعلم أن أحب الأعمال إلى الله بعد التوحيد سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تزيل عنه همّاً.

فاتح قلبك ووقتك وبيتك ومالك للناس يحبك الله والناس، وتفوز بمغفرة الذنوب وجنة الخلود: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/١٣٣-١٣٤].

﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَلُّكَ أَمْرَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [٤ / الممتحنة] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩] .

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه ^(١) .

« اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَا ضِيقَ حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي » أخرجه أحمد ^(٢) .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وطهر أعمالنا من الرياء ، وطهر ألسنتنا من الكذب ، وطهر أعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

اللهم أغننا بحلاك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨) ، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩) .

المتين

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

الله ﷻ هو القوي المتين بذاته ، الكامل القوة ، الشديد القوة ، الغني عن كل ما سواه ، الذي ملاً خزائنه بكل شيء ، وله خزائن السموات والأرض: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عَلَيْنَا مَا نَزَّلْنَاهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه القوي المتين القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الغني المتين الذي عنده خزائن كل شيء ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ، ولا إلى معين أو عضد ، ولا إلى جامع أو شاهد: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل / ٤٠].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يمد المخلوقات بالقوت والقوة ، ويسوق إليها أرزاقها ، ويعينها على مصالحتها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فسبحان القوي المتين الذي خلقنا وأعطانا المتانة في أجسامنا لنصبر بها على الطاعات والمصائب ، وأعطانا متانة في قلوبنا لنقوى بها على طاعته ، وأعطانا مدداً من قوته نهزم بها النفس والشيطان والكفار: ﴿ تَخَنُّنُ خَلْقَهُمْ وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٨-٢٩].

وهو سبحانه القوي المتين الذي له ملك كل شيء ، ولا يقف لقوته أحد ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان/ ١-٢].

وهو المتين ﷻ الذي يتصرف في ملكوت السموات والأرض كيف شاء ، القوي المتين الذي يتصرف في عالم الغيب والشهادة ، وفي الظواهر والبواطن ، القوي المتين الذي نفذت مشيئته في جميع البريات ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وهو سبحانه القوي المتين الذي له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض وما فيهن، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض من الملائكة والأرواح، والجن، والإنس، والحيوان، والنبات، والجماد وغير ذلك مما لا يعلمه إلا العليم الخبير:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١١٦)

[التوبة/١١٦].

فسبحان الرب العظيم، الملك الحق، الغني الحميد، القوي المتين الذي كل شيء ملكه، وكل شيء في قبضته، وكل شيء خاضع لعظمته: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/٦٨].

• التبعّد لله ﷻ باسمه المتين :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته وطاعته أن الله هو القوي المتين، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة/١٢٠].

هو القوي المتين الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وكل مخلوق خاضع لأمره، مُصَرَّف في طاعته، شاهد بتوحيده، مسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَاةً، وَتَسْبِيحًا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) [النور/٤١].

هو القوي المتين ما شاء من الخلق والأمر كان، ومالم يشأ لا يكون أبداً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس/٨٢].

فالعرش والكرسي، والسموات والأرض، والجنة وما دونها، والنار وما فوقها، وجميع المخلوقات، والعوالم، والأوامر، والآجال، والأرزاق، والمقادير، والتصريف، والتدبير، وغير ذلك مما خطه القلم مما لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وكل ذلك بيد القوي المتين وحده لا شريك له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٣) [يس/١٣].

وكل ذلك برهان ساطع ودليل قاطع على عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى من جهة، ومنقسم إلى سبيل الترغيب والترهيب من جهة أخرى؛ لتعرف الملك الحق وتعظمه وتحبه،

ثم توحده بأسمائه وصفاته ، ثم تعبد به بمقتضاها : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠ ﴾ [الحج / ٧٠].

فالزم رحمك الله توحيده ، وجرده لله وحده ، فلا تخاف أحداً إلا الله ، ولا ترجو سواه ، ولا تتوكل إلا عليه وحده ، ولا تلتفت إلى غيره : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۝١١ ﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ ﴾ [الزمر / ١١-١٣].

واعلم أن الله وإن كان سبحانه قد خَوَّفَ من النار ورغَّب في الجنة ، وحذر من الشر ، ورغَّب في الخير ، رحمة بك ، وتسهيلاً لوصولك إليه ، فإن المقصود الأعظم من ذلك كله ، والمقصود من الخلق والأمر كله ، هو معرفته ﷻ وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعبادته وطاعته ، وفعل ما يحبه ويرضاه مما شرعه في كتابه وأرسل به رسوله محمداً ﷺ ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

ثم عند القوي المتين الكريم ثواب لمن أطاعه بالجنة ، وعقاب لمن عصاه بالنار : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝١١٠ ﴾ [الكهف / ١١٠].

فالثواب لأهل التوحيد والطاعات ، والعقاب لأهل الشرك والمعاصي : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ۝١٨ ﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ ﴾ [السجدة / ١٨-٢٠].

واعلم أن الله وحده هو القوي المتين ، وأنت عبد القوي ، وعبد المتين ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، فليكن لك من معاني هذه الأسماء حظ واسم تعبد ربك بمقتضاه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠ ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

واعلم أن المؤمن عزيز لا يذل نفسه إلا لربه ، أما أمام الناس فظهر العزة والرحمة والغنى والشجاعة ؛ إظهاراً لعزة الدين ، ورحمة للناس أجمعين : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

وإذا ضعف إيمان العبد بربه ونقص توحيده تذلّل الناس ، وعلق آماله بهم ، وتمسكن أمامهم ، فسقط من أعينهم فأذلوه ، لأنه سقط من عين الله قبل أن يسقط من عيونهم : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون/ ٨] .

فجرّد رحمتك الله نفسك لتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الملك وأنت العبد ، وهو الخالق وأنت المخلوق ، وهو الغني وأنت الفقير ، وهو الرزاق الذي تأكل من رزقه ، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فأطعه تسلم وتنال كرمه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْعُيُونُ وَمِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ وَمِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ وَمِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ ﴾ [الفتح/ ١٧] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه ^(١) .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا رب العالمين .

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وشماتة الأعداء .

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

العلي .. الأعلى .. المتعال

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢].

وقال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى / ١].

وقال الله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد / ٩].

الله ﷻ هو العلي الأعلى الذي علا فوق كل شيء بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

هو الأعلى الذي أحاط علمه بكل عال وسافل من مخلوقاته، ووسع ملكه كل شيء في

ملكوته: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [٦] وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ

السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٦-٨].

وهو ﷻ العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته، تعالى عن كل صفة لا تليق بجلاله،

وتعالى أن يشبهه أحد من خلقه، وتعالى أن يشبهه أحداً من خلقه، وتعالى أن يدرك أحد

كماله، وتعالى أن يحيط بجلاله وجماله وسلطانه أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

هو العظيم المتعالي عن إفك الأفاكين، وافتراء المفترين، وتوهم المتوهمين، ووصف

الجاهلين، لا إله إلا هو: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون / ٩٢].

هو العلي الأعلى الذي علا فلا تدرك ذاته، ولا تتصور صفاته.

هو العلي الذي تاهت الأبواب أن تحيط بجلاله، وعجزت العقول عن أن تحيط بجماله،

وعجزت الأبصار أن تدرك ذاته: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٠٣].

هو العلي الأعلى الذي كل شيء تحت قدرته وقهره وسلطانه، هو العلي المتعالي عن الأضداد

والأنداد: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم / ٦٥].

فسبحان العلي العظيم الذي علا بذاته وأسمائه وصفاته عن مدارك خلقه، الأعلى الذي علت

عن الإدراك ذاته، وكبرت عن التصور صفاته: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [٢]

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٤] [الإخلاص / ١-٤].

واعلم أن الله كبير قبل أن تكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ، وخالق قبل أن يخلقنا ، ورازق قبل أن يرزقنا : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

والله أكبر مما نعرف ومما لا نعرف، وأعظم مما نعرف ومما لا نعرف، وأقوى مما نعرف ومما لا نعرف، وأجمل مما نعرف ومما لا نعرف، فمهما عرفنا من قوته فهو أقوى ، ومهما عرفنا من رحمته فهو أرحم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان من لا بداية ولا نهاية لعظمته وكبريائه وجلاله وجماله : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه العلي الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

له علو الذات .. وعلو الصفات .. وعلو القدر .. وعلو القهر.

فهو العلي بذاته على جميع مخلوقاته ، الأعلى الذي استوى على أكبر وأعظم مخلوقاته وهو العرش العظيم بأعظم الصفات وهي الرحمة كما قال ﷺ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه/ ٥].

وهو العلي علو قدر، فهو العلي العظيم بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

وهو العلي علو قهر، فهو العلي القاهر فوق عباده، الذي قهر كل شيء، الذي دانت له المخلوقات بأسرها، فلا يتحرك ولا يسكن شيء منها إلا بإذنه وعلمه وإرادته: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الكبير المتعال عن كل نقص وعيب وسوء، رفيع الدرجات، المستحق لأعظم درجات التعظيم والمدح والثناء الذي: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [٤] تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى/ ٤-٥].

وهو سبحانه العلي الأعلى ، الذي جعل أوليائه هم الأعلون في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٩].

وجعل لهم الجنة في السماء في أعلى عليين: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية/ ٨-١١].

وأصحاب عليين هم جلساء الرحمن على منابر من نور ، في أرفع الدرجات علواً وسمواً في مقعد الصدق عند الملك الحق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وجعل سبحانه الكفار والمكذبين في سجين في أسفل سافلين ، وهي مقر سجنهم تحت الأرض، خالدين فيها لا يخرجون منها أبداً: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين/ ٧]. فسبحان العلي الأعلى الذي علا وملك وقهر كل شيء ، المتعال الذي له الخلق والأمر وحده لا شريك له.

أكرم من أطاعه ورفعاه في أعلى عليين، وأهان من عصاه في أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

والله ﷻ هو العلي الأعلى، ذو المعارج الذي تعرج الملائكة والروح إليه صعوداً: ﴿مَنْ أَلَّهَ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج/ ٣-٤].

وهو العلي الأعلى الذي ينزل الملائكة بالروح من أمره: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل/ ٢]. فسبحان العلي الذي جعل لكل روح معراجاً، ولكل عمل معراجاً، ولكل أمر معراجاً.

وسبحان العلي القدير الذي يملك التصريف والتدبير، الذي خلق المعارج والمنازل، فأمره نازل أبداً، وصاعد أبداً، لا إله إلا هو العلي العظيم: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد/ ٤].

هو العلي العظيم الذي خلق الملائكة، وعمر بهم السموات السبع، وجبلهم على السمع والطاعة أبداً ، وسماهم الملائكة لفعالها ؛ لأنها تملك الملكوت ، وتجدد ملكه ، وتدبر الأمر بإذن ربها ، وتبلغ الوحي إلى الرسل ، كل مطيع ربه لا يعصيه ، وكل متوحد بعمله لا يتعداه إلى سواه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم/ ٦].

وهم مجبولون على الطاعة لربهم، ومنزلتهم في طاعتهم لربهم كالحواس الخمس في بني آدم ، لا معصية عندها لحاملها ، ولا تحاسد بينها في مراتبها.

كُلُّ مَتَّوْحِدٍ بِعَمَلِهِ ، مَعَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ لِرَبِّهِمُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَمِنْهُمْ الْقَائِمُ أَبَدًا ، وَمِنْهُمْ الرَّكَعُ أَبَدًا ، وَمِنْهُمْ السَّاجِدُ أَبَدًا ، وَمِنْهُمْ الذَّاكِرُ أَبَدًا ، وَمِنْهُمْ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ أَبَدًا : ﴿ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ

﴿ ١٩ ﴾ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ [الأنبياء / ١٩ - ٢٠] .

فسبحان العلي بذاته وأسمائه وصفاته، العليم الذي لا تخفى عليه ذرة من ملكه.

• التَّعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الْعَلِيِّ :

اعلم رحمك الله أن مفتاح التعبد بأسماء الله الحسنى طلب علمها ، وفهم معانيها ، فتوجه إلى ربك الكريم ، واسأله أن يطلعك على أعلى درجات ذلك ، فإنه جل جلاله العلي الأعلى ، المتعالي بالمجد والمحامد ، والثناء والبهاء ، والأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَ لَهُ

الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٢٧ ﴾ [الروم / ٢٧] .

وإذا عرفت أن ربك هو العلي العظيم فعظمه بقلبك ولسانك وجوارحك ، ووحدّه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونزهه عن كل ما لا يليق بجلاله ، واعبده بما شرعه وحده لا شريك له :

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

وَكَيْلٌ ﴿ ١٠٢ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وإذا عرفت ذلك وأبصرته بقلبك فارجع النظر إلى نفسك تنكشف لك حقيقتها ، ويتبين لك ضعفها ، وسفال درجتها ، ومقدار جهلها : ﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا

مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ٥٣ ﴾ [يوسف / ٥٣] .

واعلم أن الله وحده هو العلي العظيم ، والنفس البشرية مفطورة على حب الأعلى والأكمل والأحسن ، وفيها تطلع إلى من له الكمال المطلق ، وهي تسعى تريد الأعلى والأحسن ، وفيها فراغ لا يملؤه إلا معرفة العظيم الأعلى ، الله ذو الجلال والإكرام .

فإذا عرفته اطمأنت به ، ورضيت بتدبيره ، ونالت ثوابه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ يُذَكِّرُ اللَّهُ الْأَبْدَانَ أَنَّ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿ ٢٨ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ

وَحَسَنُ مَقَابٍ ﴿ ٢٩ ﴾ [الرعد / ٢٨ - ٢٩] .

واعلم أن من عرف الله حقاً عرف أنه عبده حقاً فعبده حقاً : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ

لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿ ١٩ ﴾ [محمد / ١٩] .

فسبحانه من رب ما أعظمه ، وسبحانه من إله ما أكرمه ، له ما في السموات وما في الأرض ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].
هو العلي الأعلى في ذاته وأسمائه وصفاته ، القوي الذي كل الكون أثر من آثار أفعاله وقدرته وإرادته : ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ [الشورى/ ٣-٤].

وإذا عرفت أن ربك هو العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فاخضع له يرفعك ، وتذل له يعزك ، وافقر إليه يعطك ، واستغفره يغفر لك ، واستنصره ينصرك : ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَنِيبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

واعلم أن فوق كل ذي علم عليم ، وفوق كل كبير أكبر ، وفوق كل غني أغني ، وفوق كل كريم أكرم ، فكن مع العلي يرفعك ، وكن مع القوي يقويك ، وكن مع الهادي يهديك : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وتذل رحمك الله لمولاك ، وتواضع لربك العظيم الكبير المتعال ، وتخلّق بمعالي الأمور ، وكن سبباً لرفع الناس من الأسفل إلى الأعلى من الأقوال والأعمال والأخلاق ، ورفعهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، واسبق ما سواك إلى ما يرضي مولاك : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء/ ١٢٥].

وتقرّب إلى ربك العلي الأعلى بكمال الخشوع والخضوع ، والإكثار من الركوع والسجود ، مستشعراً عجزك وضعفك ، وصغر قدرك ، وسفال منزلتك : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧].

وإياك والعلو والتعالي ، وحب ذهاب الصيت والذكر بين الناس : ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [١٨] وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان/ ١٨-١٩].

والزم التواضع في جميع أمورك لتنال رحمة الله : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ [٨٣] [القصص/ ٨٣].

ثم راجع العمل فيما بينك وبين الله بطلب معالي الأخلاق والأعمال ، والتحلي بمقتضى أسمائه وصفاته ، على ما يحب من ذلك ويرضاه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وسارع إلى الخيرات، وتفرغ للباقيات الصالحات، ونافس في أعلى الدرجات من ذلك تنال أعلى الدرجات: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد/ ٢١].

وارض رحمة الله باليسير من عطائه، يرضى عنك باليسير من العمل. واعلِّ بهمتك صُعُدًا إلى التقرب إلى الله، والتَّعَبُّد له بمعاني أسمائه وصفاته ، ليكون ذلك وصفًا لك عنده ، فإنه سبحانه يحب معالي الأخلاق والأعمال، ويكره سفاسفها : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٩٠].

وارغب إلى ربك أن يرفع ذكرك عنده ، ويعلي درجاتك، وأن يرزقك حسن عبادته، ودوام ذكره، لتكون مع الصفوة المختارة في الرفيق الأعلى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠].

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى، فكل المخلوقات تسبح بحمده، وتطيع أمره: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربي الأعلى العلي المتعال الذي يصعد إليه كل الكلم الطيب والعمل الطيب من الذكر، والدعاء ، والعمل الصالح : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْزَوْنَ﴾ [فاطر/ ١٠].

هو العلي العظيم ، القوي القادر الذي يدبر الأمر في السماء والأرض.

فيرحم هذا، ويعيظ هذا، ويعطي هذا، ويمنع هذا، وينصر هذا، ويخذل هذا، ويشفي هذا، ويفرج كرب هذا، ويعز هذا ، و يذل هذا ، ويأمر هذا ، وينهى هذا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ

تُوقَى الْمَلَكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلَكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ [آل عمران / ٢٦] .

فاحرص رحمك الله ألا يصعد منك إلى ربك إلا ما يحبه ويرضاه .

وانظر إلى ما تمليه على الملائكة الكرام الكاتين، وما تجالس به رقيق الحق المبين ، وما تُودعه في صحفك في ليلك ونهارك: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢] .

واعبد ربك العظيم ، وأحسِن الاقتداء بالربانيين الطاهرين، وتأدب بآداب الملائكة المكرمين الذين: ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠] .

واستح من حفظتك الملازمين لك، ثم من الكرام الكاتين لأعمالك .

واعلم أنه إذا كان يجب عليك الحياء من فعل قبيح أمام ملائكة رب العالمين، والاستباق إلى كل عمل صالح، فكيف لا تستحي من الملك العلي العظيم، والشاهد الكبير ﷺ، فتعصيه بنعمه عليك وهو يراك: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

بل كم من الشاهدين غيرهم لك أو عليك ، وكم الناظرين إليك ، وكم السامعين لك من الجن والأرواح والمخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله الذي أحصى كل شيء عددا ، وأحاط بكل شيء علماً .

وكفى بالله شهيداً لو كنت تخاف وتستحي ، وتعقل وتوقن : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج/ ٩] .

واعلم أن الله خلق الملائكة الكتبة والحفظة وغيرهم من جنود الله، وخلق الشياطين والعفاريت والمردة الذين يرونك من حيث لا تراهم .

وهؤلاء وهؤلاء من عالم الغيب ، ولهم آثار وأعمال وأحوال .

فالملائكة يُسَرِّون بطاعتك، وتضايقتهم معصيتك ، فيستغفرون الله لك : ﴿ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر/ ٧] .

والشياطين يفرحون بمعصيتك، وتحزنهم طاعتك، فيكيدون لك ليجروك معهم إلى جهنم فاحذرهم: ﴿يَنْبَغِيْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف/٢٧].

فكل أحد معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، والكل ملازمون له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار/١٠-١١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ » ، قالوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: « وَإِيَّايَ ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن للجن سلماً دون السماء الدنيا لاستراق السمع ، وهو في مقابلة المعراج للروح والملائكة ، فإذا استرقوا السمع أرسل الله عليهم شهياً تحرقهم كما قال الله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن/٨-٩].

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وبسط ملكه على جميع ممالكه، وأظهر لهم أسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/٩].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/٧٤].
 ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/٢٠١].
 «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم ^(٢).

اللهم يا علي يا عظيم ، يا غفور يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ملجأ كل خائف ، ومعطي كل سائل ، ومجيب كل مضطر ، ومفرج كل كرب ، وقاهر كل قاهر .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

النصير.. والناصر

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج/ ٧٨] ﴿٧٨﴾
 وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [١٤٩] ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران/ ١٤٩-١٥٠].
 وعن عمر بن الخطاب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَكَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي» أخرجه البخاري (١).

الله ﷻ هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له ، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران/ ١٢٦].
 وهو سبحانه الناصر النصير القوي الذي لا يعجزه شيء ، ولا يقف له شيء ولا يغلبه أحد، قهر بقوته جميع الأقوياء، وأهلك جميع الطغاة ، وأذل بجبروته جميع الجبابرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود/ ٦٦].

وهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء في أي وقت شاء ، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم ، ويثبت أقدامهم عند لقاء عدوهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْنَبْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/ ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق الذي بيده النصر وحده لا شريك له ، ينصر كل من آمن به وتوكل عليه ولاذ به: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٤] ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً بما عندهم من العدد والعدد نصر الله المؤمنين عليهم ؛ لأن الله لا غالب له.
 هو الملك العزيز الجبار الذي قهر الخلائق كلها، وبيده مقاليد كل شيء: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ قَوِيُّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].
 فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق ، وبيده مفاتيح الخير :

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٣١).

﴿ هُوَ مَوْلَانَا فَانصِرْهُ ﴾ [الحج/ ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب البالغ مراده من خلقه ، القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر ، لكمال قدرته ، وعظمة سلطانه : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر/ ٤].

وهو سبحانه الغالب على أمره ، الذي لا يغلبه شيء ، ولا يرد حكمه راد ، الذي يفعل ما يشاء ، وأمره نافذ كيف شاء : ﴿ وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف/ ٢١].

وهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له ، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب ، ولو أن جميع من في الأرض له طالب : ﴿ كَتَبَ اللّٰهُ لَآعْلِبِيْنَ أَنَا وَرُسُلِيْٓ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ ﴾ [المجادلة/ ٢١].

فسبحان الملك القادر النصير الناصر الغالب القاهر الذي أمره نافذ في جميع ملكه ، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أمضى ، الذي تفرد بالخلق والأمر ، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الْاٰتِلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ مُسَخَّرٰتٍ بِأَمْرِهِ ؕ اِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ تَبٰرَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والنصر بيد الناصر الحق ، فمن نصره الله فلا خاذل له ، ومن خذله الله فلا ناصر له : ﴿ اِنْ نَصْرُكُمْ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَاِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْۢ بَعْدِهِ ؕ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

وفعل الأسباب من أسباب النصر المطلوبة ، ولكن النصر بيد الناصر وحده لا شريك له كما قال الله للمؤمنين في بدر حين أمدهم بالملائكة : ﴿ بَلَىٰٓ اِنْ نَصْرُوْا وَتَّقُوْا وَاِيَّاكُمْ مِّنۢ فَوْرِهِمْ هٰذَا يَمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِمِخْسَةِ الْاَلْفِ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ ﴾ [آل عمران/ ١٢٥] وما جعله الله إلا بشري لكم ولنطمئن قلوبكم به . وما لنصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿ [آل عمران/ ١٢٦-١٢٥].

وأحياناً ينصر الله عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قتلها لبيان كمال قدرته : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرِ وَاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأَسباب النصر إذا تعلق المسلمون بها ، واعتمدوا عليها ، ليردهم إلى التوكل على من بيده النصر سبحانه كما قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَّيَوْمَ حُنَيْنٍ اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْاَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ

وَيَسْتَمُّ مُدْرِيبٌ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴿التوبة/ ٢٥-٢٦.﴾

فسبحان الملك الذي تفرد بالملك ، والخلق ، والرزق ، والنصر ، والتدبير ، الذي ينزل النصر على أوليائه كما ينزل القطر من السماء على أرضه .

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر .. وبالفرج مع الكرب .. وبالعافية مع السقم .. وباليسر مع العسر .. وبالأمن بعد الخوف .. وبالنجاة مع رؤية الهلاك : ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا فَفَجَّحِي مَن نَّشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله القوي العزيز الذي إذا أراد أن ينصر أحداً نصره ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤]. وقد تكفل الله ﷻ بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْآسْهٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر/ ٥١].

فسبحان الناصر لمن شاء، الغالب البالغ مراده من خلقه، النصير الذي لا يُغلب ولا يُفهر، لكمال قوته، وعظمته، وعزته، وجبروته : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفتح/ ٧].

هو ﷻ الغالب على أمره ، الذي يفعل ما يشاء، ولا يغلبه أحد، ولا يرد حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبداً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ فُسَبِّحَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى ، أو يمنع ما أعطى ، أو يعطي ما منع ، أو ينصر من خذل ، أو يخذل من نصر: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق الغالب القاهر لكل غالب ، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه ، أو إبعاد ما قرَّبه ، أو تقريب ما بعَّده ، أو إحياء ما أماته ، أو إماته ما أحياه ، أو قبض ما بسطه ، أو بسط ما قبضه ، لا راد لما قضاه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم أن الله هو الملك الناصر الغني القوي، فلا يحتاج إلى أحد ينصره أو يعينه، بل كل

أحد محتاج إلى نصره: ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج/ ٧٤].
 أما نصره المؤمنين لربهم فتكون بعبادته ، والقيام بحقوقه ، ورعاية عهوده ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والجهاد في سبيله .

وهم بهذا يريحون السعادة في الدنيا والآخرة ، والنصر في الدنيا والآخرة ، والله غني عنهم ، لكن أمرهم بذلك ، ليسعدهم ويشيهم ويرضيهم : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ] وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

فهذه علامات من يستحق النصر والتمكين والاستخلاف : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور/ ٥٥].

واعلم رحمك الله أن حقيقة النصر هي المعونة بطريق التولي والمحبّة، خص الله بها خيار خلقه، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُتَّسِلِينَ ﴾ [الصفات/ ١٧١-١٧٣].

والمعونة على الشر لا تسمى نصراً ، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بالمؤمن أنه منصور عليه ، بل هو مسلط عليه ؛ عقوبة له على ذنب ، أو تربية له كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد ، وسلط عليهم الكفار ، حين عصى بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

ففي هذه الغزوة انتصر الإسلام ، ورفع النصر عن المسلمين بسبب ذنوبهم .
 فالله ﷻ يسلط الكفار تربية لعباده ، ليعودوا إليه ويوحده : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُمُوهُمْ وَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوهُمْ وَأَلْقَا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء/ ٩٠].
 والكفار والظلمة والطغاة عصي بيد الله ، ينتقم بها ، ويربي بها ، ثم ينتقم منها ، كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل بسبب معاصيهم ، فلما آمنوا بموسى نصرهم الله ، وأغرق فرعون وجنوده .

والله عَزَّ وَجَلَّ قادر على نصر دينه وإهلاك أعدائه وحده ، ولكنه عز وجل يبتلي عباده بذلك التسليط ، ليربي أوليائه ، ويظهر من ينصر دينه ، ممن يتولى عن نصرته : ﴿ ذَلِكُمْ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٤] سَيِّدِهِمْ وَيُصَلِّحْ بِاللَّهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ ﴿٦﴾ [محمد/٤-٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه النصير :

اعلم وفقك الله لهده أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له .

فاسأل ربك الناصر أن ينصرك على نفسك، لتستقيم على طاعة الله، وأن ينصرك على هواك، لتستقيم على هداه ، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين .

وقد بيّن الله لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه ولا معين لهم سواه، وذلك لتتوجه قلوبهم له، ويرفعون أكفهم بالضراعة إليه، فيستجيب لدعائهم، وينصرهم على من عاداهم .

فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك القادر، فإنه نعم المولى ونعم النصير: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿١٧﴾ [البقرة/١٠٧].

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين، فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١١٥﴾ [آل عمران/١٦٥].

واعلم يقيناً أن النصر والناصر مع أهل الإيمان والطاعات ، وأن الخذلان والهزيمة والحرمان مع أهل الكفر والمعاصي : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيبُ أَقْدَامَهُمْ ﴾ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ءَأْضَلُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٩﴾ [محمد/٧-٩].

فاجتهد رحمتك الله على زيادة إيمانك كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية ، والاستقامة على أوامر الله ، والتفكير في أسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك، فتقع في المعاصي، ثم تحرم النصر، وبركة الرزق، فمن قصر في الحال أخذ في الحال: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ. وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿١٢٢﴾

[النساء/١٢٣].

واعلم أن المسلمين لن ينتصروا على العدو الظاهر حتى ينتصروا أولاً على العدو الباطن ، وهو النفس والهوى ، والشيطان وحب الدنيا .

فمن انتصر على هؤلاء نصره الله على عدوه الخارجي : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج / ٤٠] .

واعلم أن المؤمن منصور أبداً ، فإذا ضعف الإيمان ، نقصت الطاعات ، ثم زادت المعاصي ، فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى / ٣٠] .

فالإيمان والأعمال الصالحة من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين ، فإذا ضعف الإيمان ، ونقصت الأعمال الصالحة ، فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه من طاعة الله : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ۗ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران / ١٣٨-١٣٩] .

فانصر رحمك الله دين الله بالعمل به ، والدعوة إليه ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، ولن ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا كما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ ﴾ [العصر / ١-٣] . وانصر إخوانك المؤمنين ، الظالم منهم والمظلوم ، الظالم تكفه عن الظلم ، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم ، وتعطيه إياه إن قدرت : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء / ١١٤] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ : « تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ » أخرجه البخاري ^(١) .

واعلم وفقك الله لِمَا يقرُّ بك إليه أنه لا يكون مخلوق إلا من خالق ، ولا يكون مغلوب إلا من غالب ، ولا يكون منصور إلا من ناصر : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۗ وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر / ١٣-١٤] .

واعلم أن النصر عزيز فاطلبه من الناصر بأسبابه المشروعة : ﴿ يَأْتِيهَا الذَّبَابُ ۗ ءَامَنُوا إِذَا

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٤) .

لَقِيتُمْ فِيهَا فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا
فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ [الأَنْفَالُ / ٤٥-٤٧].

وإن أردت أن تكون غالباً لأعدائك ، فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله، بفعل كل
ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والتقوى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبْغِ
أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الشورى / ١٥].

وقد وعد الله ﷺ المجاهدين في سبيل الله بالهداية فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦٩].
فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهاداً في سبيل الله.

وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد
الشیطان، وجهاد الدنيا: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾
[العنكبوت / ٦].

فمن استعان بالله، وجاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبيل رضاه الموصلة إلى الجنة:
﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج / ٧٨].

فمن انتصر على هذه الأربعة نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه غلبه عدوه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس / ٧-١٠].
واعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر على نفسه وهواه، ونصر دين الله، وجاهد في سبيله، فهو
منصور في الدنيا والآخرة، وعدوه مخذول: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر / ٥١-٥٢].

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى الله ورسوله، فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا
والآخرة: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء / ٢٢].

فهو مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد، والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وأسر
الشیطان له، فأينما يوجهه لا يأت بخير، بل يأت بكل شر وفساد، وهو يظنه خير وصلاح: ﴿ قُلْ هَلْ

نَنْتَبِهُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ﴿الكهف/ ١٠٣-١٠٥﴾.

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق، وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف/ ٣٦-٣٧].

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقُذِفَ به في السعير، ونُسي في العذاب كما نسي دين الله في الدنيا: ﴿فَأَمَّا يَا نَبِيَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَذَىٰ إِنَّا فَتَنَّا بِهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِي ﴿١٣٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ وعبادك المؤمنين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا برحمتك واصرنا عما شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الوارث

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر/٢٣].

الله ﷻ هو الوارث الحق ، الباقي بعد فناء الخلق ، الوارث الذي يستردهم ويسترد أملاكهم وأموالهم بعد موتهم: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدْرَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس/٨٣].

وهو سبحانه خالق الخلق، ومالك الملك، الذي يتصرف في البقاع والأموال كيف شاء، يورثها من يشاء ، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف/١٢٨].

هو سبحانه الوارث الذي ترجع إليه جميع الأملاك بعد موت الملاك، ويعود إليه كل مالك وما ملك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم/٤٠].

هو سبحانه الوارث الذي كل شيء ملكه ، وهب لك منه ما شاء ليمتحنك ، فهو ملكه في يدك ، وسيرته من وهبه لك: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر/٢٣].

والأرض لله يورثها من استقام على أمره ، ليستعين بها على طاعته: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [١٠٥] **إِن فِي هَذَا بَلَاغٌ لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ** [١١٦]. [الأنبياء/١٠٥-١٠٦].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت ، وارث الخلق أجمعين ، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم/٤٠].

فسبحان الوارث الباقي بعد فناء الخلائق ، الحي الذي لا يموت ، الوارث الذي له ميراث السموات والأرض ، الوارث لكل مالك وما ملك: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران/١٨٠].

واعلم أن الملك الحق ﷻ صادق الوعد ، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال وصدق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/٥٥].

ووعده عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة ، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِآلِغَيْبٍ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ [مريم/ ٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، الوارث الباقي بعد فناء الخلق ، وكل ما سواه فان زائل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٤﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) [الرحمن/ ٢٦-٢٧]. هو الملك الذي إليه ﷻ المرجع والمنتهى ، وإليه المآل والمصير ، وإليه يرجع الأمر كله ، الوارث الذي يرث الملك والملوك ، والملوك والعبيد ، والخلق أجمعين ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ (٢٣) [الحجر/ ٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله ، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين ، وينزع الملك ممن عصاه من أعدائه وأعداء رسله وعباده المؤمنين ، ويورثه من آمن به وأطاعه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٧) [الأعراف/ ١٣٧].

فسبحان من يؤتي الملك هذا ، وينزعه من هذا ، بأمر واحد ، ووقت واحد : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) [آل عمران/ ٢٦].

وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً يورث المؤمنين ديار الكافرين ؛ لأنه القادر على كل شيء ، الوارث لكل شيء : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

هو القوي العزيز الذي يُمكن لأوليائه في الأرض ، ويكفيهم شر أعدائهم ، ويدافع عنهم ، ويورثهم ملكهم بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمَّا نَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٥٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٣﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ

وَأَمْرُهُمْ وَأَرْضَانَهُمْ تَطَّوَّهُمَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ [الأحزاب/ ٢٥-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم، وكتابه كريم، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح، يورثه من اصطفاهم لعبادته، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

• التعبد لله ﷻ باسمه الوارث:

اعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي بيده مقاليد الأمور، وله خزائن السموات والأرض، يورث من يشاء من عباده ما يحبه ويرضاه.

فأسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والعمل بطاعته، والكف عن معصيته، وأن يجعل ذلك في ذريتك كما سأله زكريا ﷺ فأجابته: ﴿وَرَكَّبْنَا آدَامَ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً مع الوارثين الذين يرثون الفردوس في الجنة بإيمانهم، وحسن صفاتهم، وعبادة ربهم، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى خلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

وإذا ورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله وصفاته ودينه فعلمه عباده تكن ربانياً من ورثة الأنبياء، فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر يستفيد منه ويفيد غيره: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن جميع الأقوال والأعمال موروثه، ومحاسب عليها، فأحسب أقوالك وأعمالك وأخلاقك، وأخلصها لربك، يسرك ما فعلته يوم تلقاه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ﴿٨﴾ [الزلزلة/٦-٨].

واعلم أن الإنسان إذا مات قال الناس: ماذا خلف؟ وقالت الملائكة: ماذا قدم؟ فاجتهد أن تكون قبل الموت جامعاً للخيرات، مسارعاً إلى كل عمل صالح، وتكون بعد الموت وارثاً يرث ثواب الإيمان والأعمال الصالحة في الجنة: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُوفُونَ ﴿٧٣﴾ [الزخرف/٧٢-٧٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/٨].
 ﴿رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّْا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة/١٢٧-١٢٨].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا عالم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، يا ذا العرش المجيد، يا وارث كل وارث، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، لا إله إلا أنت.

أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

الوكيل

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران / ١٧٣].

الله ﷻ هو الوكيل الحق الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق ومعايشهم ومصالحهم في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء / ١٣٢].

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء، الذي جميع المخلوقات تحت كفالته ووكالته، وتديره وتصريفه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد / ٢].

وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه وحفظه وحفظ كتابه من التحريف والزيادة والنقصان: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر / ٩].

فسبحان الملك الحق الذي كل الأمور موكولة إليه، القادر على كل شيء، الوفي بإتمامه، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفالتهم، وأمرهم جميعاً بيده، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ نُورِيُّ الْمَلِكِ مَنْ نَشَاءُ وَنَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ يُبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

واعلم رحمك الله أن الوكيل له معنيان :

الأول: عام: فالله ﷻ هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم، وتدير أمورهم، ورعاية مصالحهم، الوكيل على جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٦] له، مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴿١٦﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

الثاني: خاص: فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن التجأ إليه، الحافظ لمن اعتصم به: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٢] [الطلاق / ٣].

فتوكل على الله وحده، واتخذة وكيلاً يكن لك نصيراً، ولا تلتفت إلى ما سواه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [٥٨] [الفرقان / ٥٨].

فسبحان الوكيل الحق القائم على خلقه بالتدبير والتصريف ، والأرزاق والأقوات ، والوقاية من الشرور والآفات ، والنصر والحفظ لأوليائه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امثال الأمر؛ لأنهم كلهم عبيد ، والأمر كله لله وحده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف في العالم العلوي والسفلي من آثار اسمه الوكيل ، وهي مبثوثة في العالم كله كغيرها من صفات الحق التي أوجدها في العالم ، ليرى الخلق عظمة أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، فيعبده بمقتضاها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٤﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

فانظر في الملك والملكوت ترى جميع الخليقة في قبضة الخالق الحق ، مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة لإرادته ، وخاضعة لأمره ، وجارية على حكم تسخيرها ، مُصَرَّفة بتدبيره على سنن قبضه وبسطه ، إن أذن بشيء كان ، وإن لم يأذن به لم يكن : ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْحَقَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والعبد المتوكل على الله حقاً لصحة توحيد وثبات يقينه لا يرى إلا الله رب كل شيء، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه ، حسبه الله وحده في جميع أموره: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة ، ومن ذاق عرف، ومن عرف عرف، ومن أبصر استبصر: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧١﴾﴾ [النمل/ ٧٩].

وقد يشهد اللسان والقلب غير مكذب ، لكنه غير مشاهد ولا حاضر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق/ ٣٧].

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى ، وبها يتم مراد الله منهم ، ومرادهم من الله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه، وصدق التوكل عليه، والعمل بشرعه، حرّم الجبار على أعدائه من شياطين الإنس والجن والبهائم والظالمين وجميع المؤذيات أذاه تحريماً كونياً، كما حرم على المؤمنين أذى المسلم وغيره بأمره الشرعي: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٣].

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا باري الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق وصفاتهم ومعاشهم، فتوكل عليه يعطيك ويكفيك: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٦].

وحقيقة التوكل الاعتماد على الله الوكيل وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣].

فسبحان الوكيل الحق الذي كل العالم العلوي والعالم السفلي ملكه وفي قبضته، وكل ما فيهما مقهور بأمره، مستجيب لمشيئته، مسرع إلى إرادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

واعلم أن الوكيل الحق من أجل أن تتوكل عليه، وتفر إليه، وتعتمد عليه، ملأ هذه الدنيا بالمصائب والهموم والمخاوف، وشحنها بالقلق على الرزق والأهل والأموال والأولاد، لتكون عبداً له، واقفاً بباب عبوديته، فاراً منها إليه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة / ٥١].

واعلم أن هذه الدنيا الحياة فيها مشوبة بالنعمة والمصائب، والسراء والضراء، والعز والذل، والمحبوب والمكروه، لأنها محل الابتلاء، ومعرفة الموحد من المشرك، والصادق من الكاذب: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت/ ٢-٦].

أما الآخرة فهي للمؤمن خير محض ، حياة بلا موت ، ونعيم بلا شقاء ، وشباب بلا هرم ، وعافية بلا مرض ، وأمن بلا خوف : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكلما زاد إيمان العبد قوي توكله على ربه ، وشكا همومه إلى ربه الوكيل لا إلى غيره : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخِشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٧٣-١٧٥].

وكلما نقص إيمان العبد ضعف توكله على ربه ، فلا تجده إلا يشكو أحواله إلى غيره من كل من يلقاه ؛ لجهله بالوكيل الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

ولا يتوكل على الله حقاً إلا من آمن به حقاً ، وعرف أنه القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، والخير بكل شيء ، المحيط بكل شيء : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يستطيع أحد أن يتوكل على الله حقاً إلا إذا عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا عرفه توكل عليه ، وفوض أمره إليه ، ورفع شكواه إليه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن توكل على الله كفاه وأغناه ، وأثابه وأرضاه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن توكل على غير الله ضل وقل وذل وحريم وخسر : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

نَدْعُوتُ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر / ١٣-١٤].

واعلم أن الله ﷻ وحده هو الوكيل الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وهو الملك الذي يدبر الملك والملکوت بحكمته ورحمته.

يقبض لیسط .. ویدل ليعز .. ويمنع ليعطي .. ويخفض ليرفع.

ونعم الله بالشدائد أعظم من نعمه بالرغائب، ولهذا كان الأنبياء أشد الناس بلاء: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَاظُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ لَا يَرُدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف / ١١٠].

والامتحان لا يكون في الرخاء، إنما الامتحان في الشدة؛ لأن توحيد العبد وإيمانه لا يظهر إلا في الشدائد، ولا يرقى عند الله إلا في الشدة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة / ٢١٤].

فكل شدة وراءها شدة إلى الله، وكل محنة وراءها منحة، ومن صبر على الأحكام، ورضي بالأقدار، فقد بلغ ذروة الإيمان، ومن استوى عنده العطاء والمنع، والبسط والقبض، والغنى والفقر، فقد رضي عن الله الوكيل الرحيم الذي يضع الشيء في موضعه: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل / ٩].

واعلم أن كل شيء وقع أراده الله بالحكمة المطلقة المتعلقة بالخير المطلق.

فإذا أصاب الله عبده بالضر فلا أن في الضر دواؤه وشفاءه كالطبيب يجرح المريض لينزع منه الداء ليتمتع بالعافية.

وكذلك الله رؤوف رحيم بعباده لن يُسلم عبده، ولن يتخلى عنه، ولن يضره، إنما لما مرض قلبه ابتلاه بالمكروه، ليوصله إلى المحبوب، ويذكره بمولاه، ليتوب إليه ويتوجه إليه: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٢١٦].

فصفة الضر والقبض والخفض والمنع لله تفهم هكذا، وأي فهم آخر لمثل هذه الصفات يعد كفرًا وإلحادًا في أسمائه الحسنی: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمِيهِ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فالنعمة طعمها حلو، لكنها قد تغطي الإنسان، والبلاء كالدواء الكريه، لكنه يشفي بإذن الله، والبلاء كالضيف لكنه ضيف مؤلم، يدخل ويخرج وقد حمل الإنسان على التوبة والرجوع إلى ربه، أو تُرفع به درجات العبد، أو تكفر عنه سيئاته: ﴿وَلَنَبَلِّوْكُمْ شَيْئًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّادِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن كل من ظن أو توهم أن الله يسوق البلى والشدائد تشفياً من العباد فقد تنكب سبيل الرشاد، وساء ظنه بالله الرحمن الرحيم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

هو سبحانه الوكيل العليم الخبير الذي يتلى الإنسان بالمصائب، ليصفو توحيده، ويزيد إيمانه، حتى لا يطلب دفع الضر والبلاء إلا من جنبه، ولا يقف عند الشدائد إلا عند أعبابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن من اعتقد أن أحداً سوى الله يستطيع أن يضر أو ينفع فقد أشرك: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

واعلم أن من استقام على منهج الله هداه الله سبل السلام، ومنحه الأمان، ولا يرضيه ولا يليق به أن يعذبه أو يذله أو يحزنه أو يمرضه أو يفقره، لكن الله لحكمته البالغة لا بد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد التي تحمله على الرجوع إلى ربه والتوبة إليه: ﴿وَلَنَبَلِّوْكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلِّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد/ ٣١].

وكلما كان الإيمان أقوى كان الابتلاء أشد، وكلما كان الانحراف أشد كانت الضربة قاسية، والناس مختلفون في التوبة، منهم من يتوب بالكلام الناصح، والآخر بالوعظ القاسي، والآخر لا يرجع إلا بضرب العصا، والآخر بالعذاب الشديد: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [المؤمنون/ ٧٦-٧٧].

واعلم تَوَّرَ اللهُ قلبك بالإيمان أنه لا يقع نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا خير ولا شر، إلا

بإرادة الله ومشيئته : ﴿ فَأَن تَذَهَبُونَ ﴾ (٢٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَفِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير/ ٢٦-٢٩].

فالنفع من الله ، والضر من الله والعاصي هو السبب، والعطاء من الله، والمنع من الله والعاصي هو السبب ، والعافية من الله ، والمرض من الله، والإنسان هو السبب : ﴿ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

والحسنة من الإنسان فعلاً ومن الله تفضلاً ، والسيئة من الله قدراً ومن العبد سبباً : ﴿ أَيَنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مَن عِنْدَ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مَن عِنْدَ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ [النساء/ ٧٨-٧٩].

واعلم أن جميع المخلوقات تفعل فعلها بمشيئة الله لا بقوة فيها ، فالله وحده الذي يملك النفع والضر وحده لا شريك له : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، الهادي الذي يهدي من شاء الهداية ، ويضل من أصر على الضلال : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا صُومٌ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣١) [الأنعام/ ٣٩].

فمن طلب الهدى هداه الله ، ومن أصر على الضلال أضله الله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥) [الأنعام/ ١٢٥].

هو الوكيل الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨) [الأعراف/ ١٨٨].

• التوكل على الله ﷻ باسمه الوكيل :

التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء، ودفع الضراء، من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

والتوكل من أعظم أنواع العبادة ؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة ، والنصرة الظاهرة ، والثواب العظيم: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل/ ٧٩].

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد، كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل/ ٩].

والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي:

التوحيد... والزهد... والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية .. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [١] ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٣] [الطلاق / ٢-٣].

وعلامة المتوكل الصبر، وكتمان الحاجة ، وإظهار الغنى للناس ، وإخفاء المسكنة وإن مسه الضر ، ودوام ذكر الله بكل جميل ، وحمده وشكره في كل وقت وحال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٤١] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٤٢] [النحل/ ٤١-٤٢].

والتوكل على الله درجات، وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل، والأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِغِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [١] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٢] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [٣] [الأحزاب/ ١-٣].

فالداخل في الأسباب بالسنة ، الخارج عنها بالنية أفضل ؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة ، وحقيقة التوكل ، فيتوكل على الله بقلبه، ويفعل الأسباب بجوارحه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

فخذ بالأسباب المشروعة، وتوكل على الله وحده، تنال أجرهما معاً: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال/ ٦١].

والتوكل الحق على الوكيل الحق أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله ، وأن كل شيء بيده ، وكل شيء تحت تدبيره لم يشرك في حكمه أحداً: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف/ ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأماني، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيء كان، أو شيء لم يكن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء/ ٦٥].

وبالإيمان تكون الهداية ، وبالتوكل تكون الكفاية ، وبصدق التوحيد يكون التوكل ، ومن سلم لله أمره كله كفاه الله أمره كله : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن لكل شيء وقت وتقدير ، والعمل للدنيا والآخرة مشروع مطلوب، فاعمل وتوكل ، ولا تستعجل ما تريد ، فالوكيل يرى ما لا ترى ، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور ، وإصلاح الأحوال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكل امرئ ميسر لما خلق له ، فاجتهد في طاعة مولاك معتمداً عليه وحده ، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل/ ٤-١٠].

وسيرى عمله يوم القيامة وهو يعمله : ﴿يَوْمَ يَدْعُ النَّاسُ أَسْمَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه نوعان :

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية.

الثاني: التوكل على الله في حصول ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والتقوى والعمل

الصالح، والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق التي يبغضها.

وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يحصيه إلا الله ، فمن توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومن توكل على الله في الأول دون الثاني كفاه أيضاً، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرِكَ عَلَى مَاءٍ أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [١٢] .
فاعمل بطاعة الله ، واستقم كما أمرت ، وسارع إلى كل عمل صالح : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب / ٤٨] .

واعلم أن الله يحب من توكل عليه، ويؤيده بتوفيقه وعونه، فامض لما أمرك الله به، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .
واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وكل إليه جميع أموره ، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى / ١٠] .

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجَعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَعْفَؤْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال / ٢٩] .

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدده ووعيده تكون ثقتهم بضمانه ورضاهم بكفالاته ، فيُسَلِّمُون أنفُسهم إلى ربهم في جميع أمورهم ، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأُنس، وروح الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب ، فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَانِيًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن طاعة الله ورسوله فضل من الوكيل الحق عليك ، فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من الطاعة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] .
وهو العزيز الحكيم ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة / ٢-٤] .

فسبحان الوكيل الحق ، وما أعظم إحسانه ، يعطي الجزيل للمتوكل عليه ، ويشني بالجميل على المفوض إليه ، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرصاً : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء / ١٧١].

بل يرزقه الوكيل ويعطيه من خزائنه، بما لم يخطر على باله ؛ لأنه الغني الكريم الوكيل الحق الذي يعطيه من نعمه كثيراً، ويضاعف أجره كثيراً، وخزائنه كافية ، وجنته وافية بكل ما يحب : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة / ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

هو الوكيل الحق الذي يخلق ما يشاء .. ويأمر بما يشاء .. ويفعل ما يشاء .. وهو الغفور الرحيم . يطعم المخاليق .. ويكشف الغم .. ويزيل الهم .. ويفرج الكرب .. ويغني الفقير .. ويجبر الكسير .. ويحيي الميت .. ويميت الحي .. ويصلح الفاسد .. ويقبل التائب .. ويغفر الذنوب .. ويستتر العيوب .. ويعدّل المائل .. ويشفي السقيم .. ويقضي الحاجة .. ويسد الفاقة .. ويهدي الضال .. ويؤمّن الخائف .. وينصر المظلوم .. ويهلك الظالم .. ويقصم الجبار .

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فاستقم رحمك الله على دينه ، واستسلم لأمره ، وتوكل عليه ، وارض بقضائه ، وفوض أمرك إليه ، وسارع إلى طاعته ، وسابق إلى مغفرته ، واحتسب ما تكره عنده وقل : ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩].

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه ، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء / ٣٦].

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بنشر الدين، وتعليم سننه وآدابه وأحكامه، فاعمل بها، وادع

الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله ، تنال من الأجر جزيله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المتحنة / ٤] .

﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٥] وَبِحَنَاءِ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [٨٦] . [يونس / ٨٥-٨٦] .

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه ^(١) .

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم ، واستهداك فهديتهم ، واسترحمك فرحمته ، واستنصرك فنصرتهم ، أنت حسبنا ونعم الوكيل .

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .
اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسئولين ، يا أرحم الراحمين .

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

النور

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

وعن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أتى أراه» أخرجه مسلم^(١).
الله ﷻ هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهراً وباطناً، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي بَصَّرَ الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه؛ لعظمة نوره الذي لا ينتهي له.

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تَبَدَّى لها: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

هو سبحانه النور الظاهر بنفسه، المظهر لغيره من ظلمة العدم إلى نور الوجود.

فسبحان النور الظاهر بذاته، المظهر لكل ما سواه من مخلوقاته وآياته: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

هو سبحانه النور الهادي الذي يرشد بهدايته من يشاء من عباده ، فيبين له الحق ، ويلهمه اتباعه .
هو سبحانه النور الظاهر الذي ظهر به كل ظاهر .

هو سبحانه النور الذي نَوَّرَ الكون كله بنوره الذي وسع كل شيء ، وَنَوَّرَ المخلوقات
الظاهرة بالشمس والقمر والنجوم ، وَنَوَّرَ القلوب بالتوحيد والإيمان .

واعلم أن الله نور إن اتصلت به أعطاك من نوره ما يدلك عليه ، ويعينك على عبادته ،
ويهديك إلى سبل مرضاته : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور/ ٤٠] .

ومن ملأ الله قلبه بنور الإيمان أبصر الطريق فوراً ، وأحسن التصرف ، وقال القول الحسن ،
وعمل العمل الحسن ، وتخلق بالخلق الحسن .

وإذا خلا قلب العبد من نور الإيمان خَبَطَ خَبَطَ عشواء ؛ لأنه أعمى فأساء التصرف ، وأساء
القول ، وأساء العمل : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي
الْظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فسبحان النور الذي نُورَ السموات العلى كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها
السموات والأرض من نوره، بل نور العرش والكرسي وجميع الجنات من نوره ، ونور
الشمس والقمر والكواكب من نوره « حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا
أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم^(١) .

وهو سبحانه النور الحق الذي نَوَّرَ قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته بأنوار معرفته بأسمائه
وصفاته وأنوار محبته حتى امتلأت قلوبهم بالأنوار المتنوعة ، والعلوم النافعة ، وخرت
خاشعة لعظمة ربها ، ونور جلاله وجماله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ

الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١] .

فسبحان من تعرّف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ونعمه التي لا تحصى ،
ليحبوه وحده ، وليعبدوه وحده ، وليعظموه وحده : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ

كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فمعاني العظمة والجبروت، والجلال والكبرياء، والقوة والقهر، تملأ قلوب المؤمنين بأنوار
الهيبة والتعظيم والإجلال للجبار القوي القهار ﷻ .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

ومعاني الجمال والبر، والإحسان والإكرام، تملأ قلوبهم بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى.

ومعاني اللطف والرأفة والرحمة، تملأ قلوبهم بأنوار الحب والحمد والشكر للمولى ﷺ .
ومعاني العلم والإحاطة، والمشاهدة والمراقبة والقرب، تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم ،
والخوف منه وطاعته ، وتوصلهم إلى مقام الإحسان .

وجميع أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، تملأ القلوب بأنوار التعظيم والحب ، وحسن
التعبد لله ، والتعلق التام بالله وحده ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/٢-٤].

واعلم أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور التوحيد والإيمان واليقين، فاض على الوجه، فاستنار الوجه،
واطمان القلب ، وانقادت الجوارح لطاعة الله ، وقيدها هذا النور عن معصية الله : ﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ الْغَابِنِ وَمَنْ
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن/٨-٩].

فسبحان النور الحق الذي أسماؤه وصفاته كلها نور ، وكتبه كلها نور ، ورسله كلهم نور ، وأولياؤه
كلهم نور ، ودينه نور ، ودار كرامته نور : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
بُشْرَتِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد/١٢].

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار كذلك يتفاضلون في الآخرة
في رؤيتهم ربهم ﷻ بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال : « إِنَّكُمْ
سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن النور قسمان :

نور ظاهر.. ونور باطن.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

فالباطن إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح واتسع، فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات، وكفت عن المعاصي والسيئات. وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور.

فالله ﷻ نور.. والقرآن نور.. ورسوله نور.. وآيات الله الكونية والشرعية كلها نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حلَّ نوره ﷻ بمكان طرد عنه كل الظلمات، وأبعد عنه الكدرة، فإن كان الجسم صقيلاً أشرق، وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَلْيَلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

واعلم أن الحكيم ﷻ لما أنزل الحق جعل ضده الباطل، ولما أوجد النور أوجد الظلام، فإذا جاء النهار أذهب الليل، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ففروا إلى الله ﷻ إني لكم منه نذيرٌ مبينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وإذا جاء الحق زهق الباطل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء/ ٨١]. وقد خلق الله ﷻ الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب.

فخلق سبحانه الجان من نار السموم، وخلق آدم من تراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» أخرجه مسلم^(١).

وإبليس من الجان، أضله الله من بينهم، ولعنه حين استكبر وكفر بالله، وطرده سبحانه من ملكوت السماء هو وذريته: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّا نَبْغِضُكَ بِمَا كُنتَ تَعْمَلُ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

﴿٣٥﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما أطفه في تدبيره.

مَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنْ خَالصِ النُّورِ وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ جَعَلَهُ اللهُ خَيْرًا كُلَّهُ ، يَعْمَلُ بِالْخَيْرِ ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَعِينُ عَلَى الْخَيْرِ: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [١٩]

﴿ [٢٠] ﴾ [الأنبياء/١٩-٢٠].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ النَّارِ وَهَمَّ الْجَانُ جَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ عِقَابٌ مِنْ كُفْرٍ وَكَذَبِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ وَأَتْبَاعَهُ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [٦] [فاطر/٦].

وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الْمَمْتَزَجِ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ مِنْ مَاءٍ وَتَرَابٍ جَعَلَ أَعْمَالَهُمْ مَمزُوجَةً إِلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ .

فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ .. وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ .. وَالْكَرِيمُ وَالْبَخِيلُ .. وَالْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ .. وَالسَّعِيدُ وَالشَّقِي .
وَأَعْمَالَهُمْ مَمزُوجَةٌ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ ، وَمَأَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [٧] [الشورى/٧].

وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَهَدَاهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ الْعَلِيمُ الَّذِي شَرَعَ السُّنْنَ وَالْأَحْكَامَ ، لِيَبِينَ لِلْمُعْتَبِرِينَ عِظْمَةَ مَلِكِهِ ، وَكَمَالَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَأَصْنَافَ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَأَنْوَاعَ إِحْسَانِهِ ، وَحِكْمَ الْأَحْكَامِ وَفَضْلَهَا عَلَى الْإِضَاعَةِ وَالْفَوْضَى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١٤٩] [الأنعام/١٤٩].

فَسَبَّحَانَ الْمَلِكِ الْحَقِّ الَّذِي يَجْرِي فِي مَلِكِهِ الْعَظِيمِ مِنَ التَّصْرِيفِ وَالتَّدْبِيرِ مَا لَا يَحْصِيهِ إِلَّا هُوَ :
مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ .. وَنُورٍ وَظِلَامٍ .. وَحَرٍّ وَبُرْدٍ .. وَحَيَاةٍ وَمَوْتٍ .. وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ .. وَبَسْطٍ وَقَبْضٍ .. وَعَطَاءٍ وَمَنْعٍ .. وَخَيْرٍ وَشَرٍّ : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤٩] [الذاريات/٤٩].

أَمَّا النُّورُ الظَّاهِرُ فَمَا جَعَلَهُ اللهُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالنَّارِ وَالْأَبْصَارِ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] [يونس/٥].

وَاعْلَمَ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ مَا فَوْقَنَا نُورٌ سَاطِعٌ يَزِيدُ عَلَى التَّدْرِيجِ فِي الْعُلُوِّ ، وَمَا تَحْتَنَا ظِلَامٌ مُعْتَمٍ يَزِيدُ عَلَى التَّدْرِيجِ فِي السُّفْلِ .

فَمَا فَوْقَنَا كُلَّهُ نُورٌ ، يَزِيدُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، ثُمَّ يَزِيدُ فِي الْكُرْسِيِّ ، ثُمَّ يَزِيدُ فِي الْعَرْشِ ، حَتَّى

يصل إلى النور الحق ﷻ الذي كل نور في العالم من نوره: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فَمَنْ عَمِلَ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى مَوْضِعِ النُّورِ، فِي الْجَنَّةِ، فِي السَّمَاءِ، فِي الْعُلُوِّ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].

ومن عمل بمعصية الله سجنه الله في الظلام، في طبقات النار، في الأرض، في أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

واعلم أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضدًا من رحمته يقاومه.

فَمَنْ عَبَدَ هَذِهِ النَّارَ فِي الدُّنْيَا يَرِيدُ النُّورَ، سَاقَهُ اللَّهُ إِلَى ظِلْمَاتِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فإن جهنم أعادنا الله وإياكم منها أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلمة في هذه الدار من حر شديد، أو برد شديد، تذكرة من الرحيم بالنار الكبرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» متفق عليه ^(١).

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم يُذَكَّرُ الله بها عباده ليتقوه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرَمَعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم» قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فإنها فصلت عليها تسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها» متفق عليه ^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته، وملاً العالم نوره، وأحاط بكل شيء علمه، ووسع كرسية السموات والأرض، وأحاط بجميع مخلوقاته بعرشه العظيم، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه وهو مستوعب على عرشه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

سبحانه لا تُعد مخلوقاته، ولا تُحصى نعمه، ولا يُحاط بجنوده: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء، وبيده كل شيء، والعالم كله دليل على وجوده، قائم كله بأمره، ومقهور بإرادته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى طاعته: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

هذا نور من العلم ساطع لأبصار العقول، وضيء واضح لبصائر الفهوم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم/ ١٠].
والعالم كله مشرق بنور الله المشرق فيه ظاهراً وباطناً كالبيت مليء سرجاً ومصباح فأشرق بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٣٥].

فاصعد بفكرك لمعرفة جلال أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، تبصر الهدى بنور الحق المبين: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق ﷻ سطع نوره في قلبك، وغلب كل نور، فأبصرت ملكاً عظيماً ملاً الكون نوراً وجمالاً وإحساناً.

كلامه نور، وأسماؤه وصفاته وأفعاله كلها نور، وكتبه نور، وورسله نور، ودينه نور: ﴿ذَلِكَ مِمَّا رَّبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٦].

الْأَبْصَرَ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهتدي بنوره من في السموات ومن في الأرض ، الذي بنوره يبصر ذو العماية ، وبهدايته يرشد ذو الغواية ، الذي نور السموات والأرض من نور وجهه ﷻ .

وهو سبحانه النور الذي ملأ الدنيا بنوره ، وملأ الآخرة بنوره ، وملأ الجنة بنور وجهه ، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر/ ٦٩].

ويمنع نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعة، نعوذ بالله من سخط الجبار، وعذاب النار: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ﴿١٧٥﴾ [البقرة/ ١٧٥].

اللهم لا طاقة لنا بنار جهنم، فارحمنا وأنت خير الراحمين ، واغفر لنا يا خير الغافرين .

• التبعّد لله ﷻ باسمه النور:

احرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار ، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق ﷻ ، وتنعم بالنور في الدنيا والآخرة .

واعلم أن مَنْ تعرّف على النور الظاهر من الباطن، ومواضعه ومسالكه في العالم، يجد أن الله هو النور الحق الذي لا إله إلا هو ، ملأ الكون كله بنوره كما ملأه بإحسانه .

نور السموات والأرض، ونور الظواهر والبواطن ، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم، ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الكبرى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنٰى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

ونور سبحانه قلوب المؤمنين وصدورهم بالإيمان والإخلاص والتوحيد ، ونور العقول بأصناف العلوم، وأنواع الدلائل والبيّنات ، ونور الأبدان بأنواع العبادات وأصناف الطاعات ، ونور الأسرار بمحاسن الأخلاق وجميل الصفات : ﴿ فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿٨﴾ [التغابن/ ٨].

ونور ﷻ العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته،
 وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَزَيْنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ
 فُرُوجٍ ۖ ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْتَهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رِوَايَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ
 عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق / ٦-٨].

ويرى ذلك النور العظيم مَنْ صَدَقَ فِي الطَّلَبِ ، وَتَقَى قَلْبَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا تَرَاكَمَ عَلَيْهِ مِنْ ظُلُمَاتِ
 الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَنَقَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ
 يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِكُرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد/ ١٩].

فاجتهد في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن ؛ لترى الحق حقاً وتتبعه،
 وترى الباطل باطلاً وتجنبه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْ مَائِدَعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
 الْبَاطِلُ وَأَبْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج/ ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيماناً و يقيناً وعلماً: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك، يشرق النور في قلبك وجوارحك، ويجملك نور الإيمان
 ظاهراً وباطناً ، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك : ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٣٥].

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يكتسب ، بل هو من قبيل العطايا والمواهب
 الربانية ، وهو ميراث حُسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
 سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وذلك أن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور مكتسبة لا
 تُنال إلا بها : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣٨) الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿٣٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله عز وجل، وتقوى الله ثمرة معرفته
 بأسمائه وصفاته : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ
 لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٨) [الحديد/ ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمناً للإيمان والتقوى .

وعلى قدر معرفة الله تكون التقوى ، وعلى قدر تقوى الله يكون حُسن الطاعات ، والتطهر من

الأدناس والمعاصي ، والطاعات كلها نور ، والمعاصي كلها ظلام : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ
فَسُدَّخِلَهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء/ ١٧٤-١٧٥].
وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور، فيمتلئ قلبه نوراً ، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد
كل ظلام.

فتصبر بالنور.. وتسمع بالنور.. وتفكر بالنور.. وتتكلم بالنور.. وتعمل بالنور.. وتدعو
بالنور.. وتتعلم بالنور.. وتعلم بالنور.. وتعيش بالنور.. وتمشي بالنور: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته
بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي
بالتواضع حتى أحبته .

فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ
الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ ، وَلَئِن أَسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذْتَهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ
تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري ^(١).

واعلم رحمك الله أنك إن بلغت في الطهارة والعبادة، ولم تنفرغ للنظر والتدبر والتفكر في
معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، والنظر في ملكوت الله، لم يتم لك هذا الأمر، ولم
ترتفع عن درجة عموم المؤمنين إلى درجة العلماء الربانيين، الناظرين في ملكوت ملك
الملوك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ
وَمُتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا أراد الله بك خيراً فتح لك أبواب التعرف عليه، والقرب منه، فوصلت التقوى بالنظر والفكر ،
ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه ، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به ، وجمعت بين علم
الجوارح ، وعلم القلوب ، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك ، وتجنبت ما يسخط الله
عليك ، وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٧-٢٨].

وإذا علمت هذا فحينئذ اتصل بك الحبل، واستبان لك السبيل: ﴿فَأَسْمِسْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كُنَّا عَلَيْكَ صَرِطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].
وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه، وحدة بصره وعقله بقدر تفرغه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله بقدر التفكير والتدبر: ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤنة، وكشف البلوى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت بنوره الحق الذي خلق به السموات والأرض، بنوره الحق الذي أنزله على رسله، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين ﴿يُدَبِّرُ الْمُلْكَ﴾ يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].
﴿فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته، فاسجد له واعبده وحده لا شريك له: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].
وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

وإذا علمت أن ربك أنزل النور، وهداك لهذا النور الذي أبصرت به الحق من الباطل، وعرفت به الخير من الشر، فانشر هذا النور بين الخلق، لتمتلي القلوب بنور الإيمان، وتنقاد الجوارح لطاعة الرحمن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

واستغفر ربك في كل وقت، وسبح بحمده ما بقيت، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر/١-٣].

واعلم أن أشد الناس حباً لله، وأكثرهم ذكراً له، وأصدقهم مناجاة له، وأحسنهم عبادة له، هم أعرف الناس بالله، وأعلمهم بأسمائه وصفاته وإحسانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ إِنْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/٩].

واعلم أن من أراد الله عز وجل عصمته عاد عليه برحمته، فأعانه على طاعته، وحماه من معصيته، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه، وأشغل أوقاته فيما يقرب إليه مما يحبه ويرضاه. فتراه ذاكراً لربه .. مسبحاً بحمده .. مكبراً له .. مستحياً منه .. مُجِلاً له .. مطيعاً له .. مستغفراً له. قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء .. وأذهلته هيبه الجلال والجبروت .. ومَلَكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه حباً له، وكلفاً بقربه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/١٧-١٨]. وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته بالتعظيم والإجلال لربه، وحمده وشكره على نعمه، وخشيته والافتقار إليه، وكثرة التسبيح والتحميد له، ولزوم الاستغفار، واتباع السنة، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/٢-٤].

وفي مقدمة هؤلاء الصفوة الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من المؤمنين، والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/٦٩-٧٠].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين ، فأزال الله به الشرك والجهل ، ورضي عنه، وصلى عليه فصل عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

واعلم أن من قعد على كرسي الجهل والهوى والكبر، فلن يبصر الحق أبداً ، ولن يقوم من كرسيه إلا إلى نار جهنم : ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ ءَاعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ءَاعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٢].

وأولئك أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿ رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم/ ٨].

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمِي لِي نُورًا »
أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا نور السموات والأرض ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين ، ونبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريب ، فاغفر لنا وارحمنا، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣) .

المقدم .. المؤخر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء : « رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ ، وَعَمْدِي ، وَجَهْلِي ، وَهَزْلِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فِيمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمَحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه^(٢).

الله تعالى هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت خلقاً وتدبيراً .

يفعل ما يشاء .. ويحكم بما يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .. ويعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

وهو سبحانه المقدم الذي يرفع أوليائه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنازل ، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه عن تلك الرتب والمنازل : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين/ ٤-٨] .

وهو العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧١٩) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴿المجادلة/ ١١﴾.

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي يملك التقديم والتأخير وحده لا شريك له ، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته ، وكمال مشيئته، وكمال حكمته ، وكمال علمه ، وكمال عدله، وكمال رحمته .

فسبحان المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في مواضعها، وكل ذلك بعلمه وإرادته وحكمته : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ ﴿فاطر/ ١٣﴾.

قدّم المقادير قبل أن يخلق الخلائق، وقدّم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته : ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿القمر/ ٤٩-٥٣﴾.

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه ؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وأخر من شاء من عباده بعدله ، لا مقدم لما أخطر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١١﴾﴾ ﴿البقرة/ ٢١٦﴾.

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني، وأمره الشرعي .

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، والمواليد والثمار ، والتصريف والتدبير في الكون : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿الأعراف/ ٥٤﴾.

فكل مخلوق له وقت ، وله مكان ، وله حجم ، وله مسار لا يتعداه فيسبق غيره ، ولا يزامه فيعطل حكمته : ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

[يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الملك الحق الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٤٠] ﴿[الروم/ ٤٠].

وتقديمه وتأخيره الشرعي كما فضّل الأنبياء والرسل على الخلق ، وفضّل بعض الأنبياء على بعض ، وفضّل بعض العباد على بعض ، وفضّل بعض المؤمنين على بعض ، وقدمهم في العلم والإيمان والأعمال والأخلاق بفضله ، وأخر من آخر منهم بحكمته وعدله : ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَمَا لَهُ مِنَ اللَّهِ مِنْ فَضْلٍ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢] ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [١١٣] ﴿[آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

فسبحان من يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله ، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [١٨] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٩] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [٢٠] ﴿[السجدة/ ١٨-٢٠].

وكما فضّل سبحانه بعض العبادات على بعض كتقديم الفرض على النفل ، وتقديم حق الله على حق غيره ، وتقديم الوضوء على التيمم .

وكما فضّل بعض الأيام على بعض ، وبعض الليالي على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، وبعض الأوقات على بعض ، وبعض الأماكن على بعض : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١٨] ﴿[القصص/ ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان والمكان والرتبة ، والقرب والبعد ، والحب والبغض ، والقوة والضعف : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [١٠] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [١١] ﴿[لقمان/ ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشيئته وحكمته ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٣] ﴿[يس/ ٨٢-٨٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه المقدم والمؤخر:

اعلم ختم الله لنا ولك بخير أن الله اصطفى آدم ﷺ وذريته على من سواهم .

فقد خلق الله آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وجعله وذريته خلفاء الأرض: ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وفضل هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرة وعبرة لهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وقدمهم في المقام والثواب، وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا ، السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » متفق عليه (١).

واعلم أن الله خص هذه الأمة بأحسن دين وأكملها فقال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

وكلفهم ورعهم وشرّفهم بأحسن عمل وأشرف وظيفة وهي الدعوة إلى الله ، وظيفة الأنبياء والرسول فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

وجزاهاهم على الدعوة إلى التوحيد، والعمل بالتوحيد، بأحسن الجزاء فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس/ ٢٦].

فله الحمد والمنة أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس ، وهدانا إلى الإيمان ، ووقفنا لطاعته وعبادته: ﴿ هُوَ أَجَبَبَكُمُ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج/ ٧٨].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر وحده لا شريك له ، والأمر كلها بيده .
 فمن كتب الله له عزاً ورفعة وتقدماً فلن يستطيع أحد حرمانه من ذلك : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر / ٢٢] .
 ومن كتب الله له ذلاً وخذلاناً وتأخيراً لم يستطيع أحد عونه للخلاص من ذلك : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ﴿١٧﴾ [الكهف / ١٧] .

فالأمر كله لله من قبل ومن بعد ، والعبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته ، أو خفضه أو رفعه ، أو تقدمه أو تأخره ، أو نصره أو خذلانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

إن اهتدى الإنسان فبهداية الله إياه ، وإن ضل فبصرفه عن الهدى كما انصرف عنه : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ [يونس / ٢٥] .
 ومن زاع عن الحق صرفه الله عنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥﴾ [الصف / ٥] .
 فالقلوب كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء ، لا يمتنع عليه شيء منها ، من شاء أقامه بفضله ، ومن شاء أزاعه بعدله ، وهو أعلم بمن يصلح لهذا أو هذا ؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال كتبه ، وإرسال رسله ، وبيان الحق من الباطل ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ [الأنعام / ١١١] .

وبعد ذلك من شاء الله هداه إلى الحق ، ووقفه إليه بفضله ، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [يونس / ٩٦-٩٧] .

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده ، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه ، من النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وغير ذلك مما يكون به تقدمه ونيل محابه ورضاه ، وهو مأمور كذلك بالبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره ، والوقوع في سخط الله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ﴿٦﴾ [الأرض مددنتها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴿٧﴾ تبصرة وذكراي لكل عبد منيب ﴿٨﴾ [ق / ٦-٨] .

وقد بين الله ﷻ سبل رضاه، وبين سبل سخطه، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه، ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه، ثم قال: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧) ﴿[المذثر/٣٧].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له، وهو الكريم الذي بين الحق من الباطل، ورغب في الحق، وحذر من الباطل: ﴿إِنَّ هَذِهِ نَذِيرَةٌ لِّمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٣١) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١) ﴿[الإنسان/٢٩-٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده، المقدم من أطاعه، المؤخر من عصاه: «أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» أخرجه مسلم (١).

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها السر والعلانية، والخطأ والعمد، والمتقدم والمتأخر: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٩) ﴿[المائدة/٣٩]. فالذنوب تُتوبُ العبد وتؤخره، وغفران الله له يرفعه ويقدمه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٦) ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (٧٥) ﴿[طه/٧٤-٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له، وكمال الذل بين يديه، والطمع فيما عنده، وحسن اللجوء إليه، وصدق التوكل عليه، وعدم اليأس من رَوْحه، وعدم الأمن من مكره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَىٰ اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٣) ﴿[التغابن/١٣].

وقدم ما قدم الله ورسوله من الأقوال والأعمال والأخلاق، وأخر ما أخر الله ورسوله، وأحب ما أحب الله ورسوله وافعله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله واحذره: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥) ﴿[الأنفال/٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه، ويراك حين تتأخر عنه، فقدم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٢٤) ﴿[الحجر/٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح أبوابه للراغبين والتائبين أن يعينك على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

قدمت ومما أخرت، فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].
 ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٢٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].
 ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحزاب/ ١٥].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).
 « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(٢).

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(٣).
 « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(٤).

اللهم قدّمنا لما تحبه وترضاه، وأخّرنا عما يسخطك ولا ترضاه، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الثالث

أسماء الله الحسنی الدالة على العلم والإحاطة ،
والرقابة والمحاسبة [٣٦ - ٥٢]

وتشتمل على ما يلي :

(العليم) ، (السميع) ، (البصير) ، (الخبير) ، (المحيط) ،
(الحفيظ) ، (الحكيم) ، (الحكم) ، (الحسيب) ، (الحاسب) ،
(الأول ، الآخر) ، (الظاهر ، الباطن) ، (الشهيد) ، (الرقيب) ،
(القريب) .

العليم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت/ ٣٦].

الله ﷻ هو الرب العليم بكل شيء ، الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، العالم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهو سبحانه العالم بكل شيء وحده لا شريك له ، الذي أحاط علمه بالعالم العلوي كله ، والعالم السفلي كله ، الذي يعلم الظواهر والبواطن ، والأوائل والأواخر ، ويعلم الجهر وما يخفى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة ، العليم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق ، العليم بكل شيء من المخلوقات ، والذرات ، والأحوال ، والحركات ، والسكنات ، والأقوال ، والأفعال ، والأنفاس ، والآثار ، والحروف ، والكلمات ، والأصوات ، والأمكنة ، والأزمنة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩]. وهو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ذرات الرمال ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد الحبوب والثمار ، وما أظلم عليه الليل ، وما أشرق عليه النهار ، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض .

لا تواري منه سماءً سماءً ، ولا أرضاً أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج/ ٧٠].

وهو سبحانه العليم الذي يعلم كل شيء علماً مطلقاً شاملاً ، محيطاً كاملاً .

يعلم الظاهر والباطن ، ويعلم السر وأخفى ، ويعلم الغيب والشهادة ، ويعلم كل متحرك وساكن ، ويعلم كل ناطق وصامت ، ويعلم كل رطب ويابس ، ويعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين] [السجدة/ ٦-٧].

فسبحان العليم بكل شيء، العالم بكل خلق وأمر، علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿أَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [التوبة / ٧٨].

يعلم عدد أهل السماء والأرض.. ويعلم عدد الملائكة والروح.. ويعلم عدد الجن والإنس.. ويعلم عدد الطير والحيوان.. ويعلم عدد ذرات التراب.. ويعلم عدد الأقوال والأفعال.. ويعلم عدد الأنفاس والآثار.. ويعلم عدد الأحياء والأموات.

أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ٩ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ١٠﴾ [الرعد / ٩-١٠].

هو سبحانه العليم الذي يعلم عدد المؤمنين.. ويعلم عدد الكافرين.. ويعلم من يطيعه.. ويعلم من يعصيه.. ويعلم المؤمن من المنافق.. ويعلم البر من الفاجر.. ويعلم الصادق من الكاذب: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٣﴾ [الملك / ١٣-١٤].

وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم المفسد من المصلح، ويعلم من يستحق الهداية فيهديه.. ويعلم من يستحق الضلالة فيضلّه.. ويعلم من يستحق الإكرام فيكرمه.. ويعلم من يستحق الإهانة فيهينه.. ويعلم أهل الحق من أهل الباطل.. ويعلم أهل الجنة من أهل النار: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة / ٧].

فسبحان الملك الحق الذي له مع الخلق العظيم، والأمر النافذ، والقهر العام، له العلم الشامل المحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد / ٤].

يا حسرة على العباد، إن أنفسهم تقف عريانة أمام بارئها الذي يعلم سرها وجهرها، ويعلم ظاهرها وباطنها، ويعلم ما بين يديها وما خلفها، ويعلم أقوالها وأفعالها، ويعلم فجورها وتقواها: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤﴾ [الأحزاب / ٥٤].

فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته.

ما أعظم ملكه، وما أوسع علمه ، ورحمته ، ومغفرته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر/ ٧] .

وأسفاه على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بأبيائه ورسله، والجهل بثوابه وعقابه: ﴿ يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [يس/ ٣٠] .

يا حسرة على جهل العباد بربهم ، وجهلهم بأوامره الكونية والشرعية: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٣١] وَإِن كُنتُمْ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَوْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن تَجْوِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرَانًا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ الْيَلُّ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣١-٤٠] .

متى تؤوب هذه الأنفس الشاردة إلى ربها؟ ومتى تفر إليه؟ ومتى تستحي منه؟ ومتى تعرفه وتوقره وتعظمه؟: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح/ ١٣-٢٠] .

واعلم أن الله وحده لا شريك له هو عالم الغيب والشهادة ، والغيب كل ما غاب عن الحواس ، فكل ما غاب عن علم الإنسان أو بصره أو سمعه فهو غيب .
والغيب أنواع :

نوع من الغيب استأثر الله بعلمه كعلم الساعة ، وأجل الإنسان ونحو ذلك .

ونوع أطلع الله عليه بعض أنبيائه كأشراط الساعة ، وأحوال اليوم الآخر التي بينها النبي ﷺ .

وهذا الغيب الذي أظهره الله لنبية ﷺ ثلاثة أنواع :

غيب الماضي كأحوال الأمم السابقة .. وغيب الحاضر مما أخبر به فوقع في زمنه .. وغيب

المستقبل كأحوال اليوم الآخر وما سيقع قبله من الأمور.

واعلم أنه كلما ارتقى الإنسان بفكره خاف بعقله ، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة/ ١٥].
واعلم أن الناس صنفان لا ثالث لهما :

فمنهم من يعبد عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له ، فهذا الصنف لا خوف عليه ؛ لأن الله يسوقه إلى ما ينفعه مما يجله ، ويدفع عنه ما يضره مما يجله .

ومنهم من يعبد هواه ، ومن عبد هواه اقترن به الشيطان ، وتخلي عنه الرحمن ، فإذا فكر في أمر من الأمور جعل الله تدميره في تدبيره كما فعل الله بفرعون حين جمع السحرة ، وكما فعل الله به حين تبع موسى وقومه فأغرقه الله وجنوده في البحر: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْنَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف/ ٥٥].

فسبحان العليم الحكيم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦].

واعلم أن كل ما هو واقع أو مشاهد فهو من عالم الشهادة ، وكل ما غاب أو لم يقع فهو من عالم الغيب ، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة .

هو العليم بكل شيء ، العليم بالعالم العلوي والسفلي ، العليم بالظاهر والباطن ، العليم بالنيات والأفكار ، العليم بالأقوال والأفعال ، العليم بالأرقام والحروف ، العليم بما جرى ويجري وما لم يجر في كل زمان ومكان : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

ثم اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن كل ما خلق الله من العوالم خلقه الله ليدل به على عظمة أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ليوحده العباد بها، ويعبدوه بمقتضاها : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

والمطلوب من الخلق ليسعدوا في الدنيا والآخرة العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والعلم بما يجب له ، وما يختص به ، وما يليق به ، وما يحبه وما يكرهه ، وعبادته بما شرع وحده

لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم أن جميع المخلوقات تشهد لخالقها بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وتشهد له بالوحدانية ، وتشهد له بكمال الحياة والعلم ، والقدرة والعظمة ، والكبرياء والرحمة .

فهو سبحانه الحي القيوم العليم الذي يطلب العباد منه العلم، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم الكبير: ﴿عَلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ (٥) [سبأ-٣-٥] .

واعلم أن الوحي الذي أنزله الله على رسله يكشف حُجُبَ عالم الغيب والشهادة . فالله خلق عالم الشهادة ليدل به على عالم الغيب ، وخلق الدنيا ليدل بها على الآخرة ، وخلق المخلوقات لتدل على خالقها سبحانه ، وخلق الصور لتدل على المصور سبحانه ، وخلق الأرزاق لتدل على الرزاق سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويختار ، لا إله غيره ، ولا رب سواه . خلق الخلق كلهم كيف شاء ، ومما شاء ، ومتى شاء ، وعلى أي وجه شاء ، وأبقى ما شاء ، وأفنى ما شاء ، من كبير وصغير ، وطويل وقصير ، وحي وميت ، ومؤمن وكافر: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص / ٦٨] . هو سبحانه العليم القدير الفعال لما يشاء ، وكل فعّال سواه فيأذنه وعلمه ، وكل فعال سواه محتاج إلى معونته ومشيبته ، وكل فعال سواه في قبضته .

الكبير والصغير .. والقليل والكثير .. والقوي والضعيف .. والغني والفقير: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) [الزمر / ٦٢-٦٣] .

فسبحان الرب الحكيم العليم الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الدنيا والآخرة ، وخلق الملائكة والروح ، وخلق الجن والإنس ، وخلق الأقوال والأفعال ، وخلق

المحسوب والمكروه ، وخلق الماء والنار، وخلق الجبال والبحار : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس/ ٣-٤].

والكل يوحد ربه ، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لخالقه، والكل شاهد بعظمته وتوحيده : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان العليم الخبير الذي خلقهم وعلمهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَكَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلَّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١].

واعلم رحمك الله أن عين العقل لا تبصر حقاً إلا بنور الوحي والنبوة، فإذا اجتمع هذا وهذا أشرق القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم جاءت أعمال التوحيد سهلة ميسرة محبوبة في القلب والجوارح : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

فله الحمد والشكر الذي أكرم عباده بالسمع والبصر والعقل ، ثم أكرمهم بعلم الوحي والنبوة ، النور المبين ، والمعتمصم المنيع : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

فاعلم رحمك الله علوم النبيين ، ودعوة المرسلين ، ومعارف الصديقين ، وآيات الموقنين، ومشاهدات المتقين، تبصر بجميع حواسك الصراط المستقيم، وتسعد بنور العلم والإيمان واليقين : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وتفكر وتدبر واقرأ باسم ربك العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق/ ١-٥].

واعلم أن من أصغى بقلبه لعلم الوحي ، وأقبل بوجهه على ربه، وأنصت بسمعه لكلامه، أقبل الله عليه، وشرح صدره، وأنار قلبه بنور العلم والإيمان، ومكاشفات اليقين،

وفتوحات الإلهام، وفجر له ينابيع الحكمة من أنهار المعرفة: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩] .

فافتح رحمك الله أبواب السمع والبصر والعقل لنور الوحي يضيء قلبك بنور التوحيد والتقوى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق / ٣٧] .
واعلم أن الفقه في أسماء الله وصفاته وأحكامه هو رأس كل علم ، وإمام كل هدى ، وجامع كل خير ، ومفتاح كل معرفة : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩] .

وعن معاوية ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » متفق عليه^(١) .

وإن أردت الفقه الجامع ، واليقين المتين ، فاعلم أن الله الحكيم العليم سبحانه خلق عالم الجماد ، وهو أكبر المخلوقات وأوسعها ، وهو من العالم بمنزلة العظم من الإنسان .
ويث سبحانه في عالم الجماد أكثر الصفات التي خلقها في الإنسان ، فخلق من الجماد الكريم والليثيم .. والشريف والوضيع .. والعالي والسافل .. والطيب والخبيث .. والحسن والقبيح .. والسهل والحزن .. والحلو والمر .

وجعل له منافع ومضار ، وليناً وقسوة ، وحباً وبغضاً: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يُنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۗ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّقُ مِنْهُ الْمَاءُ ۗ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة / ٧٤] .

وعن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لما بدا له أحد: « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » متفق عليه^(٢) .

وكل ذرة من الجماد في العالم العلوي والسفلي تسبح بحمد ربها ، وتشهد بتوحيده ، وتخضع لعظمته ، وتسرع إلى إرادته ، وتخضع لأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة / ١] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٦٥) .

وخلق الله سبحانه عالم النبات ، وهو أقل من عالم الجماد ، ونسبته إليه كالذرة إلى الجبل ، فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه ، وما أكبر العوالم في ملكه ، وما أكثر الخلائق التي تسبح بحمده .
 وميز سبحانه النبات عن الجماد بالنمو والتكاثر ، وفي كليهما طيب وخبث ، وحلو ومر ، وطويل وقصير ، وحر وبارد ، وصغير وكبير ، ومحمود ومذموم ، ونافع وضار .
 والنبات من العالم بمنزلة اللحم من جسم الانسان .

وما في الجماد من العطيات ، والهبات ، والأخلاق ، والأنفس ، والأرواح ، هي في النبات أبسط وأشرح وأظهر وأبين من الجماد .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا » متفق عليه (١) .

وكل ذرة ، وكل شجرة ، وكل ورقة ، وكل ثمرة ، في عالم النبات ، تسبح بحمد ربها ، وتشهد بوحدانيته ، وعظمة أسمائه وصفاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١] .

ثم انشرح هذه الصفات واتسعت أكثر في عالم الحيوان الذي يتميز عن النبات بالحركة والحواس ، وبث فيه العليم الخبير مكارم الأخلاق وسيئها ، ويصعد الحيوان في التفاضل إلى أدنى النوع الإنساني .

والحيوان من العالم بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان .
 ثم انشرح هذه الصفات في الحيوان واتسعت أكثر من الجماد والنبات .
 فظهرت في الحيوان أفعاله وحركاته ، من العداوة والبغضاء ، والخديعة والمكر ، والحب والبغض ، والرحمة والقسوة ، والحرص والطمع ، والحركة والسكون .

ففي الحيوانات الصالح والفاسد ، والكريم واللئيم ، والنافع والضار ، والشديد والرحيم : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور / ٤٥] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٩٧) .

وكل حيوان ، وكل طائر، وكل حشرة ، وكل ذرة من هذه المخلوقات ، تشهد لبارئها بالتوحيد، وتسبح بحمده، وتسجد لعظمته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وخلق الله العليم الخبير آدم ﷺ بيده ، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها ، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه وجعله خليفة في الأرض، وميزه عن الحيوان بالعقل والنطق، ثم جعل نسله وذريته من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

ثم العالم الإنساني أوسع وأشرح وأكثر صفات من الجماد والنبات والحيوان. فقد جمع الله في الإنسان جميع ما في العوالم قبله ، وهي عالم الجماد والنبات والحيوان. والإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد، فالأعلى ينزل إليه ، ويعطف عليه كالملائكة والمطر إلى جانب الوحي ، وأما الأسفل فمسخر له ، وخادم له : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان/ ٢٠-٢١].

ومن هذا النوع الإنساني مَنْ جَمَدَ عَلَى مَوْضِعِ اللَّبِّ مِنْ صِفَةِ الْعَقْلِ، وَعَمِيَ عَنِ مَوْضِعِ نُورِ الْإِيمَانِ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ.

فجهل نفسه ولم يعقل قدر منزلته فكفر بربه ، وكابر بنيته، وجحد فطرته ، واتبع هواه ، فخان أمانته، ونقض عهده ، وبطر نعمته ، واستكبر عن عبادة فاطره، فلم تنفعه صفاته ، وأربى بجهله على جهل البهائم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان/ ٤٣-٤٤].

فهذا الصنف الضال من البشر مأواه جهنم، بسبب خبثه وفساده ، وضلاله وكفره : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعَانٌ لَا يُسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩].

واعلم أن درجة الإنسان في الدنيا والآخرة بحسب إيمانه أو كفره .
فإما أن يصعد به الإيمان إلى ما علاه خلقاً ورتبة وهم الملائكة الكرام، وإما أن يسفل به الكفر إلى ما تحته من الحيوان فما دونه .

فالكافر ممسوخ الباطن إلى ما قارب طبعه من البهائم والنباتات والجمادات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد / ١٢] .

ومن كان من هؤلاء الكفار بعض أفعاله حسنة ، وأخلاقه كريمة، وسجاياه محمودة، فهو كشجر المرار أطلع زهراً ، وكالشوك أثمر ثمراً ينتفع به غيره، ولا ينتفع به هو، وفي هؤلاء يقول الحكيم العليم: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان / ٢٣] .
ويوم القيامة يندم كل واحد منهم على كفره وظلمه ، ولكن لا ينفع الندم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ آلْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [٢٦] وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَوَلَّتْ لِيَتْنِي لَمْ أَخْذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان / ٢٦-٢٩] .

أما الصنف الثاني من النوع الإنساني فهو المسلم الذي أبصر الطريق بالعقل والوحي، وحققت له كلمة السعادة، وارتفع إلى عالم أرفع من عالمه، فزكى باطنه بالإيمان ، وحسن ظاهره بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧] .

فهذا السعيد الذي أسلم لله وجهه ، واستن بما جاء به نبيه ﷺ ، حتى ورد عليه حوضه فأسقاها منه ، وشفع له: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢] .

وهؤلاء هم عباد الله الموحدون المهتدون: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ سُبُلٍ مُّشْتَرِكَةٍ لَا يَصْرِفُهَا إِلَّا فِرْقًا يُخْتَلَفُ ﴾ [الزمر / ١٧-١٨] .

وهؤلاء درجات في الفهم والهمم، والعلم والعمل ، وحسن السيرة والسريرة .

فمنهم من جمع إلى إسلامه حسن المعرفة بمن أسلم وجهه إليه، فعرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وحسن الاقتداء بمن أرسله الله إليه ﷺ، فأضاء قلبه بنور الإيمان، وقام على ظاهره وباطنه شاهد الحق: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد/ ١٩].

فهذا مع التدبر والتفكير كل يوم صار يقينه صافياً قويا، وتعلق قلبه بربه وحده، وذاق طعم الإيمان وحلاوته، وعبد ربه كأنه يراه، فصدرت منه العبادات صافية من الكدر، حلوة الطعم، فارتفع ذكره، وعُرف في السماء اسمه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف/ ١٦].

ومنهم من سما بهمته صعوداً إلى المعالي ليصل إلى الحياة العظمى، والمقام الأكرم، فقطع العلائق القاطعة له عن بغيته، وصعد على المعارج الموصلة له إلى ربه، فتعبد لربه على مقتضى الأسماء الحسنى، غير مفارق للاقتداء بالمصطفى، ولا متبع سبل الهوى. له في كل بلد دار، وفي كل واد منار، مؤد لكل فريضة، سابق إلى كل فضيلة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۗ﴾ [١١] ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۗ﴾ [١٢] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۗ﴾ [١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۗ﴾ [١٤] [الواقعة/ ١٠-١٤].

فهذا من ورثة الأنبياء، تراه مع الركع السجود عابداً، ومع الذاكرين ذاكراً، ومع الدعاة داعياً، ومع العلماء معلماً، ومع المجاهدين مجاهداً، ومع المحسنين محسناً، ومع الصابرين صابراً، فأحبه ربه واجتباها، وتولاه وأغناه، وأكرم مثواه، وذكره في نفسه، وأثنى عليه في الملاء الأعلى: ﴿لَنَكِينِ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ﴾ [٨٨] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۗ﴾ [التوبة/ ٨٨-٨٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا ۗ﴾ [الفرقان/ ٧٤].

لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك من جهلي وخطئي وظلمي يا غفور يا رحيم.

ثم اعلم رحمك الله أن العزيز العليم ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأفقره إليه في جميع أحواله، ليقف بباب الغني وحده، ولا يذل نفسه لغير ربه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ

الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر / ١٥] .

فسبحان الخلاق العليم ، القادر على كل شيء .

يخلق بيده إذا شاء .. ويخلق بكلمته إذا شاء .. ويخلق بإرادته إذا شاء: ﴿ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس / ٨١-٨٣] .

هو العلي العظيم الذي يعلم كل شيء ، والأحكام والأقدار واقعة منه على خلقه في كل حين ، والحُجُب والأستار تحجبه عن خلقه وهو لا يحجبه شيء ، ولا يعجزه شيء : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج / ٧٠] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم ^(١) .

والله ﷻ هو العليم بكل شيء وحده لا شريك له، خلق الإنسان وعلمه أشياء ، وحجب عنه أشياء ؛ ليعرف ربه بكمال العلم والقدرة والغنى ، وليعرف نفسه بالجهل والضعف والفقر: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء / ٨٥] .

فأذن الخلاق العليم للإنسان بشيء من العلم كشفه له، وزوى عنه أبواباً من العلم لا حاجة له بها في خلافة الأرض .

فزوى عنه علم سر الحياة والموت، وسر العقل والروح، وسر الخلق، وسر الساعة والزمن المستقبل، وكل ذلك غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا ذَاتَ كُفْبٍ عَذَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان / ٣٤] .

وكل ما يعلمه الخلق من العلوم هبة من العليم القدير، ونسبة ما يعلمونه إلى ما لا يعلمونه كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، ونسبة ما يعلمونه وما لا يعلمونه إلى علم الله أقل من الذرة بالنسبة للجبل، بل لا نسبة بينهما البتة: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩].

فسبحان الخلاق العليم العالم بالكون كله، الناظر إلى ما علمه كله، لا حجاب بينه وبين معلومه : ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٨﴾ [طه / ٩٨].

ثم أظهر سبحانه الخلق كله بحكمته عالماً بعد عالم، وقتاً بعد وقت .
فجاء الخلق كلهم على بصره وسمعه وعلمه وكلامه كما كانوا أولاً في علمه وقدرته ومشيتته، بلا زيادة ذرة ، ولا نقصان خردلة ؛ لأنه العليم القادر على كل شيء : ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

ربنا ارزقنا شهادة الموقنين، وإيمان المقربين، وعمل المتقين، يا عزيز يا عليم يا كريم .

• التبعده لله ﷻ باسمه العليم :

اعلم شرح الله صدرك لطاعته أن العليم ﷻ يحب أسمائه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها، ويعبدوه بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن أول الواجبات عليك طلب العلم من العليم سبحانه ؛ لأنه لا يمكن عبادة الله بما شرعه إلا بعد معرفته ، ومعرفة دينه ، ومعرفة ما يحبه ويرضاه ، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه : ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

وطلب العلم من أعظم العبادات ، وكلما زاد علم المسلم بالله وأسمائه وصفاته ودينه زاد نور الإيمان في القلب ، وخلص التوحيد مما يكدر صفاءه ، فتلذذت النفوس بالعبادة ، وانقادت الجوارح للطاعة، ولهجت الألسن بالذكر والتسبيح، والتكبير والتحميد، وارتفعت درجة العبد عند ربه : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة / ١١].

فسل ربك العليم بكل شيء أن يعلمك ما ينفعك ، وأن ينفعك بما علمك ، وأن يرزقك من فضله وعلمه ما يقربك إليه : ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ

إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴿طه / ١١٤﴾.

وسل ربك كل خير ، وتعوذ بالله من كل شر قائلاً : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم ^(١).

وعليك بالتفرغ لطلب العلم ؛ لتسير إلى ربك بنور ودليل : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام / ١٥٣].

وعليك بصدق الإخلاص ، ودوام النظر في آيات الله الكونية ، وحسن التدبر والتفكر في آيات الله الشرعية ، فذلك طريق الوصول إلى علم اليقين وتوحيد رب العالمين : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم وفقك الله لمعرفة أن علم أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، جماع علوم التوحيد ، ومفتاح أبواب الإيمان : ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

فمن عرف أن له رباً كريماً يكرم المطيعين له ، وأن طاعتهم له تكون بعد توفيق الله على قدر معرفتهم به ، لجدير بهذا العبد ألا يزهده في القرب من ربه الكريم ، حتى يصل إلى حقيقة التوكل عليه ، وصدق التوجه إليه ، ودوام الانقطاع إليه ، ولزوم طاعته ، والاستغناء به عما سواه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿١٠﴾ [الشورى / ١٠].

فمن علم ذلك فليحمد الله ، ويشمر في طاعة مولاه بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَرُوا تَوْفِيقًا ﴾ ﴿٣﴾ [فاطر / ٣].

وإن كان لا يعلمه فبكاؤه على نفسه أكد الأشياء عليه ، فليبادر إلى التوبة ، وسلوك الصراط المستقيم ، والتوابع الرحيم يقول له : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ﴿٨٢﴾ [طه / ٨٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

واعلم وفقك الله لمعرفته وحسن عبادته أن فضائل النفوس إنما تزكو وتعلو بالعلم والإيمان بالله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس / ٧-١٠] .

فالخشوع عن العلم بالله يكون .. والإخلاص عن العلم بالله يكون، والورع عن العلم بالله يكون .. والاستغفار عن العلم بالله يكون .. والخشية عن العلم بالله تكون : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر / ٢٨] .

وبقدر تفرغ طالب العلم للنظر والتفكير والتدبر في آيات الله ومخلوقاته يصغي إليه قلبه بسمعه ، ويصره بسبل هدايته ، فتتفجر ينابيع الحكمة والعلم من قلبه ولسانه وجوارحه : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج / ٥-٧] .

وبقدر سعة معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقداره العظيمة، وأوامره النافذة، وأحكامه العادلة، ونعمه السابغة، يستبين للعاقل عظمة الخطر، وجلال الخطب، ومقدار الجهل، وحجم التقصير ، ونقض العهد، وإضاعة الأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ يُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣] .

ونقض العهد ، وعدم الوفاء به ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من نشر التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة من أعظم الذنوب الموجبة للعنة الله وعقابه : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد / ٢٥] .

واعلم أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، تعبد الله وتدعو إليه في الدنيا ، وترافق الأنبياء في الجنة في الآخرة ؛ لأنها تقوم بجهد الأنبياء في الدنيا : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء / ٦٩-٧٠] .

واعلم أنه كلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته زاد نور الإيمان في القلب، وزاد

الانتفاع به ، وزاد القلب رقة وخضوعاً لربه العظيم، وزاد هيبة وخوفاً وإشفاقاً ، وكان الخشوع بقدر الخوف، وكان النشاط بقدر الرغبة، وكان الحياء بقدر المعرفة، وكان الحذر بقدر الهيبة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّائِيَّتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧ - ٦٢].

فأقبل رحمك الله بقلبك إلى ربك، وشمر بجوارحك في طلب مرضاته، وأشغل لسانك بذكره وحمده، يسرك عملك يوم تلقاه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٢١].

وإياك وطلب الأمور بغير أسبابها، فمن ابتغها في غير سبلها فقد ضل سعيه، وأخطأ بغيته ، وفاته ما يطلبه ، واستوجب عقوبته : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء/ ١١٥].

واعلم أن الله قضى بسنته ألا ينال أحد شيئاً إلا من بابه الذي فتحه الله إليه : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٧-٨].

واعلم أن الله ﷻ فطر جميع المخلوقات على معرفة ربها وفاطرها، فهي قاتنة لعظمته ، عابدة له ، خاشعة لجلاله ، خاضعة لكبريائه ، شاهدة بتوحيده ، مسبحة بحمده، منقادة لطاعته؛ لأن الله ﷻ ألزمها من معرفته ما لا تستطيع إنكاره ولا جحده: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ الْغُورُ وَالْأَصَالُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد / ١٥].

فسبحان الرب العظيم الحكيم العليم الذي عرّف خلقه بنفسه ، وعرّفهم بأنفسهم ، وألهمهم ربوبيته ، وسخرهم لعبوديته ، حين ابتداء خلقهم، وخص آدم ﷺ وذريته بمزيد من المعرفة والإكرام: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نُقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَعِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف / ١٧٢ - ١٧٣].

فعرّف الخلق يومئذ ربهم معرفة لا ينبغي لهم أن ينكروها أبداً.

وَذَلَّ الخلق له يومئذ ذلاً لا ينبغي لهم أن يعتزوا بعده أبداً .
وخافه الخلق يومئذ خوفاً لا يمكن أن يخرجوا منه أبداً .

وأقر الخلق له بالملك إقراراً لا يجوز أن يستنكفوا بعده عن عبادته أبداً .

واعلم أن نفيس العلم لا يُنال بالأمانى وراحة الجسم، فشمّر في طلبه ، واعلم أن العلم أبوابه كثيرة ، وأوسع أبوابه وأنفعها باب الإيمان والتقوى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨٢﴾﴾ [البقرة / ٢٨٢] .

وكل علم لا يورث التقوى والخشية لا خير فيه ؛ لأنه يوَلد الكبر والعُجب بالنفس، ويورث الجدل، ويشغل المخلوق عن خالقه، ويرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ يَتفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم/٦-٨] .

واعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وعزيز لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهو مع الإيمان أعلى درجات الفضائل، فاطلبه واعمل بموجبه، وزين به روحك وقلبك ، ولسانك وجوارحك: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/٢١] .

وإذا علّمك الله مالم تكن تعلم فتواضع للذي علمك، وعلّم المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم يرضى عنك ربك ، ويحمد فعلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران / ٧٩] .

واعلم أن العليم ﷻ عنده خزائن العلم، وأنزل منها لعباده من العلوم ما يسعدهم في دينهم ودنياهم ، ورغّبهم فيما يقربهم إليه منه ، فاختر النفيس على ما دونه ، وتعلّم واعمل وعلّم تغنيم وتؤجر: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه / ١١٤] .

فما أعظم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه ، وما أقبح الجهل بالله ودينه ، والاستكبار ، والعناد ، والظلم والفساد .

واعرف ربك ، واعرف دار السرور ودار الغرور واختر أحسن الدور: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ

يَسِيحُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد / ٢٠].

والناس في معرفة ربهم متفاوتون في العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى حسب كمال معرفتهم بربهم يكون كمال إيمانهم ، وحسن عبادتهم .

ومثلهم في ذلك كمثل إنسان عرف النطفة ولم يعرف العلقة، وآخر عرف النطفة والعلقة ولم يعرف المضغة، وآخر عرف الثلاث ولم يعرف الروح والجسد، وآخر عرف ذلك ولم يعرف بقية العوالم .

فهؤلاء متفاوتون في العلم ، وكلُّ يتكلم ويعمل حسب معرفته ، ومن ذاق عَرَفَ ، ومن عَرَفَ عَرَفَ : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾ [الحديد/ ٢١] .

وأول ما يجب على العبد معرفته من العلم معرفة الرب عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليحصل العبد التوحيد والإيمان، ويحب ربه ويعظمه ، ويسارع إلى طاعته وحسن عبادته:

﴿ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩] .

فاطلب رحمك الله هذا العلم، ثم اصعد في درجات العلم والمعرفة ؛ لتزداد إيماناً وبقيناً ، وعلماً وعملاً، ودعاءً وذكرًا، وخوفًا وطمعًا وحبًا وذلاً : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ

اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ [المائدة / ٩٨] .

فاعرف ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لتكبره وتحبه وتحمده:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن

بَجَهْرٍ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥-٨] .

اعرف ربك العليم العلي العظيم ، لتعظمه وتمجده : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

اعرف ربك الرزاق الذي ملأ الكون بالنعم ، لتشكره وتحمده وتستغفره: ﴿ وَعَاوَنُكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

اعرف ربك الخلاق العليم الذي بيده الخلق والأمر، لتطيعه وتعبده ، وتعرف عظمة ملكه وسلطانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

اعرف ربك الكبير ، لتعرف أن كل ما سواه كله صغير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ وَنَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر/ ٦٧] .

اعرف ربك الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في ملكه ، لتشكره وتطيع أمره وترحم خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢] .

اعرف ربك الحق لتعرف أن كل ما سواه باطل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢٢﴾ [الحج/ ٦٢] .

اعرف الملك الحق ، والإله الحق؛ لتعلم أن كل ما سواه عبد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

هذا والله هو الحق والنور المبين ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فِئَاتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ ۗ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ [الجاثية/ ٦] .

وإياك والإلحاد في أسماء ربك وصفاته بالتشبيه أو التعطيل ، فربنا له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى/ ١١] .

فصِف ربك بما يليق به ، ونزهه عما لا يليق به ، ولا تلحد في أسمائه وصفاته ، ووحده وتقرب إليه بدعائه بها ، وعبادته بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۗ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

فإن لم تهز قلبك هذه المعارف ، ولم يرق لنفسك هذا الحديث ، فاعلم أنك مصاب ، أو مجروح ، أو مطرود ، أو ميت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسَقُوا ﴿١٦﴾ [اعلموا أن

اللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

فانتبه وبادر إلى سلوك الصراط المستقيم ؛ لتصل إلى ربك العظيم ، ولا تكن من الغافلين ،
فتساق إلى جهنم مع الكافرين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨] .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصِّلِحِ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي
مِنَ وِرْدَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣- ٨٥] .

« اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا
يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم ^(١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، إنك أنت السميع العليم .

اللهم املاً قلوبنا بالإيمان واليقين ، والعلم والهدى ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

السميع

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة / ١٢٧] .

الله ﷻ هو السميع الحق الذي يسمع جميع أصوات أهل السموات والأرض من جميع الجهات في آن واحد.

وهو السميع العليم الذي يسمع الأصوات كلها ، باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، من المخلوقات كلها، في آن واحد من كلها: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ لِنُرِّيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء / ١] . وهو السميع الذي يسمع كل شيء ، ولا يعزب عن إدراكه شيء وإن خفي ، سواء كان صوت نفس ، أو حديث نفس ، أو خاطر نفس .

هو السميع الذي يسمعك سواء جهرت أو أسررت ، فلا ترفع صوتك فإنه يعلم السر وأخفى ، خواطرك مكشوفة له ، وظاهره وباطنك معلوم له .

قد استوى في سمعه خفي القول وظاهره، وسره وجهه: ﴿وَأَسْرَأْ قَوْلَكُمُ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٣-١٤] .

وهو السميع العليم الذي لا تشبه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، ولا يشغله سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١] .

فسبحان السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات من كل جهة، ومن كل مخلوق، وبكل لغة، وفي كل وقت ، يسمع ذلك كله في آن واحد.

فيشكر كل حامد .. ويغفر لكل مستغفر .. ويجيب كل سائل .. ويفرج كل مكروب .. وينصر كل مظلوم .. ويشيب كل محسن .. ويعاقب كل مسيء: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

وهو السميع الذي يسمع جميع الأصوات في كل مكان وفي كل زمان في آن واحد.

يسمع تسييح الملائكة كلهم ، ويسمع تسييح الذرات والجمادات كلها ، ويسمع تسييح النباتات والأشجار، ويسمع تسييح الطير والحيوان ، ويسمع تسييح الإنس والجن ، ويسمع

تسبيح كل مسبح في السموات والأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفْقَتِ كُلِّ قَدْعِلْمٍ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور/ ٤١].

ويسمع ﷻ أصوات الرياح والعواصف، ويسمع أصوات الرعد والصواعق، ويسمع أصوات البحار والأنهار، ويسمع أصوات المياه والنيران، ويسمع جميع أصوات الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس، والجن، والذرات: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام/ ١٣].

يسمع الكل في آن واحد، ولا يشغله سمع عن سمع، لأنه السميع العليم بكل شيء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى / ١١].

فسبحان السميع البصير الذي وسع سمعه الأصوات كلها.

فلو قام الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، ثم سألوا ربهم حاجاتهم في لحظة واحدة، وكلُّ تحدّث بلغته، لَسَمِعَهُمْ أجمعين، دون أن يختلط عليه سائل بسائل، أو لغة بلغة، أو صوت بصوت، أو حاجة بحاجة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١].

بل يسمعهم ﷻ كلهم، ويقضي حاجاتهم جميعاً في لحظة واحدة، ولا يتقص ما أعطاهم من خزائنه شيئاً: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فسبحان الغني الكريم الذي يعطي كل سائل، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق. عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْجِلَ الْبَحْرُ » أخرجه مسلم ^(١).

هو السميع المجيب الذي يسمع نداء السائلين، ويسمع استغاثة المستغيثين، ويجب دعاء

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

المضطرين : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل/ ٦٢].

هو السميع البصير الذي يراك ويسمعك في كل حال ، يراك حين تقوم وتنام ، ويراك حينما تأكل أو تشرب ، ويسمعك إذا أمرت أو نهيت ، أو سألت أو دعيت ، أو استغفرت أو حمدت ، أو ضحكت أو بكيت : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء/ ٤].

هو السميع الذي يسمع كل ناطق وصامت ، ويسمع كل متحرك وساكن ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا يشغله دعاء عن دعاء ، ولا تشغله إجابة عبد عن سؤال عبد : ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى ، ويعلم خافية الأعين وما تخفي الصدور. هو السميع الكريم الرحيم الذي يجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محنته عند الافتقار، ويرحم ضعفه عند الانكسار، ويقبل زلته عند الاعتذار، ويغفر زلته عند الاستغفار: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل/ ٦٢].

فسبحان السميع العليم البصير الذي يكشف بسمعه جميع حالات مخلوقاته، وتنكشف بسمعه كمال صفاته ، وتنكشف له المسموعات انكشافاً تاماً في جميع ملكوته ، وإذا سمعت قوله فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ] ﴿٣١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٣١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعلم أنه لا بد للإنسان أن يعلم أن ربه سميع عليم، ليسمعه ما يحبه ويرضاه ، ويجتنب ما يسخطه ويغضبه : ﴿ وَقَلِّتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢٤٤]. وتوكل على السميع العليم وحده يغنيك عن كل أحد غيره : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال/ ٦١].

واعلم أن الله يسمع ويرى، ويثيب ويعاقب، فإن كنت ترجو لقاءه فاعبده وحده لا شريك له : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت/ ٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه السميع :

إذا علمت أن الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم يسمع جميع أصوات الخلق في السموات والأرض في آن واحد، فأسمعه ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأذكار ، والحمد والثناء ، والدعاء والدعوة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١] .

واعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن الله خلق لك السمع لتسمع به كلامه، وتفهم مراده، وتشكر إحسانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك / ٢٣] .
والناس مختلفون في الاستجابة لاختلاف السامع والمسموع .

فرب سامع خير من مرید شر كان عنه نجاته ، ورب سامع شر من مرید خير كان عنه هلاكه : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَاهُوشَفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء / ٨٢] .
واعلم أن من عرف أن ربه هو السميع البصير لم ينطق لسانه إلا بما يرضيه ، ولم تتحرك جوارحه إلا بما يحبه ، واستحيا من ربه في كل حال ، وراقب مولاه في كل قول أو فعل ، وحاسب نفسه على أقواله وأفعاله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر / ١٨] .

واعلم أن الله لم يخلق الأذن للإنسان إلا ليسمع بها ما ينفعه من القرآن والعلم والخير ، فلا يليق به أن يسمع بها ما يضره ويسخط ربه من الإفك والبهتان والغيبة والنميمة وكل كلام سيء ، فاسمع قول الحق واحذر ما سواه : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ءَعْلَمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦] .

واعلم رحمك الله أن السميع البصير الذي يسمع ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، سميع لأقوالك ، عليم بأحوالك ، شاهد لأفْعالك .

فلا يسمع منك إلا ما يسرك يوم تلقاه من ذكر له ، وتسيح بحمده ، وشهادة بوحدانته ، وتلاوة لكتابه آناء الليل وآناء النهار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢] .

وأسمعه ما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٣] .

وهذا وحده هو طريق النجاة والفلاح: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وإذا عرفت أن ربك هو السميع العليم، فاحفظ نفسك أن يسمع منك ما يغيظه ويسخطه، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة، و شهادة الزور، والسب والشتم، وصنه عن الاستهزاء والسخرية بالناس، وفاحش الكلام وغير ذلك من الكبائر والصغائر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مَن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّسَانِ يَسْسُ إِلَيْكُمْ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات / ١١].

فكل ذلك سوف تحاسب عليه، وتعاقب عليه، فبادر إلى التوبة منه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران / ١٨١].

وأكثر من الدعاء بهذا الاسم العظيم فحري أن يستجيب الله لك، وتوسل إلى الله به كما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فاستجاب الله لهما: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة / ١٢٧].

وكما دعت به امرأة عمران فاستجاب الله لها: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران / ٣٥].

وإذا نزغك الشيطان لتفعل سوءاً فاستعد بالله منه؛ ليدفع السميع العليم عنك شره: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت / ٣٦].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا رَبِّكُمْ فَأَمْنًا رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [١١٣] رَبَّنَا وَءَايُنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران / ١٩٣-١٩٤].

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة / ٢٨٥].
 «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظْمِي لِي نُورًا» أخرجه مسلم^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي ، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي » أخرجه الترمذي والنسائي^(١).

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، وتمتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أبقيتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا يا سميع الدعاء.

اللهم ياسميع الدعاء ، يا سامع كل صوت ، يا واهب السمع لكل سامع ، أسألك أن تهبني سمعاً أسمع به كل ما تحبه وترضاه إنك أنت العزيز الكريم.
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢) وهذا لفظه ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥) .

البصير

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ [غافر/ ٥٦].

الله ﷻ هو السميع البصير الذي أحاط سمعه وبصره وعلمه بكل أحد، ولا يحيط به أحد، ولا يدركه أحد: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

هو البصير الحق الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، البصير الذي يبصر ويعلم جميع المخلوقات والمبصرات، والخفيات والنيات.

وهو سبحانه البصير الذي يبصر جميع ما في السموات وما في الأرض، وما عليهن وما بينهن، من صغير وكبير، وساكن ومتحرك، وناطق وصامت، وشاهد وغائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحجرات/ ١٨].

ويبصر ﷻ ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع: ﴿فَعَلَى اللَّهِ أَمْلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [طه/ ١١٤]. ويرى سبحانه ما في جوف البحار المظلمة من المخلوقات والذرات كما يرى عرشه الذي هو مستو عليه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ [الملك/ ١٩].

وهو البصير الذي يبصر ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، كما يرى العرش العظيم: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [سبا/ ٣].

فسبحان الملك الحق المبين الذي يسمع ويرى كل ذرة في ملكه العظيم، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وليس له شبيه ولا مثل في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو البصير الذي يبصر الأشياء كلها، البصير الذي يبصر المبصرات كلها، البصير الذي يرى المخلوقات كلها، البصير الذي يدرك الحقائق كلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحجرات/ ١٨].

فسبحان البصير العليم بكل شيء ، البصير الذي يعلم المقاصد والنيات ، ويعلم سر الأقوال والأعمال ، ويعلم الأسرار والخفيات ، ويعلم ما في القلوب من الإرادات والنيات ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : ﴿ وَأَسْرُؤُا قَوْلِكُمْ وَأَوْجَهُرُؤا بِيَهٗ إِنَّهٗ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو البصير الذي وسع بصره جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي . البصير الذي يرى كل ذرة ، وكل نية ، وكل حرف ، وكل رقم ، وكل خاطرة ، وكل خافية ، وكل ظاهر ، وكل باطن : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهٗ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩﴾ [الملك/ ١٩].

وإذا عرفت هذا فاعلم رحمك الله أنه لما عسر على أبصار الخلق أن تدرك قرص الشمس في رابعة النهار، لامتناعها بشعاع ضيائها عن إدراك قرصها ، وهي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر، فكيف يدرك البصير الصغير بصره الضعيف البصير الكبير سبحانه : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وكما لا تدركه الأبصار ﴿لَا﴾ كذلك لا تدرك كنهه البصائر، ولا تحيط بشيء من علمه إلا بما شاء : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهٖ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

واعلم بأن كلام الله مسموع بالأذان، مفهوم بالأفهام، يُسمع من يشاء من عباده كما قال سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء/ ١٦٤].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهٗ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ » متفق عليه ^(١).

لكن لا يدرك البشر كيفية كلام الرب سبحانه، وإنما يدركون أمره ونهيه تعالى أن يتكلم بكلامه أحد ، أو يعرف كيفية كلامه أحد ، أو يدركه بصر ، أو يحيط به شيء : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ ۝ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى/ ١١].

ومن آمن بربه في الدنيا، وعبده كأنه يراه ، وسمع كلامه بواسطة كتابه الذي أنزله ، وعمل

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦).

بما فيه ، فإنه يراه سبحانه في الآخرة عياناً ، ويسمع كلامه دون واسطة : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ [٢٣-٢٢ / القيامة] ﴿ ٢٣ ﴾ .

فسبحان الإله الحق المبين الذي خلق الأشياء كلها، ودبرها أحسن تدبير .

خلق سبحانه الخلق لا من شيء بحكمته ، وابتدعهم من غير حاجة لهم بقدرته ، وأحاط بكل شيء علمه ، ورزقهم من كل شيء بكرمه ، ليدل على وحدانيته ، وكمال قدرته ، ويرى خلقه آثار صنعه ، وعجائب حكمته ، ونفوذ تدبيره في ملكه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٣ / الطلاق / ١٢] .

وليعرف الخلق ما توحد به من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وما اختص به من القدرة ، وما انفرد به من الملك والجلال والكبرياء ، والعظمة والعزة ، والتصريف والتدبير : ﴿ إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وإذا عرف الناس ربهم بأسمائه وصفاته أحبوه وعظموه ، ثم عبدوه وأطاعوه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه البصير :

اعلم هداك الله لمعرفة أن الله بصير بالعباد، يعلم أفعالهم، ويقسم أرزاقهم، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن تصلح حاله بالغنى، وبمن تفسد حاله بالغنى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

وإذا علمت أن الله بصير بالعباد كلهم، يرى أعمالهم، ويسمع كلامهم، فعليك بالخضوع والذل له ، وإحسان عبادته ، ودوام المراقبة له ، ولزوم طاعته، والبعد عن معصيته، فإنه يراك وإن لم تكن تراه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١] .

واعلم أن الله أعطاك البصر لتبصر به مُلك ربك الكبير ، ومخلوقاته العظيمة ، ونعمه السابغة ، وتقديراته النافذة ، وآياته المتزلة ؛ ليزيد نور الإيمان في قلبك ، ويعظم جلال الرب في نفسك : ﴿ قُلِ

أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْأَيْتُ وَالنُّجُومُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

واعلم يقيناً أن البصير الحق ﷻ يراك في جميع أحوالك فتزين له بالتقوى، وتقرب إليه بما يحب ويرضى من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْبَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].

وأحسن عبادة ربك العظيم، والزم ذكره، وسبح بحمده، واشكر نعمه، واصبر على بلائه، وقم بين يديه عابداً، وقم بين خلقه داعياً ومحسناً، واشكره أن جعلك في قبضة اليمين فضلاً منه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن/ ٢].

وإياك أن يراك الله مصراً على معصيته، فما كفر به أحد إلا من جهله بربه، وجهله بأمره، وجهله بنفسه، وما قدر الله حق قدره من عصاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ أُولَئِكَ مَا نُنَمِّرُ لَهَا مَأْوًى كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس/ ٧-٨].

فأبصر رحمك الله مواضع النجاة، ومواطن الهلاك، وتعرف على ذلك من كتاب ربك العظيم، وسنة نبيك الكريم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

واعلم أن من علم أن الله يبصره ويراه عبد ربه كأنه يراه، وأحبه وتولاه، وخافه ورجاه، واستحيا منه، وتلذذ بمناجاته، وسارع إلى طاعته، وفر من معصيته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

واعلم أن الله أكرمك بنعمة البصر لتبصر به المخلوقات العظيمة والآيات الكونية الدالة على عظمة ربك العظيم، وتنظر به إلى آياته الشرعية الدالة على كمال علمه وعدله وإحسانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فِئَايَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَالَهَادِي لَهُ يُدْرِكُهُمْ فِي طَغْيِهِمْ يَجْمَعُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥-١٨٦].

فتدبر القرآن ففيه الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والأخلاق الحسنة، والمؤمن حقاً من كان صمته فكراً، ونطقه ذكراً، ونظره عبرة: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

واعلم أن البصير الذي خلق فيك السمع والبصر والعقل يبصرك في جميع أحوالك، فأطعه

ولا تعصه ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ ٢١٨ ﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٢١٩ ﴾ [الشعراء / ٢١٧ - ٢٢٠] .

واتق الله أن يكون السميع البصير القادر على كل شيء أهون الناظرين إليك .

واعلم أن من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر القادر القاهر إليه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۖ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ وَوَعَلَىٰ عَمَائِكُمْ كَوْنٌ ﴾ (١٧) [الزمر / ٦٧] .

فاستح من الله على قدر قربك منك ، واشكره على قدر نعمه عليك ، وخف منه على قدر قدرته عليك ، وأحبه على قدر إحسانه إليك : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١٦) [الحديد / ١٦] .

فيا من عصيت الملك الجبار في ملكه وسلطانه في خلوتك ، إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت علمت أنه يراك فقد اجترأت ، فتب إلى ربك فإنه غفور رحيم ، وزين باطنك بالمراقبة ، وزين ظاهره بالمحاسبة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) [الحشر / ١٨] .

وإذا أردت أن تعصي ربك فاعصه في مكان لا يراك فيه ، أو اخرج من سلطان ملكه ، وهذا وهذا محال حتى في الخيال : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) [الحديد / ٤ - ٥] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٢) [الأعراف / ٢٣] .

« اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ » أخرجه مسلم (١) .

اللهم أنت البصير بعيوبي ، الخبير بذنوبي ، المطلع على سري ، وبيدك زمام أمري ، اجعل في قلبي نوراً حتى أعبدك كأني أراك .

اللهم إنك تعلم سري وعلايتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي ، واستر عيوبي ، ورضني بما قسمت لي يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦) .

الخبير

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ/١].

الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الخبير الذي يعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة : ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [الملك/١٣-١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه ، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [٧٣] [الأنعام/٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٥٩] [الأنعام/٥٩].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض ، والدنيا والآخرة ، والليل والنهار ، واليوم والغد : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٣٤] [لقمان/٣٤].

وهو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد ، وضمائر قلوبهم ، وما تكنه صدورهم ، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي ، والحسنات والسيئات ، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد ، وما يجول في خواطرهم من خير أو شر : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام/١٨].

هو الخبير الذي أخبر عباده بأحسن الكلام وهو القرآن ، الخبير الذي يعلم كل شيء ، الخبير الذي لا يعزب عن علمه صغيرة ولا كبيرة ، الخبير الذي يعلم كنه كل شيء ، الخبير الذي يعلم الحق من الباطل ، ويعلم الخير من الشر ، ويعلم الطيب من الخبيث ، ويعلم الظاهر من الباطن ، ويعلم السر والعلن ، ويعلم الداء والدواء : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [الملك/١٤].

هو العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الخبير بالظواهر والبواطن ، والخواطر والبواعث ، والسرائر والخفايا: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وكل إنسان مكشوف أمام ربه الخبير ، لا تخفى عليه منه خافية ، علانيته كسره ، وجهه كصمته ، وظاهره كباطنه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُوسٍ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق/ ١٦].

والناس أمام الله سواء ، وأفضلهم عنده أهل الإيمان والتقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً ممن يتقيه ظاهراً ولا باطناً، ثم يجازي كلا بعمله: ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

وهو سبحانه الخبير المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه ، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس/ ٦١].

وهو سبحانه الخبير الذي أخبره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء/ ٨٧].

واعلم نور الله قلبك بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله أن الحق ﷻ جعل للمعتبرين في مخلوقاته غنية عن التفكير في ذاته ؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك نور جلاله وعظمته وكبريائه: ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته ، وتدعوه الألسن بأسمائه، وتميزه البصائر عن سواه بصفاته وأفعاله: ﴿ وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسِنَّةَ وَاللُّونُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ [٢٢] وَمَنْ آيَنِيهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴾ [٢٣] وَمَنْ آيَنِيهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤].

هو الواحد الأحد العليم الخبير بكل شيء، هو العليم المحيط بكل شيء ، العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [آل عمران / ٢٦].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده، فيعطيهم ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم ما يضرهم ، يبسط لهذا، ويقبض عن هذا، وهو العليم الخبير بما يناسب كل مخلوق. فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى ، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر والابتلاء.

لهذا تجد عيش بعضهم مع فقره وبلائه أحسن ، وقلبه لربه أصفى ، كلما ضربه الله بالبلاء ازداد له حبا وتقوى ؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء / ٣٠].

وأعلم أن الحكيم الخبير خلق خلقه بقدرات وصفات مختلفة، ثم اصطفى منهم الأنبياء والرسل والمؤمنين : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ [الحج / ٧٥].

فجميع الأنبياء والرسل مصطفىون ، فهم قمم الجبال ، وأعلام الهدى ، ونخبة البشرية : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران / ٣٣-٣٤].

فإذا اصطفى العليم الخبير محمداً ﷺ من بين البشر لما يعلم من حسن خلقه وعمله، وقوة يقينه، ورحمته وصبره، فهذا اصطفاء كسبي منه أنعم الله به عليه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [الفلم / ٤].

وإذا أكرمه ربه بكرامات، وخصه بالوسيلة والشفاعاة، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهذا اصطفاء وهبي وهبه الله إياه، إكراماً له لحسن عمله، وكمال صبره : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ [الفتح / ١-٣].

فسبحان العليم الخبير الذي علم من بين خلقه أكثرهم معرفة ، وأكثرهم استقامة ، وأقواهم صبراً وجهاداً ، وأكملهم تضحية وإيثاراً ، وأحسنهم عبادة ، وأجملهم خلقاً ، وأصدقهم يقيناً وتقوى ، فاصطفاه وجعله نبياً : ﴿ وَذَكَرْ عِندَنَا نِزَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ ﴾ [٤٥] إِنَّهُ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ﴿٤٧﴾ [ص/٤٥-٤٧].

واعلم أن من اصطفاه الله واجتباها واختاره لدينه ، فعليه أن يعمل به ، ويدعو إليه ، ويشكر ربه على هذه النعمة العظيمة : ﴿ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَى فَاخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف/١٤٤].

وكل من اصطفاه الله لدينه فلا بد أن يمر بثلاث مراحل :
مرحلة التأديب .. ومرحلة الابتلاء .. ومرحلة التكريم .

وهذه سنة الله في خلقه المصطفين يؤدب ، ثم يتبلي ، ثم يكرم بجنة المعرفة في الدنيا ، وجنة الفردوس في الآخرة : ﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن/٤٦].

وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الابتلاء : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت/٢-٣].

وبحسب صدق المؤمن وإخلاصه ، وصبره ويقينه ، وطاعته لله ، يصطفيه الله ، ويجعله إماماً في الإيمان والتقوى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُّهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة/٢٤].

ومن اصطفاه الله لدينه فقد علم فيه الصدق والإخلاص والطاعة فليحمد الله : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل/٥٩].

ومن اصطفاه الله ، وجعله مؤمناً ، فهو في سلام مع نفسه ، و سلام مع ربه ، و سلام مع غيره ، و سلام في الدنيا ، و سلام في الآخرة : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات/١٧].

وقد اصطفى الله هذه الأمة ، وأكرمها بالكتاب العظيم ، والرسول الكريم ، والثواب الجزيل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [٣٢] جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ [فاطر/٣٢-٣٤].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الخبير:

الله ﷻ هو العليم الخبير بما تكنه الصدور ، وما تخفيه القلوب ، الذي يكشف كل مخبوء ، ويرقب كل مستور ، ويعلم السر وأخفى: ﴿ ذَلِكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٦-٧].

ولا بد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته ، ويتلو كتابه ، ويستن بما جاء عن رسوله ﷺ ؛ ليعرف الخالق من المخلوق ، والخير من الشر ، والحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والباقي من الفاني ؛ ليُقدم على اليقين من أمره ، ويواظب على المشروع من دينه: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاؤُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَسْجُ فَرْتُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾ (٢٠) [الحديد/٢٠].

واعلم أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه كان من أمره على خطر ؛ لأنه قدّم الهوى على الهدى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٠) [القصص/٥٠].

فكل إيمان وتصديق وهدى، ومسارة إلى الخيرات، وصبر على الأقدار والأحكام، سببه العلم والعمل بخبر الوحي: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/١٥-١٦].

وكل جهل، أو تكذيب، أو تقصير، أو جزع، أو ظلم، أو كبر، أو فساد، سببه الجهل بخبر الوحي، أو الإعراض عنه: ﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (١٣٣) [طه/١٣٣].

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله ، وعلى الجدل على عبادة الله ، بعد تقدّم الخبر والعلم بالله ووعدده ووعدده ، أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء ، لعلمها بأن ما دعوتها إليه هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/٧-١٠].

ومن أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخبير، ومعرفة خبر الخبير الحق سبحانه، ليتبين

لها من تعبد، ومن تسأل، ومن تطيع، وما تصبر عليه، وما أنواعه، وما ثوابه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

فإن لم تعرف النفس ذلك بالخبر المنزل زلت عند المحنة ، وجمحت عند الصدمة ، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج/ ١١-١٢].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك فلا تفعل ما يسخطه عليك، ويعلم جميع أحوالك في السر والعلن فلا تبارزه بالمعاصي، ولا تجعله أهون الناظرين إليك: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا نُوسُوا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [الرحم/ ١٦-١٧].

واعبد ربك بالحب مع كمال التعظيم والذل له، وتقلب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد الذي خصك بالعناية: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [الذرى/ ١٧] الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين فعلمها من لا يعلمها، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل المؤمنين تكن من الفائزين: ﴿ وَتَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أن من عرف أن الله خير بأقواله وأفعاله وسائر أحواله، تأدب في سلوكه ، وراقب ربه في جميع أقواله وأعماله ، واستقام على ما يحبه ربه ويرضاه ، وابتعد عن ما يسخط مولاه ، وأيقن أن ما قسمه الله له لن يفوته ، وما لم يقسم له لن يدركه: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنِّي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام/ ٧٣].

ومن عرف أن ربه خير بكل شيء، عليم بكل شيء، ناداه نداءً خفياً، وناجاه في سره ، ودعاه في سره، لعلمه بقربه منه: ﴿ ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّيَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم/ ٢-٤].

والعاقِل يجب أن يكون خبيراً بنفسه وعالمه ، وعالمه هو بدنه وقلبه وجوارحه ، وأقواله وأفعاله ، وأخلاقه وأفكاره ، ويتفقد قلبه أين يتقلب ، وهل هو يطوف حول العاجلة أم حول الآجلة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ وَتَنظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

واعلم أن كل من دعا إلى الله فقد أذن الله له ، فإن كانت دعوته صادقة وفقه الله وأعانه و صرف قلوب الناس إليه ، وهذا نوع من الاصطفاء والتكريم : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٤٥] وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿ ٤٦ ﴾ ومبشراً للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴿ ٤٧ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٧].

وإن كانت دعوته كاذبة أو على هواه صرف الله قلوب الناس عنه ، وأظهر سريرته على فلتات لسانه وصفحات جبينه : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴾ [٢٩] ولوشاء لآزنتنكهم فلعرفنهم بسيمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿ ٣٠ ﴾ [محمد/ ٢٩-٣٠].

فسبحان العليم الخبير بالظواهر والبواطن والسرائر والخصيات . فليحمد الله من اصطفاه العليم الخبير ، وأجرى على يديه الخير ، وأنطق لسانه بالحق ، و صرف قلوب الخلق إليه ، وحفظه من أعدائه ، وليؤد الأمانة التي أمره بها من اصطفاه : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلِغُ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة/ ٦٧].

ومن أعظم سبيل الاصطفاء بعد الإيمان طلب العلم خالصاً لله ، فمن صدق في طلبه اصطفاه الله وعلمه ، وجعله معلماً للبشرية ، وداعياً إليه ، وشاهداً بوحدانيته : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

﴿ رَبَّنَا مَا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ وَآتَيْتَنَا الرَّسُولَ فَأَنْتَ تَبْنَاهُ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣]. ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاتِ ﴾ [٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿ ٨٤ ﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿ ٨٥ ﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ أَمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْحَيُّونُ

وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ « متفق عليه^(١) .

يا خبيراً بكل شيء ، يا عليمًا بكل شيء ، يا بصيراً بكل شيء ، يا مالكاً لكل شيء .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، إنك أنت العليم الخبير .

اللهم يا إلهي ، يا من بيده ناصيتي ، يا عليمًا بضعفي ومسكتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ،

أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل بر تنشره ، ومن كل

ذنب تغفره ، يا أرحم الراحمين .

إلهي أنت العليم الخبير بالدقائق والخفايا ، وأنت المطلع على المعلنات والسرائر ، بصّرني

في جميع أحوالي حتى أكون خبيراً بما ينفعني ويضرني ، بصيراً بما يسعدني ويشفيني ، إنك

أنت العليم الخبير .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

المحيط

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء / ١٢٦].

الله ﷻ هو المَلِكُ الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي والعالم السفلي.

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذت مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمتته جميع المخلوقات:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء / ١٢٦].

وهو سبحانه العلي العظيم الذي أحاط بكل شيء خلقا، وأحاط بكل شيء أمرا، وأحاط بكل شيء قدرة، وأحاط بكل شيء علما: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ بِنَزْلِ الْأَمْرِ يُبَيِّنُنَّ لِعِبَادِهِمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

وهو سبحانه العلي الكبير الذي أحاط بالعالم كله أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعلاه وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد / ٣].

وهو ﷻ المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والسفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [فصلت / ٥٤].

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط بجميع خلقه بالنعمة والعافية، وأحاطهم بالأمن والدين، فلا أحد أكرم منه، ولا أحد أقوى منه، ولا أحد أعظم منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

فسبحان الملك الحق المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد، المحيط بالمكان والزمان، المحيط بالأوائل والأواخر، والظواهر والبواطن، والأقوال والأفعال، والجهر والسر: ﴿وَأَسْرُوفُ قَوْلِكُمْ أَوْ أَجْهَرُ أَبِيهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الملك / ١٣-١٤].

وسبحان الرب العظيم الذي خلق الملك والملكوت، وأحاط بعالم الغيب والشهادة.

خلق السموات والأرض، وملاً السموات بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره، وملاً الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والذرات، والإنس، والجن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ثم أحاط الجبار كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الأولى الدنيا، وأحاط السماء الأولى بالثانية.. وهكذا إلى السماء السابعة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

ثم أحاط سبحانه السموات والأرض بالكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل/ ٢٦].

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكل في يد الجبار ﷻ أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَضْئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الكبير المتعال الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحاط بكل شيء محيط، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الكهف/ ٣٦].

والله ﷻ ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات وهي الرحمة كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه/ ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم.. وأحاط بكل محيط.. يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. يخلق ويرزق.. ويأمر وينهى.. ويعز ويذل.. ويحيي ويميت.. لا راد لقضائه.. ولا معقب لحكمه.. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤] .

واعلم علّمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة، والتدبيرات العجيبة، في السماء والأرض، لكل واحد منها يومه وساعته ودقائقه، ولكل مخلوق أيامه وأسابيعه وشهوره وأعوامه وقرونه، يقع فيها حوادث لا يحصيها إلا الله من الأعمال، والتسبيح، والتحميد، والحياة، والموت، منها ما نبصره، وأكثرها لا نبصره، والله محيط بكل ذلك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

والكل يسبح بحمد ربه، ويشهد له بالوحدانية، والكل أحاط به المحيط الذي أحاط بكل شيء ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء / ١٢٦] .

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات العلى، وحملة العرش المقربين، فهؤلاء كلهم عباداتهم لربهم سرمدية أبداً: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].
والله ﷻ هو الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتديريهم وأرزاقهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها، وتسبح بحمده، وتشهد بتوحيده .
ومن شذ من البشر عن عبادته فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت/ ٣٨].

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو، وأكرمنا بالدين الحق الذي يرضى به عنا، وفرض علينا أولاً خمسين صلاة في اليوم واللييلة، ثم خفف الكريم الرحيم عددهن من خمسين إلى خمس صلوات، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله الصلاة بعشر صلوات، ثم الحسنه بعشر أمثالها، فصارت الصلاة الواحدة بمائة صلاة، والخمس صلوات بخمسمائة صلاة .

فلله الحمد على عطاء ربنا الكريم: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾
يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وجعل كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو،

والسيئة بمثلها ويمحوها بالتوبة أو بعفوه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠ / الأنعام].

واعلم أن مَنْ عَلَتْ مِنْهُمَ سَارِعٌ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَتَكْثِيرِ النُّوَافِلِ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ ، وَاجْتِنَابِ الْمُنْهَيَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْمَحْرَمَاتِ : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٢١ / الحديد].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات، تكون الكرامات والهبات، وعلى قدر الغفلة والبطالة، تكون الخسارة والعقوبات: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [١٠٨ / يونس].

فسبحان الكريم الرحيم بعباده ، الذي خلق المسبحين ، وعرفنا بهم ، وأرانا إياهم ، وأخبرنا بدوام تسييحهم ، لنقتدي بهم ونسبح بحمده معهم: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [١٨ / الحج].

هو الله ﷻ المحيط الذي أحاط بكل شيء ، وأحصى كل شيء من الذرات ، والذوات ، والأعداد ، والأحوال ، والآجال ، والأرزاق ، والأنفاس ، والحركات ، والأقوال ، والأفعال ، والحروف ، والكلمات ، وما في القلوب ، وما في الغيوب : ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٥٣-٥٤ / فصلت].

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً ، عدداً وقدرًا ، أولاً وآخراً . يعلم مثاقيل الجبال .. ومكاييل البحار .. وعدد ذرات الرمال .. وعدد ورق الأشجار .. وعدد الطير والوحش والحيوان .. وعدد الإنس والجان والملائكة .. وأحصى تسييحها وأنفاسها وما خرج منها : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاخِرَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [١٢ / يس].

أوجد سبحانه العدد وجوداً لا ينتهي له ولا آخر ، وجعله في الدنيا آية على بقاء ما له أول ولا آخر له وهي الدار الآخرة.

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد ، ويحسبها بحساب واحد ، ويعلم كل شيء بعلم واحد ، وأحصى جميع المخلوقات جملة وتفصيلاً : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ (١١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢] .

والله ﷻ أسماءه لا تحصى ، وصفاته لا تحصى ، وأفعاله لا تحصى ، ونعمه لا تحصى .
وَمَنْ أَحْصَى مِنْ أَسْمَائِهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وإحصاؤها هو معرفتها ، وتوحيد الله بها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها .
عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « لَلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ وَثُرٌ يَجِبُ الْوِثْرُ » متفق عليه (١) .

فيجب علينا معرفة أسماء الله الحسنى ، لندعوه بها ، ونتعبد لله بها بالاتصاف بما يليق بالعبد منها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

وإذا كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق ، ويحصى كلامك وأفعالك وأنفاسك ، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك ، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك ، فلماذا لا تُجَلِّ نظره إليك ؟ ولا تهاب رقايبه عليك ؟ ولا تستحي من مشاهدته لك ؟ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج/ ٧٠] .

واعلم أن أنفاس العباد معدودة ، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت ، فاذكره يذكرك ، واعبده بما شرعه رسوله ﷺ : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥] .

• التعبد لله ﷻ باسمه المحيط :

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه/ ٨] .

هو المَلِكُ المحيط بكل ملك .. القوي المحيط بكل قوي .. الكبير المحيط بكل كبير .. العزيز المحيط بكل عزيز .. العليم المحيط بكل عليم .. الغني المحيط بكل غني .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

فسبحان الرب المحيط بجميع أكناف العالم، وجميع ذرات العالم، المحيط بجميع أنفاس، ونيات، وحركات، وأقوال، وأعمال الخلائق كلها في آن واحد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [الطلاق / ١٢] .

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكير وزيادة التدبر، لتعرف الكبير حقاً، والعظيم حقاً، والملك حقاً، والمحيط حقاً، الذي أحاط بالملكوت كله حولاً وقوة، وعلماً ومشئته، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة، كبيرة أو صغيرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام / ١٠٤] .

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا ملكه، وتلك خزائنه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فعليك بالاستسلام له .. والحياء منه .. وإخلاص العبادة له .. والتبرؤ من الحول والقوة له .. والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة فكل نعمة منه: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣] .

فكل نعمة فإنما كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ [النور / ٢١] .

واحرص أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن، واجتنب المعاصي والبدع، وعليك بالصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر لله على النعماء؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧] .

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠] .

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء، ولا تتبرم من أي مكروه قدره، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

وإذا وقع مكروه فقل : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل ، وإذا لم يقع ما تحب ، فاعلم أنه لم يقدره العليم الخبير ، ولو كان خيراً لقدرة : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة / ٥١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، أَحْرَصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ » أخرجه مسلم ^(١) .

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك ، وملازمة السنة في أقوالك وأعمالك ، ومصاحبة الأيام والشهور والأعوام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته ، وبعد موته ، كما كان العبد لربه بعد بعثته من نومه . فإن كنت في الدنيا لربك عبداً ، ولحرماته معظماً ، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً ، كان الله في الآخرة لوجهك مكرماً ، ولشأنك معظماً ، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعاً : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/ ٦٠] .

ومن أحسن أحسن الله إليه وزاده : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس/ ٦٦] .

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى ، ولا يحاط بجمالها فضلاً عن آحادها : ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُفُّمِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْمَةً إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَشَّرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣] .

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك تأخذ أجزائها مضاعفاً ، واستغفر عن التقصير في كل عمل صالح ، فإن ربك غفور رحيم : ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر والعمل الصالح ، ومدافعة الغفلة ، مراعاة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤) .

الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩] .

وإن كنت عن ربك معرضاً، ولحدوده متجاوزاً، وإلى ما يسخطه مسارعاً، كان الله في الآخرة لوجهك مهيناً، ولبدنك معذباً: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩) [الكهف / ٢٩] .

وإياك وإضاعة الأوقات، والتسويق والتمني، والتراحي والانتظار، والتردد والتربص. فهذه كلها جنود إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٠) [سبأ / ٢٠] .

واعلم أن الله كما يقلب الليل والنهار، كذلك يقلب الأنفاس بخواطر القلوب، ففكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣٥) [الأعراف / ٢٠٥] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) [الأعراف / ٢٣] .
 ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٦) [البقرة / ٢٨٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
 أخرجه مسلم (١).

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر، يا عليمًا بالظواهر والبواطن، يا سميعاً للمنادي والمناجي، يا بصيراً بالشاهد والغائب .

أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرتة، ولا همماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا نفسته، ولا ضراً إلا كشفته، ولا ضاللاً إلا هديته، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الحفيظ

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٢١﴾ [سبأ / ٢١] .

الله ﷻ هو الحفيظ الحق الذي حفظ جميع ما خلقه ، وأحاط علمه بما أوجده ، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها ، وحفظ أوليائه من الوقوع في المهالك .

وهو سبحانه الحي القيوم ، الحافظ لجميع المخلوقات ، من سماء وأرض وما فيهما وما عليهما وما بينهما لتبقى إلى ما شاء الله ، فلا تزول ولا تميد ، ولا يسقط منها شيء على شيء :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥] .

فسبحان القوي العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء ، وأحاطت قوته بكل شيء : ﴿الْمُتَرَتِّبُ

أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥] .

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١] .

وهو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتغيير مع كثرة المحرفين والمبدلين : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ [الحجر / ٩] .

فسبحان الحافظ العظيم الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم .

الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم ، ويعلم نياتهم ، وما تُكِنُّ صدورهم :

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٥٧﴾ [هود / ٥٧] .

هو سبحانه الحفيظ العليم الذي أحصى كل شيء ، ولا ينسى أي شيء ، فكل أقوال الإنسان وأعماله ، وكل عطائه ومنعه ، وكل خيره وشره ، كل ذلك محفوظ عند الحفيظ سبحانه ، في

كتاب مرقوم يستحيل أن ينقص منه شيء : ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ﴿٥٢﴾ [طه / ٥٢] .

وهو سبحانه الحافظ الذي يحفظ أعمال المؤمن ، ويكافؤه عليها في الدنيا والآخرة ، ويحفظ أعمال الكافر ، ويجازيه عليها في الدنيا والآخرة .

فسبحان الحفيظ الذي تكفل بحفظ كل شيء ، حفظ السموات والأرض أن تزولا ، وحفظ السماء أن تقع على الأرض ، وحفظ كل إنسان من البلى ، وحفظ كل مخلوق من شر ما خلق ، وحفظ القرآن من الزيادة والنقص والتحريف ، وحفظ الدين من البدع والضياح : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه العليم بكل شيء ، الحفيظ لكل شيء ، المحيط بكل شيء ، الذي أحصى كل شيء من الأقوال والأعمال والحركات والسكنات ، وأحصى الطاعات والمعاصي ، وأحصى الذرات والأنفاس ، وأحصى الكلمات والأحرف ، وأحصى الأشكال والأرقام : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الحفيظ العليم بدقائق الأمور ، الخبير بأسرار المقادير ، البصير بالظواهر ، الخبير بالباطن : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن العبد إذا علم أن ربه عليم بكل شيء ، سميع لكل شيء ، بصير بكل شيء ، وأيقن أن الله يحصي جميع أقواله وأعماله ، ويحفظ جميع حركاته وأنفاسه ، عبد ربه كأنه يراه ، وبادر إلى طاعته ، واجتنب معصيته ، وسارع إلى مرضاته ، وابتعد عما يسخطه : ﴿ فَأَعْلَمَنَّ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبَكُمُ ﴾ [محمد/ ١٩].

ونعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى ، والبشر عاجزون عن إحصاء منافع وبركات نعمة واحدة من نعم الله عليهم ، وعاجزون عن شكرها من باب أولى ، فكيف بإحصاء نعم الله على العباد ، وكيف لهم بالقيام بشكرها : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان الكريم بكل نعمة ، العليم المحيط بكل ذرة في ملكه العظيم ، المحيط الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبا/ ٢٩].

وهو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، سرها وجهرها ، وعلم بمقاديرها ومقادير جزائها وحفظ ذلك كله ، وكتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣].

وللحفيظ ﷻ حَفَظَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ الْعِبَادَ ، وَيَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

وللرب ﷻ حَفَظَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ الْمَخْلُوقَ مِمَّا لَا يَرِيدُ الْحَفِيزُ الْحَقَّ كَوْنَهُ ، وَهُوَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ : ﴿ لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد / ١١].

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء / ٤٤].

واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان :

الأول: حفظ عام لجميع الخلق يشترك فيه المؤمن والكافر، وسائر النبات والحيوان ، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله بتيسير الطعام والشراب والهواء لهم، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة ، ودفع المكاره والمضار عنهم كما قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ / ٢١].

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به ، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضلة ، والفتن المهلكة ، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وألستهم من الكبائر والفواحش والمحرمات .. وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن والنفس الأمارة بالسوء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَرْزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

واعلم أنه مَنْ حَفَظَ اللَّهُ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ ، واجتناب نواهيه، حفظه الله في الدنيا والآخرة ، فاحفظ الله يحفظك ، وتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِيزًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف / ٦٤].

ومن حفظ حدود الله ، وأدى حقوقه ، فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب فأطاعه فرضي الله عنه ، وأدخله الجنة : ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق / ٣١-٣٥].

واعلم أن أعظم حفظٍ من الله به عليك حفظ قلبك ، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر والشرك والنفاق والفتن والأهواء والبدع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٣] .

فسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الملك العظيم، وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم ، وتكفل بحفظه، وهدى من يحب للإيمان وتكفل بحفظه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١١٤] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١١٣] [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحفيظ :

اعلم رحمك الله أن الحفيظ ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم ، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكة حفظة تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [١١] [الأنعام/ ٦١] .

وأنت غفر الله لك عبد الله الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة، وكريم كلاءته، ومنيع حفظه، وحراسته لك في دينك واستقامتك ، وفي نفسك وروحك ، وفي سمعك وبصرك ، وفي فكرك وعقلك، وفي قلبك وجسمك، وفي جميع حواسك الظاهرة ، وجميع حوائجك الباطنة ، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد، فاشكره وأحسب عبادته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠] .

ولا تحسبنَّ الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة فذلك فضل عظيم من ربك ، ولكن الحفظ الأكبر حفظ القلب والدين من الكفر، والشرك، والنفاق، والبدع، والشك، والشبه، والأهواء، والفتن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٢١] .

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسب عبادته بما جاء به رسوله ﷺ ، وأخلص العمل كله له ، فهو أهل أن يُعبد ، وأهل أن يُحمد: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

فهو سبحانه الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه، وحبك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَدْعُ بَصِيرًا الْإِنْسَانَ أَسْمَانًا لِّيرَوِّا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

فهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت ، واعبد ربك واصطر لعبادته ، وداوم على شكره ، واصبر على بلائه ، واحفظ حقوقه وحدوده ، واجتنب محارمه وما يسخطه ، فبذلك تستدرّ نعمه ، وتستصحب حفظه ، وتنال ثوابه ، وتسلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبَّكُمْ لَمِنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَمِنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم / ٧].

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله هو توحيده بأسمائه وصفاته ، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ آدَعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ﴾ [الرعد / ٣٦].

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات الصلاة، فمن حافظ عليها حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة / ٢٣٨].

ومما أمر الله بحفظه السمع والبصر والفؤاد ، فاستعمل ذلك كله في طاعته: ﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء / ٣٦].

واعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَا غَلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله ،

وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ « أخرجه أحمد والترمذي (١) .

فاحفظ سمعك فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه.. واحفظ بصرك فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه.. واحفظ قلبك أن يتعلق به غيره.. واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضبه.. واحفظ جميع جوارحك فلا تتحرك إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١٣) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٣) لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١١٣) ﴿ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أقرب كلما تقربت منه: ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠) ﴿ [التوبة/ ١٠٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه (٢) .

وإذا علمت أن الله ﷻ هو الحفيظ لجميع ما في ملكه فاحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله تجده تجاهك ، وافعل الأسباب المشروعة في حفظ النفس والصحة والأهل والمال ، وتوكل على الحفيظ وحده في حفظها : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣) ﴿ [التغابن/ ١٣] .

واعلم أن ما عند الله لن يناله العبد إلا إذا اتبع منهج ربه في الحفظ .
حفظ القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى ، وحفظ الجوارح بطاعة الله ، واجتناب معصيته ، وحفظ اللسان بالذكر والحمد، والدعاء والدعوة ، والكف عن سيء الأقوال ، وحفظ العين

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

بالنظر في الآيات الكونية والشرعية، والبكاء من خشية الله ، والغض عن محارم الله ، وحفظ الأذن بسماع القرآن والمواعظ والعلم النافع ، واجتناب سماع اللغو والغيبة والنميمة وسيء الكلام ، وحفظ المال بتأدية الزكاة ، واجتناب الكسب الحرام ، وحفظ الوقت باستعماله فيما يرضي الله لا فيما يسخطه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَتَّبِعُهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/٦٦-٧٠].

وسل الحفيظ الحافظ لكل شيء أن يحفظ لك دينك وتوحيدك وإيمانك ، وأن يحفظ قلبك من الشرك والرياء والشبهات ، وأن يحفظ جوارحك من المعاصي والآثام ، وأن يحفظ أموالك من الشبهات ، وأن يحفظ دنياك ويجعلها عوناً لك على طاعته : ﴿ فَأَلَلَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (٦٤) [يوسف/٦٤].

واعلم أن الحفاظة تكون على قدر الاستقامة ، فاستقم كما أمرك الله ، والاستقامة تحصل للعبد بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي ، والصبر على كل شيء أمر الله به ، ابتغاء مرضاة الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٠) [آل عمران/٢٠٠].
واعلم رحمك الله أن من كان الحفيظ معه فلن يضره أحد ، ومن تخلى الله عنه استلمه عدوه ، وخذله من جهته : ﴿ فَلَا تَنُذِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ (١٣) [الشعراء/٢١٣].

فتوكل على الحفيظ القادر على كل شيء في جميع أمورك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (١٧) الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/٢١٧-٢٢٠].
وأظهر الطاعة لمولاك العزيز يعزك وينصرك ، ويرضيك ويسعدك : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣) [آل عمران/١٢٣].

وإياك أن تعتد بقوتك ومالك ، وعلمك وذكائك ، فيتخلى الله عنك ، ويخذلك من جهته رحمة بك ، لتتوب وترجع إليه ، فإن فعلت ذلك فتب إلى ربك التواب الرحيم : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٦١﴾ [التوبة/٢٥-٢٦].

فكن رحمك الله لربك كما يريد يكن لك كما تريد ، وسلم لربك فيما يريد يكفيك ما تريد .
فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما يريد رحمة بك لتعود إليه : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧١] .

لهذا يجب على الإنسان أن يراقب قلبه كما يراقب بدنه ، فكما يسارع لعلاج أي عضو فيه إذا أصيب ، فعليه كذلك أن يتعاهد قلبه ليتعافى من أمراض الشهوات والشبهات والمعاصي ، ولثلا يرى فيه ربه شيئاً يكرهه ولا يرضيه : ﴿ أَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الذين يؤفون بعهدهم ولا ينقضون الميثاق / ٢٠] ﴿ [الرعد / ١٩-٢٠] .

والقلب محل نظر الرب ﷻ ، والبدن محل نظر الخلق ، فلا يليق بالعاقل أن يطهر منظر الخلق من الأوساخ ، ولا يطهر محل نظر الرب من الشك والشرك والمعاصي : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِسِقُونَ ﴾ [١٦] ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد / ١٦-١٧] .

اللهم اكشف عن قلوبنا الحجاب حتى نشهد في أنفسنا أنه لا إله إلا أنت ، ولا رب سواك ، ونراك تخلق وترزق ، وتغفر وترحم ، وتعطي وتمنع ، وتعز وتذل ، وتحيي وتميت : ﴿ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

اللهم ارزقنا نور المراقبة حتى نعبدك كأننا نراك ، ويسر لنا حسن معرفتك حتى نحمدك ونخشاك ، وبصّرنا بأعمالنا حتى لا نفعل إلا ما فيه رضاك : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن من حفظه الله في أمور دينه ودينه فإنه لا يضيع أبداً ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [يوسف / ٦٤] .

فاستودع الحفيظ ﷻ نفسك وأمانتك وأقوالك وأعمالك وجميع ما تملك وخواتيم أعمالك ، فما استودع الحفيظ شيئاً قط إلا حفظه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ١١١] .

وأكمل لربك ما يحب يُكمل لك يوم القيامة ما تحب ، واجتنب ما يكره يحفظك مما تكره ، وهذا ما يحب ربي وربك : ﴿يَبْنَ إِسْرِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَاِيْتِي فَاَرْهَبُوْنِ ﴿٤٠﴾ وَاِمْنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرٍ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِاٰيٰتِيْ ثَمٰنًا قَلِيْلًا وَاِيْتِيْ فَاَنْقُوْنِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبَسُوْا الْحَقَّ بِالْبٰطِلِ وَتَكُوْنُوْا اَلْحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعٰمُوْنَ ﴿٤٢﴾ وَاَقِيْمُوْا الصَّلٰوةَ وَاَتُوْا الزَّكٰوةَ وَاَرْكَعُوْا مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٤٠-٤٣].

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وحفظ أمانته، وأداء ودائعه، وما استودعنا من شرائعه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء / ٥٨] .
 ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣] .
 ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨] .
 « اللّٰهُمَّ اَعُوْذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمَعٰفٰتِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ ، وَاَعُوْذُ بِكَ مِنْكَ لَا اُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، اَنْتَ كَمَا اُنْتِيْتِ عَلٰى نَفْسِكَ » أخرجه مسلم (١) .

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق ، واحفظ ألسنتنا من الكذب ، واحفظ أعيننا من الخيانة ، واحفظ أعمالنا من الرياء ، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة ، واحفظ جوارحنا من المعاصي ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) .

الحكيم .. الحَكَم

قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].
وقال الله تعالى: ﴿أَفَعِزَّ اللَّهُ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام/ ١١٤].

الله ﷻ هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم
الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ
مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرْنَيْنٍ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، الحكيم الذي يضع الأشياء في محالها بحكمته
ورحمته وعلمه، الحكم الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه،
الحكيم الذي يحكم ولا معقب لحكمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا
مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد/ ٤١].

وهو سبحانه الملك الحق الحكيم الذي أحكم المخلوقات والأمور، ومنعها عن الخروج
عن حكمه، الحكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان الملك والملكوت
كله لحكمه العدل، وأمره الفصل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر/ ٤-٥].

وهو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحسن،
الحاكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

وهو سبحانه الحكم الذي لا حكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق
منه، الذي سلّم له الحكم كله في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ مَسْحُورَتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الحاكم الحكيم الذي يحكم بين العباد بالعدل والإحسان ، الحاكم في كل مكان وزمان وحال ، الحكم الصادق الذي لا يقع في وعده ريب: ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءَ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٨٧].

هو الحكم الذي حكم الملك والملكوت ، الحكم الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة، وحكم على النفوس بالانقياد والطاعة ، الحاكم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلُّ لَهٗ قٰنُوْنٌ ﴾ [٢١] وَهُوَ الَّذِي يَدۡوُ الْخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيۡدُهٗ وَهُوَ اَهۡوَنۡ عَلَيۡهٗ وَلَهُ الْمَثَلُ الۡاَعۡلٰى فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ وَهُوَ الْعَزِيۡزُ الْحَكِيۡمُ ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهو سبحانه الحكيم وحده لا شريك له ، فلا يجوز لأحد أن يحتكم إلى غير شرع الله ، ومن احتكم إلى غير شرع الله فقد حُكَّم في أموره من ليس حاكماً: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة/ ٤٤].

وهو سبحانه الحكيم الحق الذي لا بد أن يُظهر الحق ، لأنه هو الحق الذي ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة ، لكن لا بد من الصبر وانتظار الفرج ، ومن سنة الله مع خلقه - الظالم والمظلوم - أن يمهل ويرخي الحبل مع الكل ليفعل كل ما يشاء ، ولكن الظالم لا يستمر إلى ما لا نهاية ، فالحبل مرخي إلى أجل ، والعاقبة للمتقين: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَأُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف/ ١١٠].

والمظالم كلها مردودة إما في الدنيا أو في الآخرة ، فاستقم كما أمرك مولاك فإنك منصور: ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يونس/ ١٠٩].
واعلم أنه لا أحد أحكم من الله ، ولا شيء أحسن من حكم الله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٠].

ومن حكم الله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات/ ١٣].
ومن حكم الله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسٰنِ اِلَّا مَا سَعٰى ﴾ [٣٩] وَأَنَّ سَعِيهٗ سَوَفَ يَرٰى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزٰىهُ الْجَزَآءَ الْاَدْوٰى ﴿٤١﴾ [النجم/ ٣٩-٤١].

ومن حكم الله: ﴿ إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد/ ٧].

ومن حُكَمِ اللهُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

ومن حُكَمِ اللهُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر/ ٤٣].

وكل القرآن حِكْمٌ وأحكام ، وأوامر وأخبار ، وتوحيد وتمجيد للمجيد، ووعد ووعد :

﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتًا عَيْنُهُ ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾﴾ [هود/ ١].

وهو سبحانه العزيز الحكيم المحمود على حُكْمِهِ في الدنيا والآخرة ، وعلى حكمه في السموات والأرض.

فهو الحَكَمُ الحق الذي له الحُكْمُ القدري على الكائنات كلها ، الذي أثره جميع ما خلق

وذراً وبرأ في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَهُ

مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحَكَمُ الحق الذي له الحُكْمُ الديني الشرعي ، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر

والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف/ ٤٠].

وهو الحَكَمُ الحق الذي له الحُكْمُ الجزائي في الآخرة ، الذي أثره الثواب والعقاب للعباد :

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

فسبحان الملك الحق الذي له الخلق والأمر والحكم والحمد: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص/ ٧٠].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له.

أما كمال الحكم : فاعلم أن الحُكْمُ كله لله وحده لا شريك له ، فهو الذي يحكم بين عباده بما

يشاء ، ويقضي فيهم بما يريد، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَىٰ

الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام/ ٥٧].

وكما أن الله ليس له شريك في الملك، فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في

العبادة: ﴿لَهُ عِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مَنِ وَلِيَ وَلَا يُشْرِكُ

فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف/ ٢٦].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر

على كل شيء، الخالق لكل شيء ، هو الذي يستحق وحده أن يحكم ويُشَرِّع ، ويأمر وينهى ، ويُحَلِّل ويُحَرِّم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ أَمَّا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٤٠].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله ، ويأكلون من رزقه ، ويكفرون بالله ، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعباده : ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١١٠] أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٩٠-١٩٢].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره ، ومن فعل ذلك فهو كافر وظالم وفساق، فله الخزي والذل في الدنيا والآخرة : ﴿وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [٤٩] أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

ومهمة الخلافة إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يٰٓدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره : فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فقد خلق الله جميع المخلوقات بالحق، وأوجدتها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وصوره أحسن تصوير: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذاريات/ ٦-٧].

وأما الحكمة في أمره وشرعه : فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، ليعرفه عباده ، ويعبدوه بما شرع ، ومعرفته وعبادته بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصوده من خلقه ، وهي أفضل العطايا منه لعباده ، وهي أشرف الهبات للوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ﴾ [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وقد اجتبي الله هذه الأمة وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرَّفها

كالأنبياء بعبادة الله، والدعوة إليه، إلى يوم القيامة: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصالحة.

فأخبره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً، وإيماناً، و يقيناً، وعلماً بالله وأسمائه وصفاته، وتعظيماً للرب، ومحبة لله، وحمداً له، و ذلاً له: ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝۱﴾ [التعبء والالاء الله اننى لكم منه نذير وبشير ۝۲] ﴿هود/ ١-٢﴾.

وأوامره الشرعية كلها منافع ومصالح تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتركي النفوس بالطاعات: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝۱۰﴾ [المتحنة/ ١٠].

ونواهيها كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم، وأبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأعراضهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝۹۰﴾ [النحل/ ٩٠].

فله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع بأحسن الكتب، وأرسل بها إلينا سيد الرسل ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝۱۵﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝۱۶﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته وأفعاله وآياته وأحكامه.

وشهدت العقول بحكمة الحكيم ﷻ بما شهدته في ملك وملكوت الجبار ﷻ، وخرت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝۱۸﴾ [آل عمران/ ١٨].

فتدبر رحمك الله حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة، وآياته العجيبة، ترى ببصرك وبصيرتك رباً حاكماً حكّم كل شيء، وأحكم كل شيء، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة، فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وانظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السموات والأرض، وما فيهن، وما بينهن، من المخلوقات والأفلاك والتدبيرات، تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات، وترى الآيات الساطعات الدالة على عظيم قدرة الجبار، وتشاهد حكمة أحكم الحاكمين تجري بإحكام متقن، وتدبير عجيب، وحكم مستمر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤].

واعلم أن ربنا الحكيم العليم بيده ملكوت كل شيء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. هو سبحانه الحكيم الذي يمنع الإنسان مما يضره، ويحميه مما يؤذيه، ويمنع وليه من عدوه، ويمنع عنه المرض، ويمنع عنه الشر، ويحفظه مما يؤذيه.

هو العليم الخبير الذي يمنع من يستحق المنع والحفظ من المؤمنين، ويعرض عمن لا يستحق المنع والحفظ، فينكشف ويصل إليه أعداؤه، فإذا لم يستقم المؤمن يفتن بالكفار فينالون منه، لأن الله لم يمنعه، لأنه لم يستحق المنع لانحرافه، فقهره وأذله عدوه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح/ ٢٤].

واعلم أن من سلم من المصيبة أو المرض فالله منع ذلك عنه، ومن أصابه ذلك فالله أذن بذلك ليربيه أو يؤذيه أو يرفع درجاته أو يكفر سيئاته: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١].

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يحب من التقصير، كلما قصر ابتلاه ربه بمصيبة ليتوب إلى ربه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة/ ٢١٦].

هو الحكيم الخبير بما يصلح عباده، الذي يمنع البلاء حفظاً وعناية بمن أطاعه، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحماية.

ومن فتح الله له معرفة باب الحكمة في العطاء والمنع، رأى المنع عين العطاء، ومن كشف الله له الحقيقة سارع إلى ربه في جميع أحواله، وقال قلبه لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت

أن أزيد في عملي : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبَتْ ءَانَاءَ أَيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْدُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩].

هو الحكيم العليم الذي يستحق أعظم الحمد على عطائه ومنعه .

يعطيك ما يسعدك ويغنيك ، ويمنعك من كل ما يضرك ويؤذيك ، ويمنعك من كل ما يطغيك ويشقيك ، ويمنعك تأديباً وتربية ورفعة لك : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١١].

فسبحان من خلق العالم كله على طبقاته ، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته من الجماد ، إلى النبات ، إلى الحيوان ، إلى الإنسان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

خلق الحكيم ذلك كله بحكمة تبهر العقول ، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة، ومخلوقاته المتقنة، بالشرعة المنزلة ؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، القادر الذي لا أقدر منه ، الرحيم الذي لا أرحم منه ، الحكيم الذي لا أحكم منه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم رحمك الله أن من رزقه الله بصرًا وبصيرة رأى في ملكوت السموات والأرض من عجائب الخلق، وأنواع المخلوقات، ودوام التصريف والتدبير، ما يبهر العقول ، ويكِلُ دونه النظر ، وينحسر دونه البصر ، ويُرَبِّي على الوصف ، مما لا تدرك كنهه العقول ، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْفَلَقِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [القمان/ ١٠-١١].

فسبحان الرب القادر الحكيم الذي برأ البرايا ، وفطر الفطر ، وركَّب الأجسام وزوَّجها بالأرواح فصارت حية تشهد لربها العظيم بالوحدانية ، وتقوم له بالعبودية ، وتسبح بحمد ربها ميتة أو

حياة : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج/ ١٨].

وسبحان القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق ، واختزن الأرزاق في الأسباب ، واختزن الأسباب في الإرادات ، واختزن الأرواح في الأجسام ، واختزن الثمار في الأشجار، واختزن المعاني في الألفاظ ، واختزن الكل في خزائن السموات والأرض ، وأخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وسبحان العلي العظيم الحكيم الذي خلق العالم كله بالحق وللحق، وركب العالي على السافل، واستودع السافل في العالي، وملاً ملكه العظيم بالعوامل التي لا يحصيها إلا من خلقها، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم، وعرشه العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ٦ ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهيجٍ ﴾ ٧ ﴿ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِي لِكُلِّ عِيدٍ مُنِيبٍ ﴾ ٨ ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ ٩ ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ ١٠ ﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ١١ ﴿ [ق/ ٦-١١].

والله علي عظيم كبير محيط بكل شيء ، استوى على العرش برحمته ، حي قيوم يفعل ما يشاء بقدرته ، ويحكم ما يريد بمشيئته ، عليم خبير بجميع ما في ملكه وملكوته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

انظر رحمك الله إلى ربك الخلاق العليم القادر على كل شيء، كيف خلق المخلوقات ، وكيف صورها على غير مثال، فأحسن التصوير، وقدّر فأحسن التقدير، ثم أخرج ما قدّر على سواء ما قدّر بلا كلفة ولا عناء : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ ٤٩ ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ ﴾ ٥٠ ﴿ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فتبارك الله رب العالمين ما أعظم ما خلق ، وما أعجب ما أبدع ، وما أحسن ما صور ، وما أحكم ما صنع : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

ثم انظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته، لأنه القادر على كل شيء ،
الحي الذي لا يموت ، الحي الذي يحيي ويميت .

فلبقائه ﷻ أفنأهم، فكل شيء هالك إلا وجهه، ولحياته ﷻ أماتهم، فكل حي سواه
سيموت، ولحياته أحيأهم فلا يموتون يوم القيامة أبداً، فاستغفر لذنبك، واستقم كما أمرت :
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ [الفرقان / ٥٨] .

ولعزه ﷻ أذل الخليقة قاطبة، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة فلا يذلون أبداً :
﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨ ﴾ [المنافقون / ٨] .

فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته، هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق
وللحق الذي هو الدين القيم : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤ ﴾ [يونس / ٣-٤] .

نشر الحكيم العليم ذلك الحق في أمشاج العالم كله بقدرته ، وأفرغه في قالب الموجودات
كلها بحكمته ، وهدى كلاً لِمَا خَلَقَهُ ، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح
والتحميد: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض ، وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ،
ودعا الكل إلى ذلك ، ورغب في الإيمان ، وحذر من الكفر : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ
الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ١٧٠ ﴾ [النساء / ١٧٠] .

ثم آمن مَنْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ ، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن : ﴿ إِن هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ
أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٩ ﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٣٠ ﴾ يُدْخِلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٣١ ﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١] .

فسبحان الحكيم القادر الفعال لما يشاء ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

يبسط ويقبض .. ويعزل ويذل .. ويرفع ويخفض .. ويكرم ويهين .. ويعطي ويمنع ..
ويرتق ويفتق .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَأَنِّي نَصْرُوفُونَ ٦ ﴾ [الزمر / ٦] .

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق الجلي والخفي، والكبير والصغير، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والجامد والسائل، والحلو والمر، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والنور والظلام، والإنس والجان: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ فِقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥٠].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار، وحاكم الكل بقهره وجبروته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].
فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين.

ثم تأمل رحمك الله كيف جازى الغني الكريم المطيعين له على اختلاف طاعاتهم وكثرتها بما يقابل ذلك وزيادة من الكريم لا تخطر على بال أحد: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تَسْجُدُ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا فَضَّحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [النساء/ ٥٦].
واعلم أن من حكمة الحكيم العليم ما أظهر من الحكمة، وخص بها من شاء من عباده.

والحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخصص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣١﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه ما استودع جميع المخلوقات من المنافع والمضار، وهدايته إياها لما قدره لها، واستعماله إياها لما فطرها عليه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ [يوسف/ ٦].

فالملائكة يعبدون ربهم، ويسبحون بحمده، ويدبرون أمره، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله. فهم النازعات، والمقسمات أمراً، والملقيات ذكراً، والصفات صفياً، والمدبرات أمراً، والتاليات ذكراً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿يَسِيعُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق ، والعمل به ، والدعوة إليه ، والصبر عليه ، وأتباعهم من المؤمنين كذلك : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واستخرج سبحانه حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع ، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحِصِّنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٧٩-٨٠].

فسبحان الحكيم الذي أحكم الأمور بما يبهر العقول من عجائب المخلوقات، وحسن التدبيرات ، وحكم المخلوقات ، وقهر الكائنات : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفتح/ ٧].

وما كان من السفه من بعض الخلق، وقول الزور والبهتان، والاستهزاء بالله وآياته ورسله، ورد الحق ونحو ذلك مما خالف الحكمة فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك ، علمه وقدره وأذن بوقوعه ، ثم أظهره من فاعلين له ، وأراد وقوعه منهم ، وهم الموصوفون به بفعلهم له ، ومحبتهم له ، فيجزون عليه جزاء مثله حقاً وعدلاً : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فكل فعل منوط بفاعله ، والفعل يضاف إلى فاعله لا إلى العالم به، القادر عليه، مع كونه غير واقع منه، ولا محب له، ولا راض عنه : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٨-٣٠].

بل الرب ﷻ يحب الإيمان والطاعات ، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه ، ولا يحبه ولا يرضاه : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [الزمر/ ٧].

واعلم أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأفعاله كلها حق وعدل ورحمة وحكمة وإحسان ، وهو المحمود على كل ذلك : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخْرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا نَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [سبأ/ ١-٢].

هو الملك الذي يغضب ويرضى .. ويحب ويكره .. ويعفو ويتنقم .. ويشيب ويعاقب ؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن أسخطه : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ [المائدة/ ٤٠].

وفعله ذلك كله حكمة ورحمة، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الحكيم الخبير : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّنِّ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين/ ٧-٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعادنا الله منه ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ، فسجد الملائكة امتثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك.

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله، وأقطع وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه في حق مَنْ فَعَلَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي، لإتمام كلمته فيهم، وإقامة عدله عليهم: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ [البقرة/ ٣٤].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره عزم على إغواء آدم ﷺ وذريته: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ [الأعراف/ ١٥-١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم حتى اتبعه أكثرهم: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ [سبأ/ ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوتة، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر/ ٦].

فسبحان من خلق خلقاً للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار، ويعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون: ﴿ وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ يَنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ومن يستحق ثوابه وعقابه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك/ ١٤].

فسبحان من أظهر بالإيمان فضله ، وأظهر بالكفر عدله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين كما قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَضَ قَبْضَةَ بِيَمِينِهِ ، وَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أَبَالِي ، وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا ، فَقَالَ : هَذِهِ لِهَذِهِ ، وَلَا أَبَالِي » أخرجه أحمد^(١).

فلا بد إذاً من طريقتين ، أمر الله بأحدهما ونهى عن الآخر ، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من طاعة وعصيان ، والطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، والمعصية ظاهرها سفة وباطنها حكمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وهو الحكيم العليم : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

فلو نقص سفة السفهاء من العالم، لغلب على الظن أن فاعله كأحد المطبوعات مثل النار لا توجد إلا محرقة ، وكالثلج لا يوجد إلا مبرداً ، وكالثقل يسفل، ولم تتم الحكمة من الخلق ، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل ، وبين الطاعات والمعاصي.

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده، وخلق الزوج وزوجه، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ثم قدم وأخر، ورفع وخفض، وأعزَّ وأذل ؛ ليظهر لعباده قدرته في خلقه، وحكمته في أمره: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿ فَمَرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٧٥٩٣) .

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ [الرعد / ٢٥].

فلا إله إلا الله ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين، وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين، فنستغفر الله ونتوب إليه من الجهل والتقصير: ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد / ١٩-٢١].

واعلم أن الله هو الخالق القادر الحكيم الذي خلق آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، وأودع فيه وفي ذريته معرفته وتعظيمه، حين أحضرهم جميعاً صوراً في الهواء كالهباء، وأخذ عليهم الميثاق، وشهدوا له بالربوبية، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه.

ثم استخرجهم بعد ذلك جميعاً من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر فأقروا له بالربوبية، وشهدوا على أنفسهم بذلك كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف / ١٧٢-١٧٣].

ثم ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم فكانت هذه أظهر من تلك.

ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلاً بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا، ومن صلب إلى صلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه، فكانت هذه الحياة أظهر كثيراً من الأولين. ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ.

فهم في هذه الموتة يحسون بعداب القبر ونعيمه، ويُعرضون على منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران / ١٦٩-١٧٠].

وحياة البعث المستقبلية أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم، والناس فيها فريقان: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى / ٧].

فإذا كان يوم القيامة بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الكبرى، وشهدت الشواهد،

ونظقت الصوامت ، وحق الحق ، وحق الحساب : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلُوبَنَا وَرَبِّي لَلْبَعْتَنَ ثُمَّ لَنْ نُؤْتِيَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن/ ٧-٨] .

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق : ﴿ يَوْمَ يَذُودُ بَعْضُ النَّاسِ أَشْتَانًا لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرَوُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة/ ٦-٨] .
فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، العلي العظيم في خلقه وأمره ، وحكمه وعدله ، وبره ورحمته ، وكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته .

واعلم رحمك الله أن سنة الله في الخلق بالتدرج كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد والنبات والحيوان كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن ، حين يُنزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ، فتدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية في الإيجاد والخلق : ﴿ قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ نَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت/ ٩-١٢] .

فربَّ أمر يومه خمسون ألف سنة .. وربَّ أمر يومه ألف سنة .. وربَّ أمر يومه سنة ..
وربَّ أمر يومه شهر .. وربَّ أمر حصل بأسرع من طرفة عين : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره ، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء ؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك الحق ، رب العرش العظيم ، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفياء ، ويشيهم ثواب الممتنين عليه ، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها ، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو : ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨] .

فما أغناه وما أكرمه ، إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد ، ويعطيهم بها الجنة ، ويثمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثَرِ لَهُمُ الْجَنَّةِ يُقَنِّلُونَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقَنِّلُونَهُمْ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة/ ١١١].

وكما يعاقب على ما لو شاء لعصم منه ، كذلك يثيب على ما إليه هدى ، وهو الحكيم العليم : ﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ لَدُوٌّ فَضِّلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [ذالكم الله ربكم خلق كل شيء لا إله إلا هو فإني توفكون] ﴿ ٦٢ ﴾ [غافر/ ٦١-٦٢].

فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عبيده . فأوجد خلقاً من خلقه في سماواته وأرضه يوحدهونه ويطيعونه ، ويسبحونه ويحمدونه بمحامده التي هو أهل لها .

وأوجد الحكيم أيضاً خلقاً من خلقه في أرضه يكفرون به ، ويكذبون عليه ، ويعصون رسله ، ويصفونه بما لا يليق بجلاله ، وهو مع ذلك يعافهم ويرزقهم .

بل تراه ﷻ ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض بنصر المظلوم ، وإهلاك الظالم ، أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به وعصى أمره ، وربما عجل الانتقام لنفسه كما أخذ الأمم السابقة بذنوبهم لما كفروا واستكبروا : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

وربما أحر المظالم إلى يوم القيامة فينتقم لنفسه ولعباده هناك : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَنِيًّا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن ، وعفا لعباده عنه ، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم ، وهذا كله من فضله ، وسبق رحمته غضبه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » متفق عليه ^(١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧١٥) واللفظ له .

فانظر رحمك الله إلى عدل ربك ، وحسن معاملته ، وكريم عفوه ، ولطيف تدبيره ، وسعة رحمته ، وعظيم إحسانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَهَّرِ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ ﴾ [طه / ٥-٨].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته ، وقهرت كل شيء عزته ، وأحاطت بكل شيء قدرته ، وأحصى كل شيء علمه ، وبلغ كل شيء لطفه ، وأحاطت بكل شيء حكمته ، ووسعت كل شيء رحمته : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر / ٧-٨].

الخلق كلهم عبيد له ، وهم جميعاً في قبضته ، وحياتهم وموتهم بيده ، وكلهم يعيشون في عز ملكه ، وقهر سلطانه ، وسعة رحمته ، وسابغ نعمه : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَنْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك / ١-٢].

فما أحكمه ، وما أكرمه ، وما أرحمه بعباده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله ، كيف ينكره مَنْ جَبَلَهُ اللهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وأشهده على ربوبيته ، وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه ، وكيف يعجزه من ناصيته بيده ، وكيف يستنكف عن عبادته مَنْ هو عبده ومُلْكُهُ وَيَأْكُلُ مِنْ رِزْقِهِ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد / ١٦-١٧].

وكيف يَعْبُدُ مَنْ دُونَهُ وَمَنْ بَقَاؤُهُ وَفَنَاؤُهُ بِيَدِهِ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج / ٤٦].

فسبحان الملك العظيم الذي عالم السموات والأرض ، وعالم الليل والنهار ، وعالم الدنيا والآخرة ، شعبة من سلطانه ، وخزائن السموات والأرض شعبة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه ، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته ، وليعرّف الناظرين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولتدين الخلائق كلها لعزته ، ولتعنوا الوجوه كلها لوجهه ، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٣] ﴿ [الطلاق / ١٢] .

فسبحان الملك الحكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله، العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤٤] ﴿ [الحشر / ٢٤] .

هو الحكيم الهادي الذي أرشد عباده إلى مصالحهم ، وأرشدهم إلى سبل السلام ، فأرشدهم إليه ، وأرشدهم إلى دينه ، وأرشدهم إلى محبته ، وأرشدهم إلى قدرته ، وأرشدهم إلى عظمته : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [١٦] ﴿ [المائدة/ ١٥-١٦] .

هو الحكيم العليم الذي أرشد الخلائق إلى هدايته ، الذي أرشد أوليائه إليه ، الذي ألهم أهل الرشد إلى طاعته : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١٧] ﴿ [الحجرات / ١٧] .

واعلم أن الإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله ؛ لأن اتصاله بالله يكسبه نوراً وأمناً، وقوة ورحمة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢٨] ﴿ [الحديد/ ٢٨] .

ومن كان مع الله فلن يضل أبداً ، ومن كان مع غير الله فلن يهتدي أبداً : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا يَجِدُ لَهُ وِلِيًّا شَدِيدًا ﴾ [١٧] ﴿ [الكهف / ١٧] .

فكن مع ربك الحكيم الهادي إلى كل خير، واسأله من فضله فلن تضل ولن تزيغ : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ أَن يُوَفَّىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُجَازَىٰكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴾ [٧٣] ﴿ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٧٤] ﴿ [آل عمران / ٧٣-٧٤] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحكيم:

اعلم رحمك الله أن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من آمن بالله، ورضي بحكم أحكم الحاكمين، وسلم لأمر رب العالمين، واستقام على التوحيد والدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا فَشَتْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة، الحكم الذي لا أحد أحكم منه، الحكم الذي يملك خزائن الحكمة، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، وكل حكمة وأحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْمُدُّ رِبِّ السَّمَوَاتِ وَرِبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].
واعلم رحمك الله أن الحكمة أجل شيء يكرم الله به عبده.

والحكمة من حيث العلم: هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه.
والحكمة من حيث الفعل: هي جمع الأضداد، وقرن المتعاصيات، بحسن التدبير.
وأصل الحكمة: إصابة الصواب، وموافقة الحق، والعدل في القول والعمل.

والحكيم من وضع الشيء في موضعه، وتزكى بالإيمان والتقوى، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى، وزم العسرى باليسرى، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢].

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة، فهي الجوهرة العظمى، والهبة السنية العليا، وتعرفها حق واجب على أولي الألباب، وفرض لازم على من رغب في حسن الزلفى إلى ربه، وحسن المآب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

والحكمة إصابة الحق، والحق كل ما وافق الشرع والعقل.
والله ﷻ هو الحكيم الذي لا أحكم منه، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه.
والحكمة التامة وضع الشيء المناسب، في المكان المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، بالأسلوب المناسب، للشخص المناسب.

وحكمة البشر فضل من حكمة الله، وعطاء من الحكيم: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والله حكيم خبير يعطي الملك والمال من يحب كسليمان عليه السلام وعثمان رضي الله عنه ، ومن لا يحب كفرعون وقارون ، ولكنه لا يعطي الإيمان والعلم والحكمة إلا من يحب كما قال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٢٢].

واعلم أن الأحقق من كافر وغيره مقطوع عن الحكيم ، والندم يرافق الحمق ، ومن اتصل بالحكيم آتاه الحكمة ، وحفظه من الحمق: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣] وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

ومن افتقر إلى ربه صادقاً ألهمه الحكمة، وسداد القول والعمل ، ومن اعتد برأيه تخلى عن ربه فوقع في الشر، وانفرد به الشيطان فأرداه ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً وصاحباً: ﴿اللَّهُ وَبِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

واعلم أن الله إذا أعطى الإنسان صحة وسعة في المال والولد فلا يظن أن الله يحبه ، وإذا كانت صحته معلولة وهو فقير فلا يظن أن الله لا يحبه ، بل الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ابتلاء ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنِعْمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [١٥] وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الفجر/ ١٥-١٨].

فليس العطاء من الله إكراماً، وليس المنع كذلك حرماناً، بل العطاء ابتلاء، والمنع دواء: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى/ ١٢].

فسبحان الحكيم العليم بكل شيء، الذي يعطي عباده ما ينفعهم، ويمنع عنهم ما يضرهم، أحياناً بالأَسباب ، وأحياناً بدون الأسباب ، وأحياناً بضد الأسباب.

واعلم أن الله سبحانه هو الذي يعطي ويمنع وحده لا شريك له، فلا تلتفت إلى غيره ، ولا تتعلق إلا به وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

والمخلوق إذا أعطى فهو معطٍ صوري ، وإذا منع فهو مانع صوري ، والذي يعطي ويمنع حقيقة هو الله وحده ، وهو المحمود على عطائه ومنعه ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع: ﴿مَا يَفْتَحِ

اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر / ٢].

ومن أراد الله به خيراً آتاه الحكمة التي تذهب الشك، وتُجَلِّي الرِّيب، ويعرف بها العبد الحق من الباطل، والخير من الشر، والهدى من الضلال.

والحكمة الحق هي معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهي أصل الفضائل والخيرات والمعارف، وتلك جوهرة ثمينة يخص الله بها من يزكوبها، ممن يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾﴾

[البقرة / ٢٦٩].

وبالحكمة يزداد النور في القلب، ويصح الإيمان، ويحصل اليقين، ويكمل العلم، ويتم السرور، وتحصل حلاوة الطاعة، ولذة العبادة، والفوز بالجنة.

فاستوفز نفسك في طلبها، وخذ منها حظك، واستجزل من أقسامها قسَمك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت / ٦٩].

واعلم أسعدك الله في الدارين أن من حكمة من يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء، ويقلب أحوالهم كما شاء:

فسراء وضراء.. وشدة ورخاء.. وسلم وحرب.. وأمن وخوف.. وقوة وضعف.. وعافية وبلاء.. وصحة ومرض.. وغنى وفقر.. وخصب وجذب.

يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله بعباده ليربيهم لا ليعذبهم، ولا لزيادة أدب أو إسراف في نَصَب أو تعذيب أو انتقام، بل ليعرفهم الحكيم الحق بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ليعبده ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات، وبذلك يصفو لهم توحيدهم وإيمانهم.

واعلم رحمك الله أن الأحوال بيد الله، والأعمال بيد الإنسان.

وثبات الأحوال في الدنيا محال، والعزة بالأعمال لا بالأحوال.

وثبات الأعمال بيد الإنسان، وثبات الأحوال للإنسان في الآخرة لا في الدنيا، فحياة بلا موت، وصحة بلا سقم، وأمن بلا خوف: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامُنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ / ٣٧].

فسبحان الرحيم الذي يملك الرحمة، ويحب من يسألها، ويحب من اتصف بها، ويحب

من رحم بها ، وهو الرزاق الذي يملك الرزق ، ويحب من يطلبه ، ويحب من ينفقه ، الشافي الذي يملك الشفاء ، ويحب من يسأله .

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك الأمن ، ويحب من يسأله ، ويحب من ينشره : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأعام / ٨٢] .

فيا سعادة من كان في الليل مع الحكيم يسأله من فضله ، ويحمده على نعمه ، ويستغفره من ذنبه ، وفي النهار ينشر أحكامه بين خلقه ، ويدلهم عليه بما عرفه من أسمائه وصفاته عنه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فاجتهد في توحيد ربك بأسمائه وصفاته ، وتعبّد لله بمقتضاها ، وادعه بها تكن ربانياً .

فهو التواب الذي يحب التوبة ، ويحب التائبين ، المحسن الذي يحب الإحسان ، ويحب المحسنين ، الكريم الذي يحب الكرم ، وكل كريم ، المؤمن الذي يحب الإيمان ، ويحب المؤمنين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

وإياك والتواني في الأمر ، والتفريط في العمل ، وترك ما يحب الرب .

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمّله ، ولا يُحرم سائله ، ولا يَقطع رجاء من رجاءه ، أن يعيننا وإياك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبنا ، وأن يعصمنا جميعاً من الشرور والفتن ، والتسويف والكسل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

وأسأله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع ، واستهواه الجبن ، وأرداه الهوى ، وأغواه الشيطان ، وحيرَه العمى ، فخرس الدنيا والآخرة : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ بِجَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة / ١٦] .

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم ، وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء / ١١٣] .

فإذا أتاك الحكيم الحكم والحكمة ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص / ٢٦] .

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة مَنْ أنعم بها عليك ، وأعط كل ذي حق حقه، فلك حقوق وعليك حقوق .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « إِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » متفق عليه ^(١).

وأحكم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات ، وسابق في الفضائل والطاعات ، تسبق إلى أعالي الجنات: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد / ٢١].

وافعل الخير وعلمه ، ودل الناس عليه ، ورغبهم فيه ، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿ يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان / ١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة ، وعدوك من شياطين الإنس والجن ، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة ، واعتصم بالله وحده يكفيك شرهم وقل: ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك ، فهو الحكم الحكيم الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتديراً، قضاءً وقدرًا، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يونس / ١٠٩].

وإذا حكمت بين الناس فاحكم بالعدل ، وإياك والجور واتباع الهوى فتضل وتشقى : ﴿ وَإِن أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ أفحكم الجاهلية يبغون ^(٤٤) ﴿ وَمَن أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، فهو كتابه الكريم في بركاته ، الحكيم في أسلوبه ، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿ كَتَبْنَا الْحِكْمَ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْنَا مَن لَّدُنَّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود/ ١].

فتعلمه، وعلمه، واعمل به، تكن من الربانيين: ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (١١٥٩) .

وَالْتُجُورَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

﴿ رَبَّنَا أَمَّا بِمَآ أَتَرَكْتَ وَآتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].
﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالضَّالِّينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ
وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم^(١).

يا من بيده ملكوت كل شيء ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الرازقين ، يا رب العالمين ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ، وقلباً خاشعاً ، ولساناً ذاكراً ، وعملاً صالحاً ، وحلالاً طيباً ، ونسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا ولي الصالحين .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠) .

الحسيب .. الحاسب

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَمَحْيُوهَا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رَدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء / ٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء / ٤٧].

الله ﷻ هو الحسيب الحق ذو الشرف والمجد، والعزة والجبروت، والعظمة والسؤدد، والجلال والكبرياء، له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، وليس كمثله شيء: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص / ٤-١].

وهو سبحانه الحسيب الحق العالم بمقادير الحسنات والسيئات، العليم بأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال والأعمال والأرزاق، وأعدادها وأنواعها وأجناسها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء / ٨٦].

وهو سبحانه الحاسب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم ورازقهم وكافيتهم في الدنيا والآخرة: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبِّ مَن دُونِهِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ [الزمر / ٣٦].

وهو سبحانه الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم الظاهرة والباطنة، وجميع حركاتهم وسكناتهم.

فكلها محسوبة عنده لا يضيع منها شيء، ولا يزداد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً، بلا ظلم ولا بخص ولا نقص: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء / ٤٧].

هو سبحانه الحسيب الكافي، لأنه القوي القادر، العليم الخبير، الرحمن الرحيم، الغني الحميد، الحليم الكريم، الحسيب الصمد الذي انتهى إليه كل شرف في الوجود، لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه / ٨].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب العباد على أقوالهم وأعمالهم، يحاسب من أطاعه،

ويثبه على طاعته الجنة ، ويحاسب من عصاه ، ويجازيه على معصيته بالنار .

وحسابه ﷻ دقيق لا يترك مثقال ذرة منه ، بل يُطلع عليه من فعله ثم يجازيه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وهو سبحانه الكريم الرحيم الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة ، ويجازي على السيئة بمثلها أو يغفرها : ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ﴿٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [التغابن/ ١٧-١٨].

فسبحان الحسيب الكريم الذي يحاسب عباده في الدنيا ليربيهم ، ويحاسبهم في الآخرة ليجازيهم . واعلم أن من أيقن أن الحسيب سوف يحاسبه ، فلا بد أن يخاف منه ، ومن خاف منه ، استقام على أمره ودينه ، ففاز برضوانه وجنته : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ ﴿٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي بفضله ، ويصرف الآفات بطوله ، إذا رفعت إليه الحوائج قضائها ، وإذا حكم بقضية أمضاها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه العليم بكل شيء ، الحاسب لكل شيء ، الذي يعلم النيات والأسرار ، ويعلم أدق الأعمال ، ويعلم أدق الذرات ، ويعلم النقيير والفتيل والقطمير .

الله يعلم كل ذلك ، ويحاسب عليه ، ولا يظلم مثقال ذرة : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

والله ﷻ سريع الحساب ؛ بل هو أسرع الحاسبين ، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة حاسبهم في أسرع وقت ، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد ، كما يرزقهم جميعاً في الدنيا في وقت واحد : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾ [الأنعام/ ٦١-٦٢].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ، وأحصى أعدادهم ، وساق إليهم أرزاقهم ، وحسب أقوالهم وأعمالهم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِ الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٢﴾ [يس/ ١٢].

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء ، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه ، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان / ٢٨] .

واعلم أنه لن يُفْلِتَ أحد من الموت ، كما أنه لن يُفْلِتَ أحد من الحساب ، كما أنه لن يفلت أحد من العقاب ، أو يُحْرَمَ من الثواب : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦] .
فاختر لنفسك ما تسعد به ، وإلا جرك الشيطان إلى ما تشقى به : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء / ١٣-١٤] .

واعلم أن المؤمن حقاً من استقام على الدين ظاهراً وباطناً ، وحفظ لسانه وقلبه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله ، وصرف فكره ووقته وماله في كل ما يرضي الله ، لأنه يعلم أن الله سوف يحاسبه على كل أعماله ، ولكن المؤمن حسابه يسير ، أما الكافر فحسابه عسير ، فاتق الله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء / ٣٦] .

والعاقل من حاسب نفسه ، ليستقيم على أوامر الله ، قبل أن يكون الحساب إلى غيره : ﴿ يَأْتِيهَا الزَّيْتُ عَائِنًا أَوْ نَارًا فَانفُؤا لِلَّهِ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [١٨] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [١٩] لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر / ١٨-٢٠] .

وكل شيء محسوب ، وكل إنسان سيري ويقرأ ما قدم وأخر : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِرَبِّهِ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [١٣] أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء / ١٣-١٤] .

هو سبحانه الكريم الرحيم الذي يعامل المؤمنين بإحسانه ، ويعامل الكافرين والعصاة بعدله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [١١٠] . [الأنعام / ١٦٠] .

واعلم أن الحساب يوم القيامة من الرب الكريم لعباده مبني على العدل والرحمة والإحسان ، ومن نوقش الحساب هلك : ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ ﴾ [٦] فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ [٧] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [٨] وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [٩] وَأَمَّا مَنْ

أَوْتِي كِتَابَهُ، وَرَأَى ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو بُرُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ [الانشقاق / ٦ - ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أُعَذِّبَ» متفق عليه (١).

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحسيب :

اعلم رحمك الله أن ربك هو الحسيب الحق، الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٧﴾ [يونس / ١٠٧].

واعلم أيها المؤمن أن الله شرفك بعبادته ، وخصك بهديته ، وأكرمك بطاعته ، فالزم طاعته في جميع أحوالك ، وأكثر من ذكره وحمده في جميع أوقاتك : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾ [الأنعام / ١٦١ - ١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له، فهو لجلاله وجماله، وكمال أسمائه وصفاته، أحق من عبد، وأحق من ذكرك، وأحق من شكر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

ولا تعدد حسناتك فإنها مكتوبة محفوظة مضاعفة لك عند ربك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

وعدد سيئاتك، وتذكرها لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩].

واحسب الساعات والأيام، واملأها بالأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦) .

قبل أن تحاسب ، وانظر ما قدمت وما أخرت : ﴿ وَأَنْ أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿ (١٠٦) ﴾ [يونس / ١٠٥-١٠٦].

واعلم أن كل ما عملته لن يضيع منه شيء ، فالكل محسوب ستراه يوم القيامة : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ﴿ (٤٩) ﴾ [الكهف / ٤٩] .

فسبحان الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما عملوه من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية ، وميز لهم صالح العمل من فاسده ، وحسنه من قبيحه .

وعلم ما يستحقون من الجزاء ، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب ، ثم يوفيههم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة : ﴿ الْمَلِكُ يُومِئُ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الحج / ٥٦-٥٧] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر / ٧-٨] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبَرَارِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران / ١١٣] .

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل .

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

الأول .. والآخر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/٣].

الله ﷻ هو الأول فليس قبله شيء، لم يزل كذلك أولاً، ولا يزال كذلك أبداً.

له سبحانه أولية الشرف والسؤدد، وله أولية الجلال والجمال، وله الأولية في المراتب والمعالي كلها؛ لأنه العظيم الذي له جميع الأسماء الحسنى بحقائقها، وجميع الصفات العلى بكمالها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/٨].

هو سبحانه الخالق الأول، الرزاق الأول، المحبوب الأول، المطلوب الأكبر، المبتغى الأعلى، الكبير الذي إليه المنتهى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم/٤-٥]. وهو سبحانه الأول قبل الأشياء، الباقي بعد فناء الأشياء، الذي كتب كل أول وآخر، وخلق كل أول وآخر، ومَلَكَ كل أول وآخر، وأعطى كل أول وآخر.

عَنْ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» أخرجه البخاري^(١).

هو سبحانه أول الأولين فلا شيء قبله، وهو آخر الآخرين فلا شيء بعده.

وهو سبحانه الأول الذي ابتداء خلق كل شيء، الأول الذي أول الأول من المخلوقات، والآخر الذي آخر الآخر من المخلوقات، وهو إله الأولين والآخرين، ورب الخلق أجمعين. هو الأول بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية، ليس كمثل شيء في جميع ما يوصف به من كل شيء يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/١١].

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى، الأول والآخر في الصفات العلى، الأول والآخر في الجلال والجمال، الأول والآخر في الإنعام والإحسان، الأول والآخر في العدل والإحسان، الأول والآخر في الإيجاد والإمداد، الأول والآخر في التصريف والتدبير: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٩١).

هو الأول والآخر في القوة ، الأول والآخر في العلم ، الأول والآخر في الملك ، الأول والآخر في الرحمة ، هو الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء .

هو الأول في العظمة والكبرياء ، الآخر في العظمة والكبرياء ، هو الأول في الجلال والجمال ، الآخر في الجلال والجمال .

هو الأول بإحسانه ، الآخر بإحسانه ، هو الأول برحمته ، الآخر برحمته .

هو الأول والآخر في الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨] .

• **التعبد لله ﷻ باسمه الأول والآخر :**

اعلم وفقنا الله وإياك لمعرفة أن الأول الذي ليس قبله شيء هو الله الذي لا إله إلا هو ، هو الأول الذي ابتداء الخلق بالنعمة، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب .

وهو الأول قبل كل شيء ، الأول الذي أول الأول من كل مخلوق ، الآخر بعد كل شيء ، الآخر الذي آخر الآخر من كل مخلوق : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَنُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢] .

وهو المقدم والمؤخر في خلقه وأمره ، في ملكه وملكوته ، لا مقدم لما آخر ، ولا مؤخر لما قدم .

فسبحان الأول والآخر الذي أحاطت أوليته وآخريته بكل شيء من المخلوقات والمكان والزمان ، فما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد/ ٣] .

فأحاطت أوليته وآخريته ﷻ بالأوائل والأواخر ، والأعوام والقرون ، والمكان والزمان والدنيا والآخرة . .

وإذا عرفت أن ربك هو الأول قبل كل شيء ، وعرفت سبقه بالخلق والفضل والإحسان كل شيء وجب عليك إفراده وحده بالتوحيد ، والتعظيم له ، والذل له ، والمحبة له ، والتوكل عليه وحده ، وعبادته وحده ، وعدم الالتفات إلى أحد سواه : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾ [الزخرف/ ٦٤] .

وإذا علمت أن ربك هو الأول والآخر، وإليه ترجع الأمور، وإليه المنتهى، فاجعله غاية مرادك، وأرضه بأقوالك وأفعالك، وتقرب إليه بحسن عبادته، وافعل ما أمرك به، واجتنب ما نهاك عنه، فالله ورسوله أحق من ترضيه: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة / ٦٢].

وافعل الأسباب ولا تركز إليها، وتجرد من التعلق بالأسباب إلى التعلق بالأول الذي منه الإعداد والإمداد، وفضله وإحسانه سابق على الوسائل والأسباب: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبِّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وأنت في دار الأسباب ومأمور بفعل الأسباب المشروعة فافعلها توجر عليها، لكن لا تركز إليها، وتعلق بالأول قبلها، والآخر بعدها، فالتعلق بالعزيم عزة، والتعلق بالغني غنى، والتعلق بالأول والآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق / ٣].

وكن أول الناس في فعل الخيرات، وسابقهم فيما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد / ٢١].

ولتفوز بالجنة والرضوان كن الأول في التوحيد، وكن الأول في الإيمان، وكن الأول في العبادات، وكن الأول في الأعمال الصالحة، وكن الأول في الأخلاق الحسنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا أَسْمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

ولتسعد في الدنيا والآخرة كن الأول في الدعوة الى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الشرع: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وإذا علمت أن الله هو الأول في الإحسان فكن الأول في الإحسان إلى الخلق: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص / ٧٧].

وابتعد عن كل ما يؤخرك ويحبسك ويحرمك من فضل الله مما نهى الله عنه من قول أو

فعل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (٣٩)

[الإسراء/ ٣٦-٣٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) [البقرة/ ٢٠١].

« وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي ، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، لَبِيبٌ وَسَعْدِيكُ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » أخرجه مسلم (١).

« اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، أَفْضِلْ عَنَّا الدِّينَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ » أخرجه مسلم (١).

اللهم أنت الأول قبل كل شيء ، وأنت الآخر بعد كل شيء ، اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، وأوله وآخره ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، وأوله وآخره .

أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣) .

الظاهر .. والباطن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣] .

الله ﷻ هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، العلي فوق مخلوقاته ، الغالب لما سواه ، الظاهر في آياته ومخلوقاته بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فلا أعلى منه ﷻ ، ولا أقوى منه، ولا أبين منه ، هو الظاهر المحيط بكل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، المالك لكل شيء ، القادر على كل شيء ، القريب من كل شيء : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣] .

هو الظاهر القاهر الغالب الفعال لما يريد ، هو الظاهر المهيمن النافذ أمره ، الدائم بره ، الشديد بطشه ، الذي إذا أراد شيئا كان ، وإذا لم يرد شيئا لا يكون أبداً : ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف/ ٦١] .

هو الظاهر المبين الذي لا يخفى على أحد ؛ لكثرة البراهين الدالة عليه ، وكثرة الدلائل التي تشير إليه ، البادي الظاهر بكثرة الأدلة عليه : ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم/ ١٠] .

فسبحان الله الظاهر ظهوراً أبين من كل بين ، الذي لا ترى ذرة في الكون إلا وهي شاهدة بوحدانيته ، ناطقة بتوحيده، فسبحه بحمده : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَسْمَائِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا فِي ذَلِكَ لَأَيَّتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤] .

واعلم أن حب الدنيا ، وحب المخلوقات ، وحب الشهوات ، حجبت الظاهر المبين ، فإذا أزيلت تلك الحجب بنور الإيمان صحت الرؤية .

هو سبحانه الباطن المحجوب عن عين الرأس ، الظاهر لعين القلب ، الباطن عن الأبصار فلا تراه، الظاهر للبصائر فقامت تعبده كأنها تراه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

هو الظاهر الباطن العليم بكل ظاهر وباطن، الخالق لكل ظاهر وباطن، البصير بكل ظاهر وباطن. هو الباطن الذي لا أحد يدرك كنهه ، الذي حجب الكفار عن معرفته ورؤيته ، وحبب المؤمنين عن رؤيته في الدنيا ، العزيز الذي بطن عن كل من لم يؤمن به ولم يطعه .

هو الباطن في حقيقة ذاته فلا تدركه العقول ، ومع شدة ظهوره احتجب عن إدراك الحواس والأبصار: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد / ٣] .

فسبحان الظاهر بآياته ومخلوقاته، الظاهر بذاته، الذي تجلى لعباده من غير أن يروه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم .

فالله ظاهر إن طلبته عن طريق العقول ، باطن إن طلبته عن طريق الحواس .

هو الظاهر الباطن الذي أسبغ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

فسبحان الظاهر الباطن الذي احتجب عن خلقه بنوره ، وخفي عليهم بشدة ظهوره : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور / ٣٥] .

والله ﷻ هو الظاهر بآياته الشاهدة بوجوده ، الباطن عن عقول لم تعرفه : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُصِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون / ٨٤-٨٩] .

وهو سبحانه الظاهر للقلوب بحكم البرهان، الباطن عن العيان فلا تدركه الأبصار: ﴿ وَمَنْ ءَايَنَهُ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ كُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الروم / ٢٢] .

وهو سبحانه الظاهر فيما أظهره من المخلوقات والآيات ، الباطن فيما أبطنه من مخلوقاته وآياته : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء .

وهذه الأسماء الحسنی الأربعة جمعت أركان التوحيد بأجمعه، أوله وآخره، وظاهره وباطنه . فأحاطت أوليته وآخريته بجميع الزمان ، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بجميع المكان : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾ [الحديد/ ٣]. فسبحان الظاهر الذي ظهر في كل مخلوق خلقه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی .

وسبحان الباطن الذي احتجب عن العيون والأبصار، ورفع ذاته عن العقول والأفكار، فلم يتخيله عقل ، ولم يتصوره وهم : ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وسبحان الظاهر الباطن الذي أحاط بكل ظاهر وباطن ، العليم بالظواهر والبواطن ، فما من ظاهر إلا والله فوقه ، وما من باطن إلا والله دونه محيط به ، وهو أقرب إليه من نفسه .

فسبحان العلي الأعلى، مع علوه سبحانه على عرشه هو قريب من خلقه، محيط بهم ، عليهم بهم ، الباطن عنده ظاهر، والغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٣ - ١٤].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الظاهر والباطن :

اعلم وفقك الله أن الله الظاهر فوق خلقه أظهرك من العدم إلى الوجود ، وأظهر لك المخلوقات، ووهبك السمع والبصر والعقل ، وساق إليك الرزق ، وأظهر لك الدين : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف/ ٩].

فأظهر لربك الكريم كل عمل كريم من الإيمان والعمل الصالح ، والخلق الحسن ، تسعد في دنياك وأخراك ، ويحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

وإذا عرفت أن ربك العظيم هو الظاهر القاهر فوق عباده يدبر أمورهم ، ويرى ذواتهم ،

ويسمع أقوالهم ، وينظر إلى أعمالهم ، فتوجه بقلبك إليه ، وقف بالذل بين يديه وأخلص العبادة لربك السميع العليم وحده دون سواه ، فإنه يسمعك ويراك ، فأحسن له القول والعمل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْبَلُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠] .

واعلم أن من حجب عنك علم ما هو أولك وآخرك ، وما ظاهر أمرك وباطنه ، قد جعل لك سبيلاً إلى معرفة مَنْ الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، والغني والقادر وهذا خير لك وأنفع وأبقى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩] .

واعلم أن كل شيء منك له أول وآخر، وظاهر وباطن، من الأنفاس والخطرات، والأقوال والأفعال، والسكنات والحركات، والله محيط بذلك منك، ومحصيه عليك، وسائلك عنه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍّ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩- ٥٣] .

فبادر رحمك الله بالتوبة مما سلف من الذنوب الظاهرة والباطنة ، وبادر إلى طاعة مولاك ، وصل أول عملك بآخره ، وآخره بأوله، وظاهره بباطنه، وباطنه بظاهره ، وخصص به العليم بسرائر باطنك : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴿٢٥﴾ [الشورى / ٢٥] .

وزين ظاهره وباطنه للذي زينك بالإيمان، وجملك بالأخلاق : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ [الفرقان / ٥٨] .

وأظهر ما أمرك الله بإظهاره من العبادات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والصبر في سبيل الله ، وحسن الأخلاق ، يدخلك في رحمته ، ويباهي بك ربك ملائكته، ويقندي بك الغافل عنه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة/ ٧١] .

وأبطن ما أمرك الله بإسراجه من الأعمال الصالحة ، ونوافل العبادات ، والأدعية والأذكار ، والزكوات والصدقات ، ولتكن عبادتك في السر أقوى منها في العلانية تكن من المخلصين الفائزين : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

واققد في ظاهره وباطنه بمن أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ في نيته وفكره وأقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم بأن الله عليم بأمورك في الحالين؛ لأنه ﷺ يستوي عنده السر والعلانية، والبادية والخافية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٤].

وزك نفسك بالإيمان والتقوى، وطهر قلبك من الوسواس المهلكة، والشكوك المردية، وزينه بالإيمان واليقين: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [فاطر/ ١٨].

وإن ضاق صدرك بأحد يقول فيك ما لا يرضيك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وإن شغلك الشيطان بالوسواس والشكوك وغيرها فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [الحديد/ ٣].

واستعد بالله من شره وكيده ووساوسه: ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [الأعراف/ ٢٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿٧٤﴾ [الفرقان/ ٧٤].
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوْلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ» «أخرجه مسلم^(١).

اللهم يا عالم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، يا سابغ النعم، ويا دافع النقم، أسألك عافية أقوى بها على طاعتك، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك.

اللهم يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٣).

الشهيد

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح / ٢٨] .

الله ﷻ هو الشهيد المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم ، الذي يسمع الأصوات كلها ، خفيها وجليها، ويبرر المخلوقات كلها ، صغيرها وكبيرها، العليم الذي يعلم الأمور كلها، ظاهرها وباطنها: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١١] لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى / ١١-١٢] .

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد، وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم: ﴿ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس/٤٦] .

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم، الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١] .

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة / ٦] .

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات، وهي شهادة التوحيد ، وشهد له بها أفضل خلقه من الملائكة والبشر: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ١٨] .

فسبحان الرقيب الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته في السموات والأرض . يرى مكانها.. ويسمع تسييحها.. ويعلم أحوالها: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج / ٧٠] .

وسبحان الشهيد الذي يرى الكون كله وهو مستو على عرشه العظيم.
يرى الهباء الطائرة .. والجمال الشاهقة .. ويرى البهائم السائمة .. والأشجار النابتة ..
ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود كما يراها في شمس الضحى.
ويرى سبحانه كل ذرة وكل نبتة وكل حشرة في العالم في ظلمة الليل الأسود كما يراها في النهار
الأيض: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].
ويرى الذرة السوداء، ويسمع ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة
الظلماء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك / ١٤].

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه ، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى
الكفار وهم يسبونهم، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره ، ويرى المنافقين وهم يستهزؤن به،
ويؤذون أوليائه ، ثم ينبئ الجميع بما عملوا يوم القيامة: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة / ١٠٥].
فسبحان ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج / ٩].

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٥] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

فالله ﷻ شهيد على كل شيء في ملكه العظيم، وكونه الكبير، وملكوته الواسع .
واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع والبصر والعقل والشم والذوق، إنما
تؤدي كلها معلومات إلى القلب ، وتشهد عنده بما علمت به ، ثم يحفظها القلب ، وعند الحاجة
لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب ، فيشهد لربه بالوحدانية وبكل ما يعلم.
وتلك أعظم الشهادات، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل،
فشهدوا لله بالوحدانية ، وصدّقوها بالعبودية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ
قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران / ١٨].

واعلم أن شهادة الله ﷻ أصل الشهادات كلها.
فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية وما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وبما هو
أهله من الجلال والجمال ، والعزة والكبرياء.

وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه، وشهد لجميع خلقه بمالهم وما عليهم: ﴿قُلْ أُنَبِّئُ
شَيْءًا كَبْرًا شَهِدَهُ قَلِيلٌ اللَّهُ شَهِدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ

ءَالِهَةٌ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ [الأنعام / ١٩] .

ثم أفاض الكريم من مصداق شهادته على الشاهدين سواء، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه، فشهدت له بما هو أهله، وشهدت على أنفسها بما كسبت وبما يلزمها، فكل شيء شاهد لله بالوحدانية، والله على كل شيء شهيد .

وكل مخلوق يشهد شهادة حق، بألسنة صدق، كل بحسبه وحاله ومقاله .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنُّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه البخاري (١) .

وكل الخلق شهداء:

فلأنبياء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بمالهم وما عليهم .

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على الخلق بما عملوا .

والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم .

وجوارح الإنسان تشهد يوم القيامة بما عمل من خير أو شر: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

[النور / ٢٤-٢٥] .

والذرات، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، وكل مخلوق، الكل يشهد لربه بالوحدانية،

ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ

عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود / ١٨] .

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك

له: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٦﴾﴾

[النساء / ١٦٦] .

واعلم أن أعظم شهادات العباد الشهادة لله بالتوحيد .

فالعالم كله أعلاه وأسفله، وظاهره وباطنه، يفرح بشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد لهذا

المؤمن بالحق والصدق حين يقول: أشهد أن « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير » متفق عليه (٢) .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٤٤) ومسلم برقم (٥٩٣) .

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرِك بالجور والظلم والكذب: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود / ١٨].

وأشنع الشهادات الكذب على الله، وتَنَقُّصه، وتشبيهه بخلقه، ونسبة الولد له وهو الغني عن كل ما سواه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ [٨٨] ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَنَخِرُ لِحِبَالِ هَذَا ۗ ﴾ [٩٠] ﴿ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ ﴾ [٩١] ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ ﴾ [٩٢] ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ ﴾ [٩٣] ﴿ [مريم / ٨٨ - ٩٣].

والمؤمنون كلهم شهداء لشهادتهم بالحق في قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله ﷻ، العالم بأسمائه وصفاته وأفعاله، الذاكر لله، المؤمن به، العامل بشرعه، هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه علمية وعملية: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءِإِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩].

والموت قَطْع لهذه الشهادة الكبرى، فإن الله كتب الموت على كل حي سواه، إبانةً لصفة الحياة

الباقية، وتذكيراً بالملك الحي الذي لا يموت: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران / ٢].

ثم يحيي الله الخلق ويحاسبهم ثم لا يموتون أبداً: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۗ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ ۗ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الغاشية / ٣٩].

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم، والعلماء شهداء على قرونهم وأهل زمانهم، وهذه الأمة

تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة / ١٤٣].

وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٦].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والسفلي تشهد لخالقها بالتوحيد، والجلال،

والجمال، والأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى.

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الضعف والذل، والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها

العظيم، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها، وتلك شهادة المخلوقات كلها لله

الواحد الأحد بالتوحيد : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .
فسبحان الملك الحق الذي خلق كل شاهد ومشهود .

وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه ، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد،
والشاهد الحق أعظم الشهود : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النساء / ١٦٦] .

وسبحان الملك القريب الشهيد لخلقه كلهم ، الحي القيوم الذي لا يوارى منه ولا عنه ليل ساج ،
ولا سماء ذات أبراج ، ولا أرض ذات فجاج ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، ولا
ظلمات بعضها فوق بعض : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء / ٣٣] .

اللهم إني في هذا المقام أشهدك ، وأشهد جميع مخلوقاتك ، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا
شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتب شهادتي عندك مع الشاهدين يا خير
الشاهدين : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الشهيد :

اعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية ، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة .
والصلوات التي هي صلة بين العبد وربّه تشتمل على هذه الشهادة في البداية والنهاية ، يؤديها
العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له ، ويرضاه بالتحيات والصلوات .

فانظر كيف تشهد بين يدي ربك الواحد الأحد بحسن العبادة والطاعة ، وتؤديها له كأنك
تراه : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ
أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

والملك الحق يدعوك أيها الإنسان للإيمان به ، ومعرفة أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ،
لتشهد له بالوحدانية : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مُقْتَلِبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩] .

ولأداء هذه الشهادة العظيمة يجب أن تكون من أهل العدالة ، لتقبل شهادتك عند الملك
الحق ، وذلك بالاستقامة على دينه ، والعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتناب ما يسخطه
ويغضبه : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود / ١١٢] .

وهؤلاء العدول هم المؤمنون الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة، جزاء على شهادتهم

بالحق وأعمالهم الصالحة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج / ٣٢-٣٥].

فسابق إلى الخيرات ، وسارع إلى فعل الطاعات ، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة ، ولا تَمَلَّ فإن الله لا يمل حتى تمل أنت ، ولا يضق صدرك بمن سخر بك أو أساء إليك ، فإن ربك شهيد له: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

وعليك بالتفكير والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات التي تشهد لربك العظيم بالوحداية والقدرة والعظمة ، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز والذلة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ فلا تميد بأهلها ، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قطعها الأنهار المنفجورة ، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد/ ٣]. وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة ، والرياح المرسلة، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والكواكب والنجوم، جارية بأمره، على نسق محكم ، وترتيب مطرد ، يكون عنه الليل والنهار ، والصيف والشتاء ، والحر والبرد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

كل ذلك لإظهار قدرة التقدير في أنواع العبيد ، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا ، وإظهار أسمائه وصفاته في مخلوقاته التي تسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ بِنَزْلٍ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فأظهر الرب جلَّ جلاله بذلك العجائب خلقاً وأمرأً بأحسن تدبير، وأكمل ترتيب: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ

فَدَرَنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/٣٧-٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم ، وجعل فيه السحب الثقيل ، والرعد الذي يسبح بحمده ، والبرق الذي يلقيح السحاب ، والماء الذي يحيي به الأرض بعد موتها : ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ يُرْسِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/٤٣-٤٤].

ثم زاد الله ﷻ هذا الإحكام إحكاماً بأن بين خضوع جميع المخلوقات لربها ، وسجودها بين يدي مالكتها ؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلتها ، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال في مشارق الأرض ومغاربها بتدبير محكم من العزيز الحكيم : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

وخلق ربنا ﷻ السماء ، وجعلها سبعاً شداداً ، وبنائها ورفعها وزينها بالكواكب والنجوم ، وأمسكها بقدرته : ﴿الَّذِينَ تَرَوُوهَا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/١٥-١٦].

وجعل ﷻ تلك السموات السبع مسكناً للمقربين من عباده ، والمصطفين من أوليائه . فتقهن الجبار سبع سموات ، أعلاهن أعظمن خلقاً ، وأوسعهن حجماً ، وكل واحدة محيطة بالأخرى ، وملاهن بالملائكة التي تسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، وتُدبر أمره : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ۗ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/١٩-٢٠].

فسبحان الملك القوي القادر الذي خلق السموات بإحكام وإتقان لا خلل فيه : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾﴾ [الملك/٣]. وهذه السموات السبع العظيمة تُقلها قدرة الجبار ﷻ ، ويحملها أمره ، وتمسكها مشيئته ، وتحكمها إرادته ، دون دعائم من تحتها تُقلها ، أو علائق من فوقها تمسكها . فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي خلق كل شيء بإرادته ، وقهر كل شيء بقدرته ،

وَمَلِكٌ كُلِّ شَيْءٍ بِجَبَرُوتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم الذي أمسك السموات العظام أبدأً و سرمداً بقدرته وقوته على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال ، لا تميد مثقال ذرة ، ولا تنقص مثقال ذرة : ﴿الْمَرْتَانَ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

واعلم أن كل تنقل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب، كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله ، وحصول البعث بعد الموت : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج / ٥-٧].

فلا إله إلا الله كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها.

فمجيء نهار بعد ليل كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة ، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت : ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٤﴾ [النور / ٤٤].

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١٩٠].

وسبحان العزيز الحكيم الذي خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الدنيا والآخرة.

وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها ، وتسبح بحمده ، وتخطب بتمجيده.

نصبها آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، وآية على البدء والإعادة ، وآية على الحياة بعد الموت ، وآية على فقر المخلوقات وذلها ، وآية تشهد بعظمة خالقها : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الرعد / ٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان وأخرج منه هذا النسل العظيم:

من ذكر وأنثى ، وصغير وكبير، وطويل وقصير، وقوي وضعيف، وأبيض وأسود، ومؤمن وكافر ،

وصادق وكاذب ، وطيب وخبيث: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء / ١].

وسبحان الحكيم الخبير الذي سقى الأرض بالماء فأنبتت من كل زوج بهيج :

من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وحار وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ زَرْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق / ٦-١١].

فسبحان الملك الحق الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته ، مسبحة بحمده ، خاضعة لأمره ، مستجيبة لمشيئته ، مسرعة إلى إرادته .

الكل يشهد بوحدانية ربه ، والكل يسبح بحمده ، والكل يعمل بأمر ربه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج / ١٨].

فهل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الخلاق العليم بالشمس والقمر والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض ، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله ، وتسبح بحمده : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح / ١٣-١٦].

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج، خلقها الله بقدرته لتسبح هي وأولادها بحمده، وتقنت لعظمته ، وتشهد بوحدانيته .

وسخرها لخلقها يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، ويتنعمون بخيراتها، ويسكنون فوقها، ويتقلبون في بقاعها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل / ١٠-١١].

فسبحان من: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

كم في الأرض من آية وعبرة ؟ وكم يخرج منها من أشجار وثمار ؟ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقَكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٦٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

تعطي الحبة منها سبعمائة حبة بأمر الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].
فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا ما أعظمه وما أحسنه.

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفة ، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ متفق عليه (١).

فسبحان الله.. ما أجهل الإنسان بربه.. وما أجهله بأسمائه وصفاته.. وما أجهله بآياته ومخلوقاته..
وما أجهله بدينه وشرعه.. وما أجهله بوعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَابَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة خلق الإنسان، وتقلبه من حال إلى حال ، من تراب إلى نطفة إلى علقة
إلى مضغة ، ثم جسماً بلحم وعظام ، ثم حياً ذاروح ، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه ،
وفي تبدله من حال الطفولة، إلى الشباب ، إلى الاستواء ، إلى الكهولة ، إلى الشيخوخة.

فسبحان الذي خلقه وصوره وأحسن خلقه وصورته: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ
مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة/ ٦-٩].

وسبحان الملك القدير الذي خلق ما شاء ، وما يزال يخلق ما شاء، الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ،
ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم/ ١٩].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له .

وسبحان الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها ، وخلق الأرض وما فيها وما عليها ، ثم يعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السموات والأرض ترى عجائب قدرة الله ، وعظيم ملكه وسلطانه ، وتشاهد التدبير والتصريف ، والتحريك والتسكين ، والحياة والموت ، في كل لحظة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت/٢٠].

واعلم أن الله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية ، وأسكن فيها الأرواح ، فصارت حية بأمر الله ﷻ ، نحس بأثار تلك الروح ، ولا نرى شخصها ، وهي دليل على الموجود بلا رؤية. والروح سر باطن موصوف بصفاته ، معلوم بأفعاله ، لا يحيط به العلم ، ولا يكيفه العقل. اختص الله ﷻ بمعرفة الروح وحده ، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آية عليه ، وطريقاً إلى الوصول بالمعرفة إليه والإيمان به: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/٨٥].

والروح أمر رباني ، وعبد روحاني ، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له ، وأجرى عليه محنته ، فواقع المكره بواسطة الجسم ابتداءً ، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض ، كما عصاه في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة/٣٥-٣٧].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض ، والروح يتغذى من وحي السماء ، فإن آمن العبد بربه صار الجسم والروح إلى الجنة ، وإن كفر بربه صار الجسم والروح إلى النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه/٧٤-٧٦].

والموت هو مفارقة الروح للجسد ، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خلق منه ، وخرجت الروح الحية منه ، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء.

فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى تصعد به إلى ربه ﷻ ، فيؤمر بالسجود لربه ، فيسجد له ، ثم يعود إلى جسده في قبره وينعم فيه ، ويبقى فيه إلى أن يُبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل

الجنة: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ بُعَيْرٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَطْنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلِيَّةً حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحِقٌ بِالْقِيَامِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ [الواقعة / ٨٨-٩٦].

وإن كان كافراً لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء ، ورُمي من علو إلى الأرض ، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يبعث ، ثم يحاسب ، ثم يدخل النار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف / ٤٠-٤١].

فما أعظم الله في خلقه وأمره، وحكمه وتديره، وأسمائه وصفاته: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان / ١٠-١١].

أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها. وخلق سبحانه الجنة، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يرغبهم فيها من المياه والثمار وسائر النعم، وخلق النار، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يخوفهم منها من النار والسموم والآلام وسائر المكروه.

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين، نفس في الصيف، وهو أشد الحر، ونفس في الشتاء، وهو الزمهرير أشد البرد، فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى، ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » متفق عليه ^(١).

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك، وجعل ذلك تذكرة وعبرة، ودفع هذا بهذا، وكسر هذا بهذا، وتم أمره في الدنيا والآخرة، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه: ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فلا إله إلا الله الحكيم العليم ، كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات والعيون، والبحار والأنهار، والأشجار والأزهار، والنبات والثمار: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [النحل / ١٠-١١].

وكم أحيا الرب بهذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ [الفرقان / ٤٨-٥٠].

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير العجيب: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء / ٣٠].

وإذا نظر الإنسان إلى عظمة هذه المخلوقات فليعدّ النظر إلى هذه النطفة المتكررة.

كيف خلقها الله من ماء مهين، فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والكريم والبخيل، والمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الروم / ٢٠-٢١].

فسبحان من شرف الإنسان من بين المخلوقات فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وكرمه بالسمع والبصر والعقل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل / ٧٨].

ثم زاده تكريماً بأن شرفه بالدين الذي يعبد به ربه، ويهتدي به في حياته، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران / ١٦٤].

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض، وعبداً لمولاه، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه الملك: ﴿ إِنَّ النَّفْقَيْنِ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

ونوع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوع له بالدين أنواع الطاعات والعبادات، ونوع له في الآخرة أنواع النعيم والقصور، ليزداد معرفة بربه العظيم، ويزداد شكره وحمده، ليعظم أجره

ودرجته عند ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

ويوم القيامة يكرم سبحانه من آمن به وأطاعه بألوان النعيم ، ويهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب ، جزاء وفاقا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّبُ جُلُودَهُمْ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَدُخُلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء / ٥٦-٥٧] .

فهل رأيت أعظم من هذا الخلق والإبداع ، وأفضل من هذا العدل والإحسان ، وأجل من هذا التكريم والإنعام ، وأحسن من هذه الأحكام : ﴿ وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَقْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنبَاءَ يَأْتِيهِم أَن يُصِيبَهُم بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ فَحُكْمُ الْجَهْلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَن أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة / ٤٩-٥٠] .

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان أكثر الخلق ، وكم صرفهم عن التفكير في أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، ومخلوقاته العظيمة ، وآياته الحكيمة : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ إِلَيْهِمْ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ / ٢٠] .

ولا إله إلا الله كم عبد أكثر الناس الشيطان ، وأعرضوا عن عبادة الرحمن : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي ءَادَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جَحِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس / ٦٠-٦٢] .

واعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده ، ثم استخرج ذريته من ظهره ، وأشهدهم على ربوبيته فأقروا بذلك ، ثم جمع الذوات بيديه الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي ، وقال : هؤلاء إلى الجنة ، ولمن في يده الأخرى : هؤلاء إلى النار ، ثم أعادهم إلى صلب آدم ﷺ ، ليخرجوا منه على مر القرون ، والله سبحانه يتابع عليهم إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

ثم إذا مات جميع البشر ، وأراد الله بعثهم للحساب ، لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين ، فأوجد لهم الصُّور الذي جمع الله فيه الأرواح كلها ، ثم ينفخ فيه إسرافيل ، فتطير كل روح إلى جسدها ، ثم يقوم الناس لرب العالمين .

وبعد البعث يكون الحساب والثواب والعقاب : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ [الزمر/ ٦٨-٧٠].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الأرواح ، والكتب والرسول ، واليوم الآخر ، والقدر ، كله من الغيب الذي شاهدته العقول ببصيرة الإيمان، حتى صار يقيناً كالمشهود بالأبصار : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ بِلُؤْلُؤِ الْأَبْيَاسِ الَّذِينَ يُوَفُّونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾﴾ [الرعد/ ١٩-٢١].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة ، والله وحده عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].
واعلم أن الصُّورِ مِنْ أَمْرِهِ سَبْحَانَهُ ، والأرواح مِنْ أَمْرِهِ ، فأعاد الأرواح بالصُّورِ إلى الأجساد ، ثم أعاد الكل ليوم الفصل ، ثم ساق المؤمنين إلى الجنة ، وساق الكافرين إلى النار .
حكمة بالغة وحُكْمٌ عدل وأمرٌ حَتَمَ رجوع كل شيء إلى حيث كان حسب عمله ، وقيامهم يوم القيامة بين يدي الجبار ليحكم بينهم : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [الغاشية / ٢٥-٢٦].

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق ، ومُلك الحق ، وأحكام الحق : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات/ ٢٣].

فإن لم تدرك هذا الحق المبين ، فاعلم أنك محجوب عن ربك ، قد أسرك الشيطان ، وزين لك اتباع الهوى وترك الهدى ، فارجع إلى ربك ، وانظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات القرآنية ، لعلك تبصر مع المبصرين : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤-١٠٥].

اللهم إنني أشهدك في هذا المقام أنني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، فاكتبني مع الشاهدين يا مولاي .

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ صعق كل روح في السموات والأرض إلا من شاء الله، وفرع إلى الصور داخراً صاغراً : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ ﴿٨٧﴾ [النمل / ٨٧].

ثم يميت الله إسرافيل وملك الموت ، وتحق كلمة الله بموت كل نفس ، ويبقى الملك الحق الحي القيوم ﷻ .

فينادي : لمن الملك اليوم ؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله ﷻ إعادة الخلق بعد الصعق أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر كل شيء أن يأخذ من شيء أن يعود إليه ، ثم يُنبت الله أجسام الخليقة كاملة كما ينبت النبات بالماء : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح / ١٧-١٨] .

ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل ﷻ، ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث ، فينفخ فيه فتخرج كل روح إلى جسدها التي كانت فيه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر/ ٦٨-٧٠] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يُخرج النبات الحي من الأرض الميتة، ويعيد الروح الحي إلى الجسد الميت، فيحي الميت بالحي، ثم يخرج من القبر للبعث والحساب: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم / ١٩] .

فسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء : ﴿خُشَعًا أَبْصَرْتُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر / ٧-٨] .
فلا إله إلا الله متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاه، ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره وهواه : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُوتُ ﴿١١﴾﴾ [الحديد/ ١٦] .

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها، وتب إليه فإنه غفور رحيم : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٧] .

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها بعد انقضاء الآجال وتام الأماد كلها: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنبَأُ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر / ٨٥] .

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام ، والقرن بعد القرن ، كذلك ينقضي يوم الدنيا ، ويخلفه اليوم الآخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

واعلم أن الحكيم ﷺ جعل النوم بين اليقظتين آية على الموت بين الحياتين .

ومن كان في يقظته على شيء فالغالب أن يكون على مثله في نومه ، ومن عاش على شيء ، فالغالب أن يموت عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

فإذا بعث رأى ما سمعه حقيقة حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَحَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق/ ٢١-٢٢].

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا كريم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه ، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أظهر الله دينه : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف / ٩] .

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إليه ، والصبر على الأذى في سبيله ؛ لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق ، وأنزل على عباده الحق ، وأرسل رسله بالحق : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان/ ٣٠].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل، والملك والعظمة، والجلال والكبرياء، والإنعام والإحسان: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنات/ ٣٦-٣٧].

وتشهد للإله الحق بالتوحيد ، والعبودية له ، والافتقار إليه .

فكل ما سواه من المخلوقات يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص، والفقر، والعجز،

والتناهي في الأقطار والحدود، والآجال والصفات : ﴿الْمَرْتَرَاتُ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج / ١٨].

ويشهد لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له، ويخضع لعبوديته، ويسبح بحمده: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٤].
هو القادر على كل شيء، الذي خلق القدرة في كل قادر، وله وحده القدرة المطلقة، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك / ١].

وهو سبحانه العليم بكل شيء، عالم الغيب والشهادة ، الذي يملك خزائن العلم كلها ، الذي خلق العلم في كل عالم، وله وحده العلم المحيط بكل شيء ، وعلم ما سواه ناقص طارئ محدود: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بالدين الحق ، وخصهم بما ليس في طاقة البشر الإتيان به من الإخبار بالغيوب ، وخرق العادات ، وتأيدهم بالآيات والمعجزات، ليكون ذلك دليلاً على صدقهم، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد / ٢٥].

وصفات النبوة، وأعمال النبوة، وآيات النبوة، ماثورة في العالم كله إلى يوم القيامة، تظهر في المسلم، ثم تتجلى في المؤمن، ثم تشرق في الموقن، ثم تستعلن في الصديق وهو المحسن: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الفتح / ٢٨].

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون صلوات الله وسلامه عليهم .
والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة ، يربط الله بالحق على قلوب أهلها ، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم ، ويكرمهم بضر وب الكفايات ، وحصول الكرامات ، وإجابة

الدعوات، وقضاء الحاجات : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وإنما بلغوا ذلك، لكمال تصديقهم ، وكمال انقيادهم للأنبياء وتوقيرهم ، مع حسن الاقتداء بهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۖ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات / ١٥].
وكثيراً ما يكون في هذا الصنف المجتبي محادثة السر، والنفث في الرُّوع، وحسن السمات، والصدق في الرؤيا، وكثرة البكاء، وسرعة إجابة الدعاء : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۖ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى / ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ » أخرجه البخاري ^(١).

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق ، ويخرج مخرج الصدق ، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه وادخل معه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ﴿١١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۖ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].
فاجتهد في طلبه: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۖ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء / ٨٠].

ولعظمة هذا المقام وعلو درجته سيسأل الله أهله عن هذا الصدق: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب / ٧-٨].

فعلبك بالتسليم الكامل لربك مع الإحسان في القول والعمل تُرضي ربك وتنال كرامته : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل / ٩٧].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٩).

وإنما يحيى العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه وصعد في المدارج العالية، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل، فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم، فيكون كل شيء يراه أو يسمعه أو يعلمه دليل من الحق يدل على ربه الحق المين.

فإذا حقق العبد هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

فسبحان من أكرم آدم ﷺ وذريته، وعلمه الأسماء كلها، وبأهى به ملائكته، وأسجد له جميع الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وأكرمه بمعرفة الأسماء كلها: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم/٦٥].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكراً، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة، وأشهدهم على ذلك شهادة حقاً، ثم استخرجهم من الأصلاب جيلاً بعد جيل على هذه الفطرة الربانية الإيمانية: ﴿فَاقْمْ وَّجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل، ويؤمن بما جاءوا به من الهدى والفرقان، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان، ويزيدها بالفكر، ويغذيها بالذكر والعبادة، فتفتح له أبواب العلم والهداية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت/٦٩]. فلا يزال هذا المؤمن يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض، ثم يخترق السبع الطباق، ثم يبلغ الكرسي الكريم، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسنى، فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد:

يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويرفع ويخفض .. ويسيطر ويقبض .. ويأمر وينهى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِمُنَّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/٢٦-٢٧].

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤] .

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم ، بل يتذكر ويسقي ما هو مركز في فطرته من تلك المعرفة ، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية/ ٢١] .

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم بحسب الحُجُب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

فتجده يكذب بآيات الله ، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو الألوهية أو النبوة، ويملاً الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض طغياناً وفساداً، ويملاً ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس/ ١٧] .

وما أظهر هذا في شرار الخلق: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤] .

فيحتبس المطر من أجله ، وتقحط الأرض بسببه ، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضرره: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم / ٤١] .

فاستقم كما أمرت ، ولا تكن ممن يعبد هواه فتكون من الضالين: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص/ ٥٠] .

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عباده عبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس/ ٣٥] .

وآيات هدايته إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهتدوا بها إلى مقاصدهم ، وإنزاله الكتب وإرساله الرسل إلى الخلق ليهتدوا إلى ربهم: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْوَابِلَ النَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٥-١٨] .

واعلم أن السبل كثيرة ، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه ، وهو الصراط

المستقيم ، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام / ١٥٣].

واعلم رحمتك الله أن الناس سوف يبعثون ويحشرون كلهم للحساب يوم القيامة. والحشر حشران سوى الحشر الأول:

حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَيَحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا» متفق عليه^(١).

ثم الحشر الأول بعد نفخة البعث والنشور حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨) [الكهف/ ٤٧-٤٨].

وأما الحشر الثاني فهو حشر الكفار إلى جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦) [الأنفال / ٣٦].

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جَحِيمًا﴾ (٧٢) [مريم / ٧١-٧٢]. ثم حشر المؤمنين إلى ربهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) وَنَسُوفُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ (٨٦) [مريم/ ٨٥-٨٦].

ثم يساق المؤمنون مكرمين إلى الجنة جماعات: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٧٤) [الزمر/ ٧٣-٧٤].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٦١).

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة.

فالسؤال : هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ ﴿فَوَرِّبِكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) [الحجر/ ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه : خذ هذا عن هذا : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٥١) [إبراهيم/ ٥١].

واعلم أن من حوسب عُذِبَ لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه، إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) [النور/ ٢١].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدُّوا وَقَارِبُوا» متفق عليه (١).
واعلم رحمتك الله أن الحساب منه عاجل وأجل.

فالعاجل للحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل ما أقر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على الآجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦) [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بين لهم الصراط المستقيم في الدنيا، ليسيروا عليه إليه، ودعاهم لسلكه ليصلوا إليه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) [الأنعام/ ١٦١].

ثم نصب لهم يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم، وهو الصراط الأكبر المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين والمنافقين الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة المحشر، فهؤلاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتٍ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥) ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (١٠٦) [الكهف/ ١٠٥-١٠٦].

ثم تتبّع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله فيقعون في النار: ﴿فَوَرِّبِكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

لنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ [مريم/ ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون نُصِب لهم الصراط ثقيلهم وخفيفهم ، فإذا خَلَص من خَلَص من هذا الصراط وهم المؤمنون، حُبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار ، فإذا هُذِّبوا ونُقِّوا من المظالم التي بينهم أدخلوا الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيَحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقِّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» أخرجه البخاري ^(١).

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار وهم الكفار والمشركون والمنافقون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله :
﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران/ ٥١].

واعلم أيها المسلم أنك ستمر على الصراط المنصوب على متن جهنم بلا ريب: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا، تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: .. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» متفق عليه ^(٢).

فلا إله إلا الله ، إن قلباً لا تهزه هذه الأهوال والكروب والمشاهد لقلب ميت : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣) .

الْأَمْدُ فَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/١٦-١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة ، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧] .

والميزان يوم القيامة حق : له كفتان ، كل كفة تسع طباق السموات والأرض ، فتوضع الحسنات في كفة ، والسيئات في الأخرى ، ويرى الإنسان نفسه وهو يزاول عمله : ﴿ يَوْمَ يَدْرُؤُ النَّاسُ أَسْنَانًا يُلْقَوْنَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/٦-٨].

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرُكَكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارَ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ [القارعة/٦-١١].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدره : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فكل شيء بميزان مقدر ، لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتقدم ولا يتأخر . الخلق والتدبير .. وإنزال الماء .. وتقسيم الأرزاق .. والنمو والتكاثر .. والجبال والبحار .. والسحب والرياح .. وكل شيء في خزائن الله معلوم مقدر : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١] .

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمدّه ميزابان من الكوثر الذي أعطاه إياه ربه في الجنة ، فيشرب منه كل من آمن به : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ﴿١﴾ [الكوثر/١] . وهذا الحوض عظيم واسع كما بين مكة وبصرى ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأنيته كعدد نجوم السماء ، مَنْ شرب منه لا يظمأ أبداً، يشرب منه المؤمنون ، ويُزاد عنه كل من بدّل دينه .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ

أَطِيبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا» متفق عليه^(١).

واعلم وفقنا الله وإياك للفقهِ في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر، والحق بالباطل، امتحاناً وابتلاءً للعباد في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَإِنَّا نَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

أما الآخرة فإن الله ﷻ خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيه في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيه في النار: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

فسبحان الملك الحق الحكيم الخبير الذي خلق الدنيا والآخرة، ثم أظهر لنا الدنيا، وأخفى الآخرة، وقدم الدنيا، وأخر الآخرة، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة.

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

ومن كفر به أدخله النار، وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَبَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا أُخْرَى لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ٥٦].
واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور لا يراه أحد في الدنيا: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه، ولا يحيطون به؛ لكمال عظمته وكبريائه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين، ويريدون السجود فلا يستطيعون، ثم يحتجب عنهم كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَّحْجُوبُونَ﴾ [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [١٦] [المطففين/ ١٥-١٦].
اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم أن من آمن بالله في الدنيا ورآه ببصيرته أكرمه الله برويته يوم القيامة ببصره، ودخول جنته، والفوز برضوانه، ومن كفر بالله في الدنيا وعمي عنه ببصيرته حرّمه الله يوم القيامة من رؤيته، ودخول جنته، وأدخله ناره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [١٨] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

الصَّلِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

فسبحان الملك الحق لا إله إلا هو : ﴿ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس/ ٣٢].

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبير والنظر : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء/ ٣٠-٣٢].

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك كل وقت، لتزداد علماً وتوحيداً، وإيماناً و يقيناً : ﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن الله جمع لنا ولك في هذا الاسم الكريم من غذاء القلوب والعقول مجامع الخيرات ، فله الحمد والمنة .

إذا فهمت هذا فاعلم رحمتنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور، وأربعة مواطن ، وخمسة أحوال .

فاعرف هذه الأمور ، وآمن بهن وما فيهن من خلق وأمر ، و حياة وموت ، وتقدير وتدبير ، ومشهود ومستور : ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

[آل عمران/ ٥٣].

أما الدور الثلاث :

فدار الدنيا .. ودار البرزخ في القبر .. والدار الآخرة .

وأما المواطن الأربعة :

فأولها الدنيا .. ثم البرزخ .. ثم عرصة القيامة .. ثم الجنة أو النار .

وأما الخمسة الأحوال :

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج .

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع: حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار، وهي دار القرار الأبدي في النعيم أو الشقاء. فاعلم رحمك الله ذلك كله لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته سوف تراه، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدَهُ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

واعلم أن علامة المخلص في عمله أنه يعبد الله كأنه يراه، ولا يلتفت لأحد سواه، لأنه لا يبحث عن تقدير الناس، ولا عن إعجابهم، ولا ينتظر حمدهم وشكرهم، لأنه يعلم أن الله على كل شيء شهيد: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح / ٢٨].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم / ٤١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه^(١).

اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً أنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أنك الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، ومحمد ﷺ حق، والنبيون حق، ودينك حق، وقولك حق، لا إله غيرك، ولا رب سواك.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

الرقيب

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

الله ﷻ هو الرقيب الحق المطلع على جميع ما في ملكه العظيم ، الرقيب الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم فلا يسترهم منه شيء ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢]. وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء ، الذي يحفظ عباده ويحرسهم مما يضرهم ، ويحميهم مما لا يجبه ولا يرضاه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود/ ٥٧].

وهو سبحانه الرقيب الباقي ، ذو البقاء الدائم ، والشهود الأعلى ، والحفاظة المحيطة بكل شيء : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران/ ٢].

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء ، المطلع على ما أكتته الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الحافظ الذي لا يغفل ولا يغيب عما يحفظه ، الذي حفظ جميع المخلوقات وأجراها على أحسن نظام ، وأكمل تدبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء ، الرقيب الذي يعلم بجميع أحوال الخلق ، ويعد أنفاسهم ، وكلماتهم ، وأعمالهم : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمَوْا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الإنسان كله مكشوف أمام ربه ، في بيته مراقب ، وفي سوقه مراقب ، وفي عمله مراقب ، وفي حضره مراقب ، وفي سفره مراقب ، وفي جلوته مراقب ، وفي خلوته مراقب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧].

وإذا علم الإنسان أن ربه يراقبه خاف منه ، واستحي منه ، ولزم أمره ، وأحسن عمله ، فسعد في

دنياه وأخراه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُهَا أَتَاءَ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْبُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/٩].

فسبحان الرقيب الحفيظ الذي لا يغفل، الشهيد الذي لا يغيب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر/٢٢].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه وراقب هو ربه، خاف مقام ربه ، ووصل إلى مقام الإحسان ، فعبد ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ [الرحمن/٤٦].

ومن علم أن الله يراقبه أطاعه ولم يعصه ، ولم يكذب ، ولم يظلم ، ولم يسرق ، ولم يزن ، ولم يغش ، ولم يغترب ، ولم يفجر : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/٢٨].

واعلم أن المؤمن الصادق حقاً يرى أن الله معه يراقبه ويراقب عمله ، ويحفظه ويحفظ أعماله .

أحواله مع ربه لا توصف ، ومناجاته له لا تنقطع ، يتزين قبل أن يصلي لأنه سيقف بين يدي ربه ﷻ ، ويحسن صوته بالقرآن إذا قرأ ، لأنه يعلم أن الله أول من يسمعه ، ويكرم الناس ، لأنه يعلم أن هؤلاء عبيد ربه ، ويستحي أن يكون في حال يعتذر منها ، لأنه يعلم أن ربه يراه ويعلم ما في قلبه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ [الأنفال/٢-٣].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه وصل إلى مقام الإحسان ، فعبد ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه .

وكلما ازداد العبد مراقبة لله كان أكثر ورعاً ، وأكثر تقوى ، وأكثر حياءً ، وأكثر حباً وتعظيماً وذلاً لله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون/٥٧-٦٠].

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء ، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، الرقيب على المبصرات كلها ببصره ، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه ، الرقيب الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، المحيط الذي أحصى كل شيء : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/٥٩].

فسبحان الملك الحق ، والإله الحق ، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم ، الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۗ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴾ [آل عمران / ٥-٦].

هو العليم القادر القاهر الذي يستوي عنده الصغير والكبير .. والقريب والبعيد .. والظاهر والباطن .. والكليات والجزئيات .. والأسرار والخفيات : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ ﴾ [السجدة / ٦-٧].

وجميع الخلائق في الملك العظيم ، والملكوت الكبير ، كلهم قائمون بأمر الله ، قانتون له ، خاضعون لهيبته ، خاشعون لعظمته : ﴿ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ، قَانِتُونَ ۖ ﴾ [الروم / ٢٦].

والكل يشهد بوحدانيته ، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۖ ﴾ [الإسراء / ٤٤].

وكل مخلوق من مخلوقاته مراقب له ، قانت له يسبح بحمده ، وينتظر متى ينزل عليه الأمر من رقيه ﷻ فيمثله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۗ ﴾ [النحل / ٤٩-٥٠].

فالإنس والجن يمثلون أوامر ربهم الكونية والشرعية ، وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره الكونية : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ ﴾ [الحج / ١٨].

فسبحان الرقيب الشهيد الحق ، الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي كلها في آن واحد ، الحفيظ لجميع أجزائها ، العليم بحركاتها وسكناتها ، الشهيد للظواهر والبواطن : ﴿ وَأَسْرَأُ قَوْلُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ، عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۗ ﴾ [الملك / ١٣-١٤].

والله ﷻ هو الملك القوي القادر على الخلق والتأليف ، والجمع والتخطيط ، والتصوير والتشكيل ، وتقسيم جميع الهبات والأرزاق ، والأخلاق والأعمال .
يخلق ويرزق .. ويعطي ويمنع .. ويعز ويذل .. ويكرم ويهين .. ويهدي ويضل .. ويقدم

ويؤخر .. ويبسط ويقبض .. ويفعل ما يشاء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْبَرٍ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

وهو الرقيب على الكون كله ، يدبره بأحكام ملكوتية ، نازلة إلى قوى ملكية ، بأوامر جبروتية ، صادرة من ربك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، لخلق ما أراد خلقه ، ورزق ما أراد رزقه ، ونصر من أراد نصره ، وتثبيت من أراد تثبيته ، ومحو ما أراد محوه : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٣٨-٣٩].

والكل في ملكه .. والكل يجري بأمره .. والكل يشهد بوحدانيته .. والكل يسبح بحمده .. والكل تحت قبضته وقهره : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء ، استوى في حقه القريب والبعيد، والساكن والمتحرك، والحي والميت ، والظاهر والباطن ، والكبير والصغير ، والقوي والضعيف .

الكل معلوم له .. والكل مشهود له .. والكل مرقوب له : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج/ ٧٠].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أعز سلطانه ، وما أوسع علمه ، وما أعظم قدرته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمَوْا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدَّاحٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

أفقر كل مخلوق إليه ، وسبح بحمده بين يديه ، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه .

فما من ذرة ولا جماد ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان إلا والله رقيب عليه ، وهو مراقب لرقبيه الحق ، يسبح بحمده ، ويشهده بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدَعَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١].

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه ، ولهذا خلقه الله بيديه من بين المخلوقات ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له جميع ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ، وأكرمه

وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

وقد فضل الله الآدمي على غيره بالعقل ، فلما أوجد الرب فيه العقل واجهه بالشرع ، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي ، وجعله خليفة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [البقرة / ٣٠].

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل كما كان ينزل عليه وعلى غيره من المخلوقات الأمر الكوني: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل / ٣٦].

وسخر له ما في السموات وما في الأرض، ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض ، وضاعف عليه يومئذ الرقابة والرقباء ، والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنِينًا﴾ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه تحفظه، وتسجل أعماله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِتَلَاكِهِ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد / ١١].

وسره وجهره، وظاهره وباطنه، كل ذلك مكشوف لربه الشهيد: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف / ٨٠].

والرقيب الحق يرقبه في جميع أحواله، ويعلم أسراره وأعماله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورًا فَقَدِيرًا وَنَقِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [ق / ١٦].

فعضمت المحنة على الإنسان ، واشتد البلاء ، وبدأ الامتحان ، وفاز من فاز ، وخسر من خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرقيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق الذي يراقب جميع مخلوقاته وهو مستو على عرشه ، شهيد لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه العظيم .

والمراقبون هم جميع المخلوقات في السموات والأرض ، والدنيا والآخرة .
والمراقبة فعل المراقب ، فالمخلوق يترقب متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمثله ، أو نهى فيجتنبه ، أو قدر لا حيلة له في رده .

ومن راقب الله وعلم أن الله مطلع عليه أطاعه ولم يعصه .

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب ﷻ ، قد أحاط العليم بعلمها ، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله ، أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله ، وعبد الله بمقام الإحسان كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١٢) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴿

[الملك / ١٢-١٤] .

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه ، ناظر إليه ، مطلع عليه في كل لحظة .

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره ليفعله على أحسن حال ، ومراقبته عند نهيه ليجتنبه ، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب ، وماله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

والمؤمن حقاً من أيقن أن الرقيب الحق سبحانه مراقب لأحواله ، مبصر لأفعاله ، سميع لأقواله ، مطلع على أسرارهم: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَاتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ (١٨) ﴾

[الزمر / ١٧-١٨] .

فهذا العبد لعلمه أن الرقيب قريب شهيد عليم يهاب جلال ربه ، ويخاف من عقابه في كل حال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٣٥] .

ومن راقب ربه أكثر من ذكره وشكره ، وأخلص له العمل ، وأحسن له العبادة ، فاللهم زك
قلوبنا بالإيمان ، وامنحنا أبصاراً تراقب نعمك الظاهرة ، وبصائر تتعظ بأسرارك الباهرة .

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله ، ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن كما قال
سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقَوَارِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَأَنْقَوُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١] .

والنظر في الآيات الكونية والشرعية يثمر التوحيد والإيمان ، والإيمان يثمر التقوى التي
يحبها الله ، وأهلها في معيته: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبَى الْآيَاتِ وَالنَّذْرُ عَنْ
قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس / ١٠١] .

وهذا يثمر للعبد سرور القلب، وانسراح الصدر، وقرّة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجل
للمؤمن يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾
[الانفطار/ ١٣-١٤] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي
الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ » متفق عليه ^(١) .

وهذا النعيم والسرور يعث العبد على دوام السير إلى ربه، وبذل الجهد في معرفة أسمائه وصفاته،
وإحسان العمل، والإكثار منه، ابتغاء مرضاته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وتيقن أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها، فليتهم إيمانه وأعماله ،
ويتفقد حاله ، ويجدد إيمانه ، لعله يصفو ويزكو ويسعد في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

فالإيمان له طعم، وحلاوة، وحقيقة، من لم يجدها في أقواله وأعماله وعبادته، ولم يذوقها في
مناجاة ربه فليرجع وليقتبس نوراً يمشي به بين الناس، ويذوق به طعم الإيمان وحلاوته:

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٣) .

﴿أَوْ مَن كَانَ مِيْتًا فَحَيَّيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٣٢] ﴿ [الأنعام / ١٢٢] .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » أخرجه مسلم ^(١) .

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه ، فمن لم يجدها فإيمانه وعمله مدخول : ﴿ فَانقُؤْاَ اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاَسْمَعُوْاْ وَاَطِيعُوْاْ وَاَنْفِقُوْاْ خَيْرًا لَّاۤ اَنْفُسِكُمْۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهٖۚ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ۗ﴾ [١٦] ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعْفُهٗ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَاللّٰهُ شَكُوْرٌ حَلِيْمٌ ۗ﴾ [١٧] ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۗ﴾ [١٨] ﴿ [التغابن / ١٦-١٨] .

واعلم أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله، ولزوم طاعته ؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه ، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه أسبق من نظره هو إلى المعصية : ﴿ قُلْ إِن تَخَفُواْ مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ أَوْ بُشُّوْهُ يَعْلَمُهٗ اللّٰهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِۗ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۗ﴾ [٢٩] ﴿ [آل عمران / ٢٩] .

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه : ﴿ اَرۡءَيْتَ الَّذِيۤ يَنْهٰى ۙ ۙ عَبْدًا اِذَا صَلَّى ۙ﴾ [١٠] ﴿ اَرۡءَيْتَ اِنْ كَانَ عَلٰى هُدًى ۙ﴾ [١١] ﴿ اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوٰى ۙ﴾ [١٢] ﴿ اَرۡءَيْتَ اِنْ كَذَّبَ وَتَوَلٰى ۙ﴾ [١٣] ﴿ اَلرَّيۡعَمَ اِنَّ اللّٰهَ يَرٰى ۙ﴾ [١٤] ﴿ [العلق / ٩-١٤] .

ومن صح علمه، وعرف أن الله رقيب عليه، أطاع ربه واتقاه، ولم يفن عمره في البطالات، ولم يقتل أوقاته بالغفلات، بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، مستحياً من اطلاع ربه المنعم عليه، خائفاً من مشاهدته له، وجلاً من عظيم رقابته له : ﴿ وَالَّذِيۤنَ يُؤْتُوْنَ مَآءَاتًا وَّقُلُوْبُهُمْ وَّجِلَّةٌ اَنَّهُمْ اِلٰى رَبِّهِمْ رٰجِعُوْنَ ۗ﴾ [٦٠] ﴿ اُولٰٓئِكَ يُسْرِعُوْنَ فِي الْخَيْرٰتِ وَهُمْ لَهَا سٰبِقُوْنَ ۗ﴾ [٦١] ﴿ [المؤمنون / ٦٠-٦١] .

واعلم أن من لزم هذا السبيل أوصله بإذن الله إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان، وتثمر كمال التقوى، التي تثمر كمال القرب والمشاهدة والأنس بالله عز وجل : ﴿ الَّذِيۤنَ ءَامَنُوْا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِۗ اَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ ۗ﴾ [٢٨] ﴿ الَّذِيۤنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ طُوْبٰى لَهُمْ وَحَسَنٌ مَّآبٌ ۗ﴾ [٢٩] ﴿ [الرعد / ٢٨-٢٩] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤) .

ومن عمي عليه أمره، وضل عن طريقه، فليرجع إلى مقام المراقبة يكن من المهتدين: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى / ١٣] .

وارغب إلى الله ﷻ في إصلاح قلبك ، واطلب الأدوية لذلك ، وتفتن لمكائد عدوك ؛ لئلا يصيدك ويأسرك، ويجرك معه إلى النار: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر / ٦] .

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب ، وسبب كل شفاء تُشفى به الصدور ، كما أن الغفلة أصل كل داء ، وسبب كل بلاء .

فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله ، فهي سبيل النجاة والفلاح : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف / ٢٨] .

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة ، واجتلاب اليقظة ، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وآلائه ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [١٧٩] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٧٩-١٨٠] .

وإذا أردت الشفاء والهدى فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه ، ففر بنفسك إليه ، واسجد بقلبك بين يديه ، وتخل عن نفسك إليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩] .

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله ﷻ هي الجهل به ، فاقطعها بمعرفته المقربة إليه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩] .

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك زالت عنه الغفلة، ونالته بركة قرب الله ﷻ ، واستبان له الهدى، وأبصر بعد العمى، ونزل بمنازل المقربين ، وأحسن الظن بالله ، وفاز بمعيته ، فاعبده واصطبر لعبادته : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

[فصلت/ ٣٠-٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنِ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنِ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنِ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنِ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً » متفق عليه ^(١).

واسأل ربك أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته ، ولا تبالي بما فاتك دونه : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ [المائدة/ ٣٥].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إجمال ذكرك ، وإنقاص قدرك بين يديه ، معتذراً إليه بقولك : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص/ ١٦].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ، ونسيان ذكرك ، فأكثر من ذكره وشكره ، يذكرك ويشكرك : ﴿ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥٢].

ومن رزق دوام المراقبة لربه نبعث من قلبه وجوارحه أصناف الخير ، واضمحلت عنه أصناف الشر ، واستأنس بربه ، واستوحش من غيره : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ ﴿٥﴾ [الطلاق/ ٤-٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، لا تثبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ﴿١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح ، ليفتح لك الباب ، وتشرق في قلبك الأنوار : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ﴿٢﴾ [النصر/ ٣].

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك فأحبه لغيرك ، وكل شيء تكرهه لنفسك فاكتره لغيرك ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

أُولِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة / ٧١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» متفق عليه^(١).

ولا يزال بك طول المراقبة حتى يكون لك من نفسك عليك رقيباً وواعظاً، وأمراً وناهياً، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ [النور / ٥٢].

واعلم زادنا الله وإياك إيماناً وتقوى أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى / ١٤-١٥].

وإذا لزم باب العلم والتقوى رفعت ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة.

فاحمد الله كثيراً أن بلغك ذروة السنام من المراقبة، ثم ألحقك بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

وحين سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» أخرجه مسلم^(٢).

وهذا وذاك كله تاج من الخير، ونور من المعرفة، وكنز من العمل الصالح، يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله، وعلم الله أنه يزكو به: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور / ٣٥].

وعلامة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه الله ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦)، واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٨).

واضرع إليه في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة.

واعلم أن من راقب الله في سره وجهره ، واتقاه في أمره ونهيه ، أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار: ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة / ٤] .

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار ﷻ ، ودوام مراقبته لك ، وكمال مشاهدته لك ، فاعرف كذلك قدر نفسك ، واخضع لمن خلقها وصورها، وكرمها وعلمها ، ورزقها وسلمها ، وانظر أي عبد تكون له : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (١٨) ﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا يَمَآ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴾ (٢٠) [السجدة/ ١٨-٢٠] .

واعلم أن الله هو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خيرٍ وشرٍ لك أو عليك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) [فصلت / ٤٦] .

واعلم أن الكريم سبحانه يصفي قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته ، ويطهره مما سواه ، ويزيده من الإيمان والتقوى حتى يصل إليه ، ثم يرفعه فيظهر فيه معاني أسمائه وصفاته ﷻ ، فيومئذ يسمع به، ويبصر به، وينال كرامة ربه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) ﴿ وَسَيُحِبُّهُ بُكْرُهُ وَأَصِيلًا ﴾ (٤٢) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٤٣) ﴿ حَسْبُ لَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٤٤) [الأحزاب / ٤١-٤٤] .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري (١) .

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه ، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه ، وهو الإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ بِحَسَنَةٍ نَّجَّاهُ مِنَ عَذَابِ النَّارِ ۚ وَأَمَّا مَن جَاءَ بِسَاءَةٍ فَلَهُ مِثْلُهَا ۖ وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ١٩] .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

مُجْرَمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه / ٧٤-٧٥].

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذلة لمولاك، أزال عنك حُلته التي حلاك بها ،
وسلبك نعمته التي وهبها، وسد دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف / ٥].

ثم استدرجك بذنبك بمعارف تبعذك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخرارك،
فتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل، وأنت ضال خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٥].

وأخطر شيء على هذا العبد الضال الخاسر أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم
والفطنة ، وما أراه من الآيات ومعاني الأسماء والصفات ، ويستكبر عن ربه بما أنعم عليه به ،
حيث خيَّل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته عليه ، فحجب إليه نفسه ،
وعظَّم عنده ما لديه ، وأعلى عنده قدر نفسه ، وحجب عنه النور المبين ، فلم ير غير نفسه
الخبسية ، فاقصر عليها ، وظن أنه على الحق: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ
﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي
تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾
وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبا / ٣٥-٣٨].

ثم يورثه ذلك العجب والكبر والإعراض ، والاستغناء بالعلم عن العمل ، وهذا من الضلال
والظلم والخسران المبين: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَبَتُّوا وَأَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ
وَيَغْيِرْ هُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص / ٥٠].

اللهم اعصمنا من الزلل، واحفظنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واحرسنا من شياطين الجن
والإنس: ﴿وَأَلْفِتْنَةً أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَالُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا
وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة / ٢١٧].

واعلم أن هذا الكلام ، وهذا النور ، إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك ، ثم يظهر على جوارحك ،

فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك ، فأصلح حالك ، وتعاهد إيمانك ، قبل أن يشدّ ملك الموت رحالك ، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤) ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ (١٥) ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴾ (١٦) [المطففين / ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (١٠٤) [الأعام / ١٠٤].

اللهم اجعل كتابنا في عليين ، وألبس وجوهنا نضرة النعيم : ﴿ كَلَّا إِنْ كُنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلْبَيْنَ ﴾ (١٨) ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ ﴾ (١٩) ﴿ كُنْتُ مَرْفُومٌ ﴾ (٢٠) ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢١) ﴿ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (٢٢) ﴿ عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (٢٤) ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْحُوتٍ ﴾ (٢٥) ﴿ حَتَّمَهُمْ مَسْكَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ (٢٧) ﴿ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢٨) [المطففين / ١٨-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا ، يا واسع المغفرة ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء : ﴿ أَنْتَ وَلَيْتَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴾ (١٥٥) [الأعراف / ١٥٥].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران / ٥٣].

﴿ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَعْفِرْنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨) [التحریم / ٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَأَعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه (١).

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، يا أرحم الراحمين .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره .

فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، إنك على كل شيء قدير ، وبكل شيء بصير .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥) .

القريب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

الله ﷻ هو القريب الحق من جميع خليقته، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ومن مجرى الروح فيه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة / ٧].

وهو سبحانه القريب الذي يرى جميع مخلوقاته في السموات والأرض، القريب الذي يسمع دعاء من دعاه ويجيب دعوة الداعي، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به لا إله إلا هو، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١]، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الشورى / ١١-١٢].

وهو سبحانه القريب اللطيف الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا هادي إلا هو: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يَعْبُدُ ۚ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ / ٤٩-٥٠].

وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان:

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به، ومشاهدته له، وإحاطته به، ومراقبته له، فلا يخفى عليه مثقال ذرة من كل مخلوق في السماء والأرض: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق / ١٦].

والثاني: قرب خاص من عابديه وسائليه ومجيبه، ومن آثاره لطفه بعبده، وعنايته به، وإجابة دعوته: ﴿إِن رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف / ٥٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه مَنْ كَانُوا وَأَيْنَمَا كَانُوا وَعَلَىٰ أَيِّ حَالٍ كَانُوا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورجب إليه في التوبة .

وهو سبحانه العلي الأعلى الذي استوى على عرشه ، المحيط بكل ذرة في ملكه ، القريب من كل مخلوق في ملكوته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يونس / ٦١].

فسبحان الملك الحق العزيز الجبار الغني الكريم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا إكراماً لأهل طاعته، وحباً لهم، وتحنناً إليهم : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيَخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُفْرِكُمْ لَوَفٌّ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ [الحديد/ ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(١).

واعلم أن من أنار الله قلبه بالإيمان وأزال الحُجُبَ عن بصره وبصيرته سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم ، فرأى صمود المخلوقات إلى ربها ، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح ، وأصوات تخطب بالتوحيد، وشاهد استسلام الملك والملكوت لذي العزة والكبرياء والجبروت : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْنَ ظُلُمَاتُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل/ ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه ، وصدق الافتقار إلى الغني ، وذل الانكسار بين يدي الملك، يكون قدر العطاء وحسن الثناء : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧].

فلا إله إلا الله ، من سعد بقلبه ونظر في الملك والملكوت رأى مُلكاً عظيماً ، وصنعاً بديعاً ، وتدبيراً حكيماً ، وخلقاً كثيراً، يراه البصر وتشهد به البصيرة : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَاهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦-٨].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨).

فكيف لو وصل بلبه إلى من ليس دونه مقصد، ولا وراءه متهى، وصعد إلى الحق من أسمائه وصفاته وأفعاله، ورأى المحيط بكل محيط، القاهر لكل قاهر: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد/١٩].

هو الملك الحق المبين، والرب العلي العظيم، والغني القوي العزيز، والعفو الغفور الرحيم، والحي القيوم الكريم، والكبير الجبار المتكبر، الذي له جميع الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] [الحشر/٢٢-٢٤].

وكلما قُرُبَتْ أيها المؤمن من ربك قَوِيَتْ دلالة الدالين عليه، وكثرت إشارات المشيرين إليه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [١٦٤] [البقرة/١٦٤].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وراه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

يخلق ويرزق، ويكرم ويهين، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٤] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

أترى هذا العبد المكرم يتعداه إلى سواه، أو ينشغل بغيره عنه، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة/١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق الذي تجلَّى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألهم معرفته وهيبته جميع مخلوقاته، فخضعت لجلاله، وسجدت لعظمته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٥٠]

[النحل / ٤٩ - ٥٠].

وهو سبحانه القريب من خلقه، الذي يرى أشخاصهم، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [الحديد / ٤-٥] .

وهو سبحانه القريب السميع البصير العليم بكل شيء ، فهو مع الداعي إذا دعاه ، ومع المسافر في سفره ، ومع أهله في وطنه ، هو الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، والمال والولد : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد / ٢-٣] .

فسبحانه ما أعظم شأنه ، وما أقربه من عباده ، وما أكرمه لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٤] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ، وَلَا غَائِبًا ، إِنَّهُ مَعَكُمْ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، تَبَارَكَ اسْمُهُ ، وَتَعَالَى جَدُّهُ » متفق عليه ^(١) .
وهو سبحانه القريب الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه بما يحبه ويرضاه .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ .

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » متفق عليه ^(٢) .

واعلم رحمك الله أن قرب الرب من عباده المؤمنين وكرامه لهم يكون على قدر تحققهم في صفات الإسلام والإيمان والإحسان واليقين والتقوى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٠٤) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له .

وَالْحَفِظَتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم ، وسماعه لنجواهم ، وشهوده اللطيف لأحوالهم ، فهو القريب منهم ، إن سألوه أعطاهم ، وإن دعوه أجابهم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

• التبعّد لله ﷻ باسمه القريب:

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته ، القريب والبعيد كله عنده قريب ، والكبير والصغير كله عنده صغير ؛ لأنه وحده الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وبيده المُلْك والملكوت : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٣].

فتقرب إلى ربك العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، تكون بالقرب منه يوم القيامة: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وأخلص أعمالك لله ، وأحسن عبادة ربك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ هِينَ نَقُوءٍ ﴿٣٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان بالقول والعمل ، والخُلُق والمال ، فأحسن كما أحسن الله إليك : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأعراف / ٥٦].

وقرب الناس إلى ربهم ، وذكرهم بنعمه وآلائه ، وبيّن لهم عظمة أسمائه وصفاته؛ ليعظموه ويكبروه ، ويحمدوه ويشكروه ، ويتقربوا إليه ويعبدوه ، ويستفيدوا من بركات خزائنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

وتقرب إلى القريب منك ﷻ ، وأكثر من السجود له يقربك منه ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم أن كمال التقوى سببها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعمه وإحسانه ،

والعلم بدينه وشرعه، وهي درجة فوق الهداية إلى الإيمان الذي يفارق به العبد من لم يؤمن بالله، وهي الدليل على صحة الإيمان: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

واتق الله حيثما كنت ، وتقرب إليه بفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، واحذر اتباع الهوى والبدع، فإن الله لا يقبل ولا يتقبل إلا من المتقين: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة/ ٢٧].

وإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته في قلبك ذهب البعد كله في حقلك، وإنما تجد البعد كله في حقلك أنت، فتقرب إليه بما يحبه ويرضاه يقرب منك، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى ، واتباع رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيظٍ إِنِّي تَوَّابٌ ﴾ [الأحقاف / ١٥].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (١).

اللهم يا قريباً غير بعيد، ويا شاهداً غير غائب، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا كاشف الكرب ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا سميع يا بصير .

أسألك الهدى والتقوى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين . اللهم قني شر نفسي ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا سميع يا قريب .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الرابع

أسماء الله الحسنی الدالة على الرحمة والمغفرة ،
والعفو والعون ، والल्प والرفق [٥٣ - ٦٩]

وتشتمل على ما يلي :

(الرحمن ، الرحيم) ، (الغفور ، الغفار) ، (التواب) ،
(المؤمن) ، (العفو) ، (الحلیم) ، (اللطيف) ، (الودود) ،
(المجيب) ، (الولي ، المولى) ، (الرؤوف) ، (المستعان) ،
(الستير) ، (الرفيق) .

الرحمن .. الرحيم

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم بجميع مخلوقاته، الرحمن الرحيم الذي لا أرحم منه. هو الرحمن الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء، وكل رحمة في العالم فمن آثار رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧].

والله ﷻ هو الرب الرحمن الرحيم الذي بطن بذاته، وظهر بصفاته، واستعلن بأسمائه، وتجلي بأفعاله، وله الحمد كله على ربوبيته وألوهيته ورحمته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢-٣].

هو الرحمن الرحيم الذي استوى على أعظم المخلوقات وهو العرش بأعظم الصفات وهي الرحمة، ليعلم عباده أنه الرحمن الرحيم الذي يحب أن يرحم جميع خلقه كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه / ٥].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله أظهر من أسمائه الحسنی ما أظهره لآدم ﷺ يوم علّمه الأسماء كلها.

فإذا كان يوم القيامة أظهر منها قدراً زائداً على مقدار ما أظهره من قبل، على مقدار عظمة ذلك اليوم العظيم بالإضافة إلى يوم الدنيا.

ثم يُظهر لسيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ في دار القرار منها قدراً زائداً على ما أظهره من قبل، على مقدار زيادة تلك الدار على ما قبلها.

ثم يُظهر الرحمن الرحيم لعباده وأوليائه في الجنة من أسمائه المحجوبة والمكنونة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

فسبحان الرب الرحمن الرحيم الذي كتب بمقتضى هذا الاسم على نفسه الرحمة، في كتاب وضعه عنده فوق العرش (أن رحمتي سبقت غضبي): ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » متفق عليه ^(١).

فكان هذا الكتاب العظيم المبارك عقداً لجميع العالم أعلاه وأسفله؛ ليمتلئ الكون كله بالرحمة والأمن والعفو والمغفرة والحلم والصفح والأناة والتوبة والإحسان وحسن المعاملة وغيرها من آثار رحمته: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر / ٧] .

فسبح بحمد ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الذي حجب ذاته وجلاله وجماله عن خلقه بحُجُبِ النور التي لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فيُهْلِكُ كبرياؤه كل كبير، وعظمته كل عظمة، وعزته كل عزة، وكرمه كل كرم، وقدرته كل قدرة، وقهره كل قهر، فكان لا يقوم له شيء لولا رحمته السابقة باحتجابه عن خلقه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة كلمات فقال: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفِعُ إِلَيْهِ عَمَلِ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلِ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » أخرجه مسلم ^(٢).

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحببه الله ويرضاه أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والخيرات والبركات، والمحاب والمساو والنعم، فمن آثار رحمة أرحم الراحمين. كما أن جميع ما صُرف عن العباد من المصائب والمكاره والمضار، والمخاوف والنقم والآلام، فمن آثار رحمة الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج / ٦٥] .

فسبحان الله وبحمده، لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢] .
ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أن أوجد العالم كله متواشج الأرحام، ومتقارب الأصول. فجعل برحمته الأعلى يعطف على الأسفل، وجعل الأسفل يتعلق بالأعلى.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٢)، ومسلم برقم (٢٧٥) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٩) .

وأفقر الخلاتق كلها بعضها إلى بعض ، فأفقر الأعلى إلى الأسفل ليؤدي إليه ماله عنده ،
وأفقر الأسفل إلى الأعلى ليقبل منه ما به وجوده ، ثم أفقر الكل إليه، إظهاراً لكمال غناه :
﴿سُبْحٰنَهُ ۥ هُوَ الْغَنِيُّ ۥ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

وقد خلق الرحمن الرحيم مائة رحمة، وأنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض، لتكون سبيلاً
للتعاطف والرأفة والرحمة والمودة، والحنان والسكن والتربية والنسل بين المخلوقات
كلها من الإنس والجن والحيوان وغيرهم .

فعاش في تلك الرحمة أهل الأرض كلهم ، وتناسلوا وتعاطفوا وتم عليهم أمر ربهم : ﴿هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

وعن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً
بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ
عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه (١) .

ورفع الرحمن الرحيم سبحانه أهل الإيمان درجة في ذلك، فتعاطفوا وتراحموا وتحابوا
وتوادوا من أجل الرحمن، فتم لهم أمرهم أوله وآخره، وعاجله وآجله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح / ٢٩] .

وعن النعمان بن بشير ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ
وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى »
متفق عليه (٢) .

فإذا أراد الله فناء هذه الدنيا وأهلها قبض عنهم معنى اسمه الرحمن حتى لا يبقى في الأرض
مسلم، وأذن بإقامة القيامة على شرار الخلق فمقتهم وقبض الرحمة التي أنزلها إلى الأرض
فيومئذ: ﴿تَذْهَبُ كُلُّ مَرَضَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ
سُكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ ۚ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج / ٢] .

ثم يضيف الرحمن الرحيم تلك الرحمة إلى ما أمسك عنده لتكون مائة رحمة ، يرحم بها
عباده يوم القيامة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٠)، ومسلم برقم (٢٧٥٢)، واللفظ له .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له .

فسبحان الرب الرحيم الذي يربي جميع مخلوقاته باسم الربوبية، ويوصل إلى جميعهم برحمته من إحسانه ورزقه ولطفه بما سبق لهم مقدراً عنده ، ثم يقطع ذلك عنهم بموتهم واحداً واحداً : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة/ ٦].

فإذا كان يوم القيامة خص برحمته أهل طاعته ، وصرفها عن أعدائه أهل معصيته : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِينَفَرُفُونَ ﴾ [١٤] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الروم/ ١٥-١٦].

واعلم أن الرحمن الرحيم خلق الرحم، والرحم مشتقه من الرحمة ، والرحمة صفة الرحمن ﷻ. ولما خلق الله الرحم أنزلها إلى الأرض فتعلقت بالعرش مستعيذة بالله من القطيعة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ » متفق عليه (١).

فما أعظم ثواب صلة الرحم، وما أشد عقاب من قطعها .

وصلة الرحم تزيد في طول العمر، وبسط الرزق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه (٢).

فما أعظم رحمة الرب لعباده، فقد ملأ الرحمن العالم كله برحمته ، وملأ الكون بنعمه ، وملأ الجو بهوائه، وهو أرحم بالعباد من أنفسهم ، وأرحم من الأم الشفيقة بولدها.

فعلينا أن نملاً الزمان والمكان بذكره وحمده وشكره ؛ ليدكرنا في نفسه، ويزيدنا من فضله:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [١٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].
« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلُ الشَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَّ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ » أخرجه مسلم (٣).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧٨).

واعلم رحمنا الله وإياك أن رحمة الله نوعان:

رحمة عامة لعموم الخلق بما يسر لهم من سبل العيش وأنواع الإحسان كل بحسبه :
﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم / ٥٠].

ورحمة خاصة بالمؤمنين بما يسر لهم من الهداية والإكرام كما قال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٤].

فكل رحمة في السماء والأرض من إنعام عام ، وإحسان وإكرام ، وإدراج أرزاق ، وما هذا سبيله فذلك كله عن رحمة الرحمن العامة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر / ٧].

وما كان من الرحمة في معاني الديانة ، ومعاني العناية من أجلها ، فذلك من رحمة الولاية الخاصة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس / ٥٨].

وهذه الرحمة وتلك الرحمة كلاهما بيد الله يعطيها من يشاء ، ويمنعها من يشاء ، وهو الفتح العليم: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر / ٢].

ومتى عريت رحمة الولاية من الرحمة العامة غلب على ذلك اسم الابتلاء والامتحان كما قال سبحانه: ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٥].

ومتى عريت الرحمة العامة من رحمة الولاية غلب على ذلك معنى المكر والاستدراج، نعوذ بالله من عقوباته كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة / ٨٥].

فسبحان الملك الحق الذي حكم كل شيء عافية وبلاء ، ورحمة وانتقاماً ، وبسطاً وقبضاً ، وغنىً وفقراً: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة / ١٢٠].

هو الرحمن الرحيم البصير بما يُصلح عباده ، الذي إذا أراد أن يداوي مخلوقاً عاصياً يعلم كيف يداويه ويعالجه ويصلحه، ليسعدني دنياه وآخرته: ﴿ وَلَنْبَلُوتِكُمْ بِنِيِّ مِنْ أَلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

والله رؤوف بالعباد، غني عنهم ، لم يبتليهم أو يضيق عليهم أو يفقرهم إلا حبا لهم، ورحمة بهم ، ودفعا لهم إلى باب عبوديته : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء / ١٤٧] .

فسبحان الكريم الرحمن الرحيم الذي كلماته لا نفاذ لها، وخزائنه لا نهاية لها، ويده بالليل والنهار سحاء بالعباد: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان / ٢٧] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم (١) .

واعلم وفقك الله لكل خير أن الله كما خلق الخلق خلق صفاتهم ، فأوصافنا وصفاتنا بيده ومن عنده، يوفق إليها من يشاء، ويسرها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء، وهو العليم الخبير. وجميع الصفات من قبيل الأعطيات والهبات من الكريم الوهاب، وهي من آثار أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فالإسلام من اسمه السلام ، والإيمان من اسمه المؤمن ، والهداية من اسمه الهادي ، والرحمة من اسمه الرحمن ، والمغفرة من اسمه الغفار ، والحلم من اسمه الحليم ، والهيبة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

من اسمه الوهاب ، والجمال من اسمه الجميل ، والكرم من اسمه الكريم ، والشكر من اسمه الشاكر، والتوبة من اسمه التواب ، وهكذا في بقية الأسماء والصفات: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة / ٢].

يحلي بهذه الصفات من يحب من عباده ويزينهم بها ؛ ليرفع مقامهم ودرجاتهم : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب / ٣٥].

أما الكفار والمشركون فلهم أسماء بضد ذلك مما يكرهه الله ويسخطه ، وينزه نفسه عنه كالظلم والفساد والمكر والبغي : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل / ٩٠].
فتلك هبات وعطايا من الرب الرحمن الرحيم منزلة من عند الله ، يهبها الرحمن لمن يشاء من عباده حسب علمه وحكمته ، وحسب طلب العبد وسؤاله: ﴿قُلْ إِنْ أَرْضُ اللَّهِ يُدْرِ اللَّهُ بُرُوقَهُ مِنْ شَاءَهُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

فسل ربك الرحمن الرحيم أن يهبها لك ، ويدلك على عباده الذين اختارهم لتقفوا آثارهم، وتسلك سبيلهم : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان / ٦٣-٦٨].

وبهذه الصفات يُخرج الرحمن الرحيم نسل المسلمين والمؤمنين، والمتقين والمحسنين ، والمهتدين والصالحين، والصادقين والذاكرين والعابدين ، ويبعث بها من في القبور المظلمة:

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج / ٥-٧] .

وأنواع رحمته ﷻ لا يحصيها إلا هو، وأعظم وأجل أنواع رحمته هي هداية خلقه بواسطة كتبه ورسله إلى ما يحبه ويرضاه من الدين القيم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس / ٥٨] .

وجميع النعم المخزونة في السموات والأرض ، وجميع النعم الظاهرة والباطنة، وجميع النعم في الدنيا والآخرة، كل ذلك من آثار رحمة الله التي لا يحيط بها أحد: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم الذي يعطي عباده النعم الكثيرة ، ويعفو عن التقصير في شكرها ، ويتجاوز عنهم لضعفهم: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٧-١٨] .

ومن هداية الله إلى الصراط المستقيم فقد رحمه بفضله وإحسانه العام والخاص .

ومن آثار رحمة الله في الدنيا ما يسر للمؤمنين من الهداية إلى الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه للناس ، والنصح للخلق ، والإحسان إليهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١١٠] .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، فحيثما كان خلقه كانت رحمته ، الرحمن الذي رحمته سبقت غضبه ، ورحمته عمّت جميع مخلوقاته .

وظهرت آثار رحمته في ملكه ومخلوقاته ظهوراً لا يُنكر ، حتى امتلأت برحمته أقطار السموات والأرض ، وامتلأت بها قلوب المخلوقات ، حتى حنّت بها المخلوقات بعضها إلى بعض ، وحنّت بها البهائم على أولادها ، وحنّت بها الطيور إلى أوكارها .

فسبحان من جميع الخلق قاعدون على موائد نعمه ، عبيد خاضعون لربوبيته ، شاهدون بوحدانيته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطْنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠] .

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي شهد الكون كله بكمال علمه وقدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وسعة رحمته وفضله : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠].

فهذه السموات العظيمة ، وهذه الأرض الواسعة ، وهذه الجبال الشامخة ، وهذه البحار العميقة ، وهذا الفضاء الكبير ، وهذا النور العظيم ، وهذا الهواء اللطيف ، كل ذلك وغيره من آثار قدرة الله ورحمته : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

وهذه المياه العذبة ، والعيون المتفجرة ، والأنهار الجارية ، والبحار العظيمة ، والسحب المتركمة ، والأمطار النازلة ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر/ ٢١].

وهذه الأرض المستقرة كم مواليدها في كل يوم من نباتات وأشجار؟ وهذه البقاع الواسعة ، وهذه السهول الخصبة ، والأعشاب المختلفة ، والنباتات المتنوعة ، والفواكه الطيبة ، والثمار الزكية ، كل ذلك وغيره من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٤١].

وهذه الطيور في السماء ، وهذه الحيوانات في الأرض ، وهذه الأسماك في البحر ، كل ذلك من آثار رحمة أرحم الراحمين بعباده : ﴿ وَاللَّاتُ وَاللَّحَدَادَةُ بَلَغْنَ فِيهَا بِرَاءَةً لِكُلِّ مَلَأٍ وَمَنفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل/ ٥-٧].

وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه النجوم العظيمة ، وهذا النور العظيم الذي ملأ كل شيء ، كل ذلك وغيره أثر من آثار رحمة أرحم الراحمين : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوَقُّونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢].

فما أعظم رحمة الرحمن الرحيم بخلقه ، وإذا كانت هذه بعض آثار رحمته الواحدة في الدنيا فكم تكون كامل رحمته؟ وكم تكون رحمته لعباده في الآخرة؟ وكم يكون إكرامه لأولياته؟ :

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وظهرت آثار رحمته على بني آدم خاصة ، حيث خلق أباهم آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسكنه الجنة ، وجعل ذريته خلفاء الأرض ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وكرمهم على غيرهم ، وزودهم بالعقول والأسماع والأبصار : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾
عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ [الرحمن/ ١-٤].

ومن رحمته أن أكرم بني آدم بجميع أنواع الكرامات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ
وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].
هو الرحمن الرحيم الذي تفضل على عباده بالخلق والإيجاد ، وأمدهم بالطعام والشراب ،
وامتن عليهم بالعافية والأمن ، والأموال والأولاد وأصناف النعم.

فهذه رحمته العامة لكل الخلق ، أما رحمة الله الخاصة فهي الدين القيم الذي خصك به وشرح
صدرك للإسلام ، وملاً قلبك بالإيمان وحببه لك ، وأعانك على حسن عبادته ، وأجزل لك
الأجر والمثوبة على ما هداك إليه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة/ ٣].

فسبحان الرحمن الرحيم الذي ظهرت آثار رحمته في أمره وشرعه ظهوراً تشهد به الأبصار
والبصائر ، ويعترف به أولو الألباب والعقول : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

فدينه الحق كله نور ورحمة ، وهدى وشفاء ، موصل إلى أجل رحمة وكرامة في الجنة ، ومقرب
إلى أعظم مقصود ومطلوب وهو الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ
عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرحمن :

اعلم وفقنا الله وإياك لطاعته أن آثار رحمة الرحمن الرحيم مبسوسة في الكون كله ، لا تخلو منها ذرة في العالم العلوي والسفلي ، ولا في الدنيا والآخرة .

فسل الرحمن الخبير الحق أن يرشدك إلى معرفة أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وآلائه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ الرَّحْمَنُ فَسئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان / ٥٩] .

واعلم أن رحمة الله تُنال بالإحسان ، فأحسن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، وكفها عن معصية الله ، وتجميلها بما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٦] .

وأحسن إلى غيرك ببذل الخير والمعروف له ، وارحمه بما أقدرك الله عليه من ضال تهديه ، أو جاهل تعلمه ، أو فقير تطعمه ، أو عار تكسوه ، أو سفيه تحلم عليه ، أو شديد تصبر عليه ، أو ضعيف تواسيه : ﴿ فَلَا اقْنَحُمُ الْعَاقِبَةَ ۗ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَاقِبَةُ ۗ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ۗ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۗ ﴿١٤﴾ بَلِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۗ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۗ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَّوْا بِالرِّحْمَةِ ۗ ﴿١٧﴾ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد / ١١-١٨] .

واعلم أن رحمة الله وسعت كل شيء فارحم رحمتك الله كل مخلوق من إنسان وحيوان ، ومؤمن وكافر ، وبرّ وفاجر ، فما أرسل الله نبيك ﷺ إلا رحمة للعالمين ، وأنت من أتباعه في الإيمان والأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء / ١٠٧] .

واعلم أن الله عرفك باسمه الرحمن الرحيم لتتصف بالرحمة ، وترحم خلقه .

فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَفْرَعُ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ » متفق عليه ^(١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣١٨) .

واعلم أن الرحمن الرحيم سبحانه شرع لنا من الفرائض والنوافل والواجبات والسنن ما يقربنا إليه، فتقرب بذلك إلى ربك ؛ لتنال رحمته، فكلما زاد قرب العبد من ربه وعظمت طاعته لمولاه زاد نصيبه من رحمة ربه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

وحرم الله علينا الكفر والشرك والكبائر والقتل بغير حق والمعاصي والفواحش والآثام، وكل ما يبعدنا عنه، وكل ما يؤذي ويضر خلقه رحمة بنا : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف/ ٣٣] .

فابتعد عن كل ما نهى الله ورسوله عنه ؛ لتسلم من شره ، وتنجو من عقوبته ، وتنال أجر تركه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر/ ٧] .

واعلم رحمك الله أن دين الله كله رحمة وحكمة وعدل وإحسان ؛ لأنه من الرحمن الرحيم : ﴿ حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت / ١ - ٣] .

وإذا أدخلك الرحمن الرحيم في رحمته فجعلك مسلماً فارحم الناس أجمعين ، وعرفهم بأرحم الراحمين ، وادعهم إلى سلوك الصراط المستقيم يرضى الله عنك ، ويزيد حسناتك : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

أرحم الخلق أجمعين ، وأكرم المتقين ، واخفض جناحك للمؤمنين، وأعرض عن الجاهلين : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [١٣٩] وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠] .

وارحم المساكين ، وعلم الجاهلين ، ودل العباد على ربهم الرحمن الرحيم، وخالق الناس بخلق حسن ، واذكر ما أنعم الله به عليك من النعم، يعطيك ربك ويرضيك : ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ [الضحى / ٥-١١] .

واعلم أن الله تعالى خصك برحمته لترحم نفسك، وترحم عباده ، وتعبد الرحمن بموجب أسمائه وصفاته .

واعلم أن الرحمن الرحيم ليس كمثل أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وخزائن

الرحمة كلها عنده ، وهو أرحم بالخلق من أنفسهم ، فسله أن يتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، فإنه غني كريم يجيب السائلين ، ويعطي الطالبين ، ويهدي الضالين ، ويتوب على التائبين : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِإِلْعَاقِهِمْ يُرَشِّدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وارحم خلقه الذين انقطعوا عنه أو لم يعرفوه ، حَبِّبه إليهم ببيان أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، ليعظموه ويهابوه ، وعرفهم بجزيل نعمه ، وسعة رحمته ، ليجبوه ويطيعوه ، ويؤمنوا به ويعبدوه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

وحببهم إلى ربهم بدعوتهم إليه وذكر آياته ونعمه ليدخلوا في دينه ، ويعملوا بشرعه ، ويدخلوا في رحمته ، ويسعدوا بمحبته باتباع رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّأْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف / ١٠].

﴿ رَبَّنَا أَمَّا مَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون / ١٠٩].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر / ١٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم ياسريع الإجابة والرضى ، يا واسع الرحمة والعطاء ، اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، وارحم مَنْ رَأْسَ مَالِهِ الرَّجَاءُ ، فَإِنَّكَ فَاعِلٌ لِمَا تَشَاءُ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

الغفور.. الغفار

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر / ٥٣] .

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص / ٦٥-٦٦] .

الله ﷻ هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده ، ويستر عيوبهم ، ويصلح أحوالهم .

وهو سبحانه الغفار السّتير الذي يستر ذنوب الخلق ، فلا يكشف أمر من عصاه ، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك / ١-٢] .

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي إذا غفر غفر كل شيء وستره ، وإذا عاقب أوجع ؛ ليعلم العباد سعة مغفرته ، وشدة عقوبته ، فيطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر / ٤٩-٥٠] .

وهو سبحانه غافر الذنب الذي يستر على المذنب ذنبه ، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحها ، لعله يتوب إليه ويستغفره: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/٣] .

فسبحان العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً ، وبالغفران موصوفاً .

وكل واحد من الخلق مضطر إلى ربه في كل حال ، مضطر إلى عفوهِ ومغفرته ، ومضطر إلى رحمته وكرمه ، ومضطر إلى حفظه وعونه : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/١٥] .

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً ، ومغفرته فضل وإحسان منه ، لا يُسأل عما يفعل إذا غفر أو عفا، أو أعطى أو منع : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران/١٢٩] .

وهو سبحانه الغفور الذي المغفرة أحب إليه من العقوبة ، وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا ، والعبد من شأنه أن يذنب ، والله من شأنه أن يغفر : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿١﴾﴾

أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْدَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي كلما تكررت الإساءة من الإنسان، وأقبل على ربه غفر له وعفا عنه.

هو الغفار الذي ستر منك السوات والقبائح، وأظهر كل حسن من الصفات والأقوال والأعمال. هو الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت وكثرت، كثير المغفرة والستر، وقد تقتضي الحكمة والعدل أحياناً أن يفضح المسيء، أو يعاقبه، ليعود إليه، وليكون عبرة لغيره، ولئلا يستشري الفساد، لكن المغفرة من الغفور أكثر: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والله غفور رحيم لا يفضح إلا من لديه إصرار على الذنب، فالله لا يفضح العاصي من أول مرة، بل حين يصر على الذنب، ويألفه، ويجعله سلوكاً له، فعند ذلك يفضحه ويؤدبه ويعاقبه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣]. فسبحان الغفار الذي لسعة حلمه يغفر للمذنب مرة بعد مرة، ولسعة رحمته يغفر الذنوب جميعاً. هو سبحانه الغفار إذا عدت إليه وتبت إليه بصدق وإخلاص.

وهو شديد العقاب لمن كفر به واستكبر عن عبادته، وأصر على معصيته، فلا تعلق آمالاً على مغفرة الله، وأنت مقيم على معصيته: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٣].

هو الغفور الذي يستر ذنوب عباده، ويعفو عن التائبين، فلا يوقع عليهم العقاب: ﴿فَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة/ ٣٦].

هو سبحانه غافر الذنب إكراماً، وقابل التوب إنعاماً، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً إكراماً لك، إما أن يمحوها من صحائفك، وإما أن ينسيها الملائكة، وإما أن ينسيك إياها، لتأتي إليه يوم القيامة سليماً جميلاً، بلا جاهلية ولا ذنب ولا قبيح تخجل منه أمام ربك الكريم، وهذا منتهى الكرم والإحسان: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

وهو سبحانه الغفور الغفار الرحيم بعباده، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم، صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها، ظاهرها وباطنها: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٦٦﴾﴾

[ص/ ٦٦].

وهو سبحانه الكريم الذي ينادي المذنبين، ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار، ليغفر لهم ، ويرغبهم في المبادرة إلى العمل الصالح قبل الموت : ﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٥] .

وهو سبحانه الملك العظيم الذي يغفر ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت ؛ لأن مغفرة الله ورحمته أعظم وأوسع من ذنوب العباد: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم / ٣٢] .
والله ﷻ غفور رحيم ، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها بقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات ، ثم ضاعفها لهم بعد توبتهم ، لكمال حبه للعباد والإحسان إلى خلقه .

فمن آمن وعمل صالحاً أفلح وسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَا إِنَّكَ أَوْلَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤] .

ومن كفر وأصر على المعاصي والكبائر، ثم تاب تاب الله عليه ، ومن لم يتب يضاعف له العذاب، ويخلده الله في النار، بسبب إصراره على كفره وذنوبه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٧-٧٠] .

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش فيقتربها بحجة أن الله غفور رحيم ؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين الذين عملوا السوء بجهالة : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإسراء/ ٢٥] .

ومن أصاب ذنباً ثم تاب من قريب تاب الله عليه : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُدْتُ أَنُكُنَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء/ ١٧-١٨].

واعلم أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله، ورحمة عظيمة للعباد؛ لأن الله غني عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم، ولا يضره كفرهم، كما لا ينفعه إيمانهم، ولا يغفر لهم خوفاً منهم؛ لأنه ﷻ القوي الغني عن كل ما سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر / ٢٢-٢٣].

ولا زال ولا يزال ﷻ واسع الرحمة والمغفرة يكرم عباده بالنعمة مع معاصيهم، فمن تاب إليه قَبِلَ توبته وغفر له، ومن أصر على المعاصي وأبى التوبة عاقبه بجرمه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد/ ٦].

فسبحان مالك الملك العزيز الغفور الذي يوجد على جميع العباد بالمغفرة والرحمة، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويقلب عثراتهم، ويضاعف حسناتهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران / ١٢٩].

والله ﷻ غفور رحيم يغفر للمستغفرين، ويغفر لمن لم يستغفره؛ لأنه هو الغفور، ولأنه عالم بما سبق له في أم الكتاب بما هو عامله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم / ٣٢].

والله ﷻ عفو غفور، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه، ولم يتب منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

ولمَّا يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه، وسعة مغفرته ورحمته، ومحبته لذلك قال ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » أخرجه مسلم^(١).

فلا إله إلا الله، ما أوسع رحمته ومغفرته، وما أعظم كرمه وحلمه .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

والله عَلِيمٌ واسع المغفرة ، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو ، وكل أن يغفر الله من الذنوب الكثيرة والكبيرة والصغيرة ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [ص / ٦٥-٦٦].

واعلم أن غفران الله للخلق نوعان:

الأول: غفران عام لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا ؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب ، ويستوفي ما قدر الله له من العمل ، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيِلًا ﴾ [الكهف / ٥٨] .

الثاني : غفران خاص بأوليائه المؤمنين ، فكلما أذنبوا واستغفروا غفر الله لهم سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه / ٨٢] .

فسبحان الغفار الحق الذي فتح أبواب مغفرته وشفوه ورحمته للعالمين كلهم ، إذا استغفروه وتابوا إليه غفر لهم ورحمهم وتاب عليهم ، من مؤمن ، وكافر ، ومشرک ، ومجرم ، وفاسق ، وظالم : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣] .

• التبعيد لله عَلِيمٌ باسمه الغفور:

اعلم رحمك الله أن الملك الحق عَلِيمٌ أرفأ من ملك ، وأكرم من أعطى ، وأجود من سئل ، وأرحم من قدر ، وأعظم من غفر ، فاللهم اجعل لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب : ﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته ، فهو رب كل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته وسعت كل ذنب : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر / ٤٩-٥٠] .

فاسأل الله أيها المؤمن أن يغفر ذنوبك ما ظهر منها وما بطن ، ما تعلمه منها وما لا تعلمه ، فإن ربك واسع المغفرة ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة ، واغفر لمن أخطأ في حقك يغفر الله لك : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة / ٤٠] .

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامثال أوامره، واجتنب نواهيه ، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووضع نعمه بين يديك : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَبَدُوا رَبِّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

فاستح من ربك الكريم الحليم ، ولا تستعمل نعمه في معصيته ، ولا تعصيه في ملكه الذي أنت منه ، فإن عصيته فاستغفره فإنه غفور رحيم : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك ، فقف خاشعاً بين يديه ، وارفع أكف الضراعة إليه معتذراً ومستغفراً : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ ءِإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ [الذاريات/ ١٥-١٨].

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه (١).

ثم استغفر الغفور الرحيم من كل ذنب ، واسأله العفو عن كل هفوة ، وستر كل زلة من تقصير في عبادة ، أو رياء في عمل ، أو ترك واجب ، أو تأخير فرض ، أو إهمال حق ، أو ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ حَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ ءِإِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

واعلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات، كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات ، والله كريم يشكر هذا ، ويغفر هذا، لأنه الغفور الرحيم : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

واعلم أن الاستغفار من أعظم أسباب سعة الرزق ، وكثرة الأولاد ، ونزول الأمطار ، وكل خير ينال في الدنيا بالاستغفار ، فاستغفر ربك الغفور تخف من الذنوب ، وتنال كل محبوب :

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح/ ١٠-١٢].

استغفر ربك الغفور الرحيم الذي يغفر الذنوب جميعاً ، استغفره صباحاً ومساءً من كل ذنب ، استغفره صباحاً لما جرى في الليل ، واستغفره مساءً لما جرى في النهار : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء/ ٦٤].

واعلم أنه ليس الأمر أن تفعل ما تشاء من الذنوب ثم تستغفر الله ، وإنما الأمر أن من ضعف إيمانه فوقع في المعصية ، وزلت قدمه فندم وتاب إلى ربه ، فهذا الذي يغفر الله له : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه/ ٨٢].

والمؤمن حقاً من عبد ربه حقاً ، وأحسن إلى الناس حقاً ، إن رأى خيراً نشره ، وإن رأى عورة سترها ، وإن رأى زلة غفرها ، من اعتذر إليه قبل عذره ، ومن أساء إليه أحسن إليه ، ومن ظلمه عفا عنه : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفصص/ ٧٧].

فاغفر لمن أساء إليك يغفر الله لك ، واعف عمن ظلمك يعفو الله عنك : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولَؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور/ ٢٢].

فطوبى لمن كان دأبه الحمد والاستغفار والاعتذار ، وما أمر الغفار بالاستغفار إلا ليغفر لكل مستغفر ، فاستغفر الله كثيراً تغنم كثيراً : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].

وعليك بتقوى الله في كل زمان ومكان وحال تنال كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُومُوا لِلَّهِ لَجَعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٩].

ومن أراد صلاح الأعمال وغفران الذنوب والفوز بالجنة فليتق الله ربه ، ويدعو الناس إليه : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

واعلم أن الغفور الرحيم يريد لك كل خير ، والشيطان يريد لك كل شر ، فالزم باب الغفار
تغنم وتربح : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ [البقرة/ ٢٦٨].

وسارع إلى مرضاة ربك بكل عمل صالح تقدر عليه تنال مرادك من ربك : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَظِيبِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن حق الله عظيم، وشأن الله كبير ، ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة ،
والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر ، فإن أردت الفلاح والنجاة : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ [النصر/ ٣].

وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لِيَعَانِ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن المؤمن يجب عليه أن يستر على إخوانه ما ستره الله منه .

فإذا وقع أخوك في ذنب فمن غير به ابتلي به ، ومن تكلم به فقد اغتابه ، ومن رضي به فقد
شاركه في الإثم ، ومن ستره ستر الله عليه .

اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر ، وأعوذ بك من
جار سوء إن رأى خيراً كتمه ، وإن رأى شراً أذاعه .

والحمد لله على حلمه ومغفرته ، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم / ٤١] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢) .

بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبِوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبِوؤُ لَكَ بِذَنْبِي فَاعْفُرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ «أخرجه البخاري^(١) .

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه مسلم^(٢) .

يا عالم الخفيات ، يا كريم العطيات ، يا غافر الذنوب ، يا ساتر العيوب ، يا واسع المغفرة والرحمة ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا فرّجته ، ولا كرباً إلا نفّسته ، ولا ضراً إلا كشفته ، ولا عسيراً إلا يسرته ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) .

التواب

قال الله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ٣٧].

الله ﷻ هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١٠٤].

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب استشعروا الخوف من الجبار، فرجعوا إليه بالتوبة، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣٩] ﴿الَّذِينَ تَلَذَّطُوا مِنَ الْعَالَمِ لَهُمْ مَأْوَىٰ أَرْضُ الْعَرَبِ يَكُونُونَ فِيهَا عَلَىٰ سُرَّةٍ يَنْسَوْنَ زُنُوجَهُمْ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهَا أَهْلًا وَمَنْ يَتَّبِعِهِمْ يَمُرُّ بِهُمْ كَأَنْ لَمْ يَحْمِلْهُمْ فَالتَّائِبِينَ يُبَدِّلْ عَذَابَهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَوَّابُونَ﴾ [المائدة / ٤٠-٤١].

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته من على من شاء من عباده بالتوبة وحبها إليه، وقبيلها منه، وتاب عليه قبل أن يتوب: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة / ١١٨].

فسبحان الرب التواب الرحيم الذي يسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا فضلاً منه ورحمة: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ٣٧].

واعلم أن الله سمي نفسه تواباً؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يسر لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه إلى الطريق الذي يرضيه.

ولما كانت المعاصي متكررة من العباد جاء بصيغة تَوَّابٍ، ليقابل الخطايا الكثيرة، والذنوب العظيمة، بالتوبة الواسعة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

فسبحان من وصف نفسه بالتَّوَّابِ مبالغة؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق

الأرض ومغاربها في كل لحظة، وحبه للتوبة، ولتكرر ذلك من الشخص الواحد، وتنوع الذنوب من الإنسان، وتكرارها، واختلافها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

وهو سبحانه التواب الذي تفرد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له، لكمال غناه ورحمته بعباده:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٥-١٣٦].

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة، بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً، بل يسترهم ليكون ذلك عوناً لهم على التوبة، ولولا فضل الله ورحمته لعاجلهم بالعقوبة، وفضح مخازيهم، وكشف مساويهم:

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ١٠]. فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن كريم ما أجوده، ومن عظيم ما أرحمه: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِّنْكُمْ سُوءٌ ابْتِغَاهُ شُرْتَابًا مِّنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأأنعام/ ٥٤].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي لم يعاملنا بعدله فنستحق النار، ولكنه عاملنا برحمته ليؤهلنا لدخول الجنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان التواب الرحيم الذي يربي عباده، ويحسن إليهم، ويراقبهم بسمعه وبصره وعلمه، ويحاسبهم على كل حركة وسكون، ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب الشهيد لكل ما في الكون من الذرات والنسمات والمخلوقات، هو مع كل

إنسان في جميع أوقاته وأحواله ، وكل شأن فيه الإنسان لله معه شأن يقابله .

فإن كان شأنك الإحسان فشأنه الإكرام ، وإن كان شأنك العدوان فشأنه العقاب ، وإن كان شأنك الإقبال فشأنه التجلي ، وإن كان شأنك الإعراض فشأنه التأديب : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يسوق الشدائد لمن عصاه، ليحملة على التوبة إليه ، والانكسارين يديه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٧٦]. فسبحان التواب الحكيم الذي لو ترك الخلق على معاصيهم لهلكوا ، لكنه الرحيم الذي يسوق الشدائد إليهم، لعلهم يتضرعون إليه، فيتوب عليهم : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام/ ٤٣].

واعلم أنه إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد، فتعني الشدائد والمصائب التي يسوقها الله للعبد ليتوب إلى ربه : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة/ ١١٧].

وإذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد، فتعني قبوله سبحانه توبة عبده : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان التواب الرحيم الذي يحب عباده ، ويفرح بتوبتهم ، ويحب لهم كل خير ، وهم في العناية الإلهية، من أطاعه زاده إيماناً وتقوى وهدى وثواباً ، ومن عصاه ابتلاه بالمصائب، ليتوب ويرجع إليه : ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَرَسًا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو العزيز الكريم الذي يمن بالهداية على من يشاء، فيأتيه محبباً راغباً ، لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه، أو يأتيه راغماً بحمله على التوبة إليه بالشدائد التي أرسلها له : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١١].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب ، وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها، وتكراراً لها، وإذا تخلى عنها العبد صار ظالماً ؛ لشدة تقصيره ، وإسرافه على نفسه .

فالناس اثنان : تائب وظالم ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَتُوبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات/ ١١].

والتوبة هي رجوع العبد إلى ربه بفضله مولاه، حيث أرجعه ربه إلى الإسلام الذي ضل عنه.

وكلما وقع العبد في معصية، فقد فارق فطرة الإسلام، بقدر عمدته وخطئه، وكبر ذنبه وصغره ، وإصراره عليه ، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِرْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء / ١١٠] .

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة ، فإذا تاب العبد المذنب قبل توبته ، وعفى عن سيئاته : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه ، وغفر ذنوبه ، وعفى عن سيئاته ، وبدل سيئاته حسنات ، ثم ضاعفها له : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [٦٨] يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان / ٦٨ - ٧٠] .

واعلم زادك الله معرفة بأسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته، أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته، وطرقات سنته ، فكما يُرجع الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، ويُرجع الحياة بعد الموت ، والموت بعد الحياة ، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه ، فإن عاد تاب عليه ، فإن عاد تاب عليه ؛ لأنه التواب الرحيم بخلقته ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر / ٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ ، فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي .

ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ ، أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا ، قَالَ : قَالَ رَبِّ ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ : فَاغْفِرْهُ لِي ، فَقَالَ : أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا ، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » متفق عليه ^(١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٥٨) .

واعلم أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يراجعهم التواب الرحيم بالتوبة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فالعُودُ والبدء سنته في خلقه العظيم ، وتدييره الحكيم: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر / ٤٣].

فسبحان التواب الرحيم بعباده ، الذي رحمته على قدر شأنه ﷺ، والمغفرة أحب إليه من العقوبة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم^(١).

• التبعد لله ﷻ باسمه التواب:

اعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يحب كل من يتوب إليه، ويتطهر له بقلبه وقالبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح ؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَسَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاصْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» متفق عليه^(٢).

والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الخلق عبودية ، وأكثرهم توبة واستغفاراً ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته، وما يجب له، خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان يقول: «إِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم^(٣).

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق، وأكرمهم على الله، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

الطاعات كان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْعَفُورُ » أخرجه أبو داود والترمذي (١).

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل التائبين إليه، ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۗ﴾ [الفتح / ١-٢].

وبهذه العبودية التامة أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة. فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يحبه الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب، واقتحام المحرم والمكروه، فذكر وتذكر: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۗ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه، ووقته، وشكله، والإخلاص عزيز، والرياء معترض قاطع للثواب، والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد من عبادة ومعاملة، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق، فنستغفر الله ونتوب إليه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۗ﴾ [الأعراف / ٢٣].

واعلم أن الذنوب تتراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والاستغفار المستمر فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۗ﴾ [النصر / ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام، كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب، ولهذا قرن الله بينهما بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۗ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

فعليك بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أحكمت التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت، فقابل ذنوبك بما يقابلها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هدأك للتوبة منها، وقبلها

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦١٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه.

منك: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٣٩].
 فإذا تبت إلى الله ، وأنست بقربه ولذة عبادته ، فاذا كثرة المذنبين والغافلين والعصاة ،
 وادع الله أن يغفر لهم ، ويتوب عليهم ، وذكّرهم بالله وما يجب له: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات / ٥٥] .

وادع إلى الله في جميع الأوقات ، وادع كل إنسان إلى ما يحب ربك ويرضاه ؛ لعل الله
 يتوب على الكافر فيسلم ، وعلى العاصي فيطيع ، وعلى الضال فيهتدي ، وعلى الجاهل
 فيتعلم ، فالله يحب التوابين ، وهو أشد حبا لمن يكون سبباً لعودة عباده الشاردين عنه إليه
 بالتوبة: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٤] .

واعلم أن للتوبة وقتاً لا تقبل إلا فيه ، فبادر إلى التوبة النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت
 مقيم على الذنب: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ
 فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء / ١٧] .

وإياك أن تؤخر التوبة ، ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت فإن الله لا يقبلها إلا بشر وطها في وقتها:
 ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ
 الْكُنْ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء / ١٨] .

فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله توبة نصوحاً من جميع الذنوب ، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله
 ورسوله ، ونتجنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله ؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم / ٨] .

والله تواب رحيم ، من تاب إليه تاب عليه ، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح ، ومن أعرض عنه
 ناداه ليتوب عليه ، ويغفر له ، فنستغفر الله ونتوب إليه .

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته وإحسانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ
 وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٧٤] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران / ١٤٧].
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ،
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ،
وقنا برحمتك شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من
عاديت ، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب وذنوب إليك .
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

المؤمن

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/٢٣].

الله تبارك وتعالى هو المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، المصدق لنفسه بما أخبر به، وأمر به، الذي وحد نفسه، وصدق نفسه، وأثنى على نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/١٨].

وهو سبحانه المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم، المؤمن الذي آمنهم مما يضرهم، وأمن لهم ما يصلحهم، المؤمن الذي نشر الأمن في ملكه العظيم، يطعم الجائع، ويؤمن الخائف، فأمن البلاد والعباد كله بيده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/٣-٤].

وهو سبحانه المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان من كل وجه في كل زمان ومكان .

هو المؤمن الصادق في وعده، فإذا وعد المؤمن بالنصر فسينصره، وإذا وعده بالرزق فسيرزقه، وإذا وعده بالشفاء فسيشفيه، وإذا وعده بالجنة فسيدخله الجنة، وإذا وعده بالتمكين في الأرض فسيمكنه في الأرض: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقَارَ بَكْرٍمْ وَأَخْشَوْنَ يَوْمًا لَا يُجْرَىٰ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان/٣٣].

واعلم أن الله ﷻ حكيم عليم يفعل ما يشاء، ويسكن ما يشاء، ويحرك ما يشاء.

ثبت السماء والأرض، وثبت أنواع الجماد والنبات والحيوان، وثبت الشمس والقمر، وثبت الشروق والغروب، فعل ذلك إظهاراً لعظمة وكمال قدرته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/١٠٢].

وحرك الرياح والعواصف، والسحب والأمطار، والليل والنهار، والشمس والقمر، والحر والبرد، والصحة والمرض، والأمن والخوف، فعل ذلك من أجل ألا ننساه، ومن أجل أن نسأله، ومن أجل أن ندعوه ونتوب إليه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ

السَّمْسِ وَالْقَمَرِ كُلِّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

ولمجة الله لهذا الاسم الكريم سمي الله أوليائه بالمؤمنين ، وأثنى عليهم به ، وبشرهم بالجنة : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد على وحدانيته وعظمته ، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي وهب الإيمان والصدق لعباده ، الذي صدق أنبياءه ورسله فيما بلغوا عنه ، وشهد لهم بأنهم صادقون : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ [الزمر/ ٣٣].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي صدق الصادقين بما أقام لهم من شواهد الصدق ، الذي صدق في أخباره من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه كما قال سبحانه : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ [الأنبياء/ ٩].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي يؤمن عباده المؤمنين من عذابه وعقابه : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الصادق الذي ينجز لعباده المؤمنين ما وعدهم به من الثواب والجنة : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ [الزمر/ ٧٤].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمن ومن به على من شاء من عباده ، المؤمن الذي وهب الأمن لعباده المؤمنين يوم الفزع الأكبر، وأمنهم بخلق الطمأنينة في قلوبهم فقال : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ [النمل/ ٨٩].

فسبحان الرب المؤمن الصادق في كلماته وأخباره، الصادق في دينه وشرعه، الصادق في وعده ووعيده، الصادق في ثوابه وعقابه : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ

جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢٢﴾

وسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم ، وجعله مظهرًا لأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الكبرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يدركها ، لكن يستطيع الإنسان أن يتعرف على ذاته وأسمائه وصفاته من خلال مخلوقاته : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فالخلق يدل على الخالق ، والصور تدل على المصور ، والأرزاق تدل على الرزاق ، والتدبير يدل على المدبر : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَابْتَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

علينا أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كي نحبه ، وإذا أحببناه عبدناه كما يليق بجلاله ، لأنه العظيم الذي يستحق أن يُعبد ويطاع أمره ، الكريم الذي حوائجنا كلها في خزائنه ، وسعادتنا في الدنيا والآخرة بيده وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ مَحْنُ أُولِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

واعلم أن من عرف الله بأسمائه وصفاته أحبه ، ثم أطاعه ، وأقبل عليه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، ولن طيعه وترجوه وتخافه وتستسلم لأمره وترضى بقضائه إلا إذا عرفته ، وإذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وكلما زادت معرفتك بالله العظيم زاد إيمانك به ، فاستسلمت له ، وخضعت له ، واطعت أمره ،

واجتنبت نهيه ، وأقبلت على عبادته بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر/ ١٨].

وكلما زادت معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله في قلب العبد زاد الخضوع والخشوع لله ، وزادت أنواع الطاعات والعبادات ، وجاءت السكينة والطمأنينة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي كِتَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعلى قدر المعرفة بالله تقوى الطاعة له ، وعلى قدر الطاعة يسعد المؤمن بالقرب من ربه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وعلاوة معرفتك بالله العظيم الإكثار من ذكره ، والشأن عليه ، والحديث عنه ، والدعوة إليه ، وتعظيمه وحبه ، وحسن عبادته ، ووجل القلب عند ذكره : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأفال/ ٢-٤].

فعلينا أن نعرف عظمة الله بمعرفة أسمائه وصفاته ، لكي يزداد إيماننا به ، وحبنا له ، وتعظيمنا له ، وإذا لم نعرف عظمة الله هان علينا ترك أوامره ، وتجاوز حدوده ، وانتهاك حرمانه .

فالمعرفة القليلة البسيطة لا تكفي ، ولا تقدم ولا تؤخر ؛ لأنها لا تحجز الإنسان عن محارم الله ، ولا تحمله على طاعة الله ، ولا تنقي قلبه من الشك ، ولا تصرفه من الدنيا إلى الآخرة : ﴿ فَأَعْلَمُو أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

إذا علمت هذا فتيقن أن الملك القدوس السلام المؤمن لا يجاوره في دار السلام والأمان إلا من اتصف بالإسلام والإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فالمؤمن الخالق سبحانه هو الذي خلق الإنسان بيده، وجعله خليفة في الأرض ، والمؤمن المخلوق هو المؤمن على الحق يؤمن به ، ويعمل به ، ويعلمه ، ويدعو إليه ، من عهد آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٩].

فالمؤمن الذي أدخل نفسه في الأمن والإيمان هو الذي قَبِلَ الأمانة، وحملها، وعمل بها، فله الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

والكافر والمشرک ضيع الأمانة، فخرس الدنيا والآخرة، فله الشقاء في الدنيا، وفي الآخرة يُحرم من الجنة، ويدخل النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة/ ٧٢].

والناس في أداء الأمانة درجات، وأعظمهم أداءً لها الأنبياء والرسل، ثم من آمن بهم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

والملائكة والأنبياء والرسل كلهم أمين على طاعة ربه، والقيام بأمره، وكل رسول قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء/ ١٢٥-١٢٧].

فأد الأمانة، واستقم كما أمرت، واتبع الهدى، واحذر الهوى: ﴿يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٢٦].

• التبع لله ﷻ باسمه المؤمن :

اعلم أيها العبد المؤمن أن ربك المؤمن يريد أن يؤمّنك من العذاب في الدنيا والآخرة، فبادر إلى طاعته، وتصديق أخباره، وامثال أوامره؛ ليتحقق لك ما أراد الله لك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم رحمك الله أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، فاجتهد على نفسك بالعلم والعمل، ليزيد إيمانك، وتزكو عبادتك، وتحسن أخلاقك، وتصلح أحوالك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت/٦٩].

واجتهد في الإحسان إلى غيرك بالنصيحة والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ومواساة المحتاج، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، والإحسان إلى الخلق بما تقدر عليه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/١١٠].

وأظهر من برك وخيرك ما يأمن الناس به من شرك، ويطمعون في خيرك، يحبك الله والناس: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/٣٣].
واعلم أن جميع الخلق هالكون وخاسرون إلا صنفاً واحداً، فإن لم تكن أسبقهم، فكن على الأقل منهم: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/١-٣].

والزم أيها المؤمن تقوى الله في جميع أحوالك، فبال تقوى تُؤدى الأمانات، وتوفى العهود، وتحفظ الحدود، وتحصل البركات، وتدفع العقوبات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/٩٦].

واعلم أن المؤمن يجب أن تأتي أفعاله كلها مصدقة لأقواله، وظاهره مطابق لباطنه، وسره مطابق لعلانيته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ نَجْوَىٰ بُنِيكُمْ مِّنْ عَدَابِ إِلَهِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف/١٠-١١].

والمؤمن من البشر يجب أن يأمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات/١٠].

والمؤمن حقاً مصدر أمان للخلق كلهم، يصدق أقواله بأفعاله، ويصدق سره بعلانيته. فهذا المؤمن الذي له الأمان من ربه في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/٨٢].

واعلم وفقك الله أن إيمان كل مؤمن بقدر علمه، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، ودرجة كل مؤمن

في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فاتق الله رحمتك الله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكثرة إحسانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

وأحسب عبادتك لربك، ولا تؤذ أحداً من خلقه، واستغفر من ذنوبك، وأد الحقوق التي أمر الله بها تكن من الفائزين: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١١) [الأحزاب/ ١٦].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (١١٣) [آل عمران/ ١٩٣].

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٥٣) [آل عمران/ ٥٣].
 « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ » متفق عليه^(١).

اللهم إني أسألك إيماناً يقويني على طاعتك ، و يقيناً يحجزني عن معصيتك ، حتى أعبدك بما أستحق به رضاك ، وأتوب إليك من ذنوبي خوفاً منك ، وحياءاً منك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

العفو

قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدِّ وَأَخِيرًا أَوْ تُخْفَوُہُ أَوْ تَعْفَوُہُ عَنْ سُوِّہِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٩].

الله ﷻ هو العفو الذي له العفو التام، الذي وسع عفوه الوری، ووسع علمه وعفوه جميع ما يصدر عن عباده من الذنوب: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو سبحانه العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران موصوفاً، وكل أحد من الخلق مضطر إلى عفو الله ومغفرته كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته كما هو مضطر إلى دينه وشرعه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء / ١١٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف به، ويحب من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه من التوبة والاستغفار، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١١٩] وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف / ١٩٩ - ٢٠٠].

وهو سبحانه العفو القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين مع قدرته على عقابهم والانتقام منهم، وحرمانهم من نعمه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل / ١٨].

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم فلا يستوفيها منهم إذا تابوا وأنابوا، العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي، ثم تاب إليه ورجع فرح بتوبته، وغفر له جميع ذنوبه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر / ٥٣].

واعلم رحمك الله أن من عفا الله عفا الله عنه، ومن غفر الله غفر الله له، ومن أحسن الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأُولَادِكُمْ وَأُولَادِكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن / ١٤].

ولهذا دعا العفو الكريم عباده إلى العفو والصفح عن الخلق ، ورغب في الحلم والصبر على الأذى ، وقبول الأعذار من سائر الناس ، رجاء رضوان الله وغفرانه : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢].

واعلم أن الغني الكريم لمحبهته للعفو قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس ، فسيعطيه أجراً عظيماً ، وثواباً جزيلاً : ﴿ وَحِزْبًا مِّنْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى / ٤٠].

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ [الشورى/ ٢٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته ﷻ ، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار ، فعفوه ومغفرته ﷻ وسعت جميع المخلوقات والسيئات ، والجرائم والمعاصي : ﴿ إِنْ نُبِدُوا خَيْرًا أَوْ نُحْفُوا أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ﴾ [النساء / ١٤٩].

والكفر والشرك ، والذنوب والجرائم ، والتقصير الواقع من الخلق ، كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة ، ولكن عظمة عفو الله وسعة مغفرته ورحمته تدفع هذه الموجبات والعقوبات : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر / ٤٥].

وعفو الله ﷻ نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار والعصاة وغيرهم برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالشرك والسب والمعاصي، ويعصونه بنعمه وهو يعافيهم ويرزقهم، ويمهلهم ولا يهملهم، وقد يتليهم بالمصائب،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

لعلهم يتوبون ويرجعون إليه : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره مع كمال قدرته، وغناه عن خلقه : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل / ٦١] .

الثاني: عفوه الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين، والمستغفرين، والعابدین، والداعين، والمصابين وغيرهم، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم تاب الله عليه، وغفر له مهما كان ذنبه: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُوُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٤] .

فسبحان من وسع حلمه وعفوه العالمين، الكريم الذي العفو أحب إليه من الانتقام، والثواب أحب إليه من العقاب .

هو العفو الذي يمحو الذنوب والسيئات، ويتجاوز عن المعاصي ، فالعفو محو الذنب بالكلية ، وهو أبلغ من المغفرة ، فإذا أذنب العبد وستره الله ولم يعاقبه فهذه مغفرة ، أما العفو فهو محو الذنب بالكلية من النفس والصحائف : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى/ ٢٥] .

هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها ، ثم يمحوها من ديوان الكرام الكاتبين ، ثم يُنسى المذنبين إياها فلا يذكرونها أبداً، لئلا يتألّموا أو يخجلوا عند تذكرها ، ثم يُثبت مكان كل سيئة حسنة ، ثم يضاعفها ويُثب عليها .

فتب إلى ربك من الذنوب المهلكات فإن ربك عفو غفور رحيم : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [النحل / ٦٨] يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَذُ فِيهِ مَهَانًا ﴾ [النحل / ٦٩] إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان / ٦٨-٧٠] .

فسبحان الملك الرحيم بعباده ، الحكيم في تدبيره ، يُخَلِّي ثم يُحَلِّي ، ويُطهر ثم يُعطر، ويعفو ثم يرحم ، ويمحو ثم يكرم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥] .

هو العفو الذي يمحو ذنوب الخلق، ثم يتفضل عليهم بنعمه وإحسانه ورحمته: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٩].

هو العفو الكريم الذي يزيل عن النفوس ظلمه الزلات برحمته، ويذهب وحشة السيئات بكرمه. فسبحان العفو الكريم الذي يزيل الذنوب من الصحائف، ويبدل وحشتها بفنون اللطائف:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

هو العفو الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

• التبعيد لله ﷻ باسمه العفو:

اعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن العفو من صفات الملك الكريم الحق ﷻ، ولولا حلمه وعفوه على من كفر به وعصاه لعاجله بالعقوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُصِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلِئِنَّ زَلْتَائِنَ أَمْسِكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

وقد يأخذهم بالعذاب الذي يذكرهم به، ويردهم إليه، ليستغفروا ويتوبوا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ [المؤمنون/ ٧٦].

فيايك والإصرار على ما يسخط ربك، فإن الذي يملك العفو يملك الانتقام: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة/ ٩٥].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيده وعبادته بما شرع، وتحصيل الصفات التي يحبها الله، وهي أسماؤه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

ومقصوده من خلقه في الآخرة إكرام من آمن به، وتكميل الشهوات التي يحبها العبد، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة، وتعذيب من كفر به وعصاه بالنار: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥] وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

فإن أردت الفلاح والنجاة فاعف عن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرَمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصفح عن آذاك، واصبر على ما أصابك: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ يَاءَمُونُ آبَاتٍ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوَالَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤] إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [التغابن/ ١٤-١٥].

واعف عن جميع الخلق يعف الله عنك ويعافيك، ويشيك أجزل الثواب ، ومن انتقم ممن ظلمه بالعدل فلا إثم عليه : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [الشورى / ٤٠-٤١] .

واعلم أن العفو خلقٌ عظيم، لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك، تنال من ربك العفو والغفران ، والجنة والرضوان : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٦] .

وإذا وقعت بينك وبين الله جفوة أو وحشة بسبب ذنب فعليك أن تتوب منه مهما كان ، ثم تتبعه بحسنات من أي عمل صالح تُذهب عنك الخجل من ربك ؛ لأن العمل الصالح ينسي صاحبه هذا الذنب ، ويفرح بثوابه ، فحصل محو الذنب من الرب ، وجبر الكسر من العبد. فاتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وتزيل الحجاب بينك وبين الله.

وخالق الناس بخلق حسن تنال من ربك الأجر الحسن : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦١) ﴿ [يونس/ ٢٦] .

واعلم أن كظم الغيظ من مكارم الأخلاق، وأن العفو عن المسيء حسن ، والأحسن أن تتبع العفو بالإحسان إليه : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤] .

واعلم أن من عفا وأصلح ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن انتقم ولو كان على حق امتلاً قلبه جفوة وخوفاً ، ومن عفوت عنه فقد اشتريته ، ومن أحسنت إليه ملكته.

فاعف وأحسن إلى كل من أساء إليك يعفو الله عنك ويغفر ذنوبك : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٢) ﴿ [النور/ ٢٢] .

وأحسن إلى كل من أساء إليك ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، فالدين كله عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].
 واعلم أن الحسنات يذهبن السيئات ، فأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وتزيل عنك وحشتها : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتِ لِلذَّكْرِيِّ ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

ومن عفوه سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته، وترفع درجاته، فاصبر واحتسب؛ لتنال أجر الصابرين : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر/ ١٠].
 ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَّ تَعْفُرًا لَّنَا وَتَرْحَمًا لَّنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) [الأعراف/ ٢٣].
 ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٨٦) [البقرة/ ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَجِبُ الْعَفْوُ فَاعْفُ عَنِّي » أخرجه أحمد وابن ماجه (١).

يا عظيم العفو والصفح ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة والمغفرة اغفر لنا وارحمنا . اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وسره وعلايته ، يا عفو يا كريم .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

الحليم

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٣٥).

الله ﷻ هو الملك الغني الحليم الذي يُدِرُّ على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة مع كثرة معاصيهم ، وتكرار زلاتهم ؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده، يمهلهم كي يتوبوا وينيبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء/ ٤٤).

وهو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة، الذي لا يعجل على من أذنب بالعقوبة، الحليم على من كفر به وأشرك من خلقه، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه، لعله يتوب إلى ربه ، ويستغفر من ذنبه : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٣٥).

هو سبحانه الحليم العظيم الذي وسع حلمه جميع خلقه.

هو الحليم الذي خزائن كل شيء عنده ، ويعطي منها من شاء من خلقه في كل آن.

خزائن العلم ، خزائن الرحمة ، خزائن الأخلاق ، خزائن الأموال ، خزائن الأمن ، خزائن الطعام ، خزائن المعادن : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِيقْدَارٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/ ٢١).

هو الحليم الذي إذا أحب عبداً حُبب إليه الإيمان ، وأعانه على طاعته ، وكره إليه معصيته ، وأعطاه خلقاً حسناً : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَرَبَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٧) فضلاً من الله وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ (الحجرات/ ٧-٨).

هو سبحانه الحليم الذي يمهله العاصي إذا عصاه ، ويقبله إذا تاب إليه ، فإن أصر على معصيته أخر العقاب عنه، لعلمه بأنه لا يخرج عن ملكه، وأنه لا يضر إلا نفسه : ﴿فَلَا تَعْبُجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا وُلْدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة/ ٥٥).

فسبحان الحليم الذي يمهله ولا يهمل من عصاه : ﴿وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) ﴿إبراهيم/ ٤٢﴾.

فاتق الله، ولا يغرنك تقلب الكفار في نعيم الدنيا الجسدي مع حلم الله عليهم، فسيعقبه

عذاب أليم: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقُوا بِهِمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿١١٨﴾ ﴿آل عمران/ ١٩٦-١٩٨﴾.

وهو سبحانه الحكيم في تدبيره ، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها، ولا يؤخرها عن وقتها، ولا يُعجلها قبل أوانها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴿القمر/ ٤٩-٥٠﴾.

فسبحان الحليم الغفور الذي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم عليهم ويؤخر عنهم العقوبة لعلهم يتوبون ، ويستر على آخرين ويغفر، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَلَا لَكُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿فاطر/ ٤٥﴾.

وحلم الله ﷻ على الكفار والعصاة وتركه معاجلتهم بالعقوبة ليس لعجزه عنهم ، فإنه الله قوي لا يعجزه شيء، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون إليه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿النساء/ ٢٧﴾.

وحلم الرب العلي الكبير ليس عن عدم علمه بما يعمل العباد، بل هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور من خير وشر: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ ﴿الأحزاب/ ٥١﴾.

وحلم الجبار ﷻ على العصاة ليس لحاجته إليهم ، أو عجزه عنهم ، بل هو الغني الذي يحلم عليهم ويصفح عنهم رحمة بهم مع استغنائهم عنهم ، وشدة حاجتهم إليه: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يونس/ ٦٨﴾.

فسبحان الرب الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم ، الحليم الذي لا يحبس إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه كريم رحيم يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البرّ التقي، وقد يقيه بل وقاه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره كما يقى الناسك الذي يؤمن به ويعبده: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿الحشر/ ٢٢﴾.

فسبحانه ما أوسع حلمه، وما أعظم رحمته بعباده: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿الأنعام/ ٢٢﴾.

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنه يُشرك به ويُجعل له الولد، ثم هو يعافهم ويرزقهم » متفق عليه ^(١).

واعلم أن الله حليم على عباده رؤوف بهم، يؤخر العذاب عنهم رحمة بهم لعلهم يتوبون، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عنهم فيزيدون في الإعراض والمعاصي: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَاغْرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

بل الأجلاف والجهال منهم يرفضون تلك الرحمة والإمهال، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة كما قال كفار قريش: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال/ ٣٣].

فسبحان الله، ما أظلم الإنسان لنفسه، وما أجهله بربه، وما أعظم حلم الله عليه. واعلم أن تأخير العذاب عن الكفار والفجار إنما هو في الدنيا فقط، أما في الآخرة فهم مخلدون في النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

والله غفور حليم، ولو لا حلمه على الجناة، ومغفرته للعصاة، ما ترك على ظهر الأرض من دابة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّخَذَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِزَّةً لِّنَفْسِهِ لِيُخَرِّجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَكَفَرَ أَهْلُ الْأَرْضِ فَتَسْتَأْذِنُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضُ أَنْ تَقَعَ وَتَزُولَ مِنْ شِدَّةِ مَا يَأْتِي بِهِ الْعِبَادُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَتَكَادُ تَنْفَطِرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْحَلِيمَ يُمْسِكُهَا لِثَلَا تَزُولَ وَتَقَعَ عَلَىٰ مِنْ عِصْيِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الحليم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسباباً يحبها ويرضاها من الإيمان والتقوى تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال/ ٣٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

فَدَفَعَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ تِلْكَ بَتْلَكَ ؛ لِأَنَّهُ الْحَلِيمُ الرَّحِيمُ الَّذِي سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، وَسَبَقَ حَلْمُهُ عَقُوبَتَهُ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تُمَرَّتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام / ٥٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي » متفق عليه ^(١) . فسبحان الله ما أعظم حلمه ورحمته بعباده ، هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه ، فإذا أغضبه كفر الخلق ومعاصيهم وظلمهم ، أرضاه تسييح الملائكة الذين يملؤون السموات ، وتسيح عباده المؤمنين في الأرض ، وحمدهم له وعبادتهم له : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت / ٣٧-٣٨] . واعلم رحمك الله أن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وحده لا شريك له ، ولا مثل له ، ولا شبيه له : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى / ١١] . هو الرب الحليم الذي ليس كمثلته شيء في الحلم ، القوي الذي ليس كمثلته شيء في القوة . والمخلوق قد يسميه ربه ﻋَزَّ وَجَلَّ باسم من أسمائه كالعزيز والحليم ، لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليفة ، والمعروف من ضعف الآدمية .

والحلم نور الباطن في العبد ، وزَيْنُ الظاهر منه ، وبه يكون جمال الصفات ، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، للشخص الذي ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي ، وهذه هي الحكمة التي ظهرت في أكمل البشر محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم / ٤] . ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم ، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق ﻋَزَّ وَجَلَّ ، وكلُّ يؤتية الله منها بقدر نور الحلم والعلم : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١١﴾ ﴾ [البقر / ٢٦٩] .

واعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم ، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد ، ورحمته لهم وسعت كل شيء : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر / ٧] .

ألا تراه يتحنن إلى من كفر وأشرك به لعله يتوب إليه ويستغفره فيقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٤) ومسلم برقم (٢٧٥١) واللفظ له .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة / ٧٣-٧٤].

فسبحان الله ، ما أعظم حلمه على من كفر به وعصاه .

وقد جعل الملك الحق سبحانه في ملكه العظيم ، وتدييره الحكيم ، ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون ، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا الْآبَتِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد / ١٩-٢١].

حيث خلق سبحانه في مقابلة ما يحبه ما يكرهه .. وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه .. وفي مقابلة طاعته معصيته .. وفي مقابلة ما يشكره ما يبصر عليه .

وهذه حكمة في خلقه وأمره فصلها من نعوت جلاله ؛ ليعبد بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فنستغفر الله من جهلنا ومعاصينا وتقصيرنا ، ونسأله أن يغفر لنا ويعلمنا ما ينفعنا .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ما أوسع حلمه ورحمته بعباده . يرى ما يحبه وما يكرهه .. ويرى من يطيعه ومن يعصيه .. ويرى من يشكره ومن يكفره .. ويسمع ما يرضيه وما يسخطه .. ويسمع من يسبحه ومن يسبه .. ويسمع من يوحده ومن يشرك به .. لا تضره معصية العاصين .. ولا تنفعه طاعة الطائعين : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

وكل الخلق ملكه .. والكل في قبضته .. والكل تحت قهره .. والكل عبيده ، وله وحده الأسماء الحسنی ، والصفات العلی : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ تَسْبِيحٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

فسبحان الله ما أعظم أسمائه وصفاته ، وما أعظم ملكه ، وما أوسع حلمه ، وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قَالَ اللَّهُ ﷻ : يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » متفق عليه (١).

هو صلى الله عليه وسلم الملك القوي القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفر منه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يفوته شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

هو الملك الحق الذي خلق السموات والأرض بالحق ، ودينه الحق ، وكتبه حق ، ورسله حق ، بيده الملك والخلق والأمر كله : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الملك الغني القوي الذي تفرد بالملك والملكوت ، القادر الذي لا يعبأ بما سواه ، ولا يطيع من خالفه وعصاه : ﴿ وَلَوْ أَتَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون / ٧١].

فسبحان الحليم العليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به ، ويعبده ، ويطيع أمره : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [سبحون ١١] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء / ٢٠-١٩].

وجعل في الأرض من يؤمن به ، ويصدق رسله ، ويعبده ، ويطيع أمره ، كما جعل فيها من يكفر به ، ويكذب رسله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن / ١-٢].

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، ورغبهم في الإيمان والطاعات ، وحذرهم من الكفر والمعاصي ، وبيّن لهم العاقبة ، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢) ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) [الإنسان / ٢-٣].

فلا إكراه في الدين ، ولا يخرج أحد عن مشيئة الله وعلمه ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون ، والله عالم بما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٨١) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦) واللفظ له .

يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ ﴿البقرة/ ٢٥٦﴾

فمتى يفقه مَنْ حبسه الشيطان أو الهوى أو حب الدنيا : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن الرضى لكذا .. والغضب من كذا .. والصبر على كذا .. وتعجيل العقوبة لكذا .. ولعن هذا .. وإهلاك هذا .. وإغراق هؤلاء .. وتدمير هؤلاء ونحو ذلك.

ذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله منفصل من صفاته، موجود في معاني أسمائه، يفعله ﷻ عند وجود سببه ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك فيرهبوه ، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨].

أما أسمائه الحسنى، وصفاته العلى ﷻ فهي من لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

واعلم أن حلم الله على عباده الظالمين يراه العبد في سبل عفوه ومغفرته ورحمته وإمهاله ، وترك معاجلة الظالمين بالعقوبة مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب بما لا يليق بجلاله، وتكذيب كتبه ورسله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١].

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده ، يعافيههم ويرزقهم وهم يعصونه بنعمه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار ﷻ على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ۖ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٥٨-٥٩].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالغ في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق في عظيم حلم الله ، وإحسانه ، وعفوه ، وسعة رحمته ومغفرته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠] .

فسبحان الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وغلبت رحمته غضبه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَرْتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام / ٥٤] .

ألا تراه ﷻ وهو رب العزة والجلال والجبروت والكبرياء ، القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن المستحقين لها، لعلهم يرجعون إليه ؛ لسعة حلمه ورحمته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥] .

ويحلم الله ﷻ حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم .. ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل .. ويستر حتى كأنه ليس يبصر .. ويُنعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يُرضونه .. ويأيداء أوليائه يسرونه ، فلا إله إلا الله ما أوسع حلمه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣] .

فسبحان الواسع الكريم الحلیم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، ومغفرة وحلماً . اللهم ارحمنا ولا تؤاخذنا بما فعل الكفار والعصاة ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف / ١٥٥] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحلیم :

اعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه ، وكان له حظ من كل اسم كريم، وصفة عليا .

واعلم أن الله هو الحلیم الذي يصفح عن الذنوب ، ويستر العيوب ، وهو الحلیم الرحيم الذي يسبل ستره على العصاة لعلهم يتوبون .

وهو الحلیم القوي العزيز الذي لا يستخفه عصيان عاص ، ولا يستفزه طغيان طاغ ؛ لأن الجميع في ملكه، وفي قبضته، وتحت سمعه وبصره، والله لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا

تضره معصية العاصين: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١] .

والكل من مؤمن وكافر راجع إلى ربه ليحاسبه بعمله : ﴿فَذَكَرْنَا أَنَّكَ أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [١١] لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ [١٢] إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ [١٣] فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ [١٤] إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ [١٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [١٦] ﴿ [الغاشية / ٢١-٢٦] .

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حلیم على من عصاه أن يحلم هو على من خالف أمره ، فاحلم على الخلق يحلم عليك رب الخلق ، وتستجلب بحلمك حبهم لك ، ورضوان الله عنك : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢] . فكن في الليل مع الحلیم استغفروه وتب إليه ، وفي النهار كن حلیماً على الخلق كلهم .

وكما تحب أن يحلم عليك مالکك ، فاحلم أنت على من تملك ، وأحب لغيرك ما تحبه لنفسك ، واکره لغيرك ما تكره لنفسك ، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصر / ٧٧] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ ، أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه^(١) .

واحذر غاية الحذر أن تعصي ربك السميع البصير ، وتغتر بحلمه عليك ، فتتمادى في عصيانه وتتكلم على عفوهِ مع الإصرار على عصيانه ، فإنه وإن كان الحلیم الكريم فإن أخذهُ أليم ، وبطشه شديد : ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ [٥٠] ﴿ [الحجر / ٤٩-٥٠] .

فكن على بينة من هذا وهذا : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٨] ﴿ [المائدة / ٩٨] .

فسبحان الله ما أعظم حلمه ، مع كمال علمه بالمعاصي والذنوب ، ولكمال رحمته بخلقه : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَجَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [١١٣] ﴿ [البقرة / ١٦٣] .

وإذا علمت عظمة ربك ، وعرفت جزيل إحسانه ، وأدركت سعة حلمه ، ورأيت شدة بأسه ،

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له .

فبادر إلى طاعة ربك الحليم الغفور الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم:
﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ أَلَكْرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَبُّكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨] .

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك
ويسمعك ، وسوف يسألك : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

واشكر من أنعم عليك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، واصبر على جميع ما يحبه ويرضاه
من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله ؛ لتنال أجراً لا تحلم به :
﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر / ١٠] .

ويسهل لك الحلم على الخلق ، والصبر على أذاهم ، ودوام طاعة الله، والصبر على البلاء،
معرفة أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلی ، والاتصاف بما يليق بالعبد منها ، ومعرفة نعم الله
وإحسانه ، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧] .

واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة الله .. وصبر عن معصية الله .. وصبر على أقدار الله .

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضى ، فإن ارتقى إلى درجة الحمد فقد بلغ الذروة في المعرفة
واليقين : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾
[التغابن / ١١] .

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى ، ووافق طاعة المولى : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا
يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم / ٦٠] .

واعلم أن من أعظم الجواهر الحلم على السفیه، والعفو عن المسيء، والصبر على البلاء:
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج / ٥] .

واعلم أن الله مع الصابرين ، وأنه يحب الصابرين ، وعاقبة الصبر أحسن العواقب ، فاصبر فإن

النصر مع الصبر ، والفرج بعد الكرب ، واليسر بعد العسر ، والعافية بعد البلاء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران / ٢٠٠] .
 ومفتاح ذلك كله الصبر ، فاصبر وتوكل على الله تنال ما تحب فوراً: ﴿ذَلِكَ مِمَّا يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر فاصبر لله في جميع أحوالك ، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك فإنك منصور ، ولك العاقبة الحسنی في الدنيا والآخرة: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان / ١٧] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران / ١٤٧] .

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة / ٢٥٠] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١) .

يا جزيل العطايا والمواهب ، يا واسع الرحمة والمغفرة ، يا رؤوفاً بالعباد ، يا عظيم الحلم .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ،

وإذا منعوا حمدوا ، وإذا ابتلوا صبروا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

اللطيف

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٣-١٤].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا ، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا ، اللطيف الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٦١].

وهو سبحانه اللطيف البرّ بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم، الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وألطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه ، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون ، ويعصمهم من أنواع الشر بخفي لطفه ، ويرقيهم إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم ، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة ، والمقامات النبيلة : ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف / ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الحفي بهم، الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون ، ومن حيث لا يعلمون، اللطيف الذي يوصل إلى من شاء من خلقه ما لم يكن يؤمله من عزيز النصر، وكريم الظفر، ويرزق من يشاء ما لم يكدر فيه ، ولا فكر فيه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى / ١٩].

هو اللطيف العالم بدقائق الأمور ، وخفايا السرائر ، وغوامض الحقائق ، وعوالم الغيب .

هو اللطيف البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويهيء لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

هو اللطيف العليم بكل شيء مهما دق وخفي ، اللطيف الذي يتقل عبده من حال إلى حال لمصلحته بلطف عجيب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران / ٥-٦].

هو اللطيف المنعم بكل خير ، المعطي لكل فضل ، أعطى عباده فوق الكفاية ، وكلفهم دون الطاقة ، وضاعف لهم أجر الحسنه : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو اللطيف الرحيم الذي يسر كل عسير ، وجبر كل كسير ، وأطعم كل مخلوق ، وغفر كل ذنب : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

هو اللطيف الكريم الذي أعطى فأغنى ، وأنعم فأجزل ، وقدر فعفى ، وولى فستر .

هو اللطيف الذي هدانا للإسلام ، ووفقنا للعمل الصالح في البداية ، وختمه بالقبول في النهاية ، وأجزل له الأجر في دار المقامة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

وهو سبحانه اللطيف العليم بكل شيء ، اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء وإن دق وصغروخفي ، حتى الخردلة التي لا وزن لها يراها اللطيف في الظلمات ، ويسمع تسيحها من بين الكائنات ، ويأت بها من بين المخلوقات : ﴿يُبْقَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾ [لقمان/ ١٦].

وهو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع ، وتركيب دقائق الصنعة ، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات ، وأسرار المصنوعات : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

وهو سبحانه اللطيف بعباده ، كثير اللطف بهم ، بالغ الرأفة بهم ، لا يفوته من أعمالهم شيء ، ولا يظلمهم مثقال ذرة : ﴿أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤٧﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه ، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه ، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

وهو سبحانه اللطيف الذي لا أحد أطف منه ، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف ، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه ، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فلفط : ﴿وَإِنْ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزْيَانُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِذْنٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو الملك الحق الذي وسع علمه ولطفه ورحمته جميع مخلوقاته.

اللطيف الذي احتجب عن أبصار الخلق فلا يرونه ، وظهر لعقولهم فهم يعبدونه كأنهم يرونه :

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان اللطيف الذي لطف أن يُدرك بالكمية ، اللطيف الخبير بكل ذرة في الملك والملكوت ، اللطيف بالبر والفاجر فكلُّ يأكل من رزقه ، اللطيف بالكافر والمشرِك حيث لم يقتله جوعاً بكفره :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه وتاب إليه من عباده ، فيقبله ، ويُقبل عليه ، وينعم عليه ، الذي يعطي الجزيل ويقبل القليل :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل/ ٧].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير الذي يعلم الأشياء الدقيقة ، ويوصل رحمته ورزقه إلى عباده بالطرق الخفية :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ [السجدة/ ٥-٦].

فما يتبلى الله به عباده من المصائب.. وما يأمرهم به من المكاره.. وما ينهاهم عنه من الشهوات.. هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف الخبير إلى سعادتهم في العاجل والآجل :

كما ابتلى يوسف عليه السلام بالغبرة والجب والسجن فصبر فأعطاه الله النبوة والعلم والملك :

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْأَرْضِ مِّنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصِّدْقِ ﴿١٠١﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى إبراهيم عليه السلام بالنار وفراق الأهل ودَبَحَ إسماعيل فصبر وأطاع فجعل ذريته هم الباقين ..

وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٦﴾ [الحديد/ ٢٦].

فسبحان ربنا العظيم ما أعظم رحمته بعباده ، وما أعظم لطفه بهم ، وما أوسع حلمه على من عصاه ، وما أشد فرحته بمن تاب إليه :

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

وإذا عرفنا ذلك فيجب أن نحمد الغفور الرحيم، ونتوب إليه، ونستغفره: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا إِبْجَهَلَةً ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].
واسم اللطيف له معنيان:

الأول: بمعنى الخير، فهو سبحانه اللطيف الخبير بكل شيء، الذي علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الثاني: بمعنى المحسن والمنعم الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم وما ينفعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصِبَ بِهِ الْأَرْضُ فَخَضِرَتْ إِنَّهَا لِلذَّكَاءِ وَاللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الحج/ ٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن ﷻ، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملوك .

في خلق المخلوقات كلها.. والإتيان بالأرزاق وتقسيمها.. وأصناف الكفايات كلها.. وتقلب الأحكام والأطوار .. واختلاف الألسنة والألوان والأحجام والأوقات .. وخلق الذوات والذرات .. وخلق الجامدات والمائعات .. واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان اللطيف القدير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة ، واستودعها في خزائنه العظيمة ، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].
وهو اللطيف الخبير

وما أحسن لطف ربنا في إرساله الرياح اللوايح ، ثم لطفه في تلقيحها السحاب ، ثم لطفه في حملها السحاب ، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح ، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب ، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً : ﴿الَّذِينَ تَرَى اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ وَكَمَا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/٤٣-٤٤].

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت ، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض ، وتقطيعه رذاذاً لئلا يهلك من تحته : ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَقًا لَأَسْقِنَهُ لِإِبِلٍ لَمَّيَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف/٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف أرحام الأرض ، وفتحها لقبول الماء والنبات ، حتى ذهبت عروق النبات في الثرى ، وصعدت أغصانه في الهواء ، وظهرت ثماره في الفضاء : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/٨٦].

ثم تأمل حكمة اللطيف كيف خلق النبات أزواجاً ، وشعوباً ، وقبائل ، ومختلفة الألوان ، والأحجام والطعوم ، رزقاً لخلقهم وعباده : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْلٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ۗ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في فلق الحب والنوى ، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين بجذوره ، ثم كونه أغصاناً وأوراقاً ، وأزهاراً وثماراً ، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدرج نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/١٠-١١].

ثم تفكر كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام ، وكما يخرج الأفعال من الإنسان ؛ ليدكر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۗ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لِمَحْيِ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت / ٣٩].

فسبحان اللطيف بعباده الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض ، اللطيف الكريم الذي يسوق لعباده أرزاقهم من بلاد شتى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١].

وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وساق هذا لهذا بلطفه : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ [هود / ٦]. وهو سبحانه الكريم الذي لجميع الخلق يتفتعون بأرزاقه ، ويأكلون من موائد نعمه ، وما أكثر ما يجلس الإنسان على مائدة فيها من نعمه أنواع شتى ، من بلاد شتى ، في أوقات شتى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٣٠﴾ [لقمان / ٢٠].

لا إله إلا الله وله الحمد ما ألطفه بخلقه ، وما أعجب لطفه في حسن تدبيره ، وجميل تقسيمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَقًّا يَا أَيُّكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩]. ثم تفكر رحمك الله في النطفة التي خلقك منها الله أحسن الخالقين ، كيف جمعها اللطيف من الغذاء ، وأقرها في قرارها المكين ، ثم استنزلها من الذكر والأنثى من بين الصلب والترائب .

ثم تأمل كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام ، ثم صيرها في أطوار الخلق نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغه ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان خلقاً آخر بتدبير اللطيف الخبير : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون / ١٢ - ١٤].

ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشراً سوياً ، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة ، مكتمل الأعضاء والحواس .

فسبحان مَنْ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ إِنْسَانًا لَهُ رَأْسٌ ، وَلِسَانٌ ، وَأُذُنَانٌ ، وَعَيْنَانٌ ، وَيَدَانٌ ، وَرِجْلَانٌ وَأَصَابِعٌ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات / ٢١].

وخلق القادر اللطيف من ذلك الماء القلب ، والكبد ، والأمعاء ، والمعدة ، والعروق ، والعصب وغيرها من الأعضاء الباطنة : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ

الضَلْبِ وَالْتَرَابِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجَبِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَأَلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ ﴿١٠﴾ [الطارق/٥-١٠].

فهذا الإنسان عورة ، خرج من عورة ، ثم دخل في عورة ، ثم خرج من عورة ، وهو وظالم وشقي وخاسر إن لم يؤمن بربه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر/١-٣].

فهذه قدرته في خلق فرد من جنسٍ من أحد مخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى .

فسبحان الخلاق العليم اللطيف الخبير الذي يملك جميع موازين التدبير والتصريف، والتشكيل والتغيير بسلطانه العظيم في ملكه الواسع الكبير: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر/٦٥].

له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره :

يسقط ويقبض .. ويعز ويذل .. ويعطي ويمنع .. ويعني ويفقر .. ويحيي ويميت .. ويهدي من يشاء .. ويضل من يشاء .. ويعفو عمن يشاء .. ويتنقم ممن يشاء .

خلق الكبير والصغير ، والجليل والدقيق ، والكل عنده سواء في الخلق والعلم والتدبير : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ ۚ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۚ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/١٠-١١].

والكل ملكه .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده ويعبده .. والكل خاضع لأمره .. ومسرع إلى إرادته : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ عَلَوْا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/٤٣-٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره في البسط والقبض ، والعطاء والمنع ، والرفع والخفض . هو القادر على كل شيء ، الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء .

يحيي بأسباب الموت .. ويميت بأسباب الحياة .. وينجي بأسباب الهلاك .. ويهلك بأسباب النجاة .. ويعز بأسباب الذلة .. ويذل بأسباب العزة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/٨٢-٨٣].

هو اللطيف الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه ، ثم يورثهم أرضهم وملكهم ، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ

وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ ۚ ءَأَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ
عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ [القصص / ٧-٨].

ويعطي المحبوب بالأسباب المكروهة ؛ لأنه اللطيف العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء وحده
لا شريك له : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة / ٢١٦].

فسبحان الله ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين ، لا يقضي لهم بشيء إلا كان خيراً لهم : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ﴿٤٣﴾ نَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ
سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٤٤﴾ [الأحزاب / ٤٣-٤٤].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، وَكَيْسَ
ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ صَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ
خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم^(١).

أما الكافر من حيث هو كافر فلا يقضي الله له بشيء إلا كان شرًّا له ، إن بسط له أغناه وأطغاه ،
وإن منعه وقبضه سخط ربه وعاداه : ﴿ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي
الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [التوبة / ٨٥].

واعلم أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً ، فيخرجهم من ظلمات الكفر
والبدع والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والسنة والعلم والطاعات ، ويقبض شر نفوسهم
والأماراة بالسوء ، ويصرف عنهم السوء والفحشاء ، ويصرفهم عن الكبائر والمعصيات التي
توجب سخطه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ [البقرة / ٢٥٧].

ويقدر لهم أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم ، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي
يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه من الطاعات والقربات والكرامات : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا
يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٣٠﴾ [التوبة / ١٢٠].

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩).

ومن لطفه بعباده المؤمنين أن يجعل رزقهم حلالاً في راحة ، يحصل به المقصود ، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله ، وهو عبادة الله والدعوة إليه : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يتلهم ببعض المصائب ؛ ليكفر عنهم إذا صبروا السيئات ، ويرفعهم إلى عالي الدرجات ، ويكرمهم بجزيل الثواب : ﴿ وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِشْرَافًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه اللطيف :

اعلم نور الله قلبك بالإيمان أن أول ما يجب عليك من التبعيد لله باسمه اللطيف طلب علمه ، فذلك مفتاح التبعيد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى ، ومعرفة مسالكه في العالم ؛ لترى قدرة القدير ، ولطف اللطيف ، في مخلوقاته وأفعاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨].

والهدف الأول من طلب العلم هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته ، والهدف الثاني هو عبادته وطاعته بعد معرفته ، ومن وفقه الله لهذا وهذا سعد بقربه ورضاه وجنته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة التي يحبه عباده من أجلها ، بادر إلى التبعيد لله بها ليحبه ربه ويرضى عنه مولاه : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا علم أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة ، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله ، وراقب ربه في حركاته وسكناته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك/ ١٢].

واعلم أن العبد وكل شيء مكشوف بين يدي اللطيف الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق ، واعبده وسبح بحمده ، لتنال فضله ، وتظفر بنعمه وعطاياه ، وكن واثقاً بربك الكريم ، ومولاك الرحيم الذي جميع النعم منه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [سجدة/ ١٨].

السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

وكن بالليل مع اللطيف واسأله أن يلطف بك ، وفي النهار تلطف مع الناس والطف بهم ، وأحسب إليهم ، وكن في الليل مع الرحمن ، وسله أن يرحمك ، وفي النهار كن رحيماً يرحم الناس .
وارغب إلى ربك في جميع أمورك ، واعلم أن من يتحرر الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه ، والفضل كله بيد الله وحده ، وأعلاه طلب الهداية والعافية: ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

واعلم رحمك الله أنك كما تحب أن يلطف الله بك في جميع أمورك فالطف أنت بإخوانك المؤمنين ، وخالقهم بخلق حسن ، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك ، وسعهم بحسن خلقك ، وادعهم إلى الله واصبر على أذاهم يحبك الله ، وتكسب محبة الناس ومودتهم ، وتسلم من أذيتهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

واشغل نفسك وقلبك ولسانك وجوارحك بذكرٍ وشكرٍ من لطفه بك ظاهر غير خفي ، وبره إليك واصل في سررائك وصررائك ، وحال طاعتك ومعصيتك : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

وأنفق مما رزقك الله من علم ومال، وبر وإحسان، وتلطف في إيصال برك إلى الناس بالطف المآخذ ، وأحسن المذاهب ، بلا منة ولا أذى ، ولا كبر ولا احتقار: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٢-٢٦٣].

وإذا عرفت أن ربك هو اللطيف فليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تكون لطيفاً في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح ، لطيفاً بالخلق كلهم على اختلاف طبقاتهم .
إن رأيت كافراً فادعه الى الله بلطف ، وإن رأيت جاهلاً فعلمه بلطف ، وإن رأيت عاجزاً فخذ بيده بلطف ، وإن علمت سنة فانشرها بلطف ، وإن عرفت حسنة فاشكرها ، وإن علمت سيئة فاسترها : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٣١﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وتذكر أطف الناس بالناس.. وأرحم الناس بالناس.. وأكرم الناس.. وأجود الناس محمداً ﷺ،
الذي أثنى عليه ربه ، لكمال حسن خلقه بقوله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

فاهتد بهديه، وتخلق بأخلاقه، وتأدب بآدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه، تكن
في الجنة رفيقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وتقرب إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه، تنال أعظم مما تمناه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَدِينَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسَنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

وأحسن إلى الناس جميعاً فيما استطعت ، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم ، وعاملهم بما
تحب أن يعاملوك به ، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق ، وكل امرئ حسيب
نفسه ، ورهين عمله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا لَغَفْرَةٌ لَّنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي
فِي دَرَجَتِي لِي بُتُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي
آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ
شَرٍّ» أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً تملأ به قلوبنا ، و يقيناً صادقاً تشرح به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا
يصيننا إلا ما كتب لنا ، ولا نحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .
اللهم أسعدنا بتقواك ، واستعملنا في رضاك ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك .
يا خبيراً بأحوالنا ، يا عليماً بفقرونا ، يا لطيفاً بالعباد الطف بنا ، وارحم ضعفنا وذلنا
وانكسارنا بين يديك ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

الودود

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود / ٩٠].

الله ﷻ هو الغفور الودود الذي يحب المؤمنين به ، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة. وهو سبحانه الودود المحبوب، الودود الذي يوده ويحبه خلقه لذاته وجلال وجمال أسمائه وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويؤد من أناب إليه، ذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وهو سبحانه الودود الذي أظهر وده لخلقهم بما سخره لهم من النعم الظاهرة والباطنة ليجبوه ويعبدوه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الودود الذي تودد إلى عباده بالنعم التي لا يحصيها إلا هو: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الودود الذي كل ما في الكون مظهر لعظمته ، وكل ما في الكون مظهر لقدرته ، وكل ما في الكون مظهر لحبه ، وكل ما في الكون مظهر لودده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْتَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الذي تودد إلى خلقه بكل نعمة وكرامة وخير، ليتوددوا إليه بالإيمان به وطاعته وعبادته ، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن الكون كله بما فيه من المخلوقات والآيات والنعم، كله من قبل الله تودد إلى هذا الإنسان،

وكل أعمال الإنسان الصالحة تودد إلى الرب الخالق العظيم : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يَدِي وَيُعِيدُ ۝۱۳ ﴾ وهو الغفور الودود ﴿ ۱۴ ﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿ ۱۵ ﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿ ۱۶ ﴾ [البروج / ۱۳-۱۶].

هو الغفور الودود الكريم الذي خلق الإنسان قبل أن يكون شيئاً ، ورزقه من كل شيء ، وهداه إلى معرفة ربه ، وحبب إليه الإيمان به ، وأعانته على طاعته ، ووقفه لحسن عبادته ، وضاعف له أجر عمله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝۱ ﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ ۲ ﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿ ۳ ﴾ [الإنسان / ۱-۳].

وهو سبحانه الودود الذي خلق المودة ، وعنده خزائن المودة ، هو الودود الذي ألقى المودة بينه وبين أوليائه ، وألقى المودة بين المؤمنين مع بعضهم ، وألقى المودة بين الأب وأبنائه ، وبين الأم وأولادها ، وبين الزوجة وزوجها : ﴿ وَمَنْ ءَايَتِي أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝۱۱ ﴾ [الروم / ۲۱]. وهو سبحانه المؤمن الذي يحب الإيمان والمؤمنين ، ويحب التقوى والمتمقين .

وهو سبحانه الودود الذي يحب من أطاعه ، ويبغض من عصاه ، ويتوب على من تاب إليه . يحب المؤمنين والمتقين ، ويحب التوايين والمتطهرين ، ويحب الصابرين والصادقين ، ويحب المتوكلين والمحسنين وأمثالهم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝۳۱ ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿ ۳۲ ﴾ [آل عمران / ۳۱-۳۲].

ويكره الكفر والكافرين والمشركين ، والكاذبين والمستكبرين ، والمنافقين والمعتدين ، والظالمين والمفسدين ، والمسرفين والخائنين وأمثالهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝۲۸ ﴾ [الحج / ۳۸].

وهو سبحانه الودود بكثرة إحسانه ، الذي يوده عباده ويحبونه ، المستحق لأن يُود ويُعبد ويُحمد ، لكماله وجلاله وجماله ، وعظيم إحسانه : ﴿ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ ۝۱۰۲ ﴾ [الأنعام / ۱۰۲].

وهو سبحانه الودود الرحيم الذي يتحنن إلى عباده بتتابع إحسانه ، ويتودد إليهم بنعمه المتوالية ، ويحب لقاءهم ، وقنوتهم له ، ويفرح بتوبتهم إليه : ﴿ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ اَنْ يَّتُوْبَ عَلَیْكُمْ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوٰتِ اَنْ يَّمِيْلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا ۝۲۷ ﴾ يُرِيْدُ اَللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْاِنْسَانَ ضَعِيْفًا ﴿ ۲۸ ﴾ [النساء / ۲۷-۲۸].

فسبحان الغفور الودود الذي يحب عباده المؤمنين به، الموحدين له، العابدين له، وهم يودونه ويحبونه، لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی، ولما خصهم به من الهداية إلى الإسلام، وجزيل الإحسان والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

واعلم رحمك الله أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَانَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].
 وود الرب لعبده على قدر إيمانه، وطاعته لربه، وإيثاره لمرضاته، ومحبته له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم/ ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك، وأنزل لك القبول في الأرض، وإذا أبغضك أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبْهُ، قَالَ: فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُوهُ فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.

وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغُضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تَوْضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» متفق عليه^(١).

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٧٣] يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [٧٤] [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وودَّ العبد لربه هبة من الودود الحق، جعله في قلبه فودَّ ربه به، وألقى في قلوب الخلائق الود له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم/ ٩٦].

ومن أحبه الودود، وأحب هو الودود، رأى نعمه ابتلاء، ورأى منعه عطاء؛ لأن الودود أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاكراً، لكن من نوع آخر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩) ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له.

هَدَنَهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَيْتِكُمْ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧ - ١٨] .

فهذا العبد الرباني المقرب، يجازيه الودود الحق بكل ما يسره في الدنيا والآخرة، من لذيذ مناجاته والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أَوْلَيْتِكُمْ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢] .

ويعذره في زلله، ويضاعف حسناته؛ ليزيد له في ثوابه: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [يونس / ٢٦] .

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله مقته لكفره واستكباره، وسخط عليه لكرهيته الحق وصدده عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة / ١٦١ - ١٦٢] .

فهذا إن كان منه عمل حسن زين له الشيطان ما يفسده به من رياء، أو عجب، أو آفة تنقصه أو تبطله، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه، وإن ابتلاه عاقبه، وإن همَّ بخير قيص له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ [غافر / ٣٤] .

فتعرّف إلى ربك الحق بأسمائه وصفاته، فمعرفة توجب تعظيمه ومحبته، ومن أحب الله فليحبه الحب كله، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسليم، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثَبَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩] .

فعليك بشكر الغفور الودود، ودوام الذكر له، والعمل بما يرضيه، وقبول أحكامه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧] .

فالمحب حقاً لمولاه لا تراه إلا قائماً عند باب محبوبه بظاهره وباطنه، فإن لم يمكنه فبقلمه وروحه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩] .

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله، وجمال وكمال أسمائه وصفاته، وحجة منه على المحبين لغيره، لِمَ أحبوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ولِمَ أحبوا ما

ليس بعلي في أسمائه ، ولا كامل في صفاته : ﴿ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة / ٧٦] .

فسبحان الله ما أسفه من عبد غير الله ، وأحب غير الله ، وتعلق بغير الله .

لماذا لم يحبوا الملك الحق الذي بيده عطاء كل خير لهم ، ودفع كل شر عنهم : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [١٣] إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشركم ولا ينبتك مثل خبير ﴿ [فاطر / ١٣-١٤] .

واعلم أن الحب من الودود الحق يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب :

فتارة يكون بالإنعام والإكرام ، كقضاء الحاجات ، وسعة الرزق ، وإجابة الدعوات ، والحباء بالكرامات ، وخفي الكفايات : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله يبلغ أمره ما يشاء وقد جعل الله لكل شيء قدرًا ﴿ [الطلاق / ٢-٣] .

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر ، فترى عبده المؤمن ينادي فلا يكاد يجاب ، ويسأل فلا يكاد يعطى ، ويستغيث فلا يكاد يغاث ، ليس لهوانه على محبوبه الحق ، لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره : ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران / ١٩٥] .

ويشتد بالمؤمن الأمر مع حسن استقامته ، حتى أن أبناء جنسه ليرحمونه لما به من الضر والفاقة ، والملائكة تغبطه بماله عند ربه من عظيم الذكر وكريم المآب : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [البقرة / ١٥٥-١٥٧] .

فسبحان الودود الحق الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة ، ونعمه الكثيرة ، وألطافه الخفية : ﴿ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود / ٩٠] .

وهو الودود الكريم الذي أحب عباده ، وتودد إليهم بحسن أفعاله ، وجزيل إنعامه ، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه ، والفضل كله راجع إليه : ﴿ وَمَا يَكُومُ مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَادًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَالْيَايَةَ تَحْضُرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣] .

فهو الودود الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجلب قلوبهم إلى وده، بما عرفهم من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وهو الرحيم الودود الذي يفرج عن عباده الكربات، ويدفع عنهم الكريهات.

وهو الودود الرحيم الذي بين لعباده الدين الحق، وهداهم إليه، وحببه لهم، وأعانهم عليه، وأثابهم عليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنْ بَشَاءَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٢-٤].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان، وزين جوارحك بأحسن الأعمال، أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان كلها من كرم الرب الرحيم وإحسانه وجوده، خلقها الله يتودد بها إلى عباده، وجعلها شاهدة بتوحيده، دالة على كمال قدرته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها.

فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٧-١٨].

وكل نعمة من الودود الكريم توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم من محبته ومودته، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره، وتعظيمه وتسيحه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران / ١٠٣].

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء.

وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه وابتلائه كتلذذهم بنعمه وإكرامه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [الحجرات / ١٥].

فسبحان الله ما أظفه فيما يقدره مما يجلب محبته، ويزيد مودته، ويبعث على طاعته.

فإذا رأيت نفسك تحبه، وهو يبتليك، فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصافيك، فاصبر لحكم ربك ، واستغفر من ذنوبك ، فإن ربك رحيم ودود يريدك له : ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (١٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩] .

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة ، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام ، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية واللطف : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) [يونس/ ٣] .

واعلم أن كل ود وحب ورحمة وحنان موجود في المخلوقات فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه ﷺ ، ولا ريب أنه موجود في عالم الجماد والنبات، والحيوان والإنسان ، ثم يزداد ظهوراً وقوة في المؤمن ، ثم في الولي ، ثم في النبي ، ثم في الملائكة الذين : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠] .

يزداد ذلك الحب والود لله ﷺ حسب زيادة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته ، ومطالعة نعمه وإحسانه : ﴿ فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ (١١) [محمد/ ١٩] .

فما أعظم حب الله لعباده ، وما أوسع رحمته بهم ، وما أعظم إكرامه لهم ، وما أحسن مودته لهم : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠) [هود/ ٩٠] .

إن العبد يشرد عن ربه فيقصر في الواجبات ، ويتجرأ على المحرمات ، والله الحليم يستره ، ويحلم عنه ، ويمده بالنعم ، ثم يقيض له من الأسباب ما يرجعه إليه ، ويتوب عليه ، ويغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب ، ويعيد عليه وده ومحبته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) [البقرة/ ١٤٣] .

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح . عن أنس بن مالك ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاقَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَاتَى شَجَرَةً فَاصْطَبَّحَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطْمِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ! أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » متفق عليه^(١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩) ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له .

واعلم أن الودود سبحانه مَنْ أحبه من أوليائه، وتقرب إليه بما يحب، أحبه وجعله إماماً يهتدي الناس به ، وجعله مجاب الدعوة ، وجيهاً في الدنيا والآخرة : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة/ ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَلَّهِ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيئِهِ ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدْتَهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » أخرجه البخاري ^(١).

أما مودة أولياء الله له فهي روحهم وحياتهم، بها تلذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره ، وبها تحركت جوارحهم بطاعته ، وبها ذرفت دموعهم من أجله . وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة .

أما المحبة الدينية : فإنهم لما أحبوا ربهم أحبوا أنبياءه ورسله وكتبه وأوليائه ، وأحبوا كل عمل يقرب إليه ، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ، ومكان ، وعمل ، وعامل : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

وأما المحبة الطبيعية : فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يحب مولاهم ، بنية امتثال أوامر الله عند تناولها، فصارت عاداتهم عبادات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سبباً في مودتهم له ، وحبه لهم . واعلم أن حنان المخلوق رافة في النفس ، ورقة في القلب ، وميل مفرط في الجبلة لحب ورحمة مَنْ يحن إليه أو عليه .

والله الرحيم الودود الذي ليس كمثل شئء أتم حناناً، وأشد رافة ورحمة بعباده المؤمنين من أنفسهم : ﴿ يَجِيئُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَايَاتُهُ أَحْكَمَ صَبِيحًا ﴾ [مريم/ ١٣-١٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢) .

واعلم أن الحنان والود والمحبة والرحمة مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض ، وتشأ من لدن عالم الجماد إلى عالم الملائكة كما تحن الطيور إلى أوكارها ، وكما تحن الحيوانات إلى أولادها ، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه .

فلا إله إلا الله .. كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه ، ومخلوقاته وآياته ، ورحمته ومغفرته .

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه ، واللفظ الذي عم كل مخلوق: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٤] .

انظر لتتور بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه ، كيف حن عليه اللطيف فخلقه وصوره بأطواره ، وكيف سهل خروجه ، وكيف حنن عليه أبويه وكافليه ، وكيف جعل الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه ، وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه : ﴿ ذَلِكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة / ٦-٩] .

فهذا حنانه ﷻ في الآدمي وغيره من أنواع الحيوان في البر والبحر والجو .

فإن كان هذا المولود الآدمي قد سبق له القضاء بالهداية ، وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح ، فاتصل له الحنان أوله بآخره فسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الودود :

الله ﷻ هو الغفور الودود الكريم الذي منَّ على جميع مخلوقاته بالنعم الظاهرة والباطنة . فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه ، واعتذر إليه من التقصير عما يستحقه من الشكر والعبادة . وتضرع إلى مولاك أن يتولاك في جميع أمورك ، واسأله أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يتحمل عنك ما عجز عنه شكرك ، وأن يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه ، وقل صادقاً : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء / ٨٧] .

واستغفر ربك من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب ، فإنه غفور ودود ، وقل منكسراً : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

واعلم أن زبدة الإيمان واليقين حسن الظن بالله ، فأحسن الظن بربك في جميع أحوالك ، فمن أحسن الظن بربه أحبه وقضى حوائجه ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يُخيب مؤملاً أبداً : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِإِعْلَامِهِمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

فكن مع مولاك الكريم الودود بالذكر والعمل الصالح ما حييت، يعطيك من خزائنه ما تريد، فمن كان لله كان الله له ومعه في كل حال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَايَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِن أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُوْلَةً » متفق عليه ^(١) .

فهو سبحانه الكريم الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء ، والعطاء أحب إليه من المنع ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة ، والإحسان أحب إليه من العدل : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴾ [٣٦] وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم / ٢٦-٢٧] .

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال ﷻ فخذ منه بقدر ما تستطيع ، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به ، ولهذا أعلنها وبينها في كتابه فقال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

فسبحان الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَلْنَا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء / ١١٠-١١١] .

واعلم أنه يجب على الإنسان كما تودد إليه ربه بنعمه أن يتودد ويتقرب إلى ربه بجعل حياته

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

كلها، وأوقاته كلها، في طاعة مولاه ، وعبادة ربه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١١١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦١ - ١٦٣] .

واعلم أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه، ودوام ذكره وشكره ، وحسن عبادته ، والمسارة إلى ما يحبه ويرضاه ، ومحبة تلاوة كتابه ، واتباع رسوله ﷺ ، ومحبة كل ما يحب ربه من الأقوال والأعمال وغيرها، فكن ذلك المحب رحمك الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال / ٢ - ٤] .

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ ، واتباع سنته ، وحسن الاقتداء به : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ٣١] .
ومن علامات حب الله : ترك الشكوى إلى غيره ، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة ، وتفويض الأمر إليه وحده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف / ٨٦] .

ومن دلائل حب الله ﷻ : عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر / ٥] .
ومن علامات حب الله ﷻ : الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله ، والجهد في سبيل الله ، وبذل المال والنفس في سبيله ، والمسارة إليه بصالح الأعمال ابتغاء مرضاته : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

ومن علامات حب العبد لربه : حب التعرف على أسمائه وصفاته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه ، ولزوم هذا الطريق حتى الموت : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف / ١٠٨] .

ومن علامات حب العبد لربه : كثرة ذكره ، وكثرة التفكير في عجائب مخلوقاته ، وتدبر معاني كتابه ، وحسن الثناء عليه ، وطول القيام بالليل في مناجاته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥] نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥ - ١٧] .

ومن علامات حب العبد لمولاه : صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثة، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك / ١٢] .

واعلم أن محبة الله تُنال بترك المناهي أكثر من منالها بفعل الأوامر.

فالأعمال الصالحة يعملها البرّ والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي، مع فعل الأوامر، لا يكون إلا من صديق رباني ، فتقرب إلى ربك بفعل الأوامر، واجتناب المناهي، تكن ربانياً: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغْيَاتَ أَنْ يعبُدوها وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر / ١٧ - ١٨] .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران / ٥٣] .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨] .

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر / ١٠] .

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَأَغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١) .

اللهم يا غفور يا ودود ، يا ذا العزة والجبروت ، يا بديع السموات والأرض ، نسألك رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك ، وعافية نقوى بها على طاعتك ، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك .

اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا ، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا ، وارزقنا حسن النظر والعمل فيما يرضيك عنا ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

المجيب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَادَوْا أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود/ ٦١].

الله ﷻ هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات، الذي يجيب كل داع وسائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو ﷻ وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويجيب دعاءهم، الذي يجيب المضطر الذي أفلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه من المتعاصيات والكروب: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِّنَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب، الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مر الدهور: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران/ ٢].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وله خزائن كل شيء، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها، فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩].

فليس في هذا الملك الكبير والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق، ومملك وعبيد، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

والله واسع كريم يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال، ويعطي السائلين، ويجيب الداعين إذا دعوه من كانوا وحيث كانوا.

وكل ذلك كتبه الله، وقدره، ثم أظهره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ

وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان العليم القدير الذي خلق كل شيء ، وقدر على كل شيء ، وكتب مقادير كل شيء : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج / ٧٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن من حُبَّ الله ﷻ لإجابة السائلين ، ودعاء الداعين ، أن عَرَفَ عباده بأسمائه وصفاته ، وأمرهم أن يدعونه بها ، ويُنَّ لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء ، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فسبحان الله ما أعظم حُبه لخلقه ، وما أعظم حُبه للإحسان إليهم ، أعطاهم من كل ما سألوه ، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والله ﷻ العطاء أحب إليه من المنع ، كريم لا يرد سائلاً أبداً ، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، ليُقرب من عباده ، ويقضي حاجة من سأله .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » متفق عليه ^(٢).

هو المجيب الذي ينعم قبل الطلب والنداء ، ويتفضل قبل السؤال والدعاء : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣].

هو القريب المجيب الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة ، ويقابل سؤال السائلين بالإسعاف ، ويقابل ضرورة المضطرين بالإغاثة ؛ لأنه الرحيم الذي لا أرحم منه ، الكريم الذي لا أكرم منه : ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود / ٦١].

هو المجيب الكريم الذي يعطي قبل الدعاء ، وإذا تأخر العطاء إلى ما بعد الدعاء فإنما يريد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٥٨) .

الله أن تدعوه وتناجيه ، وتلجأ إليه وتتصل به ، وتمرغ وجهك في أعتابه ، ويحب أن يسمع صوتك ويسعدك بالاتصال به ، ويجعل حاجتك وسيلة لهدف هو الاتصال بالرب العظيم ، والتعبد للحق الكريم : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وإذا ابتلاهم بالمصائب فإنما يريد من عباده أن يرضوا عنه في حال السراء والضراء، فإذا رضوا بقضائه، ثم دعوه أجابهم: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي قد يُحوج عبده إلى شيء، وقد يخيفه من شيء، من أجل أن يسأل ربه، ويفزع إليه، ويتصل به، ويستعين به، ويلوذ بحماه، ثم يجيبه إذا صفا توحيده ودعاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ سَجِيْبُوا لِي وَيُوَفُّوْنَ لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن سؤال الله ﷻ والتضرع إليه هو الهدف والمقصود، والحاجات والمصائب هي الوسيلة، فالله خلق عباده ليسعدهم، وجعل الحاجات والمصائب وسائل، والاتصال به وإخلاص الدعاء له هو المقصود؛ لأنه سبحانه يعلم حاجة المحتاجين، ويعطيهم إياها قبل سؤالهم.

وإذا أخرجها فإنما يحب أن يسمع سؤالهم، ودعاهم، ويسعدهم بالاتصال به: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الغني الكريم الذي خلق الخلق، ووفر حاجاتهم قبل أن يخلقهم، وساقها إليهم قبل أن يسألوه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنَبِّئُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية/ ١٢-١٣].

فسبحان الملك العظيم الذي له في ملكه وملكوته ومخلوقاته حكم وأحكام، وخلق وأمر، وبسط وقبض، ورفع وخفض: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك/ ١-٢].

هو الحي القيوم الذي يقابل الدعاء بالإجابة، ويقابل السؤال بالعطاء، ويقابل الاستغفار بالمغفرة، ويقابل العمل الصالح القليل بالثواب الجزيل .

هو القريب المجيب الذي يفرج كرب المكروبين ، ويجيب دعاء المضطرين : ﴿ اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ [النمل / ٦٢].

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض ، ويجيب جميع أسئلة السائلين ، ويحب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية والرحمة والمغفرة والإعانة على الطاعة : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

واعلم رحمك الله أن من وفقه الله للإيمان به ، ودوام ذكره ، والأنس بمناجاته ، وتدبر كتابه ، والتفكر في مخلوقاته ، والاعتبار بآياته ، فقد آتاه رحمة من عنده ، وعصمه مما يبعده عنه ، واستوجب القرب منه بحسن عبادته له ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر : ﴿ اَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩].

وكذا الإكثار من الطاعات ، والزهد في الحلال ، والاقتصار على الكفاية ، وترك ما لا يعني ، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام ، وترك الحرام ، واجتناب الفواحش والآثام ، ولزوم الذكر والاستغفار ، وحسن التوكل على الله ، وصدق التوبة إليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَعُذِي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ » أخرجه مسلم ^(١).

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه ، ومحادثة الملائكة له .

عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةَ؟ قَالَ قُلْتُ : نَافِقٌ حَنْظَلَةُ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ ؟ قَالَ قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥) .

عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا .
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 قُلْتُ : نَافَقَ حَظَلَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ
 عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ
 وَالصَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ
 لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَظَلَّةُ سَاعَةً وَسَاعَةً » أخرجه مسلم (١) .
 فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه، بل كاد لو أقسم على
 الله لأبره .

عن أنس رضي الله عنه أن الربيع بنت النضر كسرت ثنية امرأة ، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص ، فقال
 أنس : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيها ، فرضوا بالأرث ، وتركوا
 القصاص ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » أخرجه البخاري (٢) .

ومن لم يبلغ تلك الدرجة فإن إجابة دعائه في حقه ليس بوعد من الله ؛ بل فضل منه سبحانه :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة / ٢٤٣] .
 ونحن أقل من هذه الدرجة بكثير ، فنستغفر الله ونتوب إليه : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

وأما الكافرون فما دعاؤهم إلا في ضلال ، وهم يطمعون في الإجابة طمع الباسط كفيه
 إلى الماء ليلغوه وما هو ببالغه ؛ لأنه مقطوع كما انقطع الكافر عن ربه الذي : ﴿ لَهُ دَعْوَةٌ
 الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا
 دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد / ١٤] .

واعلم أن الكافر في حال الاضطرار والشدة يرجع إلى الفطرة فيوحد ربه ثم يدعو ،
 فإذا قضى الكريم حاجته عاد إلى كفره وشركه : ﴿ وَمَا يَكُفِّرُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ
 الضَّرُّ فَالَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
 فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ [النحل / ٥٣-٥٥] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٦) .

والله ﷻ غني كريم يجيب كل سائل ويعطيه ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

وإجابة الرب لمن سأله من عباده تتنوع وتُعجّل وتؤخر بحسب مصلحة العبد التي لا يعلمها إلا الحكيم العليم الذي خلقه وصوره: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [آل عمران/ ٢٩].

فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا، أو ادّخرها له في الآخرة، أو صرف عنه من السوء مثلها. فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله فيجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات، فيعطيهم جميعاً ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ [الرحمن / ٢٩].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم ^(١).

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الكريم الذي لا أكرم منه، ولا منتهى لكرمه، الذي عم بفضله وكرمه جميع خلقه، فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة في كل مكان وزمان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ [الأنعام/ ٩٩].

وهو الكريم الذي يخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه إذا علم أنهم يريدونه، وربما فيضهم للسؤال والدعاء تعبداً منه لهم، فسألوه امتثالاً لأمره، وإظهاراً لفقرهم إليه، فيجيب سؤالهم، إلا أنهم لا يسألونه دنياً، ولو سألوه ما أعطاهم ذلك حباً لهم، و حماية لهم مما يشغلهم عنه ويبيدهم منه: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ يَخْنُصُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

ومن صلح قلبه أكثر من سؤال ربه الهداية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٦-٧].

فسبحان الكريم اللطيف الذي حمى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه ؛ ليتفرغوا لعبادته، وطاعته، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤].

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠].

واعلم أن جميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله ﷻ مع الإيمان أمرين عظيمين هما : العبادة والدعوة، وفرغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك، وكذلك اجتبى الله هذه الأمة وأعطاهما ما أعطاهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١١٠].

فرسل الله ﷻ والمؤمنون وصلوا ما أمر الله به أن يوصل فاتصلوا ، فأجاب الله دعاءهم ، وكذلك يجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فاستجبنا له، ونجينا من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء / ٨٧-٨٨].

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارتهم في الخيرات إليه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾﴾ فاستجبنا له، وهبنا له، يحيى وأصلحنا له، وزوجه إنهم كانوا يسردعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء / ٨٩-٩٠].

واعلم أن الله يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه ؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال ، ويعطي الكثير على العمل القليل ، ويقبل التوبة من المسيء ، ويضاعف الأجر للمحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴿٤٠﴾﴾ [النساء / ٤٠].

فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وما أوسع عطاءه ، وما أسرع إجابته لمن دعاه .

واعلم أن الله إذا أراد زيادة إيمان عبده، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته، ساق إليه المصائب ، ثم هياً له الدعاء، فدعا ربه فكشفها عنه فزاد إيمانه بربه ، وزاد حبه له ، وزاد حمده له ، وزاد تعظيمه له ، وزادت طاعته له : ﴿ وَلَنْبَلُوتَكُمْ يَسْتِئْذِنُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الضَّالِّينَ ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وكذلك إذا ساق إلى عبده النعم، أو سأل ربه نعمة فأعطاها، زاد إيمانه بربه ، وحبه له ، وحمده له، وطاعته له، وزاد تعظيمه لمن سأله فأعطاها: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه المجيب :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله قريب مجيب ، ورحمته وكرمه، وإحسانه وعفوه، أحب إليه من كل شيء ، وخزائنه مملوءة بكل شيء .

فسل ربك الهداية وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة فإنه حي قيوم يحب أن تسأله ليجيبك: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

ولا تحدثك نفسك حال سؤالك إياه بعمل حسن عملته ، أو ذنوب منك تخاف أن يحرمك من أجلها، بل فقط ادعه بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار ، فذلك أكمل لتوحيده، وأولى بمقامك ذلك، وأقرب إلى الثقة منك به: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُءَآءَآءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

واعزم المسألة فإن الله لا Mukره له ، وأكثر من الدعاء فإن الله لا يمل حتى يمل العبد. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » متفق عليه (١).

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢) .

وترين لربك بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله ولرسوله وكتابه وأئمة المسلمين، وعامتهم : ﴿التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمِيدُونَ اللَّائِيحُونَ الرَّكْعُونَ السُّجُودُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَكْرَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم عليه لأبره، لحسن ظنه بالله ، و يقينه على ذاته وأسمائه وصفاته ، فاجتهد في العلم والعمل لعلك تزكو : ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر/ ١٨].

واحرص على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، و اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، وتعبد لله مع خلقه بصفة الإحسان يحبك الله والناس : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص / ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد ﷻ فاسأله : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن الله أمر بالدعاء، و وعد بالإجابة ، فإذا مسك الضر فاسأل ربك، فإنه قريب مجيب ، وهو وحده أهل أن تدعوه وترجوه : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٨٣] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [٨٤] [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وإياك أن تنزل حاجتك بإنسان ، أو تضع ثقتك في غير الله ، فإن فعلت فمن رحمة الله بك أن يلقي في قلب من وثقت به الاعتذار إليك، ويخيب ظنك فيه، تأديباً لك لتعود إلى ربك الذي بيده مقاليد الأمور وحده لا شريك له : ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٧] وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام/ ١٧-١٨].

واعلم أن الدعاء الذي يجيبه الله ما كان بتضرع، وكان خفية ، وتجنب صاحبه الاعتداء فيه ، وتجنب أكل الحرام : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [٥٥] [الأعراف/ ٥٥].

واعلم أن الميت حقاً هو كل من تمتع بدنه بأعلى درجات الصحة ، لكن قلبه ميت لا يعرف ربه ولا يذكره ولا يعبد، فهذا هو ميت الأحياء : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ

لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال/ ٢٤].
 فسبحان الرب الحكيم الرحيم بعباده ، أحياناً يعطي العبد قبل أن يسأله، ليحبه ويقبل عليه
 ويطيعه ، وأحياناً يدعوه العبد فيعطيه فيحبه ويشكره : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾
 [البقرة/ ١٤٣].

فهو سبحانه إما أن تدعوه فيعطيك ، وإما أن يعطيك لتدعوه ، فإن كان الدعاء قبل العطاء فالمبادرة
 منك ، وإن كان العطاء قبل الدعاء فهذه نعمة أراد الله أن يمتحنك بها ، فأنت إما أن تطيعه فيكرمك ،
 أو يكرمك لتطيعه : ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ
 فَأَوَدَّكُمْ وَيَأْتِدْكُمْ بِبَصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال/ ٢٦].

وقفنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من
 ربهم الحسنی: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ
 حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠١-١٠٢].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا
 رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » متفق عليه^(١).
 اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، نسألك أن تهدي قلوبنا ، وتغفر
 ذنوبنا ، وتيسر أمورنا ، وترحمنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك ، يا قريب يا مجيب .
 اللهم ألف بين قلوبنا ، وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى
 النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا فيما أعطيتنا ، وتب علينا إنك أنت
 التواب الرحيم .

اللهم كما صنت وجوهنا عن السجود لغيرك، فصن وجوهنا عن سؤال غيرك ، فإنه لا يقدر
 على كشف الضر و جلب النفع سواك، يا ولي العطاء والإحسان .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩) ومسلم برقم (٢٦٨٨) .

الولي .. المولى

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج / ٧٨].
الله ﷻ هو الولي الحق القريب من خلقه، الولي الحميد الذي يوالي جميع خلقه بالنعمة، والأرزاق، والعافية، والإحسان، والعون، والهداية.

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين، فهو سيدهم وربهم، وخالقهم ورازقهم، ومالكهم وحاكمهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى / ٢٨].

وهو سبحانه ولي المؤمنين الذي يتولاهم بالهداية والإرشاد، والنصر والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد / ١١].

وهو سبحانه مولى الذين آمنوا يمكّن لهم في الأرض ، ويقضي حاجاتهم ، ويجب دعاءهم ، العزيز الذي يعتزون به بين أقوامهم ، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء / ٤٥].

وهو سبحانه ولي الذين آمنوا يعافهم ويرزقهم وينصرهم ؛ لأنهم عبده الذين آمنوا به، وأطاعوا أمره، فتولى أمرهم .

أما الكفار فلا مولى لهم يرحمهم ، لأن الكافر رفض أن يكون الله وليه ، ورفض دينه وشرعه ، ومن لم يكن الله وليه كان الشيطان وليه : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة / ٢٥٧].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى عباده بالتربية والتعليم، والرزق والنصر، فإذا خالف عبده منهج صحته وسلامته، نبهه مولاه بالآلام وهموم كآلات إنذار مبكرة توقظه من رقدته ، وتذكره من غفلته، ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ﴾ [الذِّينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَظِيلُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ﴾ [الأعراف / ١٩٧-١٩٦].

هو سبحانه الولي القادر على كل شيء ، الذي يدبر أمور الخلق في ملكه وملكوته وحده .

يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويسيطر ويقبض ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويصرف ويدبر ، ويفعل ما يشاء: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس / ٣١].

هو الولي الذي يتولى أجساد خلقه بالعافية والرزق ، ويتولى أمر نفوسهم بالدين ، ويتولى أمر دنياهم بإصلاح معاشهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة / ١١٦].

فسبحان الولي الحميد الذي يربي عباده بما يسعدهم في الدنيا والآخرة .

أحياناً يؤدبهم ليردعهم ، وأحياناً يكافئهم ليشجعهم ، وأحياناً يعاقبهم ليردهم إليه : ﴿ فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج / ٧٨].

واعلم أن الملك الحق وحده لا شريك له هو الذي يدبر أمور الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ يُدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [٥] ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٥-٧].

يدبر أمر الحياة والموت ، ويدبر أمر الخلائق والأرزاق ، ويدبر أمر الدنيا والآخرة ، ويدبر أمر الأجساد والقلوب .

ومن رزقه الله حقيقة اليقين رأى يد الولي الحميد هي التي تعمل وحدها ، ورأى أيادي الخلق كلها في قبضته ، فتوكل على ربه ، ولم يلتفت لأحد سواه : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود / ٥٦].

ومن رفاه الله إلى ذروة اليقين عبد الله كأنه يراه ، وتجاوز المخلوقات إلى الخالق ، وتجاوز النعم إلى المنعم ، وتجاوز الصغير إلى الكبير ، وتجاوز الفقير إلى الغني ، وتجاوز التدبير إلى المدبر ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة : ﴿ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر / ٦٢].

فسبحان الولي الحميد الذي ولايته كرم منه لمصلحة من تولاه ، الكريم الذي أوصل بره إلى جميع خلقه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٩].

هو الولي المتولي أمور الخلق في كل زمان ومكان وحال ، هو الولي المنعم بالعطاء ،

الدافع للبلاء ، الذي كل أفعاله لمصلحة خلقه : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة / ٥١].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القديري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران / ٨٣].

ثم تولاهم بأمره الشرعي، فأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر، ثم ردوا إلى مولاهم الحق، ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويشيهم ويعاقبهم حسب أعمالهم: ﴿ وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ [١١] ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴾ [١٢] [الأنعام / ٦١-٦٢].

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يحب أوليائه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم، ويعينهم على طاعته؛ لأنهم تولوه بالإيمان به، وحسن عبادته، فتولاهم بالنصر والأمن والتمكين والتوفيق في الدنيا، وأسكنهم الجنة في الآخرة: ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [١٦١] لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٣٧] [الأنعام / ١٢٦-١٢٧].

والله ﷻ ولي من تولاه واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه واتبع هواه سلب الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥٧].

وأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة هم من استقام على التوحيد والعمل الصالح حتى الموت، فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ [٣١] نَزَّلْنَا مِن عَفْوٍ رَّحِيمٍ ﴾ [٣٢] [فصلت / ٣٠-٣٢].

ومن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوادثه إلى غير مولاه، فقد خسر دينه ودنياه: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٤] قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١٥] [الأنعام / ١٤-١٥].

ومن اتخذ الشيطان ولياً من دون الله خسر دنياه وأخراه: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [١١١] يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [١٣٠]

أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ [النساء/ ١١٩-١٢١].

واعلم بأن الله هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، بل كل شيء تحت ولايته وسلطانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فسبحان الولي الحق الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب بالهداية إلى الإسلام، ثم يغرس في قلبه الإيمان، ثم يحب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ثم يعينه على ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَةُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ [الحجرات/ ٧].

هو الولي الحفيظ الذي إذا أصابت الإنسان أمراض أو مصائب بقدر الله تكاد تهلكه حفظه وليه منها فلا تضره: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ أَمْرًا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد/ ١١].

فسبحان الولي الحميد الذي يحفظ عبده من الأخطار التي تحدق به من كل جهة، والله يتولى حفظه من بين يديه ومن خلفه بملائكة هم من أمر الله، يحفظونه بأمر الله.

وسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به مرضياً عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يوسف/ ١٠١].

واعلم أن الولاية درجات تنشأ وتعلو بحسب المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والذين صدقوا الله تولاهم مولاهم الحق فآمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في درج المقربين، فصاروا أعلاماً للهدى، يستضاء بنور علمهم، وزينة لأهل الأرض، ورجوماً للشياطين وأهل الكفر والشرك والبدع: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ [الزمر/ ٣٣-٣٤].

فسبحان من كشف لهم الحجاب، حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وقربوا من مولاهم، يقولون بالحق، ويأخذون به، ويعطون به: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الملك/ ١٢٢].

فهم في جزيل عطائه يتقبلون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع.

فسبحان من رباهم وتولاهم، إن نطقوا نطقوا خائفين، وإن سكتوا سكتوا وجلين، وإن عملوا

كفر به أو قصر في عبادته ، لم ينقصه رزقاً قسمه الله له : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

واعلم أن من لم يرض بما قسمه الله له، سلط الله عليه الدنيا يركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا يناله منها إلا ما قسمه الله له .

ومن سلّم لمولاه فيما يريد كفاه الله ما يريد ، ومن لم يسلم لربه فيما يريد شقي فيما يريد ، ثم لا يكون إلا ما يريد ربه : ﴿ فَأَمَّا يَا نِدْنَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١٣٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَنْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٣٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

ومن طلب العلم، وأتبعه بالعمل، وتفقه في دين الله، كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب بيسر وجهد قليل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

هو الولي الحميد المتصرف بمشيئته في العوالم ، النافذ أمره في ملكه الواسع ، المتولي أمر خلقه بالإحسان في كل آن من غير انقطاع ولا امتناع : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَشَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣].

وكما تولاك مولاك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى فخلقك وسواك ، وأطعمك وسفاك ، وعلمك وهداك ، ونقلك من الظلمات إلى النور ، فتول أنت عباده بالإحسان ، وكن سبباً لنقلهم من الضلال إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن سبل الهلاك إلى سبل النجاة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

كن ولياً رحيماً بالخلق ، أحسن إليهم ، وأنفق من وقتك ومالك وعلمك على من أحوجهم الله إليك ، والأجر عائد عليك : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن الله في عون العبد ما كان في عون أخيه ، فتصدق على الفقير ، وأطعم المسكين ، وارحم البائس ، واهد الضال ، واستقم كما أمرت ، يسر الله لك جميع أمور دينك ودنياك ، فللتيسير أسباب ، وللتعسير أسباب : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَكى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسْتَنْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَخِلْ وَاسْتَعْفَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسْتَنْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل/ ٤-١٠].

واقبل على طاعة مولاك يتولاك ، واحذر معصيته التي تبعدك عنه : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا

أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾
 وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
 نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فسبحان الله من عرف مولاه الحق لم يلتفت لأحد سواه من الخلق ، ومن تعلق بغيره شقي
 به : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الشورى / ٩].
 فكل كافر ومشرِك في عذاب دائم : ﴿فَلَا تَنْعَمْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿١٢٣﴾﴾
 [الشعراء/ ٢١٣].

واعلم رحمك الله أن من علامات قبولك في أوليائه ﷺ :
 أن يصونك عن الذل لغيره .. وكيفيك ما أهمك .. ويؤمّنك من سواه حتى لا تخاف غيره ..
 ولا ترجو إلا إياه .. ولا تستعين إلا به .. ولا تسأل إلا إياه : ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
 وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وأن يعينك على نفسك .. ويحيي قلبك بالإيمان .. ويشغل لسانك بذكره .. ويستعمل
 جوارحك بطاعته .. ويصرف أوقاتك بالتقرب إليه : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ
 اللَّهِ لَهُمُ الشُّرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

ويجعل لك المودة في قلوب عباده .. ويخلصك من أسر عدوه .. حتى تكون في جميع أمورك
 عبداً له وحده : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزُرًّا أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ
 رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٤].

والله ولي كل نعمة، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأطعه ولا تعصه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [هود/ ١٢٣].
 وعليك بدوام ذكر مولاك الكريم يذكرك في نفسه، وعند ملائكته، واحذر الغفلة فإنها
 تورث كل قسوة ، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربّه : ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي
 نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٥-٢٠٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمانت قلوبهم بتوحيده ، وصلحت أعمالهم بطاعته ، وازدانت أوقاتهم بعبادته ، فتقرب إليه بما يجب تكن وليه ويكون مولاك : ﴿ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فاستقم كما أمرك الله ، وادع إلى ربك ، وانصح لعباده ، ولا تخف إلا الله ، واعمل بما يحبه الله ويرضاه ، واجتنب ما يسخطه ويبغضه يحبك مولاك وينصرك على من عاداك : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) وَبِرِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قال : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ » أخرجه البخاري (١).

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨٦) [البقرة/ ٢٨٦].

﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (١٥٥) [الأعراف/ ١٥٥].
﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١) [يوسف/ ١٠١].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري (٢).

اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الرؤوف

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/ ٢٠].

الله ﷻ هو الرؤوف الحق بعباده ، فلا أحد أرف منه ، هو الرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي، فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم ويسط لهم نعمه ، لعلمهم يتوبون إليه : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥] .

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة ، ويدكرهم بأنه الغفور الرحيم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٤] .

ولشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمراً جازماً بالتوبة من كل ذنب ، في كل وقت ؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور / ٣١] . وهو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق بما يسر لهم من الأرزاق ، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة : ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل / ١٣] .

ومن رأفته بعباده أن بين لهم طرق الخير والفلاح ، ويسر لهم سبلها، ورغبهم فيها ، وأثابهم عليها، وحذرهم من سبل الغي والفساد، ليسلموا من العقوبات : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران / ٣٠] .

ومن رأفة الله بالناس ما فتحه لهم من أبواب الرزق في الأرض: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك / ١٥] .

ومن رأفته ﷻ بعباده أن سخر لهم الأنعام يركبونها، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون أوبارها: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [٥] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [٦] ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّا تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/ ٥-٧] .

ومن رأفته ومنتته ورحمته بالناس في هذا الزمان ما يسر لهم من المراكب المريحة الجميلة كالسيارات والقطارات والطائرات والسفن ووسائل الاتصال ، وفنون الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها مما سهل سبل العيش: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل / ٨] .

فسبحان الملك الرؤوف الحق الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أوليائه في الآخرة. وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، وخص هذه الأمة بأفضل رسله الذي جمع محاسن الأخلاق ، وأنزل عليه أحسن كتاب ، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

فما أعظم إشفاقه ﷺ على الكفار من أجل إعراضهم، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين والخلق أجمعين .

والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم ، ويغفر ذنوبهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٠] .

فسبحان الملك الحق الذي أنزل على عباده الحق، ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد / ٩] .

واعلم أن رأفة الله بالخلق ظاهرة في كل تدبير ، والرأفة شدة الرحمة ، بل هي نهاية الرحمة ، فلكمال رأفة الله بالإنسان يسوق إليه كل ما ينفعه ، ويشفق عليه من كل مكروه يحل به ، ويدفع عنه السوء الذي يضره : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكَاثُرِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

فالرأفة بالعبد قبل أن يقع المكروه ، والرحمة بعد أن يقع المكروه .

ومن رأفته سبحانه أن يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية ، فإذا وقع في المعصية رفع عنه العقاب برحمته ، فالرأفة فيها معنى الوقاية ، والرحمة فيها معنى العلاج .

فسبحان من رأفته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته ، ويرحم من أذنب منهم بالعتو عنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس / ٦٠] .

هو الرؤوف الرحيم الودود الذي بآياته ومخلوقاته يدل الناس عليه ، وبنعمه وإحسانه يجرهم للثناء عليه ، وبالفتن والمصائب يرجعهم إليه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد/ ٢].

واعلم أن المصائب والشدائد كلها عصى بيد الله يؤدب بها النفوس ، ويسوق بها الناس إليه ، فالخوف يدفع الإنسان إلى ربه ، والشدائد والمحن تسوقه إلى بابه ، فمن تاب نجاة ، ومن أعرض هلك ، وما يتذكر إلا من ينيب : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٢-٤٤].

فسبحان الرؤوف الرحيم الذي يتفضل على عباده بكل نعمه ، ويستتر ما يرى من العيوب ، ويعفو عما ستر من الذنوب : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

واعلم أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على مَنْ كفر به وعصاه، ولا يعاجله بالعقوبة، لعله يتوب إليه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/ ١١٠].
وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهل لعله يتذكر وينيب ويتوب : ﴿ أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل / ٤٥ - ٤٧].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أواباً إليه ، متوجعاً من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته ، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ ، وعلمه بضعفه وما يقاسي منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر / ٢٢].

فالعبد بين هذه النوازع والفتن والغفلة موضع للرافة والرحمة ، وأن يُشفق لحاله ، ويُرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمته بخلقه، وما أعظم رأفته بهم، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأناعام / ٥٤] .

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم الذي نعمه عليه كثيرة متوالية ، وهو مُكِب على إجرامه ، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه: ﴿أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ [١٦] أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ [١٧] وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [١٨]﴾ [الملك / ١٦-١٨] .

• التبعّد لله ﷻ باسمه الرؤوف :

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به، والتطهر له، والعمل بما يحبه ويرضاه ، وعلى قدر ارتقائك في التبعّد له بمقتضى أسمائه وصفاته على طريقة رسوله ﷺ يكون قربك منه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَابِكُمْ وَمَثَبَكُمْ﴾ [محمد / ١٩] .

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك، والإحسان إليك، ولطفه ورأفته ورحمته بك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

فاذكره يذكرك ، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته يحبك ، وكن له يكن لك ، والبس له لباس التقوى تظفر بكل ما تحب وترضى في الدنيا والآخرة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣] .

وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » متفق عليه (١) .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

واعلم أنه كما مَنَّ عليك الرؤوف الرحيم بالنعمة الظاهرة والباطنة فيجب عليك أن تكون بالناس رؤوفاً رحيماً ، فتدلهم على كل خير ، وتحسن إليهم بالقول والفعل ، وتدفع عنهم ما يضرهم : ﴿ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنِفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ؕ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝۷ ﴾ [الحديد/ ٧].

وكن رؤوفاً بالعباد يرأف بك رب العباد، وليكن حظك من هذا الاسم الكريم الرأفة والرحمة بالخلق : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝۱۲۸ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

واعلم أن الله لعظيم رأفته ورحمته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه، وأعرض عنه ، وعمل بما يسخطه ، وأصر على ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّٰهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُضْرُوا بِاللّٰهِ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَلِهِمْ ۝۳۲ ﴾ [محمد/ ٣٢].

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش وهو يراك، فإن عفوه كريم، وأخذه أليم شديد : ﴿ نَحْيَ عِبَادِيَ اتَّبِعِي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ [الحجر / ٤٩ - ٥٠].

ومن رحمة الله بعباده ورأفته بهم أنه يذودهم عن مراتع الهلكات ، ويمنعهم موارد الشهوات ، ويحميهم من مجالس الغفلات ، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر أقال عثراتهم ، ونبههم من سِنَّةِ غفلاتهم ، فانتبه لنفسك ، واعلم أن كل شيء بقدر ، وتب إلى ربك واستغفره تنال بره وإحسانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ۝٢٠١ ﴾ [الأعراف/ ٢٠١].

فسابق وسارع إلى طاعة مولاك بما أعطاك ابتغاء رضوانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْءٰبِءَادِ ۝٢٠٧ ﴾ [البقرة/ ٢٠٧].

والله ﷻ حكيم عليم ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم والمنع لهم ونحو ذلك مما يشغلهم عنه، وينسيهم إياه، من كثرة الأموال التي تشغل المخلوق عن الخالق إلا من عصم الله : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَيْنَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [المؤمنون/ ٥٥ - ٥٦].

فسبحانه ما أحكمه في تدبيره، فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضراء، وهو بغاية الرحمة، تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ

ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ [غافر/ ١٣-١٤].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر / ١٠].

« اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه^(١).

اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك ، وتقضي آجالنا في طاعتك ، وتشغل ألسنتنا بذكرك ، وتستعمل جوارحنا في عبادتك، يا رؤوفاً بالعباد .

اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، ودوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

اللهم أنت الرؤوف الذي جذبت إليك القلوب بحسن أسمائك وصفاتك ، وأنت الرحيم الذي وسعت رحمتك المطيع والمخالف ، ارزقنا حسن الرأفة بخلقك يا رؤوف يا رحيم .

اللهم حب الي العطف على كافة الخلق حتى أحب الهدى للكافرين ، وأتمنى التوبة للعاصين ، وأستغفر للمسيئين ، وأطلب السعة للمحتاجين ، وأنال قسطاً من ميراث سيد المرسلين ، إنك أنت الرؤوف الرحيم .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له .

المستعان

قال الله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنبياء/ ١١٣].

الله ﷻ هو الملك القادر المستعان الذي يُعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين، والظهير، والشريك، والوزير، وكل أحد: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

وهو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فله الحمد على نعمه وفضله ورحمته بعباده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وهو سبحانه الحي القيوم المستعان الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به، بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود لهم إلا به: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعٰبِدَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له، والخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وعونه: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١].

واعلم رحمك الله أن المستعان هو الله وحده لا شريك له.

فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات وترك المعاصي فدأبهم دائماً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة / ٥].

أما أهل المعصية فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعته إلى معصيته، أعانه على معصيته فتوجه إليها بعونه، وحرمه سبحانه العون على الطاعة فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف / ٥].

فالخلق كلهم مُصَرَّفون في حركاتهم وسكناتهم بقدرته الله وعونه ومشيتته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

والإنس والجن مُصَرَّفون في طاعاتهم ومعاصيهم بقدره الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية، أو بجنود الشياطين المضلة، فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام/ ١١١].

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، واجتناب معصيتك، والفقهاء في دينك: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

واعلم أن الاستعانة بالله تقوم على أصلين:

أحدهما: الثقة بالله وحده .. الثاني: الاعتماد عليه وحده.

فالإنسان قد يثق بغيره، ولكنه لا يعتمد عليه في أموره؛ لاستغناؤه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به؛ لحاجته إليه.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، بيده كل شيء، وهو المستعان في كل شيء، والعبد ليس بيده شيء، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه المستعان:

اعلم وفقك الله لِمَا يحبه ويرضاه أن الله هو المستعان وحده لا شريك له، وأن الاستعانة هي طلب العون من الله، والإنسان ضعيف عاجز محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على الابتلاءات، فاستعن بالله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

فمن استعان بالله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان

به ، فصار مخذولاً من جهة من استعان به ، ليقطع رجاءه من سواه ، ويعود إلى مولاه: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء/ ٢١٣] .

واعلم أن من استعان بالله فهو المحمود المنصور، ومن استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو المذموم المخذول: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء/ ٢٢] .
والله سبحانه هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل / ٧٩] .

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها ؛ لاحتياج العبد في جميع أموره وأحواله، وأعماله وعباداته، إلى الاستعانة بالله الرحمن المستعان كما قال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٢ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ٣ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ٤ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ ﴿ [الفاحة/ ٢-٥] .

واعلم أن قلب الإنسان يعرض له مرضان عظيمان هما: الرياء والكبر ، وإذا لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ، فدواء مرض الرياء ب (إياك نعبد).. ودواء مرض الكبر ب (إياك نستعين) .
وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء ب (إياك نعبد) ، وعوفي من مرض الكبر والعجب ب (إياك نستعين)، وعوفي من مرض الجهل والضلال ب (اهدنا الصراط المستقيم) فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورَفَلَ في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ ١٧ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَولو الْأَلْبَابِ ﴾ ١٨ ﴿ [الزمر/ ١٧-١٨] .
وهؤلاء هم المنعم عليهم الذين عرفوا الحق واتبعوه، غير المغضوب عليهم الذين هم أهل فساد العمل والقصد كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه.

وغير الضالين الذين هم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال كما قال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٢ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ٣ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ٤ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ٦ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ٧ ﴿ [الفاحة / ٢-٧] .
والاستعانة جزء من العبادة ، والعبادة حق الله الذي أوجبه على عباده.

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ٤٠ ﴿ الَّذِينَ إِذْ مَكَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا

الصَّلَاةُ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠ - ٤١].
والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام :

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم من اتبعهم بإحسان.

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله، وهؤلاء هم شر البرية.

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله.

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنفع والضرب، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا مع ما يحبه الله ويرضاه، ومع ذلك توكلوا عليه، واستعانوا به على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أعطوه من جنس المُلْك والمال لا يدل على الإسلام، فضلاً عن الولاية والقرب من الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ مُّضْعَفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ [سبا/ ٣٧].

فاستعن بالله في جميع أمورك يعينك، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه، وعلم الجاهل، واهد الضال، وارحم المسكين تكن ربانياً: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرَ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَكَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَسِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

« اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود^(١).

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم لا يهدي إلى الحق إلا أنت، ولا يعين على الحق سواك، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك، أعنا على فعل الخيرات كلها، وترك المنكرات كلها، يا أرحم الراحمين.

(١) صحيح / أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٧١) وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢).

الستير

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ حَيٌّ سِتِيرٌ، يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ » أخرجه أبو داود والنسائي ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَسْتِرُّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » أخرجه مسلم ^(٢).

الله صلى الله عليه وسلم هو الستير الحق الذي يستر الكثير من عورات عباده، ولا يفضحهم في المشاهد. وهو سبحانه الحيي الستير الذي يستر على عباده كثيراً من العيوب والقبايح، ولا يفضحهم وهو قادر، لعلمهم يتوبون إليه: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٧٤].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها، ودعا أهلها للاستغفار منها فقال: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه الستير الذي يستر عيوب عباده مهما كانت مشينة. هو سبحانه الستير الرحيم الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرحة الظمان الوارد، والعقيم الوالد، والضال الواجد.

من تاب إليه توبة نصوحاً فرح به، وأنسى حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياها وذنوبه. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَسْقُطُ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ » متفق عليه ^(٣).

هو الستير الذي يغفر جميع الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن جميع السيئات مهما كثرت: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر/ ٥٣].

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي أظهر الجميل ، وستر القبيح ، وجبر الكسير ، وشفى المريض ، وأطعم المسكين : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٢] .

وهو سبحانه الستير العليم بكل شيء ، الذي يستر سوات عباده ، ولا يفضحهم ولا يخزيهم ، ولا يظهر للناس ما يشينهم ؛ لعلهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣٣٥) [البقرة / ٢٣٥] .

فسبحان الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم ، ويسترهم إذا أذنبوا ، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته ، وإنزال عقوبته به ، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه ، ويوفقه للندم والتوبة ، ويعفو عنه ، ويغفر له : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢٥) [الشورى / ٢٥] .

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده ، ويحب من عباده الستر على أنفسهم ، والستر على غيرهم إذا زل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » أخرجه مسلم ^(١) .

وقد رغب الله عباده في الستر ، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي ، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصياً لله ، والله يستره ، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » متفق عليه ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٩٩٠) .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الستير:

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدنيا عبادته بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإذا علمت أن الله حلِيمٌ سِتِيرٌ يحب الستير، ويأمر بالستر، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربّه، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله وصالحى المؤمنين، وفيه صَرْبٌ من العناد والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه، وبين خلقه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر/ ٨].

وفي الإستتار بالمعاصي السلامة من الفضيحة، والذلة بين الناس، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير عليه، وامثال أمر الذي يعلم السر وأخفى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود/ ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربّه فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من العقوبة، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ بَرُّءٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران/ ٣٠].

فاستر نفسك تسلم، واستغفر ربك يغفر لك، فإنه ما سترك إلا ليغفر لك، ويصون عرضك. فبادر بالتوبة إليه، فإنه غفور يغفر الذنوب جميعاً، شكور يبدل السيئات بالحسنات، ثم يضاعفها: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ، فَيَمْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ نَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَعْفُرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٥)، ومسلم برقم (٢٧٦٨) واللفظ له.

واجتنب الذنوب كلها ما ظهر منها وما بطن ، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله ، وتب إلى الله منها فهو التواب الرحيم، الذي سترك ليغفرلك : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

وتجنب جميع أبواب الرذائل، واحذر دروب ومجالس الفساد والضلال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِئَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٦٨] .

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك، ويصون عرضك، ويؤمّن روعتك ، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة.

واستر على عباد الله، وتجنب هتك أستارهم، ولا تتبع عوراتهم ، فإنّ من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن يتبّع الله عورته يفضحه في بيته: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

واعلم أنه كلما زاد إيمان العبد أظهر المحاسن ، وستر القبائح ، وستر العيوب من نفسه ومن غيره. فاسترحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله ويستر عليك في الدنيا والآخرة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال: « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه^(١).

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب ومفارقتها، وإذا ألمت بشيء منها فاستر نفسك، وبادر إلى التوبة منها، وأتبعها بالحسنة تمحها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ، فقال الرجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلِي هَذَا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق عليه^(٢).

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران / ١٤٧] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) .
(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٧٦٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم/ ٤١].
 ﴿ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [٨٠]

[الإسراء / ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّيَّ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِيَّ وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١) .

اللهم يا خيراً بفقرى وفاقتي ، يا عليماً بضري ومسكتتي ، يا من بيده ناصيتي ، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله ، ومن كل رزق تبسطه ، ومن كل ذنب تغفره ، ومن كل خطأ تستره ، يا أرحم الراحمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، يا ذا الجلال والإكرام .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦) .

الرفيق

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرَّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الرفيق العظيم الرفق ، الذي يُسهل الأمور، ويُيسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْدٌ مَّجَثُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/٥٢-٥٣].

وهو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/٦٥].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يُعجل بعقوبة العصاة ؛ ليتوب من سبقت له العناية ، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الرفيق بعباده ، الذي ليس بعجول على من عصاه ، وإنما يُعجل من يخاف الموت أو الفوات .

أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء فليس من شأنه العجلة ؛ لأنه القاهر لكل قاهر ومقهور : ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/٤].

وهو سبحانه الرفيق في أفعاله ، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعة واحدة بأمر واحد، في لحظة واحدة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه.. اللطيف في تدبيره.. الحليم في فعله.

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدرج .

يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف ، ويأتي بالحر بعد البرد ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويُجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك : ﴿وَأَيَّاهُمْ إِلِيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا
اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس/٣٧-٤٠].

ويصرف سبحانه الرياح في الجو، ويصرف المياه بين السماء والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَالًا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف/٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يُخرج المواليد من الأرحام، ويُخرج الثمار من الأشجار، ويُخرج
الحب من النبات: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَيْنَهُ إِذَا فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام/٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم؛ ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرفه،
ويحكمه بأمره، وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة، ويعيد
الخلق كما بدأه: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكُمْ لَمُحِي الْمَوْتَى
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم/٥٠].

وهو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلم يكلفهم بما لا يطيقون،
ولم يحملهم ما لا يستطيعون، الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة، وأسقط عن
عباده كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيراً من الأحكام في حال المشقة
والحاجة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة/١٨٥].

كل ذلك رخصة لهم، ورحمة بهم، ورفقاً بهم؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده.

هو الكريم الذي اجتنبى هذه الأمة لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ
أَحَبُّنَا وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ لِتَتَّقُوا اللَّهَ وَتَرْضَوْا وَأَنْتُمْ
لَا تُكْفِرُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَبِيًّا فَتُوبُوا وَأَقْبَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ
مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/٧٨].

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعة واحدة، بل تدرج بهم من
حال إلى حال حتى تألف النفوس، وتلين الطباع، ويتم الانقياد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

ومن رفقته سبحانه إمهال ركب الخطيئة ، ومقترف الذنب ، وعدم معالجته بالعقوبة ، لعله ينيب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَأَعَجَلَ لَكُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ [الكهف/ ٥٨].

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ؛ لشناعة ما يرتكبونه ، ولكنه الحليم الرفيق الذي لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ [فاطر/ ٤٥].

ومن رفقته سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدى وشفاء ، ورحمة وسماحة ، وتذكير وموعظة: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » متفق عليه^(١).

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رفيق ، وخص أوليائه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ [النساء/ ٣٦].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرفيق :

اعلم أن الله ﷻ رقيق يحب الرفق في الأمر كله ، ومظاهر رفقته ظاهرة في العالم كله. ورسوله محمد ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقته في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه بحسن خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: « دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ » أخرجه البخاري^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق ، ورسولنا إمام أهل الرفق ، وديننا كله رفق ويسر .
 فعليك بالرفق في جميع أمورك ، في عبادتك ، ومعاملتك ، ومعاشرتك ، وجميع أعمالك ،
 يحبك الله ورسوله وخلقته : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا
 مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أن الرفق زينة الإنسان ، والعجلة من الشيطان .
 عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ
 شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم^(١) .

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة .
 والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، ومن حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير .
 فاحرص رحمتك الله أن تكون رفيقاً في أمورك كلها ، بعيداً عن العجلة والسرعة ، والتهور
 والاندفاع ، والغضب والتكلف ، فالعجلة في الأمور من الشيطان ، والرفق صفة الرحمن ،
 وحلية أهل الإيمان : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة/ ٧١].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ » أخرجه مسلم^(٢) .
 ارفق بنفسك ولا تحمّلها ما لا تطيق ، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله ، ولا تزد في عمل زيادة
 تفعدك عن غيره ، ولا تخرج عن السنة إلى الشدة والتكلف : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ
 الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/ ٢٨].

وارفق بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق ، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ،
 وخالق الناس بخلق حسن تلقى أحسن منه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٣٣]
 [الأعراف/ ١٩٩].

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢) .

وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ [يونس / ٢٦].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة / ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة / ٢٨٦].

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي ، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » متفق عليه (١) .

اللهم يا عظيم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا حليماً على من عصاه ، يا سميعاً لمن دعاه ، يا رقيقاً بمولاه ، نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) ، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له .

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الخامس

أسماء الله الحسنی الدالة على الخلق والرزق ،

والإكرام والإحسان [٧٠ - ٨٥]

وتشتمل على ما يلي :

(الخالق ، الخلاق) ، (البارئ) ، (المصور) ، (الغني) ،
(الرزاق ، الرازق) ، (الكريم ، الأكرم) ، (الوهاب) ، (الكافي) ،
(الكفيل) ، (البر) ، (المقيت) ، (الواسع) ، (الشافي) .

الخالق .. الخلاق

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس / ٨١-٨٢] .

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له ، الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته ، وصورها بإرادته ، وحكمها بأمره : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

وهو ﷻ الخالق الذي خلق كل شيء ، ولا يزال يخلق ما شاء ، متى شاء ، كيف شاء : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الفصص / ٦٨] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق ويخلق ما لا يحصىه إلا هو من المخلوقات ، والأشياء ، والذرات ، والأنفس ، والثمرات ، والأجرام ، والأفلاك : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر / ٨٦] . وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة / ١١٧] .

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور الذي خلق كل شيء ، وأحسن صورته . خلق العرش والكرسي .. وخلق السموات والأرض .. وخلق الدنيا والآخرة .. وخلق الشمس والقمر .. وخلق النجوم والكواكب .. وخلق الليل والنهار .. وخلق الأرواح والملائكة .. وخلق الهواء والرياح : ﴿ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الخالق الذي خلق السحب والمياه ، وخلق الجماد والنبات ، وخلق الطير والحيوان ، وخلق الجن والإنسان ، وخلق السهول والجبال ، وخلق البحار والأنهار ، وخلق العيون والآبار : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعَمْرِ قَوْمِهَا وَآلِهَا فِي الْأَرْضِ رَوَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان / ١٠-١١].

وهو سبحانه الخالق العظيم الذي خلق جميع الذرات ، وخلق قطرات الأمطار والبحار، وخلق أصناف النبات ، والأشجار ، والأوراق ، والأزهار ، والثمار ، وخلق أنواع الحيوان ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات ، والذرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الخالق العليم الذي خلق جميع المخلوقات ، وأتقن صنعها ، وأحسن خلقها: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة / ٦-٧].

فسبحان الخالق العظيم، الخالق العليم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدراً في الحجم، ولوناً في الشكل، وحكمة في الخلق.

فمنها العالي والسافل .. ومنها الكبير والصغير .. ومنها الطويل والقصير .. ومنها الرطب واليابس .. ومنها السائل والجامد .. ومنها القوي والضعيف .. ومنها الناطق والصامت .. ومنها الحي والميت .. ومنها الذكر والأنثى .. ومنها المتحرك والساكن .. ومنها العذب والمالح .. ومنها الثابت والنامي .. ومنها اللين والقصي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

وسبحان الخالق العظيم الذي أحكم وأحسن خلق ما خلق ، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله ، فضلاً عن أن يخلقوا أحسن منه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام / ١٠١].

بل الخلق كلهم لو اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذباباً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْتَأْذِنُ الْذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج / ٧٣-٧٤].

والله ﷻ هو الرب الخالق الذي خلق المخلوقات كلها ، وتفرد بالملك والخلق وحده ، ودبر وحده أمر الممالك والخلائق في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وأجرى

عليهم أحكامه الكونية وأحكامه الدينية وحده لا شريك له: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

وهو سبحانه الخلاق العليم الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت / ٦٠].

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الخلق، ويعيظهم بعد موتهم في لمحة واحدة كخلقه نفساً واحدة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان / ٢٨].

فسبحان الخلاق القوي القهار، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾ [أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنته في الأرض وإنا على ذهابٍ بهٍ لَقَدِيرُونَ] ﴿١٨﴾ فأنشأنا لكم بهٍ جنتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرةٍ ومنها تأكلون ﴿١٩﴾ [المؤمنون / ١٧-١٩].

وسبحان الخالق لكل شيء، البارئ لكل شيء، المصور لكل شيء، المبدع لكل شيء.

هو الخلاق عظيم الخلق، كثير الخلق، حسن الخلق.

خلق السموات والأرض، وخلق المجرات والجمال، وخلق الليل والنهار، وخلق كل

شيء: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون / ١٤].

فسبحان القادر على كثرة الخلق عدداً، القادر على عظمة الخلق نوعاً، القادر على حسن الخلق شكلاً.

هو الخالق الذي قدر خلق كل شيء، البارئ الذي أوجد كل شيء من عدم، المصور

الذي أعطى الصور الحسنة لكل مخلوق، المبدع الذي خلق كل شيء على غير مثال

سابق: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْعَلِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤].

واعلم أن الإنسان يخلق الشيء من الأشياء الموجودة على مثال سابق، ويسمى خالقاً مجازاً.

واعلم أن الناس بفطرتهم يعلمون أن خالق الكون وما فيه هو الله، وكذلك إبليس يعلم،

ولكن لا يعرفون عن الله العظيم ما يجعلهم يعبدونه ويطيعونه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَابِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/١٩].

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله إذا حمل العبد على طاعة الله فهو كاف للفوز بالجنة والنجاة من النار .

أما إذا كان الإيمان بحجم لا يكفي لحمل الإنسان على طاعة الله فذلك هو الخسران المبين كإيمان إبليس والكفار : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان/٢٥].

فلا بد للمؤمن من تقوية الإيمان بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ، ومجاهدة النفس على فعل الأوامر، ليسارع العبد إلى أنواع الطاعات ، ويكف عن المعاصي والشهوات المحرمة : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/١٣٦].
واعلم أن معرفة أسماء الله الحسنى شيء ، وفهمها شيء آخر ، وأن يعيشها الإنسان ويتصف بها شيء آخر فوق ذلك : ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/١٨٠].

وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ بِنَزْلِ الْأَمْرِ يَبْنِيهِنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/١٢].

خلق سبحانه خلقاً في البر لا يعلم بهم أهل البحر، وخلق في البحر خلقاً لا يعلم بهم أهل البر . وخلق في السماء خلقاً لا يعلم بهم أهل الأرض ، وخلق في الأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء . وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل السماء والأرض ، وخلق في السماء والأرض خلقاً لا يعلم بهم أهل الجو : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/١٠٢].

وخلق ﷻ من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، أمماً وقبائل وشعوباً ، لا يعلمها ولا يحصيها ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علماً : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/٥٩].

والكل خلق الله .. والكل مُلك الله .. والكل عبد الله .. والكل جند الله .. والكل يشهد بوحدانية الله .. والكل يسبح بحمد ربه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك ، وتعرّف على أسماء وصفات من تعبد : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

واعلم من تجالس ؟ وماذا تقول ؟ وماذا تعمل ؟ وماذا تبني ؟ وماذا تهدم ؟ وماذا تربح ؟ وماذا تخسر ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ خلق كل شيء بأمره الكوني فكان ، وهو القادر على كل شيء ، الذي يفعل ما يشاء مقرّوناً بالحكمة والرحمة والعدل والإحسان .

أحياناً يخلق ويرزق بالأسباب كما يخلق النبات بأسبابه ، والحيوان بأسبابه ، والآدمي بأسبابه : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ [الطارق/ ٥-٨].

وأحياناً يخلق ويرزق بلا أسباب كما رزق مريم ابناً بلا ذكر ، وطعاماً بلا شجر : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

وأحياناً يظهر قدرته على الخلق بضد الأسباب كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ : ﴿ قُلْنَا نَارُ كُوفٍ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنبياء/ ٦٩-٧١].

فأظهر الخالق قدرته في هذا ، وأخفى قدرته في ذلك ؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء ، فيعبده وحده لا شريك له ، ولا يتعلقوا بأحد سواه : ﴿ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

وخلق ﷻ الإنسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها ؛ تشريفاً له على غيره : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ [ص/ ٧١-٧٤].

فخلقه من تراب ، ثم جعل نسله من ماء مهين ، ثم أخرجته من بطن أمه مختلف الألوان ، والأطوال ، والأشكال ، والأحجام ، والألسن ، والصفات .

فذكر وأنثى .. وطويل وقصير .. وأبيض وأسود .. وسمين ونحيف .. وذكي وغبي .. وعاقل ومجنون .. ورحيم وشديد .. وعربي وعجمي .. وبصير وأعمى .. وسميع وأصم .. وناطق وأبكم .. وكريم وبخيل .. وحسن وقبيح .. ومؤمن وكافر .. ومحسن وظالم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ [يس/٣٦] .

فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي أظهر قدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون/١٢-١٤] .

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن البذر والغرس في أرحام الأرض كنطفة الذكور في أرحام الإناث ، فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم حسب التقدير السابق بكون كل شيء أرادته الله ، استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق ﷻ شكلاً ونوعاً وعدداً .

فقال سبحانه في خلق الإنسان : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجَهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ [الشورى/٤٩-٥٠] .

وقال سبحانه في خلق الحيوان : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٤٥﴾ [النور/٤٥] .

وقال سبحانه في خلق النبات : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿١١﴾ [النحل/١٠-١١] .

وهو سبحانه الخالق القادر على كل شيء ، الخالق الذي بدأ الخلق كله ، ثم يعيده كله كما كان إظهاراً لقدرته : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٧﴾ [الروم/٢٧] .

هذا ربي وربك الخلاق العليم ، فاعبده ولا تلتفت لما سواه : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا فَأَعْبَدُهُ وَاضْطَرَّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعَلَّمْ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حَكَمَ على كل نفس بالموت ، وقضى على كل مصنع بالخراب ، وقهر كل متحرك بالسكون ، وحكم على كل موجود بالفناء: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيَّاهِ فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

والله ﷻ خلقنا للبقاء لا للفناء ، لكن حَكَمَ علينا بالموت والفناء فرقاً بين الرب والمربوب ، وتمييزاً للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت ، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة ، والثواب والعقاب : ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس / ٤].

فسبحان من خلق الإنسان، ثم حكم عليه بالموت ؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني ، ثم يعيده بعد الموت ، ليبقى في حياة لا يفنى بعدها أبداً : ﴿يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا نُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ [التغابن/ ٩-١٠].

وقد جعل الله لكل مخلوق بداية ونهاية، ليدل بذلك على حدوثه ونقصه ، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية ، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [الحديد / ٣].

فانظر رحمك الله إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة ، لتعلم أن بعد هذه الحياة موت ، ثم بعد الموت بعث ، ثم بعد البعث حساب ، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت/ ١٩-٢٠].

ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة ، ويساق الكفار إلى النار : ﴿يَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الروم / ١٤-١٦].

فسبحان الخالق القادر على كل شيء ، الذي خلق فأبدع ، وصور فأحسن ، وصنع فأنتن ،

وقدّر فهدى ، وحكّم فعدل ولطف وأحسن الإحسان كله : ﴿ ذَلِكْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

والله سبحانه هو الخالق البديع الذي بدع كل شيء أولاً ، فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله ، الخالق الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ [البقرة/ ١١٧].

والله سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء ، الخالق الذي أبدع أول كل شيء ، وصور أول كل شيء ، وأحسن صورة أول كل شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ [الحديد/ ٣].

هو البديع في ذاته فلا يشبهه شيء من خلقه ، هو الخالق الذي ليس كمثلته شيء في الخلق : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى/ ١١].

وهو البديع في خلقه ، فقد خلق جميع المخلوقات وأبدعها على غير مثال سابق . وهو البديع في أفعاله الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

واعلم أن حظ كل مؤمن من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يكون مسلماً مؤمناً ، كريماً رحيماً ، عفواً حليماً ، لطيفاً ودوداً .

أما حظه من اسم البديع فهو أن يظهر كل سنة ، ويسبق إلى كل طاعة ، ولا يبتدع شيئاً لم يرد به الشرع في العقيدة والعبادة والدعوة والسلوك وغير ذلك : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ قَدُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَفَوْا اللَّهَ إِنَّا اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن البديع ﷻ خلق الإنسان فرداً لا شبيه له ، وأعطاه حرية الاختيار والإرادة ، وأذن له أن يجتهد ويبدع فيما لم يرد فيه نص : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء/ ٥٩].

فسبحان البديع الذي أبدع خلق كل شيء ، وأذن للإنسان أن يبدع أشياء في مجال عالم الجماد والنبات والحيوان بالتصنيع والتهجين : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ ﴾ [العلق/ ١-٥].

ومنع وحذر الإنسان أن يبتدع في الدين شيئاً لم يرد به الشرع : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٤٤ ﴾ [الأنعام/ ١٤٤].

وهو سبحانه البديع الحق الذي له الجمال كله ، الذي زين السموات والأرض ، الذي أضاءه من بنوره العظيم ، وأمسكهن بقدرته القاهرة : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور / ٣٥] .

فانظر رحمك الله إلى عجيب إبداع الخالق العظيم ، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض وما بينهما وما فوقهما من العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، وما بين السماء والأرض من الرياح والسحب ، والنجوم والأفلاك ، والشمس والقمر : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣] .

كيف سخر الملك القادر كل ذلك بأمره ، وصرف تلك المخلوقات بمشيئته ، في طلوعها وغروبها ، وخنوسها وكنوسها ، واجتماعها وافتراقها : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فِإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس / ٣٧ - ٤٠] .

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم من الملائكة ، والجن ، والإنس ، والروح ، وأنواع الجماد ، والنبات ، والحيوان : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُنْجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠١ - ١٠٢] .

وإن أردت متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان ، فانظر رحمك الله إلى عجيب خلق الله لهذا المعرض العظيم ، والصنع البديع ، وكيف ملأه الخلاق العليم بعجائب المخلوقات : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١] .

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥] .

وإنما يعجب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت ، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية

الذي خلقه وأبدعه وصوره : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَأْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

عن أي علم كان هذا الملكوت العظيم؟ وعن أي قدرة أظهره الخلاق العليم؟ وعن أي قوة قهر ما قهره؟ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر/ ١٧].

فسبحان الخالق الحق الذي خلق الخلائق كلها، ودير الأمور كلها، وأخرج الكون من العدم بقدرته، وأثار الكون بنوره، وملاه بآثار رحمته، وجزيل نعمه، حتى ذلت العقول لعظمته، وتصاغرت لكبريائه، وخشعت لجبروته، وقتت لعزته، وسجدت لجلاله، وسارعت إلى طاعته وعبادته : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الخالق :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات، ليظهر لعباده كمال قدرته، وسعة علمه، فإذا عرفوا العظيم حقاً، الكريم حقاً، أحبه حقاً، ثم عبدوه حقاً : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا كان الله هو الخالق وحده لا شريك له فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم / ٤٠].

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره، وعدل به سواه فقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ [الأنعام / ١].

فحمد الله على نعمة التوحيد والإيمان، ونعوذ به من كفر الكافرين، وشرك المشركين، وضلال الضالين : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأعراف/ ١٩٠-١٩٢].

ومن نَوَّرَ اللهُ بصيرته بالإيمان لم ير في الكون إلا اثنان :

مَلِكٌ وَعَبِيدٌ .. وَخَالِقٌ وَمَخَالِقٌ .. وَغَنِيٌّ وَفُقَرَاءٌ .. وَقَوِيٌّ وَضَعْفَاءٌ .. وَعَزِيزٌ وَأَذْلَاءٌ : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [١٠٤/ الأنعام/ ١٠٤].

فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق فعليه أن يُمعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض ؛ لتلوح له دلائل قدرة الخلاق العليم ، وحكمته في صنعه في خلق السماء المرفوعة ، والأرض المفروشة ، وأصناف النبات ، وأنواع الحيوان ، وأقسام الجماد ، وعجائب خلق الإنسان : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُدْئِي اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [١٩] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت/ ١٩-٢٠].

وهذا النظر والتفكير من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، وأفضل أنواع العبادة : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] ﴿ [ق / ٦ - ٨] .

واعلم أن الملك الحي القيوم الذي يُنزل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضرر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده، إكراماً لهم ، وإحساناً إليهم ، وتشريعاً لهم ، وعناية بهم ؛ ليكونوا في الدنيا هم خلفاء الأرض بحسن عبادته ، وتنفيذ أوامره ، وليصلوا إليه بعد الموت بأحسن صورة وعمل ، فيجزئهم يوم القيامة بالجنة والرضوان ، لحسنهم وإحسانهم : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٦] ﴿ [يونس / ٢٦] .

ويجعلهم ربهم يوم القيامة بالقرب منه كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [٥٥] ﴿ [القمر/ ٥٤ - ٥٥] .

فسبح بحمد ربك العظيم ، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ولا تدعي القدرة على أعمالك ، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك ، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير ، ولا ما صرفه عنك من الشر وقل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٧] ﴿ [الفاتحة/ ٢-٧] .

واعبد ربك بما ورد في شرعه ، وأحسن عبادته ، وإياك أن تبتدع شيئاً يقطعك عنه ، ويُرد عليك
إثمه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثَلُّكُمْ يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا
وَلَا يُتْرِكْ عِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

وأظهر كل سنة ، وسابق إلى كل فضيلة ، وسارع إلى كل مكرمة : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١].

وعن جرير بن عبد الله ؓ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعَمِلَ بِهَا
بَعْدَهُ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً
سَيِّئَةً ، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرَمَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ »
أخرجه مسلم^(١).

وارتبط وفقك الله وربط ، واصبر وصابر واصطبر لعبادة ربك العظيم ، فعن قريب
يُرجعك إليه ، ويجزيك بأحسن ما عملت ، ويقدمك على أكرم ما قدمت : ﴿ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٠٠].

واقنت لربك الأعلى ، واسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ، فهو أحق من عبد ، وأرحم من ملك ،
وأكرم من أعطى ، وأعظم من خلق : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ
تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجة عليك يقطعك عن ربك ، ويشغلك عن عبادته ،
بل استعن به على ما يحبه ويرضاه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا
لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

واعبد ربك الخلاق العليم الذي خلق الخلائق ، وقدر المقادير ، وأحسن الخلق ، وأحكم الصنع ،
فلا رب لك سواه ، ولا إله لك غيره : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

ومن أراد أن يعبد الله حقاً فليعرفه حقاً : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [يونس / ٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر / ١٠].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أنت الملك الحق ، القوي القدير ، الخلاق العليم ، الغفور الشكور ، لا إله إلا أنت ، ولا رب لنا سواك ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور .

اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

البارئ

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي بَرَأَ الْبَارِئَ الْمَصُورَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله ﷻ هو الخالق البارئ الذي خلق كل شيء، وبرأ وأوجد كل شيء.

وهو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات، وبرأ جميع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والنسمات، والهيئات، والحركات، وأظهرها كما قدرها وعلمها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ الذي برأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال سابق، الذي أحسن كل شيء خلقه، فظهر في أجمل صورة، وأحسن شكل: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وهو سبحانه الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت والتناقض، سليماً من التباين والخلل، فظهر كما أراد خلقاً حسناً سوياً، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب، بريئاً من كل خلل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك/ ١-٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، الخالق البارئ الذي قدر كل شيء قبل وقوعه، من الخير والشر، والعافية والبلاء، والنعم والمصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحديد/ ٢٢].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العالم بالظواهر والبواطن، الشافي من كل داء، المبرئ من كل سوء: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨١].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام، مخزونة في الأضلاب، خلقها جميعاً في صلب آدم ﷺ، سواها بقدرته، وخلقها مبرأة من العناء في

العهد الأول ، وبرأها على الإسلام له ، وفطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها ، مسلمة لخالقها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢- ١٧٣] .

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي قَدَّرَ المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته ، الخالق البارئ الموجد لها بعد عدم ، المصور لها كيف شاء ، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصورة التي يريد ، وعلى الشكل الذي يريد ، في الوقت الذي يريد ، ويظهره في الوقت الذي يريد : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص/ ٦٨] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه البارئ :

اعلم أيها العبد المسلم أنك خلقت من الخلق الذي يوحد ربه ويسبح بحمده في كل حين ، فأقبل على ربك مع الموحدين ، وسبح بحمده مع المسبحين : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١] .

وحقق ذلك بالتوبة النصوح من كل منهي عنه ، وإرجاع النفس إلى بارئها بفعل كل مأمور به ، وإيثار كل محبوب عنده ، وتقديم مراد الرب على مراد النفس : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/ ٨] .

وذكر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها ، وما أعطته من العهود في بدء أمرها ، وذكرها بنعماء بارئها عليها ، كيف سواها في أحسن تقويم ، وفطرها على الدين القيم ، وذكرها بالملك الغفور الرحيم ، لعلها تَوُوبُ إلى ربها ، وتسير إلى ما فيه رشدها : ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة/ ٣٩-٤٠] .

وليكن لك في كل يوم ذكر جديد ، ودعاء جديد ، وتسبيح جديد ، وإحسان جديد ، وعمل صالح

جديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيِّئُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣]

واعلم رحمك الله أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها ، والأخذ بها إلى مراد بارئها ، وحملها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعاً وكرهاً ، حتى يصير ذلك عادة لها : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وحينئذ يستقيم لك أمرها ، فتحيا بمراد بارئها ، ويموت مرادها ، ومن فعل ذلك أعانه الله ، وتاب عليه : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا ابْجَهَلَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

﴿رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٧-١٣٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَرْحَمَنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(١).

اللهم إني أسألك إيماناً كاملاً ، و يقيناً صادقاً ، و قلباً خاشعاً ، و لساناً ذاكراً ، و حلالاً طيباً ، و أسألك الفوز بالجنة ، و النجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

المصور

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور الذي خلق الخلق، وصوّرهم على صور مختلفة، وهيئات متباينة، من الحسن والجمال، والشكل واللون، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٤].

فكل مخلوق ميزه ربه بصورة خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة، وصورة مستقلة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ١٠٦]. وهو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون على الصورة التي يختار، والشكل الذي يريد، والحجم الذي يشاء، في أحسن صورة، وأتقن صنْع: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين] ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي خلق السموات والأرض وما فيهما فأحسن خلقهما، وخلق الإنسان في أحسن صورة، وأكمل هيئة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [خلق السموات والأرض بالحقّ وصوّرهم فأحسن صُوْرهم وإليه المصير] ﴿٢﴾ [التغابن/ ٢-٣]. وسبحان المصور الذي خلق الأشياء ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير وتخطيط وحجم ولون وتركيب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

واعلم أن الله ﷻ أحسن الخالقين خلق كل شيء، وأبداع خلقه، وأحسن صورته. ومن أعظم ما خلق الله الإنسان، فقد خلقه الله من بين المخلوقات بيده، وخلقه على صورته، وأحسن صورته، وأحسن تقويمه، وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [ثم رددته أسفل سفلين] ﴿٥﴾ [إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون] ﴿٦﴾ [التين/ ٤-٦].

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات الأرض والأرحام كيف يشاء، في أي وقت شاء، في أي صورة شاء: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران / ٦] .

فلا إله إلا الله خالق كل شيء ، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء ، ويحسن صورها كيف يشاء ، ويبدع صورها كيف يشاء ، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن ، عالم الغيب والشهادة ، البصير بالصغير والكبير ، السميع للسر والجهر ، المصور لكل صورة ، الكريم بكل نعمة ، العليم بكل ذرة : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤] لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [٥] [الحديد / ٤-٥] .

ومن هذه قدرته ، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه مخلوقاته ، أهل أن يُعظَّم ويُكَبَّر ، وأن يُحَبَّ ويُعبد ، وأن يُحمد ويُشكر : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنسَانُ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدْكَ فَعَدَلَكَ [٧] فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [٨] [الانفطار / ٦-٨] .

وما أعظم الصور التي صورها المصور ، ولننظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت .

فانظر رحمك الله إلى ربك كيف خلقك في أحسن تقويم ، فقد خلق الله الإنسان من تراب ، ثم من نطفة ، ثم ركب أعضائه بعضها فوق بعض ، وقسم جلال تلك القطرة السائلة ، وصورها بقدرته كيف شاء .

فجعل المصور سبحانه بعضها لحماً .. وبعضها عظماً .. وبعضها شحمًا .. وبعضها مخاً .. وبعضها عصباً .. وبعضها شعراً .. وبعضها عروفاً .. وبعضها جلدًا .. وبعضها ظفراً .. وبعضها سمعاً .. وبعضها بصراً .. وبعضها أنفاً .. وبعضها فماً .. وبعضها سناً .

ثم خلق المصور داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو من مصانع الدم ، والهضم ، والتصفية والتحلية ، والتكرير ، والدفع ، والتهوية ، والحركة كالقلب ، والكبد ، والمعدة ، والعينين ، والأذنين ، والرتتين ، والكليتين وغيرها مما خلقه وصوره كاليدين والرجلين والرأس وسائر الأعضاء : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ [١٣] ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [١٤] [المؤمنون / ١٢-١٤] .

وَحَصَّ الخالق المصور ﷻ كل عضو بوظيفة يؤديها ، ومكان يخالف مجاوره ، وجعل الكل يتعاون مع بعضه في خدمة الإنسان ، ويسبح بحمد ربه الرحمن .

ثم أمد المصور سبحانه تلك القطرة المصورة بمعاني صفات المخلوق وأسمائه وأخلاقه من عقل وعلم، وقدرة وإرادة، وكرم وحلم وغيرها من الصفات المحمودة وضدها : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ [الإنسان/ ١-٣] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، وتبارك الله خير الرازقين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ ﴾ [الذاريات / ٢٠-٢٢] .

وخلق الله لهذا الإنسان المكرم ، والحيوان المسخر ، مائدة الطعام والشراب ، فهي مفتوحة الأبواب له في البر والبحر والجو ، يأكل منها حيث شاء إلا ما يضره ، فقد فطره الله على البعد عنه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ ﴾ [البقرة/ ١٦٨] .

وبعد أن أكمل الله خلق الإنسان ، وهياً له مائدة الطعام والشراب ، أنعم عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه ، وتسعده في دنياه وأخراه ، وهي الدين الحق الذي أنزله على رسله ، وأتمه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأتمه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۝٣ ﴾ [المائدة/ ٣] .

فلله الحمد والشكر على جزيل نعمه وإحسانه .. وله الحمد والشكر على دينه وشرعه .. وله الحمد والشكر على فضله ورحمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة/ ٢-٤] .

واعلم رحمك الله أن صورة آدم ﷺ وذريته هي التي تحقق فيها معاني التصوير ظاهراً وباطناً ، وظهر فيها الكمال والجمال ؛ لأنه اجتمع فيها التقدير ، والتصوير ، والحسن ، والتكريم ، والخلود بعد الموت : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

فتبارك الله رب العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، أظهر الإسلام أحسن دين ، في أحسن صورة في آدم أحسن مخلوق ، الذي خلقه الله بيده ، وجعله وذريته خلفاء الأرض : ﴿ وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].
فمن آمن ازدادت صورته حسناً وجمالاً في الظاهر والباطن : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨].

ومن كفر ازدادت صورته قبحاً وسفلاً في الظاهر والباطن : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين / ٤ - ٦].

وَتُصَوَّرَ صور الخلق يوم القيامة ، وتبيّض وتسدود ، وتثاب النفوس وتعاقب ، حسب إيمانهم
وكفرهم وأعمالهم : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل عمران / ١٠٦ - ١٠٧].

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحسن الخلق ، وحسن الصورة ، وحسن الرزق ،
وحسن الدين ، وحسن الثواب : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمٌ وَرِدِيْشًا وَرِبَاسٌ
أَلْتَقَوِيْ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦١﴾ [الأعراف / ٢٦].

وله الحمد على إكرام وجه المؤمن الذي خلقه على صورته، فنهى عن قتله أو ضربه مع الوجه،
وحرم على النار أن تأكل وجوه الموحدين ، إكراماً لمن خلقه بيده ، وسجد وجهه لعظمته .
اللهم حرم وجوهنا ووجوه والدينا وذرياتنا والمسلمين على النار ، يا أرحم الراحمين .

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له ولا منتهى ،
فالجبار عز وجل يخلق ويصور في كل آن ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من المخلوقات والصور
في السماء والأرض ، وفي الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٤].

والكل خلقه .. والكل عبيده .. والكل يشهد بتوحيده .. والكل يسبح بحمده .. والكل خاضع
لمشيئته .. والكل مسرع إلى إرادته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان ربنا العلي الكبير ، الخلاق العليم ، القوي القادر على كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فاحرص أعانك الله على معرفة ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، والعمل بموجب ذلك ، قاصداً وجه ربك الكريم ، تكن من الفائزين : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة / ٥].

• التبعيد لله ﷻ باسمه المصور :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك الخالق البارئ المصور خلق المخلوقات كلها ، وصورها فأحسن صورها ، من العرش والكرسي ، والسماء والأرض ، والملائكة المقربين ، والجنة والناس أجمعين ، وأصناف الجماد ، وأشكال النبات ، وأنواع الحيوان والطيور ، والخلق أجمعين : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِنَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

هو الملك القادر على كل شيء ، لا تعجزه أعداد يصورها ، ولا صور يخترعها ، ولا أشكال يتدعها ، فاعبده واملاً وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات ، واملاً وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملاً لك الكون بنعمه : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه / ١٣٠-١٣١].

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، لم يشترك اثنان قط في صورة واحدة .

فليكن هذا الخلق والتصوير واعظاً لك ، وموجباً لطاعة مولاك وتقواه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي لَدَىٰ نَسَاءٍ لَنْ يَسْأَلَهُنَّ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء / ١].

فهل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات .. والمصور والمصورات .. والملك والمملوكات .. والآمر والمأمورات ، والقاهر والمقهورات .

وإذا عرفت ذلك فاعبده وتوكل عليه ، يسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَدْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس / ٣].

واعلم وفقك الله لطاعته أن ربك وحده لا شريك له هو المتفرد بالخلق والتصوير ، والتقدير والتدبير ، وإنما كلف عبده الإنسان في استصلاح صفات نفسه، وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه من التوحيد والإيمان والإسلام والإحسان والتقوى ، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

فاضرع رحمك الله إلى الخالق البارئ المصور الهادي إلى ما يحبه ويرضاه ، وقف ببابه متذلاً بين يديه، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم ، وسبل مرضاته ، متوسلاً إليه بتوحيده قائلاً :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة / ٢-٧] .

والزم باب العبودية والطاعة لله ، ولا يغرنك الشيطان فتعمل بمعصيته ، أو تعمل بما يرضيه تارة ، وما يسخطه تارة ، فتندم وتخسر : ﴿ أَفَتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهَا جَزَاءً مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا حِزْبٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة / ٨٥] .

وأكثر من الحمد والشكر لرب العالمين الذي خلق فسوى ، وصور فأحسن ، وأنعم فأكرم ، السابق إلى عبادته بالإحسان ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

واعمل بشرع ربك ، وادع إلى سبيل ربك ، واصبر على ما أصابك ، لعلك تفلح وتنجو من الخسار والعذاب : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر / ١-٣] .

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة / ٢٨٥] .
﴿ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف / ١٥٥-١٥٦] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .
اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل معرفتك ، وارزقنا صدق توحيدك ، وحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الغني

قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَنْ يَقْرَأُوا فِيهَا وَإِلَى اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].
 الله ﷻ هو الغني الحق الذي استغنى عن الخلق كلهم بعظمة ملكه ، وجمال كبريائه ، وعز سلطانه ،
 وكمال قدرته : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

وهو سبحانه الغني بذاته ، الغني الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه ، لكمال ذاته وأسمائه
 وصفاته وأفعاله : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له خزائن السموات والأرض ، وخزائن الدنيا والآخرة ، وعنده
 خزائن كل شيء ، ويده كل شيء ، وله كل شيء : ﴿وَلَا يَمُنُّ بِشَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ
 إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه الغني ، وكل ما سواه فقير ، الغني عن كل ما سواه ، الغني الذي لا حاجة له إلى
 أحد أصلاً ، بل الخلق كلهم فقراء إليه وإلى فضله وإحسانه : ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَنْ يَقْرَأُوا فِيهَا
 وَإِلَى اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو سبحانه الغني الكريم المغني جميع الخلائق غنى تاماً ، الذي أغنى جميع الخلق من
 فضله ، فكما أنه لا خالق غيره ، فكذلك لا رازق غيره ، ولا رب غيره ، ولا إله غيره .

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له ، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا
 شريك له ، فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَنْ يُعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

هو الواحد الأحد الذي خلق كل أحد ، الغني الكريم الذي قسم الأرزاق ولم ينس أحد .
 وهو الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿وَأَتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَا
 سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو سبحانه الغني وحده لا شريك له ، والغني هو من لا تنقص خزائنه أبداً مع كثرة الإنفاق .
 فسبحان الغني الذي يملك كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء .

هو الغني الذي يملك خزائن الرحمة والقوة والعزة ، وخزائن المخلوقات والأشياء والذرات ،

وخزائن الحبوب والثمار والمياه ، وخزائن الجماد والنبات والحيوان ، وخزائن الأسماع والأبصار والعقول ، وخزائن الحروف والكلمات والأرقام والأنفاس : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا يَقْدَرُ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه ، الغني عن جميع خلقه المسلم والكافر ، والبر والفاجر ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَبَى اللَّهُ لَعْنِي حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٨].

فسبحان الملك الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، الذي يملك كل أحد . هو الغني الحميد الذي لا يعامل أحداً معاملة إلا ويستحق عليها الحمد ، سواء كان فيما يحب أو فيما يكره : ﴿ فَلِلَّهِ الْمَعْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو الغني بذاته ، الغني الذي وهب الغنى لكل غني ، الغني الكريم الذي يعطي عباده من نعمه كل آن ، الغني الذي أغنى بعض عباده عن بعض ، وأحوج بعضهم إلى بعض .

هو الغني الذي أفاض الغنى على عباده بالعدل ، وما من غني في الوجود إلا وهو من جناب الغني ممدود : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُحْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

واعلم أن شأن الخالق أنه غني عن كل ما سواه ، وشأن مخلوقاته أنهم جميعاً فقراء إليه في خلقهم وإمدادهم وبقائهم : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

واعلم أن من سأل ربه الكريم أعطاه وأكرمه وأعزه ، ومن سأل عبده أذلوه وأهانوه وحقروه ، فسل ربك الغني الكريم الذي يملك كل شيء أن يغنيك بفضله عما سواه : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان/ ٢٦].

واعلم بأن من استغنى بالله أغناه وكفاه ، ومن أخذ من الدنيا ما شاء أخذ بقدره هماً وعناء : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم أن من استغنى بالله عما في أيدي الناس أغناه الله ، وأرضى عنه الناس : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

ومن احتاج إلى مخلوق كان أسيره ، ومن استغنى عنه كان نظيره ، ومن أحسن إليه كان أميره . وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلق غنىً مطلقاً ، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان ، ومعرفة جلاله وجماله ، ومعرفة آلائه وإحسانه ، والله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١] .

فهو سبحانه الغني بذاته ، والعبد فقير إليه بذاته ، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله ، لاغنى له عن ربه الغني ولو طرفة عين ، وحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعله أوجبت تلك الحاجة : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغِنَى الْحَمِيدُ ﴾ [الحج / ٦٤] .
واعلم أن الفقير بذاته محتاج على الدوام إلى الغني بذاته ﷻ .

فالعالم العلوي ، والعالم السفلي ، كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار ، ذو العظمة والملكوت ، والجلال والكبرياء : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .
وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه فقر ذاتي لا يُعلل .

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده .. وفي بقاءه وفي حياته .. وفي تديره وفي إمداده : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦] .

وفقر المخلوقات إلى ربها نوعان :

الأول: فقر إلى ربوبيته ، وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها ، فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها ، وبقائها ، وحفظها ، ورزقها ، وتديرها : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢] .

الثاني: فقر إلى ألوهيته وعبوديته ، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين به .

وهذا هو الفقر النافع ، ولبه دوام الافتقار إلى الله في كل حال .

وَنَفَعٌ هَذَا وَمَا قَبْلَهُ عَائِدٌ عَلَى الْعَبْدِ الْفَقِيرِ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [الغنكوت / ٦] .

فسبحان الغني بذاته عن كل ما سواه ، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، الغني الكريم المحسن إلى عباده بكل خير ، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم ؛ لكمال

غناه وكرمه ، وكمال رحمته وإحسانه : ﴿ وَمَا يَكُومُنَّ مِنْكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » أخرجه مسلم ^(١).

وهو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه ، وأرشدهم إلى سؤاله ، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة ، وأعطاهم وأغناهم وهو الغني عنهم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

واعلم أن الله هو الصمد الذي جميع الخلق تصمد إليه في جميع حوائجها ، ومن قصد إلى الله تعالى، ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله، ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق، ثم نزع الرحمة من قلوبهم عليه، فتراه بينهم مذموماً مخذولاً ، وذلك رحمة له، ليعود إلى ربه في كل أمر: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ [الإسراء/ ٢٢].

ومن صدق في افتقاره إلى الله تعالى ، وشهد قدرته وغناه ، ورجع إليه بحسن العرفان ، أغناه الله عما سواه ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وأعطاه من حيث لا يرقب : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

فسبحان الغني الحميد الذي كل غنى ونعمة في العالم من فضله وإحسانه. هو الغني الحميد الذي أغنى عبده المؤمن بمعرفته ، وأغناه بمعرفة دينه ، فصار له حكمة

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

بالغة ، وسداد في الأقوال ، وصواب في الأفعال ، وحسن في الأخلاق ، وهذا هو الغني الحقيقي : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس/ ٥٨].
واعلم أن الله غني كريم يغني عامة الخلق بالمال، والجاه، والعافية، والأولاد وأمثالها من النعم : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [١٧] وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

ومنهم من يغنيه بتصفية الأحوال ، وهم خواص الخلق الذين اجتباهم وهداهم ، وأغناهم عما سواه : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة/ ٥].
أغناهم الله بكمال الإيمان والتقوى ، وأغناهم بأحسن الأخلاق ، فالإيمان غني ، والصدق غني ، والكرم غني ، والحلم غني ، والإسلام غني ، والحكمة غني : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١-٤].
والهداية غني ، والرعاية غني ، وكل خير غني : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ ﴾ [الضحى/ ٦-٨].

واعلم أن من عرف ربه الغني استغنى به عما سواه ، وافتقر إليه في جميع أحواله ، وكلما افتقر العبد إلى ربه زاده غني ، وكلما تذلل إليه زاده عزاً وثواباً : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر/ ٦-٧].

فسبحان الغني الرحيم الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة على معاصيهم وهو القادر : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يذْهَبْكُمْ وَيَسْتَحْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٣٣].

واعلم أن أغنى الأغنياء هو من عرف ربه بأسمائه وصفاته ، وسارع إلى مرضاته بأنواع الطاعات ، وأنفق في سبيل الله على عباده ، وأعطى مما أعطاه ربه من نعمه : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد/ ٢١].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الغني :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ هو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق ،
وخزائنه مملوءة بكل شيء ، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها، وبقائها ،
وإمدادها وسائر أحوالها، فقف ببابه، وسارع إلى مرضاته: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤] .

هو الغني الذي يخلق ما يشاء ، ويأمر بما يشاء ، ويعطي من يشاء ، ولا ينقص ما في خزائنه
مثقال ذرة : ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس / ٦٨] .

وأعلم أن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه ، ومن
أجل هذا بينها الله في كتابه ، وأظهرها في آياته ومخلوقاته ؛ لندعو الله بها ، ونعبده بمقتضاها :
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠)
[الأعراف / ١٨٠] .

وإذا أغناك الغني ﷻ من فضله العظيم فاستغن به عما سواه ، ولا تلتفت لأحد سواه .

وقف ببابه مع الفقراء المتواضعين ، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين : ﴿ يَتَأَيَّأُ
النَّاسُ أَنَّهُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) [فاطر / ١٥] .

وإذا سألت فاسأل الله وحده ، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده ، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج
الخلق كلهم ، وأنت عبده فلا تذلل نفسك بسؤال غيره من العبيد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ
الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤] .

وعن ابن عباس ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ،
وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ
اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » أخرجه أحمد والترمذي (١) .

وإذا أغناك الغني من فضله ، وأعطاك من رزقه ، وجاد عليك بإحسانه ، فاشكره على ما
أولاك من نعمه ، واحمده على ما خصك به ، واستعمل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه : ﴿ إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٥) [الحجرات / ١٥] .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) .

فإن أعطاك الغني سبحانه مالا فأنفقه فيما يحبه ويرضاه على نفسك وعلى غيرك ، وتقرب به إليه ، يضاعف لك أجره ، ويخلف عليك أحسن منه : ﴿ إِنَّ تَقْرِيضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعْفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن / ١٧] .

وإن علمك العليم ﷻ من علمه فاعمل به ، وتقرب به إليه ، وعلمه عباده تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

وادع الناس إلى ربهم ، وعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليعظموه ويكبروه ، وعرفهم بنعمه وإحسانه ؛ ليحبوه ويشكروه ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت / ٣٣] .
وأنفق مما آتاك الله من العلم ، وحرك لسانك بذكره وشكره ، واستعمله بالدعوة إليه ، وتعليم شرعه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل / ١٢٥] .

وإن جبلك الله على الخلق الحسن ، وهبك من مكارم الأخلاق ، فاشكره وتعبّد له بذلك ، واتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران / ١٦٤] .

واصبر لحكم ربك ، وأحسن إلى العباد ، واصبر على الأذى ابتغاء مرضات الله : ﴿ خذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، افعل ذلك كله ابتغاء مرضات الله ، يقلب الله عدوك صديقاً ، ومبغضك محباً ، ويهتدي بسببك ضال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت / ٣٤-٣٦] .

وإن أعطاك الغني سبحانه بدنأ قوياً ، وقلباً شجاعاً ، وعلماً نافعاً ، ومالاً وافراً ، وخلقاً فاضلاً ، فاستعمل ذلك كله في طاعة من خلقك وأغناك ، واجتباك وهداك ، بفعل كل محبوب إليه ،

وَتَرَكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ لَدَيْهِ ، يَرْضَى اللَّهُ عَنْكَ ، ويرفع درجاتك ، ويغفر ذنوبك ، ويزيد حسناتك :
 ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِئٍ تُنجِيكُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف / ١٠-١٢].

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته يحبك الله ، ويرضى عنك ، ويخلف عليك خيراً منه : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبا / ٣٩].
 واعلم أن الذي أعطاك هو الذي أمرك أن تعطي عباده ، لتنال بذلك الأجر ، فأنفق من أحسن ما أعطاك الله تنال أحسن منه براً وأجراً وثواباً : ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران / ٩٢].

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .
 ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف / ١٥].
 ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّلَاحِ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح / ٢٨].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم ^(١).

اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

الرزاق .. الرزاق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٦ - ٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة / ١١] .

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غَلَا السَّعْرُ ، فَسَعَّرْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الرَّازِقُ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ الْقَى اللَّهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ » أخرجه أبو داود^(١) .

الله ﷻ هو الرزاق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض ، وهو مالك جميع الأرزاق ومعطيها ، الرزاق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت ، حسب علمه وحكمته وإرادته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٨] .

وهو سبحانه الرزاق واسع الرزق ، كثير الأرزاق ، الرزاق الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الذي وسع جميع الخلق رزقه ، ورحمته ، وأنواع إحسانه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجر / ٢١] .

وهو سبحانه الرزاق المتكفل بأرزاق الخلائق كلها ، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق ، المكثر منه لعباده ، المتفرد بالرزق والإنعام وحده لا شريك له : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَاقٌ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر / ٣] .

وهو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ويوصل إليهم أنواع الأرزاق في كل مكان وزمان بلا كلفة ولا مشقة ، السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت / ٦٠] .

وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه ، وساقها إليهم بقدرته ورحمته ، فلا ترى أحداً الا يأكل من رزقه ، وينعم بفضله : ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٣٤٥١) .

مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف/ ٣٢].

المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، والغني والفقير ، والإنسان والحيوان .
الكل يعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء/ ٢٠-٢١].

فسبحان الملك الكريم الرزاق الذي يرزق الخلائق جميعاً في كل زمان ومكان مهما كثر عددهم ، وتنوعت قبائلهم ، واختلفت حاجاتهم : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].
وسبحان من قسم الأرزاق بين خلقه في كل زمان ومكان.

هذا طير السماء كله يأكل من رزقه ، وهذا وحش الأرض كله يأكل من رزقه ، وهذا حيوان البحر كله يأكل من رزقه ، وهذا الإنسان كله يأكل من رزقه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود/ ٦].

هو سبحانه الرزاق الذي رزق الأبدان الأطعمة والأشربة ، ورزق القلوب العلم والمعرفة .
هو سبحانه الرزاق الحكيم الذي خص الأغنياء بوجود الرزق ، وخص فقراء المؤمنين بشهود الرزاق ، فإذا أخذ من الفقير بعض الرزق عوضه بالتجلي ، والأنس بالله ، وحلاوة مناجاته .
وإذا أغرق الغني بالنعيم المادي حرمه من نعيم لذة القرب ، يختار لكل عبد ما يصلحه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ [الإسراء/ ٢٠].
واعلم أن الرزق كل ما يُتَّفَعُ به من علم أو مال أو خلق أو جاه ، ومن شهد الرزاق ما ضره ما فاته من الأرزاق .

واعلم أن الله ﷻ واحد لا شريك له في ملكه وخلقه وأمره ورزقه وعبادته : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَؤُنْفُوكُونَ ﴿٣﴾ [فاطر/ ٣].

واعلم أن رزق الله لخلقه نوعان :

الأول: رزق الأبدان ، وهو رزق عام يصل إلى كل مخلوق من الحيوان والإنسان والجان بأمر الرزاق الكريم سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود/ ٦] .

الثاني: رزق القلوب ، وهو التوحيد والإيمان الذي يرزقه الله من يشاء من عباده على يد أنبيائه ورسله والدعاة إليه ، يرزقه الله من يستحقه ويشكره ، ويؤتيه من أتى بأسبابه ، وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٧٣] يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران/ ٧٣ - ٧٤] .

واعلم أن فضل الله على خلقه عظيم ، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر ، وأنواعها وأعدادها لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤] .

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق ، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان وزمان ولا تنقص مثقال ذرة ؛ لأن المحدود إذا أخذ من المحدود ينقص ، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان/ ٢٦] .

فسبحان الغني الذي يملك كل شيء ، ويقول للشيء كن فيكون ، ولو سأله جميع الخلائق ، بأوسع سؤال فأعطاهم لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص/ ٥٤] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى قال : « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَأَنْتُمْ عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً . »

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١) .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

فسبحان مالك الأرزاق الذي تكفل بأرزاق جميع الخلق ، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم ،
يسيطر الرزق على من يشاء ، ويقدره على من يشاء ، وله في ذلك حكمة بالغة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

واعلم أن من الناس من لا تصلح حاله إلا بالغنى ، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر ، ولا
يعلم ذلك إلا الله وحده : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى / ٢٧] .

واعلم أن كثرة الرزق في الدنيا كقلته لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد ، ورضاه عنه ، فإله يعطي
الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
بِالَّتِي تُعْرَبُونَ عَنْهَا رَبُّنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ
ءَامِنُونَ ﴾ [سبا / ٣٧] .

والإيمان والتقوى من أعظم أسباب الحصول على الأرزاق النافعة ، والكفر والفجور سبب
عظيم لنقص الأرزاق ، ومحق البركات : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦] .

والأرزاق تزيد بالشكر والطاعات ، وتنقص بالكفر والمعاصي : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِن
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٧] .
والله ﷻ هو المنعم على عباده بجميع أنواع الأرزاق المادية والروحية .

وأعظم رزق يرزقه الله عباده وأحسنه وأفضله وأكمله وأكرمه وأعلاه وأدومه هو التوحيد
والإيمان ، والجنة ، ورضا الرب ﷻ : ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق / ١١] .

واعلم أن المخلوقات كلها مختزنة في الأرزاق .. والأرزاق كلها مختزنة في خزائن السموات
والأرض .. وخزائن السموات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان / ٢٦] .

والله ﷻ كما أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها ، حتى ظهرت من الأرحام والأرض
جيلاً بعد جيل ، كذلك أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدره : ﴿ إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَوَحْدَةً كَلَمِجٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن

مُدْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان الملك الحق الذي يملك جميع خزائن الأرزاق ، الغني الذي لا أحد أغنى منه ، الكريم الذي لا أحد أكرم منه ، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه .

هو الرزاق الذي كل رزق في العالم من رزقه ، الرازق الذي رزق كل مرزوق في مكانه وزمانه .

هو الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه ، الرازق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الملك العظيم الذي له الخلق والأمر كله ، الذي تفرد بالوحدانية ، وتفرد بالخلق والرزق ،

وتوحد بالإحياء والإماتة ، واختص بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، الذي ليس له شريك

ولا مثل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن

ذَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم/ ٤٠].

هو الملك الغني القادر على كل شيء ، الذي يملك خزائن كل شيء :

خزائن المخلوقات .. خزائن الأرزاق .. خزائن النعم .. خزائن الأموال .. خزائن المياه .. خزائن

الحبوب .. خزائن العلم .. خزائن القوة .. خزائن الرحمة .. خزائن العذاب .. خزائن النور ..

خزائن الظلام .. خزائن الأخلاق .. خزائن التصريف والتدبير .. وخزائن كل شيء في قبضته :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٣١﴾ [الحجر/ ٢١].

فسبحان من خلق الخلق كله .. وبيده الملك كله .. وإليه يرجع الأمر كله .. وعنده خزائن

الرزق كله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ

الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ [يونس/ ٣١].

وَمَن هَذِهِ عَظْمَتُهُ ، وهذه أسماؤه وصفاته ، وهذه نعمه ، أفلا نعبده ونكبره ونحمده وحده

لا شريك له : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس/ ٣٢].

وإذا كان الله هو رازق العباد وحده فهو المستحق للعبادة منهم وحده لا شريك له : ﴿ يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

[البقرة/ ١٧٢].

واعلم زادك الله فقهاً وعلماً ونوراً أن الرزق هو كل ما ينتفع به الحي من إنسان أو غيره .

فالمؤمن يستعين بالرزق الحلال على طاعة مولاه ، ويشكر ربه عليه ، ثم يصير إلى الجنة .
والكافر يتمتع بالرزق الحرام ، ثم يصير إلى جهنم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ
اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ
أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٦﴾ [البقرة/ ١٢٦] .

واعلم رحمك الله أن جميع الأرزاق خلقاً وتقسيماً تنزل من السماء من رب الأرض والسماء ، ثم
تقسم على أهل الأرض بالعدل : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات / ٢٢] .
والرزاق سبحانه غني كريم ، وخزائنه مملوءة بأصناف الأرزاق ، وهو يصرفها بين عباده
بحكمته كما يشاء .

فتارة يرزق بدون الأسباب ؛ ليظهر قدرته ، وجميل إحسانه كما رزق مريم طعاماً بلا شجر ،
وابناً بلا ذكر : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ أِنِّي لَسِبْتُ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران / ٣٧] .

وتارة يرزق عباده بصد الأسباب ؛ ليظهر لعباده كمال قدرته ، وقوة إرادته كما فجر الماء من
الحجر لموسى وقومه : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة / ٦٠] .

وتارة يرزق بالأسباب - وهو الغالب - ، وهو سنته الظاهرة في مخلوقاته كما يرزق الولد
بالنكاح ، ويرزق الثمر من الشجر ، والحليب من البقر وهكذا .

فأظهر سبحانه سنته ، وأخفى قدرته في سنته ، امتحاناً لعباده ، وتنبهاً لبريته ، وإظهاراً لقدرته :
﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ
﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَابٍ فِيهَا
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج / ٥-٧] .

هو الملك القادر على كل شيء : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ فسبحن
الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس / ٨٢-٨٣] .

فسبحان الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق ، ويملك مجاري الأرزاق على مدى
الدهور والقرون ، ويقسمها على كل مخلوق كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً : ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ

رَحْمَتِ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرًا وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف / ٣٢].

ورزق الله لعباده نوعان:

نوع له سبب كما جعل الله الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها طرقاً يرتزق بها الناس. ونوع يرزقه الله عبده بلا سبب منه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الرازق :

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله ﷻ خالق المخلوقات كلها ، وقاسم الأرزاق كلها ، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه ، لا يخطيه رزقه إلى غيره كما لا تخطيه منيته إلى غيره ، ولن يموت أحد حتى يستكمل أجله ويأكل رزقه : ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل / ٦٤].

ولب التوحيد وذروة اليقين أن تعلم أن الله رب العالمين هو الرزاق وحده لا شريك له ، وأن جميع الأسباب من التكسب والعمل ، وجميع المخلوقات في السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان ، إنما هي ظروف وأوعية أودعها ربها العطايا والأرزاق ، تسلّمها لمن شاء الله من خلقه بإذنه وعلمه وأمره : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

فاشكر الرزاق الذي ساق إليك رزقك ، ويسر لك الانتفاع به ، باستعماله في طاعته.

وعليك بالسعي في طلب الرزق ، ناظراً بقلبك إلى القسّم الذي يقسم الأرزاق ﷻ لا إلى القسّم ؛ لترضى بالقسّم ، وتقنع بالمقسوم ، مع السعي بالجسم في الكسب : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة / ٩-١٠].

وبعد هذا تيقن أن ما أصابك من الرزق لم يكن ليخطئك ، وما زوي عنك فلن تقبضه ، ولو وقف معك جميع الخلق : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر / ٢].

واعلم أن العاقل لا يشغله رزق الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى عباده : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْهُوَانَفِصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ [الجمعة/ ١١] .

فاجعل ما رزقك الله سبباً معيناً على رضاه وتقواه ، تكن من المفلحين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ١٥ ۝ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ١٦ ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ ١٧ ﴾ [الأعلى / ١٤ - ١٧] .

وإياك أن تخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر ، وسبيل التفاخر ، أو يدفعك الحرص إلى طلب الكسب من أبواب الحرام ، أو تسخط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد ، فإن طلب الرزق عبادة ، والأمر مفروغ منه ، فلا تخالف من أمرك بالكسب ، وقسم لك الرزق بالميزان : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ٢ ﴾ [الطلاق / ٢ - ٣] .

ولتكن قلة الشيء عندك أثر من كثرته ، فقليل يغني أحسن من كثير يلهي ويطغي : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِّيَطْفَى ۝ ٦ ۝ إِنَّ رَأَاهُ اسْتَغْفَى ۝ ٧ ﴾ [العلق / ٦ - ٧] .

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فليس لك ، فأنفق ينفق الرزاق عليك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَعْصِ لَكَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ١ ۝ وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْوَمُوتُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ ١٠ ﴾ [المنافقون / ٩ - ١٠] .

واعلم أن العلم كله يخرج من العليم سبحانه ، والرزق كله يخرج من مخرج واحد من الرزاق وحده سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِن خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تُوَفَّقُوا ۝ ٣ ﴾ [فاطر / ٣] .

واعلم أن الخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل ، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وجعلهم آنية للحمد والشكر ، والإنفاق والإحسان .

وخص الفقراء بوجود الرزاق ، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء ، وأرزاق الأغنياء .

فهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه ، ولهذا أجره على بلائه وصبره ، والله رب هذا وهذا : ﴿ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ ٣٠ ﴾ [الإسراء / ٣٠] .

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ صَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم ^(١) .

فاسأل ربك جميع أمورك ، وأنزل به فافتك ، واشك إليه مصيبتك ، فييده كل شيء ، وليس بيد أحد سواه شيء ، بل الخلق والأمر كله لله وحده لا شريك له ، فاعبده وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت / ١٧] .

واعلم أن الملك العظيم يعطي العظيم ، فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة ، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول ﷻ لا على قدر حاجتك ، فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦] .

وأجل سؤال في الدنيا سؤال الهداية : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة / ٦] .
وأجل سؤال في الآخرة بعد رؤية الرب ورضاه سؤال جنة الفردوس : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة / ٢٠١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » أخرجه البخاري ^(٢) .

وقد فتح الكريم ﷻ باب السؤال لعباده ، ووعدهم جميعاً بالإجابة ؛ لأنه الكريم الذي لا يرد سائلاً أبداً : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر / ٦٠] .

واعلم أن ربك هو الغني وحده لا شريك له ، وعنده خزائن كل شيء ، ويعطي ولا تنقص خزائنه أبداً ، فسل ربك من الدنيا ما يعينك على طاعة مولاك ، ولا يلهيك عن حسن عبادته وامتنال أوامره ، وقل : ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة / ٢٠١] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠) .

واعلم أنه لا يُطلب العظيم إلا من العظيم فسل ربك العظيم ما شئت ، فعطاؤه ﷻ على قدر شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

واعلم أن طلب الحوائج من غير الله ذل ، وهو سبحانه أحق من تذلل له العباد ، ومن عرف الله لم يسأل غيره ، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير ، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [١٣] **مِثْلُ خَيْرٍ** ﴿١٤﴾ [فاطر / ١٣-١٤] .

فسبحان الرزاق الذي يملك الأرزاق كلها ، ويقسمها بين خلقه ، فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله ، ويرزق القلوب أنواع المعارف والعلوم ، وصفات الإيمان واليقين ، ويقبض ويبسط في هذا وهذا : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَابًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

واعلم أن الله يرزق الخلق من الأرزاق المختلفة ما لا يحصىه إلا هو ، وإذا قلل على بعض العباد بعض الأرزاق فإنما هو تقليل تأديب لا تقليل عجز ، وتقليل حكمة لا تقليل حاجة : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ/ ٣٩] .

والله ﷻ خير الرازقين ، هو الرزاق الذي قسم الأرزاق ولم ينس أحد ، ومن ضاق عليه رزقه فإنما ضاق بسبب تقصيره ، أو معصيته ، أو لتريبته ليرقى من درجة إلى درجة أعلى : ﴿ وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمَلِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

واعلم أن من سره عطاء البشر فهو من أهل الدنيا ، ومن سره عطاء الله فهو من أهل الآخرة ، ومن علم أن الرازق واحد لا شريك له استوى عنده التراب والذهب ، والغنى والفقير ، ورضي بما قسم له الرزاق من الأرزاق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨] .

فارض بما قسم الله لك من مال وزوجة وولد وحياء ، واجعل يدك على مالك يد أمانه لا يدملك ، وأنفق في سبيل الله يزيد ثوابك ومالك : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا/ ٣٩].

وعلى قدر قرب القلوب من ربها بالإيمان والمعرفة والطاعة يكون غناؤها عن الطعام والشراب : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن استغنى بالله أغناه عما سواه : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وهذا يكون للمؤمن ، ثم يصعد أكثر إلى الموقن ، ثم إلى الصديق ، ثم إلى النبي ، ثم إلى الملك الذي ليس به حاجة للطعام والشراب أبداً : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الذين/ ٢٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

واعلم أن الملك الكريم الرحيم خلق الكون وملاه لعباده بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر ، وسخر لهم الآيات والنعم التي تذكركم بربهم ، وتقربهم إليه ، ويسر لهم أنواع الطاعات التي تسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ليجود عليهم بإحسانه، ويعود عليهم بإنعامه أولاً، ثم ليعرفهم بذاته وأسمائه وصفاته ، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية ليؤدوا له حق العبودية بالمحبة والتعظيم والذل لله؛ ليتبين الملك حقاً من العبد حقاً: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/ ١٢].

فلو انقطع الأمر هاهنا لما تحققت حكمة الحكيم في فعله ، وإنما تمت الحكمة في البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، فاتصل الآخر بالأول ، والأول بالآخر : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْتَدَلَ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن/ ٧].

ثم انقسم المآل حسب الأعمال إلى خزائن الثواب والعقاب في الجنة والنار.

فيُظهر الله للمؤمنين يوم القيامة في الجنة من الجود والإحسان والرحمة ما لا تدركه العقول ، ولا تتصوره الأوهام ، ولا يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

ويُظهر لصد هؤلاء من الكفار والمنافقين والعصاة سخطه وعذابه الأليم ، لكفرهم به ، وجحدهم نعمه : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة/ ٦٨] .

واعلم أن الله يرزقك من فضله لتنتفع به ، وترزق منه كل محتاج إليه بما تقدر عليه من علم ، ومال ، وخلق ، وجاه وغير ذلك مما أعطاك الغني الكريم من فضله .

فتدكر الغافل .. وتعلم الجاهل .. وتهدي الضال .. وتطعم الجائع .. وتواسي المحتاج .. وترحم الصغير .. وتوقر الكبير .. وتحلم على السفيفه : ﴿ لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/ ٩٢] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا بِمَا أَنزَلْتَ وَآتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل/ ١٩] .

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »
أخرجه مسلم^(١) .

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً واسعاً ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩) .

الكريم.. الأكرم

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِيْبِكَ الْكَرِيْمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق / ١-٥].

الله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، الكريم الواسع الذي عم بعبائته وإحسانه جميع خلقه ، المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي: ﴿كَلَّا نُمَدِّدْهُنَّوَلَاءَ وَهَتُوْا لَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبْرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء / ٢٠-٢١].

وهو سبحانه الكريم الكثير الخير ، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة ، الكريم الذي يسهل خيره ، ويقرب تناول ما عنده ، القريب لمن دعاه ، المجيب لمن سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم ، الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الكريم الذي عنده خزائن كل شيء ، وله خزائن السموات والأرض ، الكريم الذي يعطي ولا تنقضي خزائنه ولا تنقص أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين ، لا يوازيه كريم ، ولا يعادله نظير ، الكريم الذي كل ما في الكون من كرمه ، الكريم الذي وهب الكريم ما يتكرم به ، الكريم الذي خص الإنسان بأنواع الإكرام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه الكريم لذاته ، وكرمه لا أول له ولا آخر ، الكريم الذي يعطي ويكرم من يشاء في كل مكان وزمان ، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

قدر فعنى ، وعاهد فوقى ، وسئل فأعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؛ لعظيم قدرته ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وكمال كرمه وغناه ، وسعة رحمته : ﴿ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۗ ﴾ [المنافقون / ٧] .

وهو سبحانه الكريم الذي عم بعبائه وإحسانه جميع خلقه ، وأمهل بكرمه المكذب له ، ووالى عليه نعمه ولم يقطع عنه فضله؛ لعله يتوب إليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ۝٦٥ ﴾ [الحج / ٦٥] .
ومن كرمه أمهل إبليس وأنظره ، وتركه وما اختار لنفسه ، ولم يعاجله بالعقوبة وهو قادر : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤ ﴾ [الحج / ٧٤] .

فسبحان الكريم الحق الجامع للمحاسن والمحامد ، الذي له قدر عظيم ، وسلطان كبير ، كثير الخير والعتاء ، المنعم بكل نعمة ، الذي لا يردّ من سأله ، ولا يخيب من رجاه ، الكريم الذي يعطي من خزائنه ما لا يحصى لما لا يحصى من الخلائق : ﴿ يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩ ﴾ [الرحمن / ٢٩] .

والله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، حسن الأسماء ، عليّ الصفات ، محمود الفعال ، كريم السجايا ، جزيل العطايا : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه / ٨] .

كريم يعفو عن المذنبين .. ويتوب على المخطئين .. ويحسن إلى المحسنين .. ويكرم المطيعين .. ويغفر للمسيئين .. ويعفو عن الظالمين : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣٩ ﴾ [المائدة / ٣٩] .

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات ، ويغفر السيئات ، ويدفع البليات ، ويرفع الدرجات .

عزيز كريم ينفس كل كرب .. ويزيل كل هم .. ويشفي كل مريض .. ويجيب كل سائل .. ويهلك كل عدو .. ويرحم كل مخلوق .. ويوجد بكل خير .. ويدفع كل شر .

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده ، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة ، وعظيم الصفات ، وعلو النسب ، والمقام المحمود .

فهو ﷻ أكرم الرسل ، وأتقاهم ، وسيدهم ، وأقربهم ، وأثرهم عنده ، وأكرم هذه الأمة ببعثته : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ [التوبة / ١٢٨] .

وهو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيمان ، وحببه إليه ، وزينه في قلبه ، وكره إليه الكفر والمعاصي ، وعمر قلبه بالإيمان فأسرع في طاعة ربه بقلبه ولسانه وجوارحه : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/٧-٨] .

وهو سبحانه الكريم الذي منَّ على جميع المخلوقات بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية ، فكل أحد ينعم بفضله ، ويأخذ من خزائن كرمه ، ويستطعم من موائد نعمه : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعَرَّفُوا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرَوْنَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣] .

واعلم رحمك الله أن من أعظم نيل أسباب كرمه تقواه ، فلاأكرم عنده سبحانه الأتقى من عباده، فاتق الله ﷻ في السر والعلن، والقول والعمل، تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/١٣] .

واعلم أن الله ﷻ كريم حلیم حسن التجاوز عن خلقه مع كثرة أذى الخلق له ، وإسرافهم في معصيته ، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه ، وكذب رسله وكتبه ، وظلم عباده ؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه ، وأنعم عليه ، لعله يتوب ويرجع إليه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/٧٣-٧٤] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لَا أَحَدَ أَضْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » متفق عليه ^(١) .

وأظهر من هذا كرمًا أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس ولعنه وطرده وتبرأ منه إلا من أجل آدم ﷺ وذريته حين أوى السجود لآدم ، واستكبر عليه واحتقره : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص / ٧٥-٧٨] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) ، ومسلم برقم (٢٨٠٤) ، واللفظ له .

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ليحذروه ويتخذوه عدواً بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ
عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر/٦٧].

فسبحان الملك الكريم الرحيم اللطيف بعباده ، الكريم الذي يتحبب إليهم بالنعم ، ويبالغ في
تحذيرهم من عدوهم حفظاً لهم ، وهو عن ذلك كله غني ، لا افتقار به إلى أحد سوى فضل
جوده ، وعظيم كرمه ، وجزيل إحسانه: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم/٦٥].

فسبحانه ما أغناه وأكرمه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
الْحَكِيمُ﴾ [الحج/٦٤].

ثم آلى الجبار ﷻ على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب ليعاديته ، وليدخله معه
في دار لعنته وعذابه: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْزِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحْلِصِينَ﴾ [٨٣] قَالَ
فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [٨٤] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص/٨٢-٨٥].

ومن عادى الشيطان منهم ، وتبرأ منه ، وآمن بربه واتقاه رضي الله عنه وأدخله دار كرامته :
﴿الْمَلَائِكُ يُؤْمِدُ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [٥٦]
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الحج/٥٧].

واعلم رحمك الله أن سبل كرم الرب واسعة ، وطرق إحسانه الى خلقه لا حد لها ، وخزائن جوده
لا نهاية لها: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/٦٨].

هو الكريم الذي يجزي على الحسنه بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف
مضاعفة ، إلى ما لا يحصىه ولا يعلمه إلا هو ؛ لكمال كرمه ورحمته وإحسانه وغناه: ﴿مَثَلُ
الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ
يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/٢٦١].

وجعل سبحانه عقاب السيئة بمثلها ، أو يغفرها ويمحوها ، ويبدلها بحسنات ، ثم يضاعفها ،
ويفرح بتوبة المذنبين ، وكثرة السائلين ؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته: ﴿قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/٥٣].

فسبحانه ما أعظم كرمه ، وما أوسع رحمته ، وما أحلمه على من عصاه .
واعلم أن كل شيء يأتي عليه العد والإحصاء إلا أسماء الله وصفاته ، وكلماته ومخلوقاته ، وأرزاقه

ومقدّراته ، فلا تعد ولا تحصى أبداً ، فله الحمد والشكر أبداً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥] .

واعلم أن الكرم هو فعل الجميل لا لغرض ، فمن وهب المال لجلب نفع أو دفع ضر ، أو خلاص من ذم ، فليس بكريم .

والمؤمن كريم يعمل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله ، لا لمدح ولا ثناء ولا ذكر ولا مكافأة : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ١١٤] .

والكريم من الناس من صدرت عنه المحاسن الكبيرة ابتغاء مرضاة الله كمن ينفق ماله في سبيل الله ، وينفق أوقاته في طاعة الله ، وينفق عمره في الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات / ١٣] .

والله ﷻ هو الأكرم الذي كل خير منه ، الأكرم الذي صدرت عنه كل نعمة كما ونوعاً ، فهو أكرم الأكرمين ، وخير الرازقين ، وأرحم الراحمين .

هو الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم ، وأمدك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وأكرمك بالسمع والبصر والعقل ، وهداك للإيمان به ، وخلق لك من جنسك امرأة هدية لك ، وآواك في بيت ، وأطعمك ألوان الطعام والشراب ، ورزقك المال والولد ، وتمتعك بالصحة والأمن ، فاعرفه بالنظر في الآيات الكونية والشرعية ، واعبده واشكره : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمَائِكَ الَّتِي خَلَقَ ۙ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۙ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۚ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق / ١-٥] .

والكرم صفة عظيمة للرب يتقلب في مقتضاها المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي ، والناطق والصامت ، وينعم بها جميع الخلق : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان / ٢٠] .

والإكرام منه سبحانه خاص بعباده وأوليائه المؤمنين ، فهو لا يكرم بالكرامة الخاصة - وهي الإيمان والعمل الصالح ورضوانه والجنة - إلا من يحبه ويرضاه : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٥٦] .

وما أظهر من ذلك في الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي فلائنه كريم لا خالق ولا رازق إلا هو ، وجميع خلقه قاعدون على موائد نعمه ، ولعلمهم يتوبون إليه إذا رأوا كرمه وإحسانه : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف / ٣٣-٣٥] .

ومن أصر منهم على كفره ومعصيته فما يأخذه ليس بإكرام ، بل هو استدراج ومكر بهم ، جزاءً على أعمالهم الفاسدة ، ليأخذهم على أوفر ما جنوه : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ مَّا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَدَابُ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران / ١٧٨] .
ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة / ٥٥] .

فسبحان الكريم الذي خلق المخلوقات ، وخلق الأرزاق ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، الكريم الذي خلق الناس وعافاهم ، وأطعمهم وكساهم ، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢] .
وسبحان الغني الكريم الذي كل الكون عطاء من عطاياه .

هو الكريم الذي أقام الحجة على الخلق ، وتفضل عليهم بكل نعمه ، وتفضل على المؤمنين فحبب إليهم الإيمان ، وتفضل على العلماء بأن علمهم من علمه ، وتفضل على الأغنياء برزقه ، وتفضل على الفقراء بأن منعهم ما يشغلهم عنه ، وتفضل على المرضى بالعافية ، وتفضل على الضال بالهداية ، وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤] .

فسبحان الكريم الحق الذي كل رسله إلى عباده كريم ، وكل كتبه كريم ، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة / ٧٧-٨٠] .

فهو قرآن كريم فيه الهدى والبيان ، والعلم والحكمة ، والتوحيد والإيمان ، والفضائل والبشائر ، والسنن والآداب ، والثواب والعقاب ، وكل خير ونور ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم كما

قال الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن / ١-٢].
 والله ﷻ هو الملك الحق المتفرد بالعطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ،
 وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم ، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال
 خاص بالمؤمنين به : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف / ٣٢].
 فسبحان الكريم الذي عم بعطاؤه وإحسانه جميع المخلوقات، وملاً كونه العظيم بفضلته وكرمه
 ونعمه المتنوعة ، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبداً .

هو أكرم الأكرمين .. وأجود الأجودين .. وأرحم الراحمين : ﴿ذَلِكَ مُؤْمِنُ اللَّهِ رَبُّكُمْ لِأَلِهٍ إِلَّا هُوَ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].
 هو الكريم الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، وأفاض على خلقه النعمة : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ
 عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام / ٥٤].

سبقت رحمته غضبه ، وسبق حلمه عقوبته ، وسبق عفوه مؤاخذاته .

الفضل كله بيده .. والخير كله منه .. والملك كله في قبضته .. والخزائن كلها له .

أحب شيء إليه سبحانه البر والعطاء ، والرحمة والإحسان : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل / ٩٠].

وأحب شيء إليه أن يرحم عباده ، ويوجد عليهم بما عنده ، ويوسعهم فضلاً وأجراً ، وخيراً
 ورزقاً : ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ
 النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، ويتحجب إليهم بنعمه
 وإحسانه ؛ ليعرفوه ويسألوه ويعبدوه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
 أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وحبه ﷻ للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق .. والإحسان أحب إليه من
 العدل .. والعطاء أحب إليه من المنع .. والرحمة أحب إليه من العقوبة : ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنَ

كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾
 [إبراهيم/٣٤].

والله ﷻ هو الملك الذي بيده الملك ، الغني الذي عنده خزائن كل شيء ، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران / ٢٦] .
 فسبحان العزيز الكريم الذي كل خير ورحمة وإحسان منه .

هو الكريم الذي ابتداء خلقه بالنعم من غير استحقاق ، خلقنا ، ورزقنا ، وهدانا ، وأعاننا ، وضاعف لنا الأجر ، فيجب علينا الإكثار من ذكره وحسن عبادته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٤] .

هو الكريم الرحيم الذي يعطي الجزيل ، ويستر العيوب ، ويغفر الذنوب ، ويعفو عن السيئات ، ويُنسي العبد معاصيه ، وينسي الناس ذنوبه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء / ١١٠] .

هو الكريم الأكرم الذي لا تتخطاه الآمال ، إذا أعطى أغنى ، وإذا أولى فضلاً أجزله ، ثم ستره ، ثم بارك فيه : ﴿ نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن / ٧٨] .

هو الكريم الذي أحسن إلى عباده بكل خير ، كثير النوال والعتاء ، دائم المعروف والإحسان ، ذو الطول والإنعام : ﴿ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر / ٣] .

هو الكريم الذي يعطي من غير منة ، ولا يُحوج عبده إلى وسيلة .

هو العزيز الكريم الذي يُعطي ما لا يحصى من النعم ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

فسبحان الكريم الذي يُعطي على العمل القليل الثواب الكثير ، بل أعطى عباده الدنيا كلها من هواء ونور ، وطعام وشراب ، ومسكن ومركب ، ولباس وأرزاق : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَآبِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة / ٢٩] .

هو الكريم الولي الحميد الذي لا يضيع من لاذبه ، ولا يسلم إلا من التجأ إليه ، ولا يخيب من رجاءه ، ولا يرد من دعاه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جِئُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فأكثر من ذكره وحمده والثناء عليه ، فليس أحب إليه من مدحه والثناء عليه، واسأله أعظم ما تحتاج إليه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٢ ﴿ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴾ ٣ ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ٤ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ٥ ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ٦ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ٧ ﴿ [الفاحة/ ٢-٧].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْيَرَ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ» متفق عليه ^(١).

وهو سبحانه الكريم الذي ييسر الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى ، الحكيم الذي يقبض الرزق ممن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فاليسر كله عن الكريم صادر ، والمنع كله إلى الحكيم راجع .

والعطاء كله بسط ، والمنع كله قبض ، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده.

يسر لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق والعلم ، والإيمان والعمل ، والخير والخلق .

ويقبض ممن شاء من عباده ذلك ، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك/ ١٤].

فسبحان الكريم الذي ييسر ويقبض برحمته الواسعة ، وحكمته الشاملة .

فهو الحكيم الخبير الذي ييسر لمن شاء من عباده في ماله ، أو علمه ، أو عمره ، أو حياته ، أو خلقه ، أو عافيته ، ويقبض ممن شاء ذلك : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/ ٢].

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط والعطاء والمنع بأسباب من الناس ، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٣٤) ، ومسلم برقم (٢٧٦٠).

فالأَسباب في الدنيا محل حكمته وسنته الجارية فاعلم ذلك : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر/ ٤٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه ^(١).

والإيمان وتقوى الله صلى الله عليه وسلم من أعظم أسباب بسط الرزق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

واعلم أن العطاء كله بسط ، والمنع كله قبض ، وكل ذلك بيد الله الذي يقبض ويبسط وحده لا شريك له : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١].

وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه ، ليبسط له في الآخرة كل ما يحب ، وقد يبسط لمن أعرض عنه في الدنيا ما يحب ، ليعذبه به في الدنيا ، ويقبض عنه ما يحب في الآخرة : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزَهَاقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٥٥].

واعلم رحمتك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التدابير الربانية الملكية.

فالغنى بسط.. والفقر قبض.. والنعيم بسط.. والبؤس قبض.. والحياة بسط.. والموت قبض.. والأمن بسط.. والخوف قبض..

والخصب بسط.. والجذب قبض.. والصحة بسط.. والمرض قبض.. والعزة بسط.. والذلة قبض..

والقوة بسط.. والضعف قبض.. والفرح بسط.. والحزن قبض.. والرضى بسط.. والغضب قبض..

والإيمان بسط.. والكفر قبض.. والتوحيد بسط.. والشرك قبض.. والطاعات بسط..

والمعاصي قبض.. وهكذا : ﴿ اللَّهُ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد/ ٢٦].

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسط ، وأنواع الشر كلها قبض ؛ ليذكر العبد ربه الذي يقلب الأحوال ، ويدبر الأمر ، ويبيده ملك الدنيا والآخرة ، ويستيقظ من غفلته ، ويشكر ربه ، ويصبر على بلائه ، ويتوب إليه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

واعلم أن الله ﷻ هو الحكيم الخبير الذي يربي الأجسام بالطعام والشراب ، ويربي النفوس بتقليلها من حال إلى حال ، من بسط إلى قبض ، ومن أمن إلى خوف ، ومن عافية إلى مرض . فسبحان الخالق المالك لزمان كل شيء يقبض ويبسط كيف شاء .

يبسط العقل فيفهم ، ويقبضه فلا يفهم شيئاً ، ويبسط القلب فيتسع ، ويقبضه فيضيق ، ويبسط الصدر فينشرح ، ويقبضه فلا يتسع لشيء : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥] .

وحظ المسلم من هذا الاسم أن يقبض ويبسط حتى في الدعوة إلى الله ، فيذكر الناس بالله وقدرته ، ورحمته وعفوه ، وإحسانه وإكرامه ، ويذكرهم بعذابه وعقوبته وناره : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [الحشر/ ٢٢-٢٣] .

واعلم يقيناً أن أعظم البسط في الحقيقة هو الهداية للدين الحق ، وأعظم القبض الضلالة عنه : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجْدَلَهُ وَلِيَا مُرَشِدًا ﴾ [الكهف/ ١٧] .

والقبض حق الله منك ، والبسط حظك منه ، فتقرب إليه بحظك منه بأداء حقه عليك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

فسبحان من بسط لعباده المؤمنين كل خير ، وقبض عنهم كل شر ، وجعل ما أصابهم من الشر نعيماً في صورة عذاب ، يصفى توحيدهم ، ويرفع درجاتهم ، ويمحو سيئاتهم : ﴿ وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧] .

وسبحان من جعل ما أنعم به على الكفار والعصاة في الدنيا مكرماً بهم ، واستدرجاً لهم ؛ لحرمان شاء لهم في الآخرة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ يُعَذَّبُ مِنْهُمْ إِيَّاهُ ﴾ [آل عمران/ ١٧٨] .

فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه، ونسيانهم له ولدينه، عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم
جزاء على عملهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا
أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعَثَةٌ فَاذَاهُمْ مُبِلْسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام / ٤٤].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها ، لا قابض لما بسط ، ولا باسط لما
قبض ، وهو الحكيم الخبير .

إذا بسط الكريم بسط حتى لا فاقة أبداً ، وإذا قبض قبض حتى لا طاقة أبداً: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ
تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦] .

وسبحان ذي الطول والإنعام على جميع خلقه ، الذي يُنعم بالجزيل من الأرزاق ، ويعفو عن
الكثير من السيئات : ﴿غَافِرِ الدُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر / ٣] .

هو الغني الكريم الذي أيديه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة .. يُنعم بجزيل النعم ..
ويدفع شر النقم .. ويعطي من يطيعه ومن يعصيه ، ويرحم من أحسن وأساء .

بره لا يُنسى أبداً ، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا
سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام، المستحق لأن يهاب، لعظمة سلطانه، ويشئ عليه بما يليق
بعلو شأنه وجميل إحسانه، الذي له الإجلال والإكرام كله من جميع خلقه، ولا إكرام ولا كرامة

ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه سبحانه: ﴿بُورِكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن / ٧٨] .
فسبحان ذي الجلال والإكرام ، والعظمة والكبرياء ، الحي الذي لا يموت ، وكل ما سواه يموت : ﴿كُلُّ

مَنْ عَلَيْهَا فَأِنَّ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن / ٢٦-٢٧] .

هو سبحانه ذو الجلال والإكرام ، الجلال له في ذاته وأسمائه وصفاته ، والإكرام فائض منه
على خلقه ، فلا جلال ولا كمال إلا وهو له ، ولا إكرام ولا إحسان إلا وهو فائض منه .

فسبحان الملك الحق الذي جميع أسمائه وصفاته وأفعاله دالة على جلاله وجماله وكماله ،
وكل أفعاله تجاه خلقه إكرام ظاهر جلي ، أو باطن خفي ، إكرام إيجابي بالنعمة الظاهرة ،
وإكرام سلبي بالنعمة الباطنة التي هي المصائب : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي

الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

فما أعظم نعم الله على الإنسان ، وما أحسن إكرامه له ، وما أعظم رحمته به .
أعطاه ربه عقلاً يدرك به الأشياء ، وعيناً ينظر بها الأشياء ، وأذناً يسمع بها الصوت وجهة الصوت ، ونوع الصوت .

وأعطاه يدأ يأكل ويشرب بها ، ويأخذ ويعطي بها ، ويسلم ويكتب بها ، ويقرب ويبعد بها .
وأعطاه الكريم أنفاً يشم به الأشياء ، ولساناً يتكلم به ، وأسناناً يطحن بها الطعام ، ورجلين يمشي بهما ، كل ذلك وغيره إكرام من ذي الجلال والإكرام : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فسبحان العزيز الكريم الذي جعل الهيبة لكل من آمن به وأطاعه ، وجعل الذلة لكل من كفر به وعصاه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ فِي الْآذِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة/ ٢٠-٢١].

واعلم أن الله وحده ذو الجلال والإكرام ، الرزق إكرام من الله ، والصحة إكرام من الله ، والعلم إكرام من الله ، والجاه والشرف إكرام من الله ، والزوجة والأولاد إكرام من الله ، وكل خير ونعمة إكرام من الله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

فإذا تمتعت أيها الإنسان بهيبة ومكانة ، فاعلم أن الله هو الذي رفع لك ذكرك ، فتواضع له : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح/ ١-٤].

وإن أفتدك العزيز الكريم هيبتك ، وجاء أحقر الناس فتناول عليك ، فإنما يريد العزيز أن يعلمك أن الجلال والهيبة منه ، لا بسبب مالك وجاهك وقوتك : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

وكلما تمتعت بإكرامك للناس ، فاعلم أن الله أكرمك به فأكرمت به ، الكريم أعطاك فأعطيت ، وأغناك فأغنيت ، وعلمك فعلمت ؛ لأنه وحده ذو الجلال والإكرام : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ؕ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء/ ١١٣].

وإذا علمت أن الله وحده ذو الجلال، فيجب أن تجلّه ، وإذا علمت أنه وحده ذو الإكرام، فيجب أن تحبه، وتكرم عبادته ، وتعظمه وتجل كتابه ورسوله وعباده وبيوته وشعائره وأوامره:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكريم :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه ، الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فاجتهد أن تعمل بمقتضى هذا الاسم الكريم، بأن تكون كريماً في جميع أمورك وأحوالك مع ربك، ومع نفسك، ومع الناس ، وبذلك تحصل على مرضاة ربك ، وتظفر بمحبته لك ، فالله كريم يحب معالي الأخلاق ، ومكارم الفعال ، ويحب المتصفين بها ، والدعاة إليها. وبذلك أنزل كتبه .. وأرسل رسله .. وشرع دينه.

والتبعّد لله بمعاني أسمائه وصفاته هو الدين القيم ، وهو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض ، والدين كله مجموع في أمرين : عبادة الحق ، ومحاسنة الخلق : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء/ ٣٦].

والله سبحانه كريم يحب كل كريم .. شكور يحب كل شاكِر .. عفو يحب كل عفو .. محسن يحب كل محسن .. رزاق يحب كل رازق .. ثواب يحب كل تائب.

فعليك بالتحلي بمكارم الأخلاق ، فهي أثقل شيء على النفس ، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِينَ الْعَظِيمِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

ولهذا مدح الله رسوله ﷺ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » أخرجه أبو داود^(١).

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).

وعليك بطاعة الله ورسوله ، ولزوم السنة ، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه ، ولن يهينها بمثل معصيته : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٧١].

وعليك بأداء الفرائض ، واجتناب المناهي ، ببدن ظاهر ، وقلب خاشع متذلل بين يدي ربه الرحمن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك / ١٢].

واعلم أن المسلم إذا علم أن ربه هو الكريم فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيمان والتقوى في كل حال ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه ، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم ، وحسن الاقتداء بهم ، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها ، وحسن أدائها ، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها ، وشكر الله المنعم بها : ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات / ١٣].

واعلم أن الكرم فعل ما ينبغي لا لغرض إلا ابتغاء مرضاة الله : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِيئًا وَبِئْسَمَا وَأَسِيرًا ﴾ [٨] إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُكُمْ جِزَاءً وَلَا نُشْكُرُكُمْ [٩] إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا [١٠] فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا [١١] [الإنسان / ٨-١١].

وكن كريماً محسناً تؤدي كل ذي حق حقه بطيب نفس ، وسعة صدر : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٧٧] [الإنسان / ٨-١١].

وإن قدرت أن تزيد فزد يزدك الله من فضله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس / ٢٦].

وإن كان لك على غيرك ، حق وتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه ، وأبق للكرم موضعاً ، فما استقصى كريم قط ، ومن أكرم بخير أكرمه الله وغفر له : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور / ٢٢].

وكن كريماً بما تملك ، وإياك والشح والبخل ، والحرص والطمع وجميع مساوئ الأخلاق : ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٩] [الحشر / ٩].

وأنفق ينفق الله عليك ، واجتنب البخل بما أعطاك الله من نعمه فلا داء أدوى من البخل ، ولا شر

أشْر مِنْهُ ، وَيَسُّ الطُّوقَ لِلْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران / ١٨٠] .

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله به ، حيث لم يكلفك إلا بعض وسعك ، ثم رد نفع ذلك عليك ، وعفى لك عن الكثير ، وضاعف لك الأجر ، فلا تظلم أحداً ، ولا تهن مسلماً ، وتعبّد لله مع خلقه بما يحب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء / ٤٠] .

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وعافاك في الدنيا من السجود للصنم ، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه حتى لا يشغلك به عنه : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِيبُوا دِينَكُمْ فَادْعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالْيُسْرَىٰ وَأَعْلَىٰ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهَا ، هُوَ يُخَيِّرُ الْمُخَيَّرِينَ ﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤] .

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يُعسر على عباده ما يشغلهم عنه ، ويُيسر لهم ما يغنيهم عن سواه ، ويفتح على جميع خلقه أبواب رحمته .

يستر عَصَاً عَلَى الْعَصَاةِ وَهُمْ الْمَجَاهِرُونَ .. ويحسن إليهم وهم المسيئون .. ويعفو عنهم وهم الظالمون .. ويصبر على أذاهم وهم المعتدون : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة / ٧٤] .

يفعل الكريم هذا كله على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه ؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة / ٣٦-٣٧] .

ونذب سبحانه إلى الإتمام به في حسن معاملة أكرم من خلقه فقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت / ٣٣-٣٦] .

ولكي تكون كريماً صلِّ رحمك الله من قطعك .. وأعط من حرمك .. واعف عن ظلمك .. وأحسن إلى من أساء إليك .. وكف لسانك عن الأذى والخنا والمكروه والفضحاء .

وعوّد نفسك السخاء ، ويدك العطاء ، ولسانك الذكر والشكر والدعوة والدعاء .
 وصُنْ نفسك عن شين الأمور ، وتنزه عن اللؤم والغرور ، وترفع عن الدقة والاستقصاء
 في الأمور ، واصفح عن المعتذر ، واعف عن الجاني : ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٩٩] .

وأحسن إلى المسيئين ، وتجاوز عن المذنبين ، واشمل بمعروفك من استطعت من الخلق .
 أحسن إلى الناس جميعاً ، واعلم أن إساءتك إلى مجوسي أو عابد صنم أو ملحد
 كإساءتك لمسلم ؛ لأن هذا عرف الدين من خلال إساءتك أنه عدوان ، فأبعدته عن الدين
 بهذه الإساءة : ﴿ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرؤُهُمْ وَقَسَطُوا
 إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة / ٨] .

ثم عليك بحسن الأدب مع أهلك وأقاربك ، تعاهدهم بالمال والنصيحة ، وانشر فضائلهم ،
 واستر معائبهم ، واقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وتغافل عن زلاتهم ، وأقل
 عثراتهم ، ولا تطالبهم بكل حقد عندهم تكن ربانياً محبوباً : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ
 شَيْئاً وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
 الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
 مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء / ٣٦] .

وبذلك ينسطون إليك ، وتملك زمامهم بيدك ، ويأسر حبك قلوبهم ، ويرضى الله عنك .
 ما أعظم حلم الكريم على خلقه ، وما أسوأ أدبهم مع ربهم ، فهم يعصونه بنعمه مع عظيم
 سلطانه ، وجزيل إنعامه ، ودوام مشاهدته لهم ، وهم يشركون به وهو يتودد إليهم ويدعوهم
 إلى التوبة : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَكُلٌّ مِّنْ آلِهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا
 عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٧٣] أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه .
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة / ٧٣-٧٤] .

فسبحان من حلمه وكرمه مبسوط لجميع خلقه حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهاراً ،
 وذلك لكمال حلمه ، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه ، وكثرة صفحه عن زلاتهم ، ودوام
 ستره لمخازيهم ، وعظيم صبره على أذاهم : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا
 تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِّن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ
 بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر / ٤٥] .

واعبد ربك كأنك تراه، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك ، فاتق الله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وقدم مراد ربك منك على مرادك منه ، وأكمل محبوباته في الدنيا يكمل لك محبوباتك في الآخرة ، وكن من خواصه وأوليائه تنال رحمته ورضوانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠) ﴿ [التوبة/ ١٠٠].

اللهم اجعلنا وإياكم والمؤمنين والمؤمنات ممن خصه ربه بإكرامه ، وتغمده برحمته، وفاز برضوانه، وأسكنه جنته.

واعلم أن الكريم سبحانه أجود من سئل ، وأكرم من أعطى ، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤمل ، ويسأل ويدعى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ [غافر/ ٦٠].

هو الكريم الذي خلق الخلق ، وخلق لهم ما في السموات والأرض ، وما في الدنيا والآخرة . ثم أكرمهم بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع لهم الدين ، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا ، ولا يمل حتى يملوا : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (١٦٤) ﴿ [آل عمران/ ١٦٤].

وشرع الكريم لعباده التوبة من الذنوب ليتوب عليهم ، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم ، ورغبهم في الرحمة ليرحمهم ، ورغبهم في السؤال ليعطيهم : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٤) ﴿ [الأنعام/ ٥٤].

فسبحان الكريم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب ، ويرفع به الدرجات ، ويزيد به الحسنات ، من الأدعية والأذكار ، والوضوء والصلاة ، والصدقة والزكاة ، والصيام والحج وغيرها من القربات والطاعات الموصلة إلى روضات الجنات : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) ﴿ [الذِّكْرِ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فبادر رحمتك الله إلى فعل ما يحبه ويرضاه تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].
واعلم نور الله قلبك بحسن معرفته ، واستعمل جوارحك في حسن عبادته ، أن الكريم الحق منه التوفيق والعطاء أولاً وآخراً ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع .

وعباده وخلقه هم محل إحسانه ورحمته ، فالعبيد كلهم له ، والمال كله له ، والدين كله منه ، والثواب كله منه ، وكل ما في الكون من نعمه وحده : ﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَاثِمُ بَجْحَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣].

ومن هذا شأنه ، وهذا إحسانه ، كيف لا يحبه العبد ، وكيف لا يستحي منه ، وكيف لا يخاف منه ، وكيف يقبل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة إلى غيره : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنذِرُونَ بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنتِرُونَ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحاف / ٤-٦].

وإذا كان الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد ، فاعبده مخلصاً له الدين ، واملأ جميع أوقاتك بذكره وحمده كما ملأ الكون لك بفضلته ونعمه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر / ٦٥-٦٦].

فكن في الليل مع الكريم احمده واسأله ، وفي النهار أكرم خلقه ، وعلمهم الدين .
وكن في الليل مع الغني اسأله من فضله ، وفي النهار أنفق على عباده مما أعطاك من مال وعلم وخير : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة / ٢-٣].

وكن في الليل مع العفو الحليم اسأله أن يعفو عنك ويحلم عليك ، وفي النهار اعف عن ظلمك من الناس ، واحلم على من أغاضك : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ
الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه ، وخصك بهدايته ، وحبب إليك عبادته .

فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم ، ويهتدوا إلى خالقهم ، وتفوز أنت بالهدى
وجزيل الأجر بالدعوة إلى الله ، وتعليم أحكام دينه ، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بَالِغًا هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٣٥﴾ [النحل / ١٢٥].

وإياك أن تتعرض لسخط ربك بفعل ما يغيضه ، وارتكاب ما حرمه .

فمن فعل ذلك فقد استدعى من الكريم الرحيم خلاف ما هو موصوف به من البر والجود
والإحسان ، وعرض نفسه لسخط ربه وعقوبته ، وأن يصير سخطه موضع رضاه ، وانتقامه

وعقوبته موضع كرمه وعطائه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾

[المائدة/ ٧٨-٨٠].

فما أعظم شؤم من عصاه فقد استدعى العاصي بمعصيته من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه ،

وهو الجود والإحسان والبر : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك ، فأنفق مما آتاك الله من فضله ،

وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ﴿٧﴾ [الحديد / ٧].

واشكر رحمك الله من بسط لك نعمه ، وقبض عنك نقمه ، بلزوم طاعته ، ودوام ذكره ،

وحسن عبادته ، وامثال أمره ، واجتناب نهيه ، تسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾

وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ

عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٢-١٣٤].

ومن ضيق الله عليه في ماله أو علمه أو خلقه أو جاهه فليجأ إلى الكريم وحده، وليطلب منه مده وعونه وفضله، فلا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعام / ١٠٢].

وعليك بالشكر لمولائك في حال البسط، والرضى بالقضاء واجتناب الضجر حال القبض، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط، بالإدلال والمنة: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

فالله غني عنك وعن غيرك وعن كل ما يكون منك من عمل: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت / ٦].

فاجتهد في طاعة ربك، وارض بما قسم الله لك، ولا تمنّ وتنبسط في حال البسط، ولا تشكوه حال القبض، لعلك تنجو: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون / ٦٠-٦١].

وسارع إلى الخيرات، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك وصرفك عنه برحمته: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة / ٢١٦].

واعلم أن ربك هو الله ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له، وهذا اسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، فإذا حلت بك مصيبة، أو نزلت بك ملمة، أو أصابتك نكبة فالجأ إلى ذي الجلال والإكرام، فإنه لا يقدر على رفعها إلا هو: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل / ٦٢].

فسبحان من جلاله قهر كل شيء، وجماله فتح باب القبول والوصال، وجلاله وجماله ظهر في كل شيء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتُبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران / ١٤٧].
﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان / ٧٤].
«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي

أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضَلِّلَنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ «
متفق عليه^(١) .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » أخرجه مسلم^(٢) .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير
من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف
عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، يا أرحم الراحمين .

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا أرحم
الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٤) .

الوهاب

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].

الله ﷻ هو الغني الحق الذي له خزائن السموات والأرض، الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا، والأرزاق، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأموال، والأولاد، والصور، والألوان: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّكُمْ لَأِلْسَانُنْ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فهو المَلِكُ الذي وهب كل مُلك .. وهو الرزاق الذي وهب كل رزق.. وهو الكريم الذي وهب كل كرم.. وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة .. وهو الهادي الذي وهب كل هداية.. وهو القوي الذي وهب كل قوة.. وهو العليم الذي وهب كل علم.. وهو الجميل الذي وهب كل جمال: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعِنَدْنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿٦١﴾ [الحجر/ ٢١]. هو الوهاب الحق الذي يهب ما يشاء، لمن يشاء، كيف شاء: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ إِنَّ شَاءَ لَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

والله سبحانه هو الوهاب الحق الكثير الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل/ ٥٢-٥٤].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي بيده خزائن السموات والأرض، وبيده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ طَهُورًا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم، ولكمال كرمه ورحمته هبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء/ ٧٠].

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم ، وأجزل لهم الأجر فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿٧٤﴾
أَوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا
حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان/ ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة متنوعة متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون .
فسبحان الغني العزيز الوهاب ، ما أعظم شأنه ، وما أوسع خزائنه ، وما أجزل عطاياه ، وما أكثر هباته :
﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ الْبَشَرَ لَشَيْءٍ لَّيُضِلَّهُمْ وَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْبُخْلَ لَسَوْفَ يَكُونُ مُخْلَقِينَ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].
وَاللَّهُ وَسِعَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

هو الوهاب الذي لا تنقضي خزائنه مع جزيل عطاياه ومواهبه على مدى القرون والدهور :
﴿ إِنَّ هَذَا الرَّزْقُ مَالٌ مِنْ نَفَادٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص/ ٥٤].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَئِكَمْ
وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا
عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَئِكَمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ
مُلْكِي شَيْئًا .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَئِكَمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » أخرجه مسلم ^(١).

والله جل جلاله هو الملك الكريم الوهاب ، مالك الملك والملكوت ، الذي بسط فضله وإحسانه
الديني والدينيوي على جميع العباد ، يده بالعطاء ملأى ، سحَاء الليل والنهار ، وخيره على
الخلائق في جميع الأوقات مدرار: ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
[يونس / ٦٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ » متفق عليه ^(٢).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٩٣) .

فسبحان العلي الأعلى الذي استوى على عرشه العظيم برحمته ، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير ، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

في كل آن يفرج كرباً .. ويزيل غماً .. ويفك أسيراً .. ويغني فقيراً .. ويرحم مسكيناً .. ويجبر كسيراً .. ويغيث ملهوفاً .. ويجيب كل مضطر .. ويعطي كل سائل .. ويغفر لكل مستغفر .. ويستجيب لكل داع .. ويتوب على كل تائب .. وينعم على من سأله ومن لم يسأله .. ويعطي من أطاعه ومن عصاه : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة والملك والخلافة لمن شاء من خلقه : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٣٣] ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

واعلم أن الوهاب وهب لبعض خلقه عطاء فأعطى منه الخلق، فصار واهباً مما وهبه الله له من الخير ، ولا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت عطاياه وهباته ونوائله ودامت وهو الحق ﷻ : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الحمد لله رب العالمين] ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن ، وينفق كما شاء، بأي قدر شاء، ولا تنقص خزائنه ولا تفنى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [١١] [الحجر/ ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالاً أو نوالاً في حال دون حال ، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ، أو ولداً لعقيم ، ولا هدىً لضال ، ولا أمناً لخائف ، ولكن الله يملك ذلك كله : ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب . وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإبقاؤها متى شاء بحكمته : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء/ ٣٠].

هو سبحانه الوهاب الذي كل شيء من هباته وعطاياه .

هو سبحانه الوهاب الذي يهب خلقه أصناف النعم على مر القرون .

وهب الإنسان نعمة الوجود ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الصحة ، ونعمة العقل ، ونعمة الهداية : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

واعلم أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، ولا أحد أعظم إحساناً إلى الخلق من الله ، بل كل إحسان إلى الخلق فهو منسوب إلى الله ، وكل إحسان يولد المحبة ، ولا إيمان لمن لا محبة له لربه ، وعلامة المحبة اتباع المحبوب وطاعته : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣١].

هو سبحانه الملك العزيز الوهاب الذي يعطي بلا وسيلة ، وينعم بلا سبب ولا حيلة ، جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والإفضال ، دائم المعروف والإحسان : ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الوهاب الذي وهب كل واهب ، وألهم كل واهب أن يهب مما أعطاه ، وأذن له بذلك ، وأعاناه على ذلك ، وضاعف له أجر ذلك : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِئُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ يَخِشُوا اللَّهَ الْغَنِيِّ الْعَنِيمُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

هو الملك الغني القادر الذي خلق كل شيء ، المالك لكل شيء ، الوهاب الذي يهب عباده كل شيء : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وهبات الرب لخلقها ثلاث حالات :

إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام على حسن الطاعة لله : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص/ ٣٠].

والعقوبة على الكفر والمعاصي : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٤-٤٥].

والابتلاء ليتبين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس ، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق :

﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، الوهاب الذي خيره وفضله يرتع فيه كل الخلق، الإنسان والحيوان، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أتى على نفسه: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٧٠] ﴿ [القصص / ٧٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الوهاب :

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في الدنيا والآخرة، وذلك من فضله وإحسانه إلى عباده.

فاعرف مولاك الكريم الذي عرفك بنفسه بآياته ومخلوقاته، ثم اذكره، ثم اشكره واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمَوْا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٣] ﴿ [الطلاق / ١٣].

ثم اعلم أن الوهاب ﷻ أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه، وما نعلمه وما لا نعلمه: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥٤] ﴿ [المائدة / ٥٤].

ويوم القيامة يُظهر الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول، وما لم تره العيون: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٧] ﴿ [السجدة / ١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ متفق عليه^(١).

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيدك بها خيراً: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [٧] ﴿ [إبراهيم / ٧].

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والعقل والرزق جعله عوناً لك على طاعته، فلا تستخدمه في غير ما يرضه، ولا تستعين به على معاصيه: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [١٧٢] ﴿ [البقرة / ١٧٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) ومسلم برقم (٢٨٢٤) واللفظ له.

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم خير لك من جميع ما في الدنيا من النعيم : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى / ٣٦] .

فلا تبع غائباً بشاهد، ولا تبع آخرتك بدياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .
فهب رحمك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك ، والقنوت له ، والسجود له .

وهب ما أعطاك من الخلق الحسن في القول الحسن، ودوام الذكر والشكر له، وتأليف قلوب الناس على دينه ، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف ، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام دينهم تكن ربانياً: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته ، كما سأله سليمان ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص/ ٣٥-٤٠] .
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحْمًا حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرِ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾ [ص/ ٣٥-٤٠] .

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم فاحمد الوهاب على إحسانه كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم/ ٣٩] رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠] .

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية وحسن الخلق وما أسداه إليك من النعم والحكمة يزدك خيراً، ويُعظم لك أجراً : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان/ ١٢] .

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا ينقطع ولا يبئد، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، على أسمائه الحسنى، ونعمه التي لا تحصى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان / ٧٤].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »
أخرجه مسلم^(١).

اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين .

اللهم لك الحمد كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ،

ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك ، إنك أنت الكريم الوهاب .

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١) .

الكافي

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْرَبُوا لِللَّهِ لِقَاءَ إِحْسَابِهِمْ يَوْمَ يُحْشَرُونَ فِي الْبُحْرِ فَسْحًا وَاللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ أَشَدَّ عَذَابًا﴾ [الزمر/ ٣٦].

الله ﷻ هو الكافي الحق القائم بالخلق كله ، القائم بالأمر كله ، القائم بالرزق كله ، القائم بالحفظ كله : ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١] .

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجون إليه ، فهو وحده حافظهم ورازقهم ، الذي يدبر أمورهم ، وييسر مصالحهم ، الذي يكفي عباده المهم ، ويدفع عنهم الملم ، الذي له خزائن السموات والأرض : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء/ ١٣٢-١٣٣] .

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه ، الذي يدافع عنهم ، ويهلك أعداءهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج/ ٣٨] .

وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة . فوقاهم الله في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ، الأعمال السيئة ، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم النار ، وأدخلهم الجنة ، ووقاهم سخطه وعذابه ، بالإيمان والعمل الصالح ، ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى ، ووقاهم بإيمانهم ، شريوم القيامة : ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [النساء/ ١١] .

صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان/ ١١-١٢] .

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واق ؛ لأنهم لم يتقوا الله ليقبهم العذاب : ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الأنعام/ ٦١] . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر/ ٢١-٢٢] .

وكفاية الله لعباده نوعان :

الأولى : كفاية عامة لجميع المخلوقات من الإنس والجن ، وسائر الحيوان ، فهو سبحانه الكافي الكفيل لهم بكل ما يحتاجونه .

فهو الذي قام بخلقهم ، وإمدادهم ، وحفظهم ، وهدايتهم لما خلقوا من أجله ، وهياً لهم ما يغنيهم

ويكفيهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود / ٦] .

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين ، فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه ، العاملين بطاعته ، فمن توكل على ربه حق التوكل كفاه ربه أمور دينه ودنياه ، وسدده في أقواله وأعماله ، وكفاه همه ، وكشف غمه ، وجمع له رزقه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣] .

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به وتوكل عليه، القوي الذي يخذل كل من عاداه وعادى أوليائه بأي قوة في كل مكان وزمان : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة / ١٣٧] . وهو سبحانه القوي الكافي الذي ينصر أوليائه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب / ٢٥] . اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الكافي :

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه ، فكن حسن الظن بالله ، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه، بكفيك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل / ٧٩] .

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تستبطئ كفاية الله إذا تأخرت، فإن الله بالغ أمره قطعاً ، في الوقت الذي قدره له: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٣] .

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه كفاه الله مؤنة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤنة الناس : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩] .

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه فخرس دنياه وآخرته ، ولم يأخذ إلا ما قدره الله له : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون / ٩] .

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكره إليهم فأذلوه ، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنياه غيره ، وأسفه الناس من أقبل على الدنيا ونسي الآخرة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء / ١٨-٢٢] .

فتوكل على الكافي الحق وحده فيديه مقاليد الأمور كلها: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر / ٣٦] .

واسأل الله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة : ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣] .

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وبفضله عن سواه : ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِيبُوا صُلُوبَكُمْ فَلْيَطِيبُوا وَأَطُوا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤] .

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح للخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة / ٢] .

واشكر ربك على عطائه لك ، وكفايته لك ، وهدايتك لدينه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى / ٦-١١] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَنَا، وَكَفَانَنَا وَأَوَّانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي » أخرجه مسلم^(١) .

﴿ رَبَّنَا عَلَيْنَا مَوْلَانَا وَإِلَيْكَ أُنْبَأُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة / ٤] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥) .

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم^(١).

اللهم أَلْفَ بين قلوبنا ، وَأَصْلِحْ ذات بيننا ، واهدنا سبيل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم يا خالق الخلائق كلها ، ويا كافي المخلوقات كلها ، نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لنا وترحمنا ، يا أرحم الراحمين .

اللهم يا من يكفي عن كل أحد ، ولا يكفي عنه أحد ، يا أحد من لا أحد له إلا أنت ، أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الكفيل

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل / ٩١].

الله ﷻ هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم ، الكفيل الذي تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء / ١٣٢].

وهو سبحانه الكفيل الحق الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه حفظاً ورزقاً، وقوتاً ووقاية، وتعليماً وهداية ، وغير ذلك من ألطافه وإحسانه: ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفُونَ ﴾ [النحل / ٥٢] وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [النحل / ٥٢-٥٤].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليقة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم في الدنيا ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧].

وهو سبحانه الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين ، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له ، الكريم القادر الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس والجن والحيوان والطيور: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود / ٦].

واعلم بأن الله ﷻ قد تكفل برزق وتربية جميع الخلائق، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً، وإنما الرازق هو الله وحده الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان .

ومن مات من الخلق جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله، والله ﷻ لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه الله له، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها وخطاها: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون / ١١].

وهو سبحانه الصادق في قيله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالاته ، العظيم إحسانه ، الدائم بره : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

• التبعّد لله ﷻ باسمه الكفيل :

انظر رحمك الله إلى مجاري الكرم والرحمة والإحسان في الملك والملكوت، تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يصلح عباده من أنواع النعم وتيسير الأمور، ترى ذلك خلقاً مشهوداً، وبساطاً ممدوداً: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فجميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه وينعمون بإحسانه وخيره، فكن كذلك مع نفسك ، أعطها حقها، وخذ منها الحق الواجب عليها من الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعم عليها بما لا يُحصى من النعم: ﴿وَاتَّبِعْ فِي مَآءَاتِنِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الفصّر/ ٧٧].

واسأل الله أن يعينك على نفسك، ويقيك شرها: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمٌ رَّبِّي إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف / ٥٣].

وأدّ ما لله عليك من حقوق، وما للناس عليك من حقوق، واستغفر الله من كل تقصير ، فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

واعلم أن الله تكفل بأرزاق الخلق كلهم، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله ، فأدّ الأمانة لتربح وتنجو من الخسارة: ﴿وَأَعْصِرْ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر / ١-٣].

وكن في ليلك مع الكفيل، اذكره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فهو أهل أن يُذكر، وأهل أن يُحمد، وأهل أن يُعبد: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِذْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١﴾ [الزمر / ٩].

وكن في النهار مع الخلق بالرعاية والإحسان ، اهد ضالهم ، وعلم جاهلهم ، وأطعم فقيرهم ، واقض حاجاتهم ، تنال بذلك أجراً عظيماً: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن مَنْ صدَّق مع الله، ورضي به كفيلاً، ساقه إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانه على أداء الأمانة، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ٢﴾ ويزُرُّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ٣﴾ [الطلاق / ٢-٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۙ ٨﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۙ ١٤٧﴾ [آل عمران / ١٤٧].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبِئْوُءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبِئْوُءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري^(١).

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الْبِرُّ

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٣٦﴾ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾﴾ [الطور / ٢٦-٢٨].

الله تبارك وتعالى هو البرّ الواسع الخير والفضل، البرّ بعباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره ووعده ووعيدته، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

وهو سبحانه البرّ اللطيف بعباده، الذي عم بره جميع خلقه، ووسعهم برزقه وإحسانه، الغني الذي يملك خزائن البر كلها: ﴿وَلِنَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر / ٢١].

وهو سبحانه البرّ الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البرّ بالمحسن بمضاعفة الثواب له، البرّ بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥].

وهو سبحانه البرّ الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة، يمحوها بالتوبة أو برحمته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى / ٢٥].

فسبحان البرّ الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام / ١٦٠]. والله ﷻ هو البرّ الحق بعباده الذي يُوسعهم خيراً وكرماً، وفضلاً وإحساناً، وحمداً وشكراً، ومغفرة وعفواً، ورحمة ووداً: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُومُ مِّن تَعَمَّةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَتِيهِ تَجْرُورًا ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

ومن هذه صفاته وأفعاله، وهذا بره بعباده، أيلق بالإنسان أن يعصيه ويخالف أمره من

بين خلقه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

والله برّ رحيم بعباده ، يدعو من عصاه ويتودد إليه أن يتوب إليه ، ويذكره ويرغبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

والعبد المسلم برّ بربه يؤمن به ، ويحمده ويشكره ، ويسارع في مرضاته ، ويجتنب ما يكرهه ، ويراقب أمره ليطيعه: ﴿التَّكْبِيرُ الْعِيدُونَ الْحَمْدُونَ السَّجِدُونَ الرَّكْعُونَ السُّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

ويتذلل لعظمة ربه ، ويتصاغر لكبريائه ، ويسبح بحمده ، ويؤدي إليه حقه : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان البرّ الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره وإحسانه ، وفضله وعطائه . فهو مُولي النعم .. دافع النقم .. واسع العطاء .. دائم الإحسان .. ليس لبره حد .. وليس لكرمه مقدار .. ذو الكرم الواسع .. وذو العطاء الجزيل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه البرّ المحسن إلى خلقه بكل خير ؛ لأنه خلقهم ليسعدهم ويكرمهم ويحسن إليهم ، يرببهم بالنعم ليحبوه ، ويرببهم بالشدائد ليتضرعوا إليه ، ويفروا إليه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو البرّ المحسن بالبر المطلق ، الذي بره وسع جميع خلقه ، هو البر الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان ، البر الذي ينعم على من أطاعه وعصاه ؛ لأنه لا رب غيره ، ولا إله سواه : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّي فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ

وَهُتَوَّلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ
دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿٢٢﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فسبحان الملك البرّ المحسن إلى جميع خلقه ، الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه ،
ويتفضل على العابدين بجزيل ثوابه ، الذي كل أفعاله حسن جميل مليح : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ
الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس/ ٣١].

هو سبحانه البرّ الذي عم خيره وإحسانه جميع خلقه ، البر بعباده الذي دلهم عليه ، وبين
لهم كل ما يقربهم إليه ، وحب إليهم الإيمان به وحسن عبادته ، وكره إليهم كل ما يبعدهم
أو يشغلهم عنه : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَانَ وَزِينَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ ﴿٧﴾ فَضَّلَا مِنَ اللَّهِ
وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فسبحان البر الرحيم الذي أسعد بأنواع بره جميع خلقه ، وخص من آمن به وأطاعه بمزيد
من البر والإحسان : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٢].
واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان :

الأول: برّ عام وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم
والعطايا في كل زمان ومكان.

فمنه ﷻ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية العامة : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود/ ٦].

الثاني: برّ خاص ، وهو هداية الكريم ﷻ لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم ، وتوفيقهم
لطاعة رب العالمين : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٧].

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عدّه ، ولا إحصاؤه ، ولا حصره ، ولا الوقوف على آحاده .
فهو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بجوده ، وجاد على عباده بفضله ، وأحسن إليهم بفعله
وتقديره وتدبيره ، وأوصل إليهم البرّ والخير في كل مكان وزمان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَمَحَلَّتْهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

هو البر الكريم الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأعطى الغناء ، وفتح الثراء ، وأسبغ النعماء ، وأجزل المواهب ، ويسر الأرزاق ، وأجاب الدعاء ، وعلم الإنسان ما لم يعلم : ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعام / ١٠٢].

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير ، الذي يعطي ويغني ويثري ولا تنقص خزائنه : ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨] .

وهو البر النصير ، ملاذ المستجير ، وجابر الكسير ، وشافي المريض ، وراحم المسكين ، ومعين المستعين ، ومغني الفقير ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس / ٦٠] .

فسبحان الملك القادر على كل شيء ، الذي إليه المنتهى وإليه المرجع والمآب ، وإليه المفزع والملجأ في الشدائد والأهوال ، الذي يتكرم بالعطيات ، ويدفع الكريهات ، ويفرج الكرب والمتعسرات : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥] .

أوضح ﷺ براهين الهدى ، وأبان آثار اليقين ، وأعلن شواهد التوحيد في الملك والملكوت : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

فسبحان البر الكريم الذي بين الحق في كل شيء ، وسهّل العمل به ، والدعوة إليه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل / ٨٩] .

وبيّن البر الرحيم الصفات والأعمال والسبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم ، وضاعف أجر من قام بها : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ آتَنَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون / ١-١١] .

واعلم أن البر اسم جامع للخيرات كلها ، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي إلى بره ومرضاته ورحمته، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته ، وبذل كل محبوب في سبيل مرضاته ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وقد بين الله جميع أعمال البر في آية واحدة بقوله سبحانه : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة/ ١٧٧].

فاقطع من وقتك أوقاتاً للتجارة مع ربك للقيام بأعمال البر كلها. فأولها كما ورد في الآية الجانب الإيماني، ليزيد إيمانك وتحسن أعمالك. أما الجانب العملي فأوله البذل في وجوه البر إحساناً إلى الخلق . أما العبادات التي تجمع المخلوق بخالقه فهي الصلاة ، والعبادات التي تجمع المخلوق بالمخلوق على المحبة هي الزكاة .

أما العبادات الأخلاقية فهي الوفاء بالعهد، والصبر في كل حال. واعلم أن من شروط البر أن تبذل الأحسن، وتعطي الأفضل، من الأموال، والأخلاق، والمنافع، والأخلاق، والجاه، من أجل مرضاة الله : ﴿لَنْ نَنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم ، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة، فلا يغرنك ما هم عليه : ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٦٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمُهَادُّ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٦-١٦٧].

أما المؤمنون بالله المتقون له، فلهم مع عز الدنيا جنات في الآخرة نزلاً من البر الكريم لعباده الأبرار، الذين برت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً وفوزاً دائماً : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ

نَضْرَةَ النِّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٦].

وما ابتلاهم الله به من المصائب فهو لرفعة درجاتهم، وتكفير سيئاتهم، ورفع مقامهم، وزيادة أجورهم: ﴿وَلَنْبَلُوتِكُمْ بِنَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشْرِ الصُّبْرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْهُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين/ ١٨-٢١].

وما يحصل لهم في الدنيا من الشدة والعناء فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٨].

فلهذا ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار والأخيار من النعيم والبهجة والسرور: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة / ١٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه البرّ:

اعلم وفقك الله لأعمال البر أن أوائل البر أداء الفرائض، واجتناب المحرمات .
والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل.

وبالتوسع في أعمال البر، والمسابقة إلى الخيرات، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-١٢].

فعلبك بتحري الصدق في جميع الأحوال والأقوال والأفعال ظاهرها وباطنها، والتمييز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً، ثم فعل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

وعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» أخرجه مسلم ^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الثناء على المولى ، وتذكر الآلاء ،
 والتعرف على مواقع النعماء ، والعلم بمسالك بره وجوده في ملكوته ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد/ ٢-٣].

فأخلص لربك البر العظيم العمل ، وأوف له بالعهد ، وخصه بالحب والود ، وأكثر له من الحمد
 والشكر ، وأحسن إلى خلقه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ [البينة/ ٥].

وسل مولاك البر الرحيم الكريم أن يصل نعمه عليك في الدنيا من الصحة والإيمان
 والطاعات والأعمال الصالحة، بنعمه في الآخرة من رضوانه ودخول الجنة : ﴿ فَمَنْ
 أَنْكَسَ مِنْ يَقُولِ رَبَّنَا أَنْتَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا
 أَنْتَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابُ النَّارِ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا
 وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢٠٠-٢٠٢].

واشكر ربك البر الرحيم الذي ألوان بره بعباده لا يحصيها إلا هو .

ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه.
 وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ
 لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٥٥﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].
 وبر أهلك وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به، وأعطاك منه ، وأنفق مما حوَّلك من فضله يخلف
 الله عليك خيراً منه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ [سبا / ٣٩].

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك ، ومعرفة ما يحب ، والعمل بمقتضى ذلك ، والدعوة إليه
 بين خلقه .

وغض البصر ، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس ، واعرض عن كل جاهل ، وأحسن إلى
 كل مسيء إليك، تكسب مودته، ويندفع عنك شره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك ، وأقل عثرات الناس ، واسدل الستر على زلاتهم ، وطيب قلوبهم بالبر والجدود وحسن الخلق، يحبك الله والناس ، وتحل عقدة عداوتهم بحسن خلقك : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وأحسن إلى كل أحد، تكسب أجره ، وتظفر بمودته ، وتكون سبباً لهديته ونفعه . فمن كان كافراً أو مجرماً أو سيئاً أو عاصياً وهو لا يعاديك فأحسن إليه ، وتلطف معه ، وأكرمه ، فعسى أن تكون سبباً لهديته وتوبته : ﴿ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿٨﴾ [المتحنة/ ٨].

وكما ذكرك غيرك فاهتديت فذكر غيرك ، وكما أحسن الله إليك فأحسن إلى خلقه ، وكما أنعم الله عليك بنعمة الهداية فأنعم على غيرك بنعمة الهدى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن سلعة الله غالية ، وسلعة الله هي الجنة دار السلام . ومن توهم أن ثمن الجنة ركعتان تؤديهما ، أو درهما تنفقهما فقط ، وبعد ذلك يفعل ما يشاء فهو مخطئ : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٥﴾ [البقرة/ ٨٥].

فالدين بذل وعطاء ، وعبادة ودعوة ، وجهاد وصبر ، وإيمان وتقوى ، وعبادة الحق ، ومحاسنة الخلق ، وما أكمله الله لا بد من تكميله ، ومن قام بالدين كله نال الثواب كله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم أن البر اسم جامع لكل الطاعات ، ولكل أعمال الخير المقربة إلى الله ، ولكل الأعمال المرضية لله ، ولهذا أمرنا الله بالتعاون على فعله ونهانا عن ضده فقال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ

الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة/ ٢].

واعلم أن البر اسم جامع لخيري الدنيا والآخرة، ولا يناله إلا من صدق في إيمانه، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة.

والصدق أنواع، وأعلى أنواع الصدق أن تكون صادقاً مع الله.. وصادقاً مع نفسك.. وصادقاً مع الناس.. وصادقاً مع الخلق.

فالصدق مع الله أنك إذا عاهدته على التوبة ألا ترجع إلى الذنب، وإذا عاهدته على الطاعة ألا تعصيه بعد العهد: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩١].

والصدق مع النفس أن تحملها على طاعة الله، وترجرها عن معصية الله، وتعطيها حظها مما فطرها الله عليه حسب الشرع: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٧٧].

والصدق مع الناس أن تحب للناس ما تحب لنفسك، فتصدقهم الحديث، وتؤدي حقوقهم، وتدلهم على كل خير، وتحذرهم من كل شر.

والصدق مع الخلق أن تكون وفيّاً براً كريماً مع كل أحد، ففي كل كبد رطبة أجر: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة/ ١١٩].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » متفق عليه^(١).

وذكر العباد بالله وأسمائه وصفاته، وآلائه ونعمه، فأكثر من يعصيه لا يعرفه: ﴿ فَذَكَرَ إِذْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيِّدُكَ مِنْ يَحْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَنَجَّيْنَاهَا الْأَشْقَىٰ ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَوَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى/ ٩-١٥].

واسأل الله مخلصاً، وتضرع إليه باكياً، أن يحلل سخيمة قلبك، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل وغش، وحسد وكبر، ورياء وكذب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

ثم أسأله أن يملؤه بالتوحيد والإيمان والتقوى، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق:
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤) [الجمعة / ٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه^(١).

وإذا عرف المؤمن أن ربه برحيم فيجب عليه أن يكون باراً بكل أحد: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِينَ الْأَعْيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١١٢) [آل عمران / ١٩٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لِنَا نُورًا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨) [التحریم / ٨].

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظْمِي لِي نُورًا» أخرجه مسلم^(٢).

اللهم يا برُّ يا رحيم ، يا غني يا كريم ، يا من يسمع كلامنا ، ويرى مكاننا ، ويعلم سرنا ونجوانا ، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا .

نسألك أن تكفيننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

المقيت

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء / ٨٥] .

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به، وأرسل إلى جميع المخلوقات الحية أرزاقها: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود / ٦] .

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف ، المقيت الذي يعطي كل مخلوق من نبات وحيوان وطيور وإنسان قوته على مر الأوقات والدهور: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء / ٣٠] .

فسبحان من خلق جميع المخلوقات، ومن يمد هذه الخلائق في كل وقت بما جعله قواماً لها، فإذا أراد موت شيء منها حبس عنه ما جعله مادة لبقائه من القوت فمات بإذن الله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُ مِمَّنْ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم / ٤٠] .

والله ﷻ هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له.

هو المقيت الذي يُقيت الأجساد بالطعام والشراب .. ويُقيت العقول بالعلوم والمعارف .. ويُقيت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم .. ويُقيت الأرواح بدوام المشاهدة، ولذيذ المؤانسة .. ويُقيت الأبدان بحسن العبادة: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤] .

فسبحان الملك الحق الذي قدَّر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم ، وقدَّر أقوات أهل الأرض، وما يصلح لمعايشهم من النبات والأشجار، والثمار والمنافع: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالِغَةٍ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٣] .

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع، والثمار، والأقوات، والمكاسب، ما لم يجعله في الأخرى؛ ليشيع أوامره الشرعية في التجارة في كل بلد، ليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل/ ١٣-١٤].

فيحصل بسبب ذلك من المنافع والمصالح الدينية والدينية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٠].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه، يأكل منها حيث يشاء: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِأَيَّامِ الْوَحْشِ وَالنَّاسِ سَوَاءٌ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت/ ٩-١٠].
وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿وَلَيْنَ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وسبحان الغني الذي له خزائن السموات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ إِلَهَهُ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَعِضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَبِيدُ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» متفق عليه ^(١).

وهو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات كلها، وساق لكل مخلوق قوته الذي يصلحه.
خلق الإنسان وخلق له قوته من الطعام والشراب، وخلق له توافقاً بين الطعام وجسمه، وخلق له أجهزة تأخذ الطعام وتستفيد منه وتحوله إلى طاقة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو المقيت الذي خلق أقوات النبات، والحيوان، والإنس، والجن، والملائكة، وأوصلها إليهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

هو المقيت الذي خلق الخلق، وقسم الأقوات، وخلق قوتاً يناسب الجسد، وجسداً يناسب القوت: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ نَعُدُّوهُ نِعْمَةً اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٢).

أقوات في السماء ، وأقوات في الأرض ، وأقوات للنبات ، وأقوات للحيوان ، وأقوات للإنس ، وأقوات للجن ، وأقوات للملائكة ، وأقوات في البر ، وأقوات في البحر ، وأقوات في الجو ، وأقوات في الدنيا ، وأقوات في الآخرة ، وأقوات للأجساد ، وأقوات للعقول ، وأقوات للقلوب . فسبحان خالق الخلائق ، وخالق أقواتها ، يرزقها في كل لحظة ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ هَذَا الرَّزْقَ مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ ﴾ [ص / ٥٤] .

هو سبحانه المقيت الذي تكفل بقوت الأجساد من الطعام والشراب ، وتكفل بقوت الأرواح من العلم والإيمان والعمل الصالح .

فقوت الإيمان يملأ القلوب بالطمأنينة والسكينة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا فُوَيْهِمْ يَذْكُرِ اللَّهُ ءَلَّا يَذْكُرِ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٢٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ [الرعد / ٢٨-٢٩] .

وقوت الأجساد تصح به الأبدان ، وتقوى على العمل : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة / ١٧٢] .

فسبحان واهب أقوات الأبدان ، وهي الأطعمة والأشربة ، وواهب أقوات القلوب وهي الإيمان والمعرفة : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .

فالنفوس قوتها الاتصال بالله ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، وآياته وأحكامه ، والعمل بشرعه ، والأنس بمناجاته : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤] .

واعلم أن إشباع الجسد لا يغني الروح شيئاً ، وفقر الروح إلى قوت القلوب من الإيمان والعمل الصالح ، أعظم من فقر الأجساد إلى الطعام والشراب : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر / ١-٣] .

واعلم أن أعظم الأقوات هو معرفة علام الغيوب ، والإيمان به ، والعمل بشرعه : ﴿ فَأَعْلَمَنَّهٗ ءَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

فسبحان المقيت الكريم الذي ساق إلى خلقه جميع الأرزاق ، وسمع النجوى فأجاب ، وأرسل البلاء ليحمي عبده من العذاب ، وكشف السوء بعد البلاء : ﴿ أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكُمْ مَعَ اللَّهِ فَلَيْلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل / ٦٢].

هو سبحانه مالك الأقوات ، واهب الأرزاق ، حافظ الأعمال : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۗ وَمَن يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء / ٨٥].

فكل نصيحة تؤدي إلى طاعة الله فهي شفاعة حسنة ، وكل نصيحة تؤدي إلى معصية الله فهي شفاعة سيئة : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّحْوِلَهُمْ إِلَّا مَنَ أَمْرٍ بَصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء / ١١٤].

• التبعيد لله ﷻ باسمه المقيت :

اعلم أن ربك الكريم هو المقيت الحق الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الحكيم الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

فاشكر ربك المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم / ٧].

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولائك ، وخالق الناس بخلق حسن ، وادعهم إلى الله ، وأكرمهم بالقول والفعل ، يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » متفق عليه^(١). واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء / ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب، فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده وأنواع عبادته ، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، تكن من المفلحين: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

واعلم رحمك الله أن من آداب الانتفاع بقوت الأبدان ألا تأكل إلا الحلال الطيب ليستجاب دعائك ، ويعظم أجرك ، وأن تسمي الله عند الأكل والشرب ، وإذا جلست على المائدة اذكر

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) ، واللفظ له.

المنعم من خلال النعمة ، واذكر مَنْ خلق الطعام وساقه إليك، لتستعين به على طاعة ربك ،
وتحمده بعد الفراغ منه: ﴿ فَأَذْكُرُوا لِي آذَانَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة/ ١٥٢].

فالمؤمن إذا جلس على مائدة الطعام انتقل بفكره من النعمة إلى المنعم ، ومن القوت إلى
المقيت ، ومن أنواع الطعام إلى أنواع الحمد والثناء على ربه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

فسبحان الملك الغني الكريم المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والسفلي ، وفي
الدنيا والآخرة : ﴿ ذَلِكَ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس/ ٣].
هو المقيت الحق الكريم الذي جعل أقوات عباده مختلفة.

فمنهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها ، وهؤلاء هم بنو آدم وجميع
الحيوانات : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [٢٤] أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًّا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّيْنِ عَلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَأَ وَأَنَا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾
[عبس/ ٢٤-٣٢].

ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح والتحميد ، وهؤلاء هم الملائكة : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [١٩] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

ومنهم من جعل قوته من هذا وذاك ، وهؤلاء هم المؤمنون أولو الألباب والعقول ، وفي
مقدمتهم الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين : ﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ [٧٣] يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].
فإذا وهبك المقيت سبحانه طعاماً فأكرم الناس منه ، وإذا وهبك علماً فعلم الناس ، وإذا
أعطاك مالاً فأظهر نعمة الله عليك فيه ، وتصدق منه على الفقراء ، وأنفق منه في وجوه البر
والإحسان، يزيد مالك ، ويعظم أجرك ، ويحبك مولاك : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ
الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الفصص/ ٧٧].

واعلم أن من أنفق أوقاته في طاعة الله، سخر له من يقضي حوائجه ، ومن اشتغل بشهواته
وكله الله إلى ذاته.

ومن شغله الحصول على قوت الأبدان عن تحصيل قوت القلوب خسر دنياه وآخرته : ﴿ مَنْ

كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا دَشَأُ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

فاجتهد غفر الله لنا ولك في تحصيل أوقاتك التي تستغني بها عن سواك ، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، واهتم بالنفقة على نفسك وأهلك وقرابتك والمحتاجين : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].

وإياك أن تضيع من تقوت من أولادك فلا تطعمهم ولا تسقيهم ولا تعرفهم بربهم ، فكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كُتِّبَ رَاعٍ ، وَكُتِّبَ مَسْئُولٌ ، فَإِلْمَامٌ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ » متفق عليه (١) .
وإذا كان الله هو الحي المقيت وحده فاعبده وحده لا شريك له : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥] .

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].
﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم / ٤٠] .
« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (٢) .

اللهم يا مقيت الخلائق كلها ، يا واسع الرحمة ، يا باسط اليدين بالعطايا ، أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً حلالاً طيباً .
يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، اغفر لنا وارحمنا برحمتك ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥١٨٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الواسع

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الله ﷻ هو الواسع الحق، ذو الطول والافتدار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبيده، الرازق الذي وسع رزقه جميع خلقه، ويده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَرْضُ اللَّهِ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسَّعَ عَلِيمٌ﴾ [٧٣] يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وهو سبحانه الواسع العليم الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه/ ٩٨].

وهو سبحانه واسع المغفرة، الذي يغفر لكل من تاب وأناب مهما بلغت ذنوبه وخطايا: ﴿إِنْ رِبْكَ وَسَّعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بَطْنِ أُمّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى﴾ [النجم/ ٣٢].

وهو ﷻ واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿وَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان الواسع العظيم الذي وسع كل شيء رحمة ومغفرة، وفضلاً وعلماً، وحكماً وسلطاناً. وسعت أسماؤه كل شيء.. ووسعت صفاته كل شيء.. ووسعت كلماته كل شيء.. ووسعت أفعاله كل شيء.. ووسعت خزائنه كل شيء.. ووسعت أرزاقه كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

هو سبحانه الواسع العظيم الذي لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لكبريائه، ولا نهاية لملكه، ولا نهاية لنعمه، ولا نهاية لعلمه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو الواسع الكبير الذي وسع بصره الأشياء كلها ، ووسع سمعه الأصوات كلها ، ووسع علمه الذرات كلها ، الواسع الذي وسع كل شيء ، فلا يشغله شيء عن شيء ، ولا شأن عن شأن : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر/ ٧].

هو الواسع المحيط بجميع الخلائق، وجميع الأصوات والصور والذرات . هو الواسع الذي لا حد لعظمته ، ولا حد لكبريائه ، ولا حد لإبداعه ، ولا حد لعلمه ، ولا حد لغناه ، وكل ما سواه مخلوق محدود : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه/ ٩٨].

فسبحان الواسع العليم القادر الذي لا يشغله أهل السماء عن أهل الأرض ، ولا يشغله سمع عن سمع ، ولا صورة عن صورة ، ولا صغير عن كبير ، ولا حي عن ميت . واعلم رحمك الله أن كل إنسان مهياً لمعرفة الله ، والقلب واسع لا يملؤه إلا معرفة الله ، ومعرفة ما دون الله محدود يملئه الإنسان بعد حين ، ونفس الإنسان مخلوقة لتعرف المطلق وما لا نهاية له ، فإذا شغلها الإنسان بالمحدود عن المطلق سئمت هذا المحدود، وتشرفت إلى غيره: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

ولن يسعد في الدنيا والآخرة أحد إلا إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف الواسع الذي لا نهاية لسلطانه، الواسع الذي لا حد لإحسانه، ثم عبده بموجب هذه المعرفة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الزينة/ ٢٨] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

جمع جلالاً إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الكبرى . فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴾ [٣٦] وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

وهو الواسع الذي جمع علمه وقدرته ومشيبته وإرادته كل كائن في السموات والأرض ، وكل كائن في الدنيا والآخرة ، وكل ما كان وما يكون وما سيكون من كبير وصغير ، وظاهر وباطن ،

وحي وميت ، وناطق وصامت : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الكل ملكه ، والكل في قبضته ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل يسبح بحمده : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].
فسبحان من جمع ذلك كله خلقاً وأمرأً كتاباً في اللوح المحفوظ : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس/ ١٢].

ثم جمع ﴿ال﴾ الخليفة البشرية كلها في واحد جامع جعله عبداً له ، متذلاً لعزته ، خاشعاً لعظمته ، قانتاً له ، متصاعراً لكبريائه : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤُا رَّبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/ ١].
جمع في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه ، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود وكلام ، وأعمال وأخلاق .

ثم أظهر سبحانه ذلك كله ، كلُّ على نوبته وأوليته من الدهر : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر / ٥٢ - ٥٣].
﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [القمر / ٥٢ - ٥٣].

وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والسفلي على ذكره وتوحيده ، وتسيبحة وتوحيده : ﴿تَسْبِيحُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ثم هو ﴿ال﴾ جامع الناس ليوم لا ريب فيه ؛ لتوفى كل نفس ما كسبت : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ [آل عمران / ٩].

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَابُغِ﴾ [التنابن / ٩].

هو الحق ﴿ال﴾ جامع الخير كله بحذايره لأوليائه في الجنة : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

وهو العزيز القادر جامع الشر والعذاب كله بحذايره لأعدائه في النار : ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ﴾ [٥٥] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا أَيُّهَا﴾ [٥٦] ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ [٥٧] ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [٥٨] [ص/ ٥٥ - ٥٨].

وهو سبحانه الواسع المحيط الجامع لكل شيء ، الجامع للخلائق كلها للحساب يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلْمِيعَادَ ۝٩١ ﴾ [آل عمران / ٩] .

يجمع أهل السماء والأرض .. ويجمع الإنس والجن .. ويجمع المؤمنين والكفار .. ويجمع العبد مع عمله .. ويجمع كل نبي مع أمته .. ويجمع الأولين مع الآخرين : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعََنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧ ﴾ [النساء / ٨٧] .

فسبحان جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خير أو شر .
يجمع بين الظالم والمظلوم ، ويجمع بين القوي والضعيف ، ويجمع بين المعطي والآخذ ، ويجمع بين الأمير والمأمور ، ليقتنص لبعضهم من بعض : ﴿ يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۚ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا نُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٩٢ ﴾ [التغابن / ٩-١٠] .

وهو سبحانه الملك الحق الذي جمع الكمالات كلها في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه وسلطانه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه / ٨] .

وهو سبحانه الكريم الذي جمع الكمالات البشرية في رسله وأنبياؤه ، وجمع جميع كمالاتهم في سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ ، فهو في أعلى درجات الخلق ، وفي أعلى درجات الأدب ، وفي أعلى درجات العلم ، وفي أعلى درجات العمل ، وفي أعلى درجات التقوى ، وفي أعلى درجات الرحمة : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم / ٤] .

وكل صحابي من صحابته ، وكل مسلم من أمته ، إنما حاز على بعض تلك الأخلاق ، فاظفر بما استطعت منها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٦١ ﴾ [الأحزاب / ٢١] .

هو سبحانه الواسع الذي وسعت قدرته كل شيء فجمع بين التماثلات والمتضادات ، والمتشابهات والمتباينات .

جمع بين المخلوقات وما ينفعها ، وهداها لاجتناب ما يضرها ، وجمع بين المتضادات كالليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والحب والبغض .

وجمع بين المتباينات ، فجمع بين السماء والأرض ، واليابس والماء ، والجبل والسهل ، والبحر والنهر .

هو سبحانه الذي جمع بين القلوب بالإيمان: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٦٣].

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومغفرة وحلماً، وقدرة ومشية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١].

هو الواسع الحكيم، رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣].

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذرات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم، ووسَّع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وسَّعهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٦١].

وهو سبحانه واسع الملك الذي يؤتیه من يشاء، وينزعه ممن يشاء: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٤٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الواسع :

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الواسع الحق ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، وله المحامد كلها ، وله الثناء الحسن كله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم ، فاحمل نفسك على أحسن الصفات وأوسعها خيراً ، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته يؤتك أضعافه : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة / ٢٤٥] .

واعلم أنك لن تستطيع أن تسع الناس بمالك فسعهم بأخلاقك الحسنة ، يحبك الله ، ويحبك أهل السماء والأرض : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَاقًا » متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله واسع عليم ، فسع الناس بحسن خلقك ورحمتك ، ومن زاد إيمانه بربه اتسعت دائرة رحمته لخلقه .

فوسّع رحمك الله دائرة علمك ، ووسّع دائرة عملك ، ووسّع دائرة أخلاقك ، ووسّع دائرة حلمك ، ووسّع دائرة عفوك ، ووسّع دائرة إحسانك : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد / ٢١] .

واعلم أن الوعاء الأكبر يتسع للأصغر ، فالكبير يسع الصغير ، والعالم يسع الجاهل ، والغني يسع الفقير ، والحليم يسع الأحمق ، والمحسن يسع المسيء ، فصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك .

وإذا علمت أن ربك واسع جامع لكل خير فاجمع رحمك الله بين خيري الدنيا والآخرة ، واجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح والحقائق الباطنة في القلوب ، واجمع بين عبادة

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢١) .

الحق والإحسان إلى الخلق: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء/ ١٢٥].

واجمع بين العلم والعمل ، والبصر والبصيرة ، والعدل والإحسان ، وحسن السيرة والسريرة ، يجمع لك ربك ما تحبه وترضاه في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس ، والرفق بهم ، وإكرام أشرافهم ، والإحسان إلى فقرائهم ، والحلم على سفيههم ، ودعوتهم إلى الخير ، والنصح لهم ، وحب المؤمنين منهم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران / ١١٠] .

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق مع الخالق والمخالق في كل حال: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأحسن الأديان، وأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال، فاتبعه في دينه وأخلاقه ، وأقواله وأفعاله ، تحمّل صفاته التي وصفه بها ربه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] .

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، يكرمك بجميع أنواع الثواب يوم القيامة: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٥].

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما يرضيه عنك ، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه ، فخرائن كل شيء عنده: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدَرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وأكثر من التدبر والتفكير في آيات ربك العظيمة، وملكه الواسع ، ثم اتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه من الذكر والعبادة ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، وتعليم أحكام دينه : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

واجمع بين العلم والعمل ، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، وثمره العلم الحق العمل الحق مع الخشية والرغبة والرغبة : ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتِ عَائَةَ الْيَلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم في كل حين ، وسبح باسم ربك الأعلى في كل وقت : ﴿ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٢٥] وَمَنْ آتَاكَ الْيَلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان / ٢٥-٢٦].

واعلم أن شأن الله عظيم ، وأسمائه وصفاته الحسنى لا تحيط بها العقول ، وجلاله وجبروته وعظمته وكبريائه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام ، والآؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى .

فسبحه كثيراً.. واحمده كثيراً.. واستغفره كثيراً.. واذكره كثيراً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [٤٣] بَحِيثَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل / ١٩].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [٨٤] وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه^(١).
اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، يا واسع الرحمة والمغفرة والعطاء .

اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء ، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة ، وخير الفلاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وخير المقام ، يا واسع الفضل والمغفرة .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

الشافى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء / ٨٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منّا إنسان مسح بيمينه ثم قال: « أَذْهَبَ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفَى أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا » متفق عليه^(١).

الله ﷻ هو الشافى الحق لجميع الأسقام والأمراض، الظاهرة والباطنة، لا يشفى أحد من ذلك غيره: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران / ١٠٩].

فهو سبحانه الشافى الكافى الذى يملك خزائن الشفاء، الذى يشفى أبدان خلقه من الأسقام والآفات والأمراض وحده لا شريك له، ويهدىها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام والشراب: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافى الحق الذى يشفى الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك، والشبه والشكوك، والحقد والحسد وغيرها من أمراض القلوب، ويعافىها بالهداية إلى الدين القيم والصراط المستقيم الذى يوصل إليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة / ٢].

فسبحان الشافى من كل داء ظاهر أو باطن، الشافى الذى لا يُدعى بهذا الاسم سواه، الشافى الذى يشفى بالأَسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة / ١٢٠].

هو الشافى الذى خلق الداء والدواء والشفاء، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، عَلِمَهُ مَنْ جَهِلَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها، بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨) ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

وقد أنزل الله القرآن الكريم شفاء من كل داء ، يستشفى به المؤمنون من الجهل والضلالة ، ويصرون به من العمى ، ويعرفون به الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والخير من الشر ، ويعملون بأحكامه فيسعدهم ربهم في الدنيا ، ويدخلهم الجنة في الآخرة ، وينجيهم من النار:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَسِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾
 قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۚ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس / ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خسارا ؛ لأنهم لا يؤمنون به ، ولا يعملون به ، ففسروا دنياهم وأخراهم : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء / ٨٢].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له ، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له ، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة ، وتناول الأدوية المفيدة ؛ لأن الله على العبد أوامر حال الصحة ، وحال المرض : ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

والتداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله ، فنأخذ بالأسباب المشروعة ، ولا نتوكل إلا على الله الذي جعل فيها الشفاء ، وهو الشافي الذي يشفي بها ، وبدونها ، وبضدها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس / ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » أخرجه البخاري ^(١) .
 والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء : ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر / ٢١].

فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء / ٧٩].
 فكذلك دفع المرض بالدواء النافع ، والعلاج المفيد لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء / ٨٠].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

وهذا الحديث أصل عظيم في الشفاء من الأمراض قاطبة.

فهو يدفع الأطباء إلى البحث عن الدواء ، ويدفع العلماء إلى معرفة الأحكام ، ويملاً قلوب المرضى بالأمل بالله في حصول الشفاء ، فما من داء خلقه الله إلا خلق له دواء يشفي بإذن الله ، وما من أمر إلا وله حكم عند الله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة/٣]. والله ﷻ هو الشافي وحده لا شريك له ، والدواء والطبيب أسباب مشروعة قد تشفي وقد لا تشفي : ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/١٠٧].

ومن أراد الشفاء من كل داء فليتصل بالشافي من كل داء : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/٥٠-٥١].

فسبحان الشافي الذي يشفي الأجساد والقلوب من جميع الأمراض والأدواء. فيجب علينا فقه أحكام الله ، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدرأ وشرعاً. فللصحة أسباب ، ولدفع المرض أسباب ، ولكسب الحسنات أسباب ، ولدفع السيئات أسباب ، ولدخول الجنة أسباب ، وللنجاة من النار أسباب .

وقد جعل الله لكل شيء سبباً، ونحن في دار الأسباب، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة، خاضعة للجبار ﷻ ، لا خروج لها عن أمره ، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببها ، وإن شاء أبطلها كما أبطل إحراق النار عن خليله إبراهيم ﷺ : ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء/٦٨-٧٠].

يفعل ذلك ﷻ ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته ، ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ثم أنزل الله سكينته، على رسوله، وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لهم ترهوا وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة/٢٥-٢٦].

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته، وأخفى قدرته، ابتلاء لعباده ، وجعل الأسباب تعمل مرة، وتقف مرة، ليظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، والذي خلق فسوى ، وقدر فهدى وأطعم وأسقى، وأمات وأحيا، وابتلى وشفى، وتجاوز وعفى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧] وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء/ ٧٧-٨٢].

واعلم رحمك الله أن أصل المرض الخروج عن منهج الله ، ومرض الأبدان والقلوب أصله الخروج عن منهج الله ؛ لأن الله ﷻ كامل الذات والأسماء والصفات والأفعال ، فإذا خلق شيئاً خلقه كاملاً سليماً لا عيب فيه : ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك/ ١-٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي إذا خلق شيئاً أحسنه، وأتقن صنعه : ﴿وَتَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ نَمْرُوزٌ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [٨٨] [النمل/ ٨٨].
أما الإنسان فهو الذي يخطئ ويصيب ، ويستقيم وينحرف ، ويصلح ويفسد ، ويحسن ويسيء ، ويعدل ويظلم ؛ لأنه مخير في أفعاله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل/ ١٩].

وقد أودع الله في الإنس والجن حب الشهوات ، وحرية الاختيار.

فإذا كان هذا الإنسان متصلاً بالله، سائراً على منهج الله، سعد في الدنيا والآخرة ، وإذا لم يكن متصلاً بالله، ولا سائراً على منهج الله، شقى في الدنيا والآخرة : ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

وإذا مشى الإنسان في الدنيا دون مقود ولا ضابط، وهو الإيمان والعمل الصالح، فالدمار والعذاب صافع له لا محالة : ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا

وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ذُكِّرُوا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حَسْرًا ﴿٩﴾ [الطلاق/ ٨-٩].

والذي يحرك الإنسان شهواته ، فإذا تحرك دون اتصال بالهادي ، ولا توجيه منه ، هلك وفسد وخسر : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلْ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَبُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَمَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ [محمد/ ٨-١٢].

فكل إنسان فيه شهوات ، وفيه حرية الاختيار ، ومع هذه الحرية أعطاه الله عقلاً بمنزلة الميزان الدقيق ، وأعطاه فوق هذا الميزان الدقيق ميزاناً مهيمناً هو الشرع : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومع هذا التكريم للإنسان بالعقل والشرع وضع الإنسان كل شيء وراء ظهره ، وانطلق مع شهواته بلا هدى ولا كتاب منير ففسد وشقي وضل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَن لَّنُغَدِرَ بِلَهُمْ أَضْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن هياً له شفاءين :

شفاء لروحه وهو القرآن الكريم .. وشفاء لجسده وهي الأدوية.

واعلم أن الشفاء لا يكون إلا من مرض ، والمرض في الأصل خروج عن منهج الله ، فإذا أعرض القلب عن منهج الله ، ظهرت عليه أعراض هذا المرض من الكفر والشرك ، والكبر والظلم ، والحسد والغش وغيرها مما يفسد قلبه وقلبه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ [الشورى/ ٣٠-٣١].

بل يظهر الفساد في البر والبحر عقوبة للناس على معاصيهم لعلمهم يتوبون : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ [الروم/ ٤١].

فالبركات مقرونة بالطاعات ، والعقوبات مقرونة بالمعاصي : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَقُوا

لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ [الأعراف/٩٦].

وسبب تلك الأمراض أنه تعلق بالشهوات ، وأعرض عن منهج الله ففسد : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ [مريم/٥٩-٦١].

ولا شفاء لهذا القلب أبداً إلا بالإيمان والقرآن : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء/٨٢].

وكذلك الجسم يصاب بالعلل إذا خالف منهج الله في الأكل والشرب والنوم والعمل ، وما خلق الله داءً إلا خلق له دواءً ، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمِهِ ، وَجِهَلُهُ مَنْ جِهَلِهِ .
واعلم أن أمراض القلب أخطر من أمراض الجسم ؛ لأن أمراض الجسم تنتهي بالموت الذي ينهي كل ما له علاقة بالجسم .

أما أمراض القلب فيشقى الإنسان بها قبل الموت ، وتزيد خطورتها بعد الموت : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَن آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء/٨٨-٨٩].
والقلب السليم هو الذي سلم من أمراض الشبهات والشهوات .

والقلب محل نظر الرب ﷻ ، فإن كان متصلاً بربه انفسح وانشرح ، وأشرق بالتوحيد والإيمان، والصفات الحسنة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/٢٨-٢٩].

وإن لم يكن القلب متصلاً بربه ضاق وأظلم بالكفر والشرك، والصفات السيئة .
عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه^(١).

واعلم أن سبب أمراض الأبدان أمراض القلوب ، فكل مرض خارجي سببه مرض داخلي ، وكل مرض داخلي سببه مخالفة منهج الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ ءَعَمَىٰ ۖ ءُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت/٤٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

• التعلد لله ﷻ باسمه الشافى :

اعلم وفقك الله أن الذى له الأسماء الحسنى؁ والصفات العلى؁ وبيده الخلق والأمر؁ هو الله وحده لا شريك له: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ [طه/٨].

فتوسل إلى ربك بأسمائه وصفاته؁ واطلب منه أن يشفىك من جميع أمراض القلوب والأبدان؁ فلا شفاء لأحد إلا بإذنه؁ ولا حول ولا قوة إلا به؁ وما شاء الله كان؁ وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [التغابن/١٣].

واعلم أن العلاج والتداوى من أى مرض إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينعف ولا يجدى: ﴿وإن يمسسك الله بصرى فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحىم﴾ [يونس/١٧].

وعن جابر ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «لكل داء دواء؁ فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل» أخرجـه مسلم^(١).

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام فاعلم أن أعظم داء انتشر بين البشرية هو داء الكفر والشرك والمعاصى؁ فاجتهد فى رفع هذا الداء بما أعطاك الله من العلم والهدى؁ وبلغ دين ربك فى كل مكان وزمان؁ فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿هذا بلغ للناس وليندروا به ولعلموا أنما هو إله وحده وليذكروا أولوا الألبى﴾ [إبراهيم/٥٢].

ولن يقوم بهذا إلا أنت؁ فقم به كما قام به نبيك ﷺ؁ شرفك به؁ وشرعه لك ربك بقوله: ﴿قل هذه سبلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحن الله وما أنا من المشركىن﴾ [يوسف/١٠٨].

بل أوجب الله هذا الشفاء على كل مسلم ومسلمة بقوله: ﴿أدع إلى سبلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وحدلهم بالئى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدىن﴾ [النحل/١٢٥].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده يكتب الله لك أجرهم؁ ويرفع مقامك فى الدنيا والآخرة: ﴿ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا

(١) أخرجـه مسلم برقم (٢٢٠٤).

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

[آل عمران / ٧٩].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٣٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٣٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٣٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾ ﴾ [طه / ٢٥-٢٨].
« اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، أَذْهَبِ الْبَاسَ أَشْفِيهِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا »
متفق عليه^(١).

اللهم يسر أمورنا، واشرح صدورنا، ونور قلوبنا، واستعمل جوارحنا بطاعتك، يا أرحم
الراحمين.

اللهم أحيينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين يا رب
العالمين.

اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا أنت، ولا يعين على الحق غيرك، ولا يؤتي الخير إلا
أنت، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك، وعبادة نستحق بها جزيلا مثوبتك، إنك على
كل شيء قدير.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).

الباب الخامس

أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم السادس

أسماء الله الحسنى الدالة على الحمد والشكر،
والثناء والجمال [٨٦ - ٩٢]

وتشتمل على ما يلي :

(الحميد) جل جلاله

(الشكور ، الشاكر) جل جلاله

(الصادق) جل جلاله

(الجميل) جل جلاله

(الطيب) جل جلاله

(الحيي) جل جلاله

الحميد

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ﴾ [فاطر/ ١٥].

الله ﷻ هو الغني الحميد الذي حمد نفسه، وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يُحمد لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فأسماءه وصفاته دائرة بين الجلال والجمال، وأفعاله كلها دائرة بين العدل والإحسان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق، والحميد الذي يعفو ويغفر، والكريم الذي يُنعم ويحسن، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وهو سبحانه الولي الحميد المحمود على جميع أقواله وأفعاله، وعلى دينه وشرعه، وعلى قضائه وقدره، وعلى ثوابه وعقابه، وعلى فضله وإحسانه: ﴿قَلِيلٌ لِّمَن يَعْلَمُ الْبُرْجَانَ وَالْأَرْضِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وهو سبحانه الحميد الذي استحق الحمد كله بجميل فعاله، المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، المحمود بكل لسان، المحمود على كل حال من جميع مخلوقاته: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله، وكبريائه وقوة سلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبداً إلا ما يُحمد عليه، الحميد الذي يُحمد على السراء والضراء، ويُحمد في حال الشدة والرخاء، ويحمد في حال العافية والبلاء: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝﴾ [لقمان/ ٢٦].

وهو الحكيم الحميد الذي جمع جميع المحامد، المستحق وحده الحمد على الإطلاق،

وله الحمد على كل حال في كل زمان ومكان : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن / ١].

فلله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، ويعطي كثيراً ، ويعفو كثيراً ، حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ
مزيده : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر / ٣].
له الحمد بالإسلام .. وله الحمد بالقرآن .. وله الحمد على العطاء .. وله الحمد على دفع
البلاء : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ ﴾
[الحجر / ٩٨-٩٩].

وهو سبحانه الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين إفضاله وإحسانه، وأنعم
على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل / ١٨].

فلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ،
وملء ما شاء من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد .

له الحمد على كماله .. وله الحمد على جلاله .. وله الحمد على جماله .. وله الحمد على
آلائه وإحسانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام / ١].

فسبحان الملك الحق الذي له الحمد كله ، فهو المحمود سبحانه على ما خلقه ، المحمود
على ما أمر به ، وعلى ما نهى عنه ، وعلى ما أخبر به ، وعلى ما وعد به : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا يَنْزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف / ١-٢].

وهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم ، وعلى إيمانهم وكفرهم ، وهو المحمود
على خلقه الأبرار والفجار ، والملائكة والشياطين ، وهو المحمود على خلقه الرسل
وأعدائهم ، وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه
على أوليائه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾
[الشورى / ٢٨].

والله ﷻ أعظم مَنْ حَمِدَ نفسه ، وهو المحمود لذاته ، ولو لم يقم بحمده أحد من البشر ،
وهو المحمود قبل أن يخلق البشر ؛ لأنه أهل أن يُحمد ويُعبد ، وأن يُحب لذاته وأسمائه

وصفاته وأفعاله وإحسانه: ﴿قَلِيلٌ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

فلله الحمد على مجده وعظمته، وله الحمد على كبريائه وجبروته، وله الحمد على عزته وقدرته، وله الحمد على غناه وإحسانه، وله الحمد على رحمته وكرمه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص / ٧٠].

واعلم رحمك الله أن الله هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحمد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسبح بحمد ربه، الحميد الذي أسر قلوب الخلق وذرات الكون بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه، فسبحوا بحمده: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤]. فسبحان الغني الحميد، الكثير الحمد لعباده المطيعين له، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله وجميل إحسانه.

والحمد أوسع الصفات، وأعم المدائح، وسبل معرفة موجباته كثيرة واسعة. فجميع أسماء الله وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وآياته ومخلوقاته، كلها شاهدة بوحدانية الله، موجبة لحمده، دالة على جلاله وجماله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبا / ١].

هو سبحانه الحميد الذي استوجب الحمد واستحقه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وسعة فضله، وعظيم إحسانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الحج / ٦٤].

هو الحميد الكريم الذي خلقنا وأمدنا بالنعم، وهدانا إليه، وأحسن إلينا كل الإحسان في الحياة وبعد الموت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٥].

هو الحميد المعجيد الذي مدح نفسه، وحمد نفسه، وأثنى على نفسه، ليعرفنا بذاته وأسمائه وصفاته، كي نصل إليه، ونقبل على طاعته، ونعظمه كما يليق بجلاله، ونطمع في عفوه ومغفرته وعطائه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
[الأنعام/١٠٢-١٠٣].

هو الحميد الذي هداك للإسلام ، ووفقك لفعل الخيرات ، وأعانك على أدائها ، وحمدك على فعلها ، وأثابك عليها : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات/١٧].

هو الحميد الذي هداك إليه ، ووفقك للطاعات ، وحمدك عليها ، ومحا عنك السيئات ، ولم يخجلك بذكرها وكشفها ، بل يبدلها بحسنات ، ثم ضاعفها لك ، ثم أنساك سيئاتك لتقبل عليه ، وتتوب إليه : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/٦٨-٧٠].

فأعط رحمتك الله مما أعطاك الله من طيبات الأقوال والأعمال، والأخلاق والأموال ، واعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبُوا وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة/٢٦٧].

واعلم أن أقرب طريق وأعظمه وأجله وأشمله لمعاني الحميد في حق الرب الحميد يحصل للعبد عن طريق معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله ، لاجتماع ما تفرق في العالم في معانيها : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَعْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/١٩].
فمن أعظم النعم ، وأجل الكرامات ، أن كان لنا إله حق حي قيوم ، أسماؤه كلها حسنى ، وصفاته كلها عليا ، إله عظيم ، ورب كريم ، تحيرت الأبواب في أدنى العلم بمعرفته ، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله ، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/٢٥٥].

خلق عجله أكبر شيء وهو العرش العظيم الذي استوى عليه برحمته ، وخلق أصغر شيء وهي الذرة ، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو ، ولا يعلمها

إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو، فله الحمد والشكر: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

ولله الحمد كثيراً أن كان لنا رب وإله واحد لا شريك له ولا مثل له، ليس له شريك في ملكه في التدبير، وليس له شريك في العبادة، وليس له من يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أن جعل المُلْك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾ يُسَبِّحُونَ أَثِيلًا وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنَ الْإِلَهَةِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٣].

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً لا حد له ولا منتهى لمداه أن جعلنا عبداً لرب عظيم، وإله حي قيوم واحد، ولم يجعلنا عبداً مملوكين لشركاء متشاكسين، لا ندرى من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر / ٢٩].

ومن ممن ربنا العظام، ونعمه الجسام التي يستحق عليها الحمد والشكر، أن كان ربنا عزيزاً لا يضام، منيعاً لا يرام، أحد صمد، لا يحتاج إلى أحد، ولم يكن له كفواً أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسيح بحمده وكبره بكرة وأصيلاً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء / ١١١].

ولله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

وله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين .. وكشف كُرب المكرويين .. وقبول توبة التائبين .. وإجابة السائلين، وإكرام وإطعام الخلق أجمعين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ [النمل / ٦٢].

وله الحمد كثيراً على ما وجود به من النعم قبل سؤالها، ويدفع المحن قبل حلولها، ويحمي عباده عن مراتع الآثام: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنات / ٣٦-٣٧].

وله الحمد كثيراً على ما يربي به عباده بأحسن الألفاظ، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا تبلغه الآمال، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، ومع ذلك يدعوهم إليه، ويناديهم بأحب الأسماء إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ءَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران / ١٠٢-١٠٣].

وسبحانه الكريم الرحيم الذي أكمل لنا الدين، وأجزل لنا الثواب، الولي الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق: ﴿أَلَيْسَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة / ٣].

ويعطي من أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

فما ألطف خطاب الله في القرآن لهذه الأمة في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض، وتربيته لهم بقص ما أصاب من قبلهم، وبشارتهم بما أعد لهم من النعيم، وإكرامهم بعدم مواجهتهم بخطاب الوعيد، ومضاعفة ثوابهم إكراماً لهم، والعفو عن سيئاتهم رحمة بهم؛ لأنهم خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران / ١١٠].

واعلم رحمك الله أن من لم يجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب الله ﷻ فعليه أن يعالج قلبه بالتقوى، ويكثر من الدعاء بأن يحيي الله قلبه،

وَأَنْ يَصْحَحَ لَهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٣٧] ﴿ [ق / ٣٧] .

واعلم نور الله بصيرتك بالعلم والإيمان أن الله يختص برحمته من يشاء، ويقصد بعدابه من يشاء : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٧٨] ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء / ٧٩-٨٠] .
فالأول فضله.. والثاني عدله.. وهو المحمود على هذا وهذا.

فالمؤمنون بفضلهم ورحمته مخصوصون، والكفار بعدله مقصودون، ولكل واحد من الأمرين قسطه من الحكمة والرحمة : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْرِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران / ١١٩] ﴿ [١٢٩] .

فالابتلاء كله خير للمؤمنين ، ورحمة للموقنين ، يصح به توحيدهم ، وتكفر به سيئاتهم ، وترفع به درجاتهم ، فله الحمد والشكر والمنة : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٣] ﴿ [العنكبوت / ٢-٣] .
فهؤلاء بالنعمة يسعدون ، وبالمحنة يتربون ، وبالعلم يهتدون ، وبالإيمان يصلون ، وبالعمل الصالح يصعدون : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [١٧] ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [١٨] ﴿ [الزمر / ١٧-١٨] .

فسبحان من خلقهم للخيرات ، وأعد لها لهم ، واستعملهم بما يوصلهم إليه وإلى رضوانه والجنة بما يسر لهم من أنواع القربات : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [٩٠] ﴿ [الأنبياء / ٩٠] .

وهؤلاء إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها ، واستعانوا بها على طاعته ، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم من المصائب ، فعوضهم عنها العوض الأكبر ، وجازاهم عليها الجزاء الأعظم : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٥١] ﴿ [التوبة / ٥١] .

فهم في كل حال يربحون على ربهم في كل نعمة وبلاء ، وفي كل طاعة ومعصية : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [١٥] ﴿ أَخْذِينَ مَا أَنْزَلْنَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [١٦] ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ مَا يَبْهَجُونَ ﴾ [١٧] ﴿ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [١٨] ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴾ [١٩] ﴿ [الذاريات / ١٥-١٩] .

وهؤلاء درجات في الإيمان، والعلم، والعمل، والأخلاق، والأجور، والمنازل، وذلك من فضل الله فله الحمد: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم ^(١).

واعلم أن الله لطيف خبير، محمود على جميع أفعاله، يُنعم على العبد في الدنيا بالعطايا، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة.

ولهذا رَغِبَ اللهُ عباده المؤمنين بالصبر على المصائب، ووعدهم على ذلك بجزييل الأجر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فهؤلاء أهل فضله وإحسانه جعلنا الله وإياكم ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا والمسلمين منهم. أما من أوقع الله عليهم عدله، فجعل قَسَمَهُمُ الكفر وأنواع المعاصي، والتقلب في مساخطه وغضبه، نعوذ بالله من ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ [النساء/ ٥٦].

فهؤلاء مُلِكُهُ وعبيده خلقهم ليظهر بهم مجده، ويقيم بهم أمره، ويتم بهم كلمته، ويصدق بهم قوله، فصاروا كفاراً بعد إقامة الحجة عليهم، وبعث الرسل إليهم، فأوجدهم ليظهر بهم عدله، وعزة ملكه، وكمال جبروته: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ [النحل/ ٣٦-٣٧].

فسبحان من حجب الكفار عنه بأغظ حجاب فسكنوا عن نوره في الظلمات، ليتم عليهم

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

أمره، وينفذ فيهم حكمه : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فله الحمد على نعمه السابعة ، وله الحمد على أحكامه العادلة: ﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاحة/ ٢-٧].

وسبحان الحكيم العليم الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده ، وخلق الكفار والفجار، وخلق المؤذيات من العقارب والحيات، والسباع والحشرات ، وخلق السموم والأشواك وخلق الحشائش والروائح الكريهات.

خلق كل ذلك إظهاراً لكمال قدرته، وإبرازاً لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات ، وامتحاناً لعباده بالمرضي وغير المرضي ؛ ليعلم من يترك ذلك ، ويتحمل ذلك ، ويسير إليه :

﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فلكل مخلوق حكمة .. ولكل تدبير حكمة .. يُحمد عليها الرب ﷻ : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

واعلم وفقك الله لمعرفة الملك والملكوت أن الله خلق لخلقه ثلاث دور:

الأولى: الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته.

خلق فيها كل شيء مرضي، وملاًها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ [الزمر/ ٧٣].

الثانية: النار دار العذاب ، خلقها الله لمن كفر به وأغضبه وأسخطه ، وعمل بمعصيته.

خلق فيها كل كربه، وملاًها بكل مؤذٍ، وسعَّرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر ومستكبر ، وفاجر وفاسق : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ

مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢].

الثالثة : خلق سبحانه الدنيا دار سجن لعباده ، لينظر كيف يعملون ، وأي دار يبتغون .

وأخرج عنه إلى هذه الدار من دار رحمته الجنة ما شاء أن يفتحه منها بالماء من أنواع الفواكه والثمار والحبوب وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، تذكيراً لعباده بنعيم الجنة : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّ نَضِيدٌ ۝١٠ زَرْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [ق/٩-١١] .

وأخرج إليها من دار سخطه النار كل كرية ومؤذ ومؤلم ، وفيحاً من نار جهنم يخرج كل عام مرتين ، نفس في الصيف ، وهو شدة الحر ، ونفس في الشتاء ، وهو شدة البرد تذكيراً لعباده بعذاب جهنم : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧٦ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۝٧٧ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٣ ﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير » متفق عليه^(١) .

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله ليدل على كمال قدرته ، وقوة سلطانه ، وعظمة ملكه ، وكمال أسمائه وصفاته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٣ ﴾ [الطلاق/١٢] .

خلق ذلك كله وقدره وأظهره بقسط معلوم ، وقدر موزون ، وحكمة بالغة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ۝٥٣ ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] . فسبحان من خلص الجنة من الشر كله ، وجعل فيها الخير كله بحذايره ، وخلص النار من الخير كله ، وجعل فيها الشر كله بحذايره .

ومزج في هذه الدار الدنيا امتحاناً وابتلاءً بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والحلو والمر ، والمحبوب والمكروه ، والطيب والخبيث ، والمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ۝٤٨ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٥١ ﴾ [الذاريات/ ٤٧-٥١] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٦١٧) .

وأظهر من رحمته في هذا الدار ما يشهد بتوحيده، وجعل فيها ما يسهل للمؤمنين مقاصد الخيرات من النعم والآيات: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/١٥-٢٠].

وأظهر قدرة الخالق، وعجز المخلوق؛ تسهياً لتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي أَرْبَعِ رُؤُوسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/١٠-١١].

فله الحمد على الخلق والتدبير، وعلى البيان والتسهيل، وعلى العدل والاحسان. وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصرًا في الجنة لو آمن، وسجنًا في النار لو كفر، ثم بعد البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ » أخرجه ابن ماجه ^(١).

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمة لعباده المؤمنين، خصهم بها، وأنعم بها عليهم، تذكيراً لهم وتخويفاً، ينبههم بها عند غفلتهم، فإذا رأوا النار تذكروا جهنم، وإذا رأوا المكاره تذكروا ما أمامهم من العذاب: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَتُنْعَالًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/٧١-٧٣].

فالمصائب والمكاره نعم توظف العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة، فيعملون بما يحبه ربهم ويرضاه؛ ليصلوا بذلك إلى دار الأمان والسلام: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/٥١].

فسبحان من ساق لعباده النعم بصورة المصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزل الأجر: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/١٠].

فنعيم الدنيا وسرورها وثمارها وخيراتها يذكرهم بنعيم الجنة، فينشطوا للطاعات. والنار ومؤلمات الدنيا وعقاربها تذكرهم بعذاب النار وعقاربها، فيكفون عن المعاصي.

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها ، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها وأوجاعها ما في النار من ذلك .

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش والهيم والحزن يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب الظاهر والباطن : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

إذا فهمت هذا فاعلم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا ليذكر العبد بالمحبوب الأعلى في الآخرة، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكره بالمكروه الأكبر في الآخرة.

وكل مصيبة من المصائب سبيل لحصول المحبوب في الدنيا والآخرة.
حكمة بالغة .. وستة ماضية .. ونعمه سابغة : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١].

واعلم رحمك الله أن كل شيء خلقه الله فهو ملكه يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما يملك بين أمرين يقتضي كل واحد منهما الحمد لله وحده لا شريك له.

فإذا فعل سبحانه ماله فعله فهو عدل ، والعدل حمد ؛ لأن من حق الملك التصرف في ملكه بما شاء كيف شاء.

يعطي من يشاء .. ويمنع من يشاء .. ويقدم من يشاء .. ويؤخر من يشاء .
فإن أعطى وقدم وفضل فهو فضل وإحسان ، وهو حمد على حمد ، وإن منع فهو عدل ، والعدل حمد ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوِئِكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩].

فإن تعثرت قدمك فلم تصعد إلى معرفة ما عز عليك فاسأل ربك أن ينور قلبك بنور العلم والإيمان والقرآن : ﴿ فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان من تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة.
واعلم أن سريان الحمد في المخلوقات ، وظهور آثاره في الكائنات ، أمر مشهود بالأبصار والبصائر ، تشهد به الذرات ، والبريات ، وكافة المخلوقات .

فله الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال العظمى، والمثل الأعلى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأما حمده على إحسانه، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى موجبة لحمده سبحانه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

أما حمده سبحانه على ماله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فذلك أعظم وأوسع، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة.

فقد حمد ﷺ نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاحة/ ٢-٤].

و حمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٧] [الجنائية/ ٣٦-٣٧].

و حمد نفسه ﷺ على وحدانيته وألوهيته فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] [غافر/ ٦٥].

و حمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١] [سبا/ ١].

و حمد نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف/ ١-٢].

و حمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [١١١] [الإسراء/ ١١١].

و حمد نفسه على خلقه العالم العلوي والسفلي فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [١] [الأنعام/ ١].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أحسن خلقه، وما أعظم قدرته، وما أجمل إحسانه، وما أوسع غناه: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَارِكُوا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٤] هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] [غافر/ ٦٤-٦٥].

واعلم أن الله ﷻ إنما خلق العالم كله له ، ولأجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته ، وسعة علمه ، وجلاله وكبريائه ، وعظيم سلطانه ، وجزيل نعمه ، وسعة رحمته وعفوه ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله .

وإذا عرف الناس ذلك عظموا ربهم، وأحبوه ، وعبدوه ، وأطاعوه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحميد :

اعلم رحمك الله أن ربك العظيم له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الحمد كله ، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف / ٥٤] .

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تكون أول الحامدين لله ، وأن تتصف بما تُحمد عليه من الفضائل .

فاجتهد وفقك الله لحسن عبادته أن تعمل بما يحبه الله ويرضاه ، ولا تأت من الأقوال والأفعال والأخلاق إلا ما يحمدك عليه ربك الحميد المجيد ، ويثيبك عليه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧] .

واستقم كما أمرك ربك ، واعمل بشرع الله ، وادع الى ربك ، وابذل ما تستطيع في سبيل رضاه، يعزك ويرضى عنك، وينصرك على من عاداك .

واعلم أن الله يبتلي عباده المؤمنين ليريبيهم، ويرفع درجاتهم ، ولا يخزيهم أبداً ، لكنه يبتليهم ليؤدبهم ، وفي النهاية يعطيهم ويكرمهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ وَالصُّحْحَىٰ ١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣) وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَآوَىٰ ٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨) فَأَمَّا الْيَتِيْمَ فَلَا فَتَهَرَّ ٩) وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا نَهَرًا ١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١) ﴾ [الضحى / ١-١١] .

هو الحميد الذي يحمد من خلقه من آمن به ، وبذل وأعطى وصبر من أجله : ﴿ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ ﴾ [هود / ٧٣] .

هو سبحانه الغني الحميد وحده لا شريك له ، ومع غناه عنا يعاملنا معاملة نحمده عليها :

﴿لَمَّا تَرَأَتْهُ أَنتَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/٦٣-٦٤].

واعلم أن الحميد من العباد هو من آمن بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، واستقام كما أمره ربه ، والمؤمنون في ذلك درجات بحسب علمهم وعملهم .

فأول محمود من البشر سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً وكان خلقه القرآن ، واستقام قلبه وجوارحه وأقواله وأعماله وأخلاقه في طاعة مولاه ، فهو محمد وأحمد ، فليكن لنا أسوة وقدوة : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/٢١].

ثم يليه في الحمد أولو العزم من الرسل ، ثم بقية الأنبياء والرسل ، ثم الصديقون والأولياء والعلماء والدعاة ، ثم عامة المسلمين .

كل واحد من هؤلاء حميد ومحمود بقدر إيمانه ، وصفاء توحيده ، واستقامة أخلاقه ، وسداد أقواله ، وصلاح أعماله : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/٦٩-٧٠].

واعلم أن حمد الناس لربهم على ثلاث درجات :

الأولى : حمد العوام ، فهؤلاء يحمدون ربهم على إيصال اللذات الجسمانية من الأكل والشرب ، والسكن والملبس ، والمركب والمال ، والزوجة والأولاد وأمثالها .

الثانية : حمد الخواص ، وهم الذين يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية من حصول السكينة والطمأنينة والانشراح بعد الصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن وغيرها من الطاعات .

الثالثة : حمد خواص الخواص ، وهم الذين يحمدون ربهم ، لأنه أهل أن يحمد ، وأهل أن يشكر ، وأهل أن يعبد ، لعله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة .

فاحمد ربك العزيز الحميد على جلاله وجماله وجزيل عطائه : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الباقية/٣٦-٣٧].

واحمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك .. واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة .. واحمده على نعمة السراء والضراء .. واحمده على دفع البلاء .. واحمد ربك العزيز الكريم بالمحامد كلها ، ومجده بالمجد كله ، فهو أهل أن يُحمد ، وأهل أن يُعبد ،

وأهل أن يطاع: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شئتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» متفق عليه^(١).

واعلم بأن الله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شربة فلا يفوتك ذلك، وذكر الناس بذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم^(٢).

واعلم بأن الحمد والذكر أحب شيء إلى الله وأعظمه أجراً، فاذا ذكر ربك كثيراً، واحمدته كثيراً، ولا يشغلك عنه سواه، واصبر على ما أصابك، يحبك ربك ويحمدك: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣) وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ [طه/١٣٠-١٣١].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» أخرجه مسلم^(٣).

واحمد ربك في جميع أحوالك في ليلك ونهارك تنال أجراً عظيماً، ومقاماً كريماً، وملكاً كبيراً. عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» أخرجه مسلم^(٤).

وتذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه يمتلئ قلبك إجلالاً له، وتعظيماً له، وحباً له وتكبيراً له، وتذكر نعمه وإحسانه يمتلئ قلبك حباً له، وثناءً عليه، وحمداً له: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/٢٢-٢٤].

ثم أطلق لسانك بحمده، وأرسل جوارحك بطاعته، وقلبك خاشع حاضر بين يديه:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٧٩٥)، ومسلم برقم (٤٧٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٣٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٥]
 نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
 أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً ، وكما يعفو كثيراً ، وكما يحلم كثيراً ، وكما يشكر كثيراً ،
 وكما يرحم كثيراً : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾
 يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وله الحمد على ما وفق للحمد ، وقيل الحمد ، وأجزل أجر الحمد : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ
 السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾
 [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله .. وأنزل علينا أحسن كتبه .. وشرع لنا أفضل شرائع
 دينه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .
 والحمد لله الذي أكمل في مخلوقاته حججه ، وأبان بها عظيم قدرته ، وأظهر بها شواهد
 وحدانيته : ﴿ وَمَنْ آيَنبِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم/ ٢٢] .

والحمد لله الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن ، وظهر للعقول فعلن ، الأول
 فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه
 شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد/ ٣] .

والحمد لله الذي خلق الخلق كلهم بقدرته ، ودبرهم بمشيئته ، وقهرهم بقوته ، القوي
 القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء ، ولا يفوته شيء .

والحمد لله على ما خلق وأمر ، والحمد لله على ما سر ونفع ، والحمد لله على ما أنعم
 وأعطى ، والحمد لله على ما أمات وأحيا ، والحمد لله على ما أغنى وأقنى .

الحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له ، والحمد لله حمداً لا يحيط بكنهه أحد سواه ، والحمد لله
 حمداً لا انفصال له دون بلوغ رضاه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
 الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبا/ ١].

الحمد لله المحيط بكل شيء علمه ، النافذ في جميع الخلق قضاؤه ، العدل في حكمه ،

الحكيم في أمره، الذي لا يُعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه .
 الحمد لله على النعمة به ، والحمد لله على النعمة منه ، والحمد لله الدائم عطاؤه ، الواسع
 رحمته، الدائم بره ، العظيم إحسانه .

الحمد لله القائم على كل نفس ، الرقيب على كل شيء ، الجاعل بعد العسر يسراً ، وبعد
 الكرب فرجاً ، وبعد الخوف أمناً : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

الحمد لله حمد المعظم لربه ، المكبر لجلاله ، العارف بمقداره ، الشاكر لنعمائه ، الصابر
 على بلائه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا
 وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
 حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤] .

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم ،
 وعدد ما كان وما سيكون « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ،
 وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ » أخرجه مسلم^(١) .

واعلم رحمك الله أن الحمد يكون بمعنى المدح، ويكون بمعنى الشكر.
 فالشكر يكون في مقابلة الإحسان والإنعام ، والمدح في مقابلة معرفة أسماء الله الحسنى ،
 وصفاته العلى ، وأفعاله الجميلة .

وحمد الله هو ثناؤه على نفسه ، وشكر الشاكرين له على شهود النعم والمنعم .
 واعلم أن أفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم ﷻ ، وأشأم النعم ما شغلك عنه ، ومن استهدى
 فسيهدى ويُعطى ويرضى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾
 الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَتْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾
 [الزمر/ ١٧-١٨] .

فسبح باسم ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى ، وسبح بحمده في كل الأوقات
 والأحوال : ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم/ ١٧-١٨] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦) .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .
اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه^(١).

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالمعافاة ، ولك الحمد بالأهل والمال .
الحمد لله الواجب حمده ، الحمد لله الدائم برة ، الحمد لله العظيم ملكه ، الحمد لله النافذ أمره ، الحمد لله الشديد بطشه .
الحمد لله الكبير اسمه ، الكبير قدره ، الكبير ملكه ، الكبير إحسانه ، الكبير ثوابه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

الشكور.. الشاكر

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) [التغابن / ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) [النساء / ١٤٧].

الله ﷻ هو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥) [البقرة / ٢٤٥].

وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسير من الشكر؛ لأن العطاء أحب إليه من المنع: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦١) [يونس / ٢٦].

وهو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي الأجر العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) [العنكبوت / ٦].

وهو الشكور الذي يعطي من آمن به وأطاعه عطاء لا نهاية له ولا حد له: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة / ١٧].

فسبحان الرب الشكور الذي يعطي قبل السؤال ، ويعطي على قدر شأنه لا على قدر العمل والسؤال ، ويعطي على العمل القليل الثواب الجزيل ، ويقبل اليسير من العمل والطاعات ويعطي الكثير من الحسنات والدرجات : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم / ٧].

وهو سبحانه الشاكر الحق الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويشيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) [التغابن / ١٧].

وهو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين،

فسبحان الرب الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله ، وبيده الخير كله .

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم والرحمة والهداية ، ويشكر بها من أطاعه، ويشبه عليها في الدنيا والآخرة، الشكور الذي يحب عباده المؤمنين، ويرحمهم ، ولا يحب عقابهم: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء/ ١٤٧].

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال ؛ لما يرى من عظمة جلاله ، وعظيم خلقه وآلائه ، وكريم عطائه وإحسانه : ﴿ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بكل شيء ، وأعطاهم كل شيء ، ورزقهم من فضله ، وأطعمهم من رزقه ، وأسكنهم في أرضه ، وأكمل لهم دينه ، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان/ ٢٠].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما أعظم نعمه على عباده ، وما أعظم شكره لمن أطاعه ، وما أحلمه على من عصاه: ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والله جلّ غني كريم ، استقرض عباده القليل مما أعطاهم، لنفع أنفسهم، ومواساة بعضهم، ثم ضاعف لهم ثوابه أضعافاً كثيرة، وخبأه لهم إلى يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر؛ لأنه الغفور الشكور: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان الرب الشكور الشاكر لعباده، الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف له الأجر بلا حسابان، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويتقرب إلى المتقربين: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُوجِبٌ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوِّثْهُ مِنْهَا وَسَنْجَرِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ

خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً « متفق عليه (١) .

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي أنعم به عليه، وأعان على إنفاقه في سبيل مرضاته: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) [فاطر / ٣٤].
وإذا ترك العبد شيئاً من أجله أعطاه أفضل منه ، واستعمله في طاعته: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبِشْرٍ عَبَادٍ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فسبحان الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة، ووفقههم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٧٠) [النساء / ٧٠].

فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٦) [البقرة / ٢٦١].

ويجزى الشكور على الإيمان والعمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

ومن ترك الكفر والشرك والمعاصي عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعاده في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شِئْتُمْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

فحين بذل رسل الله وأوليائه أنفسهم وأموالهم في سبيله أعاضهم الله بأن حب إليهم الإيمان، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وصلى الله عليهم وملائكته ، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣].

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

وحين ترك رسله وأولياؤه ديارهم وأموالهم، وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله، أعاضهم عنها أن فتح لهم البلاد، وملكهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور/٥٥].

فسبحان الله ما أصدق وعده، وما أعظم شكره لمن أطاعه، وما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه وأطاعه وتاب إليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/١٨٦].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير، وهو أبغض خلقه إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء/١٨-١٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا» أخرجه مسلم ^(١).

ومن شكره سبحانه أنه يُخرج المؤمن من النار بأدنى مثقال ذرة من خير. ومن شكره سبحانه أنه في الآخرة يعطي أقل المؤمنين إيماناً وعملاً مثل هذه الدنيا عشر مرات. ومن شكره سبحانه أن العبد المؤمن من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له، وينوّه بذكره بين ملائكته وعباده كما شكر لصاحب يس حين قال: ﴿إِنِّي ءَأْمَنُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس/٢٥-٢٧].

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي؛ لأنه كريم شكور، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

الزلل، ويشكر القليل من العمل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس/ ٦٠].

• التعبد لله ﷻ باسمه الشكور :

اعلم وفقك الله لحسن عبادته أن أحب خلق الله إليه من اتصف بموجب صفاته، وأبغضهم إليه من اتصف بضرها.

ولهذا يحب الله العبد المؤمن الكريم ، المحسن الشكور ، الرحيم الغفور ، ويبغض العبد الكافر البخيل ، الظالم الفاسد ، المجرم الخائن .

ولما كان الله هو الشكور الحق كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها ، واتصف بضرها ، وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى .

فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين.. شكور يحب الشاكرين .. رحمن يحب الراحمين.. عفو يحب العافين.. جميل يحب أهل الجمال .. كريم يحب أهل الكرم : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ويبغض سبحانه الكافرين والمشركين ، والخائنين والحاسدين وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج/ ٣٨].

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجدها، وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله ﷻ شكور يحب الشاكرين، ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم ليؤمنوا به ويشكروه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وزوّده بالأعضاء الظاهرة والباطنة كالسمع والبصر، والعقل والقلب وغيرها؛ ليتذكر هذه النعم، ويشكر من أنعم عليه بها: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].

فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك، يذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ

رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً، واشكره كثيراً، وكبره تكبيراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، على كل خلقٍ خلقه، وعلى كل أمرٍ أمره، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها، وعلى كل بلية دفعها: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم أن أكثر الناس عن شكر هذه النعم غافلون، وهم في نعم الله غارقون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

واعلم أنه لا يحلو الليل إلا بمناجاة الكريم الشكور، ولا يحلوا النهار إلا بخدمة العباد والإحسان إليهم، فكن بالليل مع الشكور، واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وكن في النهار مع الخلق، أحسن إليهم وذكّرهم بشكر ربهم، واشكر لهم إحسانهم.

واعلم أنه إذا جاء للإنسان خير مباشر فإنما ساقه إليه ربه، فليشكر ربه على ما خصه به من هذا الخير وليقل: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ وَمَن شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل/ ٤٠].

أما إذا جاء إليه الخير من إنسان فيجب عليه أن يشكر الله أولاً، لأنه هو الذي خلق هذا الخير، وخلق من جاء به، وألهمه وسمح له ومكنه أن يوصله إليك، ثم تشكر من أجرى الله الخير والنعمة على يديه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْءُونَ ﴿٥٣﴾ تَرَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النحل/ ٥٣-٥٥].

واعلم أن الله شكور يحب الشاكرين، ومن تجاوز النعمة إلى المنعم فهو الشكور الذي يشكر ربه على نعمه، ويسدي خيره الى خلقه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢].

فسبحان الرب الشكور الذي خلقنا وهدانا، وأمدنا بالنعم، وخلق لنا ما نشكره عليه، وخلق فينا ما

نشكره به: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف/ ١٠].
 فاستقم كما أمرت ، واشكر مولاك على ما أعطاك من نعمه ، وأحسن الى الخلق كما أحسن
 الله إليك ، وهذه هي حقيقة العبودية: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا
 لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وقد غر الشيطان أكثر الخلق، فأعرضوا عن ربهم ، وجعلوا لله أنداداً ، ونسبوا لها الضر
 والنفع ، وتصريف الأرزاق ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فعبدوا الشيطان وأولياءه
 من دون الله مع ظهور البرهان للبصير والأعمى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ
 إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا
 لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٧].

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان من الخلق ، وكم غرّ منهم وصرّ فهم لعبادته من دون الله :
 ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَيْسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبا/ ٢٠].

فاشكر ربك بحسن عبادته ، ولزوم طاعته ، والعمل بشرعه ، والدعوة إليه ، والصبر على ما يأتيك
 من الأذى في سبيله ، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي
 خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه، لا بما تحبه وتهواه ، ولا تشغل عنه بنعمه ، ولا تبع هداه
 بهواك: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر/ ٦٦].

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أعملَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
 بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل/ ١٩].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فِيمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ،
 وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.»

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا
 قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه »^(١).

اللهم لك الملك كله ، ومنك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ولك الحمد كله ، ولك
 الشكر كله ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩) .

الصادق

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام/١٤٦].

الله ﷻ هو الصادق الحق في كل ما يخبر به ، فهو الصادق في قوله الحق .. وهو الصادق في دينه الحق .. وهو الصادق في وعده ووعيده .. وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم ، ومضاعفة الحسنات لهم ، وتكفير سيئاتهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف/١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات ، ويجازي السيئة بمثلها ، ويحطها عن المسيء بالتوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء/١١٠].

وهو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/٤٠].

والصديق من الناس الكثير الصدق ، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق . فمن صدق بآيات الله ، وأجال فكره في ملكوت السموات والأرض ، لا يكاد يمر بآية من آيات الله ، أو يرى عجائب مخلوقات الله ، إلا ازداد بها إيماناً ويقيناً وتصديقاً بأن ربه هو الإله الحق ، وأن دينه الحق ، ورسله حق ، وكتبه حق ، ووعده حق : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِ الَّذِينَ يُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد/١٩-٢٠].

واعلم أن الصديق أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل ، وثواب الصدق الرضوان والجنة يوم القيامة : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة/١١٩].

وَالصَّادِقُ الَّذِي صَدَّقَ اللَّهُ فِي آيَاتِهِ وَشَوَاهِدِهِ، وَصَدَّقَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَخَزَائِنَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، وَصَدَّقَ بِرَسُولِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَأَحْكَامِهِ: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر/٣٣].

اللهم اكتبنا مع الصادقين، وارزقنا الصدق في النية والقول والعمل.

والله ﷻ هو الصادق الحق الذي الصدق كله في معاهد كلماته الصادقة :

في دينه وشرعه.. وفي عهده وميثاقه.. وفي خلقه وأمره.. وفي بسطه وقبضه.. وفي عطائه ومنعه.. وفي نصره وخذلانه.. وفي وعده ووعيده.

خلق الله ﷻ كل شيء ، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته ، وكمال أسمائه وصفاته نواطق على صدقه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ ، وصدقت كلمته في ذريته في طباعهم ، وأخلاقهم ، وأجسامهم ، وصفاتهم وأعمالهم ، وأرزاقهم وآجالهم.

فأمن آدم ﷺ وآمنت ذريته .. وأطاع فأطاعت ذريته .. وصدق فصدمت ذريته .. ووجدت فجحدت ذريته .. ونسي فنسيت ذريته: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين/٤-٨].

وخلق الله ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض فيها السهل والحزن ، والأبيض والأسود ، واللين والشديد ، والطيب والخبيث ، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/٦-٧]. فانظر إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ءَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات/٢٠-٢١].

والأرض عالم كبير، وخلق عظيم، لها نسل وذرية من النباتات المختلفة التي لا يحصيها إلا الله العليم بكل شيء : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

أَتَيْنَ يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ
أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد/ ٣-٤].

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته بإذن ربه طيباً كالزروع والزيتون ، والنخل والرمان ، والعنب
والموز وغير ذلك من الثمار الطيبة ، كان من ذرية آدم الأنبياء والرسل ، والمسلم والمؤمن ،
والصادق واللطيف ، والمحسن والكريم ، والرحيم والشاكر ، والطيب والحليم ونحوهم .

ولما كان من الأرض ما لا يُنبِت كالسباخ والبقاغ الجذبة ، ورؤوس الجبال الحجرية ، كان من
ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى، كما لا ينتفع الحجر بالماء، والمجرم والخبيث،
والظالم والفاسق ، والغليظ والكريه ونحوهم .

ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن، وريحه طيب ، وقد يُطلع القبيح المنظر منها
زهراً، وينضج ثمرأً، كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله .

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَثْرَجَةِ
رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا
وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » متفق عليه^(١).

وفي السماء آيات .. وفي الأرض آيات .. وفي الأنفس آيات .. وفي الآفاق آيات: ﴿ وَفِي
الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٣].

فانظر في ملك الله الواسع العظيم، لتزداد إيماناً و يقيناً ومعرفة بربك العظيم ، ثم تحبه وتعبده :
﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ
فِيهَا رُوسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/ ٦-٨].

فما أعظم سرعان صدق الكلمة بين آدم صلى الله عليه وسلم وذريته والأرض ونباتها: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٥].

فلا إله إلا الله كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحدانية الله، وعظمة أسمائه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١٣٣٤).

وصفاته ، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر، مع أنها أبين وأظهر من نور الشمس : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج/٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليفته، وتدابير أمره في السموات والأرض مما لا تحيط به العقول ، وتَقْصُرُ دونه الأعمار والقرون : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فسبحان الصادق الحق الذي لا يُكذِّبُ صادقاً، ولا يصدق كاذباً، الذي مَنْ صَدَقَ اللهُ فِي طلبه صَدَقَهُ فِي وعده.

• التبعيد لله ﷻ باسمه الصادق:

اعلم رحمك الله وجعلك من الصادقين أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العليا التي لا تنفك عنه أبداً.

فهو الصادق حقاً في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه ، صادقات من كل جهة : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء/٨٧].

ورسله صادقون .. وملائكته صادقون .. وكتابه صادق كما أنزله .. ورسوله صادق بما بيَّنه :

﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن/٨].

فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله في إيمانك وأعمالك تكتب من الصادقين : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا

تَصِيرًا ﴾ [الإسراء/٨٠].

وجاهد بمالك ونفسك في سبيل الله تكن من الصادقين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [١٥].

[الحجرات/١٥].

واعلم أن الصدق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك، تُعرف بذلك وتنال أجر ذلك : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

واعلم أن باب الصدق التقوى، فادخل منه تجد الصدق ، وتكن من الصادقين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ [التوبة/ ١١٩].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها فافتح به ما تشاء من أبواب الخير يرضى الله عنك ، ويكتبك مع الصديقين: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ءَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الزمر/ ٣٣].
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» متفق عليه ^(١).

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح أو باطنة في القلب، فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يُرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أدائه ، وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وصدق النية في التقوى ، والحب لله ، والذل له ، والتعظيم له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ؕ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

وياك والكذب ، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الزمر/ ٣٣].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة فالبسبه في جميع أحوالك ، وجاهد نفسك عليه ، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقي ربه ؛ ليعلو إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيمان والطاعة لله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

واعلم أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل ، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٠٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

فالصديق يصحب النبي في نبوته .. والرسول في رسالته .. والصديق في صديقته .. والتقي في تقواه .. والرحيم في رحمته .. والمؤمن في إيمانه .. والكريم في إكرامه: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ۝٥٥ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ فَدَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وكلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره وإخلاصه ، وإيمانه ويقينه ، وحيأوه وطمأنينته ، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه ، لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وإذا دخلت العزيمة في القلب ارتحل منه حب الدنيا، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة ، وبذل كل شيء من أجل رضاه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق فهداهم إليه ، وإلى ما يحب ، وجعلهم من الصادقين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتاح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق صار صديقاً ، فرأى بصره وبصيرته نور الهداية ، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق الرازق يخلق ويرزق ، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده ، وذاق طعم الأذكار ، وحلاوة الإيمان ، وصدق اليقين ، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ ۖ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۖ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۚ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥ ﴾ [النور/ ٣٥].

واعلم أن أول الصديقية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وتصديق رسل الله وكتبه ، والعمل بما جاء عن الله ورسوله ، وترك ما سوى ذلك: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢٢].

وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿١١٩﴾ [الحديد/١١٩].

ونقيض الصديقية الزندقة ، وهي كالشرك مع التوحيد ، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً كالنور والظلام : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر/٣٢].

وأول الزندقة الكفر بالله، وجحد ما لله من الأسماء والصفات ، والطعن في النبوة ، ورد ما جاءت به الرسل ، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر ، وعقوبته أشد أنواع العذاب : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء/١٤٥-١٤٦].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ ، ومعرفة دينه ، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو زنديق عدو لله ، قد مكر الشيطان به وأضله عن سواء السبيل بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله ، وعلمه حجة عليه : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/١١٥].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنبذ الشواغل ، وبذل المجهود في طلب المقصود على سبيل الحق المشروع ، ومن أسرع سبق ونجا ، ومن تأخر خسر وأسره عدوه ، ومن أخلص لله ما يحبه خلصه مما يضره ، وأكرمه بما يسره : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ الْمُنِيفِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/١٣٣-١٣٤].

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين ، تكن من المفلحين : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/٧٧-٧٨].

واعلم أن خشوع الجوارح من خشوع القلب ، وسيرى على الوجوه ما تضمه القلوب ، وفضول اللسان من فضول القلب ، وميزان ذلك الصدق : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ۗ ءَأَنَاءَ الْيَلِّ

سَاجِدًا وَقَفَايِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/٩].

ومع العزم يكون العون ، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود/١١٢].
والصدق أعلى الدرجات ، والكذب أسفل الدرجات ، وكلاهما مسئول عن حقيقته ، وجزاء العبد بحسبه : ﴿ لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿٨﴾ [الأحزاب/٨].
وإذا أكرمك الصادق بالصدق، فكن صادقاً مع الله في جميع أمورك.

البس لباس الصدق ، وكن صادقاً مع الله ، ومع خلقه ، واعمل بالصدق ، وانشر الصدق ، وعلم الناس الصدق تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا ﴾ [آل عمران/٧٩].
وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران/٧٩].

فعليك بالصدق في المواطن كلها ، واصبر على ما أصابك تسلم وتغنم وتوَجِرُ : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ﴿٨﴾ [الحشر/٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ ، أبر هذه الأمة قلباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأكملها صدقاً ويزلاً وتضحية : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢٢﴾ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بِتَبَدُّلٍ ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٤﴾ [الأحزاب/٢٢-٢٤].

فاسأل الله أن يرزقك الصدق لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك تفوز بمرضاة ربك مع الصادقين : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ ﴿١١﴾ [الأحقاف/١٦].
ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴾ ﴿٥٥﴾ [القمر/٥٤-٥٥].

﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ﴿٨٠﴾ [الإسراء/٨٠].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء/٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي ، فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » أخرجه البخاري^(١).

اللهم إنا نسألك نفوساً مطمئنة تؤمن بقلائك ، وتقنع بعطائك ، وترضى بقضائك ، وتصبر على بلائك .
اللهم إنا نسألك إيماناً يباشر قلوبنا ، ويقيناً صادقاً تملأ به صدورنا ، حتى نعلم أنه لا يصيبنا
إلا ما كتبت لنا ، إنك على كل شيء قدير .
اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الجميل

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ » أخرجه مسلم ^(١).

الله جل جلاله هو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

وجمال ذاته عز وجل أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره ، وهو محجوب بستر العظمة والعزة والكبرياء، والنور .

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبَرِيَاءُ رِدَائُهُ ، فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَدْبَتُهُ » أخرجه مسلم ^(٢).

وهو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله ، الجميل الذي لا أجمل منه ، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه ، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل ، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

جَمَلُ الْجَمِيلِ سُبْحَانَهُ الْأَرْضُ بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنَ الْمِيَاهِ ، وَالنبات ، والأزهار ، والثمار ، والسهول والجبال والبحار ، والأنهار والشجر ، والدواب : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿٧﴾ [الكهف/ ٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠) .

وَجَمَّلَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ وَالْمَصَابِيحِ ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ٥].

وَجَمَّلَ الْقُلُوبَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ، وَجَمَّلَ الْأَجْسَادَ بِالطَّاعَاتِ وَالْأَخْلَاقِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّآ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فَسَبَّحَانَ مَن خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ جَمَّلَهُ بِالدِّينِ : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين/ ٤-٦].

وَهُوَ سَبَّحَانَةُ الْجَمِيلِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ لِدَاتِهِ ، وَيُحَبُّ لِدَاتِهِ ، وَيُحَمَدُ لِدَاتِهِ : ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥].

فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ حَسَنَ أَسْمَائِهِ ، وَعَلُو صِفَاتِهِ ، وَجَمَالَ أَعْمَالِهِ وَإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ ، وَعَفْوِهِ وَبِرِهِ ، وَرَحْمَتِهِ وَحِلْمِهِ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨].

وَهُوَ سَبَّحَانَةُ الْجَمِيلِ الْمَحْمُودِ عَلَى حَسَنِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص/ ٧٠].

فَكُلُّ جَمَالٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَمِنَ آثَارِ جَمَالِهِ وَصِنْعِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ بِالْجَلَالِ وَالْجَمَالَ مِّنَ أَعَزِّ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَعْظَمِهَا شَأْنًا : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فَسَبَّحَانَ الْمَلِكِ الْحَقِّ الَّذِي لَهُ الْكِبْرِيَاءُ كُلُّهُ ، وَلَهُ الْعِزُّ كُلُّهُ ، وَلَهُ الْجَمَالَ كُلُّهُ ، وَلَهُ الْإِحْسَانُ كُلُّهُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، وَلَهُ الْفَضْلُ كُلُّهُ : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأَنْعَامُ/ ١٠٢-١٠٣].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَمِيلَ الْحَقَّ سَبَّحَانَهُ بِجَمَالِهِ السَّنِيِّ الْبَهِيِّ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَرُونَ حُسْنًا لَا يُتَوَهَّمُ وَصْفُهُ ، وَجَمَالًا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، يَنْسُونَ مَعَهُ كُلَّ جَمِيلٍ وَنَعِيمٍ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ :

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون بالله جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه ، وعلى أسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، وأفعاله الحميدة .

فيكشف قلوبهم مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله ، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب فتخضع وتخضع ، وتختر وتبكي ، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم ، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية ، وآياته الشرعية : ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

اتصف ﷺ بأحسن الأسماء والصفات والأفعال ، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة .
أوجد الخير كله .. وتنزه عن الشر كله .. وتجمل بالحسن كله : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

أوجد الشر كله لا لنفسه، بل لعله الابتلاء: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه ؛ لأن ذلك كله منه ، وهو يحبه ويرضاه، سواء كان في الذوات أو الأفعال ؛ لأنه الجميل الذي يحب كل جميل ، ويأمر بكل جميل ، ويشب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام : ﴿وَبَيَّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضداً من القبيح ، ليس لكماله وجماله ، بل ليميز به الحسن من القبيح ، والمحمود من المذموم ، ولينذر بالقبيح عن الشكل والفعل القبيح ، وليدل به على قدرته ﷺ في خلق المتضادات كالخير والشر ، والحسن والقبيح ، والجنة والنار ، والأبرار والفجار : ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

فسبحان من خلق كل جميل ، ورغب فيه ، وأمر به ، وخلق كل قبيح ، وحذر منه ، ونهى عنه : ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن ما خلقه الله من الجمال ، وما وهب لعباده منه قسمان :
جمال ظاهر .. وجمال باطن .

فالباطن منه: أعظمه التوحيد والإيمان والإحسان، والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وحسن الخلق، ومعرفة الحق، وما يدل عليه ويشهد له: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

والظاهر: الطاعات لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها من صلاة وزكاة ونحوهما: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة/ ٧١].

فالباطن جمال القلوب، والظاهر جمال الجوارح، وهذا مراد الله من خلقه: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فما تزين به العبد منها على وجهه الشرعي فهو جمال وحسن وزينة عند الله ﷻ، يقبله ويثيب عليه بأحسن منه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ [يونس/ ٦١].

ومن ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الحياة الدنيا، خلقه الله إكراماً لبني آدم، وجعله دليلاً على ما في الجنة من أنواع النعيم، ليشكروه ويعبدوه: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ [آل عمران/ ١٤].

وأجمل من ذلك كله الإيمان والتقوى الذي ثمرته رضوان الله وجنة المأوى: ﴿قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٠﴾ [آل عمران/ ٥٠].

فسبحان جميل الأفعال بعباده، يطعمهم ويسقيهم، ويرزقهم ويعافهم، ويكلفهم باليسير من العمل

ويعين عليه ، ويشيب عليه بأفضل منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

وقد خلق الله البشر متفاوتين في الحسن ، والجمال ، والأعمال ، والأخلاق .

فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن الظاهر والباطن ، فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأفضلهم سيرة ، وسريرة ، وكان خلقه القرآن ، يتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه ، ويدعو إلى فضائله ، ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

وهو ﷺ أسوة لكل مسلم في نيته ، وتوحيده ، وإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١]. وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل من الناس في غير إسراف ولا مخيلة ، ولا بطر ولا كبر ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات من آثار جماله .

جَمَلُ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ .. وَجَمَلُ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ .. وَجَمَلُ الْجَوِّ بِالْهَوَاءِ .. وَجَمَلُ الشَّمْسِ بِالضِّيَاءِ .. وَجَمَلُ الْقَمَرِ بِالنُّورِ .. وَجَمَلُ الْمَلَائِكَةِ بِالطَّاعَاتِ .. وَجَمَلُ الْإِنْسَانِ بِالْإِسْلَامِ .
وَجَمَلُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ .. وَجَمَلُ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .. وَجَمَلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ .. وَجَمَلُ الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ .. وَجَمَلُ الْجَنَّةِ بِكُلِّ جَمِيلٍ وَنَعِيمٍ : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا تَوْفُوكُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [غافر/ ٦٢].

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

فسبحان الجميل الذي جَمَلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ ، وَجَمَلُ الْجَنَّةِ بِرُؤْيَا وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، الَّذِي إِلَيْهِ مَتَّهَى الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣]. وعن جرير بن عبد الله ؓ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» متفق عليه^(١).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

• التَعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ :

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجميل والحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق هو ما رضي به الله وحسنه وأكمّله وأتمه لا غير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فاعمل به، واجتنب ضده: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهراً وباطناً.

فتزين لربك بالإيمان والطاعات، وحسن اللباس والطيب، وجميل الصفات والأخلاق.

واعلم أن الناس في التجميل الظاهر ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ حَسَّنَ ثوبه، وَرَجَّلَ شعره، وَطَيَّبَ ريحه، وَنَظَّفَ بدنه، وَتَجَمَّلَ بذلك باقتصاد لربه الجميل ﷻ، وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم، وعليها درج الكثير من الصحابة والتابعين، ولكلٍ منهم ثوابه بقدر نيته.

ومنهم من لزم البذاذة والشعث، واحتمل التفت في الهيئة إلا ما أقام به السنة ولو وجد حلالاً؛ زهداً في التمتع، وإيثاراً لشطف العيش، حتى لا يشغله التمتع عن ربه، وهذه طريقة الخائفين الذين قَدَّمُوا كل شيء إلى الآخرة، وعلى ذلك دَرَجَ الخلفاء الراشدون، وكثير من الصحابة والتابعين، ولكلٍ منهم ثوابه بقدر نيته.

ومنهم من يتقلب بين هذا وهذا، إذا وجد تنعم، وإذا فقد احتمل، وهذه كانت سنة إمام المتقين، وطريقة سيد المرسلين ﷺ.

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة.. ويلبس الرداء الغليظ تارة.. ويركب الفرس تارة.. ويركب الحمار تارة.

وكان يأكل اللحم تارة.. ويأكل العصيد تارة.. ويجوع مرة.. ويشبع مرة.. لا يتكلف في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ومركبه؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له.

وقد آتاه الله من التقى وحسن الخلق وحسن السمة ما لا تبطره به النعمة، ولا يقعه الفقر عن العمل لربه فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ ٤].

فَسَنَّ لَنَا ﷺ بفعله الطرق الثلاث، والفوز والنجاة بالاقتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه ، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه ، وذلك من شكره على نعمه، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

وعرف الناس بالجميل سبحانه تزداد إيماناً ونوراً ، وانشر جمال هذا الدين بسننه وآدابه وأحكامه في العالم تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن الجميل سبحانه يحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالزينة والطيب واللباس ، والجمال الباطن بالإيمان، وشكر المنعم، والتقوى، فتجمل بذلك كله : ﴿ يَبْنَؤُا دَمًا قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدْيًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٢٦].

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].
 ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر/ ١٠].

« اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ » أخرجه مسلم (١).

اللهم يا من يملك الجمال كله ، ويده الأمر كله ، زين قلوبنا بالإيمان واليقين ، وجمل ألسنتنا بذكرك وشكرك ، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك ، وجمل أوقاتنا بأنواع البر والعمل الصالح.

اللهم يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع الرحمة ، يا واسع المغفرة ، يا واسع العلم ، يا سامع كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصنف ، يا واسع الفضل ، نسألك العفو والعافية ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا أكرم الأكرمين.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

الطيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» أخرجه مسلم ^(١).

الله ﷻ هو الطيب الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/٨].

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب من الاعتقاد والقول والعمل والخلق، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة التي يطيب بها العبد ويزكو: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج/٢٤].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء.. وصفاته أطيب الصفات.. وأفعاله أطيب الأفعال.. وكلامه أطيب الكلام.. ودينه أطيب الأديان، وثوابه أحسن الثواب.

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيباً، وطيبه أن يكون خالصاً لله وحده، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾ [فاطر/١٠].

ودينه الحق كله طيب كامل تام في عقائده، وأحكامه، وأدابه، وسننه، وشرائعه: ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/٣].

فعقائده هي الإيمان وأركانه التي تطيب بها النفوس وتزكوا، وتطمئن بها القلوب وتسكن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

الصَّلَاحَتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِيهَا ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وأحكامه أطيب الأحكام وأحسنها وأعدلها، وأدابه أطيب الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجوارحه بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان، وبما ظهر على لسانه من الذكر والحمد والتسبيح والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

ومن طاب قلبه طابت جوارحه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٤].

ولما طاب المؤمن في هذه الدار أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل/ ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبته وخشيته وتقواه، وطاب لسانه بذكره، وطابت جوارحه بالعمل الصالح، أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَابْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا والجنة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان:

دار الطيب المحض وهي الجنة: وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث، وهم المؤمنون الكُمَّل، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من اتبعهم بإحسان. ودار الخبث المحض وهي النار: وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه وهم الكفار

والمشركون والمنافقون ، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن .
 ومن معه طيب وخبث وهم عصاة المسلمين ، فهؤلاء من دخلها منهم عُدب بقدر ذنوبه ، ثم
 أُخرج إلى الجنة : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
 الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم/ ٧١-٧٢] .

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفنيان أبداً ، وأهلهما مخلدون فيهما أبداً .
 الجنة دار الطيب المحض .. والنار دار الخبث المحض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا
 وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٣-١٤] .

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه ، وهو ما سلم من الخبث كله ، وجمع
 الطيب كله .

والطيب قريب من معنى الطهارة ، وفي الطيب معنى زائد على الطهارة .
 فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيء زائد على الطهارة، وهو في الشم
 طيباً، وفي الأفعال جودة وحسناً .

فالأعمال الصالحة متى الفت بفاعلها رجساً طهرته، وإن لم تجد ما منه تُطهره طيبته ؛ ليلقى ربه
 طاهراً طيباً : ﴿ الَّذِينَ نُوْقِفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢) [النحل/ ٣٢] .

و ضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خبث كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ
 الشيطان من أحدنا ، يطهر بالإيمان ، ويطيب ويزكو بالتقوى ، كما يطهر خبث الحديد بالنار ،
 فطهر نفسك منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٣٢) [البقرة/ ٢٢٢] .

واعلم أن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده، ويجري في دمه ، ليزداد
 الإنسان خبثاً بعد خبث، ورجساً بعد رجس، بالشرك والكفر، والكذب والكبر، والحسد
 والحقد، والبخل والطمع وغيرها من مساوئ الأخلاق : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
 يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) [فاطر/ ٦] .

وعن صفة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج معها فلقية رجلان من الأنصار فقال : « إِنَّ

الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا متفق عليه^(١).
واعلم أن من أَرادَه اللهُ بِرحمته يسر له أسباب الهداية ، وفتح له أبواب المعرفة ، ونقله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشر إلى الخير ، ومن المعاصي إلى الطاعات :
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].
ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه :

فيجعل كبره على أعداء الدين .. وحرصه على طاعة ربه .. وإيأاه عن معاصيه .. ويطشه بمن أصر على الكفر .. وحسده على الخير والحكمة وبذل النفس والمال في ذات الله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح/ ٢٩].

فسبحان الحكيم العليم الذي يبدل عبده بسيئاته حسنات ، ليحييه بذلك حياة طيبة ، ويزيل عنه خبث باطنه ، ورجس أعماله الظاهرة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ع إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور/ ٢١].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته ، الطيب القدوس في جميع أسمائه وصفاته ، الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانُونٌ ﴿٣١﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

فسبحان الملك القدوس الطيب الذي لا تلحقه الآفات ، ولا يليق به نقص ، له الأسماء الحسنى ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٥).

والصفات العلى ، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه، كمن هو مجبور لا غناء به! ومن هو كبير لم يزل، كمن هو حقير لم يكن! أيستوي الملك والمملوك! والخالق والمخلوق! والرازق والمرزوق! ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/١٧-١٨].

كل المخاليق أبان بجبروته ﷻ ، وأخبر بدوام ملكوته، وشهد بوحدانيته. والكل يسبح بحمده، لطهارة قدسه، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة/١].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الطيب :

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنی، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلى، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم ، وموجب تلك الصفة ، بما يرضي ربه عنه.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له ، والتعبد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/١٨٠].

فاجهد نفسك أيها المؤمن في العلم بأسماء الله وصفاته ، واستعمل نفسك بمقتضاها. فإذا ذكرت الرحمن فتذكر ماذا عندك من الرحمة؟ وكم رحمت من الخلق؟ وتعبّد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض يرحمك من في السماء.

وإذا ذكرت العليم فتذكر ماذا عندك من العلم؟ وكم علمت من الخلق من شريعة الله؟ وتعبّد لله بصفة العلم يورثك التقوى والخشوع له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر/٢٨].

ونزّه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكّها بكل عمل صالح وخلق حسن تسعد وترضى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/٧-١٠].

ومن أعظم التزكي العمل بطاعة مولاك الحق، لتتزكى بذلك عنده وتقرب منه: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى

فَانْمَايَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ [فاطر/١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودة وحسنا، والنهوض إلى الخيرات صعوداً بكل عمل طيب زكّي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/١٤-١٥].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خير ورحمة، وإحسان وحكمة، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله وإنعامه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/١١٠-١١١].

فاجتهد على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب من ذكرٍ وشكر، وحسن عبادة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/٧٧].

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسنى إلا ببذل كل طيب من الأوقات والأموال والأقوال والأعمال، في مرضاة الله، وفي سبيله: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُفِيقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ ۗ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران/٩٢].

واعلم أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتهن بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة/٢٧].

فاختر رحمتك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأذناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۗ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل/٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خُلُق في القرآن محمود يفعله، وكل خُلُق في القرآن مذموم

يحذره: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا دِينَارًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل/ ٨٩].

وكان ﷺ خلقه القرآن، يتأدب بأدابه، ويعمل بأحكامه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤].
واعلم أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس من قبيل الاكتساب ؛ لأنه تركيب في الخلقة ،
فاسأل الله أن يطهر قلبك منه: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داء إلا جعل له دواء، ولا أغلق غَلَقًا إلا جعل له مفتاحًا: ﴿ مَا يَفْتَحُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر/ ٢].
وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم^(١).

ومفتاح هذا الغَلَقِ، ودواء هذا الداء، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن يزيله
ويبدله بخير منه، والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

وقُطِبَ ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس وما
يجب عليها ، ومخالفة الهوى ، ولزوم الطاعات ، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع
الآثام والفواحش: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أَهْلُ
الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحين وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان
الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار ، وقف بين يديه بجلال الاضطرار : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ
نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَا لَهُ، وَرَزَقْنَاهُ إِنْهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا
لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

وابك على تقصيرك، وجهلك بربك، إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا
وَأَجْنِبْنَا إِذَا نُنَلِّي عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴿مريم/٥٨﴾.

واعتذر إليه من عجزك فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج مع لزوم
الدعاء: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَالصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضًّا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَيْرِ وَكَذَلِكَ
نُفِخِ الْمَوْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴿الأنبياء/٨٣-٨٨﴾.

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته ، ولا حرمننا كريم إجابته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَأِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴿
البقرة/١٨٦﴾.

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴿
[نوح/٢٨].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴿[الإسراء/٨٠].
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَدَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ
نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَرَزَقَهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ رَزَاكَاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا
يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم^(١) .
اللهم حبب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من
الراشدين .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ،
إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .
اللهم أحيينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

الحيي

عن يعلى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ » أخرجه أبو داود والنسائي ^(١).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا » أخرجه أبو داود والترمذي ^(٢).

الله صلى الله عليه وسلم هو الحيي العظيم الحياء، الذي يترك ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياؤه صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلاله ، فالعبد يجاهر ربه بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه ، وأضعفه لديه ، ويستعين بنعمه على معاصيه ، وربّه مع كمال غناه وتمام مقدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحان الحيي السّتر الذي يستر من عصاه بما يهيئه له من أسباب السّتر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر له: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيُّ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » متفق عليه ^(٣).

واعلم أن حياء الرب صلى الله عليه وسلم من عبده حياء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، فهو حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر/ ٦١].

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٤٠٦).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فهو سبحانه حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً، ويستحي أن يعذب ذا شبيهة شاب في الإسلام، ومن استحي من الله استحي الله أن يعذبه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد / ٦].

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً حيث لا تنفع المعذرة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٦] وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [١٧] ﴿ [آل عمران / ١٠٦-١٠٧].

والله ﷻ يحب أسماءه الحسنی، ويثني على نفسه بها، ويحب ظهور آثارها في خلقه.

فهو مؤمن يحب المؤمنين.. كريم يحب أهل الكرم.. حليم يحب أهل الحلم.. شكور يحب الشاكرين.. تواب يحب التوابين.. حيي يحب أهل الحياء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] ﴿ [الحشر / ٢٢-٢٤].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها لعباده، وأمرهم بالتعبد له بموجبها ومقتضاها: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا [١١١] ﴿ [الإسراء / ١١٠-١١١].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الحيي:

اعلم رحمك الله أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، والتعبد لله بصفة الحياء من أعظم الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢] ﴿ [الملك / ١٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم^(١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

والحياء خير كله ؛ لأنه لا يأتي إلا بخير .

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ » متفق عليه ^(١) .

وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجه الحياء من الله تعالى ، ثم الحياء من الملائكة الكرام ، ثم الحياء من الناس ، ثم الحياء من النفس :

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد لله ، وكمال الإيمان به ، وإحسان العمل له ، والحب له ، والخوف منه ، والتضرع والافتقار إليه في جميع الأحوال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس / ٣] .

وأشد الناس حياء من الله هم الأنبياء والرسل ؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته ، ثم أتباعهم من المؤمنين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ^(٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ^(٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ^(٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ^(٦٠) أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ^(٦١) وَلَا نَكْفِؤْهُمْ نَفْسًا إِلَّا وَسِعَتْهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ^(٦٢) [المؤمنون / ٥٧-٦٢] .

وأشد الخلق حياء من الله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفته بنعمه وإحسانه ، ولهذا كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه شاكرًا لربه مستغفرًا من ذنبه .
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ . متفق عليه ^(١) .

واعلم أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات ، فاحفظ نعمة السمع ، والبصر ، والفؤاد ، واللسان ، من جميع المعاصي ، واستعملها في الطاعات : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٧٨) [النحل / ٧٨] .

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك ، واحفظ السمع والبصر والفؤاد من جميع المحرمات ، واحفظ البطن من دخول المحرمات ، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش : ﴿ وَلَا نَفْثُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ^(٣٦) [الإسراء / ٣٦] .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١١٧) ومسلم برقم (٣٧) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٢٠) .

ومن علم أن السميع البصير مطلع عليه استحي أن يراه على معصيته .

فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك وهو يراك : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء ومن به على من شاء من خلقه، فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

واعلم أن الحياء من الملائكة يكون بالافتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات ؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

أما الحياء من الناس فيكون باجتنب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق ؛ حياء من الله والملائكة والناس .

فمن رزق ذلك فهو الحيي الذي يحبه الله ، ومن حُرِم ذلك سقط من عين الله .

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أخرجه البخاري ^(١) .

والحياء من النفس أن تحملها على طاعة الله بعدم استعمال نعم الله في معصية الله ، فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح ؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ لِلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال/ ٢٢].

واعلم أن من استحي من الله، استحي الله منه ، ومن أعرض عن الله، أعرض الله عنه ، فاعبد ربك كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٤).

فأرى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً .
فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ
اللَّهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ » متفق عليه^(١) .

اللهم إني في هذا المقام استحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي ، وأستغفرك
من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم ، وأنت الحكيم الذي بعثت الهمة لكتابته ،
وسقت اليد لتحريره . فلك الحمد على ما قدّرت ، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت ،
فلست أنشد إلا رضاك ، فاغفر لي ولوالدي والمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي

فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف/ ١٥] .

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ
حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ » متفق عليه^(٢) .

اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وبيدك الأمر كله ، اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ،
وما أسررنا وما أعلننا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .
اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٦) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٢١٧٦) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠) ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠٦) .

الباب الخامس

أسماء الله الحسنی بین معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم السابع

أسماء الله الحسنی الدالة على الحق والعدل،

والهداية والبيان [٩٦ - ٩٣]

وتشتمل على ما يلي :

(الحق) جل جلاله

(الهادي) جل جلاله

(المبين) جل جلاله

(الفتاح) جل جلاله

الحق

قال الله تعالى : ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴾ [١١٦]

[المؤمنون/ ١١٦] .

الله ﷻ هو الرب الحق الذي تفرد بالبقاء والملك الدائم ، الجامع للخير والمحامد كلها ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [٥] لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجَهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه / ٥ - ٨] .

هو سبحانه الحق الذي لا شك فيه ولا ريب ، هو الحق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو الحق الذي جاء بالحق، وحكم بالحق، ونصر الحق، لا إله غيره، ولا رب سواه : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [٣٣] [يونس / ٣٢] .

وهو سبحانه الملك الحق ، المعبود بحق ، ولا معبود بحق سواه ، وكل معبود سواه باطل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [١٢] [الحج/ ٦٢] .

وهو سبحانه الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأرسل الرسل بالحق ، وحكم خلقه بالحق ، وحكم بينهم بالحق : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [٣٣] [التوبة/ ٣٣] .

والحق من أعظم أسماء الله الحسنى، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١٤] [طه/ ١١٤] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه، ولا تستطيع الأبدان الخروج عن ملكه وأمره ، ومتى رامت ذلك سلبها التوفيق ، وعزلها عن مرادها، وقهرها بأمره ، فأسرعت إلى مراده : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٥٤] [الأعراف / ٥٤] .

وهو سبحانه الحق الذي أظهر بصفاته أنه الحق ، وأودع الحق والتوحيد في قلوب العارفين، وجعله سفيراً بينه وبين عباده ، مؤدياً عنه شهادة الحق بأنه الحق ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِ الَّذِينَ لَا يَلْتَمِعُونَ ﴾ [١٩] [الرعد/ ١٩] .

وأنا سبحانه قلوب المؤمنين بالحق فرأت الحق وأحبته ، وعظمته وأطاعته، وخرت ساجدة بالحق للحق ﷻ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَانَاءَ آيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩] .

فسبحان الكريم الحق الذي أرسل رسله بالحق ، ليعم جميع المكلفين بالحق، وينير الطريق للسالكين إليه، ويقطع جدل المخاصمين فيه، ويدحض حجج المعاندين للحق: ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية / ٢٢] . ولما كان من كمال الملك الحق الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، أن يكون له حب وبغض ، ورضى وسخط ، اقتضى ذلك أن يكون له أمر ونهي ، ومأمور ومنهي ؛ لأنه ملك يأمر وينهى كما يشاء ، بما شاء ، متى شاء: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر / ٢٣] .

ولما كان لابد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم أرسل برحمته الرسل بالحق ، وأنزل الكتب بالحق، فمن قبل الحق أحبه الحق، واستعمله فيما يحبه ويرضاه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة / ٣٣] .

ومن رد الحق أبغضه الحق سبحانه وخذله، فاستعمله الشيطان فيما يبغضه الحق ويكرهه فأحبط الله عمله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد / ٢٨] .

وكان من تمام الحكمة والحكم بالحق أن يثيب الله المحسن، ويعاقب المسيء، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴾ [النجم / ٣١] .

فكل ما أمر الله ورسوله به، وكل ما أحبه الله ورسوله، فهو الحق ، وثوابه الجنة ورضوان الرب ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه، وكل ما أبغض الله ورسوله، فهو الباطل ، وجزاؤه النار وسخط الرب : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ١٧٠] .

واعلم أن كل طاعة يفعلها العبد من الرحمن ورضوانه، وكل معصية من النفس والشيطان : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٧٩) مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿ (٨٠) [النساء / ٧٩ - ٨٠] .

وقال سبحانه عن الشيطان : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) [فاطر/٦] .

ولا يترك عبادة الحق سبحانه إلى عبادة ما سواه إلا أعمى القلب ، سفیه العقل : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَّ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) [يونس/٣٥] .

واعلم أن كل طاعة ومعصية ، وكل خير وشر ، وكل حق وباطل ، كل ذلك لا يقع من العباد إلا بإذن الله ومشيئته وعلمه ، لكن الله يحب الحق والخير والطاعات ، ويأمر بذلك ويرضى به ، ويكره الباطل والشر والمعاصي ، وينهى عنه ولا يرضاه : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٧) [الزمر/٧] .

والرسل والكتب تبين للناس هذا وهذا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٧) لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٩) [التكوير / ٢٧ - ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيضُوا بِمَا يَكْفُرُونَ لَشِوَىٰ أَلْوَجْوهٖ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩) إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿ (٣٠) [الكهف / ٢٩ - ٣٠] .

فسبحان الملك الحق والإله الحق الذي ملأ أركان الوجود كلها بعظمته وجلاله، ورحمته وإحسانه، وشمل أقطار الكون كلها بحكمته وقدرته وعلمه، وقهر جميع المخلوقات لطاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأنه وحده الحق ، وكل معبود سواه باطل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (١٢) [الحج / ٦٢] .

وهو سبحانه الملك الحق الديان الذي يجازي عباده بما عملوه من الحسنات والسيئات . فما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة ، وما أساء من مسلم أو كافر إلا جازاه ربه بما أساء : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ

سَوْءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يُجَدَّلُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ
 أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].
 فاعمل ما شئت كما تدين تدان : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾
 [الإسراء/ ٧].

فكل شيء له ثمن، وكل عمل له جزاء، وكل حسنة لها ثواب، وكل سيئة لها عقاب : ﴿ مَنْ
 عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت/ ٤٦].
 فسبحان الديان الذي يجازي بكل عمل، ولا يضيع عنده عمل : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
 أَمْثَلِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

وهو سبحانه الملك الحق الذي يحكم بين عباده يوم القيامة بالحق والعدل والإحسان،
 الديان الذي يحاسب الأولين والآخرين على أعمالهم، ثم يجازيهم على ما قدموا في
 حياتهم الدنيا من أعمال، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
 لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وهو سبحانه الحق الكريم الذي يضاعف الحسنات، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].
 وهو سبحانه الديان، مالك يوم الدين، مالك يوم الحساب والجزاء على الأعمال، وله
 الحمد على العدل والرحمة والإحسان : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاحة/ ٢-٤].

وهو سبحانه الحق الديان الذي يجازي كلاً بعمله، ويقتنص للمظلوم من الظالم، ومن السيد
 لعبده، ومن القوي للضعيف : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ ﴿٦٦﴾
 [الفرقان/ ٢٦].

وإذا حكم الله يوم القيامة فلا ظلم ولا جور ولا تأخير : ﴿ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿١٧﴾ [غافر/ ١٧].

فسبحان الملك الحق الذي أحصى جميع أعمال عباده، ثم يحكم الديان بينهم يوم القيامة
 بالعدل والإحسان، ويوفيهم جميعاً أجورهم، ويزيدهم من فضله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا

عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران / ٣٠].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ عُرَاءَ عُرْلًا بَعْهُمَا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بَعْهُمَا؟ قَالَ «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(١). وهو سبحانه الملك الحق الذي يضع الموازين يوم القيامة ؛ إظهاراً لعدله بين خلقه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧].

واعلم رحمك الله أن الديان الحق سوف يحاسبك على جميع أعمالك، فحاسب نفسك في الدنيا ما دمت تستطيع، فأنت في دار المهلة والعمل قبل أن تموت وترى العمل ، ولا تستطيع التوبة والندم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ [آل عمران / ١٠٦-١٠٧].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة للخلق: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم^(٢).

والله تعالى هو الملك الحق الذي يُحِقُّ الحق، ويُبطل الباطل، ويحكم بين عباده بالعدل والإحسان، ويأمرهم بالعدل والإحسان والفضائل، وينهاهم عن الظلم والبغي والردائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل / ٩٠].

وهو سبحانه الحق الذي لا عدل منه، ولا أقسط منه، فهو الذي عدل في حكمه وأمره، وعدل وأحسن في ثوابه وعقابه، الذي يأمر بالقسط ويحب أهله كما قال سبحانه:

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم (١٦٠٤٢)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٩٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات / ٩] .

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خلقه إلا وهو موزون بميزان العدل والقسط ،
وتعالى الله عن الإهمال والمجازفة ، وتنزه الله عن الحيف والجور: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠] .

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه موزون بقدر في نوعيته وكميته، ومكانه وزمانه،
وصورته: ﴿وَإِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١] .

والله جلَّ هو الحق الذي عدل في جميع أفعاله، وعدل في جميع أحكامه.

فهو الحق ، وقوله الحق، وفعله الحق ، ودينه الحق .

يبسط ويقبض .. ويعطي ويمنع .. ويرفع ويخفض .. ويعز ويذل .. ويقدم ويؤخر .. ويكرم
ويهين .. ويحيي ويميت .. ويهدي ويضل .. ويعافي ويتلي .

هو الحق الذي لو عذب أهل سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم العدل ، ولو نعم أهل
سماواته وأراضيه كان ذلك بحكم الفضل: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون / ١١٦] .

فسبحان الملك الحق المبين ، الذي كل ما نراه وما لا نراه من مخلوقاته فهو الحق، وكيفما
كان فعله فهو الحكمة، وكيفما صرَّف حكمه وتدييره فهو العدل والرحمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ عَلَيْهِمُ الْغُيُوبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ٧٣] .

فافهم الحق ، فإن لم تفهم فابك على الجهل ، واستغفر لذنبك، حتى يفهمك من منعك أن
تفهم ، فافهم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه / ١١٤] .

• التبعيد لله جلَّ باسمه الحق :

اعلم وفقك الله لمعرفة وطاعته أن معرفة الحق جلَّ من أعظم العلوم وأشرفها وأنفسها .

ويإصابة الحق في الاعتقاد والقول والعمل تنال شرف الدنيا والآخرة، وتسعد بدخول
الجنة، ورضوان الرحمن، والنجاة من النار .

وباتباع مَنْ أمر بالحق تنال معرفته، وتشرف بحسن عبادته، وبمعرفة جلَّ بأسمائه وصفاته
تحبه، وتعظمه، وتسكن إليه، وتذوق حلاوة الإيمان به، ولذة مناجاته .

فاجتهد رحمك الله في طلب معرفته، والاعتذار عن التقصير في حقه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

واعرف الحق العظيم الذي خلق الله به كل شيء ، وأقام به كل شيء ، ونفذ به حكمه وتدييره ، وعدله وإحسانه ، وفضله ورحمته : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت / ٤٤] .

بالحق أضل الله وهدى ، وبه أمر ونهى ، وبه أبعث واصطفى ، وبه ابتلى وعافى ، وبه أمات وأحيا ، وبه خذل ونصر ، وبه حمد نفسه ، وبه أظهر كمال قدرته وعلمه في ملكه وملكوته : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] .

وإذا عرفت الملك الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعلم أنك عبده ، وللملك على عبيده حقوق كثيرة تقابل إنعامه عليهم وإحسانه إليهم ، وتليق بجلاله وعظمته : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٧ - ١٨] .

واعلم أن حق الله سبحانه لازم لك أيها العبد في ظاهره وباطنه ، وفي أولك وآخره ، فهو الذي خلقك وصورك ، وأنشأك ورباك ، وهداك وحفظك من الآفات ، نعمه عليك سابغة ظاهرة ، وفي جميع أمورك وأحوالك شائعة .

فاعبده وحده لا شريك له ، واجتنب عبادة ما سواه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢] .

وحقه عليك في كل نعمة جاد بها عليك واجب فأطعه واعبده ، ولا تشغلك نعمه عليك عن عبادته وطاعته : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار/ ٦ - ٨] .

واعلم أن الله الحمد وحده أن هداك للإسلام ، وأذن لك بذكره ، وسمح لك بعبادته ، وأقامك في طاعته ، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته ؛ لتنال بذلك المزيد من فضله ، وتسعد برضوانه والقرب منه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِّلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الحجرات / ١٧] .

واعلم أن الذي يثقل في الميزان يوم القيامة هو الحق ، والذي يخف فيه هو الباطل ، فثقل

ميزانك بالإيمان والطاعات ، وإلا خف بضد ذلك من المعاصي والسيئات : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة / ٦-٨] .

وأقم اليوم ميزانك ، وأعط القسط من نفسك لربك فهو أهل أن يُعبد ويطاع ، ووفّ قسطه وحقه حسب طاقتك ، وأجر ذلك كله عائد عليك : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ لِزَهِيمَةً هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج / ٧٨] .

واستغفر الحق سبحانه لما عجزت عنه، واعتذر له من ضعفك عن القيام بحقه، واطلب منه العفو والمغفرة عن جرأتك على معصيته وهو يراك : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠] .

وكن قائماً بالحق والقسط والعدل في حق نفسك، وفي حق غيرك ، وعليك بالعدل والإحسان في جميع أمورك ، وفي أقوالك وأفعالك ، واستفرغ كل أوقاتك في ذلك : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأنعام / ١٦٢-١٦٣] .

واعلم أنه ليس لك هناك إلا ما قدمته هنا ، وبميزانك اليوم يوزن لك غداً، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء / ٤٧] .

وسبح بحمد ربك القائم بالقسط والعدل في خلقه وأمره ، واصبر على ما أصابك ، وإن ظلمك الخلق فاعدل وأحسن ؛ لتنال عبودية الصبر والإحسان : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [يوسف / ٩٠] .

وسبح بحمد الحق الذي خلقك في أحسن تقويم، وزودك بالسمع والبصر، وخصك بالعقل والفكر، ويسر لك العلم والعمل ، فنعمه عليك لا تُعد ولا تحصى : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ [الضحى / ٦-١١] .

وإياك أن تشغل قلبك وجوارحك في غير طاعة ربك فأنت عبده ، وليس لك إلا امتثال أمره :

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥] .

فمن حق الحق عليك سبحانه الوفاء بعهده ، وأن تطيعه ولا تعصيه ، وأن تذكره ولا تنساه ، وأن تشكره ولا تكفره، وأن ترجوه ولا ترجو أحداً سواه ، وأن تخافه ولا تخاف أحداً سواه: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة/ ٧] .

ومن حقه عليك أن تعرفه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، لتدعوه بها ، وتعبده بالاتصاف بها، وتعلم الناس دينه كما أمر: ﴿كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

ومن حقه سبحانه عليك أن تُجِلَّ مقامه وجلاله ، وعظمته وكبريائه ، وأن تشفق من غضبه وسخطه ومقته، وأن تفر من عدوه إليه، ومن معصيته إلى طاعته: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَفَارًا ﴾ [١٣] وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح/ ١٣-٢٠] .

ومن حقه عليك أن تعرف إحسانه إليك ، وفضله عليك ، وتودده إليك ؛ لتشكر الحق على جزيل عطائه وإحسانه، وتنال المزيد من فضله وإنعامه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧] .

ومن حق الحق عليك أن تنظر في ملكوته العظيم ، وإبداعه العجيب ، و تتصفح حكمته في خلقه، وقدرته في صنعه ؛ لتعظمه وتحبه وتشهد له بوحدانتيته: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

ومن حقه سبحانه عليك أن تنظر في كلامه العظيم ، وتتلو كتابه الكريم ؛ لتعرف الخالق الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتفهم مراده منك ، ومرادك منه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد/ ٢٤] .

ومن حقه سبحانه عليك أن تُظهر حقه عليك في جميع أحوالك ظاهراً وباطناً ، في إسلامك وإيمانك، وفي صدقك وإخلاصك، وفي جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١١١] قُلْ إِنَّ

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٧﴾ [الأنعام/ ١٦٦ - ١٦٣].

واعلم وفقك الله لطاعته أن حق الله عليك في باطنك أربعة أقسام :

الأول : حق الله على القلب : بأن يؤمن بالله ، ويصدق به ، ويقر بأن الله لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولا أحد مثله ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى ، وله الخلق والأمر وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس/ ٣].

الثاني : حق الله على العقل : بأن يعرف الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف ما أنزل في كتبه ، وما أرسل به رسله من أمره ونهيه ، ووعده ووعدته ، ويعرف ملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره ، ليكمل إيمانه بمعرفة الحق ، وما أمر به الحق ، ويسجد مع الساجدين لربهم الحق : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦٦ - ١٧].

الثالث : حق الله على الروح ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٢ - ٣].

الرابع : حق الله على النفس ، ويحصل بالخضوع والخشوع للعزیز الجبار ، والافتقار إليه ، والانكسار بين يديه ، والصبر على طاعته ، والصبر عن معصيته ، والصبر على أقداره ، والرغبة إليه ، والمحبة له ، والرجاء له ، والخوف منه ، وحسن عبادته ، والنصح لعبادته ، والرحمة لخلقه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١ - ١١].

فهذه صفات أولياء الله فالحق بهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

واعلم رحمك الله أن الملك الحق يملك نفسك وروحك وجسدك ، ويملك سمعك وبصرك وعقلك ، ويملك وقتك ومكانك ولسانك .

فارغب إلى الحق سبحانه أن يستعمل لسانك بذكره وشكره ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، ويستعمل جميع جوارحك بطاعته وحسن عبادته ، ويستعمل عقلك في التفكير في آياته ومخلوقاته ، وسل ربك أن يجعل لك الأرض مسجداً ، والحياة مريحاً ، والاستقامة منهجاً :

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء / ٨٠-٨١].

واعلم أن أحق الحق أن تعلم أنك عبد للحق سبحانه فتؤمن به وتوحده ، وتعمل بالحق الذي أنزله ، وتدعو إلى الحق الذي أمرك بإبلاغه لخلقه ، وما سوى ذلك باطل وخسران فلا تلتفت إليه : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر / ١-٣].

وتفكر في ملك ربك العظيم ، وتدبر آياته وآلائه ، ترى بقلبك الخالق فوق الخلائق ، والمصور يُصور الصور ، والحي يحيي ويميت ، وترى الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والعليم يُعلم ، والملك يدبر : ﴿ وَقَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيج ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج / ٥-٧].

وإذا عرفت ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعبده كما يليق بجلاله وعظمته ، واشكره على إحسانه وفضله ، فهو الحق الواحد الأحد الصمد وحده لا شريك له : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم / ٦٥].

واعلم أن الحق سبحانه يسمع ويرى كل شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم الواسع ، فتب إلى ربك العظيم من التقصير في أداء حقوقه وحقوق عباده ، وتب إليه من انتهاك حرمانه ، وتجاوز حدوده : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

[النور / ٣١].

واعلم أن كل شيء يقربك إلى مولاك الحق فهو حق ، وكل شيء يبعدك عنه فهو باطل .
والحق منصور أبداً لأنه حق فتمسك به ، والباطل مخذول أبداً لأنه باطل فاجتنبه : ﴿ وَقُلْ

جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ [الإسراء / ٨١] .

والقرآن هو الحق الذي أنزله الحق ليحكم بين الناس بالحق : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَى اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء / ١٠٥] .

وإذا عرفت الحق فيجب عليك إبلاغه للبشرية : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم / ٥٢] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٣] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا بِنَا أُمَّامًا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران / ٥٣] .

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ ، وَبِكَ أَمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »
متفق عليه^(١) .

اللهم أنت أحق من عبد ، وأحق من شكر ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأرحم من رحم ، فاعفِرْ لنا وارحمنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) ، ومسلم برقم (٧٦٩) ، واللفظ له .

الهادي

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/٣١].

الله ﷻ هو الهادي الحق الذي هدى جميع خلقه إليه، بما أظهره من أسمائه وصفاته ، وآياته ومخلوقاته ، ونعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/١٢].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى خلقه إلى معرفته ، وهداهم إلى جميع المنافع ، وأرشدهم إلى دفع المضار ، وعلمهم ما لا يعلمون ، الهادي وحده لا شريك له إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان /٣١].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السموات والأرض ، وهداها إلى جلب مصالحها، ودفع مضارها، وعبادة ربها: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى /٥-١].

وجميع مخلوقاته تشهد بتوحيده ، وتسبح بحمده: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/٤٤].
فسبحان الخلاق العليم: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه/٥٠].

وهو سبحانه الهادي لكل مهتد من مخلوقاته.

هدى كل شيء إلى التسيح بحمده .. وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته.. وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه.. وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه .. وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها.

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقاً .. وفوق الأرض أغصاناً وأوراقاً، وأزهاراً وثماراً.
وهدى الملائكة للتسيح .. وهدى السحب للمطر .. وهدى الأرض للإنبات.

وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة .. وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو إلى ما يصلحه وينفعه: ﴿إِنَّا عَلَّمْنَا الْهَدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل/١٢-١٣].

وهدى الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/٢-٣].

فسبحان الهادي الحق: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/٢-٣].

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان بما أرسل إليهم من الرسل ، وما أنزل عليهم من الكتب ، وما نصب لهم من الآيات والدلائل في السموات والأرض : ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ مِّنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر/٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق الذي يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله : ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رِيبٌ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ/٥٠].

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه ، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو على كل شيء قدير ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتَسَعْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل/٩٣].

وهو سبحانه الهادي الذي أعطى الإنسان حرية الاختيار ، فمن شاء الهدى هداه إلى الصراط المستقيم : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/٢٥].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدأته اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم من أسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وآياته ومخلوقاته ، فاهتدوا بهدأته لهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء/٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله لهداية الناس إلى الحق : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف/٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركا وهدى للعالمين إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران/٩٦].

وهو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء من عباده ، الهادي الكريم الذي فتح جميع أبواب الهداية إليه عن طريق آياته ومخلوقاته ، وعن طريق أسمائه وصفاته ، وعن طريق نعمه وآلائه ، وعن طريق كتبه المنزلة ، وعن طريق رسله المرسلة : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي

سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ ﴿ [يونس / ٣].

والهدى عن طريق الخلق أقرب طرق الهدى ، وباب الكون أوسع أبواب الهدى .

فبالخلق نهتدي إلى الخالق ، وبالصور نهتدي إلى المصور ، وبالرزق نهتدي إلى الرازق : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق / ٦-٨].

فإذا نظرت إلى الكون رأيت الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والكريم يحسن ، والجبار يقهر : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الهادي الذي إذا هدأك بخلقه فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وإذا هدأك بكلامه فالهادي اسم من أسماء ذاته .

واعلم أن الكون العظيم أعظم أبواب معرفة العظيم ، والقرآن هاد إلى معرفة العظيم ، لكن الكون العظيم لغة عالمية يراه ويقروؤه ويفهمه كل إنسان حيثما كان .

ومن آياته التي نهتدي بها إليه الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والبحار ، والماء والجماد ، والنبات والحيوان : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجَاجَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد / ٢-٣].

واعلم أن القرآن العظيم من أعظم أبواب الهدى لمن قرأه وتدبره .

ولابد للإنسان من الاهتداء بهذا وهذا ، ليكتمل نور الهداية في قلبه ، فالكون كتاب الآيات والمخلوقات ، والقرآن كتاب العلوم والأخبار والأوامر والنواهي : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

فبآيات الكون نعرف ربنا ، وبآيات القرآن نعبده ، فالكون دلنا عليه سبحانه ، والقرآن علمنا

أسماءه وصفاته وأفعاله ، وبين له منهجه ، وأمره ونهيه ، ونعمه وإحسانه ، ووعدته ووعدته .
فسبحان الهادي الذي يهدي إليه تارة بخلقه ، وتارة بكلامه ، وتارة بأفعاله ، وتارة بالفطرة ، وتارة
بالإلهام ، وتارة بالرؤيا ، وتارة بالأشخاص ، وتارة بالانشراح ، وتارة بالتفكير والتدبر : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشَعِرْمُنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر/٢٣].

واعلم أن الهادي ﷺ هو الله وحده لا شريك له ، هو الهادي الغني الذي يملك جميع خزائن الهداية ،
وهو الهادي لكل مهتد وهاد ، ومن يضل فلا هادي له سواه : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف/١٧٨].

فسبحان من أظهر قدرته وحكمته ، وأسماءه وصفاته ، في تدبير ملكه ومماليكه : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام/١٤٩].

فالحمد لله الذي أرسل إلينا أفضل رسله ، وأنزل علينا أحسن كتبه ، وهدانا للإسلام : ﴿ذَلِكَ
هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر/٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان ، وحفظنا من الكفر والشرك : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/١٧-١٨].

واعلم أن كل أحد محتاج إلى الهداية ، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية يسألون ربهم الهداية في
كل وقت : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْدَرَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا
لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام/٩٠].

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده ، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة ، ويقدر
هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة : ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بِلِ اللَّهِ
يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/١٧].

ولهذا أمرنا الهادي ﷺ أن نسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة ، ليهدينا إليه ، وإلى الطريق الموصل
إليه ، بأن نقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/٢-٧].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه ، وما أرحمه بعباده ، وما أعظم نعمه على خلقه ، وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به .

فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فَنَنُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ۗ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [١٥٥] ﴿ [الأعراف/١٥٥] .

واعلم أن هداية الله لعباده أنواع:

الأولى: الهداية العامة: وهي هداية جميع المخلوقات في السموات والأرض إلى مصالحتها، لتكون مهية لما خلقت من أجله كما قال سبحانه: ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى/١-٣] .

الثانية: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق: وهي بيد الله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [٥٦] ﴿ [القصص/٥٦] .

وهذه الهداية هي التي أمرنا الله أن نطلبها منه في كل صلاة.

الثالثة: هداية الدلالة والإرشاد والبيان: فالله هدى خلقه إليه ، ودلهم عليه ، وبين لهم سبل الهداية ، وموجبات التوحيد والإيمان ، بما أظهر في الكون من المخلوقات والآيات ، وبما أرسل من الرسل ، وأنزل من الكتب والبيانات .

وأكرم الله الرسل والأنبياء وأتباعهم بهذه الهداية، وأثنى عليهم لما قاموا بها كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥٢] ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [٥٣] ﴿ [الشورى/٥٢-٥٣] .

وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً منهم إلا بعد إقامتها عليه كما قال سبحانه: ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْدَةٌ وَاِزْدَةٌ خَرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [١٥] ﴿ [الإسراء/١٥] .

فمن هداه الله للإيمان وبفضله وله الحمد كما قال أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣] ﴿ [الأعراف/٤٣] .

ومن أضله الله فبعد له ، فقد أرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، ومكَّنه من أسباب الهداية بما

أكرمه به من السمع والبصر والعقل ، ولكنه لا يصلح للهداية فلم يقبل الهدى ، فكذب وتولى وزاغ وانصرف ، واختار الضلال فله العذاب في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [١٧] . [فصلت/١٧].

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت .

وهو سبحانه الهادي البصير بعباده، العليم بما في نفوسهم ، الذي يهدي إلى الحق، ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق، ولا يرضى به، ولا يصلح لمجاورته في الجنة ، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يَضِلِّ مِن يَشَاءٍ وَيَهْدَىٰ مِن يَشَاءٍ فَلَا نَذِيبُ لِنَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتِي إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٨] [فاطر/٨].

وهو سبحانه الهادي الحق الرحيم بعباده ، الذي بين لهم سبل الهداية لیسلكوها، وبين لهم سبل الضلالة لیتروكوها: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان/ ٢-٣].

فسبحان الكريم الذي بين للإنسان طريق الخير والشر ، وذكره بنفسه ونعمه عليه ؛ ليوحده ويطيعه ، ويعبده ويشكره، ويستحي منه ويستغفره: ﴿ أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ [٨] وَلِسَانًا وَشَفْهَتَيْنِ ﴾ [٩] وَهَدَيْتَهُ التَّجْدِينَ ﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية، وأما متهاها فلا نهاية له، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا: ﴿ آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٦] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [٧] . [الفاتحة/ ٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الذي بهدائه اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه ، والذي بهدائه اهتدى الحيوان لما ينفعه واتقى ما يضره .

وسبحان الكريم الذي ﴿ بَجَّيْنَاهُ إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى/ ١٣]. واعلم أن الهادي ﷺ يهدي عباده إليه، وإلى الطريق الموصل إليه، وإلى ما لهم بعد

القدوم عليه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

فإنه هو الحق المبين الظاهر الباطن لا خفاء به ، لا إله غيره ، ولا رب سواه : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام ، وقد أفرغه في قالب العالم ، وصوره في صور الخليفة ، وفطر عليه كل شيء .

فكل مخلوق مستسلم لربه ، خاضع لعظمته ، شاهد بتوحيده ، مسبح بحمده : ﴿وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليفة ، وأبدى في سورة وآياته ما خبأه في العالم ، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات ، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات ، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [٤١] لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

فمن آمن به فقد اهتدى : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ٢-٣].

واعلم أن الله مالك لكل شيء ، وغني عن كل شيء ، والإنسان محتاج إلى كل شيء . وإرادة الإنسان نزوع نفسه إلى شيء يكمل نقصه وضعفه وحاجته بأكل أو شرب أو ملبس أو مركب ونحو ذلك .

أما إرادة الله فهي حكمه على الشيء ، وإذا حكم سبحانه فلا راد لحكمه ، فكل شيء مستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

واعلم زادك الله علماً وقيناً أن جميع المخلوقات مسخرة ، وجميع الإنس والجن مخيرون ، وإرادة الله مع المسخرات أمر ، وإرادته مع المخيرات سماح بالفعل : ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعٰلَمِيْنَ﴾ [٢٧] لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٩﴾

[التكوير/ ٢٧-٢٩].

فسبحان الحكيم الخبير الذي يسوق بإرادته ظالماً ظالم ، ويسوق من لا يعرفه إلى من يعرفه ليؤدبه فيتوب إليه : ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف/ ١٦٨].

وإرادة الله مع الإنس والجن إرادة إذن وسماح ، فيأذن سبحانه للعبد أن يفعل المحرم حينما تعلق الشهوة ، ويشدد الإصرار ، ولكنه لا يرضى بذلك ، ويصرفه عن الشهوة المحرمة رحمة به إذا لم يكن هناك إصرار : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف/ ٢٤].

وإذا أطلق الله هذا الإنسان لفعل شيء محرم ما ، يطلقه على من يستحق التسليط ليؤدبه : ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام/ ١١٩].

وإذا أراد الله هداية أحد أو إضلاله فتلك هي الإرادة الإلهية الجزائية المبنية على إرادة الإنسان الاختيارية : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فمن أراد الهداية واختارها أعانه الله ، فشرح صدره للإسلام ، ومن أراد الضلال ضيق الله عليه نفسه ، وعسر أموره ، ليتوب إليه ، وهذا وهذا كله من رحمة الله بالعبد : ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٧] [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . هو الذي يقلب القلب لصالح العبد ، فإذا شاء العبد الهدى شرح الله صدره للهدى ، وإذا شاء الضلالة ضيق الله صدره ليكف عن الشر : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولهذا جعل الله القلوب كلها بيده لسعة وعظمة رحمته بعباده : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [١٦] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [١٧] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [٢٨] [النساء/ ٢٦-٢٨].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب انشرح له الصدر ، وانشرح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله ، وانبساطها بأحكامها على أضدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِيفَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٢٢] [الزمر/ ٢٢].

فإذا أراد الله أن يبلغ بعبده إلى معالي الإيمان واليقين أنزل السكينة في قلبه فزاد إيمانه ، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه ، وسكنت مساوي طباعه ، وأذعنت سفال أخلاقه ، وانقادت الجوارح للقلوب ، وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ ﴾ [الفتح/٤] .

ومن يرد أن يضلّه يطفئ نور قلبه، فيضيق متسع أخلاقه ، ويسفل بمعاليتها ، ويمتلئ بضدها ، فيثقل عليه كل عمل صالح، ويحرج لذلك صدره لشدة ظلمته، وضيق باطنه، كأنما يروم الصعود إلى السماء من الضيق والظلمة: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ۗ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ۗ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥ ﴾ [الأنعام/١٢٥] .

فمن أراد الوصول إلى مقصوده ومعبوده، فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته ، ومعرفة دين القيمة: ﴿ فَأَعْلَمُو أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ ۖ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُقَابَلَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ۝١١٩ ﴾ [محمد/١١٩] .

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه وصبر على بلائه فهو من المهتدين حقاً: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة/١٥٥-١٥٧] .

والله ﷻ هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في دنياهم وأخراهم . وهو الهادي الذي أرشدهم إليه بآياته الكونية ، وآياته الشرعية ، وأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، فلا مثل له يرشدهم إليه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُم مِّنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ ﴾ [النحل/١٠-١٢] .

هو الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه ، وبصرهم بسبل الفلاح والنجاة ، الهادي الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه، وما يرشدون به : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾ [الأنعام/١٥٣] .

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيده ، وفطرهم على الإيمان به ، وأشهدهم على ربوبيته ، واستعملهم في عبوديته ، من جماد ونبات وحيوان ، ومن ملك وإنس وجان: ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ عِندَ اللَّهِ بِكَاسٍ ۗ ﴾ [مريم/٩٣-٩٥].

كل عالم من المخلوقات يسقيه الله بكأسه .. وكل عالم يسبح بحمده .. وكل عالم يشهد بتوحيده .. وكل عالم خاضع لأمره .. وكل عالم يخطب بعجزه وفقره إلى ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ [الحج/١٨].

فاطلب العلم رحمك الله لتسلم من الجهل ، وارغب إلى مولاك أن يوفقك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۗ ﴾ [طه/١١٤].
واعلم أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة ، ونور البصيرة ، ومركب النجاة ، وأصل الهداية والاستقامة: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُثَوِّبِكُمْ ۗ ﴾ [محمد/١٩].

فبالعلم الإلهي يُشرف العبد على مطالع الدنيا والآخرة، فيرى ما لا يُدرِك بالحواس ، ويبصر ما لا يُدرِك بالأبصار ، ويعلم ما يعجز عنه الفكر ، ولا يتوهمه الذهن ، فيقف بين يدي ربه العلي العظيم قائماً وساجداً وحامداً وسائلاً ومستغفراً، مع ذل الانكسار له ، وشده الحياء منه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ۗ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ ﴾ [الزمر/٩].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى ، ووصل عقله ببصيرة الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن ، وأشرق قلبه بنور الإيمان الواصل إليه ، وامتلاً صدره من ذلك الضياء فأحياه الله بعد موته: ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ ﴾ [الأنعام/١٢٢].

فشاهد الملك الحق يدبر ، والخالق يخلق ، والمصور يصور ، والرازق يرزق ، والكريم يعطي ، والرحيم يرحم ، والحاكم يحكم ، والعزيز يعز ، والجبار يتقم ، والقوي يقهر ، والسلام يسلم: ﴿ هُوَ

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فاعلُ رحمك الله بهمتك لمعرفة الملوك والملكات ، ومعرفة مالك الملك ؛ لترى العظمة والعظيم ، والقدرة والقدير ، والعزة والعزير ، والرزق والرزاق ، والحكمة والحكيم : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

واعلم أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله، صفا له قلبه من كدر الأخلاق، وامتلأ قلبه بشعب الإيمان : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

ومن رضي بأول العلم، وظاهر من الأمر، حُجِبَ عن الإصابة في كثير من أموره، وبقي على كدره بغير تهذيب فخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً يحاسب عليه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٣].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حُجْبِ الكبر والغرور ، ولا تبصر عيون الغيب ما دامت محجوبة بالجهل والغفلة ، فتحرر من الهوى ، وتبرأ من حولك وقوتك ، والبس لربك لباس الخشوع والخضوع ، وأكثر إهمال الدموع ، لعله يعطيك ويهديك ويرضيك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها، وسُجنت العقول في أهوائها، عاقها عدم الصفو ، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها ، فقعدت على موائد شهواتها ، وأصمَّتْها المشاهدات ، وشغلها هوى المحبوب عن الرب المعبود، فخرست مولاها وديناها وأخراها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٦].

واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد ، واجتنبوا ما سواه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون ، وهم درجات ، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ، ثم الصديقون والشهداء ، والعلماء والصالحون : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ءَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة/ ٥].
فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون ؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات : ﴿ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ءَأْمَرٍ لَّعَنَ اللَّهُ وَكَنَّ اللَّهُ حَبَبَ إِلَيْكُمْ ءَأَلِيمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ ءَالْكُفْرَ وَءَالْفُسُوقَ وَءَالْعِصْيَانَ ءَأُولَٰئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ ﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد ، والولاية والمقام ، والثواب وإجابة الدعاء ، بقدر إيمانه وطاعته وعبادته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفٍ نُجِحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ ءَأَلِيمٍ ﴾ [تؤمنون بالله ورسوله وجاهدون في سبيل الله بأموركم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ءَأَنْهَارٌ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ءَأَلْفُزٌ ءَأَعْظِيمٌ ﴾ [آخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين] ﴿ [الصف/ ١٠-١٣].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الهادي .

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هداية خرج بها من الضلالة ، وآتاه علماً خرج به من الجهل ، وجب عليه ما لم يجب على غيره من حسن العبادة ، ولزوم الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والنصح لعباده ، والإحسان إلى خلقه كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ يَتَابَتِ إِلَيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [مریم/ ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية فكن هادياً إليه بلسانك وحالك وأخلاقك ومالك .

وكن عبداً سامعاً مطيعاً لمولاك ، ولا تقعد إلا متفكراً ، ولا تنظر إلا معتبراً ، ولا تنطق إلا ذاكراً أو حامداً أو مستغفراً أو معلماً أو داعياً ، لتكون ربانياً من أولي الألباب ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَءَأَلْءَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطِيْلًا سُبْحٰنَكَ فَقَتَاعَدَابِ النَّارِ ﴾ [آل عمران/ ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولاك ، ففي الظلم

الداجية توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين ﴿ تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٧﴾ [السجدة/١٦-١٧].

وتطهر للوقوف بين يدي مولاك ، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ ﴿١﴾ قِرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نَضْفُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَقِلِ الْقُرْءَانَ تَرْبِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَقِيلاً ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل/١-٥].

وتجرد حين وقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعلمه وكل عمل قمت به ، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٦١﴾ [النور/٢١].

واعلم أن أبواب الهداية مفتوحة، وسبلها ميسرة، فلتتبع آثار الخالق في مخلوقاته ، واستشهد شواهد في مصنوعاته ، وانظر إلى حسن تصويره لمصوراته ، وتفكر في عظمة كبريائه وقدرته، وحسن تدبيره لملكوته ، ليمتلئ قلبك بتوحيده : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس/٣١-٣٢].

وبذلك تزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس/١٠١].
وتعلم أسماء الله الحسنى، فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة، وبها تفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه ، ويظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره، وعجيب صنعه في مخلوقاته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ﴿٨﴾ [طه/٨].

فما خلق الله ما خلق في السموات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، في مخلوقاته ، فلا تكن من الغافلين فربك ليس بغافل عنك: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبِكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/١٩].

واطلب جميع حوائجك من ربك الصمد، وارفع إليه كل شكوى، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/١٨٠].

وكما هداك ربك إليه، فاجتهد في القيام بين يديه ، وهداية الناس إليه ، وعرفهم بأسمائه وصفاته ؛
 ليحبوه ويكبروه ، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن ربك الهادي أرشدك إليه، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه، فاعمل بما أرشدك إليه ،
 واحذر مخالفته، فإنك راجع إليه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٣]
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
 مُهِينٌ ﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه من كافر تدعوه ، أو جاهل تعلمه ، أو مسترشد ترشده ، تكن
 من الراشدين المفلحين : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله، لثلاث تشقى في دنياك وأخراك : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
 مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [١١٥]
 [النساء/ ١١٥].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران/ ٨].
 ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّلَاحِينَ ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٤]
 وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان/ ٧٤].
 «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيْمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيْمَا أَعْطَيْتَ،
 وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»
 أخرجه أبو داود والترمذي (١).

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ،
 أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ،
 إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.
 اللهم اهدنا، وأهد بنا، واجعلنا سبباً لمن اهتدى، يا رب العالمين.

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥) وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

المبين

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُذِيقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور / ٢٥].

الله ﷻ هو الحق المبين نفسه بما أظهر من دلائل وجوده وقدرته ووحدانيته في ملكه وملكوته ، المبين للأبصار و البصائر شواهد الوحدانية ، وآيات الربوبية ، وعلوم الإلهية :
﴿الْمَرَاتُ اللَّهُ يُسَجِّدُهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج / ١٨].

وهو سبحانه المبين الذي يوضح الحق ويظهره ويكشفه لعباده بإقامة البراهين عليه ، ليفصل به الحق من الباطل ، ويرحم به من شاء من عباده: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

وهو سبحانه الحق المبين الذي يبين لعباده أسماء وصفاته ، وأفعاله في مخلوقاته ، ليعرفوه ،
فإذا عرفوه عظموه وأحبوه ثم عبدوه وأطاعوه وحده لا شريك له : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفْعَلْنَا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

وهو سبحانه الحق المبين الذي أعطى أنواع البيان للإنسان نطقاً وإشارة وكتابة : ﴿الرَّحْمَنُ
﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن / ١-٤].

وهو سبحانه الحق المبين الذي يبين بوحيه المنزل، ورسوله المرسل ﷺ، كل ما يصلح به العباد
في الدنيا والآخرة : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٨].

فسبحان الملك الحق المبين ، والإله الحق المبين، البين أمره في الوحدانية والعظمة،
والجلال والكبرياء ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والمثل الأعلى في
السموات والأرض : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج / ٦٢].

وسبحان الملك الحق المبين الذي يبين لخلقهِ سبيل الرشاد ، وكشف لهم الصراط المستقيم
ليسلكوه إليه ، ووضَّح لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها الثواب ، وكشف لهم الأعمال

السبيته التي يستحقون بها العقاب ؛ لأنه الكريم الرحيم الرؤوف بعباده : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء / ٢٦] .

واعلم أن الخلق لما قصرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم مع ما فرضه عليهم من وجوب معرفته، بين لهم سبحانه أسماء وصفاته بما أظهره من المخلوقات العظيمة ، والآيات الكريمة ، الدالة على معرفة ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [١٠٣] [الأنعام/١٠٢-١٠٣] .

فسبحان من بين أسماء الحسنی، وصفاته العلی، في جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، وأوامره الكونية والشرعية التي تدل على كمال علمه وقدرته ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

أبان سبحانه كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات، وأنزل كتابه المبين مبيناً لمراده من خلقه، وأرسل رسله لبيان ما في كتابه، حتى أظهر الحق من الباطل، وبين التوحيد من الشرك ، وبين الخالق من المخلوق ، والقادر من العاجز: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ٤٤] .

فانظر وتفكر في هذا الكون العظيم ، تجده كله أعلاه وأسفله مشيراً بأجزائه وجملته إلى أسماء الله الحسنی، وصفاته العلی.

والأسماء والصفات تشير إلى الملك الحق المبین ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق / ٦ - ٨] .

وإذا عرفت هذا عرفت الملك الحق المبين، وماذا يجب له من التوحيد، والتعظيم، والعبادة. وإذا تبين لك الطريق ، واستبان لك السبيل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠] .

• التبعيد لله ﷻ باسمه المبين :

اعلم هداك الله لمعرفة أن الله هو الحق المبين، بين نفسه بما أظهره من أسمائه وصفاته في مخلوقاته وآياته ، وبين ما يحب وما يكره، وما يرضيه وما يسخطه ، وما يقبله وما لا يقبله .

فعليك بمعرفة ربك بأسمائه وصفاته ، وعبادته بموجها ، وإحسان العبادة للذي خلقك وهداك : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] .

وعليك بمعرفة ما تقرب به إلى مولاك، وتنجو به من عذابه من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ووعدته ووعيدته، ومواعظه وأحكامه وأخباره.

فقد بين ذلك كله في كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل / ٨٩] .

ثم اعمل بما علمت، وبينه للناس، وأحسن إليهم كما أحسن الله إليك، وعلمهم كما علمك الله، تكن من الربانيين : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

واعلم أن الله بين في كتابه مراده من عباده ، وبين رسوله ﷺ أحسن ما يتقربون به إلى ربهم، فبين أنت لخلقه ذلك ، وعلم عباده مما علمك الله ، وثواب ذلك عائد عليك ، عسى أن تحشر في زمرة العلماء تلو الأنبياء ، شاهداً على الناس مع الشهداء بالحق المبين : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة / ١١] .

وإذا وهبك الله نعمة العلم بأسمائه وصفاته ، والعلم بدينه وشرعه ، وحلاله وحرامه ، وثوابه وعقابه ، فبينه للناس ، واعبد ربك بمقتضاه تفوز برضاه : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم / ٥٢] .

وإياك وكتمان العلم إن وجدت له سائلاً ، أو ألفت له طالباً ، أو تبينت له موضعاً ، فكاتم البيئات من العلم والهدى ملعون في كتاب الله لعناً مضاعفاً ، ويلجم بلجام من نار يوم القيامة إن لم يتب ويصلح ويبين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ [١٥٦] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

وَبَيْنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة/١٥٩-١٦٠].

اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾

[طه/٢٥-٢٨].

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ .

اللَّهُمَّ آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِّنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا » أخرجه مسلم ^(١) .

اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به

جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، برحمتك يا أرحم

الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢) .

الفتاح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ [سبا/ ٢٦].

الله ﷻ هو الفتاح الحق الذي يحكم بين عباده بالحق ، ويقضي بينهم بالعدل .

وهو سبحانه الفتاح القادر على كل شيء ، الذي يحكم ويقضي فيهم بما يريد ، ويمنّ على من شاء منهم بما يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].

وهو سبحانه الفتاح عالم الغيب والشهادة ، الذي يفتح لعباده أبواب الخير والرزق والعلم والرحمة والعبادة ، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم ، ويسر المتعسر عليهم ، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ، ليصروا الحق والهدى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وهو سبحانه الفتاح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة ، ويفتح بينهم بالحق والعدل . فسبحان الفتاح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة في العالم كله : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبَدِّلُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

والله سبحانه هو الفتاح القادر على كل شيء ، القوي الذي لا يعجزه شيء .

هو الفتاح الذي فتق السموات السبع ، والأرضين السبع ، وفتق السحاب بالغيث ، وفتق الأرض بالنبات ، وفتق الحبة عن الشجرة : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان ، وفتح العقول للعلم ، وفتح العين بالبصر ، وفتح الأذن بالسمع ، وفتح اللسان بالكلام : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض ، ويده مفاتيح خزائن السموات والأرض ، ويده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق ، ومفاتيح النعم الظاهرة والباطنة :

﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح جميع الأبواب وحده لا شريك له ، ويفتح كل ما استعصى من الأبواب في كل زمان ومكان .

باب الرزق ، باب العافية ، باب العلم ، باب العمل الصالح ، باب الأخلاق ، باب الأمن ، باب التوفيق ، باب العبادات ، باب الدعوة إلى الله : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو الفتاح الذي يحكم بين الخلق ، فكلما استغلق أمر أو اشتد كرب فتحه ﴿اللَّهُ﴾ .

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح قلوب المؤمنين ويطلق فيها النور والمعرفة فترى الحق حقاً ، وتعمل به ، وترى الباطل باطلاً فتجتنبه : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الفتاح الكريم الذي فتح أبواب فضله على جميع خلقه ، وفتح على العصاة أبواب مغفرته ، وفتح قلوب المؤمنين بمعرفته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو سبحانه الفتاح الكريم الرحيم الذي بيده مفاتيح كل شيء .

فتح أبواب الرزق على جميع خلقه ، وفتح على أوليائه أبواب الأُنس به ، وحلاوة مناجاته ، وفتح لهم أبواب رضوانه ، وفتح لهم أبواب حبه وحمده : ﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الذي يعين عند الشدائد ، وينيل النعم الزوائد : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يملك جميع المفاتيح التي يصلح بها أحوال عباده : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢].

هو الفتاح الذي فتح لعباده أبواب الإيمان ، أبواب الهداية ، أبواب العلم ، أبواب العمل ، أبواب الحكمة ، أبواب الرزق ، أبواب العافية : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

كم من ضال هده الله؟ وكم من جاهل علمه؟ وكم من فقير أغناه؟ وكم من مريض شفاه؟
 وكم من عسير يسره؟ وكم من كرب نفسه؟: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وما أكرمه، وما أرحمه، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ
 كُلِّ مَسْأَلَةٍ وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤]
 [إبراهيم/ ٣٤].

والله وحده هو الفتح الذي يملك خزائن كل شيء، ويده مفاتيح كل شيء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٣] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ
 أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر/ ٦٢ - ٦٣].

وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ نِوَعَانِ :

الأول: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الْقَدْرِي: بما يقدره على عبادته من التدبير بحكمته ورحمته من نصر
 وهزيمة، وعطاء ومنع، وبسط وقبض: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ
 مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

فهو الفتح العليم الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والرزق، ويفتح لهم منافع الدنيا
 والدين: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

الثاني: فَتَحَهُ بِحُكْمِهِ الشَّرْعِيِّ: بما شرعه على ألسنة رسله من الدين الحق الذي يستقيم به الناس
 على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [١] لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ
 نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [٢] [الفتح/ ١-٢].

وفتحة الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه:
 ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [٨٩]
 [الأعراف/ ٨٩].

وتلك سنة ماضية لا تتبدل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي
 يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١٦٠] [آل عمران/ ١٦٠].
 أما فتحة يوم القيامة فحين يوفى كل عامل ما عمله، ثم يثيب المؤمنين والمطيعين، ويعاقب

الكافرين والعاصين: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الفتاح العليم الذي يفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويملؤها من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما تذوق به طعم الإيمان، وتستقيم به على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧]. وهو الفتاح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية، وأنواراً إيمانية.

يميزون بها بين الملك والعبيد، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الحق والباطل، وبين الدنيا والآخرة: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢]. اللهم املاً قلوبنا بنور الإيمان ونور القرآن: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فسبحان الله ما أرحمه بعباده، لو فتح المطر على الناس أبداً فمن الذي يحبسه عنهم لئلا يغرقوا كما حصل لقوم نوح؟: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمَّ ۖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ﴿١٢﴾﴾ [القمر/ ١٠-١٢]. ولو حبس الله القطر والنبات لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتاح سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُمْ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاقُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق فمن ذا الذي يفتحه؟ ولو حبس الله الهواء الذي تنتفس منه فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟ فسبحانه ما أعظم رأفته ورحمته: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢]. اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، وأبواب فضلك، وأبواب نصرتك، وأبواب هدايتك: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

واعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق خلقه، وفطرهم على ما أراد، وفطر السموات،

والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما فوقهن، على التوحيد، والإقرار بربوبيته.

فكل أحد قانت لربه ، مستسلم له ، مسبح بحمده ، شاهد بوحدانيته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النور / ٤١-٤٢].

واعلم أن الخالق ﷻ سمي دين الإسلام فطرة ؛ لأنه أول شيء لقيته الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم / ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح، ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها ، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها ، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء / ٨٥].

واعلم بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، وتستغفر من الجهل بالله وبدينه وشرعه، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها، أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأن تُصرفها عن مظان هلكتها، إلى سبيل فطرتها، ولا تفارق ما عليه برأها من التوحيد : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب / ٧٢].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه اتئمتها عليه، إذ الأجسام هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف / ١٧٢].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّتِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة / ٧].

فلا إله إلا الله كم ظلمنا ! وكم غفلنا ! وكم خسرنا !

ربنا سمعنا وأطعنا فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

لك الحمد كله ، ومنك الخير كله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [وله الكبرياء في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

واعلم أن الله هو الرب القادر على كل شيء ، هو سبحانه فاطر السموات والأرض .
 وهو سبحانه فالق الإصباح: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ [الأنعام/٩٦].

وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ
 مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ [الأنعام / ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار من الخير والشر والمحجوب
 والمكروه ما يُذكرنا بالدار الآخرة: ﴿ بَصْرَةَ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٨].
 فأرانا الفتح العليم في هذه الدار النار الحاضرة ، وجعلها آية على النار الغائبة ، وعلى قدر
 تَمَكُّنِ نار الدنيا من الحطب يكون سعيرها وشدة لهيبها حتى يعظم شأنها: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ
 الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا يدانيها مطاول، ووقودها ما تحرقه من
 الناس والحجارة: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأْمَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ
 غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم/٦].

وأرانا سبحانه في هذه الدار آية على البعث والجنة، بقلقه الحب والنوى، وإخراج الحي من
 الميت، وإخراج الميت من الحي، وجعل جنات ما هاهنا آية على جنات ما هنالك في
 الآخرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى
 تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ [الأنعام / ٩٥].

وأرانا سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر ، من كون ذلك مخزوناً في غيبه،
 ومكنوناً في سنته ، ثم أظهره ماشياً ، وطائراً ، وزاحفاً ، وسابحاً: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا
 تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ [النحل/ ١٧-٢٠].

ألا ترى أن الحياة غيب في الماء .. والماء غيب في خزائن الله.. والخزائن كلها غيب في علم الله:
 ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدَرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١].
 وكذلك كل ما في الدنيا إشارة مؤقتة لما في الآخرة من النعيم والعذاب.

والآخرة غيب في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِبِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء/ ٨٨-٩١].

فيأذن الملك الجبار ﷻ للجنة فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش إلى السموات ، فتكون السموات كلها جناناً وأنهاً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٢].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري (١).

وتسعى نار جهنم في الأرضين السبع والبحار، فيصير كل شيء آت عليه ناراً ، ويؤتى بجهنم إلى المحشر ، تقاد بعدد عظيم من الملائكة يحرسونها ، وتبرز للناس كلهم فيرونها كلهم : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر/ ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا» أخرجه مسلم (٢).

فسبحان الله الفتاح العليم، والحمد لله فاطر السموات والأرض، وفالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده ، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٦-١٠٧].

• التبعيد لله ﷻ باسمه الفتاح :

اعلم رحمك الله أن مفاتيح خزائن السموات والأرض بيد الفتاح العليم وحده لا شريك له. فاسأل ربك الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته ، وخزائن رزقه ، وأبواب كرمه، وموائد بره ، وجزيل نعمه ، وتقرب إليه بتقواه، وحسن عبادته، ودوام طاعته : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ءَيُؤْتِكُمْ كَفَلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ ءَوَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَوَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَوَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

وإذا علمت أن الله وحده هو الفتاح الذي يفتح بركات السموات والأرض، وبيده ملكوت

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

كل شيء، فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية، وأبواب العلم، وأبواب التقوى، فإنه كريم لا يرد سائلاً: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة / ٢٦٩].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام، ويملاً قلبك بنور الإيمان، لتعرف ربك وتعبده بما يحبه ويرضاه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر/٢٢].

واعلم أن هذا الفتح وهذا الشرح كله فضل من الله وليس له حد . وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ حسب معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ودينه ، ووعدته ووعيدته، فالأنبياء بالذروة منه ، ثم الأولياء الصادقون ، ثم العلماء الربانيون ، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/١٩].

واعلم أن رسل الله وأوليائه يتوجهون إلى ربهم ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية فيقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف / ٨٩].

فتوجه إلى ربك في كل صغيرة وكبيرة ، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد ، وفتح صحائف الأعمال ، سيتبين من يستحق الثواب ، ومن يستحق العقاب: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٨] قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظَرَ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾ [السجدة / ٢٨-٣٠].

والله ﷻ هو الرب المستحق للعبادة ، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين واستتباح غيره: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبُهُمْ قُلْ إِنَّ أَمْرًا أُتِيَ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام / ١٤].

وقد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة وأشهدته على نفسك، فأد الأمانة، وأوف بالعهد، تُكْرَم بما يرضيك عند ربك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [النساء/ ٥٨].

وَصَدَّقَ رَحْمَكَ اللَّهُ بِالْفِعْلِ مَا أَقَرَّرْتَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ، وَمَا أُعْطِيْتَهُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِيهِ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ وَمَحَاسِبٌ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٤﴾ [الإسراء/ ٣٤].

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، وَكَبِّرْ رَبِّكَ الْكَبِيرَ الَّذِي خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا، ثُمَّ رَدَّهَا فِي غَيْبِهِ إِلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ ﷻ، فَأَقْرَأَهَا فِي خَزَائِنِ الْغَيْبِ، ثُمَّ يَذَرُ بِرَأْيَاهُ مِنْ مَسْتَوْدِعٍ غَيْبِهِ إِلَى مَسْتَقَرِّهَا فِي الْهَوَاءِ وَالسَّحْبِ، وَالْبَحَارِ، وَالْجَمَادِ، وَالنَّبَاتِ، وَالْحَيَوَانَ، وَالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالْأَرْحَامِ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يُعَلِّمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فَهَذِهِ مَسْتَوْدِعَاتُ الْخَزَائِنِ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّفَلِيِّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧﴾ [المنافقون/ ٧].

فَسَبِّحَانَ اللَّهَ مَا أَعْظَمَ فَتْحَهُ فِي أَنْوَاعِ مَلِكِهِ الْعَظِيمِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

وَمِنْذُ خَلَقَ سَبِّحَانَهُ الْأَصْلَابَ وَالْأَرْحَامَ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُ الْبَرَايَا مِنْ خَزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ وَالدَّهْرِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدِعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ [الأنعام/ ٩٨].

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ بَرَأَكَ فِيمَنْ بَرَأَ، ثُمَّ غَيَّبَكَ فِي غَيْبِهِ، وَخَزَّنَكَ فِي خَزَائِنِهِ، وَقَلَّبَكَ فِي غِيَابَاتِ مَلِكِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَكَ بِقُدْرَتِهِ حَتَّى بَلَغَكَ سِنَ التَّكْلِيفِ، ثُمَّ أَكْرَمَكَ بِالدِّينِ الْقِيمِ، لِيُخْتَبِرَكَ فَيَرَى صِدْقَكَ مِنْ كَذْبِكَ، وَطَاعَتَكَ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، ثُمَّ يَجْزِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان/ ١-٣].

فَانظُرْ رَحْمَكَ اللَّهُ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَقَدِّمْ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَا عَلَيْهِ غَدَاً تَقْدُمُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتخسر: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦٠) جَنَّتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (٦١) [مريم/ ٥٩-٦١].

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يرقبك، وأطعه تسعد في دنياك وأخراك: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب / ٧١].

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦١) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧) [الحديد/ ١٦-١٧].

وإذا فتح الله لك أبواب فضله ورحمته ورزقه وهدايته، فافتح على الخلق مما أعطاك الكريم من أبواب الخير والعلم والرزق يزيدها الله لك، ويرضى عنك، ويرفع بها درجاتك: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم/ ٧].

ابسط لسانك بالذكر، والحمد، والاستغفار، والدعوة، والتعليم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿[آل عمران/ ١٠٤].

وابسط يدك بالمال نفقة على نفسك وأهلك والفقراء والمساكين: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) [البقرة/ ٢٦٧].

وافتح أوقاتك للعباد بالدعوة تارة، وبالتعليم تارة، وبالعطاء تارة، وبالعون تارة: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرَ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧١) ﴿[آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن من قام بهذه الأعمال الصالحة أسعده الله في الدنيا، ورافق الأنبياء في الجنة في الآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (٦٦) ﴿وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ دُونِنَا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦٧) ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٦٨) ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

الْبَيْتِ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/٦٦-٧٠].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله
ولزوم تقواه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِيطُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾
[الحديد / ١٧].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا،
وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا»
أخرجه مسلم^(١).

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وجوامعه ، اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وافتح لنا أبواب فضلك ،
وأعنا على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك ، وأعنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن
معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، يا أرحم الراحمين .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠) .

الباب الخامس

أسماء الله الحسنى بين معرفتها ، وتوحيد الله بها ،
والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها

القسم الثامن

أسماء الله الحسنى الدالة على السلام والتنزيه

والتقديس [٩٧ - ٩٩]

وتشتمل على ما يلي :

(السلام) جل جلاله

(السبوح) جل جلاله

(القدوس) جل جلاله

السلام

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وهو سبحانه السلام الحق بكل اعتبار، فهو سلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، من جميع العيوب والنقائص والآفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/٢٤].

وجميع أسماء الله وصفاته سلام مما يضادها، واسمه السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/٨].

والسلام يتضمن سلامة ذاته ﷻ من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوق، وسلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/١-٤].

هو الحي القيوم الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغيير.

وهو القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب، والإعياء والعجز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق/٣٨].

وهو العليم الذي سلم علمه من النقص، فلا يعزب عنه مثقال ذرة .

وهو الملك الذي سلم ملكه من الشريك والمنازع، وهو الغني الذي سلم غناه من الحاجة إلى غيره: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبا/٢٢].

وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة، وكلماته سلام من الكذب والظلم، وعذابه وانتقامه سلام من الظلم والتشفي، بل هو محض الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/٤٠].

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وإحسانه وكرمه سلام من أن يكون عن حاجة أو عجز أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت/ ٤-٦] .

بل ذلك كله محض جوده وإحسانه ، وهو الغني القادر على كل شيء : ﴿ وَلِلَّهِ مَكَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١٣١) [النساء/ ١٣١] .

وقضاؤه وقدره سلام من الظلم والجور والعبث ، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والرحمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) [البقرة/ ١٤٣] .

ودينه وشرعه سلام من الظلم والشدّة، والتناقض والاختلاف، بل ذلك كله محض العدل والحكمة والمصلحة والرحمة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣] .

واستواؤه على عرشه سلام من الحاجة إلى العرش، بل العرش وحملته ومن تحتهم من الخلائق كلهم فقراء محتاجون إليه ﷺ في خلقهم وبقائهم: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) [فاطر/ ١٥] .

وعطاؤه ﷺ سلام من المعاوضة أو الحاجة إلى المعطى ، ومنعه سلام من البخل والشح والحرص ، وإنما عطاؤه إحسان محض ، ومنعه حكمة وعدل محض : ﴿ قُلْ إِنْ رِئِي بَسِطُ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ [سبا/ ٣٦-٣٧] .

وهو سبحانه السلام الذي سلّم الخلق من ظلمه ، فلا يظلم ربك أحداً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٤٤) [يونس/ ٤٤] .

فسبحان الملك القدوس السلام الذي من محبته للسلام سمي من أطاعه واتبع هداه بالمسلمين: ﴿ هُوَ أَجَبْتَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٧٨) [الحج/ ٧٨] .

والإسلام دين الله ، ودين ملائكته ، ودين أهل السماء والأرض ، ومن دخل فيه سلم من العذاب ، وفاز بالنعيم: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران / ١٩].

واسم السلام من أعظم أسماء الله الحسنی ، فهو السلام وحده لا شريك له ، وكل ما سواه مستسلم له ، خاضع لجبروته ، منقاد لأمره : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج / ١٨].

وقد فطر الله الكبير المتعال السلام جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي على الإسلام والاستسلام لربها السلام.

فكل مخلوق .. وكل جماد .. وكل نبات .. وكل حيوان .. وكل إنسان .. وكل ملك .. وكل جان .. وكل كبير .. وكل صغير .. وكل ساكن .. وكل متحرك .. الكل صغير أمام ربه الكبير .. الكل ضعيف أمام ربه القوي .. الكل ذليل أمام ربه العزيز .. والكل مستجيب لمشيئته .. ومسرع إلى إرادته وخاضع لجبروته: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران / ٨٣].

الكل عبيد لله ، والكل يسبح بحمد ربه ، والكل يشهد بتوحيده ، والكل مطيع لربه ، والكل ينفق ويعطي مما آتاه الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة / ١٦٤].

والكل ينفق بوسعه بإذن ربه ، لا يمنع ماعونه أبداً ، فالشمس تعطي النور ، والسحب تعطي المياه ، والماء يعطي الحياة ، والأرض تعطي النبات ، والأشجار تعطي الثمار ، والحيوان يعطي الحليب والسمن ، واللسان يعطي الكلام ، والعين تعطي الرؤية ، والأذن تعطي السمع .

والكل يعطي من ماعونه ، ويشهد بتوحيد ربه ، ويسبح بحمد ربه القدوس السلام : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلمت ذاته من كل عيب ، وسلمت صفاته من كل نقص ، وسلمت أفعاله من كل شر : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨].

فهو السلام ومنه السلام ، تنزه أن يوقع الشر لذاته ، وإنما يوقعه لمصلحة العبد ليطهره به ، أو يطهره منه ، أو يرده إليه ، من مرض أو مصيبة أو خسارة ، يوقعه بعبده إذا انحرف عنه وشرد منه ليتوب إليه ؛ لأنه خلقه ليسعده : ﴿ وَلَنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

هو وحده السلام الذي يسلم عباده مما يضرهم ، فليس في الوجود سلامة إلا منه .

هو السلام الذي خلق جميع وسائل السلامة في جسم الإنسان .

جعل الدماغ في الجمجمة ، وجعل القلب في الصدر ، وجعل العين في المحجر ، وجعل الرحم في الحوض ، وجعل الشرايين داخل الجسم ، وجعل معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

فسبحان الملك الحق الذي ظهرت بدائع صنعه في عالم الجماد والنبات، والحيوان والإنسان: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن الله عز وجل هو السلام الذي إذا ذكرته شعرت بالسلام والأمن والطمأنينة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨].

وذكر الله والاتصال به يطهر النفوس من العيوب ومساوئ الأخلاق من الكذب والكفر ، من النفاق والرياء ، من الكبر والعجب ، من الحقد والحسد ، من الحرص والطمع : ﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الْمَالِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فسبحان العزيز الكريم الملك القدوس السلام الذي إذا اتصلت به أعطاك ما ينفعك ، وطهرك من العيوب والآثام : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَةً إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

هو الهادي الذي في حياتك أيها الإنسان يهديك سبل السلام ، في أقوالك وأعمالك يهديك

سبل السلام ، في عباداتك ومعاملاتك يهديك سبل السلام ، في سفرك وإقامتك يهديك سبل السلام ، في أخلاقك يهديك سبل السلام ، في تجارتك يهديك سبل السلام ، فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة فليطع ربه السلام : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

ومن طبق شرع ربه السلام هداه سبل السلام في جميع أموره : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].
واعلم أن السلامة كلها في الدنيا والآخرة أن تؤمن بالله ، أن تعبد الله ، أن تطيع الله : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

واعلم رحمك الله أن الله خلق الجن والإنس لعبادته بما شرعه على السنة رسله، وأنزله في كتبه، فتخرج منهم العبادات والطاعات التي يحبها الله من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وذكر ، ودعاء، وتسبيح، وإنفاق، ودعوة، وتعليم، وأخلاق، كما تخرج الثمار الحلوة من الأشجار الطيبة .

الكل منهم مطيع لربه .. ينفق بوسعه.. ويعمل بقدر طاقته .. لا يمنع ماعونه أبداً : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥].

ومانع الماعون من البشر ملعون كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْنَا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

واعلم أن مانع الماعون ملعون فاسق بلسان الشرع، ومعهود العقل ؛ لتركه الفعل المكلف به، وخروجه عن العمل المرضي إلى العمل المسخوط لربه السلام : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون/ ٤-٧].
ومانع الماعون من البشر خارج عن طاعة ربه إلى طاعة إبليس الذي لعنه الله وطرده لَمَّا فسق عن أمر ربه : ﴿ قَالَ فَخَرَجَ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

واعلم رحمك الله أن إسلام ما سوى المؤمن كون وفطرة، وإسلام المؤمن كون وفطرة

وشرعة، وكلاهما إسلام لربنا السلام، هذا بالتسخير، وهذا بالتخير.

فسبحان الملك القدوس السلام الذي شهدت له جميع مخلوقاته بالملك والعزة، والجبروت والكبرياء، وشهدت بوحدانيته، وسبحت بحمده في كل وقت: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [آل عمران/ ٨٢-٨٣].

وسبحان الرب الرحمن السلام الذي سَلَّمَ على أنبيائه ورسله فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].
ويسلّم على عباده المؤمنين به في الدنيا: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) [النمل/ ٥٩].

ويسلّم على عباده المؤمنين في الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (٤٤) [الأحزاب/ ٤٤].

ولمحببة السلام ﷺ للسلام جعل السلام شعار ختم الصلاة، وأمر المصلي بذكر السلام، وإفشاء السلام بعد السلام لحاجة العباد إلى السلام: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أخرجه مسلم^(١).

وهو سبحانه السلام الذي يدعو إلى دار السلام: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٥) [يونس/ ٢٥].

ووعده عباده المؤمنين بدخول دار السلام فقال: ﴿هُمُ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) [الأنعام/ ١٢٧].

وهو سبحانه السلام الذي جعل اسمه السلام بشارة يبشر بها المسلمون بعضهم بعضاً بالسلامة والرحمة والبركة منه، لدخولهم في الإسلام، وإيمانهم بربهم السلام.

ولهذا أمرهم بإفشاء السلام بينهم، وجعله سبباً للمحبة والإيمان ودخول دار السلام: ﴿وَإِذَا حُيِّمُ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْرَدُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦) [النساء/ ٨٦].

فأعظم المسلمين أجراً، وأحسنهم بشراً، أكثرهم تحية بالسلام، وأكمله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» أخرجه مسلم ^(١).

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب ، الذي آمنه عباده ، والذي أصلح خلقه بما فطرهم عليه من التوحيد ، وبما شرع لهم من الدين ، وسلم عباده المؤمنين من الشرور : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وإذا فهمت هذا فاعلم أن السلام يريد أن يسلم خلقه من الشرور في الدنيا والآخرة، ولهذا دعا جميع خلقه إلى الدخول في الإسلام ، ودخول دار السلام : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم/ ٣٠].

ولهذا فطر الله خلقه على التوحيد ، ويسر للناس معرفته بأسمائه وصفاته.

فنقل المؤمن من الشهادة إلى الغيب ، وأنار له بإيمانه موضع الغفلة منه ، وكشف له بالعلم ما غطت عليه الشهادة، وبصره بالآيات الكونية ، والآيات القرآنية، فأحبه وأطاعه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَنَّنَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

فرأى فعل الله وتدييره في ملكه ومخلوقاته ، ووجد ما سواه من العوالم العلوية والسفلية عبداً تكبر ربها وتعظمه ، وتسبح بحمده ، وتطيع أمره ، وتشهد بوحدانيته : ﴿الَّذِينَ تَرَأَتِ اللَّهَ يُسْجُدُونَ لَهُ، مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].

واعلم بأن العلم عليه مدار الإيمان والإسلام، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه ، وحسن إسلامه ، وكَمُلَ توحيدُه ، وقويت عبادته، وعظم أجره.

وإذا قرء العلم في القلب تنور بالإيمان ، ثم توجه إلى ربه بالعمل الصالح، فالذي قرء منه في القلب هو الإيمان، والخارج من الجوارح هو الإسلام، وهذا أول مراتب العلم وأعلىها وأشرفها؛

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

لأن ثمرته التوحيد والإيمان، ولهذا أمر الله به وأكد عليه في كتابه فقال: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ ۗ وَمَثْوَاكُمْ ۖ ﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم وفقك الله للعلم النافع أن أعظم ثمرات هذا العلم وأقوى روافده أركان الإسلام الخمسة. فالشهادتان إعلان للتوحيد، وإشهار للطاعة لله ورسوله ﷺ.

والصلاة صلة بين العبد وربّه، وهي أصل الخشوع لله، وهي إعلام بترتيب الذكر، والفكر، والتوجه، والطاعة لله، وكيفية الوقوف بين يدي الجبار، بأحسن مراتب الخضوع.

وثمرتها الانقياد لأمر الله داخل الصلاة وخارجها مع المحبة والتعظيم لله ﷻ.

والزكاة تدريب على إنفاق المال في وجوهه المشروعة من زكاة وصدقة وهدية، هرباً من تبعات المال، وتقرباً إلى الله ﷻ بإنفاق المحبوب لنيل ما هو أحب.

والصوم أصل في الإمساك كله، بالكف عن المحبوب من أجل ما هو أحب وهو الله، والزهد في المباح، وتضييق مجاري الشيطان في الدم، والتدرب على الكف عن كل ما حرم الله.

والحج أصل في القصد إلى الله، وإعلان الطاعة له في بيته ومشاعره بين خلقه، والسعي إليه بالنفس والمال، ولزوم البذاذة في الهيئة أمام الملك الجبار ذلاً له.

وإذا أعلنت الجوارح هذه الأعمال بعد إقرار القلوب بالتوحيد والإيمان، اتفق ظاهر الإنسان وباطنه على سلوك السبيل الموصل إلى ربه ففاز وسلم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۗ ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

• التبع لله ﷻ باسمه السلام:

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من أراد الله والدار الآخرة سلّم قلبه وجوارحه إلى ربه السلام، وشغلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال والأعمال والعبادات الظاهرة والخفية، وبذلك تحصل له السلامة في الدنيا والآخرة: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۗ ﴾ [١١١] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١١٢]

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١١٣] ﴿ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

واعلم علم اليقين أنه لا ينجيك ويسعدك إلا هذا الطريق وحده: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الروم/ ٣٠].

واعلم أن البر بابة تقوى الله فادخل منه ، واهجر ما سواه تسلم وتغنم : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف/٩٦].

فتقرب رحمك الله إلى ربك بحسن عبادته، وطاعة أوامره: ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/٦٥].

واحرص على إفشاء السلام في كل مكان وزمان وحال ؛ لتنال بركته، وتغنم أجره. وتحبب إلى ربك بحب عبادته المؤمنين ، وسلامة الصدر لهم ، والنصيحة لهم ، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل ؛ لتفوز برحمة الله الواسعة: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة/٧١].

واطلب العلم لتسلم من الجهل، وارغب إلى الله أن يفتح عليك منه ما يحبه ويرضاه. واعلم بأن العمر قصير، والعلم بحر لا ساحل، له فاطلب منه ما يسعدك في دنياك وأخرائك، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بآياته وأحكامه، ووعدته ووعيده، وحلاله وحرامه ، وثوابه وعقابه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/٩].

وهذا أفضل العلوم على الإطلاق، وهو العلم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق من أجله، وأهل هذا العلم هم ورثة الأنبياء : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد/١٩-٢٢].

وبهذا العلم تسلم من الجهل، وتسلم من الشك، وتسلم من النار، وتكون من العلماء الربانيين ، فشمّر رحمك الله لتحصيله، وارغب إلى ربك في تحقيقه بالعمل به: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨٢﴾ ﴾ [البقرة/٢٨٢].

وطهر نفسك رحمك الله من الأنجاس ومساوىء الأخلاق ، وزكها بالفضائل والمحاسن ، واستقم كما أمرك الله ؛ لتسلم من عذاب الله وتفوز برضوانه : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود/ ١١٢].

وتجنب الغضب ، واترك الحسد ، واصفح عن المسيء ، وأعرض عن الجاهل ، وارحم المسكين ، وأقل العثرة ، واستر العورة ، وابدل النصيحة ، وتجنب القطيعة : ﴿ وَأَبْتَعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغْ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص/ ٧٧].

ولا تبغ على أحد ، ولا تؤذ أحداً ، ولا تشتم أحداً ، ولا تغتب أحداً ، وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تدمه ، وإن لم تنفعه ألا تضره ، وإن لم تسره ألا تغمه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

واعلم أن المؤمن حقاً من سلم من المخالفات الشرعية سراً وعلناً ، وبرىء من العيوب ظاهراً وباطناً ، ومن كان سليماً من الذنوب ، بريئاً من العيوب ، فقد بلغ غاية السلامة والسلام ، وفاز بدار السلام ، فجاهد نفسك لتكون ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

واعلم أن السليم حقاً من سلم قلبه من الشك والشرك ، وسلم عقله من الشبهات ، وسلمت نفسه من الشهوات ، وسلم هواه من اتباع غير شرع الله ، وسلم فكره من كل ما يشغله عن الله : ﴿ قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام/ ٧١].

فهذا العبد السليم حق على الله أن يسلمه في الدنيا من المؤذيات ، وأن يهبه مما فيها من الخيرات ، فيرزقه الاستقامة على الدين ، ويجعله محمود السيرة محبوباً بين الناس ، ويسلم الناس من لسانه ويده ، ويرزقه مالاً حلالاً ، ويهبه زوجةً سالحةً وأولاداً أبراراً ، وعيشة راضيةً ، فهذه سلامة الدنيا .

أما سلامة الدين فيسلم الله عقله من البدع والشبهات ، ويسلم قلبه من الهوى والشهوات ، ويسلمه من كل ما سواه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء/ ١٢٥].

أما سلامة الآخرة فيسلمه من عذاب النار ، ويدخله الجنة دار السلام : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَرَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

واعلم أن خير الناس أنفعهم للناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، فكن كذلك تكن ربانياً : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧١﴾ [آل عمران / ٧٩]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » متفق عليه ^(١).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا بِمَا آتَيْتَنَا بِالْحَقِّ وَأَلِّمْنَا بِالْحَقِّ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْوَارِثِينَ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » متفق عليه ^(٢).

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَعَظْمُ لِي نُورًا » أخرجه مسلم ^(٣).

اللهم إني أسألك إيماناً أهتدي به ، ونوراً أقتدي به ، ورزقاً حلالاً أكتفي به .
اللهم احفظني بالإسلام قائماً وقاعداً ، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً ، رضيت بالله رباً ، وبمحمد رسولاً ، وبالإسلام ديناً .

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

السبوح

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ » أخرجه مسلم (١).

الله ﷻ هو السبوح المنزه عن كل عيب، ونقص، وسوء، البريء من النقائص، والآفات، والعيوب، المنزه عن الشريك والمثيل، والشبيه والكفو، وكل ما لا يليق بجلاله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات، الذي سبَّحه الوجود كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّعْيُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ (٤٤) ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الملك القدوس الذي يقدهه ويسبح بحمده كل من في العالم العلوي، وكل من في العالم السفلي، في جميع الأوقات، بمختلف اللغات، وأنواع الأصوات: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ (٤١) ﴾ [النور/ ٤١].

وسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، السبوح القدوس الذي ليس له مثل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص، الملك الحق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ (١١) ﴾ [الشورى/ ١١].

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه، ويحمده أسبحة وأنزهه عن جميع ما لا يجوز عليه من نقائص البشر، وآفات المحدث، وكل ما يستحيل عليه، وما لا يليق بجلاله: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٢٤) ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

وأسبحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة/ ١].

فما أعظم تسييح الرب ﷻ ، وما أيسر أداءه ، وما أعظم ثوابه .

عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه^(١).

• التبعيد لله ﷻ باسمه السبوح :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله ، والتحميد كله ، والتسييح كله ، والتعظيم كله ؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته فسبحه بها ، وادعه بها ، ونزهه عن أضدادها : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

سبح بحمد ربك العظيم الذي له العزة والعظمة ، وله الكبرياء والجبروت ، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وسبح بحمد ربك الأعلى بالقول والفعل ، واملأ الكون بتسييحه وحمده ، كما ملأه لك بفضلته ورزقه : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ ﴾ [الأعلى/ ١-٥].

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسييح حتى ينتزه عن الأوصاف الذميمة ، فينزه نفسه عن الشهوات المحرمة ، ومطعمه من الحرام ، وأعماله من الرياء ، ولسانه عن القبيح ، وقلبه عن النفاق والرياء ، وسيء الأخلاق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢]. وإذا صفت نفسك وأعمالك من كل شيء ومذموم فقد وصلت : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢)، ومسلم برقم (٢٦٩٤).

السَّجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

فارفع التحميد والتمجيد، والتكبير والتسبيح، لربك العظيم في كل حين، فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد، العظيم الذي شهدت الكائنات بعظمته، الكريم الذي ملأ الكون بنعمه، وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا يَا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ارفع لربك التحميد مرة مفرداً، ومرة مقروناً بالتسبيح، فهو أهل أن يُحمد، ويُسبح بحمده. فالمفرد من الحمد مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةَ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرُبْعٌ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر/ ١].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف/ ١-٢].

ومثل: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ». متفق عليه^(١).

والحمد المقرون بالتسبيح مثل: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ) أخرجه مسلم^(٢).

ومثل: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَيَحْمَدُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(٣).

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم، وما أجزل ثواب ذلك، وما أنفعه للعبد: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾ [النصر/ ٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩٦) ومسلم برقم (٤٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥) والترمذي برقم (٢٤٣).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض» أخرجه مسلم^(١).

وتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينه الإيمان حسن، لكنه ليس كتسبيح صادر عن قلب سابع في بحار عوالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فسبحان الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش، وحملته، ومن حوله، وتسبح بحمده السموات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

واعلم أن الناس في معرفة تسبيح المخلوقات من الجمادات، والنباتات، والحيوانات، درجات: الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن.

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد لبارئها، وهذه يعلمها أولو الأبواب: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

وللكائنات تسبيح باطن يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وقد يُسمع الجبار ﷻ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ تسبيح بعض مخلوقاته، كما أسمع داود ﷺ تسبيح الجبال والطيور: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٩]. وكما أسمع سليمان ﷺ منطلق الطير والنمل، وكما أسمع محمداً ﷺ حنين الجذع في المسجد، وشكوى الجمل، وتكليم ذراع الشاة له، وسلام الحجر عليه بمكة وغير ذلك.

فسبحان الرب المعبود في العالم العلوي، والعالم السفلي، الذي يسبح بحمده كل لسان،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه ، إليه نسعى ونحفد ، وله نصلي ونسجد : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥].

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين ، وحزبك المفليحين ، مع الملائكة المقربين المسبحين
الذين : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنباء/ ٢٠].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والمثل الأعلى .

هو العليم القدير المنزه عن النسيان والغفلة ، وعن العجز والتعب واللغوب .

هو الحي القيوم المنزه عن السّنة والنوم والموت ، القائم على كل نفس .

هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه ، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره ، هو الكريم

الحق المنزه عن البخل والظلم : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

هو الرحمن المنزه عن الظلم والقسوة.. وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته : ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١].

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنباء/ ٨٧].

« اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ الْحَقُّ ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ،
وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ ، وَبِكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفِرْ لِي مَا
قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ « متفق عليه (١) .

اللهم لك الملك كله ، ولك الخلق كله ، ولك الحكم كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، علانيته
وسره ، لا إله إلا أنت .

أنت الغني ونحن الفقراء ، وأنت القوي ونحن الضعفاء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول
أوعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أوعمل .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

القدوس

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

الله ﷻ هو الملك القدوس المنزه عن النقائص والعيوب والآفات كلها، البريء من كل عيب ونقص، القريب من كل خير، البعيد من كل شر.

وهو سبحانه الملك القدوس الطاهر من العيوب، المنزه عن الأولاد والأنداد، والمثل والشبيه:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الملك القدوس الموصوف بصفات الكمال، الممدوح بالفضائل والمحاسن، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم، القدوس المنزه عن النقائص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع الآفات والعيوب، المنزه عن السنّة والنوم، المنزه عن الخطأ والنسيان، المنزه عن الظلم وجميع الصفات المذمومة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان ربنا الملك القدوس، الممدوح بالفضائل والمحاسن، المنزه عن العيوب والنقائص، الذي لجلاله وجماله وكماله تسبح بحمده جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة/ ١].

فاحمد مولاك على كمال أسمائه وصفاته، وكبره تكبيرا: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

هو سبحانه الملك القدوس المنزه عن كل صفة من صفات الكمال البشري؛ لأن الله ليس

كمثله شيء ، ومن باب أولى منزه عن جميع العيوب والنقائص والآفات : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

بل هو منزه عن جميع صفات الخلق كلهم الكامل منهم والناقص : ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [١١] لَهُ ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى/ ١١-١٢].

عِلْمُ الْمَلِكِ الْقُدُوسِ لَيْسَ كَعِلْمِ الْخَلْقِ ؛ بَلْ عِلْمُ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ عِلْمِهِ .

وقدرته عَزَّ وَجَلَّ ليست كقدرة الخلق ، بل قدرة جميع الخلق من قدرته ، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، المنزه عن كل عيب أو نقص .

وهو القدوس المنزه عن كل وصف يدركه الحس ، وعن كل تصور يتصوره العقل ، أو يسبق إليه الوهم ، أو يختلج في الذهن ، أو يفضي به التفكير : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَكْبَرُ مِمَّا عَرَفْنَا ، وَأَكْبَرُ مِمَّا لَمْ نَعْرِفْ .

هو الملك القدوس الذي تعالى عن صفات الخلق ، ولولا أن الله أذن للمسلم أن يصفه بصفات كمالات البشر لكان وصفه بذلك ذنباً من الذنوب ، لأن الله ليس كمثل شيء : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته ، وتنزهت عن النقص والآفات صفاته .

هو القدوس الذي تقدس عن كل مكان يحيط به ، وتقدس عن كل زمان يُبْلِيهِ .

هو القدوس الذي قدس نفوس الأبرار عن المعاصي ، وقدس قلوب أوليائه من كل ما سواه .

فسبحان الملك القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن السكون الى المألوفات والشهوات ،

وطهر نفوس العابدين عن حب الدنيا ، وطهر قلوب العارفين من كل ما سواه : ﴿ هُوَ الَّذِي

بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُتَّبِعِينَ ﴾ [الجمعة/ ٢].

• التَعْبُدُ لِلَّهِ جَلَّالَهُ بِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ :

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أنه يجب على العبد أن يقدر ربه، فيصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما لا يليق بجلاله، على حد قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى/ ١١].

فقدس لله عبادتك أيها اللبيب، وأخلصها لربك الواحد الأحد، ونقها مما يفسدها أو ينجسها. وطهر أيها الحبيب قلبك من الشرك والنفاق والرياء، وطهر لسانك من الكذب وقول السوء، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر أعمالك مما يفسدها من البدع والرياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف/ ١١٠].

وقدس نفسك بالتوحيد والإيمان، وطيبها بالذكر والحمد والشكر لربك، وزكها بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة، تكن كالملائكة في التسيح والتقديس: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [البقرة/ ٣٠].
وتعبّد لربك بصفة الطهارة علماً وعملاً، فتطهر من المعاصي باجتنابها فهو أفضل لك عند ربك، وأيسر مؤنة من طهور التوبة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) [المؤمنون/ ١-٣].

وطهر نفسك من الذنوب والعيوب ومتابعة الشهوات، وطهر لسانك عن الغيبة والنميمة وفاحش القول وما لا يعينك، وطهر قلبك من الرياء والالتفات لما سواه، وطهر جوارحك عن المعاصي، وطهر أوقاتك عن المخالفات، وطهر مالك عن الحرام والشبهات: ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) [فاطر/ ١٨].
واعلم أن من قدس نفسه بمعرفة الله لم يذل نفسه لغير الله.

فطهر نفسك من كل ما يسخط ربك عليك، وزكها بكل ما يرضيه عنك، يأذن لك أن تكون مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦١) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) [النساء/ ٦٩-٧٠].

وإذا ابتليت بمواقعة شيء من المعاصي فبادر إلى التوبة منها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ومتى عملت عملاً صالحاً فأخلصه الله وطهره من الشوائب، لتستوجب موعوده ، وتفوز بقبوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧].

وطهر رحمتك الله قلبك من كل ما يدنسه بالتوبة النصوح، وطهر جسدك من الدرن والوسخ وما يستقذر، وطهر ثيابك من الرجس والقذر، وطيب بدنك بالطيب والمسك، وطهره بالوضوء والغسل: ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ ۝١ قُرْآنِذِرٌ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنَ تَسْتَكْبِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المدثر/ ١-٧].

وطهر بطنك من الحرام، وطهر لسانك عن الآثام ، وطهر قلبك عن الأصنام : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦].
واعلم أن الطهارة تنقسم إلى ما انقسم إليه المتطهر منه وهو الرجس.

والرجس ضربان :

الأول : رجس باطن في القلب كالشرك والنفاق ، والشح والبخل ، والحسد والجبن ، والكذب والظلم وغير ذلك من مساوئ الأخلاق والذنوب الخفية : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾ [الحجرات/ ٧].

فهذا جاهد نفسك على التخلص منه، واضرع إلى ربك ليخلصك منه، وبادر إلى التطهر منه بالتوبة النصوح ، والله يتوب عليك : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَوْبُوا مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء/ ١٧].

الثاني: رجس ظاهر : وهو ضربان :

أحدهما : عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب ، وإرادة الإنسان باختياره كالمعاصي والمحرمات القاصرة والمتعدية.

فهذا طهوره من جهة القلب بالتوبة منه ، والعزم على تركه ، وإتباع السيئة بالحسنة التي تمحها، وإشغال الجوارح بالطاعات بدل المعاصي، فذلك أبلغ في الطهارة: ﴿ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود/١١٤-١١٥].

الثاني : ما يفعله العبد مكرهاً من المعاصي التي تتعلق به وحده ولا تتعدى إلى غيره .

فهذا طهوره لزوم كراهته في القلب ، والتخلص منه متى زال الإكراه ، مع الاستغفار : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾ [النحل/١٠٦].

واعلم أن كل طاعة لله ورسوله طهرة وزكاء وبركة يحس المؤمن بحلاوتها في الدنيا والآخرة ، وكل معصية لله ورسوله نجاسة وخسارة وحسرة يحس الإنسان بمرارتها في الدنيا والآخرة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس/٧-١٠].

واعلم أن الماء طاهر في نفسه مطهر لغيره من الأحداث والأنجاس .

والماء في إزالة النجاسة كالنور في إزالة الظلام، وكالحق في إزالة الباطل، وكالتوبة في إزالة درن الذنب هذا طهور التوبة ، وهذا طهور الماء، والله يحب أهل هذا وهذا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ [البقرة/٢٢٢].

فاحمد الله أن جعلك من المؤمنين ، واسأله أن يطهر قلبك وبدنك من كل دنس ، ويزكك بالإيمان والتقوى ، وصل وسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ [الجمعة/٢].

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [الممتحنة/٤].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ [نوح/٢٨].

« اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ » متفق عليه (١) . اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وجوارحنا من الفواحش والآثام ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤)، ومسلم برقم (٢٥٧).

الباب السادس

أهل التوحيد بين الواجب والجزاء

ويشتمل على ما يلي :

- ١- واجبات أهل التوحيد
- ٢- جزاء أهل التوحيد
- ٣- جزاء أهل الشرك
- ٤- دار القرار : وتشمل :
 - ١- صفة الجنة
 - ٢- صفة النار
- ٥- دعاء أهل التوحيد

أهل التوحيد بين الواجب والجزاء

١ - واجبات أهل التوحيد

شَرَّفَ اللهُ ﷻ أهل التوحيد بأعمال عظيمة، وزينهم بصفات كريمة، وفرض عليهم واجبات، وأكرمهم بكرامات في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم واجبات أهل التوحيد ما يلي:

الأول: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

١- قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/١٣٦].

٢- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » ، قَالَ صَدَقْتَ ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللّٰهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » متفق عليه (١).

الثاني: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

١- قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/٢١-٢٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/١٧٢].

الثالث: طاعة الله ورسوله في كل شيء، وطاعة اولي الأمر في غير معصية الله.

١- قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء/٥٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨)، واللفظ له.

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » متفق عليه (١).

الرابع: تعلم العلم الشرعي وتعليمه.

١- قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [١٩] ﴿ [محمد/ ١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّادِنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [٧٩] ﴿ [آل عمران/ ٧٩].

الخامس: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١- قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَاتِيَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [١٢٥] ﴿ [النحل/ ١٢٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٤] ﴿ [آل عمران/ ١٠٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [٥٢] ﴿ [إبراهيم/ ٥٢].

السادس: الجهاد في سبيل الله مع الإمام أو نائبه إذا دعت الحاجة إليه.

١- قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا إِلَيْكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [١٩٠] ﴿ [البقرة/ ١٩٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٣٦] ﴿ [التوبة/ ٣٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٣٩] ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [٤٠] ﴿ [الأأنفال/ ٣٩-٤٠].

السابع: المحافظة على اجتماع النفوس والقلوب في أمور الدين كلها.

١- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٠٢] ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٤٤)، ومسلم برقم (١٨٣٩)، واللفظ له.

اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا وَأَذْكُرُوا يَعْمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٢].

الثامن : الاستقامة على الدين ظاهراً وباطناً ، مع لزوم الصبر في كل حال .

١- قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت/ ٦-٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ تُعْرَضُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

التاسع : حسن الخلق مع جميع الخلق .

١- قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٣٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصاص/ ٧٧].

العاشر : الاستغفار والتوبة من الخطأ والتقصير في كل عمل في كل وقت .

١- قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر/ ١-٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور/ ٣١].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » أخرجه البخاري (١).

وقد جمع الله ﷻ هذه الواجبات كلها أصولها وفروعها في سورة واحدة من كتابه الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أنه لا تحصل النجاة والفلاح إلا بامتثال جميع أوامر الله ورسوله حسب الاستطاعة ، واجتناب جميع ما نهى الله ورسوله عنه .

١- قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿أَفْتَوْمِنُونَ بَعْضُ الْكِنَافِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله .

بتوحيد كامل .. وإيمان كامل .. وطاعة كاملة .. وأخلاق كاملة .. واستقامة كاملة.

وقد أكمل الله لنا الدين .. وأتم علينا النعمة .. فلنكمل له الطاعة والعبادة والاستقامة ؛ لنعيش في الدنيا في أمن كامل .. ونخلد في الجنة في نعيم كامل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

٢- جزاء أهل التوحيد

جزاء أهل التوحيد السعادة في الدنيا والآخرة ، ورضوان الرب ، والفوز بالجنة، والنجاة من النار : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام / ٨٢] .

ويجازي الملك الحق ﷻ أهل التوحيد والإيمان والعمل الصالح بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ، وأعدّ لهم الكريم في الآخرة من النعيم المقيم والملك الكبير ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧] .

ومن أعظم كرامات أهل التوحيد في الدنيا والآخرة ما يلي :

الأولى : الأمن والهداية، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام / ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧] .

الثانية : دخول الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [١٠٧] خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج / ١٤] .

الثالثة : الخلود في نعيم الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُؤَا بِهٖ مُّتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء / ١٢٢] .

الرابعة : رضوان الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢] .

الخامسة: رؤية الرب ﷻ في الجنة .

قال الله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هَلْ تُصَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَأَتَّكُمُ تَرُونَهُ كَذَلِكَ» متفق عليه^(١).

السادسة: القرب من الرب ﷻ في الجنة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

السابعة: سماع كلام وسلام الرب ﷻ .

قال الله تعالى: ﴿ إِنْ أَصْحَبَ أَلْجَنَّةَ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٌ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس / ٥٥-٥٨] .

الثامنة: النجاة من النار .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَادَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم / ٧١-٧٢] .

ولا يسعد بهذه الكرامات العظيمة، والعطايا الجزيلة، والمنازل العالية، إلا من قام بما سبق من تلك الواجبات العظيمة: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١٩-٢٢] .

ولا يسلم ولا ينجو من غضب الله وسخطه من كتم الحق الذي أمرنا الله بإبلاغه للناس ليسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

٣- جزاء أهل الشرك

جزاء أهل الشرك العذاب في الدنيا والآخرة ، وسخط الرب ، والخلود في النار ، والحرمان من الجنة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [٦] . [البينة / ٦] .

ويجازي الجبار ﷻ أهل الكفر والشرك والمعاصي بأعظم العقوبات في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةُ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [٣٤] [الرعد / ٣٤] .
ومن أعظم عقوبات أهل الشرك في الدنيا والآخرة ما يلي :

الأولى : العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١١٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١١٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١١٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَيْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ ﴾ [١١٦] [طه / ١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [١١٧] [الشعراء / ٢١٣] .
الثانية : دخول النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٧١] قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [٧٢] [الزمر / ٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَثَابَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّبُ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [٥٦] [النساء / ٥٦] .

الثالثة : الخلود في عذاب السعير .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٦٤] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [٦٥] يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتِنَا أَنْطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ [٦٦] [الأحزاب / ٦٤-٦٦] .

الرابعة : سخط الجبار على أهل النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ

حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة / ٦٨] .

الخامسة : الحرمان من رؤية الرب ﷻ .

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المطففين / ١٥ - ١٧] .

السادسة : الحرمان من الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٢] .

السابعة : الصغار والذلة .

قال الله تعالى : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّتَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٩٢-١٩٤] .

٤ - دار القرار

الدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب .

والإنسان لابد أن ينتقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم يُخلد حسب العمل في دار القرار في الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِ يَنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم / ١٤-١٦] .

وإذا حكم الله بين العباد يوم القيامة حسب إيمانهم وأعمالهم يساق أهل التوحيد والإيمان إلى الجنة وفداً مكرمين ، ويساق أهل الكفر والشرك إلى النار أذلاء مهانين كما قال سبحانه : ﴿ الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الحج / ٥٦-٥٧] .

فأهل التوحيد في الفوز العظيم ، وأهل الشرك في الخسران المبين ، فهل يستويان مثلاً وعملاً وجزاءً : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر / ٢٠] .
فللمؤمنين يوم القيامة دار تليق بإيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم ، وللكافرين دار تليق بكفرهم وأعمالهم وأخلاقهم : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِي ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة / ١٨-٢٠] .
والخلق كلهم راجعون إلى ربهم ، ومحاسبون على أعمالهم : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة / ٦-٨] .

وإذا كانت معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم أركان الإيمان ، وأكبر أبواب التوحيد ، فإن معرفة أحوال اليوم الآخر ، وما فيه من البعث والحساب ، والصراف والميزان ، والجنة والنار ، أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ بَشَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الشورى / ٧-٨] .

فالإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان ، وعليهما مع بقية أركان الإيمان مدار استقامة الإنسان وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء / ٨٧] .

وإذا كنا بفضل الله قد عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا دينه وشرعه ، فيجب أن نعرف الدار التي سوف نصير إليها ، ونعرف اليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب ؛ ليزيد إيماننا ، ويكمل توحيدنا ، ونسارع إلى مرضاة ربنا بحسن عبادته ، ونبتعد عن الشرك والمعاصي التي توجب سخطه وعقوبته : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [١٧] يَوْمَ يُفَخَّ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ كَأَنَّهَا سُرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَأْتَابًا ﴿٢٢﴾ [النبا / ١٧-٢٢] .

لهذا أحببنا الكشف بالتفصيل عن مكان الثواب والعقاب في الجنة والنار ؛ ليعلم المؤمن ما أعد الله لأهل التوحيد ، وما أعد الله لأهل الشرك ، ويزداد المؤمن إيماناً و يقيناً ، ويزداد علماء وعملاً وتقوى ، ويزداد عطاء وبذلاً ، ويزداد صبراً وحمداً وشكراً ، ويزداد تعظيماً لربه ، ويزداد حباً و ذلاً لمولاه العزيز الكريم سبحانه : ﴿ وَيَبْسُرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّةٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة / ٢٥] .

وإليك ذلك كله مجموعاً ميسراً في ضوء القرآن والسنة .

فأصدق الحديث وأحسنه وأكمله عن الجنة دار الثواب ، وعن النار دار العقاب ، نأخذه من كتاب الرب الذي خلقهما ، وخلق ما فيهما من النعيم والعذاب ، والقصور والسجون : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ءَفَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] .
ونأخذه من سنة مَنْ دخل الجنة ، ووطئت أقدامه أرضها ، فأحسن وصفها ، ومن رأى النار وما فيها من الأهوال وألوان العذاب وأصناف المعذبين نبينا محمد ﷺ .

وليس للعبد بعد هذه المعارف إلا صدق الإيمان ، وإخلاص التوحيد ، وكمال التسليم ، والانقياد والطاعة ، والتوبة والاسغفار : ﴿ ءَامِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [٢٨٥] لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا

تَوَاجِدُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾

[البقرة/ ٢٨٥-٢٨٦].

نَسألُ اللهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَاكُمْ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَخْلُصِينَ: ﴿٦٩﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وإذا اكتملت للعبد هذه المعارف الإلهية، وهي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة عظمة خزائنه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده، وقام بموجبهها بعبادة ربه وحده لا شريك له، فقد ملك الدرر السنيّة، وفُتحت له أبواب القصور الملكية في الجنة، وجنى أحسن الأرباح من أعظم الأسواق: ﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٧٠﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧١﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

أَسألُ اللهَ ﷻ أَنْ يَفْتَحَ لَنَا وَلِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يَنْجِيَنَا جَمِيعًا مِنَ النَّارِ، إِنَّهُ رَوْوفٌ رَحِيمٌ: ﴿٧١﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ ﴿٧٢﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

صفة الجنة

- الجنة: هي دار السلام التي أعدها الله للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة.
- سيكون الحديث عن الجنة إن شاء الله تعالى من كتاب من خلقها، وخلق نعيمها، وخلق أهلها وهو الله سبحانه، ومن أخبار من دخلها ووطئت أقدامه أرضها، وهو محمد ﷺ كما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.
- أشهر أسماء الجنة:

الجنة واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

- 1- الجنة: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء/ ١٣].
وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا﴾ [النساء/ ١٢٤].
- 2- جنات الفردوس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف/ ١٠٧].
- 3- جنات عدن: قال الله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَّابٍ﴾ [٤٩] جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْنَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].
- 4- جنة الخلد: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان/ ١٥].
- 5- جنات النعيم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [٨] [لقمان/ ٨].
- 6- جنات المأوى: قال الله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٩].
- 7- دار السلام: قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧] [الأنعام/ ١٢٧].

• مكان الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾

[النجم/ ١٣-١٥].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». أخرجه البخاري^(١).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ جُعِلَتْ فِي حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلَى بَابِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ..» أخرجه الحاكم وابن حبان^(٢).

• أسماء أبواب الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُودِي مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قال: «نَعَمْ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» متفق عليه^(٣).

• سعة أبواب الجنة:

١- عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٢٧).

أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَاتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَيْطُ مِنَ الزَّحَامِ. أخرجه مسلم^(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم... وفي آخره قال:-
«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ
مَكَّةَ وَبُصْرَى» متفق عليه^(٢).

• عدد أبواب الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣].

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يُسَمَّى الرِّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ» متفق عليه^(٣).

• أبواب الجنة مفتحة لأهلها:

قال الله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَثَابٍ ﴾ [٤٩] جَنَّتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ [ص/ ٤٩-٥٠].

• الأوقات التي تفتح فيها أبواب الجنة في الدنيا:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيَعْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا - ثلاثاً-» أخرجه مسلم^(٤).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» متفق عليه^(٥).

٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ (أَوْ فَيَسْبِغُ) الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» أخرجه مسلم^(٦).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١١٥٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٧٩).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

• أول من يدخل الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». أخرجه مسلم^(١).

• أول أمة تدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». متفق عليه^(٢).

• أول زمرة يدخلون الجنة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَفَّلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَثْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(٣).

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ مَتَمَّاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوْلَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» متفق عليه^(٤).

٣- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَعْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» أخرجه مسلم^(٥).

• سن أهل الجنة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً» أخرجه أحمد والترمذي^(٦).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦)، ومسلم برقم (٨٥٥)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩)، واللفظ له.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٩).

(٦) حسن / أخرجه أحمد برقم (٧٩٢٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٥)، وهذا لفظه.

• صفة وجوه أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتَظِرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَومَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَومَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية/ ٨-١٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهُهُمُ يَومَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس/ ٣٨-٣٩].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿فَوقَهُمُ اللَّهُ شَرَ ذَلِكِ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان/ ١١].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَوَّلُ رُؤْمَرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ» متفق عليه^(١).

• صفة استقبال أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر/ ٧٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد/ ٢٣-٢٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٣].

• مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّعْرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْحَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ، هُوَ لَأَيِّ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْأَفُقِ، فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ. قَالَ: هُوَ لَأَيِّ أُمَّتِكَ، وَهُوَ لَأَيِّ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه^(١).

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَيَّاتٍ مِنْ حَيَّاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٢).

• صفة أرض الجنة وبنائها:

١- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما عُرج به إلى السماء قال: «... ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السُّدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَعَشِيهَا الْوَأْنُ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ» متفق عليه^(٣).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله... الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَيْبَةُ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَيْبَةُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّغْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيُخَلَّدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ» أخرجه الترمذي والدارمي^(٤).

٣- وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «دَرَمَكَةٌ بِيَضَاءً، مِسْكٌ خَالِصٌ» أخرجه مسلم^(٥).

• صفة خيام أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن/ ٧٢].

٢- وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» متفق عليه^(٦).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٦)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٣).

(٤) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٦)، وهذا لفظه، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧١٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٩٢٨).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٣٨)، واللفظ له.

• سوق الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَزْجَعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ أَرْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا» أخرجه مسلم^(١).

• قصور الجنة:

خلق الله عز وجل داخل مساكن وقصور الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/٧٢].

• تفاضل أهل الجنة في القصور:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان/٢٠].
 ٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رَجَالَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». متفق عليه^(٢).

• صفة غرف أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت/٥٨].
 ٢- وقال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ هُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر/٢٠].
 ٣- وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبَطُونِهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَى لَهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ». أخرجه أحمد والترمذي^(١).
• صفة فرش أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن/ ٥٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة/ ٣٤].

• صفة البسط والنمارق:

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [١٥] وَزَرَائِبُ مُبْتَوِّثَةٌ [١٦] [الغاشية/ ١٥-١٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن/ ٧٦].

«النمارق» الوسائد، «الزرايب» البسط.

• أرائك الجنة:

وهي الأسرة عليها الكليل، أو الكراسي ذات الوسائد.

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢٣] عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتَطُونَ [٢٣] [المطففين/ ٢٢-٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ [١٣] [الإنسان/ ١٣].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [٥٥] هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ [٥٦] [يس/ ٥٥-٥٦].

• صفة سرر أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [٤٧] [الحجر/ ٤٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٢٠] [الطور/ ٢٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ [١٥] مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ [١٦] [الواقعة/ ١٥-١٦].

٤- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [١٣] [الغاشية/ ١٣].

• صفة أواني أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [١٧] بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ [١٨] [الواقعة/ ١٧-١٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

الْأَعْيُنُ مِطًّا وَانْتَمَرُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٧١] [الزخرف/ ٧١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [١٥] قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا [١٦] [الإنسان/ ١٥-١٦].

(١) حسن / أخرجه أحمد برقم (١٣٣٨)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٨٤).

٤- وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جَتَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَيَبْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» متفق عليه^(١).

• صفة حلي أهل الجنة ولباسهم:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكْوَنُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج/٢٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف/٣١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان/٢١].

• أول من يُكسى في الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «... وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ». أخرجه البخاري^(٢).

• صفة خدم أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة/١٧-١٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ [الإنسان/١٩].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور/٢٤].

• أول طعام يأكله أهل الجنة:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: «زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ» أخرجه البخاري^(٣).

٢- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود... وفيه -: فقال اليهودي.. فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قال: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قال اليهودي: فما

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٩).

تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زِيَادَةُ كَيْدِ النَّوْنِ» فقال فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قال: فما شرابهم عليه قال: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً» أخرجه مسلم^(١).

• صفة طعام أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أَسْرًا وَأَزْوَاجَكُمْ تُحِبُّونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف/ ٧٠-٧١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد/ ٣٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِحَظِيرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة/ ٢٠-٢١].

٤- وقال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة/ ٢٤].

٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً ، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ ، كَمَا يَكْفُو أَحَدَكُمْ خُبْزَتُهُ فِي السَّفَرِ نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ». وفيه- فأتى رجل من اليهود... فقال: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَنُونٌ، قالوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَيْدِهِمَا سَبْعُونَ نَفْسًا متفق عليه^(٢).

٦- وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَنَفَّلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمَسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ». أخرجه مسلم^(٣).

٧- وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر شجرة في الجنة لا أعلم في الدنيا شجرة أكثر شوكاً منها -يعني الطلح-، فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ -يعني المخصي- فِيهَا سَبْعُونَ لَوْناً مِنَ الطَّعَامِ لَا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الْآخِرِ». أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٣١٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٩٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

(٤) صحيح / أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ١٣٠) وفي مسند الشاميين (١/ ٢٨٢)، انظر الصحيحة رقم (٢٧٣٤).

• صفة شراب أهل الجنة:

- ١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَّ يُشْرَبُ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِزَاجُهَا كَأْفُورًا ۝٥﴾ [الإنسان/ ٥].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧﴾ [الإنسان/ ١٧].
- ٣- وقال الله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۝٢٥ خَتَمَهُ مِسْكَ ۝٢٦ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافِسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝٢٧ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ۝٢٨ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝٢٩﴾ [المطففين/ ٢٥-٢٨].
- ٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(١).

• صفة أشجار الجنة وثمارها:

- ١- قال الله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَطْوْفُهَا نَذِيلًا ۝١٤﴾ [الإنسان/ ١٤].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعَيْونٍ ۝٤١ وَفَوَركِهِ مِمَّا شَتَّوْنَ ۝٤٢﴾ [المرسلات/ ٤١-٤٢].
- ٣- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ [ص/ ٥١].
- ٤- وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۝١٥﴾ [محمد/ ١٥].
- ٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝٣٢﴾ [النبا/ ٣١-٣٢].
- ٦- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ ، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن/ ٥٢، ٦٨].
- ٧- وقال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥﴾ [الدخان/ ٥٥].
- ٨- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ۝٢٩ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۝٣٠ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣١ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٢﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٣].
- ٩- وقال الله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْغَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة/ ٢٢-٢٤].

١٠- وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما - في قصة المعراج - أن النبي ﷺ قال : «.. وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةٌ الْمُنْتَهَى فِإِذَا نَبَقَهَا كَأَنَّهُ قَلَالٌ هَجْرٌ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ أَذَانُ الْفَيْوَلِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةٌ أَنهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ» متفق عليه^(٢).

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٣٦١)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٢).

١١- وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِطُ الْجَوَادُ أَوْ الْمَضْمَرُ السَّرِيعَ مائةَ عامٍ مَا يَقْطَعُهَا» متفق عليه^(١).

١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب». أخرجه الترمذي^(٢).

• صفة أنهار الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج/ ١١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد/ ١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طَيِّبُهُ، أَوْ طَيِّبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» أخرجه البخاري^(٣).

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّحَانٌ وَجَيْحَانٌ، وَالْفُرَاتُ وَالنَّيْلُ، كُلُّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». أخرجه مسلم^(٤).

• صفة عيون الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] [الحجر/ ٤٥].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [٥] عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ [الإنسان/ ٥-٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ، مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [٢٧] عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ [المطففين/ ٢٧-٢٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٨).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٢٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٨١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٩).

- ٤- وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن/ ٥٠-٦٦].
- ٥- وقال الله تعالى: ﴿وَيُسَمَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧﴾ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان/ ١٧-١٨].

• صفة نساء أهل الجنة:

- ١- قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران/ ١٥].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝٣٥﴾ ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَجْكَارًا ۝٣٦﴾ ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ ﴿لَأَصْحَابِ الْعِينِ ۝٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩﴾ ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة/ ٣٥-٤٠].
- ٣- وقال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ۝٤٨﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات/ ٤٨-٤٩].
- ٤- وقال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ ۝٢٢﴾ ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ ﴿جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [الواقعة/ ٢٢-٢٤].

- ٥- وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ مِنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝٥٦﴾ ﴿فِيآيِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن/ ٥٦-٥٨].
- ٦- وقال الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ ﴿فِيآيِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١﴾ ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن/ ٧٠-٧٢].

٧- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ عَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» متفق عليه^(١).

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مِخُّ سَوْقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ» متفق عليه^(٢).

• عطور وروائح الجنة:

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم ودرجاتهم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٦)، ومسلم برقم (٢٨٣٤)، واللفظ له.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَنْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ - الْأَلْنَجُوجُ، عُوْدُ الطَّيِّبِ - وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(١).

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه البخاري^(٢).

٣- وفي لفظٍ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٣).

• غناء أزواج أهل الجنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُغْنِينَ بِهِ: نَحْنُ خَيْرُ الْحَسَانِ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ.

وَإِنَّ مِمَّا يُغْنِينَ بِهِ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا يَمُتُّنَهُ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخْفَنَهُ، نَحْنُ الْمَقِيمَاتُ فَلَا يَطْعَنَهُ» أخرجه الطبراني في الأوسط^(٤).

• جماع أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس/٥٥-٥٦].

٢- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ»، فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرْقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ، فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمِرَ» أخرجه الطبراني والدارمي^(٥).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٤٠٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٢٦٨٧).

(٤) صحيح / أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩١٧)، انظر صحيح الجامع رقم (١٥٦١).

(٥) صحيح / أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٥)، وأخرجه الدارمي برقم (٢٧٢١)، انظر صحيح الجامع رقم (١٦٢٧).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل نصل إلى نساتنا في الجنة؟ فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ» أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في صفة الجنة^(١).

• الولد في الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسُنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» أخرجه أحمد والترمذي^(٢).

• دوام نعيم أهل الجنة:

إذا دخل أهل الجنة الجنة تلقتهم الملائكة، وبشرتهم بما في الجنة من النعيم والخلود بشرى لم يسمعوا بمثلها قط.

١- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد/٣٥].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا» فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أخرجه مسلم^(٣).

٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: هل ينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ» أخرجه البزار^(٤).

• درجات الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ الْكِبْرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/٢١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه/٧٥-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ

(١) صحيح / أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٢٦٣)، وأبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٧٣)، انظر الصحيحة رقم (٣٦٧).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١١٠٧٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

(٤) صحيح / أخرجه البزار - كشف الأستار - برقم (٣٥١٧)، انظر الصحيحة رقم (١٠٨٧).

الْأُولَئِكَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا» فقالوا يا رسول الله: أفلا نبشر الناس؟.

قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»، أراه قال: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري^(١).

• رفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور/ ٢١].

• صفة ظل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدُّ خَلْفُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَوُدُّهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء/ ٥٧].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّدْودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة/ ٢٧-٣٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان/ ١٣-١٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد/ ٣٥].

• علو الجنة وسعتها:

١- قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية/ ٨-١١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

٣- وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد/ ٢١].

• أعلى منزلة في الجنة:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْعِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِّنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» أخرجه مسلم^(١).

• أعلى أهل الجنة منزلة، وأدناهم منزلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِّنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ رَضِيتُ رَبًّا، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا.

قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قال: ومصادقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أخرجه مسلم^(٢).

وفي لفظ في بيان أدنى أهل الجنة: «فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا» متفق عليه^(٣).

• أعظم نعيم أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ٧٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧١)، ومسلم برقم (١٨٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فَأَتَكُم تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» متفق عليه^(١).

٤- وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم^(٢).

• صفة نعيم الجنة :

١- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّاهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف/ ٦٩-٧٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان/ ٥١-٥٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْزَاقِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَقْطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَإِلَادٌ مُّخْلِذُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ثُلُوعًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَمْلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مُّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإِنسَان/ ١٢-٢٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَفْرُوقُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْفُهُ مِمَّا يَنْخَرِطُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ١٠-٢٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿١٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿١١﴾ وَفَكَهْفُهُمْ كَثِيرٌ ﴿١٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿١٣﴾ وَفُرشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿١٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿١٥﴾ فَعَلَّمْنَهُمْ الْجُبَارَ ﴿١٦﴾ عُرِيًّا أَرَابًا ﴿١٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة/ ٢٧-٤٠].

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» مصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. متفق عليه^(١).

• ذِكْرُ وَكَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر/ ٧٤].

٢- وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس/ ١٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة/ ٢٥-٢٦].

٤- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَلَّبُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قالوا: «فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟» قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ» أخرجه مسلم^(٢).

• سلام الرب على أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٥).

٢- وقال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس/٥٨].

• لقاء الرضوان:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». متفق عليه^(١).

اللهم ارض عنا وعن والدينا وأهلينا والمسلمين أجمعين، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم.

• مقدار أمة محمد ﷺ في الجنة:

أكرم الله تعالى هذه الأمة بأن جعلها شطر أهل الجنة، ثم تفضل عليهم بالزيادة إلى الثلثين.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا نعم قال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قلنا: نعم، قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُّسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ» متفق عليه^(٢).

• صفوف أهل الجنة:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٣).

• أهل الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/٨٢].

٢- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُّتَّضِعِّفٍ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ» متفق عليه^(٤).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٨٩).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم برقم (٢٨٥٣)، واللفظ له.

٣- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «.. وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌّ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ..»
أخرجه مسلم^(١).

• أكثر أهل الجنة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه^(٢).

• آخر من يدخل الجنة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ: رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ: رَبِّ، الْجَنَّةَ مَلَأَى، يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلَّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةَ مَلَأَى، يَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ» متفق عليه^(٣).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٦).

صفة النار

- النار: هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة.
- ستحدث هنا إن شاء الله تعالى عن النار دار البوار وما فيها من ألوان العذاب؛ ليكون ذلك باعثاً على الرهبة والفرار من النار، واجتناب المعاصي والسيئات.
- وإنما يحصل الفوز بالجنة والنجاة من النار بالإيمان والأعمال الصالحة ، واجتناب الشرك والمعاصي، نسأل الله الفوز بالجنة، والنجاة من النار.
- وسيكون الحديث عن النار على ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
- أشهر أسماء النار:

النار واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١- النار: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٤].

٢- جهنم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء/ ١٤٠].

٣- الجحيم: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة/ ١٠].

٤- السعير: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٤].

٥- سقر: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر/ ٤٨].

٦- الحطمة: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٧- لظى: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج/ ١٥-١٧].

٨- دار البوار: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيُبْسِئُونَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٨-٢٩].

• مكان النار:

١- قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين/ ٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «... وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِذَا قَبِضَتْ نَفْسُهُ وَدُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الْأَرْضِ يَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَتَتْ مِنْ هَذِهِ ، فَيَبْلُغُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى» أخرجه الحاكم وابن حبان^(١).

• خلود أهل النار:

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم.

١- قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة/ ٦٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ لَا يُحَدِّثُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

• صفة وجوه أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ أَلْقَيْتُمَا تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر/ ٦٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ [عبس/ ٤٠-٤٢].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً ﴿٢٥﴾ [القيامة/ ٢٤-٢٥].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ [الغاشية/ ٢-٤].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [المؤمنون/ ١٠٤].

• عدد أبواب النار:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ [الحجر/ ٤٣-٤٤].

• أبواب النار مغلقة على أهلها:

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا لِيُنذَرَ فِي الْخَطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمْدٍ مُّعَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ [الهمزة/ ٤-٩].

(١) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٠١٣).

• مجيء النار في عرصات القيامة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء/ ٩١].

٢- وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٣١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٣٢﴾ وَجِئْتَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْكَرُورَ الْآنَسْنَ وَأَذَى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣٣﴾﴾ [الفجر/ ٢١-٢٣].

٣- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا» أخرجه مسلم^(١).

• ورود النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مریم/ ٧١-٧٢].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة...
- وفيه - فقال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق عليه^(٢).

• قعر النار:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» أخرجه مسلم^(٣).

٢- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ» أخرجه مسلم^(٤).

• عظمة خلق أهل النار:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أَحَدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثٌ» أخرجه مسلم^(٥).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةٌ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٥).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٨٥١).

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ» متفق عليه^(١).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ضُرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَعْدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَفَخْدُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ» أخرجه أحمد والحاكم^(٢).

• قوة حرارة النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَيَجْعَلُهُمْ مِثْلَ نُجُومٍ كَلِمًا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا آءِذَا نَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء/ ٩٧-٩٨].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا فَضَلَّتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه^(٣).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه^(٤).

• وقود النار:

١- قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٤].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٩٨].

• دركات النار:

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم، وتمكنهم

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥١)، ومسلم برقم (٥٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٣٢٧) وأخرجه الحاكم برقم (٨٧٥٩) وهذا لفظه، انظر الصحيحة رقم (١١٠٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

من أذى المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء/ ١٤٥).

• صفة ظل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) ﴿فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢) ﴿وَطَلٍ مِّنْ يَّحْمُورٍ﴾ (٤٣) [الواقعة/ ٤١-٤٣].

٢- وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونَ﴾ (١٦) [الزمر/ ١٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) ﴿لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُعْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾ (٣١) [المرسلات/ ٣٠-٣١].

• خزانة النار:

١- قال الله تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٣٦) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٣٧) ﴿لَا يُبْقِي وَلَا نَذِرٌ﴾ (٣٨) ﴿لَوْ آتَتْهُ لُوحَةٌ لَّبَشِرٌ﴾ (٣٩) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٤٠) ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر/ ٢٦-٣١].

٢- ومالك خازن النار، كما قال سبحانه: ﴿وَقَادُوا يَمْنَلِكُ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ (٧٧) ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ﴾ (٧٨) [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

• بعث النار:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ الْفِ تِسْعِمَائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبَشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ الْفِ» متفق عليه^(١).

• كيفية دخول أهل النار النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١) ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ فَبَسَّ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٢) [الزمر/ ٧١-٧٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٢).

٢- وقال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾ [الرحمن/ ٤١].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ [الفرقان/ ١١-١٤].

٤- وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ﴿٦﴾ [الهمزة/ ٤-٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ [الطور/ ١٣-١٤].

٦- وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤١﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّن فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ [إبراهيم/ ٤٩-٥٠].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عُنُقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ» أخرجه أحمد والترمذي^(١).

• أول من تُسْعَرُ بهم النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَن يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم^(٢).

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

• أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٩) [البقرة/ ٣٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨) [التوبة/ ٦٨].

٣- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «..وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانته، ورجل لا يصبغ ولا يمسي إلا وهو يحدِّعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل أو الكذب «والشظير الفحاش» أخرجه مسلم^(١).

• أكثر أهل النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أرئت النار، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط» متفق عليه^(٢).

• أشد أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِنْدِ ﴿٢٤﴾ مَنَآءِ اللَّحَيْرِ مِعْتَدٍ مَّزِيدٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءآخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٦٦﴾﴾ [ق/ ٢٤-٢٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر/ ٤٥-٤٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨) [النحل/ ٨٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) [النساء/ ١٤٥].

٥- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (٦٨) ثم لننزعنك من كل شيعَةٍ أيهم أشد على الرحمن عنيًا (٦٩) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًا (٧٠) [مريم/ ٦٨-٧٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ يُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِي، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ» أخرجه أحمد والترمذي^(١).

٧- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ» متفق عليه^(٢).

٨- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَّالَةٌ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ» أخرجه أحمد والطبراني^(٣).

• أهون أهل النار عذاباً:

١- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ بِالْقَمُوقِ» متفق عليه^(٤).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ» أخرجه مسلم^(٥).

٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ - وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ -: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي صَحْضَاحِ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمَّ دِمَاغِهِ» متفق عليه^(٦).

• ما يقال لأهون أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٦].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٤١١)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٤)، وهذا لفظه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٣) جيد / أخرجه أحمد برقم (٣٨٦٨) وهذا لفظه، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ٢٦٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠).

عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَقْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي» متفق عليه^(١).

• سلاسل جهنم وأغلالها:

- ١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) ﴿[الإنسان/ ٤].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢) ﴿[غافر/ ٧٠-٧٢].

- ٣- وقال الله تعالى: ﴿إِن لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (١٢) ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣) ﴿[المزمل/ ١٢-١٣].
- ٤- وقال الله تعالى: ﴿حُدُودُهُمْ فُغُولُهُ﴾ (٣٠) ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ (٣١) ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿[الحاقة/ ٣٠-٣٤].

• صفة طعام أهل النار:

- ١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ (٤٣) ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (٤٤) ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ (٤٦) ﴿[الدخان/ ٤٣-٤٦].
- ٢- وقال الله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ (٦٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ (٦٥) ﴿فَإِنَّهُمْ لَا كُفُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٦٦) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٦٧) ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (٦٨) ﴿[الصفوات/ ٦٢-٦٨].
- ٣- وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ جُوعٌ﴾ (٧) ﴿[الغاشية/ ٦-٧].
- ٤- وقال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣٦) ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (٣٧) ﴿[الحاقة/ ٣٥-٣٧].

• صفة شراب أهل النار:

- ١- قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (١٥) ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَكِيدٍ﴾ (١٦) ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (١٧) ﴿[إبراهيم/ ١٥-١٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ﴿١٥﴾ [محمد/١٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٣٩﴾ [الكهف/٢٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿هَذَا وَإِلَى اللَّطِغِينَ لَشْرَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا فَبئسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فليذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص/٥٥-٥٨].

• صفة ثياب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ [الحج/١٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيهُمُ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم/٤٩-٥٠].

• فرش أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ [الأعراف/٤١].

• حسرة أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿١٧٧﴾ [البقرة/١٦٧].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» أخرجه البخاري^(١).

٣- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تتفدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك» متفق عليه^(٢).

• كلام أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٥).

أُمَّة لَعَنَتْ أُخْنَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأَوْلِيهِمْ رَبَّنَا هَتُّوْلَاءِ أَضَلُّوْنَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا
ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلِيَهُمْ لِأَخْرِبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن
فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ [الأعراف ٣٨-٣٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا
وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت/ ٢٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان/ ١٤].

• أصناف المعذبين في النار:

١- الكفار والمنافقون:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨].

٢- قاتل النفس المعصومة عمداً:

١- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [النساء/ ٩٣].

٢- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ
الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أخرجه البخاري^(١).

٣- الزناة والزواني:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول
لأصحابه: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» - وفيه- أنه قال ذات غداة: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ
أَتِيَانٍ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ... فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ
وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ
مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هُوَ لَءٍ؟- وفيه- فقَالَا: وَأَمَّا
الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي...» أخرجه البخاري^(٢).

٤- أكلو الربا:

في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٧).

نَهَرَ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ
الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ
لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ .
فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟... قَالَ وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ آكِلُو الرِّبَا» أخرجه البخاري (١).

٥- المصورون:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ
يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» أخرجه مسلم (٢).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام
فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ» قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. متفق عليه (٣).

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا
كُلَّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» متفق عليه (٤).

٦- أكل مال اليتيم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا﴾ [النساء/ ١٠].

٧- أهل الكذب والغيبة والنميمة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [٩٢] ﴿فَزُلْ مِنْ حَمِيرٍ﴾ [٩٣] ﴿وَتَصَلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ [٩٤]
[الواقعة/ ٩٢-٩٤].

٢- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر - وفيه - فقلت يا نبي
الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ
عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّتِّهِمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (٥).

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٢)، ومسلم برقم (٢١١٠)، واللفظ له.

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٧٣).

٨- الذين يكتُمون ما أنزل الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٧٤].

• تخاصم أهل النار مع بعضهم:

١- مخاصمة العابدين لمعبودهم: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [٩١] تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي الْعَلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ [الشعراء/ ٩٦-٩٩].

٢- مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: ﴿وَإِذْ تَحَاوَرْتَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [٤٧] قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ [غافر/ ٤٧-٤٨].

٣- تخاصم الأتباع مع قادة الضلال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [٢٧] قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَبْنَاكُمْ إِنَّآ كُنَّا عٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [الصافات/ ٢٧-٣٣].

٤- تخاصم الكافر وقرينه الشيطان: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [٢٧] قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ [ق/ ٢٧-٢٩].

٥- ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضائه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [١٩] حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ [فصلت/ ١٩-٢١].

• طلب أهل النار من ربهم رؤية من أضلّوهم وتضعيف العذاب عليهم:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ [٢٩] [فصلت/ ٢٩].

٢- وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [٦٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب/ ٦٦-٦٨].

• خطبة إبليس في أهل النار:

إذا قضى الله الأمر، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمْوَ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

• طلب النار المزيدي:

١- قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ [ق/ ٣٠].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ» متفق عليه^(١).

• أنواع عذاب أهل النار:

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَبْتُمْ جُلُودَهُمْ بَدَلًا لِنَفْسِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ [النساء/ ٥٦].

٢- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ [الزخرف/ ٧٤-٧٦].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَاءً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣١﴾ [فاطر/ ٣٦].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٨)، ومسلم برقم (٢٨٤٨)، واللفظ له.

٦- وقال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾ (١٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴿٢٠﴾ [مريم/٦٨-٧٠].

٧- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿١٢﴾ لِيَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُون فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾﴾ [النبا/٢١-٢٦].

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَعَوْا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك/٦-٩].

٩- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر/٤٧-٤٨].

١٠- وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة/٤-٩].

١١- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْبَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ» متفق عليه^(١).

• بكاء أهل النار وصراخهم:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة/٨١-٨٢].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر/٣٧].

٣- وقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء/١٠٠].

٤- وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لِأَنْدَعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادَّعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان/١٣-١٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٨٩).

٥- وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْتَمِنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾ [الفرقان/ ٢٧].

٦- وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ١٦٧].

• دعاء أهل النار:

إذا دخل أهل النار فيها وأصابهم العذاب الشديد استغاثوا ونادوا لعنهم يجدون من يغيثهم ويحييهم، فينادون أهل الجنة، وخزنة النار، ومالك خازن النار، وينادون ربهم فلا يجابون إلا بما يزيد حسرتهم، ثم يفقدون الأمل ويأخذون في الزفير والشهيق.

١- قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٠].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [٤٩] ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَوْلَا قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر/ ٤٩-٥٠].

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف/ ٧٧-٧٨].

٤- وقال الله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [١٠٦] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [١٠٧] ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون/ ١٠٦-١٠٨].

٥- فإذا فقد أهل النار الأمل في الخروج من النار ويئسوا من أي خير أخذوا في الزفير والشهيق كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَوْا فِي النَّارِ لُهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [١٠٦] ﴿خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود/ ١٠٦-١٠٧].

عياداً بالله من غضب الله وسخطه وعقوبته، اللهم ارزقنا الجنة.. وأجرنا من النار.. أنت مولانا.. فنعم المولى.. ونعم النصير.

• ميراث أهل الجنة منازل أهل النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْرَلَانِ: مَنْرَلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْرَلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْرَلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [١٠] الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١١] أخرجه ابن ماجه (١).

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).

• خروج عصاة الموحدين من النار:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» قال: «فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْعُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» أخرجه أحمد والترمذي (١).

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً» متفق عليه (٢).

• أشد عذاب أهل النار:

١- أفضل نعيم في الجنة فرح المؤمنين وسرورهم برؤية ربهم جل وعلا، ورضاه عنهم كما قال سبحانه: ﴿رُجُوعُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۗ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۗ (٢٣)﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۗ (٧٢)﴾ [التوبة/ ٧٢].

٢- وأشد عذاب في النار حجاب أهل النار عن رؤية ربهم جل وعلا كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۗ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۗ (١٦)﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

• خلود أهل الجنة والنار:

١- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُعِيُّوسَعِيدٌ ۗ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَسَهيقٌ ۗ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۗ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُورٍ ۗ (١٠٨)﴾ [هود/ ١٠٥-١٠٨].

٢- وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۗ (١٢٢)﴾ [النساء/ ١٢٢].

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٥٢٦٨)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧)، وهذا لفظه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٤)، ومسلم برقم (١٩٣)، واللفظ له.

٣ - وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٧) [المائدة/٣٦-٣٧].

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ» متفق عليه^(١).

• أكثر أهل الجنة والنار:

الرجال في الجنة أكثر من النساء، والنساء في النار أكثر من الرجال، والحوار أكثر من الرجال في الجنة.

١- عن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» متفق عليه^(٢).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» متفق عليه^(٣).

٣- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَقْلَ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءَ». أخرجه مسلم^(٤).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَنْفِلُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَثْوَةُ الْأَلْنَجُوجُ عُوْدُ الطَّيِّبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عليه^(٥).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٥٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

• حجاب الجنة والنار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفق عليه^(١).

• قرب الجنة والنار:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» أخرجه البخاري^(٢).

• احتجاج الجنة والنار وحكم الله بينهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلَأُهَا» متفق عليه^(٣).

• اتقاء النار وطلب الجنة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣١-١٣٢].

٢- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي كَلِمَةٍ طَيِّبَةً» متفق عليه^(٤).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» متفق عليه^(٥).

• اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٠)، ومسلم برقم (٢٨٤٦)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣٥).

٥- دعاء أهل التوحيد

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/١-٧].
- ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/١٢٩].
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/٨٧].
- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/٢٣].
- ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ الْغَيْرِ الْمَحْسُورِينَ ﴿٥﴾﴾ [المتحة/٤-٥].
- ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/٥٣].
- ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون/١٠٩].
- ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/٨٣].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/١٦].
- ﴿رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا ثُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّا كُنَّا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرِينَ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/٨].
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/١٠].
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/١٤٧].
- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس/٨٥-٨٦].
- ﴿رَبَّنَا لَقَبَلْنَا مِنْكَ إِنَّا كُنَّا لِلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِيِّنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة/١٢٧-١٢٨].
- ﴿رَبَّنَا ءَانِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف/١٠].
- ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان/٧٤].

- ﴿رَبَّنَا أَكَيْفَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان/ ١٢].
- ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان/ ٦٥-٦٦].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة/ ٢٠١].
- ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ لَا يُخْلِفُ الْمَيْعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران/ ٨-٩].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبْرَارِ ﴿١١٣﴾﴾ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمَيْعَادَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران/ ١١٣-١١٤].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩].
- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].
- ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ أَوْيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَجْلَلْ عَفْوَكَ مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه/ ٢٥-٢٨].
- ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴿١٦﴾﴾ [القصص/ ١٦].
- ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود/ ٤٧].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح/ ٢٨].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران/ ٣٨].
- ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩].

- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات/ ١٠٠].
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٨].
- ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٩٧ - ٩٨].
- ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].
- ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء/ ٨٠].

- ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المؤمنون/ ٢٩].
- ﴿رَبِّ يَمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص/ ١٧].
- ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٠].

• «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه^(١).

• «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» متفق عليه^(٢).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» متفق عليه^(٣).

• «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَعْرَمِ، وَالْمَأْتَمِ.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).
 (٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).
 (٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.
 (٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغَيْ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.
- اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبَ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» متفق عليه^(١).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه^(٢).
- «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ .
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه^(٣).
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .
- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه^(٤).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ» أخرجه البخاري^(٥).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ» أخرجه البخاري^(٦).
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم^(٧).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٤).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

• «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم^(١).
 • «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»
 أخرجه مسلم^(٢).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» أخرجه مسلم^(٣).
 • «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».
 أخرجه مسلم^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم^(٥).
 • «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم^(٦).
 • «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».
 أخرجه مسلم^(٧).
 • «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدُنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ».
 أخرجه مسلم^(٨).

• «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم^(٩).
 • «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعْرِضُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

(٨) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).

(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي^(١).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِي فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَعًا قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد^(٢).

• «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد والترمذي^(٣).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيَّي» أخرجه الترمذي والنسائي^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٥).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ» أخرجه الترمذي^(٦).

• «رَبِّ أَعْيِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَيَّ مِنْ بَغْيِ عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوْاهًا مُبِينًا.

رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاعْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي^(٧).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٦) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

(٧) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.

مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا^(١). أخرجه أحمد وابن ماجه^(١).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لِدَيْغًا». أخرجه أبو داود والنسائي^(٢).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلَمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٣).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي^(٤).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي^(٥).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٦).

• «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». أخرجه الترمذي وابن ماجه^(٧).

• «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَفُودَرْتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى.

وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زِينًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي^(٨).

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٦) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

(٧) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٨) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي^(١).
 • «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِي لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ .
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحِينَا مُسْلِمِينَ ، وَالْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ .

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكذِّبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد^(٢).

• «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». أخرجه أحمد وابن ماجه^(٣).
 • «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتْ الْبِطَانَةُ» أخرجه أبو داود والنسائي^(٤).

• «اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصْرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي». أخرجه الترمذي^(٥).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ، وَغَلَبَةِ العَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». أخرجه أحمد والنسائي^(٦).
 • «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا، مَا

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣)، وهذا لفظه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠).

(٤) حسن/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨).

(٥) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٦) حسن/ أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨)، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥)، وهذا لفظه.

أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ تَارَةً عَلَيَّ مِنْ ظَلَمْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَيَّ مِنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». أخرجه الترمذي^(١).

• الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء .

• الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، الآخر بلا آخر يكون بعده .

• الحمد لله الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداءً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً ، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً ، ورزقاً مقسوماً ، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً ، ونصب له أمداً معلوماً يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه من عظيم ثوابه ، أو شديد عقابه ، عدلاً منه وإحساناً: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم / ٣١].

• والحمد لله الذي عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه ، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته وألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره .

• والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، وسخر لنا ما في السموات والأرض ، فكلُّ المخلوقات منقادة لنا بقدرته ، وصائرة إلى طاعتنا بجزته .

• والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه ، وركب فينا أعضاء البسط والقبض ، وخلق فينا جوارح الأعمال ، وغدانا بطيبات الرزق ، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا ، ثم خالفنا أمره ، وركبنا مئون زجره ، فلم يعاجلنا بعقوبته ، بل أكرمنا بوسع رحمته ، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برأفته .

• والحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله ، وفتح لنا أبواب رحمته ، وفتح لنا أبواب جنته .

• والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به ، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها .

• والحمد لله بكل ما حمده به خلقه ، وأقرب ملائكته إليه ، وأكرم خليقته عليه ، وأرضى

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

حامديه لديه ، حمداً يُفْضَلُ سائرَ الحمد .

- والحمد لله حمداً يوافي نِعَمَهُ ، ويكافي مزيدَهُ ، عددَ ما أحاطَ به علمُهُ ، حمداً لا ينتهي لحدِّهِ ، ولا حسابَ لعدده ، ولا بلوغَ لغايته ، ولا انقطاعَ لأمدِهِ .
- والحمد لله الذي مَنْ عَلَيْنَا بَعِثَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ دونَ الأممِ الماضيةِ ، فأدَّى الأمانةَ ، وبلغَ الرسالةَ ، ونصحَ الأمةَ ، وجاهدَ في اللهِ حقَ جهادهِ ، حتى أتاهُ اليقينَ ، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
- الحمد لله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ، وأمسكهما بقدرتهِ ، ورفعَ السماءَ بقوتهِ ، ودحا الأرضَ بمشيئتهِ ، وملاً الكونَ برحمتهِ .
- والحمد لله الذي خلقَ الليلَ والنهارَ بقوتهِ ، وميَّزَ بينهما بقدرتهِ ، وجعلَ لكلِّ واحدٍ منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً ، ونفعاً معلوماً .
- والحمد لله عددَ ما خلقتَ في الأرضِ والسماءِ ، وعددَ ما علا في الهواءِ ، وعددَ ما كُنَّ تحتَ الثرى ، ليس لنا من الأمرِ إلا ما قضيتَ ، ولا من الخيرِ إلا ما أعطيتَ .
- اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً ، وأشهد ملائكتك وحملَةَ عرشك ، وجميعِ سكانِ أرضكَ وسماواتك ، وكلِّ ذرَّةٍ في ملكك ، أني أشهد أنك أنتَ الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وأشهدُ أن محمداً عبدكُ ورسولُك .
- اللهم يا من لا تنقضي عجائبُ عظمتِهِ ، ولا تنفِي خزائنُ رحمتهِ ، ولا تنتهي مدة ملكهِ ، صلِّ وسلم على محمد وآل محمد ، وأصحابِ محمد ، وأتباعِ محمد ﷺ .
- اللهم يا ربي من لي إلهَ غيرك أسأله كشفِ ضري ، والنظرِ في أمري ، وقبولِ توبتي ، وسترِ زلتي .
- اللهم يا ربي ويا مولاي أجريت علي حكماً اتبعت فيه هوى نفسي ، وغرني فيه عدوي ، فتجاوزت حدودك ، وخالفت أمرك ، فلك الحجة علي ، ولا حجة لي عليك ، وقد وقفت ببابك نادماً ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إنك أنت الغفور الرحيم .
- اللهم يا من بدأ خلقي ، وساق إلي رزقي ، وشق سمعي وبصري ، ارحم ضعف بدني ، وشدة فاقتي ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم يا عزيز يا رحيم ارحم ذلي بين يديك ، وتضرعي إليك ، وشدة حاجتي إليك ، وانكساري بين يديك .

• اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة ، وألسنة نطقت بتوحيديك وذكرك ، ولهجت بحمدك وشكرك ، وقلوباً ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة ، وعقولاً تصاغرت لكبريائك خائفة ، وعيوناً من خشيتك باكية ، وجوارحاً سعت إلى أماكن عبادتك طائعة ، يا واسع الرحمة ، يا سريع الرضا .

• اللهم يا مالك الملك العظيم ، نحن عبادك الضعفاء ، نسألك ألا تحرق أبداننا بنار السموم ، ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا ، يا رب العالمين ، يا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم ربنا أعتق رقابنا من نار جهنم فإنه لا طاقة لنا بها ، ولا قوة لنا على تحمل سعيها ، ولا صبر لنا على شدة لهيبها ، ولا طاقة لنا بتحمل ضرب زبانيته ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

• اللهم أعزنا بعزك الذي لا يضام ، واحفظنا بعينك التي لا تنام ، إنك أنت الكبير المتعال .

• اللهم أنت المنانُ بالجزيل ، الغافرُ للعظيم ، الشاكرُ للقليل ، الجابرُ للكسير ، ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا مَنْ تُحَلُّ به عُقْدُ المكاره ، ولا يستغاث إلا به عند الشدائد ، يا كاشف كل كرب ، يا من ذكَّتْ لقدرته الصعاب ، وخضعت لجبروته الشدائد الصلاب ، واستجابت لمشيئته جميع المخلوقات ، وأسرت إلى إرادته جميع الكائنات .

• لا إله إلا أنت ، أنت المَفْزَعُ في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دَفَعْتَ ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشَفْتَ ، اكشف ما بنا من الضر والبلاء ، يا أرحم الراحمين .

• لا إله إلا أنت ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مقدم لما أخرت ، ولا مؤخر لما قدمت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا قابض لما بسطت .

• اللهم إني أعوذ بك من شدة الحرص ، وسَوْرَةِ الغضب ، وغَلْبَةِ الحسد ، وقلة الصبر ، وسوء الخُلُق ، ومخالفة الهدى ، ومتابعة الهوى ، وحرمان الثواب ، وحُلُول العقاب .

• اللهم إنا نعوذ بك من سوء السريرة ، واحتقار الصغيرة ، ومقارفة الكبيرة ، ومن معيشة في شدة ، وميتة على غير عُدَّة .

- اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اهدنا لما يرضيك عنا ، ووقفنا لما تحبه وترضاه من موجبات ثوابك ، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها ثوابك ، ولا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عقابك .
- اللهم لك الخلق كله والأمر كله ، إن عفوت عنا بفضلك ، وإن عذبتنا فبعذك ، ولا نجاة لأحد منا إلا بعفوك ، فاعف عنا واغفر لنا يا خير الغافرين .
- يا أغني الأغنياء ، نحن عبيدك أفقر الفقراء إليك فاجبر فافتنا من فضلك ، ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقك .
- اللهم ارحم تضرعنا إليك ، وانظر إلى ذلنا بين يديك ، يا عزيز الملك والسلطان أغنا إذ طرَحنا أنفسنا بين يديك ، فإنك رحيم بمن دعاك ، ومستجيب لمن ناداك .
- اللهم يا من طاعته نجاة للمطيعين ، وذكره شرفٌ للذاكرين ، أشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ، وأشغل ألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، واستعمل جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة .
- إلهي ومولاي أنا عبدك الذليل الواقفُ بباب عزك فلا تطردني من جنابك ، فإن طردتني فلا حول لي ولا قوة إلا بك .
- سبحانك ما أرحمك ، لا أيأس منك وقد فتحت لي أبواب التوبة إليك ، وغفرت لي ما يسوؤني بين يديك ؛ لأنك أنت الرؤوف الرحيم .
- اللهم ارحم عبدك الذي تلقاك بالإنابة ، وأخلص لك التوبة ، وطأطأ رأسه لعظمتك ، وخشع قلبه لجلالك ، وذرفت عيونُه من خشيتك .
- يا من رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته أوسع من عقوبته ، وعفوه أكثر من نعمته ، ورضاه أوفر من سخطه ، وإحسانه أعظم من عدله .
- يا عظيم الصفح ، يا جزيل العطاء ، يا حسن التجاوز ، يا فعلاً لما تشاء ، يا سريع الرضا ، يا باسط اليدين بالعطاء .
- اللهم يا من خزائنه ملاءى بكل شيء ، يا من عنده نيلُ الطلبات ، يا من له ملك الأرض والسموات ، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان ، ولا يكدر عطايه بالامتنان .
- ويا من يُستغنى به ولا يُستغنى عنه ، ويُرغبُ إليه ولا يُرغبُ عنه ، يا من لا تُفني خزائنه المسائل ، نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا عزيز يا غفار .
- اللهم إن تعذبني فبعذك وأنا لذلك أهل ، وإن تعف عني بفضلك وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• اللهم اني أسألك بأسمائك الحسنی ، وصفاتك العلی ، ما علمت منها وما لم أعلم ، وما أظهرته منها وما أخفيته ، أن ترحم هذا المخلوق الجزوع ، وهذا الإنسان الهلوع ، وهذا المملوك الضعیف ، وهذا العبد الفقير ، فإنه لا يستطيع حرّ شمسك فكيف يطيق حرّ نارك ، ولا يستطيع احتمال صوت رعدك فكيف يستطيع سماع صوت غضبك ، وهبه صبراً على بلائك وعذابك فكيف يصبر على فراقك ، فارحمه يا أرحم الراحمين .

• اللهم أنت ربي الغني وأنا عبدك الفقير ، وعذابي لا يزيد في ملكك مثقال ذرة ، أنت ذو الملك والملكوت ، وذو العزة والجبروت ، وذو الجلال والإكرام ، لا تزيد في ملكك طاعة الطائعين ، ولا تنقصه معصية العاصين ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، ويبدك الأمر كله . فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، وأنت الربُّ الرؤوف الرحيم .

لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما فوقهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .

لك الحمد الذي لا نهاية لعدده ، ولا انقطاع لأمده ، على عظمتك وعظمة أسمائك وصفاتك ، وعظيم إحسانك ، وجزيل عطائك .

• إلهي خلقتني في أحسن تقويم ، وهديتني إلى الصراط المستقيم ، وابتدأتني بالإحسان ، ووفرت حظي من كل خير ، وصرفت عني كل شر ، وأقررت عيني بما يسرنني .

• إلهي أنت الذي هديتني ، وأنت الذي رزقتني ، وأنت الذي أجبته عند الاضطرار دعوتي ، وأنت الذي سترت زلتني ، ودفعت عني ما يضرني .

• إلهي أستغفرك وأتوب إليك ، وأسألك أن تعفو عني وتغفر لي ، فلست بريئاً فأعذر ، ولا قوياً فأنتصر ، ولا مفرّ لي فأفرّ ، لا ملجأ ولا منجالي منك إلا إليك .

• إلهي أستقبلك عثراتي ، وأعذر إليك من هفواتي ، وأفرّ إليك من ذنوبي التي أوبقتني ، وسيئاتي التي أحاطت بي فأهلكتنني ، فاغفر لي وارحمني وتب عليّ .

• إلهي جتتك مستجيراً فلا تخذلني ، وسائلاً فلا تحرمني ، ومعتصماً فلا تُسلمني ، وداعياً فلا تردني ، يا أكرم الأكرمين .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الضعیف العاجز الفقير المحتاج ، أسألك أن تغنيني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

- إلهي أشكو إليك ضعفَ نفسي عن المسارعةِ إلى الخيرات ، وجُرأتها على الموبقات ، فإنْ تعذبني فأنا الظالم المفرط ، وإنْ تغفر لي فأنتَ أرحمُ الراحمين .
- إلهي أنتَ الذي تسمع من شكاي إليك ، وتنصر من توكلَ عليك ، وتخلص من الشدة من اعتصم بك ، وتفرج كربةً من لاذبك ، وتجيب دعاء مَنْ دعاك .
- إلهي أنتَ الملكُ الحقُّ القادرُ على كل شيء ، العليمُ بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .
- إلهي كيف يخفى عليك ما أنتَ خلقتَه ، وكيف يغيب عنك ما أنتَ تدبّرُه ، وكيف لا تُحصي ما أنتَ صنعتَه ، وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ، وكيف ينجو منك من لا مذهبَ له في غير ملكك ، سبحانك لا إله إلا أنتَ الواحد الأحد المحيط بكل أحد .
- لا إله إلا أنتَ سبحانك ، أحشى خلقك لك أعلمهم بك ، وأخضعهم لك أحسنهم طاعةً لك ، وأهونهم عليك مَنْ أنتَ ترزقه وهو يعبد غيرك .
- سبحانك ما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك .
- لا ينقص سلطانك مَنْ أشرك بك وكذب رسلك ، ولا يستطيع مَنْ كره قضاءك أن يردّ أمرك ، ولا يفوتك مَنْ عبدَ غيرك ، ولا يُعمّر في الدنيا من كره لقاءك ، والكل صائرٌ إليك ، وموقوفٌ بين يديك ، لا إله إلا أنتَ ، آمنْتُ بك ، وكفرتُ بكل معبودٍ سواك .
- إلهي ومولاي أنا عبدك المقر بذنبي ، هذه يديّ المذنبه مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنتَ الرب الرؤوفُ الرحيم ، أفلني عثرتي ، وزلة قدمي ، وارحم شيبتي وضعفي ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، ونفاذ أيامي ، واقتراب أجلي .
- مولاي وارحمني إذا خَرَجْتَ روحي من بدني ، وانقطع من الدنيا أثري ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيّرت حالي وصورتي .
- اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسالك سؤال من اشتدتْ فاقته ، وعظمتْ كربته ، وضعفتْ قوته ، وكثرتْ ذنوبه ، أن ترزقني يقيناً ينفع من استيقن به ، وعملاً تحب مَنْ عبدك به ، وحُلُقاً ترحم من اتّصف به .
- اللهم إني أسألك خشية العالمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك .
- سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

- سبحانك العزُّ إزارُك ، والكبرياءُ رداؤُك ، والحَلْقُ خَلْقُك ، والأمرُ أمرُك ، والملكُ ملكك .
- سبحان الله وبحمده ، عددُ خلقه ، ورضا نفسه ، وزنةُ عرشه ، ومدادُ كلماته .
- سبحانَ العلي الأعلى الذي يسمعُ ويرى ما تحت الثرى ، الشاهدُ لكل نجوى ، العليمُ بكل شكوى ، الكاشفُ كل بلوى .
- الحمد لله الذي تجلَّى للقلوب بالعظمة ، واحتجبَ عن الأبصار بالعزة ، واقتدرَ على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .
- أنت الرب الذي تَمَجَّد بالعظمة والجلال ، وملك بالعز والكبرياء ، ونَقَدَّس بالحُسن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .
- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ ، الكريم الذي لا يُنْقِصُ مَنْ شَكَرَهُ ، ولا يَحْيِبُ من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رَجاه ، أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .
- اللهم ثَبِّتْ قلبي على دينك ما أَحْيَيْتَنِي ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنت الكريم الوهاب .
- بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا أرجو إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أتوكل إلا عليه ، ولا أطمئن إلا إليه .
- اللهم إني أعوذُ بك رب من همزاتِ الشياطين ، وأحترزُ بسطانك من جَورِ السلاطين .
- اللهم إني أسألكَ يا مَنْ يملك الحاجات كلها وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومناقدة لأمره ، أن تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاءٍ عافية ، وأن تغفر لي وترحمني ، يا مَنْ هو الإلهُ ، ولا يغفر الذنوب سواه .
- الحمد لله رب العالمين ، وأعوذُ به من شر نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .
- وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأعتصمُ بالله من كل شيطان مارِدٍ ، ومن كل جَبَّارٍ فاجر ، ومن كل سلطانٍ قاهر ، ومن كل عدوٍ ظالم .
- اللهم اجعلني من جنديك ، فإن جنديك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائك ، فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمةٌ أمري ، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مَقَرِّي ، وإليك

وإليها من مجاورة اللثام مَفْرِي .

- الحمد لله رب السموات والأرض ، الحمد لله خالق السموات والأرض .
- بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفع كل مكروه أوله سخطك ، وأستجلب كل محبوب أوله رضاك .
- اللهم لك الحمد حمداً كثيراً لا ينقطع أبداً ، ولا يحصي له الخلائق في العالم عدداً .
- اللهم يا رؤوفاً بالعباد اجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، ورجبتي في ثوابك ، وزهدي فيما يوجب لي أليم عقابك .
- اللهم يا أكرم الأكرمين أسألك توحيداً خالصاً ، ويقيناً صادقاً ، وسلاماً أقوى بها على طاعتك ، وعبادة أستحق بها جزيل مثوبتك ، وسعة في الحال من الرزق الحلال ، ولساناً على الدوام لك ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً .
- اللهم يا واهب الفضل العظيم ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا غافر الذنب الكبير ، أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، وأن تغفر لي ذنوبي ، وتستر عيوبي ، يا أرحم الراحمين .
- اللهم يا كاشف الضر ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا عظيم البر ، يا واسع المغفرة ، يا جميل السّتر ، يا كريم الصّفح ، يا حسن التجاوز ، لا ملجأ لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .
- إلهي بيّض وجوهنا يوم تبيّض وجوه وتسود وجوه ، ولا تسود وجوهاً خرّت لعظمتك ساجدةً ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .
- اللهم ارحم قلوباً انطوت على محبتك ، وألسنةً نطقت بذكرك وحمدك ، والثناء عليك ، وآذاناً تلذذت بسماع ذكرك وكتابك ، وأكفّاً رفعت رجاء رحمتك ، وأرجلاً سعت مجاهدةً في سبيلك ، وأبداناً عملت بطاعتك ابتغاء مرضاتك .
- اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى وجهك الكريم .
- إلهي ومولاي من الذي نزل بك ملتسماً قرآك فما قرئته ، ومن الذي أناخ ببابك راجياً فضلك فما أوليته ، أنت الملك العزيز الكريم الرحيم .
- إلهي يا من بيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما

- منعتَ ، أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .
- إلهي ومولاي ، يا خير مرجو ، ويا أكرم مدعو ، يا من بابه مفتوحٌ لداعيه ، وحجابُه مرفوعٌ لراجيه ، يا مجيبَ السائلين ، ويا أكرم المعطين ، أخلص لي توحيدك ، واجعلني من صفوة عبيدك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
 - إلهي إن كان قلّ زادي في المسير إليك فلقد حسُنَ ظني بالتوكل عليك ، وإن كان ذنبي قد عرّضني لعقابك فقد آمنني حُسنُ ثقتي بثوابك .
 - أسألك بأسمائك الحسنى، وبأنوار قُدسك ، وبِلطائف برك ، أن ترضى عني ، ولا تشوي وجهي بالنار يا أرحم الراحمين .
 - اللهم يا رب ما بدأتُ به من فضلك عليّ فتمّمه ، وما وهبت لي من كرمك فلا تسلّبه ، وما علّمته من قبيح فعلي فاغفره ، وما سترته عليّ بحلمك فلا تهتِكه ، يا ولي الإنعام ، يا معروفاً بالإحسان ، لا إله إلا أنت .
 - إلهي يا مَنْ عمَّ إحسانه جميعَ خلقه وجّهتُ إليك وجهي ، ورفعتُ إليك يدي ، طامعاً في إحسانك ، راغباً في غفرانك ، طالباً لمرضاتك ، خاشعاً لعظمتك ، مريداً لوجهك ، طارقاً لبابك ، فافعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ، ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
 - إلهي يا سابغَ النعم ، يا دافعَ النقم ، لا إله إلا أنت ، لا أحصي ثناءً عليك ، خلقت فسوّيت ، وصوّرت فأحسنّت ، وأنعمت وأعطيت ، وهديت وأكرمت ، وأنت الرؤوف الرحيم البرّ الكريم ، بساحتك تُحطُّ رحال الراجين ، يا من لا يخيبُ قاصديه ، ولا يطرد عن بابه مؤمّليه ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .
 - يا رب تصاغر عندَ عظيمِ نعمك عليّ شكري ، وتضاءل أمامَ إكرامك إياي ثنائي . أنت الذي هديتني للإسلام ، وعلّمتني السنّة والقرآن ، وأحطتني بلطائف برك ، وجميلِ إحسانك ، جلّلتني بنعمة الإيمان ، وقلّدتني قلائد الإنعام ، وطوّقتني بأطواق المعروف والإحسان .
 - فلك الحمد حمداً كثيراً يوافي نعمك ، ويكافئُ مزيدك ، على عظيم جلالك ، وجزيل عطائك ، وسبوغ نعمائك ، وحُسن بلائك ، حمداً يوافق رضاك ، ويجلب لي العظيم من برك وتقواك ورضاك .
 - اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينّه في قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من

الراشدين ، وألهمنا طاعتك ، وجنبنا معصيتك ، وأذقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطفين الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات الصالحات ، إنك على كل شيء قدير .

• سبحانك ما أعز سلطانك ، وما أعظم إحسانك ، وما أوسع غفرانك .
• سبحانك ما أظلم الطرق على مَنْ لم تكن دليله ، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله ، أسألك أن تدلني على ما يرضيك عني ، وأن تغفر زلتي وتقبل توبتي ، إنك أنت التواب الرحيم .
• اللهم اجعلنا ممن اصطفتيه بِقُرْبِكَ ، وأخلصته لمحبتك ، وكتبته من أوليائك ، وخصصته بمعرفتك ، ووهبت له من علمك ، وأهلته لعبادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وفرغته فؤاده لحبك ، وشغلت جوارحه بطاعتك ، وأوزعته دوام شكرك ، وحفظته من معصيتك ، وقطعت عنه كل شيء يشغله عنك ، إنك أنت العزيز الكريم .

• اللهم اجعلنا من أولي الألباب ، المقربين الأخيار ، الذين جباههم ساجدة لعظمتك ، وعيونهم ساهرة في عبادتك ، وقلوبهم ممتلئة بمحبتك ، وأفئدتهم وجيلة من مهابتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك .

• اللهم اجعل حبي لك قائداً لي إلى رضوانك ، وشوقي إليك مانعاً لي من عصيانك ، وامنن عليّ بالنظر إلى وجهك الكريم ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه .
يا خير من خلا به العبيد ، يا أرحم من آوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددت يدي ، وإلى عظيم كرمك نصبت ناصيتي ، فأعطني ولا تحرمني ، وأكرمني ولا تهني ، يا أرحم الراحمين .
• إلهي يا ولي الصالحين ، ويا أمان الخائفين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

أنا عبدك الذليل ، ذو اللسان الكليل ، والعمل القليل ، واقف بباب كرمك ، طارق لباب رحمتك ، متعرض لنفحات برك ، معتصم بحبلك الشديد ، امنن عليّ بطولك الجزيل ، ورضوانك الجميل ، يا كريم يا جميل ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، وجزيل إحسانك .
• سبحانك قصرت الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سُبُحات وجهك ، وخشعت جميع الخلائق

لهيبتك، وذَلَّ الأقوياء لقوتك، وسبَّحت جميع الكائنات بحمدك ، اجعلنا من أخصَّ عارفيك، وأصلح عابديك ، وأصدق طائعيك ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر .

لا تظمئنُ القلوبُ إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكاره إلا بأمرك ، ولا تزولُ المحن إلا بإذنك .

• إلهي أنت المدعو بكل لسان ، وأنت المعظم في كل جنان ، وأنت المسبح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، وأستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .

• إلهي بقدرتك عليَّ تُبِّ عليَّ ، وبحلمك عليَّ اعف عني ، وبعلمك بضعفي ارفق بي ، يا ولي المؤمنين أنت ربي ومولاي فاغفر لي .

• إلهي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه ، وهل يجيره من سخطه أحد سواه ، أنت الكريم الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمَّيته باب التوبة ، فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم .

• إلهي إن فَبِحَ الذنب من عبدك فليُحَسِّن العفو من عندك ، يا كاشف الضر ، ويا مجيب المضطر ، لست بأول من عصاك فتبت عليه ، وتعرَّض بمعروفك فجدت عليه ، يا عظيم البر ، يا جميل الستر ، يا واسع المغفرة .

• اللهم لك الحمد على ما أكرمتني به من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علة في جسدي .

• إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك ، أو وقت الصحة التي هنأتني فيها بطيبات رزقك ، وقويتني فيها على ما وفقنتني له من طاعتك ، وأعتنتني بها على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، أم وقت العلة التي محصنتني بها من الذنوب ، وطهرتني بها من السيئات ، ورفعت لي بها الدرجات ، ونهتني بها إلى التوبة ، وذكرتني بها بالنعمة .

• إلهي يا أنيس كل مستوحش ، يا فرج كل مكروب ، يا عضد كل محتاج . أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهماً ، وأنت الذي سبقت رحمته غضبه ، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه .

- إلهي لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبتُ إليك ، ولا تخذلني وقد توكلت عليك .
- إلهي أنا عبدك الفقيرُ الذي فاض دمعُهُ من خيفتك ، وَوَجِلَ قلبه من خشيتك ، وانتفضت جوارحُه من هيبتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .
- إلهي لك الحمد ، أنت الغفور الرحيم ، كم من عيب سترته عليّ فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطّيته عليّ فلم تُشهرني ، اللهم وهذه رقبتني أرقتها الذنوب فأعتقها ، وهذا ظهري قد أثقلته الخطايا فاغفرها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارحم شدة مسكنتي ، وذل افتقاري ، وطول تضرعي ، وضعف قوتي ، وقلة حيلتي .
- اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .
- اللهم إنا نعوذ بك من نَزغات الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من اتباع خطواته ، وكيدته ومكائده ، ومصائده ومواعيده ، وغروره وأمانيه .
- اللهم اجعل بيننا وبين الشيطان سترًا لا يهتكه ، وبابًا لا يفتحه ، وأشغله عنا بأعدائك ، واكفنا شره ، واسلك بنا من التقوى خلاف سبيله من الردى .
- اللهم لا تجعل للشيطان في قلوبنا مدخلًا ، ولا تسكنه فيما بيننا منزلاً .
- اللهم أشرب قلوبنا إنكارَ عمله ، وحوّل سلطانه عنا ، واقطع رجاء منا .
- اللهم اهزم جنده ، وأبطل كيدته ، اللهم إنا نستعين بك عليه ، حتى لا نطيع له أمراً إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .
- اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، وأسقنا غيثاً نافعاً ، تحيي به ما قد مات ، وتُردّ به ما قد فات ، وتُخرج به ما هو آت ، وتُنبئ لنا به الزرع ، وتُدِرّ به الضرع ، وتكَمّل لنا به طيبات الرزق ، إنك على كل شيء قدير .
- اللهم هب لنا من لَدُنكَ رحمة إنك أنت الوهاب ، وزودنا من الإيمان ، ووفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .
- اللهم استعمل ألسنتنا بذكرك ، وجوارحنا بطاعتك ، وأوقاتنا بحسن عبادتك ، وأموالنا فيما يرضيك عنا ، إنك جواد كريم .

- اللهم هب لنا معالي الأخلاق ، ولا تجعل أعمارنا مرتعاً للشيطان ، ولا تدع خصلة تُعاب منا إلا أصلحتها ، إنك أنت العزيز الكريم .
- اللهم أبدلني من بغض أعدائي المحبة ، ومن حسد أهل البغي المودة ، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرّة ، إنك أنت البر الرحيم .
- اللهم وفقني لحُسن السيرة ، والسَّبق إلى الفضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفیه ، وكظم الغيظ ، وحسن الصّفتح ، وأكمل ذلك بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، والعمل بالسنة ، ورَفْض البدعة ، مقرونًا بالحكمة والرحمة ، يا خيرًا بضعفي وفقري وعجزي .
- اللهم صُنْ وجهي باليسار حتى لا أسأل أحداً سواك ، ولا أفْتن بحمد مَنْ أعطاني من دونك وأنت وليُّ الإعطاء والمنع ، وارزقني صحّةً أستعملها في طاعتك ، وعلمًا أستعمله في عبادتك وأعلّم به عبادك ، ومالاً أنفقه في سبيلك .
- اللهم لا تصرف عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك ، ولا تحظر عليّ رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت . أنا عبدك الضعيف ، ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ، لا أمر لي مع أمرك ، ولا ملجأ ولا منجالي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .
- اللهم خذ بنفسي إلى ما يرضيك عني ، واحجبها عما يسخطك علي ، واملاً قلبي بالإيمان ، حتى أعبدك كأنّي أراك ، وأتقرب إليك بالطاعات شوقاً ، وأبتعد عن معاصيك فرّقا ، يا ذا الجلال والإكرام .
- اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان الرجيم ، ومن شر كل شيطان مريد ، ومن شر كل جبار عنيد ، ومن شر كل سلطان مستكبر ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب وبعيد ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم .
- اللهم اغفر لي ولوالدي ، وارزقني برهما ، والإحسان إليهما ، واجعلني أهابهما هيئة السلطان العظيم ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، يا غفور يا رحيم يا رؤوف .
- اللهم يا مؤنس كل وحيد ، ويا صاحب كل فريد ، ويا مغني كل فقير ، ويا شافي كل مريض ، يا شاهداً غير غائب ، يا قريباً غير بعيد ، يا صريخ المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا ناصر المستنصرين .

- يا من أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح ، يا واسعَ الرحمة ، يا جزيل العطاء ، يا عظيمَ الصنّفح ، يا حسنَ التجاوز ، يا سريعَ الإجابة ، يا باسطَ اليدين بالرحمة .
- يا محيطاً بكل محيط ، يا عالم الخفّيات ، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر ، يا سامع جميع الأصوات ، يا بصيراً بكل الذرات .
- يا إله الأولين والآخرين ، يا رب السموات والأراضين ، يا جابر الكسير ، ومطلق الأسير ، ومطعم المسكين .
- يا قاهراً كل قاهر ، يا عالماً بكل عالم ، يا قادراً على كل قادر ، يا مجيبَ كلّ سائل ، يا كريمَ العطاء ، يا سريعَ الرضا .
- يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيّره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر .
- يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وعدد ما أشرق عليه النهار .
- يا من لا تواري منه سماءُ سماءً ، ولا أرضُ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره ، اجعل خير أعمارنا وأواخرها ، وخير أعمالنا وخواتمها ، وخير أيامنا يوم أن نلتقائك فيه .
- اللهم فقهنّا في الدين ، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان ، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، وفق سنة نبيك الرؤوف الرحيم .
- اللهم رب العرش الكريم ، ورب الكرسي الواسع ، ورب النور العظيم ، ورب السقف المرفوع ، ورب البحر المسجور ، ورب الملائكة والروح ، ورب السموات والأرض ، ومُنزل القرآن العظيم والتوراة والإنجيل والزبور .
- أسألك بوجهك الكريم ، وباسمك الأعظم الذي أشرقت به السمواتُ والأرضُ أن تغفرَ لنا ما قدّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنّا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .
- سبحان ذي العزِّ والكبرياء ، سبحان ذي المجد والجبروت ، سبحان ذي الحِلْم والطَّول ، سبحان ذي الجمال والجلال والإكرام .
- سبحان من يرى أثر النمل على الصفا ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصّماء ، في الليلة الظلماء .

- يا من ليس غيره ربُّ يُدعى ، وليس غيره إله يُخشى ، يا ذا الجلال والإكرام .
- يا من لا يزداد على كثرة الأسئلة إلا كرمًا ، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً .
- أسألك أن تغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ، ولا يعطي الكبير إلا الكبير ، يا قويُّ يا عزيز ، لا إله إلا أنت .
- اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، صل وسلم على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .
- سبحان من لا ينبغي التسبيحُ إلاَّ له ، سبحان من أحصى كل شيء عدداً ، سبحان من أحاط بكل شيء علماً ، سبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .
- اللهم أنزل علينا من بركاتك ، وأسبغ علينا نعمائك ، ووفقنا لسبيل الهدى والعفاف والغنى ، واستعملنا فيها بما تحب وترضى .
- اللهم يا شاهدَ كلِّ ملاء ، ويا عالمَ كلِّ خفية ، ويا سامعَ كلِّ نجوى ، ويا كاشفَ كلِّ بلوى ، اكشف عنا كلِّ بلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى ، يا قريب يا مجيب .
- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .
- اللهم يا ذا العزة والعظمة ، يا دائمَ السلطان والقدرة ، يا شديدَ البطش والقوة ، يا نافذَ الأمر والإرادة ، يا واسعَ الرحمة والمغفرة ، يا رب الدنيا والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملكَ الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال .
- كم أنعمتَ عليَّ بالنعم ، وكم دفعتَ عني من النقم ، كنتُ ضالاً فهديتني ، وعائلاً فأغنيتني ، وعارياً فكسوتني ، وجاهلاً فعلمتني ، ومعدوماً فأوجدتني .
- أحمدُك حمداً يبلغُ رضاك ، وأشكرُك شكراً يكافئُ مزيدك ، يا دائمَ المعروف والإحسان ، يا لطيف البر والإكرام .
- لا إله إلا أنت ، أنت الملك الحق الذي خلقت السموات السبع ، وملأتها ملائكةً تسبِّح بحمدك وتقدِّسُك ، وتمجِّدُك وتعظِّمُك ، وتأتمر بأمرك .
- البستهم لباس التقوى ، وجعلتهم أقرب خلقك إليك ، وأعظم معرفةً بجلالك وجمالك

- وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة وعبادةً وخشوعاً ، فلك الحمد .
- اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، وأبواب نعمك ، وأبواب مغفرتك ، وأبواب رضاك ، وخزائن علمك ، وسبل معرفتك .
 - اللهم طَهِّر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .
 - اللهم أنت المستعانُ في الأمور كُلِّها ، والصاحبُ في الأحوال كُلِّها ، والمنعمُ بالنعم كُلِّها ، والواقِي من الشرور كُلِّها ، لك الحمد على حسن قضائك ، ولك الشكر على جزيل عطائك .
 - لا إله إلا اللهُ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا اللهُ ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .
 - لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .
 - اللهم يا كريم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا عظيم المنِّ ، يا منقذ الغرقى ، يا منجِّي الهلكى ، يا عمادَ من لا عمادَ له ، يا سَنَدَ من لا سَنَدَ له ، يا غياثَ من لا غياثَ له ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .
 - إلهي أنت العزيز الجبار ، ذلَّتْ لقدرتك الصعاب ، وأسرعت إلى إرادتك الأشياء ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المَفْزَعُ في الملمات ، لا يَنْدفع منها إلا ما دَفَعْتَ ، ولا يَنْكشف منها إلا ما كَشَفْتَ ، لا إله إلا أنت .
 - اللهم لا فاتح لما أغلقت ، ولا مُغلق لما فتنحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا ناصر لمن خذلت ، أسألك أن تفتح لي أبواب الرحمة والفرج ، فأنت وحدك القادر على كَشْف ما أنا فيه ، ودَفْع ما وقعتُ فيه .
 - اللهم أكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهِّر قلوبنا من النفاق والرياء ، وكُفِّ أيدينا عن الظلم والسرقة ، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهة ، وعُضِّ أبصارنا عن الفجور والخيانة ، واحفظ أسماعنا من اللغو والغيبة ، يا سميع الدعاء .
 - اللهم يا عظيم العفو والرحمة والإحسان تفضَّل على علمائنا بالزهد والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة ، وعلى كبارنا بالوقار والسكينة ، وعلى شبابنا بالإنابة والتوبة ،

وعلى نسائنا بالحياء والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر والقناعة .
وتفضّل على الغزاة بالنصر والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص والحرية ، وعلى المرضى
بالشفاء والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعية بالطاعة وحسن السيرة ، يا
رب العالمين .

• اللهم يا رحيماً بعبادك اغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، والمعاصي التي تنزل النقم ،
والآثام التي تغير النعم ، والخطايا التي تمنع إجابة الدعاء ، والمحرمات التي تنزل البلاء .
• اللهم يا عليمًا بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك
لا بيد غيرك حياتي وموتي ، ونفعي وضرري .

إن حرمتني فمن يعطيني ، وإن خذلتني فمن ينصرني ، وإن طردتني فمن يؤويني ، أنت
مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

• إلهي ما أعظم برك بي في حياتي ، فلا تقطع عني برك في مماتي ، إنك أنت البرُّ الرؤوف
الرحيم .

• إلهي أنت السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أسألك الأمان يوم لا ينفق مال
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأسألك الأمان يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

وأسألك الأمان يوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .

وأسألك الأمان يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه .

وأسألك الأمان يوم يعرض الظالم على يديه ، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .

وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار .

وأسألك الأمان يوم يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .

• اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك
عليّ تب عليّ ، وبعلمك بي ارفق بي .

اللهم يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليمًا بما في
السر ، اقبل توبتي ، واغفر لي زلتي .

• إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة ، طويلة الأمل ، كثيرة العِلل ، إن مسّها الشر تجزّع ،

- وإن مَسَّهَا الخَيْر تَمَنَع ، مِيَالَةً إِلَى اللّٰعِب واللّٰهُو ، مَمْلُوءَةٌ بِالغَفْلَةِ والسَّهْوِ .
- إلهي أشكو إليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأ بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسه بقلبي ، يدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزين لي حب الدنيا ، ويحول بيني وبين طاعتك ، أعوذ بك منه ومن شروره ومكايده .
 - إلهي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك وعز سلطانك أن توفقني لما تحبه وترضاه ، وأن تحول بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي .
 - اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، واجعل دمعي غزيراً في طاعتك ، واسكب عبرتي من خشيتك ، واصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبب إليّ الحلال ، وافتح لي أبوابه ، ولا تسلبني ما مننت به عليّ ، ولا تنزع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلط عليّ أيدي الجبابرة يا إلهي ومولاي .
 - اللهم يا عزيز يا كريم وفر حظي من كل خير أنزلته ، ومن كل بر نشرته ، ومن كل رزق بسطته ، ومن كل بلاء رفعته ، ومن كل عيب سترته .
 - يا من بيده ناصيتي ، يا عالماً بضري ومسكنتي ، يا خبيراً بفقرتي وفاقتي ، يا من عليه مَعْوَلِي ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأقِلني عثرتي ، واغفر لي زلتي .
 - إلهي ومولاي إليك نصبت وجهي ، وإليك يا رب مددت يدي ، فبعزتك استجب لي دعائي ، ولا تقطع رجائي ، واكفني شر أعدائي .
 - يا واسع الرحمة يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء ، ورأس ماله الرجاء ، وسلاحه البكاء .
 - يا ساخن النعم ، يا دافع النقم ، يا مجيب دعوة المضطر ، افعل بنا ما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .
 - إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، ونحن عبيدك الفقراء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام .
 - اللهم إنا نسألك باسمك العظيم الذي إذا سئلت به أعطيت ، وإذا دُعيت به أجبت ، وإذا

استرحمتَ به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دُعيت به على كشف البلاء انكشف .

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجلّت له القلوب .

ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خلقت بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبِعزتك التي خضع لها كل شيء ، أن تعز الإسلام والمسلمين ، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين ، يا رب العالمين .

• اللهم من أرادنا بسوء أو مكروه من شيطان مريد ، أو سلطان عنيد ، أو حاسد على نعمة ، أو ظالم أو باغ ، فكف عنا يده ، واصرف عنا شره ، وأشغله عنا بنفسه ، واجعل كيدَه في نحره ، وتدميره في تدبيره ، إنك أنت القوي العزيز .

• اللهم سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، وأغنني بفضلك عمن سواك ، يا من بيده ملكوت كل شيء .

• اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا ، وفرّق بينهم وبين أسلحتهم ، وحيرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم بالرعب ، وانصرنا على من عادانا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

• اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وأمددهم بالملائكة المسؤمين ، واملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في طاعتك ، وأشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد ، لك وحدانية الخلق والأمر ، ووحدانية العبادة ، ومَلَكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزة الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والإنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات .

وكل ما سواك فقير إليك ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، موسوم بسمة الضعفاء والفقراء والعبيد .

• اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى التمسنا أرزاقك

من عند المرزوقين ، وطَمَعْنَا فِي آمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ .
نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تَهَبَ لَنَا يَقِينًا صَادِقًا تَكْفِينَا بِهِ مَوْنَةَ الطَّلِبِ ، وَتَقْطَعَ طَلْبَهُ مِمَّنْ سِوَاكَ ،
فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي قَسَمْتَ الْأَرْزَاقَ ، وَتَكَفَّلْتَ بِإِصَالِهَا إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ .

• اللَّهُمَّ أَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي ، وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي ، وَازْوِرْ عَنِّي مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْأَشْيَاءِ مَا يَشْغَلُنِي عَنْكَ ، وَاجْعَلْ مَا أَعْطَيْتَنِي عَوْنًا لِي عَلَى طَاعَتِكَ ، وَمَا مَنَعْتَنِي
سَبَبًا لِتَفْرَغِي لِعِبَادَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

• مَوْلَايَ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَرْجُو رَحْمَتَكَ ، وَيَخْشَى عَذَابَكَ ، تَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ
خَاشِعَةٍ ، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ ، وَظَهَرَ مُثْقَلًا بِالذَّنُوبِ وَالخَطَايَا ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ ،
وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَجَائِهِ ، وَأَحَقُّ مِنْ خَشْيَتِهِ وَاتَّقَاهُ ، فَاعْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، يَا وَلِيَّ
الْمُتَّقِينَ .

• أَشْهَدُ أَنَّكَ قَسَمْتَ مَعَاشِ الْعِبَادِ بِالْعَدْلِ ، وَأَحْسَنْتَ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ بِالْفَضْلِ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ الشَّرِيفَ مِنْ شَرَفَتِهِ طَاعَتِكَ ، وَالْعَزِيزَ مِنْ أَعَزَّتِهِ عِبَادَتِكَ .

• مَوْلَايَ اجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا زَوَيْتَ عَنِّي أَوْفَرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَى مَا خَوَّلْتَنِي ، وَلَا
تَشْغَلْنِي عَنْكَ بِغَيْرِكَ ، فَإِنَّ الْغَنِيَّ مِنْ أَغْنَيْتَ ، وَالسَّالِمَ مِنْ وَقَيْتَ .

• لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، تَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ عَلَى مَنْ شِئْتَ ، وَتَقْضِي بِمَا أَرَدْتَ عَلَى مَنْ أَرَدْتَ ،
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا وَقَيْتَنَا مِنَ الْبَلَاءِ ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلْتَنَا مِنَ النِّعْمَاءِ .

• سُبْحَانَكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ ، وَأَنْتَ الَّذِي تَدْفَعُ كُلَّ نِقْمَةٍ ، أَشْكُرُّ عِبَادَكَ عَاجِزٌ عَنِ
شُكْرِكَ ، وَأَعْبُدُهُمْ مَقْصِرٌ فِي عِبَادَتِكَ ، لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ ، وَلَا أَنْ تَرْضَى
عَنهُ بِاسْتِجَابِهِ ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبَطُولِكَ ، وَمَنْ رَضِيتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ .

سِنَّتِكَ الْإِنْعَامَ وَالْإِفْضَالَ ، وَعَادَتِكَ الْإِكْرَامَ وَالْإِحْسَانَ ، وَسَبِيلِكَ الْعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ ، وَثَوَابِكَ
الْجَنَّةَ .

• لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، كُلُّ الْبَرِيَّةِ تَشْهَدُ لَكَ بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ عَافَيْتَ ، وَأَنَّكَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ ،
وَكَلُّ مَقْرٍ بِالتَّقْصِيرِ عَلَى أَدَاءِ مَا يَجِبُ لَكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ خَدَعَ الْخَلْقَ عَنْ طَاعَتِكَ مَا
عَصَاكَ عَاصٍ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَالٌ .

• سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ كَرَمِكَ فِي مَعَامَلَةِ مَنْ أَطَاعَكَ أَوْ عَصَاكَ ، تَشْكُرُ لِلْمُطِيعِ مَا أَنْتَ
أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَتَحْلُمُ عَلَى الْعَاصِي فِيمَا تَمْلِكُ مَعَاجِلَتَهُ فِيهِ .

تطاع فَتَشْكُر، وتُعْصِي فَتَغْفِر، وتَفْضَلت على كلِّ منهما بما يَقْصُر عمله عنه .
يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين
في جوارك ، لا إله إلا أنت ما أكرمك وما أرحمك .

• إلهي يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، تباركت أن توصف إلا بالإحسان ، وكَرَّمْتَ
أن يُخَاف منك إلا العدل، لا يُخشى جورك على من عصاك، ولا يُخاف نقصك ثواب من
أرضاك .

• اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظَلِم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أُسدي إليّ فلم
أشكره ، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ، ومن فقير سألتني فلم أعطه ، ومن عيبٍ مؤمنٍ
ظهر لي فلم أستره ، ومن كلِّ إثم عرض لي فلم أهجره .

• اللهم اجعل رغبتني في طاعتك ، وأخلص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل
محرم، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم كل عبد نال مني ما حرَّمت عليه ، وانتَهك مني ما حجرت عليه ، فاغفر له ما أَلَمَّ به
مني ، وعوَّضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعائي له رحمتك لي ، يا أرحم الراحمين .
• اللهم وكل عبد ناله مني أذى ، أو لحقه بسببي ظلم ، فأرضه عني بما تشاء ، وأوفه حقه
من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم .

• اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا يَنْقُصك بذله أن تهب لي نفسي، وتعتقها من النار يا
ربي، فكم عمَّ عفوك الظالمين ، وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين .

أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحداً فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك ،
وتعالى جددك ، ولا إله غيرك .

• اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت باباً من
أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أحنينا مسلمين ، وأممتنا مهتدين غير ضالين ،
تائبين غير عاصين .

• اللهم شرف درجتي برضوانك ، وأكمل كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين،
ومن حزبك المفليحين، واعمر بي مجالس الصالحين، وأدخلني في زمرة الفائزين، يا رب
العالمين .

• اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا ملك الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق .

• اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك ضيق ملاحدنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به على الصراط أقدامنا ، وأتم به نورنا .

• اللهم صل وسلم على محمد وآله ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وأحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه ، يا أكرم الأكرمين .

• سبحان من خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وجعلهما دائبين في الكون .

آمنت بمن خلق هذا الخلق المطيع ، فهو دائب سريع ، يدور في فلک التدبير ، وإلى إرادة ربه سريع ، جعله ربه آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه .

اللهم اجعلنا من أرضى من طلع عليه ، وأزكى من نظر إليه ، وأسعد من تعبد لك فيه ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيماناً صادقاً نكفّ به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محذور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم يا بصيراً بالعباد ، يالطيف يا خير استعمل أبداننا في عبادتك ، وزين أوقاتنا بطاعتك ، وإن ملنا فعدّلنا ، وإن زغنا فقومنا ، وإن أسرنا الشيطان فاستنقذنا ، وإن تسلط علينا العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

• اللهم يا من لا يندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان ، وقضاؤك كله خير ، ونعمك على خلقك لا تعد ولا تحصى .

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافىء من حودك وأنت علمته حمدك ، وتستر

- على من لو شئت لفضحته ، وتجوّد على من لو شئت لمنعته ، وكلُّ منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .
- إلهي أنت الكريم الذي فتحت لعبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .
 - اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها ، يا رؤوف يا رحيم .
 - اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام ، وسهّلت لنا سبل الإحسان ، ووفقتنا لحسن عبادتك ، وهديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنّبتنا ما يسخطك علينا .
 - اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى ترضى وإذا رضيت ، إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة .
 - لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ، ومن قلوبنا بصدق الندم ، فأجرنا على ما حمدنا ، واغفر لنا ما قصّرنا ، يا من لا يغفر الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .
 - اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه ، ونشكرك على كل رزق أعطيتناه .
 - يا أكرم مَنْ رغب خلقه إليه ، وأكفى من توكل عباده عليه ، يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد .
 - يا من يشكر اليسير من العمل ، ويجازي بالعظيم من الأجر ، يا من لا يغيّر النعمة ، ولا يبادر بالنقمة ، يا من يضاعف الحسنات ، ويعفو عن السيئات .
 - يا من يذكر مَنْ ذكّره ، ويتقرب إلى من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه .
 - أنت رب العزة والجلال ، وأنت ذو الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة .
 - أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة ، امتلأت بفيض جودك جميع أوعية الطلبات ، فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك .
 - بابك مفتوح للوافدين ، وجودك مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .
 - حلّمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلته من ناواك ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلتها بها .
 - سبحانه ما عدلك وما أرحمك ، هديتنا إلى الدين ، وأظهرت البيئات ، وأقمت

الحجج، وتلطّفت في الترغيب ، وتقدّمت بالوعيد ، وضربت الأمثال ، وأطلت الإمهال ، وأخرت العقوبة وأنت مستطيع للمعاجلة ، لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، وإحسانك أوفى ، ونعمتك أتم .

• لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك ، أنت الأول قبل كل أحد ، والآخر بعد كل عدد ، أنت المحيط الذي أحطت بكل شيء علماً ، وأحصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً .

• لا إله إلا أنت ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت مَلِكِ السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصوّر الذي صوّر جميع المصوّرات .

• لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمت فكان عدلاً ما حكمت ، وخلقته فكان حسناً ما خلقت ، وقدرت فكان حقاً ما قدرت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

• لا إله إلا أنت ، ما أجلّ شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك وغفرانك .

• لا إله إلا أنت ، سبحانه بسطت بالخير يدك ، وهديت للإسلام خلقك .

• سبحانه خضع لك مَنْ جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك ، لا راد لقضائك ، ولا مُعقّب لحكمك .

• اللهم لك الحمد حمداً يليق بعظمتك ، ويكافي إحسانك ، ويليق بعز جلالك .

• إلهي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين ، ويمهل المخطئين ، ويقبل عثرات المذنبين .

أنا المسيء الخاطيء ، أنا الظالم العاثر ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفي من عبادك وبارزك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتهن بذنبه ، أنا القليل الحياء ، أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترم بي رمي مَنْ سقط من عينك ، ولا تطوّقني طَوْقاً يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وانزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك .

• اللهم زيّن لي التفرد بمناجاتك ، وهب لي نوراً يملأ قلبي بعظمتك ، ويقيناً يدفعني إلى

خشيتك ، وعلماً أعرف به عظمتك ، وتمنعي به من ركوب محارمك ، وتعينني به على طاعتك .

• اللهم ما أنزلت من خير وصحة وسلامة وسعة رزق فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب ، وما أنزل من شر وفتنة فاصرفه عنا وعن المسلمين ، وارزقنا اللهم غنى لا يطغينا ، وصحة لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، إنك أنت العزيز الكريم .

• إلهي لم أصب خيراً قط إلا منك ، ولم يصرف عني سوءاً قط غيرك ، أنت رجائي وملاذي فأغني بفضلك عن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم إني أسألك يا مولاي بأسمائك الحسنی ، وصفاتك العلی ، وبقدرتك التي خَلَقْتَ بها السموات والأرض وما فيهما وما فوقهما ، وحرَّكتَ بها كل متحرك ، وسكَّنتَ بها كل ساكن ، وأحييتَ بها أموات العباد ، ونشرتَ بها أقوات البلاد ، ورحمتَ بها من تشاء ، وعاقبتَ بها من تشاء ، وأعطيتَ بها من تشاء ، ومنعتَ بها من تشاء ، أن ترضى عنا ، وتدخلنا دار السلام ، إنك أنت السلام ، ومنك السلام ، لا إله إلا أنت .

• اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قَهَرْتَ بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبِعِظْمَتِكَ التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء ، أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العِصْمَ ، وتُنزِلَ النقم ، وتغيِّرَ النعم ، وتُنزِلَ البلاء والفتن ، يا أرحم الراحمين .

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك ، والإحسان إلى خلقك ، أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعَظُمَتْ فيما عندك رغبته ، فاستجب دعائي .

• اللهم يا قوي أسألك بعزتك أن لا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عصيتك في خلواتي ، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفاً رحيماً ، لا إله لي غيرك ، أسألك كشف ضري ، ومغفرة ذنبي ، يا غفور يا رحيم .

• اللهم ارحم قلوباً امتلأت بتوحيدك ، وألسنة نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهاً خرَّت لعظمتك ساجدة ، وجوارحاً في عبادتك خاشعة .

اللهم صل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، خير

الخلفاء بعد الأنبياء ، وأفضل أئمة الهدى ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
 اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .
 اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ، يا سميع الدعاء .
 هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .
 سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٧] ﴿ [الأنبياء / ٨٧] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة / ٢٠١] .

﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة / ١٢٧] .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٨١] ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٨٢] ﴿

[الصفات / ١٨٠-١٨٢] .

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
الباب الأول: كتاب التوحيد ، ويشتمل على ما يلي :	١٧
١- فقه التوحيد.....	١٨
٢- أقسام التوحيد.....	١٨
٣- دلائل التوحيد.....	٢١
٤- حقيقة التوحيد.....	٢٦
٥- فضائل التوحيد.....	٢٧
٦- شروط كلمة التوحيد.....	٢٨
٧- أركان التوحيد.....	٢٩
٨- كمال التوحيد.....	٢٩
٩- لوازم التوحيد.....	٣٠
١٠- مكان التوحيد.....	٣٠
١١- قيمة التوحيد.....	٣١
١٢- أصل التوحيد.....	٣٢
١٣- أهل التوحيد.....	٣٣
١٤- إيمان أهل التوحيد.....	٣٤
١٥- ثواب أهل التوحيد.....	٣٥
١٦- نواقض التوحيد.....	٣٦

- الباب الثاني : مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان ، ويشتمل على ما يلي : ٣٩
- ١- مفاتيح معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ٤٠
- ٢- مفاتيح التوحيد والإيمان ٥٥
- ٣- مفاتيح النعم والإحسان ٧٣
- ٤- مفاتيح التفكير والتدبر ٨٥
- الباب الثالث : توحيد الله بأسمائه وصفاته ، ويشتمل على ما يلي : ١١١
- ١- حكم العلم بأسماء الله الحسنى ١١٢
- ٢- أسماء الله وصفاته كلها حسنى ١١٤
- ٣- تفاضل أسماء الله الحسنى ١١٦
- ٤- عدد أسماء الله الحسنى ١١٧
- ٥- اسم الله الأعظم ١١٩
- ٦- إثبات أسماء الله الحسنى ١٢١
- ٧- الأصل في إثبات أسماء الله الحسنى ١٢٢
- ٨- قواعد إثبات أسماء الله الحسنى ١٢٣
- ٩- أسماء الله الحسنى الثابتة في القرآن والسنة: وتشمل ١٢٦
- ١- أسماء الله المطلقة الواردة في القرآن والسنة ١٢٦
- ٢- أسماء الله المقيدة الواردة في القرآن والسنة ١٣٢
- ١٠- أقسام أسماء الله الحسنى ١٣٧
- الباب الرابع : فقه التعبد بأسماء الله الحسنى ، ويشتمل على ما يلي : ١٤٧
- ١- حكمة خلق الإنسان ١٤٨
- ٢- فقه أعمال القلوب ١٥٤

١٥٦.....	٣- التعبد لله بأسمائه الحسنى: ويشمل:
١٥٦.....	١- أركان التعبد بأسماء الله وصفاته
١٥٧.....	٢- طرق الوصول إلى التعبد بأسماء الله وصفاته
١٥٨.....	٣- مراتب المؤمنين فى التعبد بأسماء الله وصفاته
١٦١.....	٤- آثار التعبد لله بأسمائه وصفاته
١٦٥.....	٤- فقه التعبد لله بأسمائه الحسنى
١٨١.....	الباب الخامس: أسماء الله الحسنى بين معرفتها، وتوحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها، وتشتمل على ما يلى:
١٨١.....	١- أسماء الله الحسنى الدالة على الألوهية، والربوبية، والوحدانية:
١٨١.....	وتشتمل على ما يلى:
١٨٢.....	الله.. الإله
١٩٣.....	الرب
٢١٨.....	الواحد.. الأحد
٢٣٣.....	الوتر
٢٣٧.....	٢- أسماء الله الحسنى الدالة على الحياة والملك، والعلو والعظمة والقدرة، والجلال والكبرياء: وتشتمل على ما يلى:
٢٣٨.....	الحى
٢٤٦.....	القيوم
٢٥٣.....	الملك.. المليك.. المالك
٢٨٠.....	العظيم
٢٩١.....	الكبير.. المتكبر
٣٠٠.....	العزیز
٣٠٨.....	الجبار

الموضوع	الصفحة
المهيمن	٣١٥
القوي	٣٢١
القادر.. القدير.. المقتدر	٣٢٨
القهار	٣٣٧
المجيد	٣٤٥
الصمد	٣٥٥
المتين	٣٦١
العلي .. الأعلى .. المتعال	٣٦٥
النصير.. الناصر	٣٧٣
الوارث	٣٨١
الوكيل	٣٨٥
النور	٣٩٧
المقدم.. المؤخر	٤١٠
٣- أسماء الله الحسنى الدالة على العلم والإحاطة ، والرقابة والمحاسبة:	
وتشتمل على ما يلي:	٤١٧
العليم	٤١٨
السميع	٤٣٨
البصير	٤٤٤
الخير	٤٤٩

الموضوع	الصفحة
المحيط.....	٤٥٧
الحفيظ.....	٤٦٥
الحكيم.. الحكم.....	٤٧٤
الحسيب.. الحاسب.....	٤٩٩
الأول.. الآخر.....	٥٠٤
الظاهر.. الباطن.....	٥٠٨
الشهيد.....	٥١٣
الرقيب.....	٥٤١
القريب.....	٥٥٥
٤- أسماء الله الحسنى الدالة على الرحمة والمغفرة، والعفو والعون، واللفظ	
والرفق: وتشتمل على ما يلي:	٥٦١
الرحمن.. الرحيم.....	٥٦٢
الغفور.. الغفار.....	٥٧٥
التواب.....	٥٨٤
المؤمن.....	٥٩٢
العفو.....	٥٩٩
الحليم.....	٦٠٥
اللطيف.....	٦١٦
الودود.....	٦٢٧

٦٣٩.....	المجيب.....
٦٤٩.....	الولي.. المولى.....
٦٥٧.....	الرؤوف.....
٦٦٣.....	المستعان.....
٦٦٧.....	الستير.....
٦٧٢.....	الرفيق.....
٥ - أسماء الله الحسنى الدالة على الخلق والرزق ، والإكرام والإحسان:	
٦٧٧.....	وتشتمل على ما يلي :
٦٧٨.....	الخالق.. الخلاق.....
٦٩١.....	الباريء.....
٦٩٤.....	المصور.....
٧٠٠.....	الغني.....
٧٠٨.....	الرازق.. الرازق.....
٧٢٠.....	الكريم.. الأكرم.....
٧٤٢.....	الوهاب.....
٧٤٩.....	الكافي.....
٧٥٣.....	الكفيل.....
٧٥٦.....	البر.....
٧٦٧.....	المقيت.....

٧٧٣.....	الواسع
٧٨١.....	الشافعي
	٦- أسماء الله الحسنى الدالة على الحمد والشكر، والثناء والجمال:
٧٨٩.....	وتشتمل على ما يلي:
٧٩٠.....	الحميد
٨٠٩.....	الشكور.. الشاكر
٨١٧.....	الصادق
٨٢٦.....	الجميل
٨٣٤.....	الطيب
٨٤٢.....	الحيي
	٧- أسماء الله الحسنى الدالة على الحق والعدل، والهداية والبيان:
٨٤٧.....	وتشتمل على ما يلي:
٨٤٨.....	الحق
٨٦٠.....	الهادي
٨٧٤.....	المبين
٨٧٨.....	الفتاح
	٨- أسماء الله الحسنى الدالة على السلام والتنزيه والتقديس:
٨٨٩.....	وتشتمل على ما يلي:
٨٩٠.....	السلام

السبوح.....	٩٠١
القدوس.....	٩٠٦
الباب السادس : أهل التوحيد بين الواجب والجزاء، ويشتمل على ما يلي :	٩١١
١- واجبات أهل التوحيد.....	٩١٢
٢- جزاء أهل التوحيد.....	٩١٦
٣- جزاء أهل الشرك.....	٩١٨
٤- دار القرار : وتشمل :	٩٢٠
١- صفة الجنة.....	٩٢٣
٢- صفة النار.....	٩٤٤
٥- دعاء أهل التوحيد.....	٩٦٣
• الفهرس	٩٩٧